

الْأَنْجِيكَ



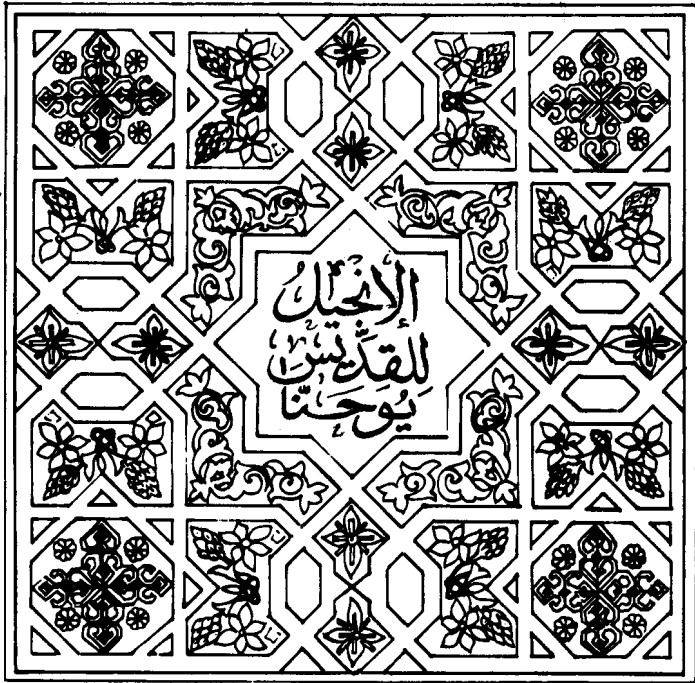
لِلْقَدِيْسِ بُوْحِيْنَا



المسيح ملك الملوك



عماد السيد المسيح



قَامَتْ بِالترجمةِ لَجْنَةُ اعْتَمَدَ تَشْكِيلَهَا قَدَاسَةُ  
الْبَابَا كِيرْلُسَ السَّادِسِ . مُكوَّنةُ بِرِئَاسَةِ نِيَافَةَ الأَبَا -  
غَرِيغُورِيُوسَ أُسْقَفِ الدَّرَاسَاتِ العُلْيَا اللّاهُوتِيَّةِ  
وَالثقَافَةِ القِبْطِيَّةِ وَالبَحْثِ العِلْمِيِّ ، وَعُضُوءِيَّةِ  
الأُسْتَاذِ زَكِي شَنُودَةَ وَالأُسْتَاذِ الدُّكُورِ بَاهُورَ  
كَيْبِ .

وَصَدَرَ فِي عَهْدِ قَدَاسَةِ البَابَا شَنُودَةَ الثَّالِثِ بَابَا  
الإِسْكَندَرِيَّةِ وَبَطْرِيَرِكِ الكِرَازَةِ المَرْقُسيَّةِ فِي كُلِّ  
أَفْرِيْقِيَا وَالشَّرْقِ وَبِلَادِ اللّهْجَرِ .

قام بالتقاط صور الأيقونات الأثرية القبطية الفنان : سليم يوسف

## مقّمتا

### ١ - القديس يوحنا الرسول الإنجيلي

اشتهر القديس يوحنا بين رسل المسيح وتلاميذه الاثني عشر بأنه كان « التلميذ الذي كان يسوع يحبه »<sup>(١)</sup> « وهو ذلك الذي كان قد اتكأ على صدره في أثناء العشاء » ، والذي قال له : « يارب من هو الذي سيسلمك ؟ »<sup>(٢)</sup> . وهو الذي عهد إليه المسيح له المجد - وهو على الصليب - برعاية أمه العذراء مريم . قال الإنجيل : « فلما رأى يسوع أمه ، والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً ، قال لأمه « أيتها السيدة ، هوذا ابنك » ، ثم قال للتلميذ : « هي ذى أمك ، ومنذ تلك الساعة أخذها التلميذ إلى بيته »<sup>(٣)</sup> . وقد أقامت العذراء مريم في بيت يوحنا حوالي أربع عشرة سنة ، ولم يغادر فلسطين من أجلها إلى يوم وفاتها وصعود جسدها إلى السماء .

### يوحنا الحبيب

لهذا كله عُرف القديس يوحنا الرسول باسم « يوحنا الحبيب » . ولا بدّ أنه كانت في يوحنا صفات وفضائل أحبه المسيح من أجلها :

١ - ولعل أول هذه الصفات وأبرزها أنه كان يحبّ المسيح له المجد محبة فائقة تميزت وبرزت على محبة سائر التلاميذ . وهو أمر عرفه عنه المسيح وهو فاحص

(١) (يوحنا ١٣ : ٢٣) و(١٩ : ٢٦) و(٢٠ : ٢) و(٢١ : ٧ و ٢٠) .

(٢) (يوحنا ٢١ : ٢٠) و(١٣ : ٢٥) .

(٣) (يوحنا ١٩ : ٢٦ و ٢٧) .

القلوب والكلى<sup>(٤)</sup> ، كما يتضح من إنجيله الذى اهتم فيه اهتماماً خاصاً بحديث ربّ المجد عن المحبة ووصيته فيها<sup>(٥)</sup> .

وكذلك كتب عن المحبة فى رسائله الثلاث المعروفة بين الرسائل الجامعة ، ووصف الله فيها بأن « الله محبة »<sup>(٦)</sup> .

وقد شدّد الرسول القديس يوحنا على المحبة بين الناس ، وعدّها المحكّ لمحبتنا لله ، لكن هذه المحبة ليست كلاماً ، أو عاطفة جوفاء . إن المحبة الحقيقية عمل صالح نحو الناس ، جميع الناس .

« أيها الأحباء ، فليحبّ بعضنا بعضاً ، فإن المحبة هى من الله . وكل من يحبّ فهو مولود من الله ، وعارف بالله . ومن لا يحبّ لم يعرف الله ، لأن الله محبة ... تلك هى المحبة .. إننا لم نكن نحن الذين أحببنا الله ، بل هو الذى أحبنا ، وأرسل ابنه كفارة عن خطايانا . أيها الأحباء ، إذا كان الله قد أحبنا هذا الحب ، فعلينا نحن أيضاً أن يحب بعضنا بعضاً . إن الله لم ينظر إليه أحد قط . ولكن إذا أحب بعضنا بعضاً أقام الله فىنا وتمّت محبته فىنا . بهذا نعرف أننا نثبت فيه ، وأنه يقيم فىنا وأنه قد أعطانا من روحه ... الله محبة ... من ثبت فى المحبة ثبت فى الله ، وأقام الله فيه ... نحن نخبه لأنه هو أحبنا أولاً . إن قال أحد : إني أحب الله وهو مبغض لأخيه كان كاذباً ، لأن الذى لا يحبّ أخاه وهو يراه كيف يستطيع أن يحبّ الله وهو لا يراه . وإليكم الوصية التى أخذناها عنه : من أحب الله أحب أخاه أيضاً<sup>(٧)</sup> » .

(٤) (الرؤيا ٢ : ٢٣) .

(٥) راجع خصوصاً (يوحنا ١٤ : ٢١ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٨ و ٣١) و (يوحنا ١٥ : ١٠ و ١٢

و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٧) .

(٦) (١ . يوحنا ٤ : ٨) .

(٧) (١ . يوحنا ٤ : ٧ - ٢١) .



« نحن نعلم أننا انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نجب الإخوة . من لا يجب أخاه بقى في الموت . كل من أبغض أخاه فهو قاتل نفس . وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه . بهذا قد عرفنا المحبة : أن ذلك قد بذل نفسه لأجلنا ، فعلينا نحن أيضاً أن نبذل نفوسنا لأجل بعضنا بعضاً . من كانت له المعيشة العالمية ورأى أخاه في فاقة فأغلق أحشاءه دونه فكيف تثبت محبة الله فيه . بأولادى ، لتكن محبتنا لا بالكلام أو باللسان ، بل بالعمل والحق » (٨) .

وجاء عن القديس يوحنا الحبيب في تاريخ الكنيسة أنه ظلّ يركز بالمحبة دائماً . ولما بلغ سنّ الشيخوخة ، وأمسى عاجزاً عن الوعظ الطويل ، صار يقتصر في مواعظه على هذه العبارة : « بأولادى : فلتحبوا بعضكم بعضاً » . فلما ضجر المؤمنون من هذه الكلمات المتكررة قال لهم : « إن المحبة هى وصية الرب . فإذا أتمناها فقد برهنا على أننا تلاميذ الرب » . قال السيد المسيح : « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إذا أحببتم بعضكم بعضاً » (٩) .

ومما يذكر عن محبة القديس يوحنا لخلاص الخطاة مارواه القديس إكليمنضس الإسكندرى في كتابه « من هو الغنى الذى يخلص » عن الرسول يوحنا أنه ترك شاباً حديث الإيمان في رعاية أحد أساقفة آسيا الصغرى ، فتعهد الأسقف بالوعظ والتعليم ثم عمدّه . وحدث بعد ذلك أن عاشر الشاب بعض أصدقاء السوء . فأمالوه عن طريق الفضيلة ، وأخذ ينحدر فى مهاوى الرذيلة إلى أن أمسى من قطع الطرق . بل زعيماً لعصابة من اللصوص . فلما عاد الرسول يوحنا سأل الأسقف عن الشاب ، فبكى الأسقف للحال التى صار إليها الشاب وتردى فيها . عندئذ طلب القديس يوحنا فرساً وأخذ معه دليلاً مرشداً ، حتى

(٨) (١ . يوحنا ٣ : ١٤ - ١٨) .

(٩) (يوحنا ١٣ : ٣٥) .

وصل إلى حيث يقيم الشاب على أحد الجبال . وهناك رأى اللصوص القديس يوحنا قبضوا عليه وجاءوا به إلى زعيمهم ، وكان هو هذا الشاب الذي اضلَّ سواء السبيل . فلما تنبَّه الشاب أنه أمام الرسول القديس يوحنا وجهاً لوجه لم يَقوَ على الوقوف أمامه ، فوَلَّى الأدبار هارباً من حضرته . أما الرسول القديس فقد استردَّ شبابه وشرع يجرى وراء الشاب وهو يقول : « ابني يا ابني ، ما بالك تجرى هارباً من وجه أبيك وهو شيخ وأعزل ولا سلاح بيده؟! ارحم نفسك ، ووقَّر شيخوختي .. ولا تخشَ ضراً . فما زال الرجاء متوقفاً لخلاصك .. وأنا كفيلك عند المسيح .. وإني أبذل حياتي من أجل خلاصك ، كما بذل يسوع المسيح حياته من أجلنا ... قف في مكانك ، وأيقن أن المسيح هو الذي أرسلني إليك ... فلما سمع الشاب هذه الكلمات العاطفية المثيرة انهار أمام الرسول القديس ، وانخرط في بكاء متواصل نادماً على ما وقع فيه من شرٍّ وضلال ... فعانقه الرسول بحنان وطمأنه ، وأعلن له قبول توبته ، وردّه إلى الكنيسة بعد أن منحه الجِلَّ من خطاياہ (١٠) .

ومع هذه المحبة العظيمة التي امتلأ بها قلب الرسول القديس يوحنا ، نحو الله والناس ، أصدقاء كانوا أو أعداء ، فإنه كان شديداً على الهراطقة وأصحاب البدع والتعاليم الغريبة عن الكنيسة . وكان يعدّهم أعداء للإيمان ومقاومين للمسيح . وكان يحذّر المؤمنين منهم ومن تعاليمهم الهراطقية الضارة ، وكان يدعو بحرارة إلى مقاطعتهم وإلى قطع الشركة المسيحية معهم ، من هؤلاء الكيرثيون والأبيونيون والنيقولايون والغنوشيون وغيرهم .

قال في إحدى رسائله التي يتكلّم فيها عن أعماق المحبة : « أيها الأولاد ،

(١٠) أنظر كتاب « مَنْ هو الغنى الذي يَخْلُص » للقديس أكليمنضوس الإسكندري (٤٢ : ١ -

١٥) ثم كتاب « تاريخ الكنيسة » ليو سايوس القيصرى - كتاب ٣ فصل ٢٣ .

هاهى ذى الساعة الأخيرة . وكما أنكم سمعتم أن المسيح الدجال سيأتى ، يوجد الآن أعداد للمسيح كثيرون ... متآ خرجوا ، ولكنهم لم يكونوا متآ ، لأنهم لو كانوا متآ لظلوا معنا ، ولكن ليتبين أنهم ليسوا كلهم منا «<sup>(١١)</sup> . وهو يعنى هنا الهراطقة الذين انفصلوا عن الكنيسة « منا خرجوا » لكنهم صاروا لا يُعَدُّون متآ لأنهم لو كانوا من رأينا وروحنا وتعليمنا لظلوا واستمروا معنا . وفى رسالته الثانية يقول « إذا جاءكم أحد لا يحمل هذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت ، ولا تقولوا له : سلام ! فإن من قال له : سلام ، شاركه فى أعماله الشريرة »<sup>(١٢)</sup> .

وجاء عن القديس يوحنا الحبيب فى كتاب « الرد على الهراطقات » للقديس إيريناوس ، أنه رأى مرة فى حمّام عام بعض المؤمنين ومعهم فيه كيرنتوس CERINTHUS الهراطقى ، وهو من قادة الأيونيين ، وكان يزعم أن السيد المسيح مولود بالطبيعة من يوسف ومريم . فصاح فيهم القديس يوحنا الرسول أن يخرجوا من المكان وأن يقطعوا شركتهم بكيرنتوس هذا « عدو الحق » وإلا حلّ عليهم غضب الرب . فأطاعوه فى الحال . وخرجوا من الحمّام وقطعوا شركتهم بكيرنتوس<sup>(١٣)</sup> .

٢ - ولا بدّ أنّ القديس يوحنا الرسول كان يتّصف بصفات أخرى جميلة أحبّه المسيح من أجلها ، ومنها رقة الشعور ، ودقّة الإحساس ، واللطف ، والوداعة ، والطاعة ، وبساطة القلب ، وطهارة الضمير ، ونقاء السريرة ، والبتولية والعفة ...

(١١) . (١) . يوحنا ٢ : ١٨ و ١٩) .

(١٢) . (٢) . يوحنا : ١٠ و ١١) .

(١٣) كتاب « الرد على الهراطقات » للقديس إيريناوس - كتاب ٣ فصل ٤٠٣ . وكتاب « تاريخ

الكنيسة » ليوسايبوس القيصرى - كتاب ٣ فصل ٢٨ : ٦ ، وكتاب ٤ فصل ١٤ : ٦ و ٧) .

٣ - ولعل من صفات الرسول يوحنا التي أحبه المسيح إلهنا من أجلها أنه أطاع الدعوة المقدسة وتبع المسيح له المجد وهو في شبابه المبكر. فقد كان القديس يوحنا أصغر جميع الرسل التلاميذ سنًا. يقول الكتاب المقدس «خير للرجل أن يحمل النير في صباه»<sup>(١٤)</sup> ، ويقول أيضًا «فاذكر خالقك في أيام شبابك قبل أن تأتي أيام السوء ، وترد السنون التي فيها تقول ليس لي فيها لذة»<sup>(١٥)</sup> .

### يوحنا البتول

وكما عرف القديس يوحنا بـ «يوحنا الحبيب» اشتهر أيضًا بـ «يوحنا البتول» ذلك لأنه عاش بتولاً كل أيام حياته ، فلم يرتبط بزواج ، ذلك لأنه بعد أن عرف المخلص رغب في أن يحيا «مقدساً في الجسد والروح»<sup>(١٦)</sup> . وقد وصف في رؤياه مجد الأبكار البتولين وكرامتهم «وهم يسبحون تسيحة جديدة أمام العرش ... هؤلاء هم الذين لم ينجسوا ملابسهم مع النساء ، لأنهم أبكار . هؤلاء هم الذين يصحبون الحمل حيثما يذهب»<sup>(١٧)</sup> .

### يوحنا اللاهوتي

وسمى القديس يوحنا الرسول أيضًا بـ «يوحنا اللاهوتي» ذلك لأن الإنجيل حسباً كتبه القديس يوحنا أبرز لاهوت السيد المسيح ضدًا لتعليم الهرطقة الذين ظهروا في زمان القديس يوحنا. وقد بدأ إنجيله بقوله : «في البدء كان الكلمة ، .. وكان الكلمة هو الله . كان منذ الأزل لدى الله . كل شيء به كان .

(١٤) (مراثي إرميا ٣ : ٢٧) .

(١٥) (الجامعة ١٢ : ١) .

(١٦) (١ . كورنثوس ٧ : ٣٤) .

(١٧) (الرؤيا ١٤ : ٣ و ٤) .

وبغيره لم يكن شيء مما كان» . (١٨) وقد اهتم الرسول يوحنا بذكر المعجزات ذات الدلالة اللاهوتية والتي تبرهن على لاهوت المسيح ، كما اهتم بإيراد أقوال السيد المسيح وأمثاله التي تثبت لاهوته .

### يوحنا الرائي

وقد عرف القديس يوحنا الرسول أيضا بـ « يوحنا الرائي » رأى في جزيرة بطمس (١٩) PATHMOS ، وهي من جزر الأرخبيل جنوبي بحر إيجه (سبوراد) وكان قد نفي إليها بأمر الإمبراطور الروماني دومتيانوس DOMITIANUS (٥١ - ٩٦ م) رؤياه العظيمة التي سجلها في سفر الرؤيا ، وأنبأ فيها عن مجد الحياة الأبدية ، وتناول الأحداث التي ستمر على الكنيسة إلى مجيء المسيح الثاني للدينونة والحساب . وقد رأى مارآه وهو في حالة من العمق الروحاني ، والإشراق الباطني ، والوجد الصوفي ، وكأنه لم يكن في الجسد (٢٠) ، وهي هذه الحالة التي وصفها بقوله « كنت في الروح » (٢١) وهو ما يعرف بالاختطاف (٢٢) الروحي أو الانجذاب العقلي ، حيث ينجذب الرائي إلى عالم الروح ، ويغيب (٢٣) عن عالم الحس والشهادة ، ويصير إلى حالة من الاستغراق الروحي الكامل . وقد كتب القديس يوحنا هذه الرؤيا بناء على أمر صريح وُجِّه إليه من الله (٢٤) ، وهي آخر أسفار الكتاب المقدس .

(١٨) (يوحنا ١ : ١ - ٣) .

(١٩) (الرؤيا ١ : ٩) .

(٢٠) (٢) . كورنثوس ١٢ : ٢ و ٣) .

(٢١) (الرؤيا ١ : ١٠) .

(٢٢) (٢) . كورنثوس ١٢ : ٢ و ٤) .

(٢٣) (الأعمال ١٠ : ١٠) و (١١ : ٥) و (٢٢ : ١٧) .

(٢٤) (الرؤيا ١ : ١٩) .

ولعله إلى هذه الرؤيا الروحانية الجميلة كان يشير المسيح له المجد في كلامه إلى سمعان بطرس عن تلميذه يوحنا الحبيب « لو أنني شئت أن أبقيه إلى أن أجيء ، فاذا يعينك ؟ » (٢٥)

### نسبته ودعوته الرسولية :

والقديس يوحنا الرسول هو وأخوه يعقوب الكبير من أب يسمى زبدي (٢٦) (= وهب الله - هبة الله) وأم تسمى سيلومي أو سالومه (= سلام صهيون) . وكان يوحنا يشتغل بصيد السمك ، وهي أيضاً مهنة شقيقه الأكبر منه (يعقوب) وأبيهما من قبلها .

وأما أمه سيلومي أو سالومه فهي قد ذكرت بهذا الاسم (٢٧) سيلومي بين النساء اللاتي تبعن المسيح إلى الصليب ، « وكنّ ينظرن من بعيد . وهنّ اللاتي كنّ يتبعنه ويخدمنه حين كان في الجليل ، وقد صعدن معه إلى أورشليم » وذكرت أيضاً بهذا الاسم سيلومي (٢٨) بين النسوة اللاتي اشترين طيباً ليأتين ويضمخن جسد المخلص يسوع المسيح ، ثم عند فجر أول الأسبوع جئن إلى القبر مع طلوع الشمس ، ورأين أنه قد قام ، وكن من بين شهود القيامة المجيدة .

وذكرت أيضاً باسم (أم ابني زبدي) في مواضع أخرى من الإنجيل . (٢٩)

(٢٥) (يوحنا ٢١ : ٢٢ و ٢٣) .

(٢٦) (متى ٤ : ٢١) و (١٠ : ٢) و (٢٠ : ٢٠) و (٢٦ : ٣٧) و (٢٧ : ٥٦)

و (مرقس ١ : ١٩ : ٢٠) و (٣ : ١٧) و (لوقا ٥ : ١٠) و (يوحنا ٢١ : ٢) و (الأعمال ١٢ : ٢) .

(٢٧) (مرقس ١٥ : ٤٠) .

(٢٨) (مرقس ١٦ : ١) .

(٢٩) (متى ٢٠ : ٢٠) و (٢٧ : ٥٦) .

وهي سالومي التي تقدمت نيابة عن ولديها يعقوب ويوحنا إلى السيد المسيح برجاء أن يقبل شفاعتها في ولديها ، فيسمح أن يجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره عندما يأتي في مجد ملكه . قال الإنجيل « تقدمت إليه أم ابني زبدي مع ابنيها ساجدة له تلمس منه أمراً . فقال لها : ماذا تريدين ؟ قالت له : اسمح بأن يجلس ابناي هذان أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك في مملكتك . أما يسوع فأجاب وقال : إنكما لا تدريان ماهو الذي تطلبان . أفتستطيعان أن تشربا الكأس التي سأشربها أنا ، وأن تصطبغا بالصبغة التي سأصطبغ أنا بها ؟ قال له : نستطيع . فقال لها : أما كأسى فاشربانها ، وبالصبغة التي أصطبغ بها تصطبغان . وأما أن تجلسا عن يميني وعن يساري فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبى الذى فى السماوات . فلما سمع التلاميذ العشرة الآخرون ذلك حنقوا على الأخوين . أما يسوع فدعاهم وقال لهم : أنتم تعلمون أن رؤساء الوثنيين يعدون أنفسهم سادة لهم ، وأن عظماءهم يتسلطون عليهم . أما أنتم فلا ينبغي أن يكون هكذا فيما بينكم . وإنما من أراد أن يكون سيداً فيكم فليكن للجميع عبداً ، ومن أراد أن يكون عظيماً بينكم فليكن لكم خادماً . فإن ابن الإنسان نفسه لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبدل نفسه فدية عن كثيرين » (٣٠) .

ولقد ذكر الإنجيل أن القديس يوحنا - وقد كان من قبل تلميذاً ليوحنا المعمدان - رغب مشتاقاً في أن يتبع السيد المسيح له المجد ، وذلك بتحريض من معلمه يوحنا المعمدان . قال الإنجيل : « ثم فى اليوم التالى كان يوحنا (٣١) واقفاً مع اثنين من تلاميذه . وإذا بصر يسوع ماشياً قال : هذا هو حمل الله . فلما سمع التلميذان قوله تبعاً يسوع . فالتفت يسوع ورآهما يتبعانه ، فقال لها : ماذا

(٣٠) (متى ٢٠ : ٢٠ - ٢٨) و(مرقس ١٠ : ٣٥ - ٤٥) .

(٣١) هو يوحنا المعمدان .

تطلبان؟ فقالا له: رابي - الذي ترجمته يامعلم - أين تقيم؟ فقال لهما: تعاليا وانظرا. فأتيا ونظرا أين يقيم، ومكثا عنده ذلك اليوم، وكانت الساعة نحو العاشرة. وكان أندراوس أخو سمعان بطرس أحد الاثنتين اللذين سمعا يوحنا وتبعنا يسوع<sup>(٣٢)</sup>. والواضح من هذا النص القدسي أن يوحنا الحبيب كان هو أحد الاثنتين اللذين كانا تلميذين ليوحنا المعمدان، وقد أرشدهما يوحنا المعمدان إلى سيده، فأطاعا توجيه معلمهما المعمدان وتبعنا المعلم الأعظم يسوع المسيح. ولقد أبرز يوحنا الحبيب اسم رفيقه أندراوس، ولكنه أخفى اسمه هو، تواضعاً منه وإنكاراً لذاته، تماماً كما فعل القديس لوقا الإنجيلي حينما ذكر واقعة تلميذي عمّاوس<sup>(٣٣)</sup> ولقاءهما مع المسيح له المجد بعد قيامته المجيدة، وذكر اسم رفيقه كليوباس، ولكنه أخفى اسمه. والدلالة واضحة لأن هذه الواقعة لم يذكرها من الإنجيليين الآخرين إلا القديس لوقا الإنجيلي وحده لأنه كان أحد الاثنتين. كذلك ما ذكره القديس يوحنا في إنجيله عن لقائه الأول بالسيد المسيح، وتحديد الساعة العاشرة من ذلك اليوم ساعة لهذا اللقاء، وأنه ورفيقه مكثا مع المخلص ذلك اليوم حيث يقيم. هذه الواقعة بكل تفاصيلها الدقيقة، وإرشاد يوحنا المعمدان وتوجيهه لهما إلى المسيح وأنه حمل الله ليتبعاه، لم يوردها من الإنجيليين الآخرين إلا القديس يوحنا الحبيب مما يدل على أنه كان فعلاً أحد الاثنتين اللذين تبعنا المسيح له المجد بعد أن كانا تلميذين ليوحنا المعمدان.

ويتضح من الإنجيل أيضاً أن المخلص وجّه إلى يوحنا الحبيب دعوة صريحة بعد ذلك فيما كان هو وأخوه الأكبر يعقوب مع أيهما زبدي يصلحان شباكهما للصيد. قال الإنجيل: « ثم مضى من هناك، فرأى أخوين آخرين، هما

(٣٢) (يوحنا ١ : ٣٥ - ٤٠).

(٣٣) (لوقا ٢٤ : ١٣ - ١٨).



يعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه ، وكانا في السفينة مع زبدي أبيهما يصلحان شباكهما ، فدعاهما . فتركا في الحال السفينة وأباهما وتبعاه (٣٤) ، وصار يوحنا بعد ذلك معدوداً بين تلاميذ المسيح الاثني عشر ، وهو يحتل على الغالب المكان الرابع (٣٥) في قائمة أسماء التلاميذ الرسل ، الأول سمعان بطرس والثاني أندراوس أخوه ، والثالث يعقوب بن زبدي ، والرابع هو يوحنا . فسمعان بطرس وأندراوس أخوه سبقا يعقوب ويوحنا في دعوة التلمذة الكاملة للمعلم الأعظم (٣٦) .

أهم ما ذكر عنه في أثناء تلمذته وبعد القيامة :

كان يوحنا الحبيب أحد التلاميذ الثلاثة الذين كانوا يتمتعون بمكانة خاصة عند المخلص مما يدلّ على ثقته البارزة فيهم ، وهم بطرس ، ويعقوب ويوحنا .

١ - فهّم الثلاثة الذين سمح لهم أن يدخلوا معه إلى بيت يائرس رئيس المجمع ، ليشهدوا مع يائرس وزوجته إقامة ابنتها الصبية من الموت . قال الإنجيل : « ولما جاء إلى البيت لم يسمح لأحد بالدخول معه إلا لبطرس ويعقوب ويوحنا وأبي الصبية وأمها (٣٧) » .

٢ - ويوحنا هو أيضاً أحد التلاميذ الثلاثة الذين اختارهم المسيح له المجد ليصعدوا معه إلى جبل تابور ، وتجلّى أمامهم ، وعانوا مجده ، ورأوا عظمته وجلاله (٣٨) . قال الإنجيل : « وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب

(٣٤) (متى ٤ : ٢١ و ٢٢) و(مرقس ١ : ١٩ و ٢٠) و(لوقا ٥ : ١٠) .

(٣٥) (متى ١٠ : ٢) و(مرقس ٣ : ١٧) و(لوقا ٦ : ١٤) و(الأعمال ١ : ١٣) .

(٣٦) وهذا يتضح من (متى ٤ : ١٨ - ٢٢) و(مرقس ١ : ١٦ - ٢٠) .

(٣٧) (لوقا ٨ : ٥١) و(مرقس ٥ : ٣٧) .

(٣٨) (٢ . بطرس ١ : ١٦) .

ويوحنا ، وصعد بهم على انفراد إلى جبل مرتفع ثم تغيرت هيئته متجلبًا أمامهم « (٣٩) » .

٣ - ويوحنا أيضًا هو أحد الثلاثة الذين أخذهم إلى جواره ليكونوا بالقرب منه عندما صلى في بستان جنسياني ليلة آلامه . قال الإنجيل : ثم جاءوا إلى ضيعة تدعى جنسياني ، فقال لتلاميذه : اجلسوا أنتم هنا ريثما أصلى . ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وبدأ يرتاع ويكتتب ... « (٤٠) » .

٤ - ولذلك حسب الرسول يوحنا بين الرسل المعتبرين أنهم أعمدة وأساطين الكنيسة : « يعقوب وكيفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة (٤١) (٤٢) » .

٥ - والقديس يوحنا كان أحد الرسل الذين صحبوا السيد المسيح إلى بيت سمعان عندما كانت حماه ترقد محمولة بحمى شديدة ، فتسولوا إليه من أجلها ؛ فاقترب منها وزجر الحمى ففارقتها وقامت على الفور تخدمهم . قال الإنجيل : « وبعد أن خرجوا من المجمع دخلوا بيت سمعان وأندراوس ومعهم يعقوب ويوحنا ، وكانت حماة سمعان ترقد محمولة » (٤٣) .

٦ - وكان يوحنا أحد الرسولين اللذين أرسلهما الرب يسوع ليعدًا له الفصح . وكان زميله في هذه المهمة هو القديس سمعان بطرس . قال الإنجيل : « فأرسل يسوع بطرس ويوحنا قائلاً : اذها وأعدًا لنا الفصح لنا كلة . . فانطلقا ووجدا كما ذكر لها فاعدا الفصح (٤٤) » .

(٣٩) (مرقس ٩ : ١) و (متى ١٧ : ١ و ٢) و (لوقا ٩ : ٢٨ و ٢٩) .

(٤٠) (مرقس ١٤ : ٣٢ و ٣٣) و (متى ٢٦ : ٣٦ و ٣٧) .

(٤١) أو عمد أو عمد (مع فتح العين أو ضمها ، وفتح الميم أو ضمها) .

(٤٢) (غلاطية ٢ : ٩) .

(٤٣) (مرقس ١ : ٢٩ و ٣٠) .

(٤٤) (لوقا ٢٢ : ٨ - ١٣) .

٧ - وكان يوحنا أيضاً أحد الرسل الأربعة الذين سألوا المخلص عن المحييء الثاني للمسيح وعلاماته : « وبينما كان جالساً على جبل الزيتون تجاه الهيكل سأله بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس على انفراد قائلين : قل لنا متى سيكون هذا ؟ وما العلامة غلى كل هذا حين يوشك أن يكون ؟ » (٤٥)

٨ - ولما أمسك الجنود والقائد وخدام اليهود المخلص ثم ساقوه إلى حنان رئيس الكهنة هرب جميع التلاميذ إلا يوحنا وسمعان بطرس ، فقد تبعوا وحدهما معلمهما . وكان يوحنا « معروفاً لدى رئيس الكهنة ، فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة . أما بطرس فظل واقفاً في الخارج عند الباب . فخرج التلميذ الآخر (يوحنا) الذي كان معروفاً لدى رئيس الكهنة وكلم حارسة الباب ، وأدخل بطرس (٤٦) » .. « وأما بطرس فقد تبعه من بعيد ... ثم دخل وجلس مع الخدم ليرى النهاية (٤٧) » .

٩ - ويوحنا هو الوحيد بين التلاميذ الذي رافق معلمه حتى الجلجلة ، وظل واقفاً تحت الصليب مع العذراء القديسة مريم أم المخلص ، فعهد إليه القادى بأمه العذراء أن يكون لها بمثابة ابنا : « فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً ، قال لأمه : أيتها السيدة ، هوذا ابنك . ثم قال للتلميذ : « هي ذى أمك . ومنذ تلك الساعة أخذها التلميذ إلى بيته » (٤٨) ، وظلت العذراء في بيت يوحنا حوالي أربع عشرة سنة بعد قيامة المسيح وصعوده إلى السماء . ولذلك لم يفارق يوحنا أورشليم إلى غيرها ليبشر بالإنجيل هذه المدة حتى توفيت العذراء مريم ، وأصعد جسدها إلى السماء على أجنحة الملائكة .

(٤٥) (مرقس ١٣ : ٣ و ٤) .

(٤٦) (يوحنا ١٨ : ١٢ - ١٦) .

(٤٧) (متى ٢٦ : ٥٨) و (مرقس ١٤ : ٥٤) و (لوقا ٢٢ : ٥٤) .

(٤٨) (يوحنا ١٩ : ٢٦ و ٢٧) .

١٠ - والقديس يوحنا هو أحد الشهود الأوائل لقيامة الرب يسوع المسيح ، وهو أول من رأى قامن . وقد وصف القيامة في الإنجيل وصفاً تفصيلياً في غاية الدقة . قال : « وفي يوم الأحد أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً ، وكان الظلام لا يزال مخيمًا ، فرأت أن الحجر قد رفع عن باب القبر . فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس ، وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه . وقالت لهما : قد أخذوا سيّدنا من القبر ، ولا أعلم أين وضعوه . فخرج بطرس والتلميذ الآخر ، ومضيا إلى القبر . وكانا يركضان معاً ، ولكن التلميذ الآخر سبق بطرس فوصل قبله إلى القبر . وتطلّع الى الداخل فرأى الأكفان موضوعة ، ولكنه لم يدخل . ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر . فرأى الأكفان موضوعة . وأما المتدليل الذي كان على رأس يسوع فلم يكن موضوعاً مع الأكفان ، وإنما كان مطويّاً في مكان على حدة . ثم دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر ورأى قامن . لأنهم لم يكونوا بعد يدركون معنى قول الكتاب إنه ينبغي أن يقوم من بين الأموات . وبعد ذلك مضى التلميذان عائدين إلى حيث كانا (٤٩) » .

١١ - والقديس يوحنا هو أحد الرسل السبعة الذين ظهر لهم المسيح له المجد بعد قيامته ، على بحر الجليل ، وهو بحيرة طبرية ، حيث ذهبوا معاً للصيد . قال الإنجيل : « وبعد ذلك أظهر يسوع نفسه مرة أخرى لتلاميذه على بحر طبرية ، وكان ظهوره هكذا : كان سمعان بطرس وتوما المدعو ديديموس وثنائيل الذي من قانا الجليل ، وابنا زبدى ، واثنان آخران من تلاميذه مجتمعين معه . فقال لهم سمعان بطرس : إننى ذاهب لأصطاد سمكًا . فقالوا له : ونحن أيضاً نذهب معك ، ثم خرجوا وركبوا السفينة (٥٠) » .

(٤٩) (يوحنا ٢٠ : ١ - ١٠) .

(٥٠) (يوحنا ٢١ : ١ - ٣) .

وكان يوحنا هو أسبق جميع زملائه إلى معرفة شخص المسيح عندما أمرهم بأن يلقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن . فإذا بالشبكة تصيد سمكاً كثيراً . قال الإنجيل : « حتى إذا طلع الصباح وقف يسوع على الشاطئ ، ولكن التلاميذ لم يعلموا أنه هو يسوع ... فقال لهم : القوا الشبكة من الجانب الأيمن للسفينة فتجدوا . فألقوها . وعندئذ لم يستطيعوا أن يجذبوها إلى فوق من كثرة السمك . فقال التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس : إنه الرب <sup>(٥١)</sup> » .

١٢- وكان القديس يوحنا يتميز بالغيرة الشديدة والحماسة . ولذلك أطلق الرب يسوع المسيح عليه وعلى شقيقه الأكبر يعقوب لقب بوانرجس ، أى ابني الرعد . قال الإنجيل : « ويعقوب بن زبدي ، ويوحنا أخو يعقوب اللذان لقبهما بوانرجس ، أى ابني الرعد » <sup>(٥٢)</sup> .

ومن آيات غيرته على معلمه وتعصبه له ما يرويه الإنجيل عنه : « فأجابه يوحنا قائلاً : يا معلم ، قد رأينا واحداً يخرج الشياطين باسمك فنحن لأنه من غير اتباعنا . فقال يسوع : لا تمنعوه ، لأنه ما من أحد يصنع معجزة باسمي يكون في وسعه أن يبادر فيتكلم بالسوء عني ، إذ أن من ليس علينا فهو معنا » <sup>(٥٣)</sup> ، ومن ليس ضدكم فهو معكم » <sup>(٥٤)</sup> .

ومن ذلك أيضاً أن قرية من قرى السامريين رفض أهلها أن يدخل المسيح إليهم ، « فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالاه : يارب ، أتريد أن نطلب أن تنزل نار من السماء فتحرقهم كما فعل إيليا ؟ فالتفت وانتهرهما قائلاً :

(٥١) (يوحنا ٢١ : ٤ - ٧) .

(٥٢) (مرقس ٣ : ١٧) . Beniregès .

(٥٣) (مرقس ٩ : ٣٧ - ٣٩) .

(٥٤) (لوقا ٩ : ٤٩ و ٥٠) .

لستما تعلمان من أى روح أنتم . لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك نفوس الناس ، بل ليحييها . فمضوا إلى قرية أخرى (٥٥) .

١٣ - والرسول القديس يوحنا هو أحد الرسل الذين شهدوا على جبل الزيتون جلال (٥٦) صعود المسيح له المجد إلى السماء ، « فسجدوا له ورجعوا إلى اورشليم بفرح عظيم ، وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون الله ويباركونه » (٥٧) ، حين دخلوا صعدوا إلى القاعة العليا التي كان يقيم فيها بطرس ويعقوب ويوحنا ... وقد ظلّ هؤلاء جميعاً يواظبون بروح واحدة على الصلاة ، ومعهم النسوة ومريم أم يسوع (٥٨) إلى أن تلبّسوا وتوشّحوا بقوة من الأعلى (٥٩) وفقاً لوعده المسيح لهم بحلول الروح القدس عليهم . ولما حلّ يوم الخمسين كان من بين الرسل والتلاميذ الذين حلّ الروح القدس عليهم ، فامتلاً من روح القدس ، وطفق يتكلم بلغات أخرى غير لغته هو التي ولد فيها (٦٠) .

١٤ - وكان القديس يوحنا زميلاً للقديس بطرس الرسول في معجزة شفاء أعرج باب الهيكل الجميل : « وصعد بطرس ويوحنا معاً إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة . وكان رجل أعرج من بطن أمه يُحمل ، كانوا يضعونه كل يوم عند باب الهيكل الذي يقال له الجميل ... فهذا لما رأى بطرس ويوحنا مزمعين أن يدخلوا الهيكل سأل ليأخذ صدقة . فتفرس فيه بطرس مع يوحنا .. » (٦١)

(٥٥) (لوقا ٩ : ٥٤ - ٥٦) .

(٥٦) (مرقس ١٦ : ١٤ - ١٩) و(لوقا ٢٤ : ٥١) و(الأعمال ١ : ٩ و ٢٢) .

(٥٧) (لوقا ٢٤ : ٥٢) .

(٥٨) (الأعمال ١ : ١٣ و ١٤) .

(٥٩) (لوقا ٢٤ : ٤٩) و(الأعمال ١ : ٨) .

(٦٠) (الأعمال ٢ : ١ - ٦) .

(٦١) (الأعمال ٣ : ١ - ٢٦) .

## كرازته وبشيره وخدمته باسم المسيح :

١٥ - وقد جاهر القديس يوحنا باسم المسيح في اورشليم امام رؤساء الكهنة ، واحتمل السجن والعذاب من أجل إيمانه بسيدته ودفاعه عن الحق : « فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ، ووجدوا أنها إنسانان عدما العلم وعميان تعجبوا ، فعرفوها أنها كانا مع يسوع ... فأمرهما أن يخرجوا إلى خارج المجمع ، وتأمروا فيما بينهم قائلين : ماذا نفعل بهذين الرجلين ... فدعوها وأوصوها ألا ينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع . فأجابهم بطرس ويوحنا وقالوا : إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا ، لأننا نحن لا يمكننا ألا نتكلم بما رأينا وسمعنا<sup>(٦٢)</sup> . »

١٦ - وقد بشر الرسول يوحنا مع زميله بطرس في تلك الأنحاء . وهو الذي زامل القديس بطرس في منح أهل السامرة مسحة الروح القدس بوضع أيديهما عليهم بعد تعميدهم ، فامتلاؤا من عطية الروح القدس . « ولما سمع الرسل الذين في اورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله ، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا ، اللذين لما نزلوا صلياً لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس .. حينئذ وضعوا الأيادي عليهم ، فقبلوا الروح القدس ... ثم إنهما بعد ماشهدا وتكلما بكلمة الرب رجعا إلى اورشليم وبشراً قرى كثيرة للسامريين »<sup>(٦٣)</sup> .

## استشهاد الرسول يوحنا ونفيه :

ظل القديس يوحنا يكرز في اورشليم ببشارة الملكوت ، ولم يغادرها إلا بعد وفاة العذراء مريم وصعود جسدها إلى السماء ، وذلك احتراماً وعملاً بوصية

(٦٢) (الأعمال ٤ : ١ و ١٣ - ٢٠) .

(٦٣) (الأعمال ٨ : ١٤ - ٢٥) .

السيد المسيح وهو معلق على الصليب ... بعد ذلك خرج للتبشير والخدمة خارج فلسطين ، وخصوصًا في آسيا الصغرى . وفي سنة ٩٥ ميلاد المسيح اعتقل الرسول يوحنا بأمر الإمبراطور الروماني دوميتيانوس DOMITIANUS (٥١ - ٩٦) م ، وأرسل مقيداً إلى روما حيث طرحوه في خلقين ، أى إناء ممتلىء من الزيت المغلى ، فوقف فيه ساعات ، وكان غريباً أنه لم يصبه أذى ، حتى ذهل الحكام والناس جميعاً . ثم أخرجوه ونفوه إلى جزيرة بطمس من جزر الأرخيل التي رأى فيها رؤياه العظيمة . يقول : « أنا يوحنا أخاكم وشريككم في الضيق وفي الملكوت والصبر في المسيح يسوع ، كنت في الجزيرة التي تدعى بطمس لأجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح ، وصرت في الروح في يوم الرب » (٦٤) ، وكان ذلك في أواخر حكم دوميتيانوس (٦٥) . وظل القديس يوحنا الرائي في المنفى مدة سنة ونصف ، ثم أطلق سراحه في عهد الإمبراطور نيرفا NERVA (٩٦ - ٩٨) م ، فعاد القديس يكرز بالإنجيل في آسيا الصغرى (٦٦) . واتخذ من مدينة أفسس قاعدة كرسيه (٦٧) ، وذلك بعد استشهاد القديس تيموثيوس الرسول .

ومن المعروف عن القديس يوحنا أنه كتب إنجيله ، ورسائله الثلاث في اثناء إقامته بأفسس ، وفي أواخر سنى حياته . وعاش القديس يوحنا في أفسس واعظاً ومبشراً بالإنجيل إلى أن بلغ سن المائة ، وتوفى في أفسس في شيخوخة صالحة في عهد تراجان TRAJAN (٩٧ - ١١٧) م ، وبذلك يكون القديس يوحنا هو آخر رسول من الاثني عشر تلميذاً بقي حياً كارزاً بالمسيح ، وقد سبقه جميع الرسل

(٦٤) (الرؤيا ١ : ٩ و ١٠) .

(٦٥) «تاريخ الهرطقات» للقديس إيريناوس - الجزء ٥ فصل ٣٠ : ٣ .

(٦٦) «تاريخ الكنيسة» ليوسابيوس القيصري - الجزء الثالث ١ و ١٨ .

(٦٧) «تاريخ الكنيسة» ليوسابيوس القيصري - الجزء الثالث - فصل ٢٠ : ٨ و ٩ .



الآخرين إلى الأخذار السائبة . ولعل هذا يفسر مقولة المسيح له المجد عنه في حديثه إلى سمعان بطرس : « لو أنى شئت أن أبقية إلى أن أجيء فإذا يعينك ؟ فذاع بين الإخوة القول بأن ذلك التلميذ لا يموت . غير أن يسوع لم يقل إنه لا يموت ، وإنما قال : لو أنى شئت أن أبقية إلى أن أجيء فإذا يعينك ؟ ذلك هو التلميذ الذى شهد بهذا والذى كتب هذا (٦٨) . »

ولما كان القديس يوحنا قد عانى آلام الاستشهاد في عهد الإمبراطور دوميتيانوس ، لكنه لم يمت آنذاك ، وإنما مات بعد ذلك موتاً طبيعياً فإنه يعدُّ أول « المعترفين » . والمعترفون هم من عانوا آلام الشهداء . ولكنهم لم يموتوا في أثناء التعذيب .

وقد كتب عنه تلميذه القديس بوليكاربوس Polycarpus أسقف أزمير (استشهد في سنة ١٥٦ م) يقول : « بين الكواكب التى أنطقاً نورها في آسيا يجب ألا ننسى يوحنا الذى أتكا على صدر يسوع ، والذى كان حَبْرًا ، ويحمل على جبهته صفيحة الكهنوت ، قطعة من الذهب الخالص علامة حَبْرِيته « قدس للرب (٦٩) . فهو الشهيد والمعلم وقبره في أفسس » (٧٠) .

### القديس يوحنا يدعو إلى الرياضة الجسدية :

ومما له مغزى في حياة القديس يوحنا ما ذكره المؤرخون عنه أنه في شيخوخته كان يمارس الرياضة البدنية أحياناً . وقد رآه مرة أحد الصيادين يداعب طائراً ( قيل إنه صقر صغير ) فدهش من تصرف رجل شيخ كيوحنا الرسول ، فتنبه

(٦٨) (يوحنا ٢١ : ٢٢ - ٢٤) .

(٦٩) (الخروج ٢٨ : ٣٦) .

(٧٠) « تاريخ الكنيسة » ليوسابيوس القيصري الجزء الثالث (فصل ٣ : ٣) و(٣٩ : ٦)

القديس إلى قصد الصياد ، فسأله : ما هذا الذى بيدك ؟ فقال الصياد : إنها قوس . قال القديس يوحنا : ما الذى يحدث لو أنك أبقيتها متورة على الدوام ؟ قال الصياد : ينقطع وترها . فقال القديس : كذلك عقل الإنسان ، يجب أن نريحه من وقت إلى آخر بأنواع من الرياضة المباحة والتسلية البريئة . فكان تصرفه هذا مطابقاً لما قاله القديس بولس الرسول فى إحدى رسائله . « الرياضة البدنية فيها بعض الخير » (٧١) .

وتحتفل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بانتقال القديس يوحنا الرسول إلى الأخدار السماوية فى اليوم الرابع من شهر طوبه القبطى ( ويقابل عادةً الثانى عشر من شهر يناير - كانون ثان ) . وأما الكنائس الأرثوذكسية التى تسير على الطقس البيزنطى ، فتحفل بذكره فى السابع والعشرين من شهر سبتمبر ( أيلول ) . وأما الكنائس الغربية فتحفل به فى السابع والعشرين من شهر ديسمبر ( كانون أول ) .

### ب - الإنجيل للقديس يوحنا

فى السنوات الأخيرة من حياة القديس يوحنا كانت العقيدة المسيحية قد انتشرت فى كل أنحاء العالم المعروف حينذاك . وكان قد مضى على قيامة السيد المسيح وعوده إلى السماء ما يزيد على خمسين عاماً . وكانت بشارات الإنجيل للقديسين متى ومرقس ولوقا قد أصبحت متداولة فى أيدي المؤمنين . وقد عرفوا كل ما ورد فيها من أقوال السيد المسيح وأعماله التى برهنت على أن شخصية السيد المسيح شخصية فذة ، لم تظهر فى كل عصور التاريخ شخصية تضاهيها أو تشابهها فى طبيعتها بأى وجه من الوجوه ، وعلى أى صورة من الصور ، لأنها كما يتضح من تعاليم السيد المسيح ذاته شخصية الإله الكامل والإنسان الكامل فى الوقت

نفسه . وتلك حقيقة تعلو على مدارك البشر ذوى العقول المحدودة والمدارك القاصرة . ولا يمكن أن يدركها إلا أولئك الذين بموهبة الروح القدس أثار الله قلوبهم ، وفتح على الحقائق الإلهية أبصارهم وبصائرهم . ومن ثم فإن بعض ذوى الإيمان الضعيف الجذور المزعزع البنيان ، والقلوب الغليظة المظلمة التي طمسها المادة ، فلم يعد فيها بصيص من نور الروحانية السمائية السامية ، ممن ينطبق عليهم القول إنهم مبصرون لا يبصرون ، وسامعون لا يسمعون ، قد أعماههم الغرور فراحوا بعقولهم الضئيلة الحجم الهزيلة الكيان يبحثون في طبيعة السيد المسيح بعيداً عن تعاليم السيد المسيح نفسه . فكانت النتيجة أنهم ضلُّوا وأضلُّوا معهم بعض البسطاء الذين وقعوا في براثنهم ، ومن ثمَّ بلبلوا الأفكار بأفكارهم . وأشعلوا نار الفتنة في الكنيسة بما ابتدعوا واخترعوا من نظريات وهرطقات . وكان من أشهر وأخطر الذين ظهروا في ذلك الحين قوم يطلقون على أنفسهم اسم « الغنوسيين » وهو اسم مشتق من كلمة غنوسيس اليونانية ، ومعناها « المعرفة » ، لأنهم ادعوا أنهم استطاعوا أن يعرفوا الله بالعقل وحده ، ومن ثمَّ اشتهروا بأنهم « العارفون بالله » . وقد زعموا أن ثمة عنصرين أساسيين في الكون هما الخير والشر . وأن الروح من عنصر الخير ، وأما الجسد المادى فمن عنصر الشر ، وهو سجن للروح تظلَّ معتقلة فيه إلى حين . كما زعموا أنه ليس ثمة إله واحد للكون ، وإنما آلهة كثيرون ذوو درجات متفاوتة ، فلا يمكن أن يتصل بالعالم المادى منهم إلا أصحاب الدرجة الرابعة . وقد زعموا أن السيد المسيح ليس إلا واحداً من أولئك الآلهة الذين هم في الدرجة الرابعة ، ومن ثمَّ استطاع أن ينزل إلى العالم ويتصل بالمقيمين فيه من بني البشر ، وقد حلَّ ذلك الإله في جسد يسوع الناصري ، عند العمد ، ثم فارقه قبل الصلب . فكان الذى علَّقه اليهود على الصليب هو جسد يسوع الإنسان . وأما المسيح الإله فقد انطلق إلى عالم الآلهة الذين هم من درجته . وقد كان هذا المذهب الغريب من الخطورة

على الكنيسة حتى لقد تبعه أحد كبار الشمامسة المسمى نيقولاوس (الأعمال ٦ : ٥) وقد انضم إلى هذا كثيرون من الضعيفي الإيمان ، الذين أطلق عليهم الكتاب المقدس اسم « النيقولاويين » ، وذكر القديس يوحنا في رؤياه اللاهوتية أن السيد المسيح يبغض أعمالهم (الرؤيا ٢ : ٦) ويبغض تعاليمهم (الرؤيا ٢ : ١٥) .

كما كان من زعماء الغنوسيين رجل آخر يدعى كيرنثوس ، كان يختلف مع النيقولاويين في تحديد الدرجة التي منها المسيح الإله ، ولكن كان يتفق معهم في أن ذلك الإله حلّ على يسوع الناصري عند العماد وغادره قبل الصلب . وكيرنثوس هذا هو الذي سبق أن ذكرنا أن القديس يوحنا حذّر المؤمنين من البقاء معه في أحد الحمامات العامة حين علم أن هذا الرجل بداخله ، وذلك من فرط سخطه على تعاليمه الهرطقية .

وكان أيضا من زعماء الغنوسيين الذين يعتقدون مثل هذه الأفكار أشخاص آخرون ذاعت شهرتهم ، ومنهم فالنتينوس ومرقيانوس .

وكان من أصحاب الهرطقات أيضا في زمن القديس يوحنا قوم يسمون الدوسيتيين DOCKETISTS وقد عجزت عقول أولئك القوم عن أن تستوعب عقيدة الفداء الإلهي للبشر ، ومن ثمّ استكثرت على المسيح الإله أن يخضع للموت على الصليب ، لعدم فهمها للطبيعة الحقيقية للسيد المسيح الإله الكامل والإنسان الكامل في الوقت نفسه ، فزعمت أن جسد السيد المسيح لم يكن جسداً حقيقياً كأجساد سائر البشر وإنما كان جسداً غازياً أو أثرياً . ومن ثمّ كانت آلامه على الصليب آلاماً ظاهرية فَحَسَبَ . كما كان موته موتاً ظاهرياً أيضاً ، وليس موتاً حقيقياً كما يموت الإنسان الطبيعي .

كما كان من أصحاب الهرطقات قوم من أصل يهودي يسمون الأيونيين . نسبة إلى كلمة إيون EBYON العبرانية ، ومعناها « مسكين » . وإذا لم يفهم

أولئك الأيونيون الطبيعية الإلهية للسيد المسيح عدّوه نبياً عادياً يشبه موسى وغيره من أنبياء اليهود . فلم يكن له وجود قبل التجسّد في أحشاء السيدة العذراء مريم . وبذلك أنكروا لاهوته وأزليته . وكان يشابههم في هذا الاعتقاد قوم من تلاميذ يوحنا المعمدان ظلّوا على ولائهم لهذا النّبى ، فاعتبروا أن السيد المسيح ليس إلا تلميذاً ليوحنا ، ومن ثمّ أنكروا لاهوته ، وبذلك أنكروا العقيدة المسيحية من أساسها .

وقد نتج عن هذه المذاهب التي ابتدعتها قوم من المسيحيين ، في حين أنها بعيدة كلّ البعد عن العقيدة المسيحية ، أن شاع في أجواء الكنيسة كثير من التساؤلات التي بلبت أفكار المؤمنين عن الفداء واللاهوية والتجسّد والأقنومية والطبيعة الحقيقية للسيد المسيح ، مما هدّد الكنيسة بأخطار لا تقبل عمّا تعرّضت له من تنكيل واضطهاد ومطاردة واستشهاد . فكان هذا هو الباعث للقديس يوحنا على كتابة بشارته التي انصبّت في جوهرها على الإجابة عن تلك التساؤلات من واقع أقوال السيد المسيح نفسه وأعماله .

وإننا لنجد في مقدمة تلك البشارة ملخصاً وافياً للعقيدة المسيحية في عبارات موجزة ، ولكنها في إيجازها أدقّ وأصدق وأعمق وأبداع وأروع عبارات وردت في تاريخ البشرية كلها عن تصوير عقيدة من العقائد أو شرح ديانة من الديانات ، حتى إننا في كلمات قليلة أغنت عن آلاف الكتب والمجلدات في الردّ على كل ما كان وكل ما يمكن أن يكون من هرطقات وخزعبلات ومزاعم يزعمها الزاعمون ، أو يدّعيها المدّعون لتشويه العقيدة المسيحية وتجريح ما فيها من حقائق إلهية وعقائد سامية سماوية ، مها تخبطت العقول البشرية القاصرة القصيرة المدى في فهمها أو إدراك ما فيها من أسرار عميقة المعاني بعيدة الأغوار :

فهو يقرر في هذه العبارات التي بدأ بها بشارته أن السيد المسيح هو

كلمة الله ، وهذا تعبير آخر يساوى تمام المساواة القول بأنه هو ابن الله ، لأنه هو الذى كلّم الله به البشر ، وهو فى الوقت نفسه الله ذاته : فهو الأزلى ، لأنه « فى البدء كان الكلمة .. وكان الكلمة هو الله » ( يوحنا ١ : ١ ) - وهو الخالق ، لأنه « كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان » ( يوحنا ١ : ٣ ) وهو الحياة وبه كانت الحياة ، لأنه « فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس » ( يوحنا ١ : ٤ ) . وذلك على الرغم من أن عقول الناس فى ظلامها لم تستطع أن تدرك طبيعته الإلهية النورانية المستترة وراء جسده الإنسانى فإن « النور يضىء فى الظلمة ، والظلمة لم تدركه » ( يوحنا ١ : ٥ ) . وقد تجسّد أى أنه « اتخذ جسداً » ( يوحنا ١ : ١٤ ) . وكان بعد تجسّده إنساناً يبدو لسائر الناس كواحد منهم . فهو قد « حلّ بيننا » نحن البشر . ولكننا كما رأيناه فى ناسوته رأيناه أيضاً فى لاهوته ، حين تجلّى فى ألوهيته لتلاميذه على جبل التجلّى ، ومن ثمّ « أبصرنا مجده ، مجد الابن الوحيد لأبيه » ( يوحنا ١ : ١٤ ) أى أنه ابن الله بِنُوَّة لا تشبه بِنُوَّة الأبناء لآبائهم من البشر ، وإنما بِنُوَّة إلهية مقصورة عليه منحصرة فيه وحده . فهو ابن الله الوحيد الجنس ، الذى - لأنه فى كيان واحد مع الآب - أخبرنا عن الآب ، ولم يكن أحد غيره يستطيع أن يخبرنا عن الآب ، لأن « الله لم يره أحد قطّ . الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه » ( يوحنا ١ : ١٨ ) . وهو الذى دبرت الرحمة الإلهية أن يموت فداءً عن البشر لغفران خطاياهم . فهو « حَمَلٌ الله الذى يحمل خطيئة العالم » ( يوحنا ١ : ٢٩ ) وبتلك الكلمات القليلة التى بدأ بها القديس يوحنا بشارته تبلورت العقيدة المسيحية فى جوهرها . ثم كانت البشارة كلها بعد ذلك شرحاً وتوضيحاً لتلك العقيدة فى كل تفصيلاتها وجزئياتها . فلم يعد ثمة مجال بعد ذلك لأى لبس أو إبهام يستغله أعداء المسيح من المراهقة والمبتدعين وأصحاب القلوب الظالمة المظلمة فى تشويه تلك العقيدة ، أو تضليل المؤمنين بها .

فقد أسهب الإنجيل للقديس يوحنا في تسجيل الخطب المستفيضة التي ألقاها السيد المسيح في المناسبات المختلفة والمناقشات الضافية التي شرح فيها للسامعين طبيعته هو ذاته ، وطبيعة الرسالة التي جاء من أجلها إلى العالم ، ولا سيما الخطب التي ألقاها في هيكل أورشليم في الأعياد ، وخطبته التي ودّع بها تلاميذه عشية القبض عليه ، وحديثه مع نيقوديموس عضو مجلس السنهدريم ، الذي زاره تحت جنح الظلام ، وحديثه مع المرأة السامرية التي وجدها عند بئر يعقوب في السامرة ، وحديثه مع الأعمى منذ ولادته بعد أن جعله يبصر . ومع الرجل الذي شفاه من مرض الفالج عند بركة بيت حسدا بعد أن ظل مقعداً ثمانية وثلاثين عاماً . وفي خلال هذه الخطب والمناقشات والأحاديث ، رفع الستار عن كثير من الأسرار المتعلقة بطبيعة شخصيته وجوهر رسالته . كما أن أعماله ومعجزاته التي ذكرها القديس يوحنا تؤكد ما قاله له المجد عن طبيعته ، وعن تلك الرسالة التي نزل من السماء لينجزها . فقد أعلن للعالم أنه هو ابن الله ، وأنه هو الله ذاته ، وأنه قد اتخذ جسداً بشرياً كي ينجز عمل الفداء الذي دبرته الرحمة الإلهية لخلاص البشر من الهلاك المحكوم به عليهم من العدل الإلهي بسبب خطاياهم :

١ - فها يدلّ على أنه هو المسيح ابن الله الذي تنبأ عنه الأنبياء من قبل ، ماشهد به يوحنا المعمدان عنه إذ قال : « أنا قد أبصرت وشهدت بأن هذا هو ابن الله » ( يوحنا ١ : ٣٤ ) . كما قال إن « الآب يحب الابن وقد جعل في يده كل شيء . فمن يؤمن بالابن له الحياة الأبدية ، ومن لا يؤمن بالابن فلن يرى الحياة ، بل يحلّ عليه غضب الله » ( يوحنا ٣ : ٣٥ ، ٣٦ ) وكذلك قال القديس يوحنا اللاهوتي « أبصرنا مجده ، مجد الابن الوحيد لأبيه » ( يوحنا ١ : ١٤ ) . وقال « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو الذي أخبر عنه » ( يوحنا ١ : ١٨ ) . وقد خاطبه ثنائيل قائلاً « يا معلّم أنت ابن الله »

( يوحنا ١ : ٤٩ ) . وقال له تلميذه بطرس متحدثًا باسم تلاميذه جميعًا : « نحن قد آمنًا وعرفنا بيقين أنك أنت هو قدّوس الله المسيح ابن الله الحي » ( يوحنا ٦ : ٦٩ ) . وقالت له مرثا أخت لعازر الذي أقامه من بين الأموات : « نعم يارب ، إنني أؤمن بأنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم » ( يوحنا ١١ : ٢٧ ) وقد قرّر السيد المسيح نفسه هذه الحقيقة ، إذ أنه بعد أن جعل الأعمى منذ ولادته يبصر قال له : « أتؤمن بابن الله ؟ » فأجاب ذلك وقال : « من هو ياسيدي فأؤمن به ؟ » فقال له « إنك تراه وهو هو الذي يكلمك » ( يوحنا ٩ : ٣٥-٣٧ ) . وحين كان يتكلم مع المرأة السامرية عند بئر يعقوب « قالت له المرأة : نحن نعلم أن مَسِيًّا الذي يدعى المسيح آتٍ ، فتى أتى فسيخبرنا بكل شيء ، فقال لها يسوع : أنا الذي أكلمك هو » ( يوحنا ٤ : ٢٥ و ٢٦ ) وقال لنيقوديموس عضو مجلس السنهدريم اليهودي : « إلى هذا المدى أحب الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية ، لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم ، بل ليخلص به العالم . فالذي يؤمن به لا يبدن والذي لا يؤمن به قد أدين ، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد ، وهذه هي الدينونة : أن النور جاء إلى العالم وأحبّ الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة » ( يوحنا ٣ : ١٦ - ١٩ ) . وقد كان السيد المسيح يتكلّم عن نفسه دائمًا باعتباره ابن الله . وباعتبار أن الله أبوه . فكان يقول لليهود : « أعمالاً كثيرة حسنة أريتمكم من لدن أبي » ( يوحنا ١٠ : ٣٢ ) وقد طرد الباعة من هيكل أورشليم قائلاً لهم : « لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة » ( يوحنا ٢ : ١٦ ) . وكان السيّد المسيح حين يخاطب الله يقول : « يا أبتاه أشكرك لأنك قد سمعت لي » ( يوحنا ١١ : ٤١ ) . ويقول « يا أبتاه قد أتت الساعة . مَجِّد ابنك ليمجِّدك ابنك . كما أنك قد أعطيت سلطناً على كل جسد كي يعطى الحياة الأبدية لكل الذين أعطيتهم إياهم . وهذه هي الحياة الأبدية أن



يعرفوك أنت الإله الحقّ الواحد وحده مع يسوع المسيح الذى أرسلته .. مجلّدى  
 يأتياه عند ذاتك بالحمد الذى كان لى عندك من قبل كون العالم » ( يوحنا ١٧ :  
 ١ - ٥ ) . ويقول : « قد أظهرت اسمك للذين أعطيتنيهم من العالم .. يأتياه  
 القدوس احفظهم فى اسمك هؤلاء الذين أعطيتنيهم .. يأتياه أريد أن هؤلاء .  
 الذين أعطيتنيهم يكونون معى حيث أكون أنا .. يأتياه الحقّ إن العالم لم  
 يعرفك ، وأما أنا فعرفتك ، وهؤلاء أيضًا عرفوا أنك أنت الذى أرسلتنى »  
 ( يوحنا ١٧ : ٦ و ١١ و ٢٤ و ٢٥ ) .

والسيد المسيح بصفته ابن الله وكلمته يتصف بكل الصفات التى يتصف  
 بها الله الآب : ويملك كل قدراته وسلطانه . لأنه فى كيان واحد معه . فهو أزلّ  
 إذ يقول القديس يوحنا إنه « فى البدء كان الكلمة .. وكان الكلمة هو الله »  
 ( يوحنا ١ : ١ ) والسيد المسيح نفسه يقول « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن »  
 ( يوحنا ٨ : ٥٨ ) . وهو الخالق لكل شىء ، إذ يقول القديس يوحنا إن « كل  
 شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان » ( يوحنا ١ : ٢ ) . وقد أيد له المجد  
 هذا القول بأن خلق عينين للرجل المولود بغير عينين فى مقلتيه ( يوحنا ٩ : ٦ - ٣١ )  
 وهو المحيى والذى يعيد الموتى إلى الحياة ، كما أقام لعازر بعد أن ظل ميتًا فى القبر  
 أربعة أيام حتى تحلّت جسّته وأوشكت أن تصير ترابًا ( يوحنا ١١ : ١ - ٤٤ ) .  
 وهو الديّان فى اليوم الأخير إذ قال إنّ « الآب لا يدين أحدًا وإنما سلّم القضاء  
 كله للابن » ( يوحنا ٥ : ٢٢ ) . وقد صرّح السيد المسيح بأن له السلطان الذى  
 للآب . إذ أراد اليهود أن يقتلوه لأنه شنّى الرجل المقعد عند بركة بيت حسدا فى  
 يوم سبت ، فقال لهم : « إنّ أبى حتى الآن يعمل وأنا أيضًا أعمل . فاشتدت  
 رغبة اليهود فى قتله ، لأنه لم ينقض السبت فحسب ، وإنما قال أيضًا : الله  
 أبى ، مساويًا نفسه بالله ، ومن ثمّ أجاب يسوع وقال لهم : الحقّ الحقّ أقول  
 لكم إنّ الابن لا يسعه أن يعمل من نفسه شيئًا إلا ما يرى الآب يعمل . لأنّ كل

ما يعمله الآب ، يعمله الابن أيضًا .. لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم ، هكذا الابن يحيي من يشاء . فإن الآب لا يدين أحداً . وإنما سلم القضاء كله للابن » ( يوحنا ٥ : ١٧ - ٢٢ ) وقال لليهود : « أتقولون أنتم للذي قدسّه الآب وأرسله إلى العالم إنك تجدف لأنى قلت إننى أنا ابن الله ؟ إن لم أكن أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى ، ولكن إن كنت أعملها فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال ، لتعلموا وتعرفوا أنى أنا فى أبى . وأن أبى فى » ( يوحنا ١٠ : ٣٦ - ٣٨ ) .

٢ - لقد صرح السيد المسيح الناس بحقيقة أخرى تنطوى على سر إلهى يعلو على مدارك البشر ، لأنه يتعلّق بطبيعة الله التى لا يمكن أن يدركها بشر . إذ بينما قال عن نفسه إنه ابن الله ، قال إنه هو والله الآب كيان واحد وذات واحدة . فقد قال لتلاميذه : « أنا هو الطريق والحق والحياة . لا يأتى أحد إلى الآب إلا بى . لو كنتم عرفتمونى لعرفتم أبى أيضًا . ومنذ الآن تعرفونه وقد رأيتموه . فقال له فيلبس : يارب أرنا الآب وكفانا . قال له يسوع : أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعدُ يا فيلبس ؟ من رآنى فقد رأى الآب ، فكيف تقول أنت أرنا الآب ؟ ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأن أبى فى فى ؟ إن الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلّم به من نفسى أنا وحدى ، وإنما الآب الكائن فىّ هو الذى يعمل أعماله . صدقونى أنى فى أبى وأن أبى فىّ ، وإلا فصدقونى من أجل الأعمال نفسها » ( يوحنا ١٤ : ٦ - ١١ ) . وقال : « الذى يرانى فقد رأى الذى أرسلنى » ( يوحنا ١٢ : ٤٥ ) . وقال مخاطباً أباه السماوى : « يا أبته قد أتت الساعة . مجدّ ابنك ليمجدك ابنك . كما أنك قد أعطيتّه سلطاناً على كل جسد كى يعطى الحياة الأبدية لكل الذين أعطيتهم لى . وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحق الواحد وحده مع يسوع المسيح الذى أرسلته . أنا قد مجدّتك على الأرض ، والعمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته . فالآن



القديس يوحنا عن أيقونة بكيسة السيدة العذراء بمهمشة



الربوب

السيّد المسيح على جبل

عروض ما ربيته له في ملاكوت السموات ١٥٧٦

الاصحاب في المصراة التي

صعود السيد المسيح

مجدنى يا ابتاه عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك من قبل كون العالم .. وجميع ماهولى فهو لك ، وجميع ماهولك فهو لى .. أنا لست فى العالم بعد . وأما هؤلاء ( أى تلاميذه ) فهم فى العالم . وأنا آتى إليك . يا ابتاه القدوس ، احفظهم فى اسمك ، هؤلاء الذين أعطيتنيهم ، ليكونوا فى وحدة كما نحن « ( يوحنا ١٧ : ١-٥ ، ١٠ و ١١ ) . وقال : « لست أطلب من أجل هؤلاء فقط ، وإنما أيضاً من أجل أولئك الذين يؤمنون بى بكلامهم ، ليكونوا جميعهم فى وحدة ، كما أنك أنت أيها الآب فى ، وأنا أيضاً فىك ، ليكونوا هم أيضاً فى وحدة فىنا .. قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ، ليكونوا فى وحدة كما أننا نحن أيضاً فى وحدة . أنا فىهم وأنت فى ، ليكونوا هم أيضاً فى وحدة كاملة » ( يوحنا ١٧ : ٢٠ - ٢٣ )

٣ - أما رسالة الفداء التى تنازل من أجلها المسيح ابن الله الآب - الذى هو فى كيان واحد مع الله الآب - فجاء إل العالم متخذاً جسداً بشرياً لينجزها ، فبانها كما أوضح الكتاب المقدس أن الله خلق الإنسان الأول على صورته . إذ جاء فى سفر التكوين أن الله قال : « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا .. فخلق الله الإنسان على صورته » ( التكوين ١ : ٢٦ و ٢٧ ) . ولما كان الله روحاً لاجسد له ولا مادة فيه ، لا يمكن أن ينصرف معنى هذا القول إلى أن مشابهة الإنسان لله كانت فى الجسد المادى ، وإنما فى الروح التى أودعها فى هذا الجسد . وفيما تتصف به هذه الروح من الكمال الإلهى ، المنزه عن الشرّ والنجاسة والدنس ، وقد زوّد الله الإنسان بوصاياه التى تكفل له الاحتفاظ بهذا الكمال ، معتبراً إياه ابنه ، ومانحاً إياه النعيم فى ملكوته . بيد أن هذا الإنسان الأول الذى خلقه الله وتبناه ومنحه الإرادة الكاملة ، لم يلبث أن خالف وصايا خالقه وأبيه ، وانغمس فى الشرّ والنجاسة والدنس ، ففقد بذلك كماله . وأمسى غير خليق وبنوته لله . بل صار غير خليق بأن تصله أى صلة بالله الذى هو خير محض وقداسة

كاملة وطهارة مطلقة . ومن ثمَّ نبذه الله وطرده من ملكوته . وإذا كان ما فعله الإنسان يتضمَّن تمرُّدًا على الله وخطيئة في حقه ، غضب الله عليه ، واستوجب أمام عدله الإلهي الهلاك والموت . لأنَّ جزاء الخطيئة في العدل الإلهي هو الموت ( روما [ رومية ] ٦ : ٢٣ ) غير أن الله - وإن كان يتَّصف بالعدل - يتَّصف في الوقت ذاته ، وعلى مقتضى كماله المطلق ، بالرحمة أيضًا . فإذا انتفت إحدى هاتين الصفتين فيه كان ذلك يتضمَّن نقصًا ، والله منزَّه عن النقص . ومن ثمَّ فإنه إن كان قد حكم على الإنسان ذلك الحكم الذي يستحقه بموجب عدله ، شاءت إرادته ومحبه أن يفتح له - وهو خليقته - باب الخلاص بموجب رحمته ، وذلك بأن يتيح له التكفير عن خطيئته ليستحق عفو الله وغفرانه . لأنه لا عفو ولا مغفرة بدون تكفير . ولما كان التكفير في هذه الحالة يقتضى الموت . لأنه لا كفارة في شريعة الله بغير سفك دم ( العبرانيين ٩ : ٢٢ ) . ثمَّ لما كانت النفس التي أخطأت هي التي ينبغي أن تموت ويُسفك دمها وكان الإنسان بعد أن أخطأ قد أمسى غير جدير بأن يكفَّر عن الإنسان قبل أن يخطيء ، لأنه قبل خطيئته كان ذا طبيعة طاهرة ، ثمَّ أصبح بعد خطيئته ذا طبيعة جسدية دنسة ، هيأ الله - بحكمته وقدرته ورحمته - وسيلة عجيبة يرفع بها الإنسان إلى طبيعته الأولى ، لكي ينال فيها القصاص الذي يستوجبه العدل الإلهي . وذلك بأن يحلَّ هو ذاته في جسد إنسان ، لينال في هذا الجسد ذلك القصاص ، كي ينقذ الإنسان من حكم الموت الذي كان مقضيًّا به عليه .

وإذا تحدث الله عن ابن الله لا يمكن أن ينصرف معنى ذلك إلى البنوة بالمعنى البشرى المادى ، وإنما هو مجرد تعبير يستخدمه الله ليتيح للإنسان ذى اللغة القاصرة والعقل المحدود المدى فهمَ علاقة الله الآب بالله الابن في الطبيعة الإلهية التي هي روح خالصة ذات وحدة مطلقة ، والتي هي فوق مدارك البشر . وهكذا وعدَّ الله على لسان أنبيائه بأنه - في الوقت الذي حدَّته حكمته الإلهية - سيرسل

ابنه لتتحد طبيعته الإلهية بطبيعة الإنسان البشرية ، فيعيد إليه الكمال الذى سبق له أن فقده بخطيئته . ومن ثمَّ يكون ذلك الإنسان الكامل الذى هو فى ذات الوقت الإله الكامل خليقاً بالتكفير عن خطيئة الإنسان الأول ، بأن يموت فداء عنه ، تنفيذاً للعدل الإلهي ، وبذلك تتحقق كفالة العدل والرحمة معاً . ويتم خلاص الإنسان على يد ذلك الفادى الذى اتخذت فيه الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية . وهذا هو المعنى الذى أشار إليه يوحنا المعمدان حين أشار إلى السيد المسيح قائلاً : « هوذا حَمَلَ اللهُ الذى يحمل خطيئة العالم » ( يوحنا ١ : ٢٩ ) . كما أن هذا هو المعنى الذى توضحه أقوال السيد المسيح الكثيرة التى أوردها القديس يوحنا فى بشارته ، إذ يقول له المجد : « وكما رفع موسى الحية فى البرية ، هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية ، لأنه إلى هذا المدى أحب الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية ، لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم ، وإنما ليخلص به العالم » ( يوحنا ٣ : ١٤ - ١٧ ) . وقد أوضح السيد المسيح أنه يفعل ذلك لا جبراً ولا اضطراراً ولا على كرهٍ منه ، وإنما بمحض إرادته واختياره ورضاه ، بدافع من صلاحه وحبهِ للبشر ، إذ قال : « أنا هو الراعى الصالح ، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الحراف .. وسأبذل نفسى عن خرافى .. لذلك يحبني أبى ، إذ أبذل نفسى كى استردّها . ما من أحد ينتزعها منى ، وإنما أبذلها أنا وحدى من ذاتى . فلي سلطان أن أبذلها ولى سلطان أن أستردّها » ( يوحنا ١٠ : ١١ - ١٨ ) وقال : « ما من حب أعظم من أن يبذل أحد نفسه عن أحبائه » ( يوحنا ١٥ : ١٣ ) .

وقد كان السيد المسيح له المجد يعلم أن عمل الفداء هو الرسالة الأساسية التى جاء من أجلها إلى العالم . وقد قرر ذلك فى أشد الساعات هولاً حين كان يتوقع أن يأتى رؤساء اليهود بعد لحظات ليقبضوا عليه ويعذبوه ويمينوه ثم يقتلوه بأبشع

وسيلة وأشنعها ، وهي أن يعلقوه مُسَمَّرَ اليدين والقدمين على خشبة الصليب ، اذ قال مناجياً أباه السماوى : « ياأبتاه نَجِّنى من هذه الساعة . ولكننى من أجل هذا أتيت إلى هذه الساعة » ( يوحنا ١٢ : ٢٧ ) .

٤ - وقد اتخذ السيد المسيح ابن الله وكلمته جسد إنسان كى يتم فيه عمل الفداء الذى جاء من أجله إلى العالم ، فكان إنساناً كاملاً يشابه الناس فى كلِّ شىء ماعدا الخطيئة ، إذ أنه لم يرتكب خطيئة أبداً . وقد قال ذلك عن نفسه ، إذ خاطب اليهود حين هجموا عليه ليقتلوه قائلاً « الآن تبتغون قتلى ، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق .. من منكم يستطيع أن يُثبِت علىَّ خطيئة ؟ » ( يوحنا ٨ : ٤٠ و٤٦ ) .

أما فيما عدا ذلك فقد كانت للسيد المسيح فضلاً عن الوهيته الكاملة ، إنسانيته الكاملة فى الوقت نفسه . فيقول القديس يوحنا فى مقدمة بشارته إن « الكلمة اتخذ جسداً وحلَّ بيننا » ( يوحنا ١ : ١٤ ) فقد كان الجسد الذى اتخذته له المجد جسد إنسان . وكان ميلاده من السيدة العذراء مريم ميلاد إنسان يشابه فى الشكل والطبيعة الإنسانية سائر بنى الإنسان . كما أن النبوءات عنه كانت تشير إلى هذه الحقيقة بكلمات صريحة ، إذ يقول دانيال النبى : « كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قُدَّامه ، فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوته لتتعبَّد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته مالا ينقرض » ( دانيال ٧ : ١٣ و١٤ ) . ولذلك فإن السيد المسيح مع أنه كان يقول عن نفسه إنه ابن الله الآب ، ويقول إنه هو والله الآب كيان واحد ، كان فى الوقت نفسه يقول عن نفسه إنه ابن الإنسان ، ليوضح أنه إنسان كامل وأن ناسوته ناسوت حقيقى وليس خيالياً أو مظهرياً فحسب . فهو يقول : « مامن أحد صعك إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء ، ابن الإنسان الذى هو فى السماء » ( يوحنا ٣ : ١٣ )



ويقول : « وكما رفع موسى الحية في البرية ، هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية » ( يوحنا ٣ : ١٤ ) ويقول : « كما أن الآب له الحياة في ذاته ، هكذا أعطى الابن أن تكون له الحياة في ذاته ، وقد أعطاه السلطان لأن يدين ، لأنه ابن الإنسان » ( يوحنا ٥ : ٢٦ و ٢٧ ) . وقد كان جسد السيد المسيح يشبه جسد كل إنسان فهو جسد مادي من دم ولحم وعظام . وقد احتمل بهذا الجسد المادى آلام الجلد والصلب ، وبه مات ، وبه قام من بين الأموات . وظلت ظاهرة فيه آثار المسامير التي دقوها في يديه وقدميه ، وأثر الحربة التي طعنوه بها في جنبه . فلما ظهر لتلاميذه قال الإنجيل المقدس : إنه « أراهم يديه وجنبه » ليتأكدوا من تلك الآثار التي تركتها المسامير وتركها الحربة في جسده .. « أما توما .. فلم يكن معهم .. فقال لهم : إن لم أبصر في يديه أثر المسامير وأضع في موضع المسامير إصبعي وأضع يدي في جنبه لا أؤمن . ثم بعد ثمانية أيام كان التلاميذ مجتمعين في الداخل أيضاً ، وكان توما معهم ، فدخل يسوع والابواب مغلقة ووقف في وسطهم .. ثم قال لتوما : هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدي ، وهات يدك وضعها في جنبى ، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً . فأجاب توما وقال له : ربى وإلهى » ( يوحنا ٢٠ : ٢٠ - ٢٨ ) .

ولعلّ مما يرهّن على أن السيد المسيح كان إنساناً بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، أن الإنجيل المقدس وصّف بعض الجوانب في حياته والتي تدلّ على أنه كان يعيش كسائر الناس الطبيعيين ، فهو يأكل ويشرب ، ويجوع ويعطش ، وينام ويستيقظ ، ويتعب ويستريح ، ويفرح ويحزن ، ويبتهج ويبكى ، ويرضى ويفضب ، وغير ذلك من أحوال الناس اليومية وما يستشعرونه من عواطف وأحاسيس وفقاً لما يحيط بهم من ظروف ومبلاسات : فقد تعب من السير واستراح عند بثر يعقوب ، وحين جاءت المرأة السامرية كان قد عطش فقال لها :

« أعطيني لأشرب » ( يوحنا ٤ : ٧ ) . كما أنه حين كان معلقاً على الصليب « قال أنا عطشان » ( يوحنا ١٩ : ٢٨ ) . وهو يفرح ، إذ قال لتلاميذه بعد أن أنبأهم بموت لعازر : « وأنا أفرح من أجلكم ، إذ لم أكن هناك لتؤمنوا » ( يوحنا ١١ : ١٥ ) وقال لهم في موضع آخر : « كلمتكم بهذا ليكون فرحى فيكم ، وليكتمل فرحكم » ( يوحنا ١٥ : ١١ ) وهو يتألم ويضطرب بل إنه يبكي . فإنه حين أتت إليه مريم أخت لعازر بعد موت أخيها « خرّت عند رجله قائلة له : يارب لو كنت هنا ما كان أخي قد مات . فلما رآها يسوع تبكى ورأى اليهود الذين جاءوا معها أيضاً يبكون تألم بالروح واضطرب ، وقال لهم : أين وضعتموه ؟ قالوا له : يارب تعال وانظر . بكى يسوع . فقال اليهود : انظروا كم كان يحبه ؟ وقال بعض منهم : أما كان هذا الذى فتح عيني الأعمى منذ ولادته قادراً على ألا يترك هذا أيضاً يموت ؟ فتحزن يسوع فى نفسه وجاء إلى القبر » ( يوحنا ١١ : ٣٢ - ٣٨ ) .

وحين اقترب موعد آلامه وصلبه قال : « نفسى الآن قد اضطربت ، فاذا أقول ؟ يا ابتاه نجنى من هذه الساعة ، ولكننى من أجل هذا أتيت إلى هذه الساعة » ( يوحنا ١٢ : ٢٧ ) .

وحين أنبأ تلاميذه فى حفلة الوداع بأن واحداً منهم سيخونه ويسلمه إلى أعدائه ، يقرر الإنجيل المقدس أنه « لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وصرح قائلاً : الحقُّ الحقُّ أقول لكم إنَّ واحداً منكم سيسلمنى » ( يوحنا ١٣ : ٢١ ) وقد كابد السيد المسيح آلامه حين جلده اليهود وأهانوه وصلبوه وطعنوه مكابدة حقيقية كأى إنسان يتعرّض لمثل هذه المحنة القاسية ، ويقاسى مثل ما تعرّض له هو من آلام وأهوال . كما أنه مات على الصليب كما يموت أى إنسان : إذ أنه « أمال رأسه وأسلم الروح » ( يوحنا ١٩ : ٣٠ ) . بيد أن الإنجيل للقديس يوحنا

قد أوضح أن السيد المسيح ابن الله ، وإن كان قد اتخذ جسد إنسان ، وأصبح ذا طبيعة إنسانية كاملة ، كان في الوقت ذاته ذا طبيعة إلهية كاملة . لأن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين ، أوفى أى ظرف من الظروف أو ملبسة من الملابس ، ويتضح ذلك من قول الإنجيل للقديس يوحنا إن « الكلمة اتخذ جسداً وحلّ بيننا » ( يوحنا ١ : ١٤ ) . مما يدلّ على اتحاد الكلمة ابن الله بالناسوت الذى اتخذه اتحاداً تاماً وكاملاً . كما يتضح ذلك من قول السيد المسيح نفسه : « مامن أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء ، ابن الإنسان الذى هو فى السماء » ( يوحنا ٣ : ١٣ ) . فقد قال عن نفسه إنه ابن الإنسان ، مشيراً بذلك إلى أنه ابن مريم بحسب الجسد الذى اتخذه منها ، ومع ذلك قرر أنه كائن فى الوقت نفسه فى السماء . مشيراً بذلك إلى لاهوته المتحد بناسوته على الأرض ، وظل مع ذلك فى السماء . كما أنه قال فى هذا المعنى كذلك : « الحقّ الحقّ أقول لكم إنكم سترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان » ( يوحنا ١ : ٥١ ) . فإن المسيح الإنسان هو فى الوقت نفسه المسيح الإله ، ومن ثمّ تمجّده الملائكة التى لا تفتأ تمجد الله فى كل حين . ومن ذلك يتضح أن المسيح ابن الله متحد فى كينونة واحدة مع الله الآب . كما يتضح أن المسيح ابن الله هو فى نفس الوقت المسيح ابن الإنسان ، أى أن لاهوته متحد بناسوته اتحاداً كاملاً بغير اختلاط أو امتزاج أو تغيير ، فهما كيان واحد ، وأقنوم واحد ، وطبيعة واحدة ، ومشيئة واحدة . وهذا سرّ من أسرار العقيدة المسيحية لا يستوعبه الإنسان إلا بموهبة من الله ، يفتح بها بصيرته الروحية ، فيتسامى عن طبيعته الجسدية المادية الدنيوية ، ويحلّق بأجنحة من النور فى السمائيات والإلهيات .

٥ - وقد أسهب الإنجيل للقديس يوحنا أكثر من غيره من البشائر فى تسجيل عبارات السيد المسيح عن الروح القدس ، لأن الحديث عنه يتّصل اتصالاً وثيقاً

بالتواحي اللاهوتية التي اهتمَّ بها الإنجيل للقديس يوحنا . ففي الحديث الذي أورده بين السيد المسيح ونيقوديموس قال له : « الحقَّ الحقَّ أقول لك إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله . فالمولود من الجسد هو جسد ، والمولود من الروح هو روح » ( يوحنا ٣ : ٥ و ٦ ) . وفي حديثه الوداعي مع تلاميذه قال لهم : « إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وسأطلب إلى الآب فيعطيكُم معزياً آخر ليقم معكم إلى الأبد : روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه ، لأنه يقيم معكم ويكون فيكم » ( يوحنا ١٤ : ١٥ - ١٧ ) وقال لهم « حتى إذا جاء المعزى وهو الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي سيعلّمكم كلَّ شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم » ( يوحنا ١٤ : ٢٦ ) . وقال لهم : « ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من عند أبي ، روح الحق المنبثق من الآب : فهو يشهد لي » ( يوحنا ١٥ : ٢٦ ) . وقال لهم : « أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق . لأنني إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى . أما إذا مضيت فإني أرسله إليكم . ومتى جاء هذا فسيوبخ العالم على الخطيئة وعلى البرِّ وعلى الدينونة . أما على الخطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي . وأما على البرِّ فلأنني منطلق إلى أبي فلا ترونني بعد . وأما على الدينونة فلأن رئيس هذا العالم قد أُدين . لا يزال عندي كلام كثير لأقوله لكم . ولكنكم لا تطيقون احتماله الآن . فمتى جاء ذلك الذي هو روح الحق فهو يرشدكم إلى الحق كله لأنه لا يتكلّم من عنده ، وإنما يتكلّم بما يسمعه ، وسيخبركم بأمر آتية . إنه يمجّدني لأنه يأخذ ممالي ويخبركم . جميع مالآب هو لي . لذلك قلت لكم إنه يأخذ ممالي ويخبركم » ( يوحنا ١٦ : ٧ - ١٥ ) . ثم بعد قيامة السيد المسيح في يوم الأحد وظهوره لتلاميذه في مساء ذلك اليوم ، قال لهم : « كما أرسلني الآب كذلك أرسلكم أنا . قال هذا ثم نفخ في وجوههم وقال لهم : اقبلوا روح القدس . من غفرتُم لهم خطاياهم غُفرت لهم . ومن أمسكتموها

عليهم أمسكت عليهم » ( يوحنا ٢٠ : ٢١ - ٢٣ ) . ويتضح من هذه الأقوال كلها التي أفضى بها السيد المسيح إلى تلاميذه أن الروح القدس له مالآب ومالآبن من صفات وقدرات وكمالات . وهو مع ذلك ليس كائناً بذاته منفصلاً عن الآب والابن . وإنما هو في كيان واحد وجوهر واحد معها . وذات إلهية واحدة .

٦ - ونرى مما سلف أن الإنجيل للقديس يوحنا تكلم عن الآب وعن الابن وعن الروح القدس ، لا بمعنى أنهم أشخاص يقوم كل منهم بذاته منفصلاً كل منهم عن الآخر ، وإنما بمعنى أنهم خاصيات تتميز بها طبيعة الله الواحد : فالله في ذاته هو الآب ، والله في صلته بالبشر هو الكلمة أو الابن الذي كلم به البشر . والله في قوته وقدرته ومواهبه هو الروح القدس ، الذي تظهر فاعليته في تدبير الأشياء التي في الكون ، والأشخاص الذين يعيشون في هذا الكون . ولكن الله الذي تتصف طبيعته بهذه الخاصيات هو الله الواحد الذي لا إله غيره والمنزه عن التعدد بأي صورة من الصور أو بأي معنى من المعاني . وهذا هو ماقره السيد المسيح صراحة ، إذ قال لليهود وهو يجادلهم : « كيف يمكنكم أن تؤمنوا وأنتم تقبلون المجد لبعضكم من بعض . وأما المجد الذي من الله الواحد وحده فلا تبتغونه » ( يوحنا ٥ : ٤٤ ) . وقال في مناجاته لأبيه السماوى وهو يلقى خطابه الوداعى لتلاميذه : « هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحق الواحد وحده » ( يوحنا ١٧ : ٣ )

وهكذا كان الموضوع الأساسى لبشارة القديس يوحنا هو بيان الطبيعة اللاهوتية الكاملة للسيد المسيح متحدة اتحاداً تاماً وجوهرياً بطبيعته الناسوتية الكاملة . وذلك رداً على الأفكار الخاطئة الخبيثة التي أشاعها بعض المهرطقة الضالين من ضعيفي العقل أضعيفي الإيمان عن طبيعة السيد المسيح ، فضللوا بها المؤمنين وبلبلوا أفكارهم ، وعملوا على بث الفرقة بين صفوفهم ، مما دعا

القديس يوحنا إلى التصدي لهم بكتابة هذه البشارة التي أنقذ بها الكنيسة من مكرهم وشرهم وضلالهم وخطورة أقوالهم وأعمالهم .

بيد أن ثمة مسحة أخرى تسود هذه البشارة فضلاً عن مسحها اللاهوتية ، وهى الإسهاب فى الحديث عن المحبة باعتبارها عنصراً جوهرياً فى العقيدة المسيحية ، وباعتبارها الوصية الأولى والعظمى للسيد المسيح التى تشتمل فى مضمونها ومفهومها على كل وصية أخرى . وقد أورد الإنجيل للقديس يوحنا كثيراً من أقوال السيد المسيح التى يقرّر فيها أن الله الآب يحب الابن ، وأن الابن يحب الآب ، وأن الآب والابن معاً يحبّان المؤمنين بدرجة تفوق كل حد يمكن أن يتصوّره بشر ، إذ قال إنّ « الآب يحب الابن . وهو يريه كل ما يعمل » ( يوحنا ٥ : ٢٠ ) وقال : « لكى يعرف العالم أنى أحب أبى ، وأنى أعمل ما أوصانى به أبى » ( يوحنا ١٤ : ٣١ ) . وقال لتلاميذه : « كما أحببى أبى هكذا أحببتكم أنا . فاثبتوا فى محبتي . إن حفظتم وصاياى ثبتتم فى محبتي . كما أنى أنا حفظت وصايا أبى وثبتت فى محبته » ( يوحنا ١٥ : ٩ و ١٠ ) . وقال لهم « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى .. إنّ الذى لديه وصاياى ويحفظها هو الذى يحببى ، والذى يحببى يحبه أبى وأنا أيضاً أحبه وأظهر له ذاتى .. من يحببى يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نقيم . ومن لا يحببى لا يحفظ كلامى » ( يوحنا ١٤ : ١٥ و ٢١ و ٢٣ و ٢٤ ) . وقال لهم : « لأنه إلى هذا المدى أحب الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الابدية » ( يوحنا ٣ : ١٦ ) وقال لهم : « هذه هى وصيتى ، أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا . ما من حب أعظم من أن يبذل أحد نفسه عن أحبائه . وأنتم تكونون أحبائى إن عملتم بما أوصيكم به . لا أدعوكم عبيداً بعد ، لأن العبد لا يعلم بما يعمل سيده . وأما أنتم فقد دعوتكم أحبباءً لأننى عرفتكم بكل ما سمعته من أبى .. بهذا أوصيكم : أن تحبوا بعضكم بعضاً » ( يوحنا ١٥ : ١٢ - ١٧ )

وقال لهم : « وصيةٌ جديدةٌ أنا أعطيتكم : أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببتكم أنا ، فلتحبوا أنتم أيضاً بعضكم بعضاً . بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إذا أحببتهم بعضكم بعضاً » ( يوحنا ١٣ : ٣٤ و٣٥ ) وقال لهم : « قد كلمتكم عن هذا بأمثال . ولكن تأتي ساعة حين لا أكلمكم بعد بأمثال ، وإنما أكلمكم عن الآب صراحة . وفي ذلك اليوم ستطلبون باسمي . ولا أقول لكم إنني سأطلب إلى الآب من أجلكم . فإن الآب نفسه يحبكم لأنكم أحببتموني وآمنتم بأني من الله الآب خرجت . خرجت من الآب وجئت إلى العالم ، ثم أترك العالم وأنطلق إلى الآب » ( يوحنا ١٦ : ٢٥ - ٢٨ ) . وقال السيد المسيح في مناجاته لأبيه السماوى : « ولست أطلب من أجل هؤلاء فقط ( أى تلاميذه ) ، وإنما أيضاً من أجل أولئك الذين يؤمنون بكلامهم ، ليكونوا جميعهم فى وحدة ، كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا أيضاً فىك ، ليكونوا هم أيضاً فى وحدة فىنا ، كى يؤمن العالم بأنك أنت الذى أرسلتنى .. وأنى أحببتهم كما أحببتنى .. لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم . يأتباه الحق إن العالم لم يعرفك . وأما أنا فعرفتك . وهؤلاء أيضاً عرفوا أنك أنت الذى أرسلتنى ، وقد أخبرتهم باسمك وسأظل أخبرهم ، لتكون فىهم المحبة التى بها أحببتنى ، وأكون أنا أيضاً فىهم » ( يوحنا ١٧ : ٢٠ - ٢٦ ) وقد أكد الإنجيل للقديس يوحنا محبة السيد المسيح لتلاميذه إذ قال : « وقبل عيد الفصح رأى يسوع أن ساعته قد جاءت ليتقل من العالم ويمضى إلى الآب . وقد أحب خاصته الذين فى العالم . أحبهم إلى نهاية المدى » ( يوحنا ١٣ : ١ ) كما أن الإنجيل للقديس يوحنا أشار بوجه خاص إلى بعض الذين أحبهم السيد المسيح ، ومنهم لعازر الذى حين علم أنه مات قال لتلاميذه : « إن لعازر حيينا قد نام ، ولكنى سأذهب لأوقظه » ( يوحنا ١١ : ١١ ) . وحين رأى لوعة مريم ومرثا أختى لعازر على أخيها ، تأثر تأثراً عظيماً حتى لقد بكى .. « فقال اليهود : أنظروا كم كان يحبها » ( يوحنا ١١ : ٣٦ ) كما أشار

الإنجيل للقديس يوحنا إلى شخص آخر كان السيد المسيح يحبه بصفة خاصة . وكان هذا الشخص هو القديس يوحنا نفسه ، إذ يقول إنه في ليلة العشاء الرباني « وكان متكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه وهو الذي كان يسوع يحبه » ( يوحنا ١٣ : ٢٣ ) . وفي فجر يوم قيامة السيد المسيح يقول الإنجيل للقديس يوحنا إن مريم المجدلية ذهبت إلى القبر فلم تجد جسد يسوع .. « فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه ، وقالت لهما : قد أخذوا سيدنا من القبر ولا أعلم أين وضعوه » ( يوحنا ٢٠ : ٢ ) وقد سبق أن رأينا أن القديس يوحنا كان في أواخر أيامه قد أنهكته الشيخوخة ، فكان يردّد على مسامع المؤمنين وهو يعظهم عبارة واحدة لا يفتأ يكررها وهي قوله : « يا أبنائي أحبوا بعضكم بعضاً » . ثم يقول لهم : « هذه هي الوصية الأولى للرب . فإن عملتم بها تكونون قد أظعتم كلّ وصية أخرى » .

وإذ كان القديس يوحنا قد كتب بشارته بعد سنوات عدّة من ظهور بشارت القديسين متى ومرقس ولوقا ، لم يشأ أن يكرّر ماسبق أن ذكره أولئك القديسون في بشارتهم من وقائع حياة السيد المسيح ، لأن هذه الوقائع أصبحت معروفة لدى جميع المؤمنين ولا سيما تلك المتعلقة بالبشارة والميلاد والختان والهرب إلى مصر والعماد والتجربة والتجلى والعشاء الرباني والصعود ، وأغلب المعجزات التي وردت في البشائر الثلاث السابقة على بشارته ، لأن اهتمامه كله كان متجهاً إلى تثبيت إيمان المؤمنين بالسيد المسيح وتصحيح الأفكار الخاطئة التي أشاعها بعض الهراطقة عن شخصيته وطبيعته ، مؤكداً أنه هو المسيح ابن الله . وفي سبيل هذه الغاية اقتصر الإنجيل للقديس يوحنا على ذكر المعجزات التي تدلّ دلالة عظيمة على ألوهية السيد المسيح ، والتي يتضح منها بما لا مجال معه لأي شك أوربية في أنه يملك السلطان الإلهي على الكائنات كلها من إنسان وحيوان وجماد : فهو باعتباره صاحب السلطان على روح الإنسان وجسده أعاد الروح إلى لعازر بعد



أن فارقته بأربعة أيام ، وأعاد الحياة إلى جسده بعد أن تحلّل في القبر ( يوحنا ١١ : ١ - ٤٤ ) . كما أنه خلق للمولود أعمى عينين أبصر بها بعد أن عاش طوال حياته بغير عينين في مقلتيه ( يوحنا ٩ : ١ - ٣٨ ) . وشفى ابن أحد رجال الحاشية الملكية الذى كان مريضاً في كفر ناحوم بمجرد كلمة قالها لأبيه على مسافة بعيدة من ذلك الابن المريض ( يوحنا ٤ : ٤٩ و ٥٠ ) وشفى الرجل الذى كان مُقعّداً مدّة ثمانية وثلاثين عاماً عند بركة بيت حسدا بمجرد كلمة منه ، إذ قال له : قم احمل فراشك وامش . ففى الحال برى الرجل وحمل فراشه ومشى ( يوحنا ٥ : ١ - ٩ ) .

وهو باعتباره صاحب السلطان على الحيوان جعل السمك يتكاثر فى شبّاك تلاميذه حتى لم يعودوا قادرين على أن يجذبوها إلى الشاطئ ، وذلك بعد أن ظلّوا الليل كله طارحين شبّاكهم دون أن يصطادوا شيئاً ( يوحنا ٢١ : ١ - ١٠ ) . وهو باعتباره صاحب السلطان على الجماد جعل الماء يتحوّل الى خمر حقيقية حين نفدت الخمر فى عرس قانا الجليل ، وذلك دون أن ينطق حتى بكلمة واحدة ، وإنما بمجرد إرادته وكلمة الأمر وحدها ( يوحنا ٢ : ١ - ١٠ ) . كما أنه ذهب إلى تلاميذه الذين كانوا فى السفينة فى عرض البحر ماشياً على سطح الماء ، حتى لقد خافوا إذ ظنّوه شبّاحاً ( يوحنا ٦ : ١٦ - ٢١ ) . وقد جعل الطعام يتكاثر حتى إنه بخمسة أرغفة وسمكتين أشبع خمسة آلاف نفس ، ثم تبقت اثنتا عشرة قفة من الكسر ( يوحنا ٦ : ١ - ١٣ ) .

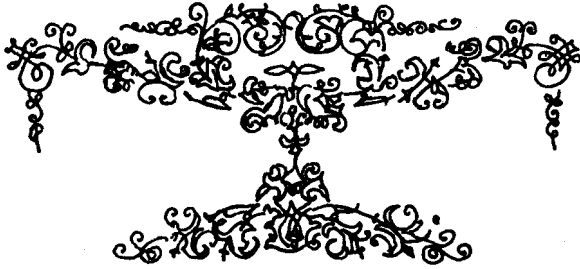
وقد اختار الانجيل للقديس يوحنا هذه المعجزات من بين عدد كبير منها صنعها السيد المسيح ، إذ يقول : « وثمة أشياء كثيرة أخرى صنعها يسوع ، لو أنها كتبت واحدة فواحدة فلا أظن أن العالم نفسه يسع الكتب التى تُكتب » ( يوحنا ٢١ : ٢٥ ) . وقد ذكّر هذا العدد القليل من المعجزات لأن أغلبها لم يرد فى البشائر الأخرى ، ولأنها عظيمة الدلالة على لاهوت السيد المسيح ، إذ يقول :

« وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة لم تُكْتَب في هذا الكتاب .  
وأما هذه فقد كُتِبَتْ لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولتكون لكم إن آمنتم  
الحياة الأبدية باسمه » ( يوحنا ٢٠ : ٣٠ و ٣١ ) . وقد كان السيد المسيح نفسه  
يصنع هذه المعجزات ليبرهن بها على قدرته الإلهية وحقيقة شخصيته باعتباره  
ابن الله ، إذ قال لليهود : « أما أنا فلي شهادة أعظم من شهادة يوحنا ، لأن  
الأعمال التي أعطاني أبي لأنجزها ، تلك الأعمال التي أنا أعملها هي نفسها التي  
تشهد لي بأن الآب قد أرسلني . والآب نفسه الذي أرسلني قد شهد لي » ( يوحنا  
٥ : ٣٦ و ٣٧ ) كما قال لتلاميذه : « صدَّقوني أنني في أبي وأن أبي فيَّ . وإلا  
فصدَّقوني من أجل الأعمال نفسها » ( يوحنا ١٤ : ١١ ) .

ولئن أوجز الإنجيل للقديس يوحنا في ذكر المعجزات التي صنعها السيد  
المسيح ، متوخياً غاية واحدة هي إثبات لاهوت السيد المسيح ، إن هذه الغاية  
ذاتها دفعت به لأن يسهب أكثر من أصحاب البشائر الأخرى في سرد أحاديث  
السيد المسيح ومناقشاته وعظاته ووصاياه وصلواته التي تطوى كلها على براهين  
ساطعة على حقيقة شخصيته الإلهية باعتباره المسيح الله ابن الله الحي ، وباعتباره  
في كيان واحد وجوهر واحد مع الله الآب . ويتضح ذلك بكل جلاء في أحاديثه  
مع نيقوديموس ، ومع المرأة السامرية ، ومع اليهود بعد أن شفى المقعد عند بركة  
بيت حسدا ، ومع المولود أعمى ، ومناقشاته مع اليهود والفريسيين في أورشليم  
وفي كفرناحوم ، وعظاته ووصاياه لتلاميذه ، ولا سيّما في خطابه الذي ودّعهم به  
قبل القبض عليه ، وصلاته عند قبر لعازر ، ومناجاته لأبيه السماوي في أثناء  
خطابه الوداعي لتلاميذه ، وبذلك احتفظ لنا الإنجيل للقديس يوحنا بثروة  
لا تُقدَّر بثمن من الكلمات الإلهية التي نطق بها السيد المسيح في هذه المناسبات  
كلها ، والتي لم ينطق بمثلها ولن ينطق بمثلها إنسان من بدء الخليقة إلى آخر  
الزمان . وقد كانت هي الركيزة العظمى للعقيدة المسيحية ، وهي التي أماطت

اللتام عن ذلك السرِّ الأعظم الذى يكمن فى تلك العقيدة التى تدعو بنى البَشَرِ لأن يؤمنوا بالمسيح على أنه ابن الله وابن الإنسان معًا ، فادى البَشَرِيَّة ، ومانح الحياة الأبدية لكل مَنْ يؤمن به فى كل زمان ومكان .

### اللجنة



إِنْجِيلُ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِلْفَدَائِسِ يُوْحَنَّا



الْكَلِمَةُ هُوَ اللَّهُ . مَجِيءُ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ

يُوحَنَّا ١ : ١ - ٩



### الفصل الأول

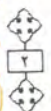
- ١ في البَدْءِ ١ كَانَ الْكَلِمَةُ ٢ ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ ١
- لَدَى اللَّهِ ٣ ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ هُوَ اللَّهُ ٤ . ❖ كَانَ مِنْدُ ٢
- الْأَرْزِ لَدَى اللَّهِ ٥ . ❖ كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ ٦ ، وَبِعَبْرِهِ ٣
- لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ ٧ . ❖ فِيهِ كَانَتْ الْحَيَاةُ ٨ . ٤
- وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ ٩ . ❖ وَالتُّورُ يُضِيءُ فِي ٥
- الظُّلْمَةِ ٩ ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ .
- ❖ كَانَ رَجُلٌ قَدْ أُرْسِلَ مِنْ اللَّهِ اسْمُهُ ٦
- يُوحَنَّا ١٠ ، ❖ جَاءَ هَذَا لِلسَّهَادَةِ كَيْ يَشْهَدَ ٧
- لِلنُّورِ ١١ ، لِيُؤْمِنَ الْكُلُّ عَلَى يَدِهِ . ❖ لَمْ يَكُنْ هُوَ ٨
- التُّورَ ، وَإِنَّمَا أُرْسِلَ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ . ❖ كَانَ التُّورُ ٩

(١) البدء هنا عبر  
الأرزل - الذي لا يذاه  
له. وهو غير الله  
الحليقة  
(٢) ٨ أم ٢٢ ٢٢  
١٧ ١٧ ١٧  
١٧ ١٧ ١٧  
١٣ ١٩

الْكَلِمَةُ هُوَ اللَّهُ :  
(٣) ١٧ ١٧ ١٧  
١٧ ١٧ ١٧  
(٤) ١٧ ١٧ ١٧  
٧ ٥  
(٥) ١٧ ١٧  
(٦) ١٧ ١٧ ١٧  
١٧ ١٧ ١٧  
(٧) ١٧ ١٧ ١٧  
١٧ ١٧ ١٧  
(٨) ١٧ ١٧ ١٧  
١٧ ١٧ ١٧  
(٩) ١٧ ١٧ ١٧  
(١٠) ١٧ ١٧ ١٧  
١٧ ١٧ ١٧  
(١١) ١٧ ١٧ ١٧

(تابع) مَجِيُّ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ لِيَشْهَدَ لِلْمَسِيحِ . يُوْحَنَّا ١ : ٩ - ١٩

- (١) ليش ١٩ : ١٦ - ٢٠  
 بر ٢ : ٨  
 يو ١ : ٣٠ - ٣١  
 عب ١ : ١٢  
 ١١ : ٣
- (٢) ليش ١٩ : ١٦ - ١٩  
 ٣ : ٢٦ ، ١٣ : ٤٦
- (٣) ليش ١٩ : ١٦ - ١٩  
 ٣ : ٣ ، ٧ : ١٠  
 رو ١٥ : ١٤ ، ١٥ : ١٤  
 ٣ : ٢٦ ، ٢ : ١٦
- (٤) ليش ١٩ : ١٦ - ١٩  
 ٣ : ٣ ، ٧ : ١٠  
 رو ١٥ : ١٤ ، ١٥ : ١٤  
 ٣ : ٢٦ ، ٢ : ١٦
- (٥) ليش ١٩ : ١٦ - ١٩  
 ٣ : ٣ ، ٧ : ١٠  
 رو ١٥ : ١٤ ، ١٥ : ١٤  
 ٣ : ٢٦ ، ٢ : ١٦
- (٦) ليش ١٩ : ١٦ - ١٩  
 ٣ : ٣ ، ٧ : ١٠  
 رو ١٥ : ١٤ ، ١٥ : ١٤  
 ٣ : ٢٦ ، ٢ : ١٦
- (٧) ليش ١٩ : ١٦ - ١٩  
 ٣ : ٣ ، ٧ : ١٠  
 رو ١٥ : ١٤ ، ١٥ : ١٤  
 ٣ : ٢٦ ، ٢ : ١٦
- (٨) ليش ١٩ : ١٦ - ١٩  
 ٣ : ٣ ، ٧ : ١٠  
 رو ١٥ : ١٤ ، ١٥ : ١٤  
 ٣ : ٢٦ ، ٢ : ١٦
- (٩) في العرابية وليس  
 بشرًا وسكن بيتًا. وفي  
 القبطية حرفيًا «حل في بيت»  
 أي «حل في طينتنا  
 البشرية». انظر مت  
 ١٦ : ١٦ ، ٢٠ : ١٦
- ١٦ : ١٦ ، ٣٥ : ٣٠ - ٣٧  
 رو ١٣ : ٤ ، ١٤ : ١٤  
 ١ : ٣ ، ١٦ : ١٦  
 ١٦ : ١٦ ، ١٤ : ١٤  
 ١٦ : ١٦ ، ١٤ : ١٤  
 (١٠) ليش ١٤ : ١٠ ، ١٥ : ١٥  
 مت ١٧ : ٢ ، ٢٠ : ٢  
 ١١ : ١١ ، ٤٠ : ٢٠  
 بط ١٦ : ١٦ ، ١٧ : ١٧  
 ١ : ١٨ ، ١٠ : ١٠  
 (١١) ليش ١٩ : ١٦ ، ٢٠ : ٢٠  
 ١٠ : ١٠ ، ٩ : ٩



انظر الصفحة التالية

شَهَادَةُ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ عَنِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ . يوحنا ١ : ١٩ - ٢٩

- ١٩ (١٢) ٣-٢٢ : ٢٥  
٢٠ (١٣) ٣-١١ : ٢٢  
٢١ (١٤) ١-٧ : ٣٠-٣١  
٢٢ (١٥) ٣-٢٤ : ١٧  
٢٣ (١٦) ١-١٠ : ١٧  
٢٤ (١٧) ٣-٢٤ : ١٧  
٢٥ (١٨) ١-١٠ : ١٧  
٢٦ (١٩) ٣-٢٤ : ١٧  
٢٧ (٢٠) ١-١٠ : ١٧  
٢٨ (٢١) ٣-٢٤ : ١٧  
٢٩ (٢٢) ١-١٠ : ١٧
١. يَسْأَلُوهُ :  
٢. « مَنْ أَنْتَ ؟ » ❖ فَأَعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ ، وَأَقْرَبَ قَائِلًا : « لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحُ » . ❖ فَسَأَلُوهُ :  
٣. « مَاذَا إِذْنُ ؟ أَنْتَ إِيْلِيَّا ؟ » . ❖ قَالَ « لَسْتُ إِيَاهُ » .  
٤. فَقَالُوا « أَنْتَ النَّبِيُّ ؟ » . ❖ أَجَابَ « كَلَّا » .  
٥. ❖ فَقَالُوا لَهُ : « فَمَنْ أَنْتَ لِنُعْطِيَ إِجَابَةً لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا ؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ ؟ » ❖ قَالَ :  
٦. « أَنَا صَوْتُ الصَّارِخِ فِي الْبَرِّيَّةِ : أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ ، كَمَا قَالَ إِشْعِيَاءُ النَّبِيُّ » . ❖ وَكَانَ الْمُرْسَلُونَ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ . ❖ فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ :  
٧. « لِمَاذَا تَعْمَدُ إِذْنُ مَا دُمْتَ لَسْتَ الْمَسِيحَ وَلَا إِيْلِيَّا وَلَا النَّبِيَّ ؟ » . ❖ أَجَابَهُمْ يُوحَنَّا قَائِلًا : « أَنَا أَعْمَدُكُمْ بِالْمَاءِ ، وَلَكِنْ بَيْنَكُمْ قَائِمٌ ذَلِكَ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ ، ❖ الَّذِي - وَإِنْ أَتَى بَعْدِي - كَانَ قَبْلِي .<sup>٧</sup> وَأَنَا لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ لِأَنْ أَحُلَّ أَرْبِطَةَ حِذَائِهِ . ❖ وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي بَيْتِ عَنِيَّا<sup>٨</sup> ، فِي عِبْرِ الْأُرْدُنِّ ، حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّا يَعْمَدُ .  
٨. ❖ وَفِي الْعَدْرِ رَأَى يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ ،  
٩. فَقَالَ : « هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ<sup>٩</sup> الَّذِي يَرْفَعُ حَظِيئَةَ

انظر الصفحة التالية





إِيمَانُ فِيلِبُّسَ وَنَثْنَائِيلَ بِالسَّيِّدِ الْمَسِيحِ . يوحنا ١ : ٣٩ - ٤٨

ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَكَانَتِ السَّاعَةُ نَحْوَ الْعَاشِرَةِ ١ .

❖ وَكَانَ أَنْدَرَاوُسُ أَخُو سِمَعَانَ بَطْرُسَ أَحَدَ الْإِثْنَيْنِ ٤٠

الَّذَيْنِ سَمِعَا يُوحَنَّا وَتَبِعَا يَسُوعَ . ❖ وَقَدْ وَجَدَ ٤١

أَوْلَى أَخَاهُ سِمَعَانَ ، فَقَالَ لَهُ : « قَدْ وَجَدْنَا

الْمَسِيحَ » ، أَي الْمَسِيحَ ٣ . ❖ ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى ٤٢

يَسُوعَ . فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ قَالَ لَهُ : « أَنْتَ سِمَعَانُ بْنُ

يُوحَنَّا . وَلَكِنْ اسْمُكَ كَيْفَا » أَي بَطْرُسُ .

❖ وَفِي الْعَدِ ، إِذْ كَانَ يَسُوعُ يَقْضِي إِلَى ٤٣

الْجَلِيلِ ، وَجَدَ فِيلِبُّسَ ، فَقَالَ لَهُ « اتَّبِعْنِي » .

❖ وَكَانَ فِيلِبُّسُ مِنْ بَيْتِ صَيْدَا ، مَدِينَةِ ٤٤

أَنْدَرَاوُسَ وَبَطْرُسَ ❖ وَفِيلِبُّسَ وَجَدَ نَثْنَائِيلَ ٤٥

فَقَالَ لَهُ : « قَدْ وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي

الشَّرِيعَةِ ٧ ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ ٨ . وَهُوَ يَسُوعُ بْنُ

يُوسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ » ٩ . ❖ قَالَ لَهُ ٤٦

نَثْنَائِيلُ : « أَيْمَنُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ النَّاصِرَةِ شَيْءٌ

صَالِحٌ ١٠ ؟ » . فَقَالَ لَهُ فِيلِبُّسُ « تَعَالَ وَانظُرْ » .

❖ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ نَثْنَائِيلَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ قَالَ عَنْهُ : ٤٧

« هُوَذَا حَقًّا إِسْرَائِيلِيُّ لَا غِشٍّ فِيهِ ١١ » . ❖ فَقَالَ ٤٨

لَهُ نَثْنَائِيلُ : « مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُنِي ؟ » أَجَابَ يَسُوعُ

(١) أي الرابعة بعد  
الظهر  
التوقيت  
الحديث .  
(٢) مت ٤ : ١٨  
(٣) يو ٤ : ٢٥  
(٤) مت ١٦ : ١٦ - ١٨ يو  
٢ : ٢٥  
(٥) يو ١٢ : ٢١  
(٦) يو ٢١ : ٢

إِيمَانُ فِيلِبُّسَ  
وَنَثْنَائِيلَ  
بِالسَّيِّدِ  
الْمَسِيحِ :

(٧) تك ٣ : ١٥  
١٧ : ٥ - ٢٢ : ١٨  
٤٩ : ١٠ - تك ١٨  
١٨ : ٢٤ - لوقا ٢٧  
(٨) يش ٢ : ١٧ - ١٤ : ٥٣  
٢ : ١٠ - ٥ : ٢٠ - ٦ : ٩ - ١٢ : ٦  
(٩) مت ٢ : ٢٣ - لوقا  
٤ : ٢  
(١٠) يو ١٧ : ٤١ - ٥٢  
(١١) مت ٢٣ : ٢١  
١٠ : ٢٩ - ١٦ : ٢٩ - ٢٨ : ٩

(تابع) إيمان فيلبس ونثنائيل بالسيّد المسيح . يوحنا ١ : ٤٨ - ٥١

٤٩ وَقَالَ لَهُ : « قَبْلَ أَنْ يَدْعُوكَ فِيلِبُّسُ ، حِينَ كُنْتَ  
تَحْتَ شَجَرَةِ التِّينِ ، رَأَيْتَكَ » . ❖ فَأَجَابَ  
نَثْنَائِيلُ وَقَالَ لَهُ : « يَا مُعَلِّمُ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ ! أَنْتَ  
٥٠ مَلِكُ إِسْرَائِيلِ » . ❖ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ :  
لَأَنِّي قُلْتُ لَكَ إِنِّي رَأَيْتَكَ تَحْتَ شَجَرَةِ التِّينِ  
٥١ أَمَنْتَ ؟ لَسَوْفَ تَرَى أَعْظَمَ مِنْ هَذَا » . ❖ ثُمَّ  
قَالَ لَهُ : « الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : إِنْ كُمْ سَرَرُونَ  
السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً ، وَمَلَائِكَةُ اللَّهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ  
عَلَى ابْنِ الْإِنْسَانِ » .

(١) متى ١٤ - ٢٣  
(٢) متى ٢١ - ٢٥  
٢٧ - ١١ - ٤٢ - ٢٥  
١٨ - ٢٧ - ١٩ - ٣  
(٣) لوقا ١٠ - ١٦ - ١٤  
١٠ - ٣ - ١٠  
(٤) لوقا ٢٨ - ١٢ - ١٥  
٧ - ١٣ - ١٤  
١١ - ٢ - ٩ - ١٣  
٢٢ - ٢٤ - ٢٤ - ١٤  
١٠ - ١





الفصلُ الثاني

- ١ ❖ وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ كَانَ نِثْمَةٌ عُرْسٌ فِي قَانَا الْجَلِيلِ . وَكَانَتْ أُمُّ يَسُوعَ هُنَاكَ . ❖ وَكَانَ يَسُوعُ وَتَلَامِيذُهُ مَدْعُوِينَ إِلَى الْعُرْسِ ٢ ❖ فَلَمَّا نَفِدَتْ الْخَمْرُ قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ لَهُ : « لَيْسَ لَدَيْهِمْ خَمْرٌ » . ❖ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ : « مَا شَأْنِي يَا سَيِّدَةٌ ٣ وَشَأْنُكَ فِي هَذَا ؟ ٤ إِنَّ سَاعَتِي لَمْ تَأْتِ بَعْدُ » . ❖ فَقَالَتْ أُمُّهُ لِلْخَادِمِينَ : « مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ ٥ فَافْعَلُوهُ » . ❖ وَكَانَتْ هُنَاكَ سِتُّ قُدُورٍ مِنَ الْحَجَرِ مَوْضُوعَةً لِلتَّطْهِيرِ وَفَقَّأ لِسْنَنَ الْيَهُودِ ، يَسَعُ كُلٌّ مِنْهَا بَيْتِينَ ٧ أَوْ ثَلَاثَةً . ❖ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ :

مُعْجَزَةُ تَحْوِيلِ  
الماءِ إلى  
خمرٍ :



- (١) يوحنا ١٩ : ٢٨  
يوحنا ٤ : ٤٦  
(٢) متى ١١ : ١٨  
(٣) يوحنا ١٩ : ٢٦  
(٤) يوحنا ٢ : ١٩  
(٥) يوحنا ٧ : ٦  
(٦) يوحنا ٧ : ٤٣  
(٧) والتفرد بها بت .  
والبت مكمل يسع نحو  
٢٢٧٥٥ آية .

السيد المسيح يُطهر الهيكل من باعة الماشية والصيارفة يوحنا ٢ : ٧ - ١٥

« املأوا القدور ماءً » ، فملأوها إلى أعلاها .

٨ ❖ فقال لهم : « اغترفوا الآن وقدموا إلى رئيس

٩ الوليمة » فقدموا . ❖ فلما ذاق رئيس الوليمة

الماء الذي تحول إلى خمر ، ولم يكن يعلم من

أين هو ، وإن كان الخادمون الذين جلبوا الماء

يعرفون ، دعا رئيس الوليمة العريس ،

١٠ ❖ وقال له : « كلُّ إنسانٍ يقدم للمدعوين

الخمر الجيدة أولاً ، حتى إذا سكرُوا قدم لهم ما

هو دونها جودة . أما أنت فأبقيت الخمر الجيدة

١١ إلى الآن » . ❖ وقد كانت هذه هي المعجزة

الأولى التي صنعها يسوع في قانا الجليل ، وأظهر

مجده . فآمن به تلاميذه .

١٢ ❖ وبعد هذا نزل إلى كفرناحوم ، هو وأمه

وإخوته<sup>٣</sup> وتلاميذه ، وأقاموا هناك أياماً غير كثيرة .

١٣ ❖ وكان فصح اليهود قد اقترب ، فصعد

١٤ يسوع إلى أورشليم . ❖ ووجد في الهيكل باعة

البقر والغنم والحمام ، والصيارفة جالسين إلى

١٥ مناصدهم ، ❖ فصنع سوطاً من جبال ،

(١) يو ٤ : ٤٦

(٢) يو ١ : ١٤

(٣) مت ١٢ : ٤٦

(٤) مر ١٢ : ١٤

مت ١٦ : ١٦ و ١٠٦

٢ : ٢٣ و ١٠١

٤ : ١٦ و ٥٥

السيد المسيح

يُطهر الهيكل

من باعة

الماشية

والصيارفة :

(٥) مت ١٢ : ١٢

١١ : ١٩ - ١٥

إيمان كثيرين من اليهود بالسيد المسيح حين رأوا معجزاته.

يوحنا ٢ : ١٥ - ٢٥

وَطَرَدَهُمْ جَمِيعًا مِنَ الْهَيْكَلِ مَعَ الْبِقَرِ وَالْغَنَمِ ،  
وَكَبَّ نُقُودَ الصَّيَّارِفَةِ وَقَلَبَ مَنَاصِدَهُمْ .

١٦ ❖ وَقَالَ لِبَاعَةِ الْحَمَامِ : اِرْفَعُوا هَذِهِ مِنْ هُنَا ،

١٧ وَلَا تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ . ❖ فَنَدَرَ ٣

تَلَامِيذُهُ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ : « إِنَّ الْعَيْرَةَ عَلَى بَيْتِكَ

١٨ أَكَلْتَنِي » . ❖ فَأَجَابَ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ : « آيَةٌ

آيَةٍ تُرِينَا ٣١ حَتَّى تَفْعَلَ هَذَا ؟ » ❖ أَجَابَ يَسُوعُ

١٩ وَقَالَ لَهُمْ : انْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَأَنَا فِي ثَلَاثَةِ

٢٠ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ » . ❖ فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ : « فِي سِتِّ

وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هَذَا الْهَيْكَلُ ، أَفَتُقِيمُهُ أَنْتَ فِي

٢١ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ؟ » . ❖ وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ عَنْ هَيْكَلِ

٢٢ جَسَدِهِ . ❖ فَلَمَّا قَامَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ تَذَكَّرَ

تَلَامِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ هَذَا ، فَاْمَنُوا بِالْكِتَابِ

وَبِالْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَهَا يَسُوعُ .

(١) لوقا ٢٠ : ٤٩  
(٢) مرقس ١١ : ١٦  
(٣) لوقا ١٣ : ٣٠  
(٤) متى ٢١ : ٢٢  
(٥) لوقا ١٣ : ٣٤  
(٦) لوقا ١٩ : ٤٠  
(٧) لوقا ٢٤ : ٨

إيمان كثيرين  
من اليهود  
بالسيد  
المسيح :

٢٣ ❖ وَلَمَّا كَانَ فِي أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ ،

آمَنَ كَثِيرُونَ بِاسْمِهِ ، حِينَ رَأَوْا الْمُعْجَزَاتِ الَّتِي

٢٤ صَنَعَهَا . ❖ وَلَكِنْ يَسُوعُ لَمْ يَكُنْ يَأْمَنُهُمْ ، لِأَنَّهُ

٢٥ كَانَ عَارِفًا بِكُلِّ أَحَدٍ ، ❖ وَلَمْ يَكُنْ بِحَاجَةٍ لِأَنَّ

حَدِيثُ نَيْقُودِ يَمُوسَ مَعَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ . يُوحَنَّا ٢ : ٢٥ ؛ يوحنا ٣ : ١ - ٤

(١) ١٦ - ١٧  
 ١ - ٢٨ - ٢٩  
 ٩ - ٤ - ٢ - ٨  
 ٦ - ٦٤ - ١٦ - ٣٠  
 ١ - ٢٤ - ٢  
 ٢٣

يُخْبِرُهُ أَحَدٌ عَنِ الْإِنْسَانِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ مَا فِي الْإِنْسَانِ .



### الفصل الثالث

(٢) ٧ - ١٢  
 ٤٢ - ١٩ - ٣٩  
 (٣) ١٩ - ١٦ - ٢٣  
 ٢ - ٢٢ - ١٠ - ٢٨



حَدِيثُ  
 نَيْقُودِ يَمُوسَ  
 مَعَ السَّيِّدِ  
 الْمَسِيحِ :

(٤) ١٣ - ١١  
 ٦ - ١٥ - ١٥  
 ٢٦ - ٣ - ١٥  
 ١ - ١٨ - ١  
 ١ - ٣ - ٩

١ وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ اسْمُهُ  
 ٢ نَيْقُودِ يَمُوسُ ، مِنْ رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ . ❖ جَاءَ إِلَى  
 يَسُوعَ لَيْلًا وَقَالَ لَهُ : « يَا مُعَلِّمُ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ  
 جِئْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّمًا ، لِأَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ يَقْدِرُ أَنْ  
 يَصْنَعَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَصْنَعُ ، مَا لَمْ يَكُنِ  
 ٣ اللَّهُ مَعَهُ » . ❖ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ : الْحَقُّ  
 الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ إِنَّ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يُولَدْ ثَانِيَةً مِنْ  
 ٤ فَوْقُ ، لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ . ❖ فَقَالَ

(تابع) حَدِيثُ نِيقُودِيمُوسَ مَعَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ . يُوحَنَّا ٣ : ٤ - ١٣

لَهُ نِيقُودِيمُوسُ : « كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يُوَلِّدَ إِنْسَانٌ وَهُوَ

شَيْخٌ ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَرَّةً أُخْرَى فِي بَطْنِ

أُمِّهِ ثُمَّ يُوَلِّدُ ؟ » ❖ أَجَابَ يَسُوعُ : « الْحَقَّ الْحَقَّ ٥

أَقُولُ لَكَ إِنَّ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يُوَلِّدْ مِنَ الْمَاءِ

وَالرُّوحِ ، لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ .

❖ فَأَمُولُودُ مِنَ الْجَسَدِ هُوَ جَسَدٌ . وَالْمُولُودُ مِنَ ٦

الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ . ❖ لَا تَعْجَبْ إِذْ قُلْتُ لَكَ ٧

إِنَّكُمْ تَبْتَغِي أَنْ تُوَلِّدُوا ثَانِيَةً مِنْ فَوْقُ . ❖ فَإِنَّ ٨

الرِّيحَ تَهْبُ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ ، وَأَنْتَ تَسْمَعُ

صَوْتَهَا ، وَلَكِنَّكَ لَا تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي ، وَلَا إِلَى

أَيْنَ تَذْهَبُ . هَكَذَا كُلُّ مَوْلُودٍ مِنَ الرُّوحِ .

❖ فَأَجَابَ نِيقُودِيمُوسُ وَقَالَ لَهُ : « كَيْفَ يُمَكِّنُ ٩

أَنْ يَكُونَ هَذَا ؟ » ❖ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ : ١٠

« أَنْتَ مُعَلِّمٌ إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْلَمُ هَذَا ؟ ❖ الْحَقَّ ١١

الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنَّنَا إِنَّا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا

رَأَيْنَاهُ ، وَلَكِنَّكُمْ لَا تَقْبَلُونَ شَهَادَتَنَا . ❖ إِنْ ١٢

كُنْتُ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ عَنِ الْأَرْضِيَّاتِ وَلَمْ تُؤْمِنُوا ،

فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ كَلَّمْتُكُمْ عَنِ السَّمَاوِيَّاتِ ؟

❖ مَا مِنْ أَحَدٍ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا ذَلِكَ الَّذِي ١٣

(١) مر ١٦ : ١٦  
٢ : ٢٨

(٢) ج ١١ : ١٥  
١١ : ٢٥

(٣) مر ٦ : ٥٢

(٤) مت ١١ : ٢٧

١ : ١٨ - ٧

١ : ٢٨ - ١٤

١٢ : ٢٤

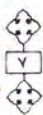
(٥) مر ٣ : ٣٢

(تابع) حَدِيثُ نِقُودِيمُوسَ مَعَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ . يوحنا ٣ : ١٣ : ٢٢

- ١٤ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ<sup>١</sup> : ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ<sup>٢</sup> . ❖ وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ<sup>٣</sup> ، هَكَذَا يَبْعَثُنِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الْإِنْسَانِ ،
- ١٥ ❖ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَإِنَّمَا يَنَالُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ . ❖ لِأَنَّهُ إِلَى هَذَا الْمَدَى أَحَبَّ
- ١٦ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى إِنَّهُ بَدَّلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَإِنَّمَا يَنَالُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ . ❖ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُرْسِلْ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينِ الْعَالَمَ ، وَإِنَّمَا لِيُخَلِّصَ بِهِ الْعَالَمَ .
- ١٨ ❖ فَالَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَا يَدَانُ . وَأَمَّا الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِهِ فَقَدْ أُدِينَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ . ❖ وَهَذِهِ هِيَ الدِّينُونَةُ : أَنَّ التُّورَةَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ<sup>١٠</sup> ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شَرِّيرَةً . ❖ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ يَفْعَلُ الشَّرَّ يَبْغِضُ النُّورَ<sup>١١</sup> ، وَلَا يَقْبَلُ إِلَى النُّورِ ، لِئَلَّا تَفْتَضِحَ أَعْمَالُهُ الشَّرِّيرَةُ وَتَبْخُ .
- ٢١ ❖ وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ<sup>١٢</sup> فَإِنَّهُ يَقْبَلُ إِلَى النُّورِ ، لِكَيْ يَظْهَرَ أَنَّ أَعْمَالَهُ إِنَّمَا آتَاهَا فِي اللَّهِ .
- ٢٢ ❖ وَبَعْدَ ذَلِكَ جَاءَ يَسُوعُ وَتَلَامِيذُهُ إِلَى أَرْضِ

(١) أم ١٣٠ : ٤  
١٦ ٣٣ و ٣٨ و ٥١  
١٧ و ١٦ : ٢٨ : ٤٠  
٢ : ١٠ : ٣٤ : ١٥  
٤٧ : ٤ : ١٧ : ٩  
(٢) ي ١ : ١٨  
(٣) عد ٢١ : ٩  
(٤) ي ٨ : ١٢ : ٢٨ : ٣٢  
(٥) ي ٣ : ٣٦ : ٦  
٤٧  
(٦) ر ٥ : ١٠ : ٨  
٤ : ٩  
(٧) أي أعطى وحاد  
ووجب عن طيب نفس  
(٨) ل ١٩ : ٥٦ : ١٠  
١٥ : ٤٥ : ٨ : ١٥  
١٢ : ٤٧ : ١ : ١٠  
٤ : ١٤  
(٩) ي ٥ : ٢٤ : ٦  
٤٠ : ٤٧ : ٢٠ : ٣١  
(١٠) ي ٤ : ١ : ٩  
١١ و ١٠ : ١١ : ٨ : ١٢  
(١١) أع ٢٤ : ١٣  
١٧ أفس ٥ : ١٣  
(١٢) م ١٤ : ٢ : ١٥ : ٨

يوحنا  
المعمدان  
يشهد للسيد  
المسيح مرة  
أخرى :





(تابع) المَعْمَدَانُ يَشْهَدُ لِلسَّيِّدِ الْمَسِيحِ مَرَّةً أُخْرَى. يوحنا ٣ : ٢٢ - ٣١

اليَهُودِيَّةِ ، وَمَكَثَ هُنَاكَ مَعَهُمْ يَعْمَدًا .  
 ٢٣ ❖ وَكَانَ يُوْحَنَّا أَيْضًا يَعْمَدُ فِي عَيْنِ نُونٍ ،  
 بِالْقُرْبِ مِنْ سَالِيمَ ٢ ، إِذْ كَانَتِ الْمِيَاهُ كَثِيرَةً ،  
 ٢٤ فَكَانُوا يَأْتُونَ وَيَعْتَمِدُونَ ٣ . ❖ لِأَنَّ يُوْحَنَّا لَمْ  
 ٢٥ يَكُنْ بَعْدُ قَدْ أَلْقَى بِهِ فِي السَّجْنِ ؛ ❖ وَقَدْ  
 جَرَتْ بَيْنَ تَلَامِيذِ يُوْحَنَّا وَبَعْضِ الْيَهُودِ مُجَادَلَةٌ  
 ٢٦ بِشَأْنِ التَّطْهِيرِ . ❖ فَجَاءُوا إِلَى يُوْحَنَّا وَقَالُوا لَهُ :  
 « يَا مُعَلِّمُ ، إِنْ الَّذِي كَانَ مَعَكَ فِي عِبْرِ الْأُرْدُنِّ ،  
 ذَلِكَ الَّذِي شَهِدْتَ لَهُ ٥ ، هُوَذَا يَعْمَدُ ، وَالْجَمِيعُ  
 ٢٧ يَقْبَلُونَ إِلَيْهِ » . ❖ فَجَابَ يُوْحَنَّا وَقَالَ :  
 لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَالَ شَيْئًا مَا لَمْ يُعْطَاهُ مِنَ  
 ٢٨ السَّمَاءِ ٦ . ❖ أَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ تَشْهَدُونَ بَأَنِّي قُلْتُ  
 إِنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحُ ٧ ، وَإِنَّمَا أَنَا مُرْسَلٌ أَمَامَهُ ٨ .  
 ٢٩ ❖ إِنْ الَّذِي لَهُ الْعُرُوسُ فَهُوَ الْعَرِيسُ ٩ . وَأَمَّا  
 صَدِيقُ الْعَرِيسِ ١٠ الَّذِي يَقِفُ وَيَسْمَعُهُ فَرِحًا يَفْرَحُ  
 لِصَوْتِ الْعَرِيسِ . وَمِنْ ثَمَّ فَإِنْ فَرِحَ قَدِ اكْتَمَلَ .  
 ٣٠ ❖ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَزِدَادَ هُوَ . أَمَّا أَنَا فَانْقُصُ .  
 ٣١ ❖ إِنْ الَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقِ ١١ ، هُوَ فَوْقَ  
 الْجَمِيعِ ١٢ . وَالَّذِي مِنَ الْأَرْضِ هُوَ أَرْضِي ١٣ .

(١) يوحنا ٢ : ٢٤  
 (٢) يوحنا ١ : ٩  
 (٣) مت ٣ : ٦  
 (٤) مت ١٤ : ٣  
 (٥) يوحنا ١ : ٧ و ٢٧  
 (٦) مت ١٦ : ٤ و ٧  
 (٧) مت ٤ : ١  
 (٨) يوحنا ١ : ٢٧ و ٢٨  
 (٩) مت ٢٢ : ٢ و ٢٤  
 (١٠) مت ١١ : ٢ و ٢٥  
 (١١) مت ١٠ : ١ و ٢  
 (١٢) مت ٢٨ : ١٨  
 (١٣) مت ١٠ : ٤ و ٤٧

(تابع) المَعْمَدَانِ يَشْهَدُ لِلسَّيِّدِ الْمَسِيحِ مَرَّةً أُخْرَى بِوَحْنًا ٣ : ٣١ - ٣٦

(١) يو ٦ : ٢٣-١٠

كو ١٥ : ٤٧ - أ١

١ : ٢١ - ٢٠ : ٩

(٢) يو ٣ : ١١ - ٨

١٥ : ١٥ - ٢٦

(٣) حريا حد حنه

(٤) يو ٣ : ١-١٠

١٠ : ٥

(٥) يو ٧ : ١٦

(٦) يو ١ : ١٦

(٧) مت ١١ : ٢٧

١٠ : ١٨ - ٢٨

٢٢ : ٢٠ - ٢٢

١٣ : ٣ - ١٧ - ٢

عب ٢ : ٨

(٨) ح ٢ : ١-١٠

١ : ١٢ - ٣ - ١٥

١٦ : ٦ - ٤٧ - ١٠

١ : ١١٧ - ١٠١٥

وَمِنَ الْأَرْضِ يَتَكَلَّمُ . أَمَّا الَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ

فَهُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ ١ . ❖ وَمَا رَأَهُ وَمَا سَمِعَهُ هُوَ

الَّذِي بِهِ يَشْهَدُ ٢ . ❖ وَلَكِنَّ أَحَدًا لَا يَقْبَلُ

شَهَادَتَهُ . وَكُلُّ مَنْ قَبِلَ شَهَادَتَهُ فَقَدْ أَقْرَبَ ٣ بَانَ اللَّهُ

حَقًّا ٤ . ❖ لِأَنَّ ذَلِكَ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِنَّمَا

بِكَلَامِ اللَّهِ يَتَكَلَّمُ ٥ . فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِيهِ الرُّوحَ بِغَيْرِ

مِقْدَارٍ ٦ . ❖ إِنَّ الْأَبَّ يُحِبُّ الْإِبْنَ ، وَقَدْ جَعَلَ

فِي يَدَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ ٧ . ❖ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِالْإِبْنِ فَلَهُ

الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ ٨ . وَمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْإِبْنِ فَلَنْ يَرَى

الْحَيَاةَ ، وَإِنَّمَا يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ ٩ .





الفصل الرابع

- ١ ❖ وَلَمَّا عَلِمَ الرَّبُّ يَسُوعُ أَنَّ الْفَرِيسِيِّينَ  
سَمِعُوا أَنَّهُ اتَّخَذَ تَلَامِيذَ كَثِيرِينَ ، وَأَنَّهُ يَعْمَدُ أَكْثَرَ  
٢ مِنْ يُوْحَنَّا . ❖ مَعَ أَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ  
يَعْمَدُ<sup>٢</sup> وَإِنَّمَا تَلَامِيذُهُ . ❖ غَادَرَ الْيَهُودِيَّةَ وَمَضَى  
٣ ثَانِيَةً إِلَى الْجَلِيلِ . ❖ وَكَانَ يَتَحْتَمُّ أَنْ يَمْرُقَ فِي  
٤ طَرِيقِهِ بِالسَّامِرَةِ . ❖ وَمِنْ ثَمَّ أَتَى إِلَى مَدِينَةٍ مِنْ  
٥ مُدُنِ السَّامِرَةِ ، كَانَتْ تُسَمَّى سُوخَارَ<sup>٣</sup> ، بِالْقُرْبِ  
مِنَ الضَّيْعَةِ الَّتِي وَهَبَهَا يَعْقُوبُ لِابْنِهِ يَوْسُفَ .  
٦ ❖ وَكَانَتْ هُنَاكَ بِنْتُ يَعْقُوبَ . وَإِذْ كَانَ يَسُوعُ  
قَدْ اتَّبَعَهُ الْمَسِيرُ . جَلَسَ مِنْ ثَمَّ عِنْدَ الْبُئْرِ وَكَانَتْ

حَدِيثُ السَّيِّدِ  
مَعَ  
الْمَرْأَةِ  
السَّامِرِيَّةِ :

١١ - ٣ ، ٢٢ ، ٢٦  
(٢) . ١ - ١٤ ، ١٤  
١٧  
(٣) . ٩ ، ٧  
١٦ ، ١ - ١٣  
٢٥ - ٢٨ ، ١  
(٤) . ٢٣  
١٩ ، ٤٨ ، ٢٢  
٢٤ - ٣٢  
(٥) . ١٠

(تابع) حَدِيثُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ مَعَ الْمَرْأَةِ السَّامِرِيَّةِ . يُوحِنًا ٤ : ٦ - ١٥

(١) أي الثانية عشرة  
ظهرًا بالتوقيت الحديث .

٧ السَّاعَةَ نَحْوَ السَّادِسَةِ ١ . ❖ فَجَاءَتْ أَمْرًا مِّنَ  
السَّامِرَةِ لِيَسْتَقِمَى مَاءً ، فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ : « أَعْطِنِي

٨ لِأَشْرَبَ » . ❖ وَكَانَ تَلَامِيذُهُ قَدْ مَضَوْا إِلَى

٩ الْمَدِينَةِ لِيَتَنَاغَوْا طَعَامًا . ❖ فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ

السَّامِرِيَّةُ : « كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِأَشْرَبَ وَأَنْتَ

يَهُودِيٌّ وَأَنَا سَامِرِيَّةٌ ، وَالْيَهُودُ لَا يَخَالِطُونَ

السَّامِرِيِّينَ ؟ » . ❖ فَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا :

« لَوْ كُنْتَ تَعْرِفِينَ عَطِيَّةَ اللَّهِ ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقُولُ

لَكَ أَعْطِنِي لِأَشْرَبَ ، لَطَلَبْتَ أَنْتِ مِنْهُ ، فَأَعْطَاكَ

١١ مَاءً حَيًّا ٣ . ❖ قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ : « يَا سَيِّدُ ،

كَيْسَ مَعَكَ دَلْوٌ ، وَالْبُئْرُ عَمِيقَةٌ ، فَمِنْ أَيْنَ لَكَ

١٢ الْمَاءُ الْحَيُّ ؟ » . ❖ أَلْعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَيْنَا يَعْقُوبُ

الَّذِي أَعْطَانَا هَذِهِ الْبُئْرَ ، وَقَدْ شَرِبَ مِنْهَا هُوَ وَبَنُوهُ

١٣ وَمَا شَبِثَهُ ؟ » . ❖ فَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا : « كُلُّ

مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ لَا يَبْثُ أَنْ يَعْطَشَ .

١٤ ❖ أَمَّا مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ إِيَّاهُ أَنَا

فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الْأَبَدِ ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ

إِيَّاهُ يَكُونُ فِيهِ يَنْبُوعٌ مَّاءٍ يَنْهَمِرُ إِلَى الْحَيَاةِ

١٥ الْأَبَدِيَّةِ ٥ . ❖ قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ : « يَا سَيِّدُ .

(٢) مل ١٧ : ٢٤  
لو ٩ : ٥٢ و ٥٣ . أن  
١٠ : ٢٨

(٣) يش ١٢ : ٣  
٤٤ : ٢ و ٣  
١٣ : ١٠ و ١٤ : ٨  
ان سراج ١٥ : ٣

(٤) يو ٦ : ٣٥ و ٥٨  
(٥) يو ٧ : ٣٨

(تابع) حَدِيثُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ مَعَ الْمَرْأَةِ السَّامِرِيَّةِ . يُوحَنَّا ٤ : ١٥ - ٢٤

أَعْطِنِي هَذَا الْمَاءَ<sup>١</sup> لِكَيْلَا أَعْطَشَ وَلَا أَجِئَ إِلَى

(١) يوحنا ٤ : ١٦ - ١٧

هُنَا لِأَسْتَقِي<sup>٢</sup> ❖ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ : « اذْهَبِي

١٦ ٢٠٢ - ٢٠٣

٢٠ : ٥ - ٦

وَاسْتَدْعِي زَوْجَكَ وَتَعَالَى إِلَيَّ هُنَا<sup>٣</sup> . ❖ أَجَابَتْ

الْمَرْأَةُ وَقَالَتْ لَهُ : « لَيْسَ لِي زَوْجٌ » . فَقَالَ لَهَا

يَسُوعُ : « أَحْسَنْتِ إِذْ قُلْتِ لَيْسَ لِي زَوْجٌ ،

❖ لِأَنَّهُ كَانَ لَكَ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ ، وَالَّذِي مَعَكَ

الآن لَيْسَ زَوْجَكَ . فِي قَوْلِكَ هَذَا صَدَقْتِ<sup>٤</sup> .

❖ فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ : « يَا سَيِّدُ . أَرَى أَنَّكَ

نَبِيٌّ<sup>٥</sup> . ❖ لَقَدْ كَانَ آبَاؤُنَا يَسْجُدُونَ فِي هَذَا

(٢) لوقا ١٦ : ١٧ - ١٨

١٩ - يوحنا ٦ : ١٤

١٧ : ٤٠

الْجَبَلِ<sup>٦</sup> ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ

(٣) قس ٩ : ٧

الَّذِي يَنْبَغِي فِيهِ السُّجُودُ<sup>٧</sup> » . ❖ قَالَ لَهَا يَسُوعُ :

« أَيَّتَهَا الْمَرْأَةُ صَدَّقْتِنِي إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا لَا فِي

هَذَا الْجَبَلِ وَلَا فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ .

(٤) تث ١٢ : ٥

١٠ : ١١ - مل ١ : ٩ - ٣

❖ أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَنْ لَا تَعْرِفُونَ<sup>٨</sup> ، وَأَمَّا نَحْنُ ،

٢ تيم ١٧ : ١٢

(٥) ١ يوحنا ١١ : ١ - ١٠

فَنَسْجُدُ لِمَنْ نَعْرِفُ ، لِأَنَّ الْخَلَاصَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ

تيم ٢ : ٨

الْيَهُودِ<sup>٩</sup> . ❖ وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ ، وَقَدْ آتَتْ

(٦) ٢ مل ١٧ : ٢٩

(٧) يوحنا ١٣ : ١٠ - ١١

الآن ، حِينِ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ

٢٤ : ٢٤ - ٢٥ - ٢٦

١ يوحنا ٩ : ٢٤

لِلآبِ بِالرُّوحِ<sup>١٠</sup> وَالْحَقِّ<sup>١١</sup> . لِأَنَّ الْآبَ يَبْتَغِي مِثْلَ

(٨) ٣ يوحنا ٣ : ١٦

(٩) يوحنا ١٤ : ١٤٤ - ١٤٥

هُؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ<sup>١٢</sup> . ❖ فَإِنَّ اللَّهَ رُوحٌ<sup>١٣</sup> ،

١ يوحنا ١٧ : ١

(١٠) ٢ يوحنا ١٣ : ١٧

(تابع) حَدِيثُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ مَعَ الْمَرْأَةِ السَّامِرِيَّةِ . يُوْحَنَّا ٤ : ٢٤ - ٣٣

(١) لوقا ٧ : ٤٨ -

١٧ - ٢٥ - ٢٠

(٢) يوحنا ٤ : ٢٩، ٢٨

(٣) متى ٢٦ : ٢٣ - ٢٠

١٤ - ٦١، ٦٢ - ٩

٣٧

وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَبْتَغِي أَنْ

٢٥ يَسْجُدُوا» ❖ قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ : «نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ

مَسِيًّا الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ آتَى، فَمَتَى آتَى

٢٦ فَسَيُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ؟» ❖ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ : «أَنَا

الَّذِي أَكَلْتُكُمْ هُوَ» .

٢٧ ❖ وَعِنْدَ ذَلِكَ جَاءَ تَلَامِيذُهُ فَتَعَجَّبُوا إِذْ رَأَوْهُ

يَتَكَلَّمُ مَعَ امْرَأَةٍ وَلَكِنْ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَقُلْ مَاذَا

تَطَلَّبُ؟ أَوْ لِمَاذَا تَتَكَلَّمُ مَعَهَا؟

٢٨ ❖ أَمَّا الْمَرْأَةُ فَتَرَكَتْ جَرَّتَهَا وَأَنْطَلَقَتْ إِلَى

٢٩ الْمَدِينَةِ، وَقَالَتْ لِلنَّاسِ : ❖ «هَلُمُّوا أَنْظُرُوا

ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي قَالَ لِي كُلَّ شَيْءٍ فَعَلْتُ» .

(١) يوحنا ٤ : ٢٥

٣٠ أَيْكُونُ هَذَا هُوَ الْمَسِيحَ؟» ❖ فَخَرَجُوا مِنْ

الْمَدِينَةِ وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ .

٣١ ❖ وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ طَلَبَ إِلَيْهِ تَلَامِيذُهُ

٣٢ قَائِلِينَ : «يَا مُعَلِّمُ قُمْ تَنَاوَلِ الطَّعَامَ» . ❖ فَقَالَ

لَهُمْ : «إِنَّ لِي طَعَامًا آكَلُهُ لَا تَعْرِفُونَهُ أَنْتُمْ» .

٣٣ ❖ فَقَالَ تَلَامِيذُهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ : «أَلَعَلَّ أَحَدًا جَاءَهُ

كثيرون من السامريين يؤمنون بالسيّد المسيح . يوحنا ٤ : ٣٣ - ٤٢

٣٤ بِمَا يَأْكُلُ . ❖ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : « إِنَّ طَعَامِي هُوَ أَنْ أَعْمَلَ بِمَشِيئَةِ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُنْجِزَ عَمَلَهُ .

(١) لوقا ٢٣ : ١٢ - ١٦  
١٦ : ٣٨ - ١٧ : ٤  
١٩ : ٣٠

٣٥ ❖ أَمَا تَقُولُونَ : بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ يَحِينُ الْحَصَادُ؟ هَازِنًا أَقُولُ لَكُمْ : ارْفَعُوا أَعْيُنَكُمْ ، وَانظُرُوا إِلَى الْحُقُولِ . إِنَّهَا قَدْ ابْيَضَّتْ فِعْلًا لِلْحَصَادِ . ❖ وَالْحَاصِدُ يَأْخُذُ الْأَجْرَةَ ،

(٢) مت ٩ : ٣٧ - ٤٠  
١٠ : ٢  
(٣) لوقا ١٢ : ٣

٣٦ وَيَجْمَعُ ثَمَارًا لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، لِكَيْ يَفْرَحَ الزَّارِعُ وَالْحَاصِدُ كِلَاهِمَا مَعًا . ❖ إِذْ فِي هَذَا يَصْدُقُ الْقَوْلُ : إِنَّ وَاحِدًا يَزْرَعُ وَآخَرَ يَحْصُدُ . ❖ وَقَدْ

٣٧ أَرْسَلْتُمْكُمْ لِتَحْصُدُوا مَا لَمْ تَعْبُوا فِيهِ . فَإِنَّ آخِرِينَ قَدْ تَعْبُوا ، وَأَنْتُمْ تَجْنُونَ ثَمْرَةَ تَعْبِهِمْ .

٣٩ ❖ وَقَدْ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ السَّامِرِيِّينَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِسَبَبِ كَلَامِ الْمَرْأَةِ الَّتِي شَهِدَتْ قَائِلَةً :

كثيرون من  
السامريين  
يؤمنون بالسيّد  
المسيح :

٤٠ « إِنَّهُ قَالَ لِي كُلُّ مَا كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ » ❖ وَمِنْ ثَمَّ جَاءَ السَّامِرِيُّونَ إِلَيْهِ وَرَجَوْهُ أَنْ يَمْكُثَ عِنْدَهُمْ ،

٤١ **فَمَكَثَ هُنَاكَ يَوْمَيْنِ . ❖ وَقَدْ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ** آخَرُونَ مِنْ أَجْلِ كَلَامِهِ . ❖ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ

(٤) يوحنا ٤ : ٢٩

٤٢ لِلْمَرْأَةِ : « إِنَّا الْآنَ نُؤْمِنُ ، لِأَنَّ سَبَبَ كَلَامِكَ ،

مُعْجَزَةُ شِفَاءِ ابْنِ أَحَدَرِ رَجَالِ الْحَاشِيَةِ الْمَلِكِيَّةِ

يُوحَنَّا ٤: ٤٢-٥٠

(١) يو ١٧: ١٠-١٨  
١٤: ٤

وَإِنَّمَا لِأَنَّا سَمِعْنَاهُ بِنَفْسِنَا ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا هُوَ حَقًّا الْمَسِيحُ مُخَلَّصُ الْعَالَمِ .



السَّيِّدُ الْمَسِيحُ  
يَعُودُ إِلَى  
الْجَلِيلِ :

(٢) يو ٤: ٤٠  
(٣) مت ١٣: ٥٧  
٦: ٤ - ٤: ٢٤  
(٤) يو ٢: ٢٢ - ٢: ٢٣  
٢  
(٥) مت ١٦: ١٦

٤٣ ❖ وَبَعْدَ الْيَوْمَيْنِ ٢ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ

٤٤ وَمَضَى إِلَى الْجَلِيلِ . ❖ وَإِذَا كَانَ يَسُوعُ نَفْسُهُ قَدْ

٤٥ شَهِدَ بِأَنَّهُ لَا كَرَامَةَ لِنِسْبِيٍّ فِي وَطَنِهِ ٣ . ❖ فَإِنَّهُ لَمَّا

جَاءَ إِلَى الْجَلِيلِ اسْتَقْبَلَهُ الْجَلِيلِيُّونَ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا

قَدْ رَأَوْا كُلَّ مَا صَنَعَهُ فِي أُورُشَلِيمَ فِي الْعِيدِ ، إِذْ

أَنَّهُمْ هُمْ أَيْضًا ذَهَبُوا إِلَى هُنَاكَ فِي الْعِيدِ .

٤٦ ❖ وَقَدْ جَاءَ يَسُوعُ ثَانِيَةً إِلَى قَانَا الْجَلِيلِ .

حَيْثُ كَانَ قَدْ حَوَّلَ الْمَاءَ إِلَى خَمْرٍ ٦ . وَكَانَ لِأَحَدِ

رَجَالِ الْحَاشِيَةِ الْمَلِكِيَّةِ ابْنِ مَرِيضٍ فِي كَفَرْنَاحُومَ

٤٧ ❖ فَمَا إِنْ سَمِعَ أَنَّ يَسُوعَ جَاءَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى

الْجَلِيلِ حَتَّى انْطَلَقَ إِلَيْهِ ، وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ أَنْ يَجِيءَ

وَيَشْفِيَ ابْنَهُ ، إِذْ كَانَ مُشْرِفًا عَلَى الْمَوْتِ .

٤٨ ❖ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ : « لَا تُؤْمِنُونَ مَا لَمْ تَرَوْا آيَاتٍ

٤٩ وَعَجَائِبَ ٧ . » ❖ قَالَ الرَّجُلُ : « هَيَّا يَا سَيِّدِي

٥٠ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ابْنِي ٨ . » ❖ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ :

« اذْهَبْ . إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ » . فَوَثِقَ الرَّجُلُ بِالْكَلِمَةِ

(٦) يو ١: ١١  
(٧) يو ١: ٢٢  
(٨) يو ١١: ٢١ - ٢٢



(تابع) مُعْجِزَةُ شِفَاءِ ابْنِ أَحَدِ رِجَالِ الْحَاشِيَةِ الْمَلَكِيَّةِ . يُوْحَنَّا ٤ : ٥٠ - ٥٤

- ٥١ أَلَّتِي قَالَهَا لَهُ يَسُوعُ وَذَهَبَ . ❖ وَفِيمَا هُوَ ذَاهِبٌ قَابَلَهُ خَدَمُهُ وَبَشَّرُوهُ قَائِلِينَ : « إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ » .
- ٥٢ ❖ فَاسْتَسَمَّرَ مِنْهُمْ عَنِ السَّاعَةِ الَّتِي بَدَأَ فِيهَا يَسْتَرِدُّ صِحَّتَهُ ، فَقَالُوا لَهُ : « بِالْأَمْسِ فِي السَّاعَةِ السَّابِعَةِ زَالَتْ عَنْهُ الْحُمَّى » . ❖ فَأَدْرَكَ أَبُوهُ أَنَّهَا هِيَ تِلْكَ السَّاعَةُ الَّتِي قَالَ لَهُ يَسُوعُ فِيهَا : « إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ » ، فَاَمَنَّ هُوَ وَكُلُّ أَهْلِ بَيْتِهِ . ❖ وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ مُعْجِزَةً ثَانِيَةً صَنَعَهَا يَسُوعُ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجَلِيلِ .





الفصل الخامس



مُعْجَزَةُ شِفَاءِ  
الْعَلِيلِ عِنْدَ  
بَرَكَةِ بَيْتِ  
حَسَدَا :

- ١ ❖ وَبَعْدَ هَذَا كَانَ عِيدًا لِلْيَهُودِ ، فَصَعِدَ
- ٢ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ . ❖ وَكَانَ عِنْدَ بَابِ الضَّانِ ٢
- ٣ فِي أُورُشَلِيمَ بَرَكَةٌ يُسَمُّونَهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ بَيْتَ حَسَدَا ،
- ذاتُ خَمْسَةِ أَرْوَاقَةٍ . ❖ كَانَ مُنْطَرِحًا فِيهَا حَسَدٌ
- كَبِيرٌ مِنَ الْمَرْضَى ، مِنَ الْعَمَى وَالْعَرَجِ وَالْمُصَابِينِ
- ٤ بِالْكُسَّاحِ ، مُنْتَظِرِينَ تَحْرِيكَ الْمَاءِ . ❖ لِأَنَّ
- مَلَكَآ كَانَ يَنْزِلُ مِنْ وَقْتٍ لآخرٍ إِلَى الْبَرَكَةِ وَيُحْرِكُ
- الْمَاءَ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ يَنْزِلُ عِنْدَ تَحْرِيكَ الْمَاءِ يَبْرَأُ
- ٥ مِنْ كُلِّ مَرَضٍ يَعْتَرِيهِ . ❖ وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ
- ٦ عَلِيلٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً . ❖ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ
- مُضْطَجِعًا ، وَإِذْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ زَمَانًا طَوِيلًا

(١) ٢٣ ٥ - ٢  
١٦ ١ - ٢ ١٣  
(٢) ٣ - ٢٣ ١  
١٢ ٢٩

(تابع) مُعْجِزَةٌ شِفَاءُ الْعَلِيلِ عِنْدَ بَرَكَةِ بَيْتِ حَسَدَا. يُوحَنَّا ٥ : ٦ - ١٦

٧ هَكَذَا ، قَالَ لَهُ : « أَتَرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟ » ❖ فَجَابَهُ

الْعَلِيلُ قَائِلًا : « يَا سَيِّدُ لَيْسَ لِي مَنْ يَلْقَى بِي فِي

الْبَرَكَةِ مَتَى تَحْرَكَ الْمَاءُ ، فَفِيمَا أَنَا أَهْمٌ بِالتُّزُولِ

يَسْبِقُنِي آخَرٌ. » ❖ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ : « قُمْ أَحْمِلْ

فِرَاشَكَ ، وَامْشِ١. » ❖ فَفِي الْحَالِ بَرِيَ

الرَّجُلُ ، وَحَمَلَ فِرَاشَهُ وَمَشَى . وَكَانَ ذَلِكَ فِي

١٠ يَوْمِ سَبْتٍ٢ ، ❖ فَقَالَ الْيَهُودُ لِلَّذِي بَرِيَ : « إِنَّ

اليَوْمَ سَبْتُ ، فَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَحْمِلَ فِرَاشَكَ٣ . »

١١ ❖ فَجَابَهُمْ قَائِلًا : « إِنَّ الَّذِي أَبْرَأَنِي هُوَ الَّذِي

١٢ قَالَ لِي : أَحْمِلْ فِرَاشَكَ وَامْشِ١. » ❖ فَسَأَلُوهُ :

« مَنْ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي قَالَ لَكَ أَحْمِلْ فِرَاشَكَ

وَامْشِ١؟ » ❖ وَلَكِنَّ الَّذِي بَرِيَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ

مَنْ هُوَ ، لِأَنَّ يَسُوعَ كَانَ قَدْ اخْتَفَى ، حَيْثُ كَانَ

١٤ ذَلِكَ الْمَكَانُ مُزْدَجِمًا بِالنَّاسِ . ❖ وَبَعْدَ ذَلِكَ

وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ فَقَالَ لَهُ : « هَا أَنْتَ ذَا قَدْ

بَرِئْتَ ، فَلَا تَعُدْ إِلَى الْحِطْيَةِ؛ لِئَلَّا يُصِيبَكَ مَا هُوَ

١٥ أَسْوَأُهُ. » ❖ فَمَضَى الرَّجُلُ وَقَالَ لِلْيَهُودِ إِنَّ

١٦ يَسُوعَ هُوَ الَّذِي أَبْرَأَهُ. ❖ وَمِنْ ثَمَّ أَخَذَ الْيَهُودُ

يُطَارِدُونَ يَسُوعَ وَيَسْعَوْنَ إِلَى قَتْلِهِ ، لِأَنَّهُ صَنَعَ هَذَا

(١) مت ١٩ : ٦ - ١٦

٢ - ١١ : ٥ لوقا ٢٤

(٢) يوح ١٩ : ١٤

(٣) خر ٢٠ : ١٠ - ١٢

١٣ - ١٩ : ١٧ - ٢١

٢ - ١٢ : ٢٠ - ٢١

٢ - ٢٤ : ٤ - ١٠

١٣ - ١٤ : ٢ - ١٤

(٤) يوح ٨ : ١١

(٥) مت ١٢ : ١٢ - ١٥

(تابع) مُعْجَرَةٌ شِفَاءِ الْعَلِيلِ عِنْدَ بَرَكَةِ بَيْتِ حَسَدَا . يوحنا ٥ : ١٦ - ٢٥

١٧ في السَّبْتِ . ❖ أَمَّا يَسُوعُ فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا : « إِنَّ

أَبِي حَتَّى الْآنَ يَعْمَلُ وَأَنَا أَيْضًا أَعْمَلُ » .

١٨ ❖ فَاشْتَدَّتْ رَغْبَةُ الْيَهُودِ فِي قَتْلِهِ ٢ ، لِأَنَّهُ لَمْ

يَنْقُضِ السَّبْتَ فَحَسَبُ ، وَإِنَّمَا قَالَ أَيْضًا : اللَّهُ

١٩ أَبِي ، مُسَاوِيًا نَفْسَهُ بِاللَّهِ ٣ . ❖ وَمِنْ ثَمَّ أَجَابَ

يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ : « الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ

الرِّبْنَ لَا يَسْعُهُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا ، إِلَّا

مَا يَرَى الْآبَ يَعْمَلُهُ . لِأَنَّ كُلَّ مَا يَعْمَلُهُ الْآبُ ،

٢٠ يَعْمَلُهُ الرِّبْنُ أَيْضًا . ❖ فَإِنَّ الْآبَ يُحِبُّ

الرِّبْنَ ، وَهُوَ يُرِيهِ كُلَّ مَا يَعْمَلُ ، وَسِرِّيهِ أَعْمَالًا

٢١ أَعْظَمَ ٤ مِنْ هَذِهِ لِتَتَعْجَبُوا أَنْتُمْ . ❖ لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ

الْآبَ يُقِيمُ الْمَوْتَى وَيُحْيِيهِمْ ٥ ، هَكَذَا الرِّبْنُ

٢٢ يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ ٨ . ❖ فَإِنَّ الْآبَ لَا يَدِينُ

أَحَدًا ، وَإِنَّمَا سَلَّمَ الْقَضَاءُ كُلَّهُ لِلرِّبْنِ ٩ ،

٢٣ ❖ لِيُمَجِّدَ الْجَمِيعُ الرِّبْنَ كَمَا يُمَجِّدُونَ الْآبَ .

وَمَنْ لَا يُمَجِّدُ الرِّبْنَ ، لَا يُمَجِّدُ الْآبَ الَّذِي

٢٤ أَرْسَلَهُ ١٠ . ❖ الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَنْ

يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي ١١ لَهُ الْحَيَاةُ

الْأَبَدِيَّةُ ١٢ ، وَلَنْ يَأْتِيَ إِلَى دِينُونَةٍ ١٣ ، وَإِنَّمَا يَنْتَقِلُ

٢٥ مِنْ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ ١٤ . ❖ الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ

❖  
١١  
❖

(١) يوحنا ٩ : ٤  
(٢) يوحنا ٨ : ١٩

(٣) يوحنا ٦ : ٢٧  
يوحنا ٦ : ٢٧  
(٤) يوحنا ٨ : ٣٠  
يوحنا ٨ : ٢٨

(٥) يوحنا ٨ : ١٢  
يوحنا ٨ : ١٧  
(٦) يوحنا ٨ : ١٦  
(٧) يوحنا ٨ : ١٧

(٨) يوحنا ٨ : ١٤  
يوحنا ٨ : ١١  
(٩) يوحنا ٨ : ١١  
يوحنا ٨ : ١٨

(١٠) يوحنا ٨ : ١٧  
يوحنا ٨ : ٢٧  
يوحنا ٨ : ٢٧

(١١) يوحنا ٨ : ١٧  
يوحنا ٨ : ٢٧  
يوحنا ٨ : ٢٧

(١٢) يوحنا ٨ : ١٧  
يوحنا ٨ : ٢٧  
يوحنا ٨ : ٢٧

(١٣) يوحنا ٨ : ١٧  
يوحنا ٨ : ٢٧  
يوحنا ٨ : ٢٧

(١٤) يوحنا ٨ : ١٧  
يوحنا ٨ : ٢٧  
يوحنا ٨ : ٢٧

(تابع) مُعْجِزَةٌ شِفَاءُ الْعَلِيلِ عِنْدَ بَرَكَةِ بَيْتِ حَسَدًا . يوحنا ٥ : ٢٥-٣٥

- لَكُمْ : إِنَّ ثَمَّةَ سَاعَةٍ تَأْتِي ١ ، وَقَدْ آتَتْ الْآنَ ،  
 يَسْمَعُ فِيهَا الْمَوْتَى ٢ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ  
 يَسْمَعُونَ يَحْيَوْنَ ٣ . ❖ لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْآبَ لَهُ ٢٦  
 الْحَيَاةُ فِي ذَاتِهِ . هَكَذَا أَعْطَى الْإِبْنَ أَنْ تَكُونَ لَهُ  
 الْحَيَاةُ فِي ذَاتِهِ . ❖ وَقَدْ أَعْطَاهُ السُّلْطَانَ لِأَنَّ  
 يَدَيْهِ ، لِأَنَّهُ ابْنُ الْإِنْسَانِ ٦ . ❖ لَا تَعْجَبُوا مِنْ  
 هَذَا ، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ يَسْمَعُ فِيهَا كُلُّ الَّذِينَ فِي  
 الْقُبُورِ صَوْتَهُ ٧ . ❖ فَيُخْرِجُ ٨ الَّذِينَ عَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا  
 السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ ٩ . ❖ أَنَا وَحْدِي ٣٠  
 لَا أَسْتَطِيعُ مِنْ نَفْسِي أَنْ أَعْمَلَ شَيْئًا ١٠ ، وَإِنَّمَا  
 حَسْبَمَا أَسْمَعُ أُدِينُ ، وَدِينَوْتِي عَادِلَةٌ ١١ ، لِأَنِّي  
 لَا أَبْتَغِي مَشِيئَتِي ، بَلْ مَشِيئَةَ الْآبِ الَّذِي  
 أَرْسَلَنِي ١٢ . ❖ لَوْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي لَمَا كَانَتْ  
 شَهَادَتِي حَقًّا ١٣ . ❖ وَإِنَّمَا هُنَاكَ آخِرُ ١٤ شَهْدٍ  
 لِي ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ الَّتِي يَشْهَدُ لِي بِهَا حَقٌّ .  
 ❖ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ يُوْحَنَّا فَشْهَدَ بِالْحَقِّ ١٥ .  
 ❖ وَأَنَا لَا أَقْبَلُ شَهَادَةَ مَنْ يُنْسَانُ ١٦ . وَلَكِنِّي أَقُولُ  
 هَذَا لِتَخْلُصُوا أَنْفُسَكُمْ . ❖ ذَلِكَ كَانَ هُوَ السَّرَاجُ ٣٥

(١) ٢١-٢٢

(٢) ٢٤-٢٥

(٣) ٢٥-٢٦

(٤) ٢٦-٢٧

(٥) ٢٧-٢٨

(٦) ٢٨-٢٩

(٧) ٢٩-٣٠

(٨) ٣٠-٣١

(٩) ٣١-٣٢

(١٠) ٣٢-٣٣

(١١) ٣٣-٣٤

(١٢) ٣٤-٣٥

(١٣) ٣٥-٣٦

(١٤) ٣٦-٣٧

(١٥) ٣٧-٣٨

(١٦) ٣٨-٣٩

(١٧) ٣٩-٤٠

(١٨) ٤٠-٤١

(١٩) ٤١-٤٢

(٢٠) ٤٢-٤٣

(٢١) ٤٣-٤٤

(٢٢) ٤٤-٤٥

(٢٣) ٤٥-٤٦

(٢٤) ٤٦-٤٧

(٢٥) ٤٧-٤٨

(٢٦) ٤٨-٤٩

(٢٧) ٤٩-٥٠

(٢٨) ٥٠-٥١

(٢٩) ٥١-٥٢

(٣٠) ٥٢-٥٣

(٣١) ٥٣-٥٤

(٣٢) ٥٤-٥٥

(٣٣) ٥٥-٥٦

(٣٤) ٥٦-٥٧

(٣٥) ٥٧-٥٨

(٣٦) ٥٨-٥٩

(٣٧) ٥٩-٦٠

(٣٨) ٦٠-٦١

(٣٩) ٦١-٦٢

(٤٠) ٦٢-٦٣

(تابع) مُعْجِزَةٌ شِفَاءُ الْعَلِيلِ عِنْدَ بَرَكَةِ بَيْتِ حَسَدَا . يوحنا ٥ : ٣٥-٤٤

(١) ٢ : ٢١

١٩ : ٣٠ - ١٧

(٢) ٢١ : ٢٦

٥ : ١

(٣) ١ : ٩

(٤) ١١ : ٢٥

(٥) ١١ : ٢٨

(٦) ١١ : ٢٤

١١ : ٢٣

٤ : ١١

(٥) ١٤ : ٢٤

(٦) ١٧ : ٢٣

(٧) ٣ : ١٧

١٧ : ٢٤

٢٧ : ٢٧

(٨) ١٢ : ١٢

١١ : ١٠

١٧ : ١٠

١٤

(٩) ١٤ : ٢٢

(١٠) ٢٨ : ٢٢

٣٤ : ١٦

٢٩ : ٥

٥٢ : ١٧

٢ : ١٧

(١١) ١٨ : ١٥

١٨ : ٢٥

٢٧ : ١٠

١٣ : ٢٧

(١٢) ١١ : ٣٠

١٩

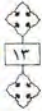
(١٣) ٣٤ : ٤٤

٧ : ١٨

٦

(١٤) ٦ : ٥

(١٥) ٢٤ : ٥



المُوقَدِّ الْمُنِيرِ ، وَقَدْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْتَلُوا بِنُورِهِ سَاعَةً<sup>١</sup> . ❖ أَمَا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ عَظِيمٌ مِنْ شَهَادَةِ

يُوحَنَّا<sup>٢</sup> ، لِأَنَّ الْأَعْمَالَ ؛ الَّتِي أَعْطَانِي أَبِي لِأَنْجِزَهَا ، تِلْكَ الْأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا ، هِيَ نَفْسَهَا الَّتِي تَشْهَدُ لِي بِأَنَّ الْآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي<sup>٣</sup> .

❖ وَالْآبُ نَفْسَهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ الَّذِي شَهِدَ لِي<sup>٤</sup> . وَأَنْتُمْ لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُمْ

صُورَتَهُ<sup>٥</sup> . ❖ وَكَلِمَتُهُ لَا مَقْرَلَهَا فِيكُمْ ، لِأَنَّكُمْ

لَمْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي أَرْسَلَهُ . ❖ إِحْثُوا فِي الْأَسْفَارِ

الْمُقَدَّسَةِ<sup>٦</sup> ، لِأَنَّكُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ ، وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي<sup>٧</sup> .

❖ وَلَكِنَّكُمْ لَا تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ

الْحَيَاةُ<sup>٨</sup> . ❖ مَجْدًا مِنَ النَّاسِ لَا أَقْبَلُ<sup>٩</sup> .

❖ وَلَكِنِّي عَرَفْتُكُمْ . إِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ لَيْسَتْ

فِيكُمْ<sup>١٠</sup> . ❖ لَقَدْ جِئْتُ بِاسْمِ أَبِي وَلَكِنَّكُمْ

لَا تَقْبَلُونَنِي ، وَلَوْ أَنَّ غَيْرِي جَاءَ بِاسْمِ نَفْسِهِ

لَقَبِلْتُمُوهُ<sup>١١</sup> . ❖ كَيْفَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ

تَقْبَلُونَ الْمَجْدَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ<sup>١٢</sup> . وَأَمَّا الْمَجْدُ

الَّذِي مِنَ اللَّهِ الْوَاحِدِ وَحْدَهُ فَلَا تَبْتَغُونَهُ<sup>١٣</sup> .

انظر الصفحة التالية

مُعْجَزَةُ إِشْبَاعِ الحَمْسَةِ الآلَافِ .

يوحنا ٥ : ٤٥ - ٤٧ ، ٦ : ١ - ٣

- ٤٥ ❖ لَا تَنْظُرُوا أَنِّي أَشْكُوكُمْ إِلَى الْآبِ . فَإِنَّ هُنَاكَ  
مَنْ يَشْكُوكُمْ وَهُوَ مُوسَى الَّذِي جَعَلْتُمْ فِيهِ  
رَجَاءَكُمْ . ❖ فَإِنَّكُمْ لَوَكُنْتُمْ تَوَمِّنُونَ بِمُوسَى  
لَكُنْتُمْ تَوَمِّنُونَ بِي أَيْضًا ، لِأَنَّهُ كَتَبَ عَنِّي .  
٤٦ ❖ فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَوَمِّنُونَ بِمَا كَتَبَهُ ، فَكَيْفَ تَوَمِّنُونَ  
٤٧ بِكَلَامِي ؟ .

(١٦) يور ٤١ - ١٢  
٤٣  
(١٧) يور ١٧ - ٢٠  
١٢ - ٢٤ - ١ - ١  
١٧  
(١) يور ٢ - ١٢  
(٢) نك ٣ - ١٥  
١٢ - ١٨ - ٣  
٢٢ - ١٨ - ٢٤ - ١٠  
١ - ١٨ - ١٥ - ١٨ - ١٠  
١ - ٤٥ - ٢٦ - ٢٢  
(٣) يور ١ - ١٣  
مت ١٤ - ١٣ - ٢١  
مر ٦ - ٣٢ - ٤٤ - ١٠  
١٧ - ١ - ٩  
(٤) مت ٤ - ١٨ - ١٠  
١ - ٥  
(٥) يور ٢١ - ١ - ٦  
٢٣  
(٦) يور ٢ - ١١  
(٧) يور ٦ - ١٥ - مت  
١ - ٥



الفصل السادس

- ١ ❖ وَمَضَى ٣ يَسُوعُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الضَّفَةِ  
الأخرى من بحر الجليل ، الذي هو بحر  
طبرية . ❖ وقد تبعه جمع عظيم ، لأنهم كانوا  
٢ قد رأوا معجزاته التي صنعها للمرضى .  
٣ ❖ فصعد يسوع إلى الجبل ٧ وجلس هناك مع

مُعْجَزَةُ إِشْبَاعِ  
الحَمْسَةِ  
الآلَافِ  
بِخَمْسِ  
خُبْرَاتٍ  
وَسَمَكَيْنِ :

(تابع) مُعْجَزَةُ إِشْبَاعِ الْخَمْسَةِ الْآلَافِ .

يوحنا ٦ : ٣ - ١٣

- ٤ تَلَامِيذِهِ . ❖ وَكَانَ الْفِصْحُ<sup>١</sup> ، عِيدُ الْيَهُودِ ، قَدْ  
 ٥ اقْتَرَبَ ، ❖ فَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ وَرَأَى جَمْعًا  
 عَظِيمًا مُقْبِلًا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِفِيلِئُسَ<sup>٢</sup> : « مِنْ أَيْنَ  
 ٦ نَشْتَرِي خُبْزًا لِيَأْكُلَ هَؤُلَاءِ ؟ » ❖ وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا  
 لِيَمْتَحِنَهُ<sup>٣</sup> ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ مَا كَانَ هُوَ نَفْسُهُ مُزْمَعًا  
 ٧ أَنْ يَفْعَلَ . ❖ فَأَجَابَ فِيلِئُسُ قَائِلًا : « إِنْ خُبْزًا  
 بِمِائَتِي دِينَارٍ لَا يَكْفِي لِيَبَالَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْرًا  
 ٨ ضَيْلًا » . ❖ وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ وَهُوَ  
 ٩ أَنْدَرَاوُسُ<sup>٤</sup> أَخُو سِمَعَانَ بَطْرُسَ : ❖ « إِنَّ هُنَا  
 غَلَامًا مَعَهُ خَمْسُ خُبْزَاتٍ مِنَ الشَّعِيرِ وَسَمَكَتَانِ<sup>٥</sup> .  
 وَلَكِنْ مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ بِالنِّسْبَةِ لِكُلِّ هَذَا  
 ١٠ الْجَمْعِ ؟ » ❖ فَقَالَ يَسُوعُ : « اجْعَلُوا النَّاسَ  
 يَجْلِسُونَ » . وَكَانَ ثَمَّةَ عَشْبُ كَثِيرٍ فِي الْمَكَانِ  
 فَجَلَسُوا عَلَيْهِ ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافٍ .  
 ١١ ❖ وَمِنْ ثَمَّ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَاتِ وَشَكَرَ<sup>٦</sup> وَبَارَكَهَا  
 ثُمَّ قَسَمَهَا عَلَى الْجَالِسِينَ ، وَكَذَلِكَ السَّمَكَتَيْنِ  
 ١٢ يَقْدِرُ مَا رَغِبَ كُلُّ مِنْهُنَّ . ❖ حَتَّى إِذَا شَبِعُوا قَالَ  
 يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ : « اجْمَعُوا مَا فَضَّلَ مِنَ الْكَيْسِرِ لِتِلَّا  
 ١٣ بِصِغَعِ شَيْءٍ مِنْهَا » ، ❖ فَجَمَعُوهَا ، وَمَلَأُوا اثْنَتَيْ

(١) لا ١٣ : ٥  
 تث ١٦ : ١١  
 ١٣

(٢) لا ١ : ٤٣  
 (٣) تث ١٣ : ٥  
 ٢ : ٢٠

(٤) لا ١١ : ٢٢  
 (٥) لا ٢ : ٢  
 (٦) لا ١ : ٤٣  
 (٧) تث ١١ : ٩  
 ١٣

(٨) لا ٤ : ٤٣  
 (٩) تث ١٥ : ٢٦



اليهود يحاولون اختطاف السيد المسيح ليجعلوه ملكًا . يوحنا ٦ : ١٣ - ٢١

عَشْرَةَ فُقَّةً مِنَ الْكَبْسِ الَّتِي فَضَلْتَ عَنِ الْآكِلِينَ مِنْ  
خَمْسَةِ أَرْغَفَةِ الشَّعِيرِ .

اليهود  
يحاولون

اختطاف

السيد

المسيح

ليجعلوه ملكًا

فيرفض

ذلك :

١٤ ﴿ فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الْآيَاتِ الَّتِي صَنَعَهَا

يَسُوعُ قَالُوا : « هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الَّاتِي إِلَى

١٥ الْعَالَمِ » . ﴿ أَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ رَأَى عِنْدَيْدِ انْتِهِمُ

اعْتَرَمُوا أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتطفوه لِيَجْعَلوه مَلِكًا ٢ ،

إِنْصَرَفَ ٣ إِلَى الْجَبَلِ وَحده .

١٦ ﴿ حَتَّى إِذَا كَانَ الْمَسَاءُ نَزَلَ تَلَامِيذُهُ إِلَى

١٧ الْبَحْرِ ٤ . ﴿ وَرَكِبُوا سَفِينَةً وَعَبَرُوا الْبَحْرَ مَتَّجِهِينَ

إِلَى كَفْرَ نَاحُومَ ٥ ، وَقَدْ خِيَمَ الظَّلَامُ ، وَلَمْ يَكُنْ

١٨ يَسُوعُ قَدْ جَاءَ بَعْدَ إِلَيْهِمْ . ﴿ وَكَانَ الْبَحْرُ

١٩ هَائِجًا ، إِذْ هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيحٌ شَدِيدَةٌ . ﴿ فَلَمَّا

كَانُوا قَدْ جَدُّوا وَأَوْغَلُوا نَحْوَ خَمْسِ وَعِشْرِينَ

أَوْ ثَلَاثِينَ غَلَوَةً ٦ ، أَبْصَرُوا يَسُوعَ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ

٢٠ وَمُقْبِلًا نَحْوَ السَّفِينَةِ ، فَخَافُوا . ﴿ فَقَالَ لَهُمْ :

٢١ « أَنَا هُوَ . لَا تَخَافُوا » ٧ . ﴿ وَمِنْ ثَمَّ رَغِبُوا فِي أَنْ

يَأْخُذوه مَعَهُمْ فِي السَّفِينَةِ . وَمَا لَبِثَتِ السَّفِينَةُ أَنْ

بَلَغَتْ شَاطِئَ الْأَرْضِ الَّتِي كَانُوا يَقْصِدُونَهَا .

معجزة المشي

على ماء

البحر :

(١) تلك ٢٩ - ١٠

مت ١٨ - ١٥ - ١٨

مت ٢١ - ٣ - ٢١

٤ - ٢١ - ١١ - ١١

٥ - ٧ - ٢٥ - ١٩

(٢) مت ١٨ - ٣٦ - ١٨

(٣) مت ١٥ - ٦ - ٢١

مت ١٤ - ٢٢ - ٣٣

مت ٦ - ٤٥ - ٥١

(٤) مت ١٤ - ٢٤ - ١٠

١٧ - ٦

(٥) مت ٦ - ٢٤ - ٥٩

مت ٦ - ٢٥

(٦) مت ١٤ - ٢٧

الْجُمُوعُ تَتَّبِعُ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ فَيُؤَصِّلُ تَعْلِيمَهَا . يوحنا ٦ : ٢٢ - ٢٨

الْجُمُوعُ تَتَّبِعُ  
السَّيِّدَ الْمَسِيحَ  
فَيُؤَصِّلُ  
تَعْلِيمَهَا :

٢٢ ❖ وَفِي الْعَدِ كَانَ الْجَمْعُ<sup>١</sup> الْوَاقِفُ عَلَيَّ

الضَّفَّةِ الْأُخْرَى مِنَ الْبَحْرِ ، قَدْ رَأَوْا أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ  
ثَمَّةَ سَفِينَةٍ أُخْرَى إِلَّا تِلْكَ الَّتِي رَكِبَهَا التَّلَامِيذُ ،  
وَأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَرْكَبِ السَّفِينَةَ مَعَ تَلَامِيذِهِ ، وَإِنَّمَا  
إِنْطَلَقَ التَّلَامِيذُ وَحَدَهُمْ . ❖ بَيِّدَ أَنَّ سَمْعًا أُخْرَى

لَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَقْبَلْتَ مِنْ طَبْرِئَةٍ إِلَى قُرْبِ الْمَكَانِ  
الَّذِي أَكَلُوا فِيهِ الْخُبْزَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى الرَّبُّ عَلَيْهِ

٢٤ صَلَاةَ الشُّكْرِ . ❖ فَلَمَّ رَأَتْ الْجُمُوعُ أَنَّهُ لَا يَسُوعُ

كَانَ هُنَاكَ وَلَا تَلَامِيذَهُ ، رَكِبُوا هُمْ أَيْضًا السَّفِينَ ،  
وَجَاءُوا إِلَى كَفْرَ نَاحُومَ يَبْحَثُونَ عَنْ يَسُوعَ .

٢٥ ❖ فَلَمَّا وَجَدُوهُ عَلَيَّ الضَّفَّةِ الْأُخْرَى مِنَ الْبَحْرِ

قَالُوا لَهُ : « يَا مُعَلِّمُ<sup>٦</sup> مَتَى جِئْتَ إِلَى هُنَا ؟ » .

٢٦ ❖ فَاجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ : « الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ

لَكُمْ إِنَّكُمْ تَبْحَثُونَ عَنِّي ، لِأَنَّكُمْ رَأَيْتُمُ  
الْمُعْجَزَاتِ<sup>٧</sup> ، وَإِنَّمَا لِأَنَّكُمْ أَكَلْتُمْ مِنَ الْخُبْزِ

٢٧ وَشَبِعْتُمْ . ❖ اَعْمَلُوا لِأَمِنْ أَجْلِ الطَّعَامِ

الْفَانِي<sup>٨</sup> ، وَإِنَّمَا مِنْ أَجْلِ الطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ  
الْأَبَدِيَّةِ<sup>٩</sup> ، الَّذِي يُعْطِيكُمْ ابْنَ الْإِنْسَانِ<sup>١٠</sup> ، لِأَنَّ

٢٨ هَذَا قَدْ أَقْرَهُ اللَّهُ الْآبَ بِحُكْمِهِ<sup>١١</sup> . ❖ فَقَالُوا

(١) بي ٦ : ٢  
(٢) بي ٦ : ١٥  
(٣) بي ٦ : ١٦  
(٤) بي ٦ : ١١  
(٥) بي ١٧ : ٢٤ و ١٧ : ٢٥  
مت ١٤ : ٥٩  
مر ٥٣ : ٥  
(٦) مت ٢٣ : ٧  
(٧) بي ٦ : ٢ و ١٤ : ٣٠  
(٨) ١ كو ٦ : ١٣  
نفر ٥٥  
(٩) بي ٦ : ٤٠ و ٤٧ : ٥  
١٤ : ١٥  
١٧ : ٢٨ و ١٠ : ١٤  
٢ : ١١  
(١٠) بي ٥٣ : ١٦  
مت ٨ : ٢٠  
(١١) مت ٣ : ١٧  
١٧ : ١٠ و ١١ : ١١  
٩ : ٧ و ٣ : ٢٢  
٩ : ٣٥ و ١٥ : ٢٣  
٣ : ٣٣ و ٥ : ٢٧  
٨ : ١٨ و ٢٢ : ٢٢  
٢ : ١٧

(تابع) الْجُمُوعُ تَتَّبِعُ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ .

يوحنا ٦ : ٢٨ - ٣٩

- له : « مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ اللَّهِ ؟ » .
- ٢٩ ❖ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ : « هَذَا هُوَ عَمَلُ اللَّهِ : أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي أَرْسَلَهُ ٢ . » ❖ فَقَالُوا لَهُ : « آيَةٌ آيَةٌ تَصْنَعُ ٣ أَنْتَ لِنَرِي وَنُؤْمِنَ بِكَ ؟ أَيْ عَمَلٍ تَصْنَعُ ؟ » ❖ إِنَّ آبَاءَنَا أَكَلُوا مِنَ الْمَنِّ فِي الْبَرِّيَّةِ ، وَفَقَّا لِمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا ٤ . ❖ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : « الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مُوسَى لَمْ يُعْطِكُمْ الْخُبْزَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَإِنَّمَا أَبِي هُوَ الَّذِي يُعْطِيكُمْ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ مِنَ السَّمَاءِ . ❖ لِأَنَّ خُبْزَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَيَهَبُ الْحَيَاةَ لِلْعَالَمِ . » ❖ فَقَالُوا لَهُ : « يَا رَبُّ أَعْطِنَا هَذَا الْخُبْزَ فِي كُلِّ حِينٍ » . ❖ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : « أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ . ❖ مَنْ يَقْبَلْهُ إِلَى فَلَانْ يَجُوعَ . وَمَنْ يُوْمِنْ بِسِي فَالَنْ يَعْطَشَ أَبَدًا ٧ . ❖ وَلَكِنِّي قُلْتُ لَكُمْ ٨ إِنَّكُمْ قَدْ رَأَيْتُمُونِي وَلَمْ تُؤْمِنُوا . ❖ كُلُّ مَنْ يُعْطِنِيهِ الْآبُ يَقْبَلُ إِلَيَّ ، وَمَنْ يَقْبَلُ ٩ إِلَيَّ لَا أَتَّقِي بِهِ حَارِجًا ١٠ . ❖ لِأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ ، لِأَعْمَلَ بِمَشِيئَتِي ١١ ، وَإِنَّمَا بِمَشِيئَةِ الَّذِي أَرْسَلَنِي ١٢ . ❖ وَهَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الْآبِ الَّذِي

(١) ١ - ٣

(٢) ٢٢ - ٢٣

(٣) ٢٢ - ٢٣

(٤) ٢٦ - ٢٧

(٥) ١٧ - ١٨

(٦) ١٢ - ١٣

(٧) ١١ - ١٢

(٨) ١١ - ١٢

(٩) ١١ - ١٢

(١٠) ١١ - ١٢

(١١) ١١ - ١٢

(١٢) ١١ - ١٢

(١٣) ١١ - ١٢

(١٤) ١١ - ١٢

(١٥) ١١ - ١٢

(١٦) ١١ - ١٢

(١٧) ١١ - ١٢

(١٨) ١١ - ١٢

(١٩) ١١ - ١٢

(٢٠) ١١ - ١٢

(٢١) ١١ - ١٢

(٢٢) ١١ - ١٢

(٢٣) ١١ - ١٢

(٢٤) ١١ - ١٢

(٢٥) ١١ - ١٢

(٢٦) ١١ - ١٢

(٢٧) ١١ - ١٢

(٢٨) ١١ - ١٢

(٢٩) ١١ - ١٢

(٣٠) ١١ - ١٢

(٣١) ١١ - ١٢

(٣٢) ١١ - ١٢

(٣٣) ١١ - ١٢

(٣٤) ١١ - ١٢

(٣٥) ١١ - ١٢

(٣٦) ١١ - ١٢

(٣٧) ١١ - ١٢

(٣٨) ١١ - ١٢

(٣٩) ١١ - ١٢

(تابع) الْجُمُوعُ تَتَّبِعُ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ . يوحنا ٦ : ٣٩ - ٤٨

- ٤٠ أَرْسَلَنِي : أَنْ كُلَّ الَّذِينَ أَعْطَانِي لِأَهْلِكَ مِنْهُمْ أَحَدًا ، بَلْ أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ ٢ . ❖ لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَسِيَّتُهُ أَبِي الَّذِي أَرْسَلَنِي : أَنْ كُلَّ مَنْ بَرَى ٣ الْإِبْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ . وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ .
- ٤١ ❖ فَتَدْمَرُ الْيَهُودُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ قَالَ : «أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ» ٥ . ❖ وَقَالُوا : «الَيْسَ هَذَا هُوَ يَسُوعُ بْنُ يَوْسُفَ الَّذِي نَحْنُ نَعْرِفُ ٦ أَبَاهُ وَأُمَّهُ . فَكَيْفَ يَقُولُ الْآنَ إِنِّي نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ؟» ٧ . ❖ فَاجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ :
- ٤٢ «لَا تَدْمَرُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ . ❖ مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْبَلَ نَحْوِي مَا لَمْ يَجْتَذِبْهُ إِلَى الْآبِ ٨ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ . ❖ إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي أَسْفَارِ الْأَنْبِيَاءِ ٩ أَنَّ الْجَمِيعَ سَيَكُونُونَ مُتَعَلِّمِينَ مِنَ اللَّهِ ١٠ . فَكُلُّ مَنْ اسْتَمَعَ إِلَيَّ أَبِي وَتَعَلَّمَ مِنْهُ يَقْبَلُ نَحْوِي ١١ . ❖ لِأَحَدٍ قَدْ رَأَى الْآبَ ١٢ إِلَّا الَّذِي هُوَ مِنَ اللَّهِ ١٣ ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي قَدْ رَأَى الْآبَ ١٤ . ❖ الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ . ❖ أَنَا هُوَ خُبْزُ

(١) يو ١٠ : ٢٨

(٢) يو ١٢ : ١٨ ، ٩

(٣) يو ٦ : ٤٠ ، ٤٤

(٤) يو ١١ : ٢٤

(٥) يو ١٢ : ١٥ ، ١٥

(٦) يو ١٧ : ١٩

(٧) يو ٣ : ١٥ ، ١٦

(٨) يو ٤ : ١٤ ، ٥

(٩) يو ٦ : ٢٤ ، ٤٠

(١٠) يو ١٧ : ٢٦ ، ٢٧

(١١) يو ١٧ : ٢٦ ، ٢٧

(١٢) يو ١٧ : ٢٦ ، ٢٧

(١٣) يو ١٧ : ٢٦ ، ٢٧

(١٤) يو ١٧ : ٢٦ ، ٢٧

(١٥) يو ٦ : ٢٦ ، ٢٧

(١٦) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(١٧) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(١٨) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(١٩) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٢٠) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٢١) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٢٢) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٢٣) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٢٤) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٢٥) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٢٦) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٢٧) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٢٨) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٢٩) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٣٠) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٣١) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٣٢) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٣٣) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٣٤) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٣٥) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٣٦) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٣٧) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

(٣٨) يو ٤ : ١٤ ، ١٥

تابع ) الْجُمُوعُ تَتَّبِعُ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ .

يوحنا ٦ : ٤٨ - ٥٧

- ٤٩ الْحَيَاةُ ١ . ❖ أَبَاوَكُمْ أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ ٢٥٦ ٢٣ ٦ بي (١)  
 وَمَاتُوا ٢ . ❖ أَمَّا هَذَا فَهُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ ٥١ ٥١  
 السَّمَاءِ ، لِيَأْكُلَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ فَلَا يَمُوتَ ٣ . ❖ أَنَا ٥١ ٥١ ٦ بي (٣)  
 هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ٤ . مَنْ يَأْكُلْ ١٣ ١٣ بي (٤)  
 مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ . وَالْخُبْزُ الَّذِي  
 سَأَعْطِيهِ أَنَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي سَأَبْدِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ  
 الْعَالَمِ ٥ .  
 ٥٢ ❖ فَأَخَذَ الْيَهُودُ يُجَادِلُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا  
 قَائِلِينَ : « كَيْفَ يَسْتَطِيعُ هَذَا أَنْ يُعْطِينَا جَسَدَهُ ١٠ ١٠ ١٢ بي (٢)  
 لِنَأْكُلَهُ ٧ ؟ » : ❖ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : « الْحَقُّ ١٠ ١٢ ٦ بي (٦)  
 الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : مَا لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ ١٠ ١٢ ٦ بي (٦)  
 الْإِنْسَانِ ٨ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ فَلَنْ تَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِي ١٠ ١٢ ٦ بي (٦)  
 أَنْفُسِكُمْ ٩ . ❖ مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبَ دَمِي ١٠ ١٢ ٦ بي (٦)  
 فَلَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ ١٠ ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ ١٠ ١٢ ٦ بي (٦)  
 الْأَخِيرِ . ❖ لِأَنَّ جَسَدِي هُوَ طَعَامٌ حَقًّا ، وَدَمِي ١٠ ١٢ ٦ بي (٦)  
 هُوَ شَرَابٌ حَقًّا . ❖ مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبَ ١٠ ١٢ ٦ بي (٦)  
 دَمِي يَثْبُتَ فِيَّ ، وَأَنَا أَيْضًا أُقِيمُ فِيهِ ١١ . ❖ كَمَا ١٠ ١٢ ٦ بي (٦)  
 أَنَّ الْآبَ الْحَيَّ ١٢ قَدْ أَرْسَلَنِي ١٣ ، وَأَنَا كَذَلِكَ أَحْيَا ١٠ ١٢ ٦ بي (٦)  
 بِالْآبِ ، هَكَذَا فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُنِي يَحْيَا بِي . ١٠ ١٢ ٦ بي (٦)



يوحنا ٦ : ٥٨ - ٦٦ (تابع) الْجُمُوعُ تَتَّبِعُ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ فَيُؤَصِّلُ تَعْلِيمَهَا .

- ٥٨ ❖ هَذَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ١ . وَهُوَ لَيْسَ كَالْمَنْ الَّذِي أَكَلَهُ آبَاؤُكُمْ ثُمَّ مَاتُوا ٢ . مَنْ يَأْكُلُ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ ٣ .
- ٥٩ ❖ قَالَ هَذَا وَهُوَ يَعْلَمُ فِي مَجْمَعِهِمْ ؛ يَكْفَرُ نَاحُومٌ ٥ .
- ٦٠ ❖ فَحِينَ سَمِعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلَامِيذِهِ قَالُوا : « إِنَّ هَذَا كَلَامٌ عَسِيرٌ ٦ . مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْمَعَ إِلَيْهِ » ٧ . ❖
- ٦١ ❖ وَإِذْ عَلِمَ يَسُوعُ فِي نَفْسِهِ ٨ أَنْ تَلَامِيذَهُ تَدْمُرُوا مِنْ كَلَامِهِ ، قَالَ لَهُمْ : « أَهَذَا يَجْعَلُكُمْ تَرْتَابُونَ ٩ ؟ ❖ فَمَاذَا لَوَرَأَيْتُمْ ابْنَ الْإِنْسَانِ صَاعِدًا إِلَى حَيْثُ كَانَ مِنْ قَبْلِ ١٠ ؟
- ٦٢ ❖ إِنَّ الرُّوحَ هُوَ الَّذِي يُحْيِي ١١ ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَلَا يَجِدِي نَفْعًا . وَالْكَلَامُ الَّذِي قَلْتَهُ لَكُمْ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ ١٢ . ❖ وَلَكِنَّ قَوْمًا مِنْكُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٣ » ،
- ٦٣ فَقَدْ كَانَ يَسُوعُ مِنْذُ الْبَدَءِ يَعْلَمُ ١٤ مَنْ هُمُ الَّذِينَ سَوْفَ لَا يُؤْمِنُونَ وَمَنْ هُوَ الَّذِي سَيَسْلِمُهُ ١٥ ،
- ٦٤ ❖ وَمِنْ تَمَّ قَالَ : « لِذَلِكَ قُلْتُ لَكُمْ ١٦ إِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْبِلَ إِلَيَّ مَا لَمْ يُؤْهَبْ مِنْ أَبِي » ١٧ .
- ٦٥ ❖ لِذَلِكَ ١٨ نَكَّصَ كَثِيرٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ عَلَى

(١) يوحنا ٦ : ٤٩ و٥١  
(٢) يوحنا ٦ : ٣١ و٤٩  
(٣) يوحنا ٦ : ٤٧ و٥١  
(٤) يوحنا ٦ : ٣٠ و٥٨  
(٥) يوحنا ٦ : ٢٤ و٢٦  
(٦) متى ٤ : ٢٣  
(٧) يوحنا ٦ : ٢٤  
(٨) يوحنا ٦ : ٦١  
(٩) متى ١١ : ١١ و٦٦  
(١٠) متى ١٦ : ١٦ و١٩  
(١١) متى ١٠ : ١٣ و١٤  
(١٢) متى ٢ : ٢ و٣  
(١٣) يوحنا ٦ : ٦٦ و٦٧  
(١٤) يوحنا ٦ : ٦٥  
(١٥) يوحنا ٦ : ٢٤ و٢٥  
(١٦) متى ١٠ : ١٣ و١٤  
(١٧) متى ٢٧ : ٣  
(١٨) يوحنا ٦ : ٦٦ و٦٧

(تابع) الْجُمُوعُ تَتَّبِعُ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ فَيُؤَاصِلُ تَعْلِيمَهَا

يوحنا ٦٦: ٦٦-٧١

- ٦٧ أَعْقَابِهِمْ ، فَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ . ❖ فَقَالَ  
يَسُوعُ لِلْآثْنِي عَشْرًا : « أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا تُرِيدُونَ  
٦٨ أَنْ تَمْضُوا ؟ » ❖ أَجَابَهُ سِمْعَانُ بَطْرُسُ :  
« يَا رَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَدَهَبُ ؟ إِنَّ كَلَامَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ  
عِنْدَكَ ٢ . » ❖ وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا بِبَيِّنٍ أَنَّكَ  
٦٩ أَنْتَ هُوَ قُدُّوسُ اللَّهِ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيُّ ٣ .  
٧٠ ❖ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ : « أَلَمْ أَكُنْ أَنَا الَّذِي  
اخْتَرْتُكُمْ ؟ أَنْتُمْ الْآثْنِي عَشْرُ ، وَوَاحِدٌ مِنْكُمْ  
٧١ لَيْلِيسُ ٤ . » ❖ قَالَ هَذَا عَنْ يَهُوذَا بْنِ سِمْعَانَ  
الْإِسْخَرِيوطِيِّ ٥ ، أَحَدِ الْآثْنِي عَشْرَ ، لِأَنَّهُ كَانَ هُوَ  
الَّذِي اعْتَزَمَ أَنْ يُسَلِّمَهُ ٦ .

(١) يو ٦٦: ٧-٧٠ الخ

٢: ٢٤ ، ٢٠ متى

٢: ١٠

(٢) أن ٥: ٢٠

(٣) مت ١٦: ١٦

٨: ٢٩ ، ٢٠

يو ١١: ٢٩

٦٠-٦٣ ، ٢٧

٤٩ الخ ، مر ١: ٢٤

(٤) يو ١٥: ١٦ ، ١٩

(٥) لو ٦: ١٣ ، يو

١٣: ٢٧ ، ١٨ ، ٤٤

١٢: ١٧

(٦) يو ١٣: ٢ ، ٢٦

٤: ١٢

(٧) يو ١٤: ١٠

(٨) يو ٦: ٦٤



السيد المسيح يدخل هيكل اورشليم في عيد المظال ويخاطب الشعب .

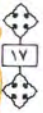
يوحنا ٧ : ١ - ٦



### الفصل السابع

(١) ي ٤ : ٣ - ٦  
١ - ١١ : ٥٤  
(٢) ي ١٩ : ١ - ٧  
١١ : ٣٥ و ١٥ : ١١  
(٣) ي ١٦ : ١٨ - ١٧  
١١ : ٤٠ و ٣٧ : ٨  
١٧ : ١٧ - ١٩

السيد المسيح  
يدخل هيكل  
اورشليم في  
عيد المظال  
ويخاطب  
الشعب :



١٧

(٤) ي ١٣ : ٣٤ - ٣٥  
١٣ : ١٧  
١٦ : ١٩  
(٥) ي ١٢ : ٤٦ - ١٣  
١٢ : ١٤ - ١٣  
١٧ : ١٠ و ٧  
(٦) ي ١٦ : ٦  
(٧) ي ٣ : ٢١

١ ❖ وَأَخَذَ يَسُوعُ بَعْدَ ذَلِكَ يَجُولُ فِي الْجَلِيلِ ، وَلَمْ يَسَأْ أَنْ يَجُولَ فِي الْيَهُودِيَّةِ ، لِأَنَّ الْيَهُودَ ٢ كَانُوا يَبْتَغُونَ قَتْلَهُ ٣ . ❖ حَتَّى إِذَا اقْتَرَبَ عِيدَ الْمَظَالِ ، عِنْدَ الْيَهُودِ ، ❖ قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ : ٣ « ارْتَحِلْ مِنْ هُنَا وَامْضِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ ، حَتَّى يَرَى تَلَامِيذُكَ ٦ أَيْضًا أَعْمَالَكَ الَّتِي تَصْنَعُهَا . ❖ فَإِنَّهُ لَا أَحَدٌ يَعْمَلُ شَيْئًا فِي الْحَفِيَّةِ وَهُوَ يَبْغِي ٤ أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا . إِنْ كُنْتَ تَعْمَلُ هَذِهِ الْأَعْمَالَ فَأَظْهَرِ نَفْسَكَ لِلْعَالَمِ » ، ❖ إِذْ أَنَّ إِخْوَتَهُ أَنْفُسَهُمْ ٥ لَمْ يَكُونُوا يُؤْمِنُونَ بِهِ ٧ . ❖ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ :



السيد المسيح يدخل هيكل اورشليم .

يوحنا ٧ : ٦ - ١٦

- ١ « إِنْ وَقَتِي لَمْ يَأْتِ بَعْدُ . وَأَمَّا أَنْتُمْ فَوَقْتَكُمْ مَهِيًا »  
٢ (١) يوحنا ٧ : ٦ - ٨ ، مت ٢٠ : ٢١ ، ١٨ : ٢٦
- ٣ فِي كُلِّ حِينٍ . ❖ إِنْ الْعَالَمَ لَا يُؤْمِنُ أَنْ  
يُبْعِضَكُمْ .<sup>٢</sup> « أَمَّا أَنَا فَيُبْعِضُنِي ، لِأَنِّي أَشْهَدُ عَلَيْهِ  
بِأَنَّ أَعْمَالَهُ شَرِيرَةٌ .<sup>٣</sup> ❖ فَاصْعَدُوا أَنْتُمْ إِلَيَّ  
أَلَيْدٍ ، وَأَمَّا أَنَا فَلَنْ أَصْعَدَ الْآنَ إِلَى هَذَا الْعِيدِ ،  
لَأَنَّ وَقَتِي لَمْ يَحِنْ بَعْدُ .<sup>٤</sup> ❖ قَالَ لَهُمْ هَذَا  
وَمَكَثَ فِي الْجَلِيلِ . ❖ ثُمَّ بَعْدَ أَنْ صَعِدَ  
إِخْوَتُهُ ، صَعِدَ هُوَ أَيْضًا إِلَى الْعِيدِ ، وَلَكِنْ لَيْسَ  
عِلَاقِيَّةً ، بَلْ كَمَسْتِيرٍ . ❖ فَكَانَ الْيَهُودُ يَبْحَثُونَ  
عَنْهُ فِي الْعِيدِ قَائِلِينَ « أَيْنَ هُوَ ؟ » . ❖ وَكَانَ ثَمَّةَ  
كَثِيرٌ مِنَ التَّهَامُسِ فِي شَأْنِهِ بَيْنَ جُمُوعِ الشَّعْبِ .  
فَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُونَ : « إِنَّهُ إِنْسَانٌ صَالِحٌ »<sup>٥</sup> ،  
فِي حِينٍ كَانَ الْبَعْضُ الْآخَرَ يَقُولُونَ « كَلَّا . بَلْ إِنَّهُ  
يُضِلُّ الشَّعْبَ » . ❖ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ  
عِلَاقِيَّةً عَنْهُ خَوْفًا مِنَ الْيَهُودِ . ❖ حَتَّى إِذَا  
انْقَضَتْ نِصْفُ أَيَّامِ الْعِيدِ صَعِدَ يَسُوعُ إِلَى  
الْهَيْكَلِ ، وَأَخَذَ يُعَلِّمُ . ❖ فَكَانَ الْيَهُودُ  
يَتَعَجَّبُونَ قَائِلِينَ : « كَيْفَ يَعْرِفُ هَذَا الْكُتُبَ وَهُوَ  
لَمْ يَتَعَلَّمْ ؟ » . ❖ فَاجَابَهُمْ يَسُوعُ قَائِلًا : « إِنْ
- (٢) يوحنا ٧ : ٢٤ ، ٤٠ ، ٤٢  
(٣) مت ٢١ : ٢٦ ، لوقا ٧ : ١٦  
(٤) يوحنا ٧ : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤  
(٥) يوحنا ٧ : ٢٦ ، ٢٦ ، ٢٤

(١) ٣-١١-٨

(٢) ٢٨-١٢-٤٤

١٢٤

(٣) ٨-١٣-٣

(٤) ٢٦-٢٤-١٤

١٢-٣٢-١٢

١٠

(٥) ٤١-٨-٨

٥-١٢-٤٣

(٦) ٢٤-٣-٣٠

(٧) ١٧-٤-٣١

٧-٣٨

(٨) ١٢-١٤-٣٠

(٩) ٦-١١-١٨

(١٠) ١٦-١٨-١٠

(١١) ٣١-١١-٥٣

٧-١

(١٢) ١٨-٤٨-٢٥

(١٣) ١٠-٢٠-١١

١٨

(١٤) ٧-١٣-٥٠

٢-٩-١٦

(١٥) ١٢-٣-١٧

(١٦) ١٧-١٠-١٠

(١٧) ٤-١٠-٨

(١٨) ١٢-١٢-١٠

٥-١٠

(١٩) ٨-٢٥-٩

١٦

(٢٠) ١-١٦

(٢١) ٢٤-٢٣

(٢٢) ١٥-١٠-١١

(٢٣) ١٥-١٠-١١

(٢٤) ٣-١١-٩

تَعْلِمِي لَيْسَ مِنْ عِنْدِي ، بَلْ مِنْ عِنْدِ الَّذِي  
أَرْسَلَنِي ١ . ❖ فَإِنْ عَمِلَ أَحَدٌ بِمِشِيئَةِ الَّذِي

أَرْسَلَنِي فَسَيَعْرِفُ عِنْدِي أَمَا كَانَ تَعْلِمِي ٢ مِنْ اللَّهِ أَمْ  
أَنْنِي أَتَكَلَّمُ مِنْ عِنْدِي وَحْدِي . ❖ إِنْ مَنْ يَتَكَلَّمُ

مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ وَحْدَهُ إِنَّمَا يَبْتَغِي مَجْدَ نَفْسِهِ ٣ . وَأَمَّا  
الَّذِي يَبْتَغِي مَجْدَ الَّذِي أَرْسَلَهُ فَهُوَ صَادِقٌ

وَلَا يَبْتَغِي ظُلْمًا . ❖ أَمَا أَعْطَاكُمْ مُوسَى  
الشَّرِيعَةَ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ يَعْمَلُ

بِالشَّرِيعَةِ ؟ لِمَاذَا تَسْعَوْنَ إِلَيَّ قَتْلِي ؟ ❖ أَجَابَ  
الْجَمْعُ وَقَالُوا : « إِنْ بَكَ شَيْطَانًا . مَنْ الَّذِي

يَسْعَى إِلَيَّ قَتْلِكَ ؟ » . ❖ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ  
لَهُمْ : « لَقَدْ أَتَيْتُ عَمَلًا وَاحِدًا ٤ فَدَهَشْتُمْ كُلَّكُمْ .

❖ لَقَدْ أَعْطَاكُمْ مُوسَى الْخِتَانَ ٥ ، وَهُوَ لَيْسَ مِنْ  
مُوسَى ، وَإِنَّمَا مِنَ الْآبَاءِ ٦ . وَأَنْتُمْ تَخْتَنُونَ الْإِنْسَانَ

فِي السَّبْتِ . ❖ فَإِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ ٧ يُخْتَنُ فِي  
السَّبْتِ لِلثَّلَا تَنْقُضَ شَرِيعَةَ مُوسَى ، أَفَتَسْحَطُونَ

عَلَيَّ لِأَنْنِي شَفَيْتُ إِنْسَانًا بِأَكْمَلِهِ فِي السَّبْتِ ٨ ؟  
❖ لَا تَحْكُمُوا حَسَبَ الظَّاهِرِ ، وَإِنَّمَا احْكُمُوا

بِالْحَقِّ ٩ » . ❖ فَقَالَ قَوْمٌ مِنْ أُورُشَلِيمَ : « أَلَيْسَ

رُؤَسَاءَ الْيَهُودِ يُحَاوِلُونَ الْقَبْضَ عَلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ . يوحنا ٧ : ٢٥ - ٣٣

٢٦ هَذَا هُوَ الَّذِي يَتَّبِعُونَ قَتْلَهُ . ❖ وَهَا هُوَذَا يَتَكَلَّمُ

(١) لوقا ٢٣ : ١٣

١ ٢  
(٢) يوحنا ٧ : ٤٨

عَلَانِيَةً ، وَلَا يَقُولُونَ لَهُ شَيْئًا ، فَهَلْ أَيْقَنَ الرُّؤَسَاءُ

٢٩ : ٤ : ٣١

٢٧ أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ ؟ ❖ إِلَّا أَنَّ هَذَا قَدْ عَرَفْنَا

(٣) متى ١٣ : ٥٥

١٦ : ٣ : ٢٢ يوحنا  
١٦ : ٤٢ : ٧ يوحنا

مِنْ أَيْنَ هُوَ ؟ ، وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَمَتَى جَاءَ فَسَوْفَ

٢٩ : ٩

٢٨ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ هُوَ . ❖ فَرَفَعَ يَسُوعُ

(٤) يوحنا ٧ : ١٤

(٥) يوحنا ٨ : ١٤

صَوْتَهُ فِي الْهَيْكَلِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ قَائِلًا : « إِنِّكُمْ

(٦) يوحنا ٨ : ٤٣

٤٢

تَعْرِفُونَنِي ، وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ . وَأَنَا لَمْ آتِ

(٧) يوحنا ٨ : ٢٢

٢٦ : ٤٢ : ٣٠ يوحنا

مِنْ نَفْسِي وَحْدِي ، وَإِنَّمَا أُرْسَلْتُ ذَلِكَ الَّذِي هُوَ

(٨) يوحنا ٨ : ١٨

٥٥

٢٩ حَقٌّ ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْرِفُونَهُ . ❖ أَمَا أَنَا فَأَعْرِفُهُ ،

(٩) متى ١١ : ٢٧ يوحنا

١١ : ١٥ : ٨ يوحنا

لَأَنِّي مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي أُرْسَلَنِي .

١٧ : ٢٥

٣٠ ❖ فَأَرَادُوا عِنْدَئِذٍ أَنْ يَقْبِضُوا عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّ

(١٠) يوحنا ٦ : ٢٦

(١١) يوحنا ٣ : ١٧

أَحَدًا لَمْ يَلْقَ عَلَيْهِ يَدًا ، لِأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ

(١٢) لوقا ١١ : ١٨ يوحنا

١٩ : ٤٧ : ٢٠ يوحنا

٣١ جَاءَتْ بَعْدُ . ❖ وَقَدْ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنْ

٨ : ٣٧ : ١٠ يوحنا

متى ٢٦ : ٤٦

الْجَمْعِ .<sup>١٤</sup> قَائِلِينَ : « أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مَتَى جَاءَ

(١٣) يوحنا ٧ : ٤٤

٦ : ٢٠ : ١٨ يوحنا

يَصْنَعُ مَعْجَزَاتٍ<sup>١٦</sup> أَكْثَرَ مِنْ تِلْكَ الَّتِي صَنَعَهَا

(١٤) متى ١٢ : ٢٣ يوحنا

١١ : ٤٢ : ١١ يوحنا

هَذَا ؟ » .

١٢ : ٤٢ : ١١ يوحنا

٣٢ ❖ وَقَدْ سَمِعَ الْفَرِيْسِيُّونَ أَنَّ الْجَمْعَ يَتَّهَمُسُونَ

٢٣

(١٥) يوحنا ٧ : ٢٦

بِذَلِكَ فِي شَأْنِهِ ، فَأَرْسَلَ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ

(١٦) يوحنا ٧ : ١١

٣٣ وَالْفَرِيْسِيُّونَ خَدَمًا<sup>١٧</sup> لِيَقْبِضُوا عَلَيْهِ .<sup>١٨</sup> ❖ فَقَالَ

(١٧) يوحنا ٧ : ٤٥ متى

٢٦ : ٥٨

(١٨) متى ١٢ : ١٤

يوحنا ٧: ٣٣-٤١

(١) ١٣ - ٢٣

(٢) ١٩ - ٣٥ - ١٢

(٣) ١٩ - ١٦

(٤) ١٦ - ١٦ - ١٥

(٥) ١٢ - ١٤ - ١٧

(٦) ١٧ - ٢٠

(٧) ١٨ - ٦ - ٨

(٨) ١٧ - ٢٣ - ١٢

(٩) ٣٦

(١٠) ١٧ - ٧

(١١) ٢٢ - ٨

(١٢) ١١ - ١٢

(١٣) ١١ - ١ - ١١

(١٤) ١

(١٥) ١٢ - ١٢ - ٢٠

(١٦) ١٤ - ١٧ - ٢

(١٧) ١٦ - ٤ - ١٨

(١٨) ٢٦ - ٢٣ - ١٨

(١٩) ١٨ - ٨ - ٢٩

(٢٠) ١١ - ٥٥ - ١١

(٢١) ٢٢ - ٣٥ - ٦

(٢٢) ١٧ - ٤ - ١٧

(٢٣) ١١ - ١٤ - ٣

(٢٤) ١١ - ٥٥ - ١٠

(٢٥) ١١ - ١٨ - ٤

(٢٦) ١٢ - ١٣ - ١٢

(٢٧) ٢١ - ١٤ - ٨

(٢٨) ٤

(٢٩) ١٢ - ٢ - ٢٨

(٣٠) ١

(٣١) ١٣ - ١٤ - ٣

(٣٢) ١٧ - ٧ - ٢

(٣٣) ٢ - ٨ - ٣٨

(٣٤) ٢ - ١ - ١٤

(٣٥) ٤ - ٢٣ - ١٨

(٣٦) ٢٢ - ٢٠

انظر الصفحة التالية

يَسُوعُ : « أَنَا بَاقٍ مَعَكُمْ زَمَانًا يَسِيرًا ثُمَّ أَمْضِي إِلَى

الَّذِي أَرْسَلَنِي <sup>٢</sup> . ❖ عِنْدَيْدٍ سَتَطْلُبُونَنِي

فَلَا تَجِدُونَنِي <sup>٣</sup> . وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لَنْ تَسْتَطِيعُوا

أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا <sup>٤</sup> . ❖ فَقَالَ الْيَهُودُ فِيمَا بَيْنَهُمْ :

« إِلَى أَيْنَ يُزْمَعُ هَذَا أَنْ يَذْهَبَ حَتَّى إِنْنَا

لَا نَجِدُهُ ؟ أَلَمْ نَعْلَمْ مُزْمِعٌ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى شَتَاتِ

الْيُونَانِيِّينَ وَيُعَلِّمَ الْيُونَانِيِّينَ <sup>٥</sup> ؟ ❖ مَا هَذَا

الْكَلَامُ الَّذِي يَقُولُهُ : سَتَطْلُبُونَنِي فَلَا تَجِدُونَنِي ،

وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا ؟ <sup>٦</sup> .

❖ وَفِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ الْعَظِيمِ مِنَ الْعِيدِ <sup>٧</sup>

وَقَفَّ يَسُوعُ وَصَاحَ قَائِلًا : « إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ

إِلَيَّ وَيَشْرَبْ <sup>٨</sup> . ❖ مَنْ آمَنَ بِي كَمَا قَالَ الْكِتَابُ <sup>٩</sup>

سَتَجْرِي مِنْ بَاطِنِهِ أَنْهَارٌ مَاءٍ حَيٍّ <sup>١٠</sup> . ❖ وَإِنَّمَا

قَالَ هَذَا عَنِ الرُّوحِ <sup>١١</sup> الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ

عَتِيدِينَ أَنْ يَتَأَلَّوهُ <sup>١٢</sup> ، لِأَنَّ الرُّوحَ <sup>١٣</sup> لَمْ يَكُنْ قَدْ

أُعْطِيَ بَعْدُ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يَسُوعُ بَعْدُ قَدْ تَمَجَّدَ <sup>١٤</sup> .

❖ فَحِينَ سَمِعَ ذَلِكَ الْكَلَامَ قَوْمٌ مِنَ الْجَمْعِ

قَالُوا : « هَذَا بِالْحَقِيقَةِ هُوَ النَّبِيُّ <sup>١٥</sup> » . ❖ وَقَالَ

آخَرُونَ : « هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ <sup>١٦</sup> » . ❖ وَقَالَ غَيْرُهُمْ :

(تابع) رؤساء اليهود يحاولون القبض على السيد المسيح . يوحنا ٧: ٤١-٥٢

- ٤٢ « أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مِنَ الْجَلِيلِ يَا بَنِي ؟ » ❖ « أَلَمْ يَقُلِ الْكِتَابُ<sup>١</sup> إِنَّهُ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ وَمِنْ قَرْيَةِ بَيْتِ لَحَمَ التِّي مِنْهَا كَانَ دَاوُدُ<sup>٢</sup> يَا بَنِي الْمَسِيحُ ؟ » ❖ « وَمِنْ تَمَّ حَدَثَ انْشِقَاقُ<sup>٣</sup> بَيْنَ الْجَمْعِ فِي شَأْنِهِ .  
٤٤ ❖ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمٌ مِنْهُمْ أَنْ يَقْبِضُوا عَلَيْهِ<sup>٤</sup> ، وَلَكِنْ أَحَدًا لَمْ يُلْقِ عَلَيْهِ يَدًا .

(١) يو ١٢ : ١٦  
(٢) ١٦ : ١٦ ، ٧ : ١٤  
(٣) ١٦ : ١٧ ، ١٨ : ١٦  
(٤) ١٨ : ١٦ ، ١٩ : ١٦ ، ٢٠ : ١٦ ، ٢١ : ١٦ ، ٢٢ : ١٦ ، ٢٣ : ١٦ ، ٢٤ : ١٦ ، ٢٥ : ١٦

- ٤٥ ❖ « تَمَّ جَاءَ الْجُنْدُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ ، فَقَالَ هَوْلَاءُ لَهُمْ : « لِمَاذَا لَمْ تَأْتُوا بِهِ ؟ » ❖ فَأَجَابَ الْجُنْدُ : « مَا تَكَلَّمُ إِنْسَانٌ قَطُّ بِعِثْلِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ هَذَا الْإِنْسَانُ » ❖ فَقَالَ الْفَرِيسِيُّونَ لَهُمْ : « أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا قَدْ ضَلَلْتُمْ ؟ » ❖ « هَلْ آمَنَ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ أَوْ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ ؟ » ❖ « وَلَكِنَّ هَذَا الشَّعْبَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الشَّرِيعَةَ شَعْبٌ مَلْعُونٌ » ❖ فَقَالَ لَهُمْ نِيقُودِيمُوسُ الَّذِي كَانَ قَدْ جَاءَ إِلَى يَسُوعَ كَيْلَاً ، وَكَانَ وَاحِدًا مِنْهُمْ : ❖ « هَلْ تَحْكُمُ شَرِيعَتَنَا عَلَى أَحَدٍ مَا لَمْ تَسْمَعْ مِنْهُ أَوَّلًا<sup>١</sup> ، وَتَعْرِفُ مَاذَا فَعَلَ ؟ » ❖ فَأَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ « أَلَعَلَّكَ أَنْتِ أَيْضًا مِنْ ٥٢

(١) يو ١ : ٢٦ ، ٧ : ٥٢  
(٢) يو ١١ : ١٣ ، ١٤ : ١٣ ، ١٥ : ١٣ ، ١٦ : ١٣ ، ١٧ : ١٣ ، ١٨ : ١٣ ، ١٩ : ١٣ ، ٢٠ : ١٣ ، ٢١ : ١٣ ، ٢٢ : ١٣ ، ٢٣ : ١٣ ، ٢٤ : ١٣ ، ٢٥ : ١٣ ، ٢٦ : ١٣ ، ٢٧ : ١٣ ، ٢٨ : ١٣ ، ٢٩ : ١٣ ، ٣٠ : ١٣ ، ٣١ : ١٣ ، ٣٢ : ١٣ ، ٣٣ : ١٣ ، ٣٤ : ١٣ ، ٣٥ : ١٣ ، ٣٦ : ١٣ ، ٣٧ : ١٣ ، ٣٨ : ١٣ ، ٣٩ : ١٣ ، ٤٠ : ١٣ ، ٤١ : ١٣ ، ٤٢ : ١٣ ، ٤٣ : ١٣ ، ٤٤ : ١٣ ، ٤٥ : ١٣ ، ٤٦ : ١٣ ، ٤٧ : ١٣ ، ٤٨ : ١٣ ، ٤٩ : ١٣ ، ٥٠ : ١٣ ، ٥١ : ١٣ ، ٥٢ : ١٣

المرأة الزانية وهل يدينها المسيح . يوحنا ٧ : ٥٢ و٥٣ ؛ ٨ : ١-٥

(١) بر ١٩ : ٢٠  
٢ : ١٤ ، ٢٥  
٤ : ١٥

الجليل ؟ إبحث وانظر . فإنه لا يقوم نبي من  
الجليل<sup>١</sup> . ومن ثم إنصرف كل منهم إلى  
بيته .



### الفصل الثامن

- ١ ❖ أما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون<sup>٢</sup> ،
- ٢ ❖ ثم في الصباح الباكر عاد إلى الهيكل ،  
وأقبل الشعب كله إليه ، فجلس<sup>٣</sup> يعلمهم .
- ٣ ❖ وقدم إليه رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيون  
امرأة ضبطوها وهي تزني ، وأقاموها في الوسط :  
٤ ❖ وقالوا له : « يا معلم قد ضبطنا هذه المرأة  
٥ متلبسة وهي تزني ، وشريعة موسى تقضي

(٢) متى ٢١ : ١  
(٣) مت ٢٦ : ٥٥  
٨ : ٢٠

المرأة الزانية وهل يدينها المسيح.

يوحنا ٨ : ٥-١٤

- ٦ بِرَجْمِهَا<sup>١</sup> ، فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ ؟<sup>٢</sup> . ﴿ فَاذْكُرُوا هَذَا لِيُخْرِجُوهُ<sup>٣</sup> كَيْ يَجِدُوا مَا يَتَّهَمُونَهُ<sup>٤</sup> بِهِ . وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى يَحُطُّ بِإِصْبَعِهِ عَلَى الْأَرْضِ ، ﴿ وَإِذْ اسْتَبَطَّأُوا إِجَابَتَهُ وَالْحَوَا عَلَيْهِ ، رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لَهُمْ : « مَنْ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ ؟ ، فَلْيَبْدَأْ وَيَرْمِهَا بِحِجْرِهِ » . ﴿ ثُمَّ انْحَنَى ثَانِيَةً يَحُطُّ عَلَى الْأَرْضِ . ﴿ فَلَمَّا سَمِعُوا هَذَا مِنْهُ وَفَهُمُوا تَوَيْبِحَهُ لَهُمْ<sup>٦</sup> ، أَخَذُوا يَخْرُجُونَ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، يَتَقَدَّمُهُمُ الشُّبُوحُ حَتَّى خَرَجُوا جَمِيعًا وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ ، وَالْمَرْأَةُ قَائِمَةٌ فِي الْوَسْطِ . ﴿ فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لَهَا : « يَا امْرَأَةٌ ، أَيْنَ أَوْلِيكَ الَّذِينَ حَكَمُوا عَلَيْكَ ؟ أَمَا أَدَانِكَ أَحَدٌ ؟<sup>٨</sup> . ﴿ قَالَتْ « لَا أَرَى أَحَدًا يَا سَيِّدِي » . فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ : « وَلَا أَنَا أَدِينُكَ<sup>٧</sup> ، فَادْهَبِي وَمِنَ الْآنَ لَا تَعُودِي تَحْطِئِينَ<sup>٩</sup> . »
- ١٢ ﴿ ثُمَّ خَاطَبَهُمْ يَسُوعُ قَائِلًا : « أَنَا هُوَ نُورٌ الْعَالَمِ<sup>٩</sup> . مَنْ يَتَّبِعْنِي لَا يَسِيرُ فِي الظَّلَامِ<sup>١٠</sup> ، وَإِنَّمَا يَكُونُ لَهُ نُورٌ الْحَيَاةِ<sup>١١</sup> . ﴿ فَقَالَ لَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ : « إِنَّكَ تَشْهَدُ لِنَفْسِكَ ، فَشَهِادَتُكَ كَيْسَتْ حَقًّا<sup>١١</sup> . »
- ١٤ ﴿ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ : « إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ

(١) ١٠ : ١٢ ، ١١ : ٢٢

(٢) مت ٢٦ : ٦

(٣) ١٩ : ٣١ ، ٢٢ : ١٨

(٤) مر ٨ : ١١

(٥) ١٠ : ٢٢ ، ١٢ : ١٥

(٦) ١٠ : ٢٥ ، ١١ : ١٦

(٧) ٣ : ٢٣

(٨) مت ١٧ : ١٧

(٩) ١٧ : ١٧ ، ١٧ : ١٠

(١٠) ١٠ : ٢٢

(١١) ٢٢ : ٢٢ ، ٢٢ : ٢٢

(٧) ١٠ : ٩ ، ١٠ : ٩٢

(٨) ١٧ : ٣

(٩) ١٠ : ١١ ، ١٠ : ٩

(١٠) ١٩ : ١٩ ، ١٠ : ٥

(١١) ١٢ : ٣٥ ، ١٢ : ٣٦ ، ١٢ : ٤٦

٣٥ : ٢

(١٠) مت ١٤ : ٥

(١١) ١٠ : ٣١

السيد المسيح

يوصل التعليم

في هيكلي

أورشليم :

السيد المسيح يواصل التعليم في الهيكل .

يوحنا ٨ : ١٤ - ٢٢

- ١٥ أشهدُ لِنَفْسِي فَشَهِدَتِي حَقًّا ، لِأَنِّي أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ جِئْتُ ، وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ جِئْتُ وَلَا إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ . ٣ . ﴿ انْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ تَدِينُونَ ، وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَدِينُ أَحَدًا . ٥ . ﴿ وَإِنِّي وَإِنْ دِنْتُ فَدِينُونِي حَقًّا ، لِأَنِّي لَسْتُ وَحْدِي ، بَلْ أَنَا وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي . ٧ . ﴿ وَقَدْ جَاءَ فِي شَرِيعَتِكُمْ ٨ . أَنَّ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ حَقًّا ، فَإِنَّا أَشْهَدُ لِنَفْسِي ، وَيَشْهَدُ لِي أَبِي الَّذِي أَرْسَلَنِي ٩ ﴾ ﴿ قَالُوا لَهُ : « أَيْنَ أَبِيكَ ؟ » ، فَاجَابَ يَسُوعُ قَائِلًا : « إِنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلَا تَعْرِفُونَ أَبِي ١٠ . لَوْ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَنِي لَكُنْتُمْ تَعْرِفُونَ أَبِي أَيْضًا ١١ . » قَالَ يَسُوعُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِي الْخِرَانَةِ ١٢ وَهُوَ يَعْلَمُ فِي الْهَيْكَلِ ١٣ . وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهِ ١٤ ، لِأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ آتَتْ بَعْدُ ١٥ .
- ٢١ ﴿ وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا « إِنِّي سَأَمْضِي وَسَتَأْخُذُونَ تَبْحَثُونَ عَنِّي ١٦ وَتَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ ١٧ . فَحَيْثُ أَمْضِي أَنَا لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا ١٨ ﴾ ﴿ فَقَالَ الْيَهُودُ ١٨ : « لَعَلَّهُ سَيَقْتُلُ نَفْسَهُ

(١) يوحنا ١٨ : ٢٧ - ٣٠  
 (٢) يوحنا ١٣ : ٣١ - ٣٦  
 (٣) يوحنا ٨ : ٢٧ - ٢٨  
 (٤) يوحنا ٧ : ٢٤ - ٢٥  
 (٥) يوحنا ٣ : ١٧ - ١٨  
 (٦) يوحنا ٥ : ٣٠ - ٣١  
 (٧) يوحنا ٨ : ٢٤ - ٢٥  
 (٨) يوحنا ١٧ : ١٧ - ١٨  
 (٩) يوحنا ١٠ : ٣٧ - ٤٠  
 (١٠) يوحنا ٨ : ١٥ - ١٦  
 (١١) يوحنا ٨ : ١٧ - ١٨  
 (١٢) يوحنا ٨ : ١٢ - ١٣  
 (١٣) يوحنا ٨ : ١٢ - ١٣  
 (١٤) يوحنا ٧ : ٢٧ - ٢٨  
 (١٥) يوحنا ٧ : ٢٧ - ٢٨  
 (١٦) يوحنا ٧ : ٢٧ - ٢٨  
 (١٧) يوحنا ٨ : ١٢ - ١٣  
 (١٨) يوحنا ٨ : ١٢ - ١٣



(تابع) السيد المسيح يواصل التعليم في الهيكل . يوحنا ٨ : ٢٢ - ٣١

- ٢٢ (١) يوحنا ٧ : ٣٥  
 إِذْ يَقُولُ حَيْثُ أَمْضَى أَنَا لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْتُمْ أَنْ  
 تَأْتُوا<sup>١</sup> . ❖ فَقَالَ لَهُمْ « أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلِ<sup>٢</sup> وَأَمَّا أَنَا  
 فَمِنْ فَوْقَ . أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ<sup>٣</sup> وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ  
 مِنْ هَذَا الْعَالَمِ<sup>٤</sup> . ❖ لِذَلِكَ قُلْتُ لَكُمْ إِنْكُمْ  
 سَمَّوْتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ ، لِأَنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِأَنِّي  
 أَنَا هُوَ<sup>٥</sup> فَسَمَّوْتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ<sup>٦</sup> . ❖ قَالُوا  
 لَهُ : « مَنْ أَنْتَ ؟ » . فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : « أَنَا ذَاكَ  
 الَّذِي مُنْذُ الْبَدْءِ كَلَّمْتُكُمْ عَنْهُ . ❖ إِنْ عِنْدِي  
 الْكَثِيرُ لِأَقُولَهُ وَأَحْكُمُ بِهِ فِي شَأْنِكُمْ ، بِيَدِ الَّذِي  
 أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ<sup>٨</sup> ، وَمَا سَمِعْتَهُ مِنْهُ هُوَ الَّذِي أَتَكَلَّمُ  
 بِهِ فِي الْعَالَمِ<sup>٩</sup> . ❖ فَلَمْ يَدْرُوا أَنَّهُ يَكَلِّمُهُمْ عَنِ  
 الْآبِ . ❖ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : « حِينَمَا تَرْفَعُونَ  
 ابْنَ الْإِنْسَانِ<sup>١١</sup> تُدْرِكُونَ عِنْدِي أَنِّي أَنَا هُوَ<sup>١١</sup> ، وَأَنِّي  
 لَا أَعْمَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي وَحْدِي<sup>١٢</sup> ، وَإِنَّمَا أَتَكَلَّمُ  
 بِمَا عَلَّمَنِي أَبِي<sup>١٣</sup> . ❖ إِنْ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ  
 مَعِيَ<sup>١٤</sup> وَلَمْ يَتْرِكْنِي وَحْدِي<sup>١٥</sup> ، لِأَنِّي فِي كُلِّ  
 حِينٍ أَعْمَلُ مَا يُرْضِيهِ<sup>١٦</sup> . ❖ وَإِذْ قَالَ هَذَا آمَنَ  
 بِهِ كَثِيرُونَ<sup>١٧</sup> . ❖ فَقَالَ يَسُوعُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا  
 بِهِ : « إِنْ ظَلَمْتُمْ<sup>١٨</sup> مَتَمَسِّكِينَ بِكَلَامِي تَكُونُوا

(٢) يوحنا ٣ : ٣١  
 (٣) يوحنا ١٥ : ١٩  
 (٤) يوحنا ١٦ : ١-١٦  
 (٥) يوحنا ١٧ : ١٤  
 (٦) يوحنا ١٣ : ١٦-١٧  
 (٧) يوحنا ١٦ : ١٦-١٧  
 (٨) يوحنا ٨ : ٢١  
 (٩) يوحنا ٨ : ٢١  
 (١٠) يوحنا ٨ : ٢١  
 (١١) يوحنا ٨ : ٢١  
 (١٢) يوحنا ٨ : ٢١  
 (١٣) يوحنا ٨ : ٢١  
 (١٤) يوحنا ٨ : ٢١  
 (١٥) يوحنا ٨ : ٢١  
 (١٦) يوحنا ٨ : ٢١  
 (١٧) يوحنا ٨ : ٢١  
 (١٨) يوحنا ٨ : ٢١

٢١  
 ٢٣  
 (١٨) يوحنا ١٥ : ٢٠-٢٧

(تابع) السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُوَاصِلُ التَّعْلِيمَ فِي الْهَيْكَلِ . يوحنا ٨ : ٣١ - ٤١

- ٣٢ بِالْحَقِيقَةِ تَلَامِيذِي<sup>١</sup> . ❖ وَتَعْرِفُوا الْحَقَّ ،
- ٣٣ وَالْحَقُّ يَحْرُرُكُمْ<sup>٢</sup> . ❖ فَاجَابُوهُ قَائِلِينَ : « إِنَّا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ<sup>٣</sup> ، وَلَمْ يَسْتَعْبِدْنَا أَحَدًا قَطُّ ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ : « إِنَّا نَحْنُ نَصِيرُونَ أحرارًا ؟ » .
- ٣٤ ❖ فَاجَابَهُمْ يَسُوعُ قَائِلًا : « الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كُلَّ مَنْ يَقْتَرِفُ الْحَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْحَطِيئَةِ<sup>٤</sup> . ❖ وَالْعَبْدُ لَا يَمْكُثُ فِي الْبَيْتِ إِلَى
- ٣٦ الْأَبَدِ<sup>٥</sup> ، وَأَمَّا الْإِنْسَانُ<sup>٦</sup> فَيَمْكُثُ إِلَى الْأَبَدِ . ❖ فَإِنْ حَرَّرُكُمْ الْإِنْسَانُ نَصِيرُوا بِالْحَقِيقَةِ أحرارًا<sup>٧</sup> . ❖ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ ، وَلَكِنَّكُمْ تَبْتَغُونَ قَتْلِي<sup>٨</sup> ، لَأَنَّ كَلَامِي لَا مَقَرَّ لَهُ فِيكُمْ . ❖ أَنَا أَتَكَلَّمُ بِمَا رَأَيْتُ لَدَى أَبِي<sup>٩</sup> ، وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ بِمَا سَمِعْتُمْ مِنْ أَبِيكُمْ<sup>١٠</sup> . ❖ فَاجَابُوا وَقَالُوا لَهُ :
- ٣٩ « أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ<sup>١١</sup> . فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : « لَوْ كُنْتُمْ أَبْنَاءَ إِبْرَاهِيمَ لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ<sup>١٢</sup> ، ❖ وَلَكِنَّكُمْ الْآنَ تَبْتَغُونَ قَتْلِي<sup>١٣</sup> ، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعْتُهُ مِنَ اللَّهِ<sup>١٤</sup> ، وَهَذَا مَا لَمْ يَفْعَلْهُ إِبْرَاهِيمُ . ❖ إِنَّا نَحْنُ نَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ<sup>١٥</sup> . فَقَالُوا لَهُ : « إِنَّا لَمْ نُؤَلِّدْ مِنْ زَنَى<sup>١٦</sup> ،

(١) يو ٢ : ٢٢

(٢) يو ٨ : ١٤

(٣) يو ٨ : ١٤ ، ١٨

(٤) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٥) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٦) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٧) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٨) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٩) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(١٠) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(١١) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(١٢) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(١٣) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(١٤) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(١٥) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(١٦) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(١٧) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(١٨) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(١٩) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٢٠) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٢١) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٢٢) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٢٣) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٢٤) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٢٥) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٢٦) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٢٧) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٢٨) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٢٩) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٣٠) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٣١) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٣٢) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٣٣) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٣٤) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٣٥) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٣٦) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٣٧) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٣٨) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٣٩) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(٤٠) يو ٨ : ٢٠ ، ٢٤

(تابع) السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُوَصِلُ التَّعْلِيمَ فِي الْهَيْكَلِ . يوحنا ٨ : ٤١ - ٤٩

- ٤٢ وَإِنَّمَا لَنَا أَبٌ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ. ❖ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : « لَوْ كَانَ اللَّهُ آبَاكُمْ لِأَحِبِّتُمُونِي <sup>٢</sup> ، لِأَنِّي مِنَ اللَّهِ خَرَجْتُ وَأَتَيْتُ <sup>٣</sup> . فَإِنَّا لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي وَحْدِي <sup>٤</sup> ، وَإِنَّمَا هُوَ الَّذِي أَرْسَلَنِي <sup>٥</sup> . ❖ لِمَاذَا ٤٣ لَا تَقْتَهُمُونَ كَلَامِي <sup>٦</sup> ؟ لِأَنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَسْتَمِعُوا إِلَيَّ مَا أَقُولُ <sup>٧</sup> . ❖ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ مِنْ أَبِي ٤٤ هُوَ إِبْلِيسُ <sup>٨</sup> ، وَشَهَوَاتُ أَبِيكُمْ تَبْتَغُونَ <sup>٩</sup> أَنْ تُتَمَمُوا . ذَلِكَ الَّذِي كَانَ مِنْذُ الْبَدْءِ قَتَالًا لِلنَّاسِ <sup>١٠</sup> ، وَلَمْ يَثْبِتْ عَلَى الْحَقِّ قَطُّ <sup>١١</sup> ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ شَيْءٌ . مَتَى تَكَلَّمْتُ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا عِنْدَهُ <sup>١٢</sup> ، لِأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذِبِ . ❖ وَأَمَّا أَنَا ٤٥ فَلَأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ <sup>١٣</sup> لَا تُؤْمِنُونَ بِي . ❖ مَنْ ٤٦ مِنْكُمْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبِتَ عَلَيَّ خَطِيئَتَهُ ؟ فَإِن كُنْتُ أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ ، فَلِمَاذَا لَا تُصَدِّقُونِي ؟ مَنْ ٤٧ كَانَ مِنَ اللَّهِ يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ <sup>١٤</sup> ، فَإِن كُنْتُمْ لَا تَسْمَعُونَ فَلَا تَكُونُوا لَكُمْ لِسْتُمْ مِنَ اللَّهِ . ❖ أَجَابَ ٤٨ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ : « أَلَمْ نَكُنْ عَلَى صَوَابٍ إِذْ قُلْنَا إِنَّكَ سَامِرِيٌّ ، وَبِكَ شَيْطَانٌ <sup>١٥</sup> ؟ » ❖ فَاجَابَ ٤٩ يَسُوعُ وَقَالَ : « أَنَا لَيْسَ بِي شَيْطَانٌ ، وَلَكِنِّي

(١) إيش ٦٢ - ٦٦

٦٤ - ١٨٨ - ١٧٠ - ٦

نث ٣٢ - ٦

(٢) ١ - ٥ - ١

(٣) ٢٧ - ١٦ - ٣

١٧ - ٣٠ - ٢٨ و

٣ - ١٣ - ٢٥ و ٨

(٤) ٢٨ - ١٦ - ٢٨

(٥) ٧ - ٤٣ - ٥

١٧ - ٣ - ٢٩ و ٢٨

(٦) ٨ - ١٧ - ١٧ - ٦

٤١ و ٣٩ و ٣٣

(٧) ٢٥ - ١٥ - ٦

(٨) مت ١٣ - ٣٨

١ - ٣ - ٨ و ١٥

(٩) ١٧ - ٧ - ١٦

(١٠) ٤ - ٣ - ٤

(١١) ١١ - ١٦ - ١

٤ - ٢

(١٢) مت ١٢ - ٣٤

(١٣) ٣٧ - ١٨ - ١٣

(١٤) ١٦ - ٢٦

١٠ - ٢٧ و ١ - ٤ - ٦

(١٥) ١٥ - ٢٠ - ٨

٤٨ - ١٠٢ - ١٠

٤ - ١٠ - ٩ - ٥

(تابع) السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُوَاصِلُ التَّعْلِيمَ فِي الْهَيْكَلِ . يُوحِنَا ٨ : ٤٩ - ٥٨

- ٥٠ أكرم أبي وأنتم تهينوني . ❖ إني لا أطلب  
 ٧ : ٤٩ ٥٠ : ١٨  
 ٥٤ : ١٨
- ٥١ ❖ الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ  
 ٢٣ : ١٤ ١٥  
 ٦ : ١٧ ٢٠ : ١٥
- ٥٢ كلامي ٢ ، فلن يرى الموت أبداً ٣ فقال له  
 ١١ : ٢٤ ٥٥ : ١٨  
 ١١ : ٢٤ ٥٥ : ١٨
- اليهود : « قد علمنا الآن أن بك شيطاناً . فقد  
 ٢٦ : ٢٦ ٢٧ : ٢٦  
 ٢٧ : ٢٦ ٢٧ : ٢٦
- مات إبراهيم والأنبياء ، وأنت تقول : إن كان  
 ٥٢ : ١٨ ٥٢ : ١٨  
 ٥٢ : ١٨ ٥٢ : ١٨
- أحد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت أبداً .
- ٥٣ ❖ أفأنت أعظم من آيين إبراهيم الذي مات ،  
 ١٢ : ١٤ ٥٥ : ١٨  
 ٥٥ : ١٨
- والأنبياء الذين ماتوا أيضاً ؟ من عساك تجعل  
 ٧ : ٤١ ٥٥ : ١٨  
 ١٧ : ١٤ ١٦ : ٣٩
- نفسك ؟ ❖ أجاب يسوع قائلاً : « إن كنت أنا  
 ١٣ : ٣ ٥١ : ١٨  
 ٢٩ : ٢٨ ٧ : ١٨
- وحدى أمجد نفسي فليس مجدي شيئاً ، وإنما  
 ٢١ : ١٥ ١٩ : ٨
- هنالك أيضاً أبي ، هو الذي يمجدني ٧ ، ذلك  
 ٥٥
- الذي تقولون أنتم إنه الهنا ، ❖ وأنتم  
 لا تعرفونه ٨ . أما أنا فأعرفه . وإن قلت إني  
 لا أعرفه أكون مثلكم كاذباً ، ولكنني أعرفه  
 وأحفظ كلامه ٩ . ❖ لقد تهلل إبراهيم أبوكم  
 ٨٠ : ٦ ١٥ : ١٨  
 ٥١
- مستهباً أن يرى يومي ١١ ، وقد رأى وفرح ١٢ .  
 ١٧ : ١٣ ١١ : ١٨  
 ٢٤ : ١٠ ١١ : ١٨
- ❖ فقال له اليهود : « إنك لم تبلغ الخمسين  
 ٥٧
- بعُد ، أفرايت إبراهيم ؟ » ❖ قال لهم يسوع :  
 ٥٨

مُعْجَزَةُ شِفَاءِ الْأَعْمَى مُنْذُ وِلَادَتِهِ . يوحنا ٨ : ٥٨ ، ٥٩ ، ٩ : ١ - ٤

« الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ  
 أَنَا كَائِنٌ » ١ ❖ فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ ٢ . وَأَمَّا  
 يَسُوعُ فَتَوَارَى ٣ وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ ، وَعَبَّرَ مُجْتَازًا  
 فِي وَسْطِهِمْ ، وَهَكَذَا مَضَى .

(١) ٣ - ١٤ - ١٢  
 ٤٣ - ١٣ - ١ - ١  
 ١٧ - ٥ - ٢٤  
 (٢) ١١ - ٣١ - ٢٣  
 ٣٩ - ١١ - ٨ - ٨  
 ١٢ - ١٢  
 (٣) ١٢ - ١٢ - ٢٦



(٤) ٢٣ - ٧  
 (٥) ٩ - ٣٤ - ١٠  
 ١٣ - ٢ - ٢٨ - ٤  
 (٦) ٤ - ٢٠ - ٥  
 (٧) ١١ - ٤

### الفصل التاسع

١ ❖ وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ ، رَأَى رَجُلًا أَعْمَى مُنْذُ  
 ٢ وِلَادَتِهِ . ❖ فَسَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ قَائِلِينَ : « يَا مُعَلِّمُ ، مَنْ  
 الَّذِي أَخْطَأَ ؟ أَهَذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ  
 ٣ أَعْمَى ؟ » ❖ أَجَابَ يَسُوعُ قَائِلًا : « لَا هَذَا  
 أَخْطَأَ وَلَا أَبَوَاهُ ، وَإِنَّمَا لِكَيْ تَظْهَرَ فِيهِ أَعْمَالُ  
 ٤ اللَّهِ ٧ . ❖ فَإِنَّا نَبْغِي - مَا دَامَ النَّهَارُ ٨ - أَنْ

مُعْجَزَةُ شِفَاءِ  
 الْأَعْمَى مُنْذُ  
 وِلَادَتِهِ :  
 (٨) ٤ - ٣٤ - ٥  
 ١٩ - ١١ - ٩  
 ١٢ - ٣٥ - ١٧ - ١٦  
 ١٠ - ٣٣ - ٦ - ٦

(تابع) معجزة شفاء الأعمى منذ ولادته . يوحنا ٩ : ٤ - ١٣

نَعْمَلْ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنَا ، لِأَنَّهُ سَيَجِيءُ اللَّيْلُ  
الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ فِيهِ عَمَلًا  
❖ مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ ١ ❖ قَالَ  
هَذَا ثُمَّ تَقَلَّ ٢ عَلَى الْأَرْضِ وَصَنَّ مِنَ التُّفْلِ طِينًا  
وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَيِ الْمُؤَلُودِ أَعْمَى . ❖ وَقَالَ  
لَهُ : « اذْهَبْ فَاغْسِلْ وَجْهَكَ فِي بِرْكَةِ سِلْوَامِ ٣ »  
وَمَعْنَاهُ : السَّرْسَلُ ، فَذَهَبَ وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَعَادَ  
بَصِيرًا ٤ ❖ فَقَالَ جِيرَانُهُ وَالَّذِينَ كَانُوا يَعْرِفُونَهُ  
مِنْ قَبْلِ يَسْتَعْطَى وَهُوَ أَعْمَى : « أَلَيْسَ هَذَا هُوَ  
الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ لِيَسْتَعْطَى ٥ ؟ » . ❖ فَقَالَ  
بَعْضُهُمْ لَهُ هُوَ . وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْآخَرُ : لَا ، بَلْ  
يَسْمُهُ . أَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ : « أَنَا هُوَ » .  
❖ فَقَالُوا لَهُ : « كَيْفَ انْفَتَحَتْ عَيْنُكَ ٦ ؟ » .  
❖ أَجَابَ وَقَالَ : « إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يُدْعَى  
يَسُوعَ صَنَعَ طِينًا وَطَلَى بِهِ عَيْنَيَّ وَقَالَ لِي اذْهَبْ  
فَاغْسِلْ وَجْهَكَ ٧ فِي بِرْكَةِ سِلْوَامِ ، فَذَهَبْتُ  
وَعَسَلْتُ وَجْهِي فَابْصُرْتُ ٨ » ❖ فَقَالُوا لَهُ :  
« أَيْنَ هُوَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ ؟ » . قَالَ : « لَا أَعْلَمُ » .  
❖ فَحَاءُ ، وَ عَلَى الْفَرِيسِيِّينَ ٨ بِذَلِكَ الَّذِي كَانَ مِنْ

(١) ١٤ : ١٥

(٢) ١٢ : ١٩

(٣) ١٢ : ٣٥

(٤) ١٠ : ٣٣

(٥) ١٢ : ١٣

(٦) ١٠ : ٣٥

(٧) ١٢ : ١٣

(٨) ١٢ : ١٥

(٩) ١٢ : ١٥

(١٠) ١٢ : ١٥

(١١) ١٢ : ١٥

(١٢) ١٢ : ١٥

(١٣) ١٢ : ١٥

(١٤) ١٢ : ١٥

(١٥) ١٢ : ١٥

(١٦) ١٢ : ١٥

(١٧) ١٢ : ١٥

(١٨) ١٢ : ١٥

(١٩) ١٢ : ١٥

(٢٠) ١٢ : ١٥

(٢١) ١٢ : ١٥

(٢٢) ١٢ : ١٥

(٢٣) ١٢ : ١٥

(٢٤) ١٢ : ١٥

(٢٥) ١٢ : ١٥

(٢٦) ١٢ : ١٥

(٢٧) ١٢ : ١٥

(٢٨) ١٢ : ١٥

(٢٩) ١٢ : ١٥

(٣٠) ١٢ : ١٥

(٣١) ١٢ : ١٥

(٣٢) ١٢ : ١٥

(٣٣) ١٢ : ١٥

(٣٤) ١٢ : ١٥

(٣٥) ١٢ : ١٥

(تابع) مُعْجِرَةٌ شِفَاءُ الْأَعْمَى مِنْذُ وِلَادَتِهِ . يوحنا ٩ : ١٣ - ٢٢

- ١٤ قَبْلُ أَعْمَى ، ❖ وَقَدْ كَانَ سَبَّتًا حِينَ صَنَعَ  
 ١٥ يَسُوعُ الطِّينَ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ . ❖ فَسَأَلَهُ الْفَرِّسِيُّونَ  
 هُمْ أَيْضًا : « كَيْفَ أَبْصَرْتَ ؟ » . فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّهُ  
 وَضَعَ طِينًا عَلَى عَيْنَيَّ ، ثُمَّ اغْتَسَلْتُ فَأَبْصَرْتُ .  
 ١٦ ❖ فَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْفَرِّسِيِّينَ : « إِنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ  
 لَيْسَ مِنَ اللَّهِ ٢ لِأَنَّهُ لَا يَحْفَظُ السَّبْتَ » ، وَقَالَ  
 آخَرُونَ : « كَيْفَ يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ خَاطِئٌ أَنْ يَصْنَعَ  
 مِثْلَ هَذِهِ الْمُعْجَزَاتِ ٣ ؟ » ، وَمِنْ ثَمَّ وَقَعَ بَيْنَهُمْ  
 ١٧ ائْتِسَامٌ : ❖ فَقَالُوا أَيْضًا لِلْأَعْمَى : « وَأَنْتَ مَاذَا  
 تَقُولُ عَنْهُ . وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيْكَ ؟ » . قَالَ : « إِنَّهُ  
 ١٨ نَبِيُّهُ » . ❖ غَيْرَ أَنَّ الْيَهُودَ لَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُ كَانَ  
 ١٩ أَعْمَى ثُمَّ أَبْصَرَ ، فَاسْتَدْعَوْا أَبُوَيْهِ . ❖ وَسَأَلُوهُمَا  
 قَائِلِينَ : « أَهَذَا هُوَ ابْنُكُمَا الَّذِي تَقُولَانِ إِنَّهُ وُلِدَ  
 ٢٠ أَعْمَى ؟ فَكَيْفَ إِذْنًا يُبْصِرُ الْآنَ ؟ » . ❖ أَجَابَهُمُ  
 آبَاؤُهُ وَقَالَا : « إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُنَا وَأَنَّ  
 ٢١ وَوَلَدَنَا هُوَ أَعْمَى ، ❖ أَمَا كَيْفَ يُبْصِرُ الْآنَ  
 فَلَا نَعْلَمُ ، أَوْ مِنْ ذَا الَّذِي فَتَحَ عَيْنَيْهِ فَلَا نَعْلَمُ .  
 إِنَّهُ بَالِغٌ سِنَّ الرُّشْدِ ، اسْأَلُوهُ ، فَيَتَكَلَّمُ هُوَ عَنْ  
 ٢٢ نَفْسِهِ » . ❖ قَالَ آبَاؤُهُ هَذَا لِحَوْفِهِمَا مِنَ الْيَهُودِ ٤ .

(١) ٩  
 (٢) ١٢  
 (٣) ١١  
 ٩٠٢  
 (٤) ١٢  
 ١١  
 (٥) ١٩  
 ١١  
 ١٢  
 (٦) ١٩

(٧) ١٣  
 ١٩  
 ١٣

(١) ٧ : ٤٥ - ٥٢

(٢) ٩ : ٣٤ - ٣٦

(٣) ١٢ : ٤٢ - ٤٦

٢٢

(٣) ٧ : ١٩ - ٢٠

٦ : ١٥ - ١٦

(١١) ١٣ : ١١ - ١٢

(٤) ٩ : ١٦

لَأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ أَصْدَرُوا قَرَارًا<sup>١</sup> بَأَنَّهُ إِذَا اعْتَرَفَ

أَحَدٌ بَأَنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ يُقَطَّعُ مِنَ الْمَجْمَعِ<sup>٢</sup> .

❖ ٢٣ وَلِذَلِكَ قَالَ أَبَوَاهُ إِنَّهُ بِالْبَالِغِ سِنِ الرُّشْدِ فَاسْأَلُوهُ .

❖ ٢٤ وَمِنْ ثَمَّ عَادُوا فَاسْتَدْعَوْا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ

أَعْمَى وَقَالُوا لَهُ : « مَجْدِ<sup>٣</sup> اللَّهُ ، فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا

الْإِنْسَانَ خَاطِئٌ<sup>٤</sup> » ❖ فَأَجَابَ الَّذِي كَانَ أَعْمَى

وَقَالَ : « إِنْ كَانَ خَاطِئًا فَلَا أَعْلَمُ ، وَإِنَّمَا أَعْرِفُ

شَيْئًا وَاحِدًا هُوَ أَنَّي كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أَبْصِرُ » .

❖ ٢٦ قَالُوا لَهُ : « مَاذَا صَنَعَ بِكَ ؟ كَيْفَ فَتَحَ

عَيْنَيْكَ ؟ » ❖ ٢٧ أَجَابَهُمْ قَائِلًا : « قَدْ قُلْتُ لَكُمْ

وَلَمْ تَسْمَعُوا ، فَلِمَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَسْمَعُوا مَرَّةً

أُخْرَى ؟ . هَلْ تَرَعْبُونَ أَنْتُمْ أَيضًا فِي أَنْ تَصْبِرُوا

تَلَامِيذَهُ ؟ » ❖ ٢٨ فَشْتَمُوهُ وَقَالُوا لَهُ : « أَنْتَ تَلْمِيزُ

ذَلِكَ ، وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّا تَلَامِيذُ مُوسَى<sup>٦</sup> . ❖ ٢٩ وَنَحْنُ

نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ مُوسَى ، وَأَمَّا هَذَا فَلَا نَعْلَمُ مِنْ

أَيْنَ هُوَ<sup>٧</sup> . ❖ ٣٠ أَجَابَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُمْ : « إِنْ

فِي هَذَا عَجَبٌ<sup>٨</sup> . إِنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ هُوَ ،

وَقَدْ فَتَحَ عَيْنِي . ❖ ٣١ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْمَعُ

بِنُحْطَاقٍ<sup>٩</sup> ، وَأَمَّا الَّذِي يَتَّقِي اللَّهَ وَيَعْمَلُ بِمَشِيئَتِهِ

(٥) ٥ : ٢٥

(٦) ١٥ : ١٥ - ١٦

٢٧

(٧) ٨ : ١٤

(٨) ٣ : ١١

(٩) ٨ : ٢٧ - ٢٨

٣٥ - ٣٦

١٥ : ١٦ - ١٧

٢٣ - ٢٤

١٥ : ١٤ - ١٥

١٩ - ٢٠

١٥ : ٢٨ - ٢٩

١٠ : ١١ - ١٢

١١ : ١٢ - ١٣

٨ : ١٨ - ٢٠

٣ : ١٤

٧ : ١٣ - ١٥

١٦



(تابع) معجزة شفاء الأعمى منذ ولادته . يوحنا ٩ : ٣١ - ٤١

- ٣٢ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ لَهُ . ❖ وَمَا سَمِعْنَا مُنذُ بَدَأَ الزَّمَانَ ١٠ ٣٠ ٤١
- ٣٣ أَنَّ إِنْسَانًا فَتَحَ عَيْنِي مُوَلُودٍ أَعْمَى . ❖ فَلَوْ لَمْ ١٠ ٣١ ٤١  
يَكُنْ هَذَا مِنَ اللَّهِ ١ ، مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَصْنَعَ شَيْئًا ٢ . ١٠ ٣٢ ٤١
- ٣٤ ❖ فَأَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ : « فِي الْحَظِيئَةِ قَدْ وُلِدْتَ ١٠ ٣٣ ٤١  
أَنْتَ بِجَمَلَتِكَ ٣ ، أَفَأَنْتَ تَعْلَمُنَا ؟ ٤ » ثُمَّ طَرَدُوهُ ٥ . ١٠ ٣٤ ٤١
- ٣٥ ❖ وَسَمِعَ يَسُوعُ بِأَنَّهُمْ طَرَدُوهُ ، فَحِينَ لَقِيَهُ قَالَ ١٠ ٣٥ ٤١  
لَهُ : « أَنْتُمْ بَابْنِ اللَّهِ ؟ ٦ » ❖ أَجَابَ وَقَالَ ١٠ ٣٦ ٤١
- ٣٧ « مَنْ هُوَ يَا سَيِّدِي فَأُؤْمِنُ بِهِ ؟ ٧ » ❖ فَقَالَ لَهُ ١٠ ٣٧ ٤١  
يَسُوعُ : « إِنَّكَ تَرَاهُ ، وَهُوَ هُوَ الَّذِي يُكَلِّمُكَ ٨ . ١٠ ٣٨ ٤١
- ٣٨ ❖ فَقَالَ : « أُوْمِنُ يَا سَيِّدِي » ، ثُمَّ سَجَدَ لَهُ ٩ . ١٠ ٣٩ ٤١
- ٣٩ ❖ فَقَالَ يَسُوعُ : « أَتَيْتُ أَنَا دَيْبُونَةَ لِلْعَالَمِ ، ١٠ ٣٩ ٤١  
حَتَّى يُبْصِرَ ٨ الَّذِينَ لَا يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى ٩ الَّذِينَ ١٠ ٤٠ ٤١  
يُبْصِرُونَ » . ❖ فَسَمِعَ هَذَا قَوْمٌ مِنَ الْفَرِّيْسِيِّينَ ١٠ ٤٠ ٤١  
الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ ، فَقَالُوا لَهُ : « أَلَعَلَّنَا نَحْنُ أَيضًا ١٠ ٤١ ٤١  
عُمَيَانًا ؟ ١٠ » ❖ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : « لَوْ كُنْتُمْ ١٠ ٤١ ٤١  
عُمَيَانًا لَمَا كَانَتْ لَكُمْ حَظِيئَةٌ ١١ . وَلَكِنَّكُمْ الْآنَ ١٠ ٤٢ ٤١  
تَقُولُونَ إِنَّنَا نُبْصِرُ فَحَظِيئَتِكُمْ لِهَذَا بِأَقْيَةٍ ١٢ . ١٠ ٤٣ ٤١



الفصلُ العاشرُ

١٠  
٢٣  
٢٢

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ  
هُوَ الرَّاعِي  
الصَّالِحُ :

١ ❖ الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ الَّذِي  
لا يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَى حَظِيرَةِ الْخِرَافِ وَإِنَّمَا  
تَسْلُقُ إِلَيْهَا مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ ، هُوَ سَارِقٌ وَلِصٌّ .  
٢ ❖ وَأَمَّا الَّذِي يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ فَهُوَ رَاعِي  
٣ الْخِرَافِ . ❖ وَهُوَ يَفْتَحُ الْبُؤَابَ<sup>٢</sup> ، وَالْخِرَافُ  
تَسْمَعُ صَوْتَهُ ، فَيَدْعُو خِرَافَهُ بِأَسْمَائِهَا وَيُخْرِجُهَا  
٤ ❖ وَمَتَى أَخْرَجَ خِرَافَهُ الَّتِي تَحْضُهُ ، سَارَقٌ قَدَامَهَا  
٥ وَهِيَ تَتَّبِعُهُ ، لِأَنَّهَا تَعْرِفُ صَوْتَهُ . ❖ أَمَّا  
الْغَرِيبُ<sup>٣</sup> فَلَا تَتَّبِعُهُ وَإِنَّمَا تَهْرَبُ مِنْهُ لِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ  
صَوْتَ الْغَرِيبِ .

(١) ١٠ : ٢٣  
ح ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦  
١٧ ، ٤  
(٢) ١٤ : ٢٧  
١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩  
٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣  
٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧  
٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١  
٣٢ ، ٣٣

(تابع) السَّيِّدُ الْمَسِيحُ هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ . يُوْحَنَّا ١٠ : ٦ - ١٦

- ٦ ❖ هَذَا الْمَثَلُ ضَرَبَهُ يَسُوعُ لَهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا لِمَاذَا قَالَ لَهُمْ هَذَا . ❖ وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ
- ٧ أَيضًا : « الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ ، ❖ جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قِبَلِي هُمْ لُصُوصٌ وَسَرَّاقٌ ، وَلَكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ . ❖ أَنَا هُوَ بَابُ الْخِرَافِ ، فَإِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ يَخْلُصُ ، وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرَعًى . ❖ إِنَّ السَّارِقَ لَا يَأْتِي إِلَّا لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ ، أَمَّا أَنَا فَآتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةً ، وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ . ❖ أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْدُلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ ، ❖ وَأَمَّا الَّذِي هُوَ أَجِيرٌ وَلَيْسَ رَاعِيًا ، ذَلِكَ الَّذِي لَيْسَتْ الْخِرَافُ لَهُ ، فَيَرَى الذُّبَّ مُقْبِلًا فِيَهْرَبُ وَيَتْرِكُ الْخِرَافَ ، فَيَحْطَفُهَا الذُّبَّ وَيَبْدُدُهَا . ❖ لِأَنَّهُ أَجِيرٌ فَهَوَّ لَا يُبَالِي بِالْخِرَافِ . ❖ أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ وَأَعْرِفُ الْخِرَافَ الَّتِي هِيَ لِي ، وَخِرَافِي الَّتِي هِيَ لِي تَعْرِفُنِي . ❖ كَمَا أَنَّ أَبِي يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الْآبَ . ❖ وَسَأَبْدُلُ نَفْسِي عَنْ خِرَافِي . ❖ وَلِي خِرَافٌ

(١) ١٠ : ٢٣ - ١١  
 (٢) ١٤ : ٦ - ١٢  
 (٣) ٢٧ : ١٦ - ١٧  
 (٤) ٥ : ٤٠  
 (٥) ٤٠ : ١١  
 (٦) ٣٤ : ١١ - ١٦  
 (٧) ٢٣ : ٢٧ - ٢٤ : ٢٥  
 (٨) ٢٠ : ١ - ٢ : ٤  
 (٩) ١١ : ٢٧  
 (١٠) ١٥ : ١٣ - ١٠  
 (١١) ٣ : ١٦ - ١٧  
 (١٢) ٢٥ : ١٠ - ١١  
 (١٣) ١٠ : ٢٧ - ١١  
 (١٤) ١١ : ٢٧ - ١٠  
 (١٥) ١٠ : ٢٧ - ١١  
 (١٦) ١٠ : ٢٧ - ١١



(تابع) السِّدُّ الْمَسِيحُ هُوَ الرَّأْيُ الصَّالِحُ . يوحنا ١٠ : ١٦ - ٢٤

- ١٧ **وَاحِدَةٌ<sup>٢</sup> وَرَاعٍ<sup>٣</sup> وَاحِدٌ<sup>٣</sup> .** **لِذَلِكَ يُحِبُّنِي أَبِي ،**  
**إِذْ أَبْدَلُ نَفْسِي ، كَيْ أَسْتَرِدَّهَا<sup>٤</sup> .** **مَا مِنْ أَحَدٍ**  
**يَنْتَزِعُهَا مِنِّي ، وَإِنَّمَا أَبْدُلُهَا أَنَا وَحْدِي مِنْ ذَاتِي .**  
**فَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَبْدُلَهَا ، وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَسْتَرِدَّهَا<sup>٦</sup> .**  
**هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الَّتِي قَبَلْتَهَا مِنْ أَبِي<sup>٧</sup> .**
- ١٩ **فَوَقَعَ<sup>٨</sup> انْقِسَامٌ أَيْضًا بَيْنَ الْيَهُودِ<sup>٨</sup> بِشَأْنِ هَذِهِ**  
**الْأَقْوَالِ .** **فَقَالَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ : «إِنَّ بِهِ**  
**شَيْطَانًا<sup>٩</sup> ، وَقَدِ اخْتَلَّ<sup>١٠</sup> عَقْلُهُ ، فَلِمَاذَا تَسْتَمِعُونَ**  
**إِلَيْهِ ؟» .** **وَقَالَ آخَرُونَ غَيْرُهُمْ : «لَيْسَ هَذَا**  
**كَلَامَ مَنْ بِهِ شَيْطَانٌ<sup>١١</sup> . أَفَيْسْتَطِيعُ شَيْطَانٌ أَنْ يَفْتَحَ**  
**أَعْيُنَ الْعُمَيَّانِ<sup>١٢</sup> ؟» .**
- ٢٢ **وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عِيدُ التَّجْدِيدِ<sup>١٣</sup>**  
**بِأورشليمَ ، وَكَانَ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ .** **وَإِذْ كَانَ**  
**يَسُوعُ يَمْشِي فِي الْهَيْكَلِ ، فِي رُوقِ سَلِيمَانَ<sup>١٤</sup> ،**  
**أَحَاطَ بِهِ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ : «إِلَى مَتَى تَتْرَكُنَا**  
**فِي حَيْرَةٍ ؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحُ فَقُلْ لَنَا ذَلِكَ**

(١) إن ٥٦ ، ٥٨ ، ١١  
 (٢) حز ٣٧ ، ٢٢  
 (٣) إن ١٣ ، ١٨  
 (٤) عب ١٣ ، ٢٠ ، ١٠ ، بط ٢ : ٢٥  
 (٥) حز ٣٤ ، ٢٣  
 (٦) إن ٥٣ ، ٧ ، ٨  
 (٧) عب ١٢ ، ١٩  
 (٨) مت ٢٦ ، ٥٣ ، ٢٦  
 (٩) ٢٦ ، ٥  
 (١٠) لوقا ٢٣ ، ٤٦ ، ١٩  
 (١١) ١٢ ، ٣٨ ، ٦  
 (١٢) ١٤ ، ١٠ ، ١٥ ، ٢٩  
 (١٣) إن ٢ ، ٢٤  
 (١٤) ١٠ ، ٢٢ ، ٨ ، عب ٥ ، ٨  
 (١٥) ١٩ ، ٤٣ ، ٧  
 (١٦) ١٦  
 (١٧) ٨ ، ٢ ، ٧  
 (١٨) ٤٨ ، ٥٢ ، مت ١١ ، ١٨  
 (١٩) ٣ ، ٢١  
 (٢٠) مت ٤ ، ٢٤  
 (٢١) حز ٤ ، ١١  
 (٢٢) ٩٣ ، ٩ ، ١٤٥ ، ٨  
 (٢٣) ٦ ، ٧ ، ٣٢ ، ٣٣  
 (٢٤) أنى تجديد  
 (٢٥) فيكل ، نحو عام ١٦٤  
 (٢٦) ١١ ، ١٣ ، ٥ ، ١١  
 ١٢



اليهود يحاولون رجم السيد المسيح . يوحنا ١٠ : ٢٤ - ٣٥

- ٢٥ صراحة<sup>١</sup> . ❖ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ قَائِلًا : « قَدْ قُلْتُ لَكُمْ فَلَمْ تُؤْمِنُوا<sup>٢</sup> . إِنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي ، هِيَ تَشْهَدُ لِي<sup>٣</sup> . ❖ وَلَكِنَّكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ؛ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنْ خِرَافِي كَمَا قُلْتُ لَكُمْ . ❖ إِنْ خِرَافِي أَنَا تَسْمَعُ صَوْتِي<sup>٤</sup> وَأَنَا أَعْرِفُهَا ، فَهِيَ تَسْعُنِي . ❖ وَأَنَا أَيْضًا أُعْطِيهَا الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ<sup>٥</sup> . ❖ فَلَا تَهْلِكُ إِلَى الْأَبَدِ<sup>٦</sup> ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَحْتَطِفَهَا مِنْ يَدِي<sup>٧</sup> . ❖ إِنْ أَبِي<sup>٨</sup> الَّذِي أَعْطَانِيهَا<sup>٩</sup> هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْجَمِيعِ . فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَحْتَطِفَهَا مِنْ يَدِ أَبِي . ❖ وَأَنَا وَأَبِي نَحْنُ مَعًا وَاحِدٌ<sup>١٠</sup> . ❖ فَالْتَقَطَ الْيَهُودُ عِنْدَئِذٍ حِجَارَةً مَرَّةً أُخْرَى لِيَرْجُمُوهُ<sup>١١</sup> . ❖ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ قَائِلًا : « إِنْ أَعْمَالًا كَثِيرَةً حَسَنَةً قَدْ أَرَيْتُكُمْ مِنْ لَدُنِّ أَبِي<sup>١٢</sup> . فَبِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟ » ❖ أَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ : « إِنَّا نَرْجُمُكَ لِأَسَبَبِ عَمَلٍ حَسَنٍ ، وَإِنَّمَا بِسَبَبِ التَّجْدِيفِ<sup>١٣</sup> ، لِأَنَّكَ ، وَأَنْتَ إِنْسَانٌ ، تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهًا<sup>١٤</sup> . ❖ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ قَائِلًا : « أَلَيْسَ مَكْتُوبًا<sup>١٥</sup> فِي شَرِيعَتِكُمْ<sup>١٦</sup> : أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ ❖ فَإِنْ كَانَ

(١) يوحنا ١٦ : ٢٥ - ٢٦

(٢) يوحنا ١٩ : ٨ - ١٠

(٣) يوحنا ٣ : ٢ - ٤

(٤) يوحنا ٨ : ١٠ - ١٢

(٥) يوحنا ٤ : ١٤ - ١٥

(٦) يوحنا ١٧ : ١ - ٢

(٧) يوحنا ٦ : ٢٧ - ٢٩

(٨) يوحنا ١١ : ١٢ - ١٤

(٩) يوحنا ١٤ : ٢٨

(١٠) يوحنا ١٧ : ٢١ - ٢٢

(١١) يوحنا ٨ : ١٧ - ١٩

(١٢) يوحنا ١١ : ١٧ - ١٩

(١٣) يوحنا ٨ : ١٢ - ١٤

(١٤) يوحنا ٨ : ١٧ - ١٩

(١٥) يوحنا ١٠ : ٣٤ - ٣٥

(١٦) يوحنا ١٧ : ١٧ - ١٩

(تابع) الْيَهُودُ يُحَاوِلُونَ رَجْمَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ . يوحنا ١٠ : ٣٥ ٤٢

- ١٣٧ (١) ١٣٧  
٢٩٠٢٧ (٢) ٢٩٠٢٧  
٥ (٣) ٥  
١٧ (٤) ١٧  
٤٢ (٥) ٤٢  
١٨٢٣٧ (٦) ١٨٢٣٧  
٦ (٧) ٦  
٣٧ (٨) ٣٧  
٢٥ (٩) ٢٥  
١١ (١٠) ١١  
١١ (١١) ١١  
١١ (١٢) ١١  
٢١ (١٣) ٢١  
٢١ (١٤) ٢١  
٢١ (١٥) ٢١  
٢١ (١٦) ٢١  
٢١ (١٧) ٢١  
٢١ (١٨) ٢١  
٢١ (١٩) ٢١  
٢١ (٢٠) ٢١  
٢١ (٢١) ٢١  
٢١ (٢٢) ٢١  
٢١ (٢٣) ٢١  
٢١ (٢٤) ٢١  
٢١ (٢٥) ٢١  
٢١ (٢٦) ٢١  
٢١ (٢٧) ٢١  
٢١ (٢٨) ٢١  
٢١ (٢٩) ٢١  
٢١ (٣٠) ٢١  
٢١ (٣١) ٢١  
٢١ (٣٢) ٢١  
٢١ (٣٣) ٢١  
٢١ (٣٤) ٢١  
٢١ (٣٥) ٢١  
٢١ (٣٦) ٢١  
٢١ (٣٧) ٢١  
٢١ (٣٨) ٢١  
٢١ (٣٩) ٢١  
٢١ (٤٠) ٢١  
٢١ (٤١) ٢١  
٢١ (٤٢) ٢١
- ٣٦ . يَدْعُو أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ إِلَهَةً .  
وَالْكِتَابُ لَا يُمْكِنُ نَقْضُهُ . ❖ أَتَقُولُونَ أَنْتُمْ  
لِلَّذِي قَدَسَهُ الْآبُ ٢ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ ٣ إِنَّكَ  
تُجَدِّفُ ، لِأَنِّي قُلْتُ ؛ إِنَّنِي أَنَا ابْنُ اللَّهِ ٤ . ❖ إِنْ  
لَمْ أَكُنْ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فَلَا تُؤْمِنُوا بِي ٦ .  
❖ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتَ أَعْمَلُ أَعْمَالَهِ ، فَإِنَّ لَمْ تُؤْمِنُوا  
بِي فَأَمِنُوا بِالْأَعْمَالِ ٧ ، لِتَعْلَمُوا وَتَعْرِفُوا أَنِّي أَنَا فِي  
أَبِي . وَأَنَّ أَبِي فِيَّ ٨ .
- ٣٩ . ❖ وَعِنْدَيْدِ أَرَادُوا مَرَّةً أُخْرَى أَنْ يُمْسِكُوهُ ٩ ،  
وَلَكِنَّهُ نَجَّحَ مِنْ أَيْدِيهِمْ . ❖ وَعَادَ إِلَى عِبْرِ  
الْأَرْدُنِّ حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّا يَعْمَدُ مِنْ قَبْلُ ١٠ ،  
٤١ وَمَكَثَ هُنَاكَ . ❖ فَاتَى إِلَيْهِ كَثِيرُونَ وَهُمْ  
يَقُولُونَ : « إِنْ يُوحَنَّا لَمْ يَصْنَعْ أَى مُعْجَزَةٍ ١١ ،  
٤٢ وَلَكِنْ كُلُّ مَا قَالَهُ عَنْ هَذَا كَانَ حَقًّا ١٢ . ❖ وَمِنْ  
ثُمَّ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ هُنَاكَ ١٣ .



الفصل الحادي عشر

- ١ ❖ وَكَانَ رَجُلٌ مَرِيضًا اسْمُهُ لِعَازَرُ مِنْ بَيْتِ
- ٢ عَيْنَا قَرْيَةِ مَرْيَمَ<sup>٢</sup> وَأُخْتِهَا مَرْثَا . ❖ وَكَانَتْ مَرْيَمُ
- هَذِهِ الَّتِي كَانَ أَخُوهَا مَرِيضًا هِيَ الَّتِي دَهَنْتِ<sup>٣</sup>
- الرَّبَّ بِالطِّيبِ وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا .
- ٣ ❖ وَقَدْ أَرْسَلَتْ الْأَخْتَانِ إِلَى يَسُوعَ قَائِلَتَيْنِ :
- ٤ « يَا رَبُّ ، هُوَذَا الَّذِي نُحِبُّهُ مَرِيضٌ » . ❖ فَلَمَّا
- سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ : « إِنَّ هَذَا الْمَرَضَ لَيْسَ مَرَضًا
- لِلْمَوْتِ ، بَلْ لِأَجْلِ مَجْدِ اللَّهِ ، كَيْ يَتَمَجَّدَ ابْنُ
- ٥ اللَّهِ بِهِ » . ❖ وَكَانَ يَسُوعُ يُحِبُّ مَرْثَا وَمَرْيَمَ أُخْتَيْهَا
- ٦ وَلِعَازَرَ . ❖ فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ مَرِيضٌ لَبِثَ فِي

مُعْجَزَةُ إِقَامَةِ  
لِعَازَرَ :



- (١) مت ٢١ - ١٧
- (٢) لوقا ١٠ - ٣٨ ، ٣٩
- (٣) مت ٢٦ - ٧ ، ١٠
- ١٢ - ١٤ ، ١٣ - ٣
- (٤) لوقا ٧ - ١٣ ، ١٤
- ١٣ - ١٣
- (٥) يوحنا ٩ - ٣ ، ١٠
- ٣٨ - ١١ ، ٤٠

(تابع) مُعْجَزَةٌ إِقَامَةِ لَعَازَرَ .

يُوحَنَّا ١١ : ٦ - ١٧

- ٧ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ فِيهِ<sup>١</sup> يَوْمَيْنِ . ❖ ثُمَّ قَالَ  
لِتَلَامِيذِهِ بَعْدَ ذَلِكَ : « لِنَعُدَّ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ » .
- ٨ ❖ فَقَالَ لَهُ تَلَامِيذُهُ : « يَا مُعَلِّمُ<sup>٢</sup> إِنَّ الْيَهُودَ كَانُوا  
يَبْتَغُونَ أَنْ يَرْجُمُوكَ<sup>٣</sup> . أَفَتَذْهَبُ الْآنَ إِلَى  
هُنَاكَ ؟ » ❖
- ٩ ❖ أَجَابَ يَسُوعُ قَائِلًا : « أَلَيْسَ فِي  
النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَاعَةً ؟ فَإِنَّ مَشَى أَحَدٌ فِي النَّهَارِ  
فَلَنْ يَعْتَرُ لَأَنَّهُ يَرَى نُورَ هَذَا الْعَالَمِ . ❖ وَأَمَّا إِنْ  
مَشَى فِي اللَّيْلِ فَإِنَّهُ يَعْتَرُ لَأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ نُورٌ » .
- ١٠ ❖ قَالَ هَذَا ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهُمْ : « إِنَّ لَعَازَرَ  
حَبِيْبِنَا قَدْ نَامَ<sup>٤</sup> ، وَلَكِنِّي سَأَذْهَبُ لِأَوْقِظَهُ »
- ١٢ ❖ فَقَالَ التَّلَامِيذُ لَهُ : « يَا رَبُّ إِنْ كَانَ قَدْ نَامَ  
فَأَيْنَهُ يَقُومُ » . ❖
- ١٣ ❖ بَيَّنَّ أَنَّ يَسُوعَ كَانَ يَتَكَلَّمُ عَنْ نَوْمِ  
مَوْتِهِ . وَأَمَّا هُمْ فَظَنُّوا أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ عَنْ رُقَادِ النَّوْمِ .
- ١٤ ❖ وَمِنْ ثَمَّ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ صِرَاحَةً : « إِنَّ لَعَازَرَ  
قَدْ مَاتَ . ❖ وَأَنَا أَفْرَحُ مِنْ أَجْلِكُمْ - إِذْ لَمْ  
أَكُنْ هُنَاكَ - لِتَوُفِّيَا . وَلَكِنْ هَلُمُّوا نَذْهَبْ إِلَيْهِ »
- ١٦ ❖ فَقَالَ تَوْمَاسُ<sup>٥</sup> الْمُتَلَقَّبُ دِيدِيمُوسُ<sup>٦</sup> لِلتَّلَامِيذِ  
رِفَاقِهِ : « لِنَذْهَبْ نَحْنُ أَيْضًا كَيْ نَمُوتَ مَعَهُ » .
- ١٧ ❖ فَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ وَجَدَ أَنَّ لَهُ فِي الْقَبْرِ أَرْبَعَةَ

(١) يو ١٠ : ٤٠

(٢) بالعربية «رئيس»

RABBI بمعنى يا معلمى

وهى نقلاى لى المصطلح

الخاصى لقب الدكتور

أى عالم أو علامة أو أحد

كبار المعلمى مت

٧ : ٢٣

(٣) يو ١٠ : ٣١ ، ٨

٥٩

(٤) يو ٩ : ٤ ، ١٠

١٣

(٥) يو ١٢ : ٣٥

(٦) مت ٢٦ : ١٦ ، ٢١

١٢

١٤

١٥

١٦

١٧

١٨

١٩

٢٠

٢١

٢٢

٢٣

٢٤

٢٥

٢٦

٢٧

٢٨

٢٩

٣٠

٣١

٣٢

٣٣

٣٤

٣٥

٣٦

٣٧

٣٨

٣٩

٤٠

٤١

٤٢

٤٣

٤٤

٤٥

٤٦

٤٧



(تابع) مُعْجِزَةُ إِقَامَةِ لَعَّازَرِ .

يُوحَنَّا ١١ : ١٧ - ٢٩

١٨ أَيَّامٍ . ❖ وَكَانَتْ بَيْتَ عَنِيَا قَرِيبَةً مِنْ أُورُشَلِيمَ

١٩ عَلَى بُعْدِ نَحْوِ خَمْسِ عَشْرَةَ غَلَوَةً مِنْهَا . ❖ وَقَدْ

جَاءَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى مَرْتَا وَمَرْيَمَ لِيَعْرِوهُمَا

٢٠ عَنْ أُخِيهِمَا . ❖ فَمَا سَمِعَتْ مَرْتَا أَنَّ يَسُوعَ قَادِمٌ

حَتَّى خَرَجَتْ تَسْتَقْبِلُهُ . وَأَمَّا مَرْيَمُ فَلَبِثَتْ قَاعِدَةً فِي

٢١ الْبَيْتِ . ❖ وَقَالَتْ مَرْتَا لِيَسُوعَ : « يَا رَبُّ لَوْ

٢٢ كُنْتُ هُنَا مَا كَانَ أَخِي قَدْ مَاتَ . ❖ وَلَكِنِّي

مَا زِلْتُ أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ يُعْطِيكَ اللَّهُ

٢٣ «إِيَّاهُ» ٢ . ❖ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ : « سَيَقُومُ أَخُوكَ » .

٢٤ ❖ قَالَتْ لَهُ مَرْتَا : « أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي

٢٥ الْقِيَامَةِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ » ٣ . ❖ فَقَالَ لَهَا

يَسُوعُ : « أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ . مَنْ آمَنَ بِي

٢٦ وَإِنْ مَاتَ فَسَيَحْيَا . ❖ وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ

بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الْأَبَدِ ٧ . أَلَمْ تَرَ بِهَذَا ؟ » ،

٢٧ ❖ قَالَتْ لَهُ : « نَعَمْ يَا رَبُّ ، إِنِّي أُوْمِنُ بِأَنَّكَ

أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْآتِي إِلَى الْعَالَمِ ٨ .

٢٨ ❖ قَالَتْ هَذَا ثُمَّ ذَهَبَتْ وَدَعَتْ مَرْيَمَ أَخْتَهَا سِرًّا

وَقَالَتْ لَهَا : « قَدْ حَضَرَ الْمَعْلَمُ ٩ وَهُوَ يَدْعُوكَ »

٢٩ ❖ فَمَا إِنْ سَمِعَتْ حَتَّى نَهَضَتْ مُسْرِعَةً وَجَاءَتْ

(١) ٢١ - ١١

١٢ - ١٠

(٢) ٣١ - ٩

(٣) ٣١ - ١٢ - ٢

١٥ - ١٤ - ٥

٢٩ - ٢٤ - ١٥

(٤) ٥٥ - ٢٩

٣٩ - ٤١ - ٤٤ - ٥٤

(٥) ١٠ - ٤

٢٦ - ٦ - ٣٥ - ١٤

٦ - ٣ - ١ - ٢ - ١

١ - ٥ - ٣١ - ١١

١٠ - ١٨

(٦) ٣٦ - ١٠

١٥ - ١

(٧) ٦ - ٤٧

٥١ - ٥٠

(٨) ١٦ - ١٦

١٤ - ٦ - ٢٢ - ٦

١١ - ٢ - ٦٦

(٩) ١٨ - ٢٦

١٤ - ١٤ - ٢٢

١١ - ١٣ - ١٣

- ٣٠ . إِلَيْهِ . ❖ وَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ قَدْ بَلَغَ الْقَرْيَةَ بَعْدَ ،  
وَأِنَّمَا كَانَ لَا يَزَالُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَاقَتْهُ فِيهِ  
٣١ . مَرْنَا . ❖ فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ مَرْيَمَ  
فِي الْبَيْتِ يُعْزِوْنَهَا أَنَّهَا نَهَضَتْ مُسْرِعَةً وَخَرَجَتْ ،  
تَبِعُوهَا مُعْتَقِدِينَ أَنَّهَا ذَاهِبَةٌ إِلَى الْقَبْرِ لِتَبْكِيَ هُنَاكَ .  
٣٢ . ❖ وَأَمَّا مَرْيَمُ فَحِينَ جَاءَتْ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَسُوعُ  
وَرَأَتْهُ خَرَتْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَائِلَةً لَهُ : « يَا رَبُّ لَوْ كُنْتُ  
٣٣ . هُنَا مَا كَانَ أَخِي قَدْ مَاتَ ٢ » . ❖ فَلَمَّا رَأَاهَا يَسُوعُ  
تَبْكِي ، وَرَأَى الْيَهُودَ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهَا أَيْضًا  
٣٤ . يَبْكُونَ تَأَلَّمَ بِالرُّوحِ وَاضْطَرَبَ ٣ . ❖ وَقَالَ  
لَهُمْ : « أَيْنَ وَضَعْتُمُوهُ ؟ » . قَالُوا لَهُ : « يَا رَبُّ  
٣٥ . تَعَالَ وَانظُرْ » . ❖ بَكَى يَسُوعُ ٤ . ❖ فَقَالَ  
٣٦ . الْيَهُودُ : « انظروا كَمْ كَانَ يُحِبُّهُ ؟ » . ❖ وَقَالَ  
٣٧ . بَعْضُ مِنْهُمْ : « أَمَا كَانَ هَذَا الَّذِي فَتَحَ عَيْنِي  
الْأَعْمَى مُنْذُ وِلَادَتِهِ قَادِرًا عَلَى أَنْ لَا يَتْرُكَ هَذَا  
٣٨ . أَيْضًا يَمُوتُ ؟ » . ❖ فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ فِي نَفْسِهِ ،  
وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ ، وَكَانَ مَعَارَةً قَدْ وَضَعَ عَلَى بَابِهَا  
٣٩ . حَجْرًا ، ❖ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : « ارْفَعُوا هَذَا  
الْحَجَرَ » . فَقَالَتْ لَهُ مَرْنَا أُخْتُ الْمَيِّتِ :

(١) ١١ : ١٩

(٢) ١١ : ٢١

(٣) ١٢ : ٢٧

١٣ : ٢١

(٤) حرفاً بالغة القطية

« دعت علياً يسوع »

انظر يوحنا ١٩ : ٤١

(٥) يوحنا ٩ : ٧٠

(٦) متى ٢٧ : ١٠

١٥ : ٤٦

٢٠ : ١

(تابع) مُعْجِزَةٌ إِقَامَةٌ لِعَازِرَ .

يُوحَنَّا ١١ : ٣٩ - ٤٧

« يَا رَبُّ ، إِنَّهُ قَدْ آتَنَنْ ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ يَوْمُهُ

الرَّابِعُ » . ❖ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ : « أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ

٤٠ إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنِ مَجْدَ اللَّهِ » . ❖ فَرَفَعُوا الْحِجْرَ

عَنْ بَابِ الْقَبْرِ . وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقِ

وَقَالَ : « يَا أَبْنَاهُ أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ لِي ،

٤١ ❖ وَأَنَا عَالِمٌ أَنَّكَ تَسْمَعُ لِي فِي كُلِّ حِينٍ ، وَإِنَّمَا

قُلْتَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ حَوْلِي ،

٤٢ لِيُؤْمِنُوا بِأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أَرْسَلْتَنِي » . ❖ قَالَ هَذَا

ثُمَّ صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ : « لِعَازِرَ هَلُمَّ

٤٣ خَارِجًا » . ❖ فَخَرَجَ الْمَيِّتُ مَرْبُوطًا يَدَاهُ

وَرِجْلَاهُ بِأَكْفَانٍ ، وَمَلْفُوفًا وَجْهَهُ بِمِنْدِيلٍ . فَقَالَ

لَهُمْ يَسُوعُ : « حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَمْضِي » .

(١) ي ١١ ٤ ٢٣

(٢) ي ١٧ ١ - ١٨

٥٥ ٧

(٣) ي ١٢ ١٢ - ٣٠

٢١ ١٧

(٤) ي ٣ ١٧

(٥) ي ٥ ٢٥ ٢٨

(٦) ي ١٩ ٤٠

(٧) ي ٢٠ ٧

(٨) ي ١٢ ١٧

(٩) ي ٢٣ ١٠

١٨ ١١ ١٢ - ٤٢

٣ ٢٦ ١٠ (مت)

٤٥ ٣٢ ٧ ي (١١)

رُؤَسَاءُ الْيَهُودِ

يَتَأَمَّرُونَ لِقَتْلِ

السَّيِّدِ

الْمَسِيحِ :

(١٢) ي ٢ ٢٠ - ٢٨

٣ ٢٦ - ١٠

٢٢ ١٠ - ٥ مت

٢٢

(١٣) ي ١٢ ١١ - ١٩

١٦ ٤

٤٥ ❖ وَمِنْ تَمَّ فَإِنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ

كَانُوا قَدْ جَاءُوا إِلَى مَرْيَمَ<sup>٨</sup> ، إِذْ رَأَوْا مَا فَعَلَ يَسُوعُ

٤٦ آمَنُوا بِهِ<sup>٩</sup> . ❖ غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ ذَهَبُوا إِلَى

الْفَرِيْسِيِّينَ<sup>١٠</sup> وَأَخْبَرُوهُمْ بِمَا فَعَلَ يَسُوعُ ،

٤٧ ❖ فَعَقَدَ<sup>١١</sup> رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيْسِيُّونَ

مَجْمَعًا<sup>١٢</sup> ، وَقَالُوا : « مَاذَا نَعْمَلُ<sup>١٣</sup> فَإِنَّ هَذَا

- ٤٨ الإنسان يصنع معجزات كثيرة . ❖ فَإِنْ تَرَكَنَاهُ  
هَكَذَا آمَنَ الْجَمِيعُ بِهِ ، فَيَأْتِي الرُّومَانَ وَيَسْتَوْلُونَ  
عَلَى مَوْضِعِنَا وَأُمَّنَنَا . ❖ فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ  
٤٩ اسْمُهُ قَيَافَا ، وَكَانَ هُوَ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ  
السَّنَةِ ٣ : « إِنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ شَيْئًا . ❖ وَلَا تُدْرِكُونَ  
أَنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ  
وَلَا تَهْلِكُ الْأُمَّةُ كُلُّهَا » . ❖ وَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ مِنْ  
نَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا إِذْ كَانَ هُوَ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ  
السَّنَةِ تَنَبَّأَ بِأَنَّ يَسُوعَ مُزْمَعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الْأُمَّةِ .  
٥٢ ❖ وَلَيْسَ عَنِ الْأُمَّةِ فَقَطْ ، وَإِنَّمَا لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ  
اللَّهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَيَّ وَحِدَةً وَاحِدَةً ٧ .
- ٥٣ ❖ وَمِنْدُ ذَلِكَ الْحِينِ أَخَذُوا يَتَامَرُونَ ٨ عَلَى  
قَتْلِهِ . ❖ وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْذُ يَسُوعُ يَمْشِي بَيْنَ الْيَهُودِ  
٥٤ عَلَانِيَةً ٩ . وَإِنَّمَا مَضَى إِلَيَّ بَقَعَةً بِالْقُرْبِ مِنَ  
الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ كَانَتْ مَدِينَتُهُ تُسَمَّى إِفْرَايِمَ ١٠ ،  
وَمَكَتْ هُنَاكَ مَعَ تَلَامِيذِهِ .
- ٥٥ ❖ فَلَمَّا اقْتَرَبَ فِضْحُ ١١ الْيَهُودِ ، صَعِدَ  
كَثِيرُونَ مِنَ الرِّيفِ إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبْلَ الْفِضْحِ  
٥٦ لِيَتَطَهَّرُوا ١٢ . ❖ وَكَانُوا يَبْحَثُونَ عَنِ يَسُوعَ ١٣

(١) مت ٢٤ : ١٥

(٢) مت ٢٦ : ٣٠

٣ - ٢ - ١٨ بر

٤ - ٦

(٣) بر ١٨ : ١٣

(٤) بر ١٨ : ١٤

(٥) بر ٢٨ : ٣٠ - ٣١

٢٧ - ٢١ - ١ - ص

٢٣ - ٩ - ٣٠ - ٧ - ب

٢ - ٦٣

(٦) بر ١٩ : ١٠ - ١١

٢ - ٢

(٧) بر ١٠ : ١٩ - ٢٠

٢ - ١٤ - ١٧

(٨) مت ٢٦ : ٤

(٩) يوحنا ٤ : ٣٠ - ٣١

٧ - ١

(١٠) بر ١٣ : ١٩

(١١) بر ٢ : ١٣ - ٥

١٠ - ٤ - ١٢ - ١١

مت ٢٦ : ١٠ - ١١

١ - ٢٢ - ١

(١٢) عد ٩ : ١٠

٢ - ٣٠ - ١٧ - ١٠

٢١ - ٢٤ - ١٨ - ٢٨

(١٣) بر ٧ : ١١

مريم أخت لعازر تدهن بالطيب قدمي المسيح . يوحنا ١١: ٥٦ و ٥٧ : ١٢ : ٢١

وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَهْمٌ قِيَامٌ فِي الْهَيْكَلِ :  
« مَاذَا تَطْنُونُ ، أَلَعَلَّهُ لَنْ يَأْتِيَ فِي الْعِيدِ ؟ » .

❖ وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيُّونَ قَدْ  
أُصْدِرُوا أَمْرًا بَأَنَّ عَلَى مَنْ يَعْرِفُ أَيْنَ هُوَ أَنْ  
يُرْسِدَهُمْ إِلَيْهِ لِيَمْسِكُوهُ .

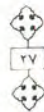


١٨	١	١٢	(١)
١٢	٦	٢٦	١٢
٩	٣	١٤	
٥٥	١١	١١	(٢)
١٧	٢١	١٧	(٣)
٤٣	١١		
٤٢	١	١١	(٤)
٦	٢٦	٦	(٥)
٣	١٢		
٣٨	١١	٢	(٦)

### الفصل الثاني عشر

❖ وَقَبْلَ الْفِصْحِ ٢ بَسَّتِهِ أَيَّامٍ ، جَاءَ يَسُوعُ ١  
إِلَى بَيْتِ عَنِيَّا ٣ ، حَيْثُ كَانَ لِعَازَرُ الَّذِي مَاتَ  
وَأَقَامَهُ يَسُوعُ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ ٤ . ❖ فَأَقَامُوا لَهُ ٢  
هُنَاكَ وَلِيْمَةً عَشَاءٍ ٥ ، وَكَانَتْ مَرْنًا تَحْدُمُ ٦ ، وَكَانَ

مريم  
لعازر تدهن  
بالطيب  
قدمي السيد  
المسيح :



مَرِيْمٌ أُخْتُ لِعَازَرَ تَدْهِنُ بِالطِّيبِ قَدَمِي الْمَسِيْحِ . يُوحَنَّا ١٢ : ٢ - ١٠

٣ لِعَازَرَ مِنْ بَيْنِ الْجَالِسِيْنَ إِلَى الْمَائِدَةِ مَعَهُ .  
❖ وَأَمَّا مَرِيْمٌ فَأَخَذَتْ قَارُورَةً<sup>٢</sup> سَعْتَهَا مَائَةٌ

(١) يو ١١ : ٢  
(٢) ١ مل ١٠ : ١٧  
١٧ : ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩  
٧ : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤

دِرْهَمٍ مِنْ طِيبِ النَّارِدِيْنَ<sup>٣</sup> الْخَالِصِ الْعَالِي الثَّمَنِ  
وَدَهَنَتْ قَدَمِي يَسُوعَ ، وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسَيْهَا<sup>٤</sup> ،

(٣) مر ١٤ : ٣  
(٤) لو ١٠ : ٣٨  
٣٩ ، يو ١١ : ٢

٤ فَاَمْتَلَأَ الْبَيْتَ مِنْ شِدَا الطِّيبِ . ❖ وَعِنْدَيْدِ قَالَ  
أَحَدُ التَّلَامِيذِ وَهُوَ يَهُوذَا بْنُ سَمْعَانَ  
الْإِسْخَرْيُوطِيِّ<sup>٥</sup> الَّذِي كَانَ مَزْمِعًا أَنْ يُسَلِّمَهُ :

٥ ❖ «أَمَّا كَانَ الْأَحْرَى أَنْ يُبَاعَ هَذَا الطِّيبُ بِثَنِيْمَائَةِ  
٦ دِينَارٍ وَتُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ<sup>٦</sup> ❖ قَالَ هَذَا لِأَنَّهُ

(٥) يو ٦ : ٧١  
(٦) يو ١٣ : ٢٩  
(٧) لو ٨ : ٣  
(٨) يو ١٩ : ٤٠  
(٩) مت ٢٦ : ١١ ، ١٢  
١١ : ١٥ ، ١٦

كَانَ يَهْتَمُّ بِالْفُقَرَاءِ ، وَإِنَّمَا لِأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا .  
وَقَدْ كَانَ كَيْسَ التَّقْوِدِ مَعَهُ<sup>٧</sup> ، فَكَانَ يَسْتَوْلِي عَلَى

٧ مَا فِيهِ<sup>٧</sup> . ❖ فَقَالَ يَسُوعُ : «دَعُوهَا ، فَقَدْ  
٨ حَفِظْتُ هَذَا لِيَوْمِ دَفْنِي<sup>٨</sup> . ❖ لِأَنَّ الْفُقَرَاءَ

عِنْدَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ عِنْدَكُمْ فِي  
كُلِّ حِينٍ<sup>٩</sup> .

٩ ❖ وَقَدْ عَلِمَ جَمْعٌ كَثِيرٌ<sup>١٠</sup> مِنْ الْيَهُودِ أَنَّ يَسُوعَ  
هُنَاكَ ، فَجَاءُوا لِأَمِنْ أَجْلِ يَسُوعَ وَحَدَهُ ، وَإِنَّمَا

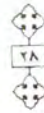
(١٠) مر ٢٧ : ٣٧  
(١١) يو ١١ : ٤٣ ، ٤٤  
(١٢) لو ١١ : ٣١

لِيَرَوْا أَيْضًا لِعَازَرَ الَّذِي أَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ<sup>١١</sup> .  
١٠ ❖ فَتَأَمَّرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ لِيَقْتُلُوا لِعَازَرَ أَيْضًا<sup>١٢</sup> ،

السيد المسيح يدخلُ أُورشليمَ ملكًا . يوحنا ١٢ : ١١ - ١٩

❖ لِأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا بِسَبَبِهِ يَذْهَبُونَ  
فِي يَوْمِنَا بِسُوعٍ .<sup>٢</sup>

(١) يو ١١ - ٤٥  
(٢) يو ١٢ - ١٨  
١١ - ٤٢



❖ وَفِي الْعَدِيدِ سَمِعَ الْجَمْعُ الْعَظِيمُ الَّذِي  
جَاءَ لِلْعِيدِ أَنَّ يَسُوعَ قَادِمٌ إِلَى أُورُشَلِيمَ ،

السيد المسيح  
يدخلُ  
أورشليمَ  
ملكًا

❖ فَأَخَذُوا سَعَفَ النَّحْلِ ، وَخَرَجُوا  
لِاسْتِقْبَالِهِ ، وَهُمْ يَهْتِفُونَ قَائِلِينَ « هُوشَعْنَا .<sup>٦</sup>  
تَبَارَكَ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ » .<sup>٧</sup>

❖ وَقَدْ وَجَدَ يَسُوعُ جَحشًا فَرَكِبَهُ ،<sup>٨</sup> وَفَقًا لِمَا هُوَ  
مَكْتُوبٌ :<sup>٩</sup> « لَا تَخَفِي يَا ابْنَةُ صِهْيُونَ . هُوَذَا

(٣) يو ٧ - ٣١  
(٤) زو ٩ - ٩  
(٥) مت ٢١ - ٨  
١١ - ١٩ ، ٢٥

مَلِكُكَ يَا ابْنِي إِلَيْكَ رَاكِبًا عَلَى جَحشِ ابْنِ آتَانَ » .

١٦  
(٦) حرقًا بالعبادة  
- يارب خلص الآن .  
أنظر من ١١٧ - ٢٥  
و ٢٦ - مت ٢١ - ٩  
(٧) يو ١٦ - ٤٩  
(٨) مت ٢١ - ٧  
(٩) ٩ - ٩

❖ وَلَمْ يَفْهَمُ تَلَامِيذُهُ ذَلِكَ فِي مَبْدِئِ الْأَمْرِ ،  
وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا تَمَجَّدَ<sup>١١</sup> يَسُوعُ تَذَكَّرُوا<sup>١٢</sup> أَنَّ ذَلِكَ  
مَكْتُوبٌ عَنْهُ ، وَأَنَّهُمْ فَعَلُوا لَهُ هَذَا .

(١٠) لو ١٨ - ٣٤ - مر  
٩ - ٣٢  
(١١) يو ٧ - ٣٩

❖ وَقَدْ شَهِدَ<sup>١٣</sup> لَهُ الْجَمْعُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ  
حِينَ دَعَا لِعَازَرِ إِلَى خَارِجِ الْقَبْرِ وَأَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ

١٧  
(١٢) يو ١٤ - ٢٦  
(١٣) مت ٢١ - ١٠

الْأَمْوَاتِ ،<sup>١٤</sup> وَلِذَلِكَ اسْتَقْبَلَتْهُ الْجُمُوعُ إِذْ  
سَمِعُوا أَنَّهُ صَنَعَ هَذِهِ الْمُعْجَزَةَ .<sup>١٥</sup> فَقَالَ

١٩  
١٠١٩ - لو ٢٧  
٢٠٨٦ - يو ١١ - ٤٢  
(١٤) يو ١٢ - ١١ - لو  
١٩ - ٣٧

الفريسيُّونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : « أَتَرُونَ كَيْفَ أَنْكَمُّ

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ . يوحنا ١٢ : ١٩ - ٢٧

(١) يوحنا ٤٧ : ٤٨  
(٢) يوحنا ١٧ : ٤ - ٤١  
٣٥ : ٧

(٣) ١ مل ١٨ : ٤١  
و ٤٢ : ٨



(٤) يوحنا ١ : ٤٤



السَّيِّدُ الْمَسِيحُ



يُعَلِّمُ فِي

الْهَيْكَلِ :

(٥) مت ١١ : ٢١ - ٢٢  
٤٤ : ١

(٦) يوحنا ١١ : ٢٣ و ٢٤

١٧ : ١١ مت ٢٦

٤٥ : ١٤ و ٣٥ : ٤١

(٧) ١ كو ١٥ : ٣٦

رو ٩ : ١٤

(٨) مت ١٥ : ٢٩

١٦ : ٢٥ و ٨

٣٥ : ١٩ و ٢٤

١٧ : ٣٣

(٩) لو ١٤ : ٢٦

(١٠) يوحنا ١٤ : ٢٣

١٧ : ٢٤ و ١٠

٤ : ١٧ و ٢ : ٥

٨ : ١ و ٢٣

(١١) ١ ص ٢ : ٣٠

مر ١٥ : ١٥ و ١٢

٣٧

(١٢) مت ٢٦ : ٣٨

و ٣٩ : ١٣ و ٥٠

١٣ : ٢١ و ١١ : ٣٣

مر ١٤ : ٣٤

(١٣) مت ١١ : ٢٥

(١٤) لو ٢٢ : ٥٣ و ١٨

٢٣ : ١٢ و ٣٧

لَا تُفِيدُونَ شَيْئًا ٩ ، هُوَذَا الْعَالَمُ قَدْ ذَهَبَ  
وَرَاءَهُ ٥ .

٢٠ ❖ وَكَانَ ثَمَّةَ قَوْمٍ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ ٢ صَعِدُوا

٢١ لِيَسْجُدُوا فِي الْعِيدِ ٣ . ❖ فَتَقَدَّمُوا إِلَى فِيلِبُّسَ

الَّذِي مِنْ بَيْتِ صَيْدَا ٤ بِالْجَلِيلِ ، وَنَاشَدُوهُ

٢٢ قَائِلِينَ : « يَا سَيِّدُ نُرِيدُ أَنْ نَرَى يَسُوعَ » . ❖ فَجَاءَهُ

فِيلِبُّسُ وَقَالَ لِأَنْدَرَاوَسَ ٥ ، ثُمَّ قَالَ أَنْدَرَاوَسُ

٢٣ وَفِيلِبُّسَ لِيَسُوعَ . ❖ فَأَجَابَهُمَا يَسُوعُ قَائِلًا : « قَدْ

٢٤ آتَتِ السَّاعَةُ لِيَتِمَّجِدَ ابْنُ الْإِنْسَانِ ٦ . ❖ الْحَقُّ

الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ حَبَّةَ الْحِنْطَةِ مَا لَمْ تَقَعْ فِي

الْأَرْضِ وَتَمُتَ ، تَظَلُّ وَحْدَهَا ٧ ، وَأَمَّا إِنْ مَاتَتْ

٢٥ فَهِيَ تَأْتِي بِثَمَرٍ وَفِيرٍ . ❖ مَنْ أَحَبَّ نَفْسَهُ ٨

يُهْلِكُهَا ، وَمَنْ أَبْغَضَ نَفْسَهُ ٩ فِي هَذَا الْعَالَمِ

يَحْفَظُهَا لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ . ❖ مَنْ يَخْدُمُنِي

٢٦ فَلْيَتَّبِعْنِي ، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا فَهَنَّاكَ يَكُونُ

خَادِمِي ١٠ . وَمَنْ يَخْدُمُنِي يُكْرِمُهُ أَبِي ١١ .

٢٧ ❖ نَفْسِي الْآنَ قَدْ اضْطَرَبَتْ ١٢ ، فَمَاذَا أَقُولُ ؟

يَا أَبَتَاهُ ١٣ نَجِّنِي مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ ١٤ ، وَلَكِنِّي مِنْ



(تابع) السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَعْلَمُ فِي الْهَيْكَلِ . يُوْحَنَّا ١٢ : ٢٧ - ٣٥

- ٢٨ أَجَلٍ هَذَا آتَيْتُ إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ . ❖ يَا أَبَتَاهُ  
مَجْدُ ابْنِكَ . فَجَاءَ صَوْتُ مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ :
- ٢٩ « قَدْ مَجَّدْتُهُ وَسَاطَلْتُ أُمُجِّدُهُ » ❖ فَلَمَّا سَمِعَ  
الْجَمْعُ الَّذِينَ كَانُوا وَاقِفِينَ قَالُوا : « إِنَّهُ رَعَدٌ قَدْ  
أَرَعَدَ » . وَقَالَ آخَرُونَ « إِنَّ مَلَكَآ هُوَ الَّذِي  
كَلَّمَهُ » ٢ . ❖ فَاجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ : « لَيْسَ مِنْ  
أَجَلِي كَانَ هَذَا الصَّوْتُ وَلَكِنْ مِنْ أَجَلِكُمْ » .
- ٣١ ❖ الْآنَ قَدْ وَقَعَتِ الدِّينُونَةُ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ . الْآنَ  
يُطْرَحُ رَيْسُ هَذَا الْعَالَمِ خَارِجًا . ❖ وَأَنَا أَيْضًا  
مَتَى ارْتَفَعْتُ عَنِ الْأَرْضِ فَسَاجِدُ إِلَى  
الْجَمِيعِ » ٦ . ❖ قَالَ هَذَا مُشِيرًا إِلَى الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي  
سَيَمُوتُ بِهَا ٧ . ❖ فَاجَابَهُ الْجَمْعُ قَائِلِينَ : « قَدْ  
سَمِعْنَا مِنَ الشَّرِيعَةِ أَنَّ الْمَسِيحَ يَدُومُ إِلَى الْأَبَدِ ،  
فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَتَّبِعِي أَنْ  
يُرْفَعَ ٩ ؟ . مَنْ هُوَ ابْنُ الْإِنْسَانِ هَذَا ؟ » .
- ٣٥ ❖ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : « إِنَّ النُّورَ بَاقٍ فِي  
وَسَطِكُمْ زَمَانًا يَسِيرًا ١١ ، فَسِيرُوا فِي النُّورِ مَا دَامَ  
النُّورُ لَكُمْ ، لِئَلَّا يَدْرِكَكُمْ الظُّلَامُ ١٢ ، لِأَنَّ الَّذِي  
يَمْشِي فِي الظُّلَامِ لَا يَدْرِي إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ ١٣ .

(١) مت ٢٣ : ١٧  
١٦ : ١٦ و ١٧ : ١٧  
١٠ : ١١ و ١٠ : ١٠  
١٧ : ٣ و ١٧ : ٢٢  
٣٥  
(٢) لوق ٢٣ : ٩  
(٣) يوح ١١ : ٤٢  
(٤) مت ١٢ : ٢٩ و ٢٩ : ٢٩  
١١ : ١٨ و ١١ : ١٨  
١١ : ١٦ و ١١ : ١٦  
١٩ : ٩ و ١٩ : ٢٩  
١٦ : ٢ و ١٦ : ٢  
١٢ : ١ و ١٢ : ٤  
١٩ : ٥  
(٥) يوح ١٤ : ٨  
٢٨  
(٦) يوح ٥ : ١٨  
عب ١٠ : ٩ و ١٠ : ٩  
٤٤  
(٧) يوح ١٨ : ٣٢  
٢١ : ١٩  
(٨) مت ٨٨ : ٣٦  
١٠٩ : ٩ و ١٠٩ : ٩  
٧ : ٥٣ و ٨ : ٣٧  
٢٥ : ٢٥ و ٢٥ : ٧  
١٤ : ٢٧ و ١٤ : ٧  
(٩) يوح ٣ : ١٤ و ٣ : ١٤  
٨ : ٢٠  
(١٠) يوح ١ : ٩  
٨ : ١٢ و ٩ : ٥  
١٢ : ٤٦  
(١١) يوح ٧ : ٣٣  
١٤ : ١ و ١٤ : ١٠  
(١٢) لوق ١٣ : ١٦  
أف ١٥ : ٨ و ١٥ : ٦  
١٠  
انظر الصفحة التالية

(تابع) السِّدِّ الْمَسِيحِ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ . يُوْحَنَّا ١٢ : ٣٦ - ٤٦



(١٣) يو ١١ : ١٠-١٠

يو ٢ : ١١-١٠

(١) يو ١٦ : ٨-٨

٨ : ١٢-١٢

٨ : ٥-٨

٥ : ١٠-١٠

٥ : ٢٣-٢٣

٥ : ٢٣-٢٣

(٢) يش ٦ : ٩-٩

٩ : ١٠-١٠

١٤ : ٨-٨

١٤ : ٥٤-٥٤

٣٧

(٣) يو ٢ : ١١-١١

(٤) يش ٦ : ١-١

(٥) يش ٥٣ : ١٠-١٠

١٦ : ١١-١١

(٦) يش ٩ : ١٦-١٦

مت ١٣ : ١٤-١٤

(٧) مر ١٦ : ٥٢-٥٢

(٨) يش ١ : ٦-٦

لو ٢٤ : ٢٧-٢٧

(٩) لو ٢٣ : ١٣-١٣

(١٠) يو ٧ : ٤٨-٤٨

(١١) يو ١٣ : ٩-٩

٢٢

(١٢) يو ١٤ : ٤١-٤١

(١٣) مر ٩ : ٣٧-٣٧

١٠ : ٤٠-٤٠

٢٤ : ١-١

(١٤) يو ١٤ : ٩-٩

٣٦ ❖ مَا دَامَ لَكُمْ النُّورُ فَامِينُوا بِالنُّورِ ، لِتَصِيرُوا أَبْنَاءَ

النُّورِ<sup>١</sup> . قَالَ يَسُوعُ هَذَا ثُمَّ مَضَى وَاخْتَفَى

عَنْهُمْ<sup>٢</sup> . ❖ بَيَّدَ أَنَّهُمْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ صَنَعَ

مُعْجَزَاتٍ<sup>٣</sup> كَثِيرَةً أَمَامَهُمْ ، لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ .

٣٨ ❖ لِيَتِمَّ قَوْلُ إِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ<sup>٤</sup> : يَا رَبُّ مَنْ آمَنَ بِمَا

سَمِعَ مِنَّا<sup>٥</sup> ؟ وَلِمَنْ تَجَلَّتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ<sup>٦</sup> ؟ .

٣٩ ❖ لِهُذَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُؤْمِنُوا لِأَنَّ إِشْعِيَاءَ قَالَ

٤٠ أَيضًا<sup>٧</sup> : ❖ « قَدْ طَمَسَ عَلَى عْيُونِهِمْ وَأَعْلَقَ

عَلَى قُلُوبِهِمْ ، لِئَلَّا يُبْصِرُوا بَعْيُونَهُمْ أَوْ يَفْقَهُوا

٤١ بِقُلُوبِهِمْ<sup>٨</sup> ، وَيَرْجِعُوا إِلَيَّ فَاشْفِيَهُمْ<sup>٩</sup> . ❖ قَالَ

إِشْعِيَاءَ هَذَا حِينَ رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ

٤٢ عَنْهُ<sup>١٠</sup> . ❖ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ<sup>١١</sup> مِنْ

الرُّؤَسَاءِ<sup>١٢</sup> أَنْفُسِهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا يَسَبِّبُ الْفَرِيسِيِّينَ

لَمْ يَعْتَرَفُوا بِهِ عَلَنًا ، لِئَلَّا يُطْرَدُوا مِنَ الْمَجْمَعِ<sup>١٣</sup> ،

٤٣ ❖ لِأَنَّهُمْ أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ

اللَّهِ<sup>١٤</sup> .

٤٤ ❖ وَمِنْ ثَمَّ نَادَى يَسُوعُ قَائِلًا : « إِنَّ الَّذِي

يُؤْمِنُ بِي ، لَيْسَ يَبِي يَوْمِينَ ، وَإِنَّمَا آمَنَ بِالَّذِي

٤٥ أَرْسَلَنِي<sup>١٣</sup> . ❖ وَمَنْ رَأَنِي فَقَدْ رَأَى الَّذِي

٤٦ أَرْسَلَنِي<sup>١٤</sup> . أَنَا قَدْ جِئْتُ لِلْعَالَمِ نُورًا ، حَتَّى

(تابع) السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُعَلِّمُ فِي الْهِكَلِ . يوحنا ١٢ : ٤٦ - ٥٠

- ٤٧ إِنْ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لَا يَمُوتُ فِي الظَّلَامِ .  
 ❖ وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلَامِي وَلَمْ يَحْفَظْهُ فَأَنَا  
 لَا أَدِينُهُ<sup>٢</sup> ، لِأَنِّي مَا جِئْتُ لِأَدِينِ الْعَالَمِ ، بَلْ  
 لِأُخَلِّصَ الْعَالَمَ<sup>٣</sup> . ❖ إِنْ مَنْ يُنْكِرُنِي وَلَا يَقْبَلُ  
 كَلَامِي<sup>٤</sup> فَلَهُ مِنْ يَدَيْنِي . الْكَلَامُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ  
 هُوَ الَّذِي يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ . ❖ لِأَنِّي لَمْ  
 أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي وَحْدِي<sup>٦</sup> ، وَإِنَّمَا الْآبُ الَّذِي  
 أَرْسَلَنِي هُوَ الَّذِي أَوْصَانِي بِمَا أَقُولُ وَبِمَا أَتَكَلَّمُ<sup>٧</sup> .  
 ٥٠ ❖ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ وَصِيَّتَهُ هِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ<sup>٨</sup> .  
 فَمَا أَقُولُ هُوَ مَا قَالَهُ لِيَ الْآبُ<sup>٩</sup> ، وَبِهِ أَتَكَلَّمُ .

(١) بر ٣ : ١٩ - ٨

(٢) ١٢ : ٤٠ و ٣٩

(٣) ١٢ : ٣٦ و ٤١

(٤) بر ٥ : ٤٥ و ٨

١٥ و ٢٦

(٥) بر ٣ : ١٧ و ٨

١٥

(٦) لو ١٠ : ١٦

(٧) تث ١٨ : ١٨

١٩ و ١٦ و ١٦

بر ٥ : ٤٥ و ٨ و ٤٧

ت ١٠ : ١٥

(٨) ١٤ : ٣٨ و ١٤

١٠ و ٣ و ١١

(٩) تث ١٨ : ١٨ و ١٨

١٤ : ٣١ و ١٧ و ٨

(١٠) بر ٦ : ٦٨

(١١) بر ٨ : ٢٨



السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَغْسِلُ أَرْجُلَ تَلَامِيذِهِ .

يُوحَنَّا ١٣ : ١ - ٥

(١) مت ٢٦ : ٢٠

(٢) ١٣ : ٥٥

(٣) يو ١٢ : ٢٣

١٧ : ١

(٤) يو ١٦ : ٢٨

(٥) يو ٦ : ٧

(٦) يو ٦ : ٧١

(٧) لو ٢٢ : ٣

١٣ : ٢٧

(٨) يو ٣ : ٣٥

(٩) مت ١١ : ٢٧

٢٨ : ١٨

٣ : ٢

١٧ : ٣٥

١٠ : ٢٦

٢٧ : ٢



الفصل الثالث عشر



السَّيِّدُ الْمَسِيحُ

يَغْسِلُ أَرْجُلَ

تَلَامِيذِهِ وَهُوَ

يَحْتَفِلُ

بِالْفِصْحِ

مَعَهُمْ :

(٩) يو ٨ : ٤٢

٢٨

(١٠) لو ٢٢ : ٢٧

٧ : ٢

(١١) لو ١٢ : ٢٧

١ وَ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ<sup>١</sup> رَأَى يَسُوعُ أَنَّ سَاعَتَهُ

قَدْ جَاءَتْ<sup>٢</sup> لِيَسْتَقِيلَ مِنَ الْعَالَمِ وَيَمْضِيَ إِلَى

الْآبِ<sup>٣</sup>. وَقَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ .

٢ أَحَبَّهُمْ إِلَى نَهَايَةِ الْمَدَى . ❖ وَلَمَّا كَانَ الْعِشَاءُ .

وَكَانَ الشَّيْطَانُ قَدْ سَبَقَ فَالْتَمَى فِي قَلْبِ يَهُودًا

٣ سَمِعَانَ الْإِسْخَرْيُوطِيَّ<sup>٤</sup> أَنْ يُسَلِّمَهُ<sup>٥</sup>. ❖ وَإِذْ كَانَ

يَسُوعُ يَعْلَمُ<sup>٦</sup> أَنَّ الْآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ<sup>٧</sup> ،

وَأَنَّهُ مِنْ نَدْنِ اللَّهِ الْآبِ خَرَجَ . وَإِلَى اللَّهِ الْآبِ

٤ يَمْضِيَ<sup>٨</sup>. ❖ قَامَ عَنِ الْعِشَاءِ<sup>٩</sup> : وَخَلَعَ رِدَاءَهُ

٥ وَأَخَذَ مِئْشَمَةً وَأَثَرَزَ بِهَا<sup>١٠</sup>. ❖ ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي

السَّيِّدِ الْمَسِيحِ يَطْلُبُ مِنْ تَلَامِيذِهِ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِهِ . يُوحَنَّا ١٣ : ٥ - ١٢

- ١ (١) ٧ ٤٤  
(٢) ٣ ١٤
- مِطْهَرَةً وَأَخَذَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ تَلَامِيذِهِ ، وَيَمْسَحُهَا  
بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَتْ مُؤْتَرَةً بِهَا . ❖ حَتَّى إِذَا جَاءَ  
٦ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ لِيَغْسِلَ رِجْلَيْهِ ، قَالَ  
لَهُ بُطْرُسُ : « أَنْتَ يَا رَبُّ تَغْسِلُ رِجْلِي ؟ » .  
٧ ❖ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ : « إِنَّ الَّذِي أَفْعَلُهُ أَنَا  
لَا تُدْرِكُهُ أَنْتَ الْآنَ ، وَلَكِنَّكَ سَتُدْرِكُهُ فِيمَا  
بَعْدَ ٣ » . ❖ قَالَ لَهُ بُطْرُسُ : « لَنْ تَغْسِلَ رِجْلِي  
٨ أَبَدًا » . فَأَجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلًا : « إِنْ لَمْ أَغْسِلْ  
رِجْلَيْكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِيَ نَصِيبٌ » . ❖ قَالَ لَهُ  
٩ سِمْعَانَ بُطْرُسُ : « يَا رَبُّ لَيْسَ رِجْلِي فَقَطْ ، بَلْ  
يَدَيَّ وَرَأْسِي أَيْضًا » . ❖ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ : « إِنْ  
١٠ الَّذِي اسْتَحَمَ لَا يَحْتَاجُ إِلَّا إِلَى أَنْ يَغْسِلَ قَدَمَيْهِ ،  
فَإِنَّهُ طَاهِرٌ كُلُّهُ . وَأَنْتُمْ أَيْضًا أَطْهَارُ ، وَلَكِنَّكُمْ لَسْتُمْ  
١١ كُلُّكُمْ أَطْهَارًا » . ❖ فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ بِالْمُزْمِعِ أَنَّ  
يُسَلِّمُهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ : « إِنَّكُمْ لَسْتُمْ كُلُّكُمْ  
أَطْهَارًا » .

(٣) ١٣ ١٢

(٤) ١٠ ١٣ ١٠

١١ ٥ ٦

١٠ ٣ ٥ ٦

١١ ٢٢ ١٢

١١ ٢٠ ١١

١٦ ١٢ ١

(٥) ١٥ ٣

(٦) ٦ ٦٤

السَّيِّدِ الْمَسِيحِ

يَطْلُبُ مِنْ

تَلَامِيذِهِ أَنْ

يَتَمَثَّلُوا بِهِ :

- ١٢ ❖ وَبَعْدَ أَنْ غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ وَأَخَذَ رِدَاءَهُ عَادَ  
فَجَلَسَ إِلَى الْمَائِدَةِ وَقَالَ لَهُمْ : « أَنْفَهُمُونَ مَا قَدْ

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَتَّبِعُ بِخِيَانَةٍ يَهُودًا لَهُ .  
 يوحنا ١٣ : ١٢ - ٢١

- ١٣ صَنَعْتُ بِكُمْ ؟ ❖ إِنَّكُمْ تَدْعُونَنِي الْمُعَلِّمَ<sup>١</sup>  
 وَالرَّبَّ<sup>٢</sup> . وَحَسَنًا تَقُولُونَ لِأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ .
- ١٤ ❖ فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا رَبُّكُمْ وَمُعَلِّمُكُمْ قَدْ غَسَلْتُ<sup>٣</sup>  
 أَرْجُلَكُمْ<sup>٤</sup> ، فَأَنْتُمْ أَيْضًا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ يَغْسَلَ  
 بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ ، ❖ لِأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ<sup>٥</sup>  
 مِثَالًا ، حَتَّى تَصْنَعُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ  
 كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ . ❖ الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ<sup>٦</sup>  
 إِنَّهُ مَا مِنْ خَادِمٍ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ ، وَمَا مِنْ رَسُولٍ  
 أَعْظَمَ مِنْ أَرْسَلِهِ<sup>٧</sup> . ❖ إِنْ عَرَفْتُمْ هَذَا  
 فَمُبَارَكُونَ أَنْتُمْ إِنْ عَمِلْتُمْ بِهِ<sup>٨</sup> . ❖ لَسْتُ أَقُولُ<sup>٩</sup>  
 هَذَا عَنْكُمْ جَمِيعًا ، فَإِنَّا أَعْرَفُ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ<sup>٩</sup> ،  
 وَإِنَّمَا لَيْتَمُ الْمَكْتُوبُ أَنَّ الَّذِي أَكَلَ مَعِيَ خُبْزِي قَدْ  
 رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ<sup>١٠</sup> . ❖ أَقُولُ لَكُمْ هَذَا مِنْذُ الْآنَ  
 قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ . حَتَّى إِذَا مَا حَدَّثْتُ تُوْمِنُونَ أَنِّي  
 أَنَا هُوَ<sup>١١</sup> . ❖ الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنْ مَنْ  
 يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلْتُهُ يَقْبَلُنِي ، وَمَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي  
 أَرْسَلْتُهُ<sup>١٢</sup> .
- ٢١ ❖ وَلَمَّا قَالَ يَسُوعُ هَذَا اضْطَرَبَ<sup>١٣</sup> بِالرُّوحِ  
 وَصَرَحَ قَائِلًا : « الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنْ وَاحِدًا

(١) يو ١١ - ٢٨

(٢) مت ١٢٣ - ٨

(٣) لو ٦ - ٤٦ ، يو

١١ - ٢ ، ١ كو ٨

(٤) يو ١٣ - ٣ ، ٢

(٥) ١١

(٦) لو ٢٢ - ٢٧

(٧) (٤) رو ١٢ - ١٠ ، ط

(٨) يو ١٠ ، ٢٠ ، ٥

(٩) ٥

(١٠) مت ١١ - ٢٩

(١١) يو ٢ - ١٠ ، ١٥ ، ط

(١٢) يو ١٣ - ٥ ، ٢١

(١٣) ٢

(١٤) مت ١١ - ٢٤ ، لو

(١٥) يو ٤٠ - ١٥ ، ٢٠

(١٦) (٧) ٢ كو ١٨ - ٢٣

(١٧) ٢ ، ٢٥

(١٨) مع ١ - ٢٥ ، لو

(١٩) ١١ - ٢٨ ، مت ٧

(٢٠) ٢٤

(٢١) يو ٦ - ١١٥ ، ١٦

(٢٢) ١٩

(٢٣) (١٠) مر ٤٠ - ٩ ، مت

(٢٤) ٢٦ - ٢٣ ، يو ١٣

(٢٥) ٣١ - ١٧ ، ١٢ - ١٩

(٢٦) ٢٤ - ٣٦ ، ١٥ - ٢٥

(٢٧) ١٨ - ٢٢ ، مر ١٤

(٢٨) ١٨ - ٢٢ ، ٢١

(٢٩) (١١) يو ١٤ - ٢٩

(٣٠) ٤

(٣١) (١٣) مت ١٠ - ٤٠

(٣٢) ٢٥ - ٤٠ ، لو ١٠

(٣٣) ١٦ - ٤ ، ط

(٣٤) (١٣) يو ١١ - ٣٣

(تابع) السيد المسيح يتنبأ بخيانته يهوذا له . يوحنا ١٣ : ٢١ - ٣١

٢٢ مِنْكُمْ سَيَسْلِمُنِي ١ . ❖ فَأَخَذَ التَّلَامِيذُ يَنْظُرُ

بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، حَارِيزِينَ لَا يَدْرُونَ مِنَ الَّذِي

يَعْنِيهِ يَقُولُهُ هَذَا . ❖ وَكَانَ مُتَكِنًا فِي حِضْنِ

يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ ٢ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ

يُحِبُّهُ . ❖ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ سِمَعَانُ بَطْرُسُ لِيَسْأَلَهُ عَمَّنْ

يَعْنِي يَقُولُهُ . ❖ فَانْحَنَى ذَلِكَ التَّلْمِيذُ عَلَى صَدْرِ

يَسُوعَ ٣ وَقَالَ لَهُ : «رَبِّي . مَنْ هُوَ؟» .

٢٦ ❖ أَجَابَ يَسُوعُ قَائِلًا : «إِنَّهُ هُوَ الَّذِي سَأَعُطِيهِ

اللُّقْمَةَ الَّتِي أَغْمَسْتُهَا» . ثُمَّ غَمَسَ اللُّقْمَةَ وَقَدَّمَهَا

لِيَهُودَا بْنِ سِمَعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ ٤ . ❖ فَبَعَدَ أَنْ

أَخَذَ اللُّقْمَةَ دَخَلَهُ الشَّيْطَانُ ٥ ، فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ :

٢٨ «مَا أَنْتَ فَاعِلُهُ فَافْعَلْهُ سَرِيعًا» . ❖ غَيْرَ أَنْ أَحَدًا

مِنَ الْجَالِسِينَ إِلَى الْمَائِدَةِ لَمْ يَعْرِفْ لِمَاذَا قَالَ لَهُ

٢٩ هَذَا ، ❖ فَظَنَّ بَعْضُهُمْ ، إِذْ كَانَ كَيْسُ التُّقُودِ

مَعَ يَهُودَا ، أَنَّ يَسُوعَ قَالَ لَهُ : «اشْتَرِ مَا نَحْتَاجُ

إِلَيْهِ فِي الْعِيدِ» . أَوْ أَمْرَهُ بِأَنْ يُعْطِيَ الْفُقَرَاءَ شَيْئًا ٧ .

٣٠ ❖ أَمَا يَهُودَا فَبَعَدَ أَنْ أَخَذَ اللُّقْمَةَ خَرَجَ عَلَى

٣١ الْفُورِ ، وَكَانَ الْوَقْتُ لَيْلًا ٨ . ❖ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ

يَسُوعُ : «الآنَ قَدْ تَمَجَّدَ ابْنُ الْإِنْسَانِ ٩ ،

السيد المسيح

يتنبأ بخيانته

يهوذا

الإسخرطيوطي

له :

(١) مت ٢٦ : ٢١ ، يو ١٨ : ٢٢

(٢) يو ١٢ : ٢٧ ، ان ١٧ : ١ ، ١٩

(٣) يو ١٩ : ٢٦ ، ٢٠ : ٢٠ ، ٢١ : ٢٠ ، ٢١ : ٢٠

(٤) يو ١٨ : ١ ، ٢٤ : ٣

(٥) يو ١٣ : ٢٦ ، ١٤ : ٦

(٦) يو ١٣ : ٢٦ ، ١٤ : ٦

(٧) يو ١٣ : ٢٦ ، ١٤ : ٦

(٨) لو ٢٢ : ٥٣ ، ٢٦ : ٣٩

(٩) يو ١٣ : ٢٦ ، ١٤ : ٦

(١٠) يو ١٣ : ٢٦ ، ١٤ : ٦

مت ٢٦ : ٢٨

٣٣

٣٢ وَتَمَجَّدَ اللهُ فِيهِ<sup>١</sup> . ❖ وَإِنْ كَانَ اللهُ قَدْ تَمَجَّدَ فِيهِ

فَإِنَّ اللهُ سَمِّجَدُهُ فِي ذَاتِهِ<sup>٢</sup> ، وَسَمِّجَدُهُ سَرِيعًا .

٣٣ ❖ يَا أَبْنَائِي<sup>٤</sup> ، أَنَا بَاقٍ مَعَكُمْ زَمَانًا يَسِيرًا بَعْدَهُ ،

وَسَتَطَّلُبُونَنِي<sup>٦</sup> ، وَكَمَا قُلْتُ لِلْيَهُودِ<sup>٧</sup> ، حَيْثُ

أَذْهَبُ أَنَا لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا ، أَقُولُهُ لَكُمْ

٣٤ أَنْتُمْ أَيْضًا الْآنَ . ❖ وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ<sup>٨</sup> أَنَا

أُعْطِيكُمْ : أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا . كَمَا

أَحْبَبْتُمْ أَنَا<sup>١٠</sup> ، فَلْتَحِبُّوا أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا .

٣٥ ❖ بِهِدَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي إِذَا

أَحْبَبْتُمْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا<sup>١١</sup> .

٣٦ ❖ فَقَالَ لَهُ سَمِعَانَ بُطْرُسُ : «إِلَى أَيْنَ

تَذْهَبُ يَا رَبُّ؟» . أَجَابَ يَسُوعُ قَائِلًا : «حَيْثُ

أَذْهَبُ أَنَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ الْآنَ أَنْ تَتَّبِعَنِي<sup>١٢</sup> .

٣٧ وَلَكِنَّكَ سَتَتَّبِعُنِي أَخِيرًا<sup>١٣</sup>» . ❖ فَقَالَ لَهُ

بُطْرُسُ : «يَا رَبُّ لِمَاذَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَّبِعَكَ

٣٨ الْآنَ؟ إِنَّنِي أَفْدِيكَ بِحَيَاتِي<sup>١٤</sup>» . ❖ أَجَابَهُ يَسُوعُ

قَائِلًا : «أَتَفْدِينِي بِحَيَاتِكَ؟. الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ

إِنَّهُ لَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ<sup>١٥</sup> حَتَّى تَكُونَ قَدْ أَنْكَرْتَنِي

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

(١) يو ١٤ : ١٣

(٢) يو ١٤ : ١٠ ، بط ٤ : ١١

(٣) يو ١٧ : ١ ، يو ١٧ : ٢٣

(٤) يو ١٩ : ١ ، يو ١٩ : ١٠

(٥) يو ٧ : ٢٣

(٦) يو ٧ : ٢٤

(٧) يو ٧ : ٢٤ ، يو ٨ : ٢١

(٨) يو ١٣ : ١٨ ، يو ١٣ : ١٩

(٩) يو ١٣ : ١٥ ، يو ١٣ : ١٧ ، يو ١٣ : ١٨

(١٠) يو ١٣ : ١ ، يو ١٣ : ٢٢

(١١) يو ١٣ : ١٧ ، يو ١٣ : ١٨ ، يو ١٣ : ١٩

(١٢) يو ١٣ : ١٧ ، يو ١٣ : ١٨ ، يو ١٣ : ١٩

(١٣) يو ١٣ : ٢١ ، يو ١٣ : ٢٢ ، يو ١٣ : ٢٣

(١٤) يو ١٣ : ٢١ ، يو ١٣ : ٢٢ ، يو ١٣ : ٢٣

(١٥) يو ١٣ : ٢١ ، يو ١٣ : ٢٢ ، يو ١٣ : ٢٣



الْوَصَايَا الْآخِرَةَ لِلسَّيِّدِ الْمَسِيحِ إِلَى تَلَامِيذِهِ . يوحنا ١٤ : ٧١



الفصل الرابع عشر

(١) يو ١٤ - ٢٧  
١٦ - ٢٢ و ٢٣ و ٢٤  
(٢) يو ٣٢ - ٣٣  
١٥ - ١٤ و ١٦  
(٣) يو ١٣ - ٣٣ و ٣٦  
(٤) يو ١٤ - ١٨  
٢٨٦ - ١١ و ١٢  
(٥) يو ١٢ - ٢٦  
١٧ - ٢٤ و ١٠  
٤ - ١٧

٣٤  
٣٥  
٣٦

الْوَصَايَا  
الْآخِرَةَ لِلسَّيِّدِ  
الْمَسِيحِ إِلَى  
تَلَامِيذِهِ :

- ١ ❖ « لَا تَضْطَرِّبْ قُلُوبَكُمْ ١ . إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ
- ٢ بِاللَّهِ ، فَآمِنُوا بِي . ❖ إِنْ فِي بَيْتِ أَبِي ٢ مَنَازِلَ
- كَثِيرَةً . فَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَقُلْتُ لَكُمْ . أَنَا ذَاهِبٌ
- ٣ لِأَعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا ٣ . ❖ وَلَئِنْ ذَهَبْتُ وَأَعَدَدْتُ
- لَكُمْ مَكَانًا ، سَأَجِيءُ ٤ ثَانِيَةً وَأَخَذُكُمْ إِلَيَّ ، حَتَّى
- ٤ تَكُونُوا أَنْتُمْ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا . ❖ أَنْتُمْ
- ٥ تَعْرِفُونَ الطَّرِيقَ إِلَى حَيْثُ أَنَا ذَاهِبٌ . ❖ فَقَالَ لَهُ
- تُومَا : « يَا رَبُّ إِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ أَنْتَ
- ٦ ذَاهِبٌ ، فَكَيْفَ نَعْرِفُ الطَّرِيقَ ؟ » ❖ قَالَ لَهُ
- يَسُوعُ : « أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ ٧ وَالْحَقُّ ٨ وَالْحَيَاةُ ٩ .
- ٧ لِأَيَاتِي أَحَدٌ إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي ❖ لَوْ كُنْتُمْ قَدْ

(٦) يو ١١ - ١٦  
(٧) عب ٩ - ٨  
١٠ - ٢٠ و ٢١  
٩ - ٢ و ٢  
١٨  
(٨) يو ١٧ و ١٤  
٨ - ٢٢  
(٩) يو ١٤ - ١١  
٢٥ - ١ و ٥ و ٢٠  
(١٠) يو ١٠ - ٩

الْوَصَايَا الْأَخِيرَةَ لِلْسَيِّدِ الْمَسِيحِ إِلَى تَلَامِيذِهِ . يوحنا ١٤ : ٧ - ١٧

- ٨ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا . وَمُنْذُ الْآنَ تَعْرِفُونَهُ<sup>٢</sup> ، وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ<sup>٣</sup> . ❖ فَقَالَ لَهُ
- ٩ فِيلِبُّسُ : « يَا رَبُّ أَرِنَا الْآبَ وَكَفَانَا » . ❖ قَالَ لَهُ يَسُوعُ : أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ هَذَا الزَّمَانِ وَلَمْ تَعْرِفْنِي بَعْدَ يَا فِيلِبُّسُ ؟ مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ . فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ أَرِنَا الْآبَ ؟ ❖ الْأَتُومِينَ بَأَنِّي أَنَا فِي أَبِي وَأَنَّ أَبِي فِيَّ<sup>٦</sup> ؟ إِنْ الْكَلَامَ الَّذِي أَكَلِمَكُم بِهِ لَا أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي أَنَا وَحْدِي<sup>٧</sup> ، وَإِنَّمَا الْآبُ الْكَائِنُ فِيَّ هُوَ الَّذِي يَعْمَلُ أَعْمَالَهُ . ❖ صَدَّقُونِي أَنِّي فِي أَبِي وَأَنَّ أَبِي فِيَّ ، وَإِلَّا فَصَدَّقُونِي مِنْ أَجْلِ الْأَعْمَالِ نَفْسِهَا<sup>٨</sup> . ❖ الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِي فَالْأَعْمَالُ الَّتِي أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا<sup>٩</sup> ، بَلْ وَبِعَمَلٍ أَعْظَمَ مِنْهَا<sup>١٠</sup> ، لِأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي . ❖ فَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَ بِاسْمِي أَنَا أَفْعَلُهُ<sup>١١</sup> لَكُمْ ، لِيَكُنَّ يَتِمَّجِدُ الْآبُ فِي الْإِلَهِ . ❖ فَإِنْ طَلَبْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي أَفْعَلُهُ<sup>١٢</sup> . ❖ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ<sup>١٥</sup> . ❖ وَسَأَطْلُبُ إِلَى الْآبِ فَيُعْطِيكُمْ مِعْزِيًا آخَرَ<sup>١٦</sup> لِيُقِيمَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ . ❖ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ<sup>١٨</sup> لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ

انظر الصفحة التالية

الْوَصَايَا الْآخِرَةَ لِلسَّيِّدِ الْمَسِيحِ إِلَى تَلَامِيذِهِ . يوحنا ١٤ : ١٧ - ٢٧

- وَلَا يَعْرِفُهُ ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ يُقِيمُ مَعَكُمْ  
 وَيَكُونُ فِيكُمْ<sup>١</sup> . ❖ كُنْ أَتْرَكَكُمْ يَتَامَى . ١٨
- ❖ وَإِنَّمَا سَأَجِيءُ إِلَيْكُمْ<sup>٢</sup> . بَعْدَ قَلِيلٍ<sup>٣</sup> لَنْ يَرَانِي  
 الْعَالَمُ بَعْدَ ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَوْفَ تَرَوْنِي<sup>٤</sup> ، لِأَنِّي أَنَا  
 حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ أَيْضًا<sup>٥</sup> . ❖ وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ<sup>٦</sup>  
 سَتَعْلَمُونَ أَنِّي فِي أَبِي<sup>٧</sup> ، وَأَنْكُمْ أَنْتُمْ فِيَّ وَأَنَا  
 فِيكُمْ . ❖ إِنْ الَّذِي لَدَيْهِ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا هُوَ  
 الَّذِي يُحْيِي<sup>٨</sup> ، وَالَّذِي يُحْيِي يُحْيِيهِ أَبِي<sup>٩</sup> ، وَأَنَا  
 أَيْضًا أُحْيِيهِ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي<sup>١٠</sup> . ❖ فَقَالَ لَهُ  
 يَهُوذَا<sup>١١</sup> لَيْسَ الْإِسْخَرْيُوطِيُّ : « يَارَبُّ ، مَاذَا  
 حَدَّثْتَ حَتَّى إِنَّكَ مُزْمِعٌ أَنْ تُظْهِرَ ذَاتَكَ لَنَا  
 نَحْنُ<sup>١٢</sup> ، وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ ؟ » ❖ أَجَابَ يَسُوعُ  
 وَقَالَ لَهُ : « مَنْ يُحْيِي<sup>١٣</sup> يَحْفَظُ كَلَامِي<sup>١٤</sup> وَيُحْيِيهِ  
 أَبِي وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَقِيمُ<sup>١٥</sup> . ❖ وَمَنْ لَا يُحْيِي  
 لَا يَحْفَظُ كَلَامِي . إِنْ الْكَلَامَ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ  
 كَلَامِي ، وَإِنَّمَا كَلَامُ الْآبِ الَّذِي أُرْسَلَنِي<sup>١٦</sup> .  
 ❖ وَقَدْ قُلْتُ لَكُمْ هَذَا وَأَنَا مُقِيمٌ بَيْنَكُمْ . ❖ حَتَّى  
 إِذَا جَاءَ الْمُعْزَى<sup>١٧</sup> وَهُوَ الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي  
 سِيرْسِلُهُ الْآبُ<sup>١٨</sup> بِاسْمِي ، فَسَيَعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ<sup>١٩</sup>  
 وَيَذَكِّرُكُمْ<sup>٢٠</sup> بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ . ❖ سَلَامِي أَتْرَكَ<sup>٢١</sup>

(١٧) يو ١٥ : ٢٦

(١٨) يو ١٠ : ١٣

(١٩) يو ٧ : ٥

(٢٠) يو ١٦ : ١٣

(٢١) كورنثوس ٢ : ١٤

(٢٢) يو ١ : ٢

(٢٣) يو ٢ : ٢٧

(٢٤) مت ٢٨ : ٢٠

(٢٥) يو ٣ : ٢٨

(٢٦) يو ٧ : ٣٣

(٢٧) يو ١٦ : ٢٣

(٢٨) يو ١٦ : ٢٣

(٢٩) يو ١٦ : ٢٣

(٣٠) يو ١٦ : ٢٣

(٣١) يو ١٦ : ٢٣

(٣٢) يو ١٦ : ٢٣

(٣٣) يو ١٦ : ٢٣

(٣٤) يو ١٦ : ٢٣

(٣٥) يو ١٦ : ٢٣

(٣٦) يو ١٦ : ٢٣

(٣٧) يو ١٦ : ٢٣

(٣٨) يو ١٦ : ٢٣

(٣٩) يو ١٦ : ٢٣

(٤٠) يو ١٦ : ٢٣

(٤١) يو ١٦ : ٢٣

(٤٢) يو ١٦ : ٢٣

(٤٣) يو ١٦ : ٢٣

(٤٤) يو ١٦ : ٢٣

(٤٥) يو ١٦ : ٢٣

(٤٦) يو ١٦ : ٢٣

(٤٧) يو ١٦ : ٢٣

(٤٨) يو ١٦ : ٢٣

(٤٩) يو ١٦ : ٢٣

(٥٠) يو ١٦ : ٢٣

(٥١) يو ١٦ : ٢٣

(٥٢) يو ١٦ : ٢٣

(٥٣) يو ١٦ : ٢٣

(٥٤) يو ١٦ : ٢٣

(٥٥) يو ١٦ : ٢٣

(٥٦) يو ١٦ : ٢٣

(٥٧) يو ١٦ : ٢٣

(٥٨) يو ١٦ : ٢٣

(٥٩) يو ١٦ : ٢٣

(٦٠) يو ١٦ : ٢٣

انظر الصفحة التالية

الْوَصَايَا الْأَخِيرَةَ لِلسَّيِّدِ الْمَسِيحِ إِلَى تَلَامِيذِهِ . يوحنا ١٤ : ٢٧ - ٣١

(١٧) لو ٢٤ : ٤٩

(١٨) يو ١٦ : ١٠ - ٢٦

٧ : ١٦

(١٨) يو ١٦ : ٣٣

(١٩) يو ١٦ : ٧

لو ٢٤ : ٤٩ ، أع ٢ : ٢٢

٣٣

(١٩) يو ١٦ : ١٣

١ : ٢٧ ، ٢٠ : ٢٧

(٢٠) يو ٢٢ : ٢٢

(١) يو ١٦ : ٣٣

(٢) يو ١٩ : ٤ ، ٢٠ : ٧

كو ١٥

(٢) لوقا ١٤ : ١٤

(٣) لوقا ١٤ : ١

(٤) لوقا ١٤ : ٣ ، ١٨

(٥) لوقا ١٤ : ١٢

(٦) لوقا ١٦ : ١٦ ، ٢٠ : ١٧

(٦) لوقا ١٨ : ١٠ ، ١٩ : ١١

(٦) لوقا ٢٩ : ٣ ، ٣٠ : ٦

١١

(٧) يو ١٣ : ١٩

٤ : ١٦

(٨) يو ١٢ : ٣١

١١ : ١٦

(٩) عب ١٤ : ١٥

(١٠) يو ١٠ : ١٨

(١٢) لوقا ١٤ : ٨ ، ١٩ : ١٢

عب ٨ : ٥

لَكُمْ . سَلَامِي أَنَا أُعْطِيكُمْ<sup>١</sup> . لَيْسَ كَمَا يُعْطَى

الْعَالَمُ<sup>٢</sup> أُعْطِيكُمْ أَنَا . لَا تَضْطَرِبُ قُلُوبَكُمْ<sup>٣</sup>

وَلَا تَجْرَعُ<sup>٤</sup> . قَدْ سَمِعْتُمْ قَوْلِي إِنِّي سَأَذْهَبُ ثُمَّ

أَجِيءُ ثَانِيَةً إِلَيْكُمْ<sup>٥</sup> . فَلَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ

تَفْرَحُونَ بَأَنِّي أَمْضِي إِلَى أَبِي<sup>٦</sup> ، لِأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ

مَنِّي<sup>٦</sup> . وَقَدْ قُلْتُ لَكُمْ ذَلِكَ الْآنَ قَبْلَ أَنْ

يَكُونَ ، فَإِذَا كَانَ تَوْمِنُونَ<sup>٧</sup> . لا أَقُولُ لَكُمْ بَعْدُ

كَلَامًا كَثِيرًا ، لِأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ<sup>٨</sup> يَأْتِي

وَلَا يَمْلِكُ فِيَّ شَيْئًا<sup>٩</sup> . لَكِن لَكِي يَعْرِفُ الْعَالَمُ

أَنِّي أُحِبُّ أَبِي وَأَنِّي أَعْمَلُ مَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي<sup>١٠</sup> .

قَوْمُوا نَنْطَلِقُوا مِنْ هُنَا .

٢٨

٢٩

٣٠

٣١



السيد المسيح يواصل وصاياه لتلاميذه . يوحنا ١٥ : ١ - ٥



الفصل الخامس عشر

١ «أنا هو الكرمة الحقيقية وأبى هو  
 ٢ الكرام». كل غصن في لا يأتي بثمر ينزعه  
 ٣ وكل غصن مثمر ينقيه ليأتي بثمر أكثر أنتم  
 الآن أنقياء بفعل الكلام الذي كلمتكم به .  
 ٤ اثبتوا في ، كما أنا أيضا فيكم . فكما أن  
 الغصن لا يمكنه أن يأتي بثمر من ذاته وحده إن  
 لم يثبت في الكرمة ، هكذا أنتم لا يمكنكم أن  
 ٥ تأتوا بثمر إن لم تثبتوا في . أنا الكرمة ، وأنتم  
 الأغصان . فالذي يثبت في وأنا فيه يأتي بثمر  
 كثير ، لأنكم بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا

(١) إن ١ : ٥ ، ١٠ : ١٩  
 مز ١٠ : ١٧ ، ١٠ : ١٧  
 مت ٢١ : ١٨ ، ٢١ : ٢١  
 ٣٣  
 (٢) مت ١٣ : ١٣  
 يو ١١ : ١٧ ، ١١ : ١٧  
 ٧ : ٣

السيد المسيح  
 يواصل  
 وصاياه  
 لتلاميذه :

(٣) مت ١٥ : ١٣  
 (٤) يو ١٣ : ١٣ ، ١٠ : ١٠  
 ١٧ : ١٧ ، ١٧ : ١٧  
 (٥) كو ١ : ٢٣ ، ١ : ١  
 يو ١٦ : ٢٦ ، ١٦ : ٢٦  
 (٦) مر ١٤ : ١٨ ، ١٤ : ١٨  
 ١١ : ١١ ، ١٣ : ١٣

السيد المسيح هو الكرمة وتلاميذه الأغصان . يوحنا ١٥ : ٥ - ١٦

- ٦ شَيْئًا ١. ❖ وَأَمَّا الَّذِي لَا يَثْبُتُ فِي فِطْرَحِ خَارِجًا  
كَالْغُصْنِ فَيَجِفُّ ، فَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ  
فَيَحْتَرِقُ ٢. ❖ إِنْ أَنْتُمْ نَبْتُمْ فِي وَبْتِ كَلَامِي  
فِيكُمْ ، فَإِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تَشَاءُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ ٣.  
٨ ❖ بِهَذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي ٤ : أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ كَثِيرٍ ،  
٩ فَتَكُونُوا تَلَامِيذِي ٥. ❖ كَمَا أَحْبَبَنِي أَبِي ٦ ،  
١٠ هَكَذَا أَحْبَبْتُمْ أَنَا ، فَاتَّبِعُوا فِي مَحَبَّتِي . ❖ إِنْ  
حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ نَبْتُمْ فِي مَحَبَّتِي ٧ ، كَمَا أَنِّي أَنَا  
١١ حَفِظْتُ ٨ وَصَايَا أَبِي وَثَبْتُ فِي مَحَبَّتِهِ . ❖ قَدْ  
كَلَّمْتُمْ بِهَذَا ٩ لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ وَلِيَكْتَمِلَ  
فَرَحُكُمْ ١٠ .
- ١٢ ❖ « هَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي ، أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ  
بَعْضًا ١١ ، كَمَا أَحْبَبْتُمْ أَنَا . ❖ مَا مِنْ حُبٍّ  
أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَبْدُلَ أَحَدٌ نَفْسَهُ عَنْ أَحِبَّائِهِ ١٢ .  
١٤ ❖ وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ أَحِبَّائِي إِنْ عَمِلْتُمْ بِمَا أَوْصَيْتُمْ  
١٥ بِهِ ١٣ . ❖ لَا أَدْعُوكُمْ عِبِيدًا بَعْدَ ، لِأَنَّ الْعَبْدَ  
لَا يَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَقَدْ دَعَوْتُمْ  
أَحِبَّاءَ لِأَنِّي عَرَفْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي ١٤ .  
١٦ ❖ لَسْتُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ اخْتَرْتُمُونِي ، وَإِنَّمَا أَنَا الَّذِي  
اخْتَرْتُكُمْ ١٥ وَأَقَمْتُكُمْ لِتَنْطَلِقُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ ١٦ ،

انظر الصفحة التالية

(تابع) السيد المسيح هو الكرمة وتلاميذه الأغصان.

يوحنا ١٥: ١٦-٢٤

- ١٦ وَيَدُومَ ثَمَرِكُمْ ، كَيْ يَعْطِيَكُمْ الْآبُ كُلَّ مَا تَطْلُبُونَهُ  
١٧ بِاسْمِي . ١ ﴿ بِهَذَا أُوصِيكُمْ : أَنْ تُحِبُّوا  
بَعْضُكُمْ بَعْضًا ٢ ﴾ .
- ١٨ ﴿ إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ  
١٩ أَبْغَضَنِي قَبْلَ أَنْ يُبْغِضَكُمْ ٣ . ﴾ لَوْ كُنْتُمْ مِنَ  
الْعَالَمِ ٤ ، لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ الَّذِينَ مِنْهُ ؛ وَلَكِنْ  
لَأَنْكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ ، وَإِنَّمَا أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ  
الْعَالَمِ . لِذَلِكَ يُبْغِضُكُمْ الْعَالَمُ ٥ . ﴿ تَذَكَّرُوا  
٢٠ الْكَلَامَ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ  
خَادِمٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ ٦ . فَإِنْ كَانُوا قَدْ  
اضْطَهَدُونِي فَسَيُضْطَهَدُونَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا ٧ ، وَإِنْ  
كَانُوا قَدْ حَفِظُوا كَلَامِي ، فَسَيَحْفَظُونَ كَلَامَكُمْ ٨ .
- ٢١ ﴿ وَلَكِنَّهُمْ سَيَقْعُونَ بِكُمْ هَذَا كُلَّهُ بِسَبَبِ  
اسْمِي ٩ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الَّذِي أَرْسَلَنِي ١٠ .
- ٢٢ ﴿ لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ جِئْتُ وَكَلَّمْتَهُمْ ، لَمَا كَانَتْ  
لَهُمْ خَطِيئَةٌ ١١ . وَآمَّا الْآنَ فَلَيْسَ لَهُمْ عُدْرَةٌ فِي  
٢٣ خَطِيئَتِهِمْ ١٢ . ﴾ إِنْ الَّذِي يُبْغِضُنِي يُبْغِضُ أَبِي  
٢٤ أَيْضًا ١٣ . ﴿ لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ صَنَعْتُ بَيْنَهُمْ أَعْمَالًا  
لَمْ يَصْنَعُوا أَحَدٌ غَيْرِي ١٤ ، لَمَا كَانَتْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ .  
وَآمَّا الْآنَ فَقَدْ رَأَوْنِي وَأَبْغَضُونِي أَنَا وَأَبِي .
- ١٥) يو ١٦ : ٧٠  
١٦) مت ٢٨ : ١٩  
١٧) مر ١٦ : ١٥  
١٨) يو ١٤ : ١٣  
١٩) يو ١٥ : ٧  
٢٠) يو ١٥ : ١٢  
٢١) يو ٩ : ١٣  
٢٢) يو ١ : ٤  
٢٣) يو ١٣ : ٧  
٢٤) مت ١ : ٢٢  
٢٥) يو ١٧ : ١٤  
٢٦) مت ١٠ : ٢٤  
٢٧) يو ١٣ : ١٦  
٢٨) يو ١٤ : ٢٢  
٢٩) يو ١٧ : ١٤  
٣٠) يو ١٧ : ١٤  
٣١) يو ١٦ : ٨  
٣٢) يو ١٧ : ١٤  
٣٣) يو ١٧ : ١٤  
٣٤) يو ١٧ : ١٤  
٣٥) يو ١٧ : ١٤  
٣٦) يو ١٧ : ١٤  
٣٧) يو ١٧ : ١٤  
٣٨) يو ١٧ : ١٤  
٣٩) يو ١٧ : ١٤  
٤٠) يو ١٧ : ١٤
- انظر الصفحة التالية

السيد المسيح هو الكرمه وتلاميذه الأغصان. يوحنا ١٥: ٢٥-٢٧: ١٦: ١-٤



(١١) بر ٤١ : ٩

(١٢) بر ١٩ : ٢٠ - ع

١٧ : ٤



(١٣) بر ٦٨ : ٩ - بر

١٥ - ١٠ - ١٠ - بر ٢

٢٣

(١٤) بر ٣ : ٢٧ - ٢

٣١ - ٩ - ٣٢ - ٥٠

٣٦ - ١٠ - ٣٦

(١) بر ٢٤ : ١٩

٤ : ٦٨

(٢) بر ١٤ : ١٦

(٣) بر ١٤ : ٢٦

١٤ : ١٧

(٤) بر ٢٤ : ٤٩ - بر

١٤ : ١٧ - ٢٦ : ١٦

٧ : ١٣ - ٢ - ٣٣

٣٤ : ١

(٥) بر ٦ : ٧ - ٦

(٦) بر ٢٤ : ٤٨ - ٤

٢٠ : ٢٢ - ٢١ : ٢٠

٢٢ : ١٥ - ٢٠

٢٠ : ٢٣ - ٥ - ٢٢

١٠ : ١٣ - ٣٩ : ٣٦

١ : ١٠ - ٢٠ : ٢٠ - بط

١ : ١٦ - ٢٩ : ١٩

٣٥ : ٢١ - ٢٤ : ١٠ - بر

١ : ٢ - ١٤ : ١٤

(٧) بر ١ : ١٠ - ١٠ - بر

١ : ١٠ - ١٠ - بر

(٨) بر ١٥ : ١٨ - ٢٨

(٩) مت ١١ : ٦ - ٦

٢٤ : ١٠ - ٢٦ : ٣١

(١٠) بر ٩ : ٢٢ - ٢٤

١٢ : ٤٢

انظر الصفحة التالية

٢٥ ﴿ وَلَكِنَّ هَذَا قَدْ كَانَ لِيَتِمَّ الْمَكْتُوبُ فِي شَرِيْعَتِهِمْ ٢٥ ﴾

٢٦ ﴿ إِنَّهُمْ أَبْغَضُونِي بِلَا سَبَبٍ ٢٦ ﴾ . ﴿ وَمَتَى جَاءَ ٢٦ ﴾

الْمُعْزَى ٢ الَّذِي سَأَرْسِلُهُ ٢ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي ،

رُوحُ الْحَقِّ الْمُنْتَبِهُ مِنَ الْآبِ ٢ ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي ٢ .

٢٧ ﴿ وَأَنْتُمْ أَيْضًا سَتَشْهَدُونَ لِي ٦ ، لِأَنَّكُمْ مَعِيَ مِنْذُ ٢٧ ﴾

الْإِتِّدَاءِ ٧ .



### الفصل السادس عشر

١ ﴿ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا ١ لئَلَّا تَصْطَلِدُوا بِمَا ١ ﴾

٢ يُعْتَرِكُمْ ٩ . ﴿ فَإِنَّهُمْ سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنْ ٢ ﴾

الْمَجَامِعِ ١٠ . بَلْ سَتَاتِي سَاعَةً ١٠ يَطْرُقُ فِيهَا كُلُّ مَنْ ٢

٣ يَتَلَكَّمُ أَنَّهُ يُقَدِّمُ ذَبِيحَةً لِلَّهِ ١١ . ﴿ وَهُمْ سَيَفْعَلُونَ ٣ ﴾

هَذَا بِكُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا الْآبَ وَلَا عَرَفُونِي ١٢ .

٤ ﴿ وَمَا قُلْتُ لَكُمْ هَذَا إِلَّا لِتَتَذَكَّرُوا ، مَتَى ٤ ﴾



السيد المسيح يواصل وصاياه لئلا ميده .

يوحنا ١٦ : ٤ - ١٤

- جَاءَتِ السَّاعَةُ ، أَنَّنِي قُلْتُهُ لَكُمْ<sup>١</sup> . وَلَمْ أَقُلْهُ لَكُمْ  
مُنْذُ الْإِبْتِدَاءِ . لِأَنَّي كُنْتُ مَعَكُمْ<sup>٢</sup> . ❖ **أَمَّا الْآنَ** ٥  
فَإِنِّي مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي<sup>٣</sup> . وَلَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ  
مِنْكُمْ إِلَى أَيْنَ تَمْضِي<sup>٤</sup> ؟ ❖ **وَلَكِنَّكُمْ إِذْ قُلْتُمْ** ٦  
لَكُمْ هَذَا مَلَأَ الْحُزْنَ قُلُوبَكُمْ<sup>٥</sup> . ❖ **إِلَّا أَنَّنِي** ٧  
أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ ، لِأَنَّي  
إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمَعْرَى<sup>٦</sup> . **أَمَّا إِذَا مَضَيْتُ**  
فَإِنِّي أَرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ<sup>٧</sup> . ❖ **وَمَتَى جَاءَ هَذَا فَسَيُوبِخُ** ٨  
الْعَالَمَ عَلَى الْحَظِيئَةِ ، وَعَلَى الْبِرِّ ، وَعَلَى  
الدِّيْنُونَةِ . ❖ **أَمَّا عَلَى الْحَظِيئَةِ فَلِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ٩  
بِي<sup>٨</sup> . ❖ **وَأَمَّا عَلَى الْبِرِّ فَلِأَنِّي مُنْطَلِقٌ إِلَى أَبِي** ١٠  
فَلَا تَرَوْنِي بَعْدُ<sup>٩</sup> . ❖ **وَأَمَّا عَلَى الدِّيْنُونَةِ فَلِأَنَّ** ١١  
رَبِّسَ هَذَا الْعَالَمَ قَدْ أُدِين<sup>١٠</sup> . ❖ **لَا يَزَالُ** ١٢  
عِنْدِي كَلَامٌ كَثِيرٌ لِأَقُولُهُ لَكُمْ ، وَلَكِنَّكُمْ لَا تَطِيقُونَ  
اِحْتِمَالَهُ الْآنَ<sup>١١</sup> . ❖ **فَمَتَى جَاءَ ذَلِكَ الَّذِي هُوَ** ١٣  
رُوحُ الْحَقِّ<sup>١٢</sup> ، فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى الْحَقِّ كُلِّهِ<sup>١٣</sup> ،  
لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ عِنْدِهِ ، وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِمَا  
يَسْمَعُهُ ، وَسَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ<sup>١٤</sup> . ❖ **إِنَّهُ** ١٤  
يَمَجِّدُنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ<sup>١٥</sup> .

(١١) أع ١٨ : ١١

(١٢) ١٠ : ٢٦ ، ١٠ : ٢٦ ، ١٠ : ٢٦

(١٣) أع ٢٦ : ٩

(١٤) إش ٥٥ : ١١

(١٥) ٩ : ٦

(١٦) لو ٢٣ : ٣٤ ، يو ١٧ : ١٥

(١٧) أع ٢١ : ١٥

(١٨) رو ١٢ : ١٠ ، ١٢ : ١٠

(١٩) ١ : ١٠ ، ١٣ : ١١

(٢٠) يو ١٣ : ١٣

(٢١) ٢٩ : ١٤

(٢٢) مت ١٠ : ٩ ، ١٥ : ١٥

(٢٣) ٨ : ١٨

(٢٤) ١٣ : ٣٣ ، ١٣ : ٣٣

(٢٥) ١٣ : ١٤ ، ١٣ : ١٤

(٢٦) يو ١٠ : ١٦ ، ١٦ : ١٦

(٢٧) ١٣ : ١٣ ، ١٣ : ١٣

(٢٨) ٥ : ١٤

(٢٩) يو ١٤ : ١٤ ، ١٤ : ١٤

(٣٠) ٢٢ : ١٦

(٣١) ١٤ : ٣٩ ، ١٧ : ١٦

(٣٢) ٢٦ : ١٥ ، ١٦ : ١٦

(٣٣) (٧) أع ٢ : ٣٣ ، أف ٨ : ٤

(٣٤) ٢٢ : ١٥ ، ٢٢ : ١٥

(٣٥) ١١ : ١٠ ، ١١ : ١٠

(٣٦) ٢٢ : ٢ ، ٢٢ : ٢

(٣٧) ١١ : ١٠ ، ١١ : ١٠

(٣٨) ١٠ : ١٠ ، ١٠ : ١٠

(٣٩) ١٠ : ١٤ ، ١٠ : ١٤

(٤٠) ٣٢ : ٣٢ ، ٣٢ : ٣٢

(٤١) ٣٠ : ٣٠ ، ٣٠ : ٣٠

(٤٢) ١٧ : ١٧ ، ١٧ : ١٧

(٤٣) ١٠ : ٣ ، ١٠ : ٣

(٤٤) (١٠) لو ١٠ : ١٨ ، يو ١٢ : ٣١

(٤٥) أف ٢ : ٢٢ ، ٢ : ٢٢

(٤٦) ٢ : ١٥ ، ٢ : ١٥

(٤٧) نظر الصفحة التالية

- ١٥ ❖ جَمِيعُ مَا لِيَلَابِ فَهَوِ لِي ١ . لِذَلِكَ قُلْتُ لَكُمْ  
 ١٦ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ . ❖ بَعْدَ قَلِيلٍ  
 لَا تَرَوْنِي ٢ ، ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضًا تَرَوْنِي ، لِأَنِّي  
 مُنْطَلِقٌ إِلَى أَبِي ٣ .
- ١٧ ❖ فَقَالَ بَعْضُ تَلَامِيذِهِ فِيمَا بَيْنَهُمْ : « مَا هَذَا  
 الَّذِي يَقُولُهُ لَنَا : بَعْدَ قَلِيلٍ لَا تَرَوْنِي ، ثُمَّ بَعْدَ  
 قَلِيلٍ أَيْضًا تَرَوْنِي . وَلَأَنِّي مُنْطَلِقٌ إِلَى أَبِي ؟ » .
- ١٨ ❖ ثُمَّ قَالُوا : « مَا هَذَا الْقَلِيلُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ عَنْهُ ؟  
 إِنَّا لَا نَدْرِي مَاذَا يَقُولُ ؟ » .
- ١٩ ❖ فَعَلِمَ يَسُوعُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَسْأَلُوهُ ،  
 فَقَالَ لَهُمْ : « أَعَنْ هَذَا تَسْأَلُونَ فِيمَا بَيْنَكُمْ ، إِذْ  
 قُلْتُ لَكُمْ بَعْدَ قَلِيلٍ لَا تَرَوْنِي ، ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضًا  
 تَرَوْنِي ؟ . ❖ الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّكُمْ  
 سَتَبْكُونَ وَتَنُوحُونَ . وَالْعَالَمُ يَفْرَحُ . أَنْتُمْ سَتَحْزَنُونَ  
 وَلَكِنْ حُزْنُكُمْ سَيَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ ٦ . ❖ فَالْمَرْأَةُ  
 ٢١ وَهِيَ تَلِدُ تَحْزَنُ لِأَنَّ سَاعَتَهَا قَدْ جَاءَتْ ٧ ، وَلَكِنَّهَا  
 مَتَى وُلِدَتِ الطِّفْلَ لَا تَعُودُ تَذْكُرُ مَا كَانَتْ فِيهِ مِنْ  
 شِدَّةٍ ، لِفَرَحِهَا بِإِنِّهَا وُلِدَتْ إِنْسَانًا فِي الْعَالَمِ .

السيد المسيح يواصل وصاياه لتلاميذه .

يوحنا ١٦ : ٢٢ - ٣٠

٢٢ ❖ هَكَذَا أَنْتُمْ الْآنَ مَحْزُونُونَ ، وَلَكِنِّي سَاعِدُ

(١) يوحنا ١٦ : ٦

فَارَاكُمْ فَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ<sup>٢</sup> وَلَا يَتْرَعُ أَحَدٌ فَرَحَكُمْ

(٢) لوقا ٢٤ : ٤١

مِنْكُمْ . ❖ وَيَوْمَئِذٍ سَوْفَ لَا تَسْأَلُونِي ، عَنْ

(٣) يوحنا ٢٠ : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢

شَيْءٍ . ❖ الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُونَهُ

(٤) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

مِنَ الْآبِ بِاسْمِي يُعْطِيكُمْ<sup>٣</sup> . ❖ إِنَّكُمْ حَتَّى

(٥) يوحنا ١٦ : ٨

الآن لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئًا بِاسْمِي . اَطْلُبُوا تَنَاوُلًا ، لِيَكُونَ

(٦) يوحنا ١٦ : ١٠ ، ١١ ، ١٢

فَرَحُكُمْ كَامِلًا<sup>٤</sup> . ❖ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ عَنْ هَذَا

(٧) يوحنا ١٦ : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

بِأَمْثَالٍ ، وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ حِينَ لَا أَكَلِّمُكُمْ بَعْدَ

(٨) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

بِأَمْثَالٍ ، وَإِنَّمَا أَكَلِّمُكُمْ عَنِ الْآبِ صِرَاحَةً ،

(٩) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

❖ وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَتَطْلُبُونَ بِاسْمِي . وَلَا أَقُولُ

(١٠) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

لَكُمْ إِنِّي سَأَطْلُبُ إِلَى الْآبِ مِنْ أَجْلِكُمْ .

(١١) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

❖ فَإِنَّ الْآبَ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ<sup>٥</sup> ، لِأَنَّكُمْ أَحْبَبْتُمُونِي

(١٢) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

وَأَمْسَمْتُمْ<sup>٨</sup> بِأَنِّي مِنَ اللَّهِ الْآبِ خَرَجْتُ<sup>٩</sup> .

(١٣) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

❖ خَرَجْتُ مِنَ الْآبِ<sup>١٠</sup> وَجِئْتُ إِلَى الْعَالَمِ ، ثُمَّ

(١٤) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

أَتْرُكُ الْعَالَمَ وَأَنْطَلِقُ إِلَى الْآبِ .

(١٥) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

❖ فَقَالَ لَهُ تَلَامِيذُهُ : « هَا أَنْتَ ذَا تَتَكَلَّمُ

(١٦) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

الآن صِرَاحَةً ، وَلَا تَقُولُ أَيَّ مَثَلٍ . ❖ وَنَحْنُ

(١٧) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

الآن نَعْرِفُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ<sup>١١</sup> ، وَلَا نَحْتَاجُ

(١٨) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

أَيَّ مَثَلٍ . ❖ وَنَحْنُ

(١٩) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

الآن نَعْرِفُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ<sup>١١</sup> ، وَلَا نَحْتَاجُ

(٢٠) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

أَيَّ مَثَلٍ . ❖ وَنَحْنُ

(٢١) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

الآن نَعْرِفُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ<sup>١١</sup> ، وَلَا نَحْتَاجُ

(٢٢) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

أَيَّ مَثَلٍ . ❖ وَنَحْنُ

(٢٣) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

الآن نَعْرِفُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ<sup>١١</sup> ، وَلَا نَحْتَاجُ

(٢٤) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

أَيَّ مَثَلٍ . ❖ وَنَحْنُ

(٢٥) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

الآن نَعْرِفُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ<sup>١١</sup> ، وَلَا نَحْتَاجُ

(٢٦) يوحنا ١٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

(تابع) السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُوَصِّلُ وَصَايَاهُ لِتَلَامِيذِهِ . يوحنا ١٦ : ٣٠ - ٣٣

(١) يو ١٦ : ١٩

(٢) يو ١٦ : ٢٧

١٧ : ٨ ، ٨ : ٤٢

(٣) يو ٤ : ٢٣

(٤) مت ٢٦ : ٣١ ، يو

١٤ : ٢٧ ، يو ٢٠

١٠ ، ١٠ : ١٣ ، يو

٢٧ : ١٩

(٥) يو ٨ : ٢٩ ، ١٤

١٠ ، ١١

(٦) يش ٩ : ٦ ، يو

١٤ : ٢٧ ، رو ١٠ : ١

كو ١ : ٢٠ ، أف ٢ : ١٤

(٧) يو ٩ : ١٥ ، إلج .

٢ : ٢٣ ، ١٢

(٨) يو ١٤ : ١ ، ١٥

١٨ ، إلج ٢ : ٢ ، ٣

١٢

(٩) مت ٩ : ٢

(١٠) رو ٨ : ٣٧ ، ١٠

يو ٤ : ٤ ، ٤ : ٢٠ ، ٢٠

كو ٢ : ١٤ ، ١٤ : ٧

إلج ١٦ : ٤ ، ١٤ : ٣

١١ : ١٢ ، ٢١

إِلَى أَنْ يَسْأَلَكَ أَحَدًا . لِهَذَا نُؤْمِنُ بِأَنَّكَ مِنَ اللَّهِ  
خَرَجْتَ ٢ .

٣١ ❖ أَجَابَهُمْ يَسُوعُ قَائِلًا : « أَتُؤْمِنُونَ الْآنَ ؟

٣٢ ❖ هُوَذَا أَنَا آتِي سَاعَةً ٣ ، وَقَدْ أَتَيْتِ الْآنَ ،

تَتَفَرَّقُونَ ٤ فِيهَا كُلُّ مِنْكُمْ إِلَى حَيْثُ كَانَ وَتَتْرَكُونِي

وَحْدِي . غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ وَحْدِي ٥ ، لِأَنَّ أَبِي

٣٣ مَعِيَ ٦ . ❖ قَدْ كَلَّمْتَكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِي

سَلَامٍ ٧ . سَيَكُونُ لَكُمْ فِي الْعَالَمِ ضَيْقٌ ٨ ، وَلَكِنْ

اطْمَئِنُّوا ٩ ، فَقَدْ غَلَبْتُ أَنَا الْعَالَمَ ١٠ . »





الفصل السابع عشر

(١) يوحنا ١١ - ٤١  
 (٢) يوحنا ١٢ - ٢٣  
 ١٣ - ٣٢  
 (٣) يوحنا ٧ - ١٣ - ٣٩  
 ٣١  
 (٤) يوحنا ٦ - ٧ - ١٣  
 ١٧ - ١٧ - ١٤  
 ٢٧ - ٢٨  
 ٢٧ - ٢٨  
 ١٨ - ٣٥ - ٣٠  
 ٢٧ - ١٢ - ١٠ - ٢٢  
 ١٥ - ١٠ - ٨ - ١٠  
 ٢٥ - ٢٧  
 (٥) يوحنا ١٠ - ٢٨  
 (٦) يوحنا ٦ - ١٧ - ٣٧  
 ٦ - ٩ - ٢٤

مَنَاجَاةُ السَّيِّدِ  
 الْمَسِيحِ أَبَاهِ  
 السَّمَاوِيِّ :

- ١ ❖ تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهَذَا ، ثُمَّ رَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ  
 السَّمَاءِ ، وَقَالَ : « يَا أَبَتَاهُ قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ ٢ . مَجْدِ  
 ٢ ابْنِكَ ٣ لِيَمَجِّدَكَ ابْنِكَ . ❖ كَمَا أَنَّكَ قَدْ أَعْطَيْتَهُ  
 سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ كَيْ يُعْطِيَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ  
 ٣ لِكُلِّ الَّذِينَ أَعْطَيْتَهُ إِيَّاهُمْ . ❖ وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ  
 الْأَبَدِيَّةُ أَنْ يَعْرِفُوكَ ٧ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقَّ الْوَاحِدَ  
 وَحْدَهُ ٨ ، مَعَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ ٩  
 ٤ ❖ أَنَا قَدْ مَجَّدْتِكَ عَلَى الْأَرْضِ ١٠ ، وَالْعَمَلُ  
 الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ ١١ . ❖ فَالآنَ  
 ٥ مَجْدِّنِي يَا أَبَتَاهُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي  
 عِنْدَكَ مِنْ قَبْلِ كَوْنِ الْعَالَمِ ١٢ .

(٧) يوحنا ٥٣ - ١١  
 ٩ - ٢٤  
 (٨) ١ - ٨ - ٤  
 ١ - ١٠ - ٩ - ٥  
 ٤٤  
 (٩) يوحنا ١٧ - ٣٤  
 ٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٢٩  
 ٥٧ - ٧ - ٢٩ - ١٠  
 ٣٦ - ١١ - ٤٢  
 (١٠) يوحنا ١٣ - ٣١  
 ١٣ - ٤٤

انظر الصفحة التالية

(تابع) مُنَاجَاةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَبَاهُ السَّمَاوِيِّ . يُوْحَنَّا ١٧ : ٦ - ١٣

- ٦ « قَدْ أَظْهَرْتُ اسْمَكَ<sup>١</sup> لِلَّذِينَ أَعْطَيْتَنِيهِمْ  
مِنَ الْعَالَمِ<sup>٢</sup> . هُمْ كَانُوا لَكَ ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنِي  
٧ إِيَّاهُمْ ، فَحَفِظُوا كَلَامَكَ<sup>٣</sup> . » وَقَدْ عَلِمُوا الْآنَ  
٨ أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ لَدُنِكَ . لِأَنِّي  
أَعْطَيْتَهُمُ الْكَلَامَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي ، وَقَدْ قَبِلُوهُ ،  
وَأَيَقَنُوا أَنِّي مِنْكَ خَرَجْتُ<sup>٤</sup> ، وَآمَنُوا بِأَنَّكَ أَنْتَ  
الَّذِي أَرْسَلْتَنِي<sup>٥</sup> . « مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا أَطْلُبُ<sup>٦</sup> .  
٩ لَسْتُ أَطْلُبُ مِنْ أَجْلِ الْعَالَمِ<sup>٨</sup> ، وَإِنَّمَا مِنْ أَجْلِ  
هُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِيهِمْ . لِأَنَّهُمْ لَكَ .  
١٠ « وَجَمِيعُ مَا هُوَ لِي هُوَ لَكَ ، وَجَمِيعُ مَا هُوَ  
١١ لَكَ هُوَ لِي<sup>٩</sup> . وَأَنَا قَدْ تَمَجَّدْتُ فِيهِمْ . « أَنَا  
لَسْتُ فِي الْعَالَمِ بَعْدُ<sup>١٠</sup> ، وَأَمَّا هُوَ لَاءَ فَهُمْ فِي  
الْعَالَمِ ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ<sup>١١</sup> ، يَا ابْنَاهُ الْقُدُّوسُ ،  
أَحْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ<sup>١٢</sup> ، هُوَ لَاءَ الَّذِينَ  
أَعْطَيْتَنِيهِمْ<sup>١٣</sup> ، لِيَكُونُوا فِي وَحْدَةٍ ، كَمَا نَحْنُ  
وَاحِدٌ<sup>١٤</sup> . « حِينَ كُنْتُ أَنَا مَعَهُمْ فِي الْعَالَمِ  
كُنْتُ أَحْفَظُهُمْ فِي اسْمِكَ<sup>١٥</sup> . هُوَ لَاءَ الَّذِينَ  
أَعْطَيْتَنِيهِمْ<sup>١٦</sup> حَفِظْتَهُمْ ، فَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ<sup>١٧</sup>  
١٣ إِلَّا ابْنُ الْهَلَاكِ<sup>١٨</sup> ، لِيَتِمَّ قَوْلُ الْكِتَابِ<sup>١٩</sup> . « وَأَمَّا  
الآنَ فَإِنِّي آتِي إِلَيْكَ<sup>٢٠</sup> . وَأَنَا أَتَكَلَّمُ بِهَذَا فِي

انظر الصفحة التالية

(تابع) مُنَاجَاةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَبَاهُ السَّمَاوِيَّ . يُوحَنَّا ١٧ : ١٣ - ٢٢

- ١٤ **العالم** ، لِيَكُونَ مَا بِي مِنْ فَرَحٍ كَامِلًا فِيهِمْ<sup>١</sup> .  
 قَدْ أَعْطَيْتَهُمْ كَلَامَكَ<sup>٢</sup> ، فَأَبْغَضَهُمْ<sup>٣</sup> الْعَالَمُ ،  
 لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ ، كَمَا أَنَّنِي أَنَا لَسْتُ مِنَ  
 الْعَالَمِ<sup>٤</sup> . إِنْنِي لَا أَطْلُبُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنْ  
 الْعَالَمِ ، وَإِنَّمَا أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشَّرِيرِ .  
 هُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ . كَمَا أَنَّنِي أَنَا لَسْتُ مِنَ  
 الْعَالَمِ<sup>٦</sup> . قَدْسَهُمْ<sup>٧</sup> فِي الْحَقِّ ، وَالْحَقُّ هُوَ  
 كَلَامُكَ<sup>٨</sup> . كَمَا أَرْسَلْتَنِي<sup>٩</sup> إِلَى الْعَالَمِ ،  
 أَرْسَلْتَهُمْ أَنَا أَيْضًا إِلَى الْعَالَمِ<sup>١٠</sup> . وَمِنْ أَجْلِهِمْ  
 أَقْدَسُ<sup>١١</sup> أَنَا ذَاتِي ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا مُقَدَّسِينَ فِي  
 الْحَقِّ<sup>١٢</sup> .
- ٢٠ **«وَلَسْتُ أَطْلُبُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ فَقَطَّ ،**  
 وَإِنَّمَا أَيْضًا مِنْ أَجْلِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي  
 بِكَلَامِهِمْ .**»** لِيَكُونُوا جَمِيعُهُمْ فِي وَحْدَةٍ<sup>١٣</sup> ،  
 كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا أَيْضًا فِيكَ<sup>١٤</sup> ،  
 لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا فِي وَحْدَةٍ فِينَا ، كَمَا يُؤْمِنُ الْعَالَمُ  
 بِأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أَرْسَلْتَنِي .**»** قَدْ أَعْطَيْتَهُمْ  
 الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي<sup>١٥</sup> ، لِيَكُونُوا فِي وَحْدَةٍ كَمَا

(١٥) يو ١٦ : ٢٩  
 (١٦) يو ١٨ : ١١  
 (١٧) يو ١٨ : ١٨  
 (١٨) يو ١٧ : ٦  
 (١٩) يو ١٨ : ٨  
 (٢٠) يو ١٧ : ٢٣  
 (٢١) يو ١٦ : ٢٥  
 (٢٢) يو ١٦ : ٢٤  
 (٢٣) يو ١٧ : ٢٤  
 (٢٤) يو ١٧ : ٨  
 (٢٥) يو ١٧ : ٢٤  
 (٢٦) يو ١٧ : ٢٤  
 (٢٧) يو ١٧ : ٢٤  
 (٢٨) يو ١٧ : ٢٤  
 (٢٩) يو ١٧ : ٢٤  
 (٣٠) يو ١٧ : ٢٤  
 (٣١) يو ١٧ : ٢٤  
 (٣٢) يو ١٧ : ٢٤  
 (٣٣) يو ١٧ : ٢٤  
 (٣٤) يو ١٧ : ٢٤  
 (٣٥) يو ١٧ : ٢٤  
 (٣٦) يو ١٧ : ٢٤  
 (٣٧) يو ١٧ : ٢٤  
 (٣٨) يو ١٧ : ٢٤  
 (٣٩) يو ١٧ : ٢٤  
 (٤٠) يو ١٧ : ٢٤  
 (٤١) يو ١٧ : ٢٤  
 (٤٢) يو ١٧ : ٢٤  
 (٤٣) يو ١٧ : ٢٤  
 (٤٤) يو ١٧ : ٢٤  
 (٤٥) يو ١٧ : ٢٤  
 (٤٦) يو ١٧ : ٢٤  
 (٤٧) يو ١٧ : ٢٤  
 (٤٨) يو ١٧ : ٢٤  
 (٤٩) يو ١٧ : ٢٤  
 (٥٠) يو ١٧ : ٢٤

انظر الصفحة التالية

(تابع) مُنَاجَاةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَبَاهُ السَّمَاوِيِّ . يُوحَنَّا ١٧ : ٢٢ - ٢٦

(١١) يو ٢٠ - ٢١

٤ : ٣٨ مت ١٠

(١١) كو ١ : ١

١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢

١٠١ - ١٠١٢

١٠١ - ١٠١٥

(١٢) ١٧ : ١٤

كو ١ : ١ - ١٠

١٨

(١٣) يو ١٠ : ١٦

١٧ - ١١ - ١٢

رو ١٢ : ٥ - ١٣

٢٨

(١٤) ١١ : ٣٨

١١ : ١٤

(١٥) ٨ : ٣٠ - ٨

١ : ١٨ - ٢ : ٦

١٤ : ١

(١٦) ١٤ : ١٠ - ١٠

يو ١ : ٣ - ٢٤

(٢) كو ٣ : ١٤

(٣) يو ١٦ - ٢٧

(٤) يو ١٢ - ٢٦

١٤ : ٣ - ١٠

٤

(٥) ٨ : ١٧ - ١٧

كو ٣ : ١٠ - ١٨

٢

(٦) يو ١٧ : ٥ - ٥

٣٤ : ٢٥

(٧) ١ : ١٠ - ٩

(٨) يو ١٥ : ٢١

٣ : ١٦

(٩) ٧ : ٢٩ - ٨

١٥ : ١٠ - ٥٥

(١٠) يو ١٦ : ٢٧

٨ : ١٧

انظر الصفحة التالية

٢٣ أَنَا نَحْنُ أَيْضًا فِي وَحْدَةٍ ١ . ❖ أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ

فِي ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا فِي وَحْدَةٍ كَامِلَةٍ ٢ ، وَلِيَعْلَمَ  
الْعَالَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أَرْسَلْتَنِي ، وَأَنِّي أَحْبَبْتَهُمْ ٣٥

٢٤ كَمَا أَحْبَبْتَنِي . ❖ يَا أَبَتَاهُ أُرِيدُ أَنْ هُوَلاءَ الَّذِينَ

أَعْطَيْتِهِمْ يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا ؛ لِيَعَايَنُوا  
مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي ، لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ

٢٥ إِنشَاءِ الْعَالَمِ ٦ . ❖ يَا أَبَتَاهُ الْحَقُّ ٧ ، إِنَّ الْعَالَمَ  
لَمْ يَعْرِفْكَ ٨ ، وَأَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ ٩ ، وَهؤلاءَ أَيْضًا

٢٦ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أَرْسَلْتَنِي ١٠ . ❖ وَقَدْ  
أَخْبَرْتَهُمْ بِاسْمِكَ ١١ وَسَاطَلْتُ أَخْبِرُهُمْ . لِيَكُونَ فِيهِمْ

الْمَحَبَّةُ الَّتِي بِهَا أَحْبَبْتَنِي ، وَأَكُونُ أَنَا أَيْضًا  
فِيهِمْ ١٢ .





اليَهُودُ يَقْبِضُونَ عَلَى الْمَسِيحِ بَارشَادٍ يَهُودًا الْخَائِنِ . يُوْحَنَّا ١٨ : ١-٤

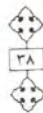


الفصل الثامن عشر

١ قَالَ يَسُوعُ هَذَا ، ثُمَّ خَرَجَ وَعَبَّرَ مَعَ تَلَامِيذِهِ إِلَى وَادِي قِدْرُونَ ، حَيْثُ كَانَ ثَمَّةَ بُسْتَانٍ ، فَدَخَلَهُ يَسُوعُ هُوَ وَتَلَامِيذُهُ . ❖ وَكَانَ يَهُودًا الْمَزْمُوعُ أَنْ يُسَلَّمَهُ يَعْرِفُ ذَلِكَ الْمَكَانَ لِأَنَّ يَسُوعَ كَانَ يَجْتَمِعُ فِيهِ كَثِيرًا مَعَ تَلَامِيذِهِ .  
 ٢ ❖ وَمِنْ ثَمَّ أَخَذَ يَهُودًا عَضْبَةً مِنَ الْجُنْدِ وَالْخُدَّامِ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيْسِيِّينَ ، وَجَاءَ بِهِمْ إِلَى هُنَاكَ وَمَعَهُمُ الْمَسَاعِلُ وَالْمَصَابِيحُ وَالْأَسْلِحَةُ . ❖ فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا سَيَأْتِي عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُمْ « مَنْ تَطْلُبُونَ ؟ » .

(١١) بر ١٥ - ١٥  
٦ - ١٧  
(١٢) بر ١٥ - ١٩  
٢٣ - ١٧

(١) ص ٢ - ٢٣  
١ مل ٢ - ٣٧  
١٣ - ٢ مل ٢٣  
٦ و ١٢ - ٢ - أنى  
١٥ و ١٦ - ٢٩ - ١٦  
٣٠ - ١٤ - بر ٣٦  
٤٠ - مت ٢٦ - ٣١  
٣٦ و ١٤ - بر ٣٦  
٣٩ - ٢٢ - بر ٣٩  
(٢) لوقا ٢١ - ٢٧  
٢٢ - ٣٩ - يوحنا ١٨



اليَهُودُ يَقْبِضُونَ عَلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ بَارشَادٍ يَهُودًا الْخَائِنِ :

(٣) يوحنا ١ - ٧  
٣٣ - أنى ١٠  
(٤) مت ٢٦  
٢٧ - ٢٥ - ١ - بر  
١٤ - ٢٣ - لوقا ٢٢  
٤٧ - ١ - ١٦  
(٥) ٦٤ - ٦٦ - ١٣  
١١ و ١

مُحَاكِمَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَمَامَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ حَنَّانٍ . يُوحَنَّا ١٨ : ٥ - ١٣

٥ ❖ أَجَابُوهُ قَائِلِينَ «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ» . فَقَالَ لَهُمْ

يَسُوعُ «أَنَا هُوَ» ، وَكَانَ يَهُودًا الَّذِي أَرَمَعَ أَنْ

٦ يُسَلِّمَهُ وَاقْفًا مَعَهُمْ . ❖ فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ : إِنِّي أَنَا

هُوَ ، ارْتَدُّوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الْأَرْضِ .

٧ ❖ فَسَأَلَهُمْ ثَانِيَةً «مَنْ تَطْلُبُونَ ؟» قَالُوا «يَسُوعَ

٨ النَّاصِرِيَّ» . ❖ فَاجَابَ يَسُوعُ قَائِلًا «قَدْ قُلْتُ

لَكُمْ إِنِّي أَنَا هُوَ . فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي ، فَاتْرُكُوا

٩ ههؤلآ يذهبون» . ❖ وَذَلِكَ لِتَتِمَّ الْكَلِمَةُ الَّتِي

قَالَهَا : «إِنَّ الَّذِينَ أَعْطَيْنَاهُمْ لَمْ أَهْلِكْ مِنْهُمْ

أَحَدًا»<sup>١</sup> .

١٠ ❖ وَكَانَ مَعَ سَمْعَانَ بُطْرُسَ سَيْفٌ فَاسْتَلَّهُ

وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ ، فَقَطَعَ أُذُنَهُ

الْيَمَنِيَّ<sup>٢</sup> ، وَكَانَ اسْمُ ذَلِكَ الْعَبْدِ مَلْحُسَ .

١١ ❖ فَقَالَ يَسُوعُ لِبُطْرُسَ : «ضَعِ السَّيْفَ فِي

عِمْدِهِ . الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَيْنَاهَا أَبِي ، أَلَا

أَشْرَبِيهَا<sup>٣</sup> ؟» .

١٢ ❖ وَعِنْدَئِذٍ أَمْسَكَ الْجُنُودُ وَالْقَائِدُ وَخَدَّمَ

١٣ الْيَهُودَ يَسُوعَ وَأَوْثَقُوهُ . ❖ ثُمَّ سَأَفُوهُ<sup>٤</sup> أَوَّلًا إِلَى

حَنَّانٍ<sup>٥</sup> ، لِأَنَّهُ كَانَ حَمًا قِيَافًا<sup>٦</sup> ، الَّذِي كَانَ رَئِيسَ

(١) يو ١٧ : ١٢  
(٢) مت ٢٦ : ٥١ . يو  
١٤ : ٤٧ ، لو ٢٢ : ٤٩  
٥٠ ،  
(٣) مت ٢٦ : ٢٠ : ٢٢  
٢٦ : ٣٩ ، ٤٢  
(٤) يو ١٨ : ٣  
(٥) أع ١٤ : ١  
(٦) مت ٢٦ : ٥٧  
(٧) لو ٢٠ : ٣  
(٨) مت ٢٦ : ٣٠ . يو  
١١ : ٤٩ ، ٥١

مُحَاكِمَةُ  
السَّيِّدِ  
الْمَسِيحِ أَمَامَ  
رَئِيسِ الْكَهَنَةِ  
حَنَّانٍ :

مُحَاكِمَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَمَامَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ حَنَّانًا . يُوحَنَّا ١٨ : ١٣ - ٢٠

١٤ الْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ . ❖ وَكَانَ قِيَافًا هَذَا هُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَى الْيَهُودِ قَائِلًا « إِنَّهُ خَيْرٌ أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ » .

(١) يوحنا ١٨ : ٢٤

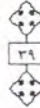
(٢) يوحنا ١١ : ٥٠

(٣) متى ٢٦ : ٥٨

١٤ - ٥٤ - لوقا ٢٢ : ٥٤

(٤) يوحنا ٧ : ٢١ و ٢٤

(٥) متى ٢٦ : ٣



١٥ ❖ وَكَانَ سِمَعَانُ بُطْرُسُ يَتَّبِعُ يَسُوعَ . وَكَذَلِكَ تَلْمِيذٌ آخَرٌ ، وَكَانَ هَذَا التَّلْمِيذُ مَعْرُوفًا لَدَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ ، فَدَخَلَ مَعَ يَسُوعَ إِلَى دَارِهِ

١٦ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ . ❖ وَأَمَّا بُطْرُسُ فَظَلَّ وَقِفًّا فِي الْخَارِجِ عِنْدَ الْبَابِ ، فَخَرَجَ التَّلْمِيذُ الْآخَرُ الَّذِي كَانَ مَعْرُوفًا لَدَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَكَلَّمَ حَارِسَةَ

١٧ الْبَابِ وَأَدْخَلَ بُطْرُسَ . ❖ فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ حَارِسَةُ الْبَابِ لِبُطْرُسَ « أَلَسْتَ أَنْتَ أَيْضًا مِنْ تَلَامِيذِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ » . فَقَالَ : « لَا ، لَسْتُ مِنْهُمْ » . ❖ وَكَانَ الْعَبِيدُ وَالْحَدَّامُ وَقَائِدُ الْوَقْفِينَ ، وَقَدْ أَشْعَلُوا جَمْرًا ، لِأَنَّهُ كَانَ بَرْدًا ، وَأَجْدُوا

(٦) متى ٢٦ : ٦٩

١٤ - ٦٦ - لوقا ٢٢ : ٥٤

(٧) أوج ١٢ : ١٣

(٨) متى ١٤ : ٥٤ و ٦٧

١٨ يَسْتَدْفِنُونَ ، وَكَانَ بُطْرُسُ أَيْضًا وَقِفًّا مَعَهُمْ يَسْتَدْفِيهِمْ .

(٩) يوحنا ٢١ : ٩

(١٠) متى ٢٦ : ٥٨

١٤ - ٥٤ - لوقا ٢٢ : ٥٤

٥٥

١٩ ❖ وَقَدْ سَأَلَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسُوعَ عَنْ

(١١) متى ٢٦ : ٥٩

٦٨ - ٥٥ - لوقا ٢٢ : ٥٤

٢٠ تَلَامِيذِهِ وَعَنْ تَعْلِيمِهِ ❖ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلًا :

٦٥ - ٢٢ - لوقا ٢٢ : ٦٣ و ٦٧

بطرسُ ينكرُ معلمه ثلاثَ مراتٍ .  
يوحنا ١٨ : ٢٠ - ٢٧

« إِنِّي كَلَّمْتُ الْعَالَمَ عَلَانِيَةً ١ ، وَقَدْ عَلَّمْتُ كُلَّ

حِينٍ فِي الْمَجَامِعِ ٢ وَفِي الْهَيْكَلِ ٣ حَيْثُ يَجْتَمِعُ  
الْيَهُودُ كُلُّهُمْ ، وَلَمْ أَقُلْ أَيَّ كَلِمَةٍ فِي الْخَفَاءِ ٤ .

❖ فَلِمَاذَا تَسْأَلُنِي أَنَا ؟ سَلِ الَّذِينَ سَمِعُوا مَا قُلْتَهُ

لَهُمْ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَعْرِفُونَ مَا قُلْتَهُ ٥ » ❖ فَلَمَّا قَالَ

يَسُوعُ هَذَا ، لَطَمَهُ أَحَدُ الْخُدَّامِ الْوَاقِفِينَ قَائِلًا لَهُ

« أَهَكَذَا تُجِيبُ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ ؟ ٦ » ❖ فَجَابَهُ

يَسُوعُ قَائِلًا : « إِنْ كُنْتُ قَدْ غَلِطْتُ فِي كَلَامِي فَقُلْ

لِي فِيمَ غَلِطْتُ ، فَإِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ بِالصَّوَابِ

فَلِمَاذَا تُضْرِبُنِي ٧ ؟ » ❖ وَعِنْدَئِذٍ أَرْسَلَهُ حَنَّانُ

مُوثِقًا إِلَى قِيَافَا رَئِيسِ الْكَهَنَةِ ٨ .

(١) مت ٢٦ : ٥٥ ، لو

٤ : ١٥ ، يو ٧ : ١٤

٢٦ ، ٢٨ ، ٢٨ : ٢

٢٦

(٢) مت ٢٣ : ٤ ، يو

٦ : ٥٩

(٣) مت ٢٦ : ٥٥

(٤) يش ٥٤ : ١٩

٤٨ : ١٦

(٥) لو ٢٠ : ٢ ، أع

٢٣ : ٢ ، يو ١٩ : ٣

(٦) مت ٥ : ٣٩ ، أع

٢٣ : ٥

(٧) مت ٢٦ : ٥٧ ، يو

١٨ : ١٣

٢١

٢٢

٢٣

٢٤

بطرسُ ينكرُ

معلمه ثلاثَ

مراتٍ :

❖ وَإِذْ كَانَ سَمْعَانُ بَطْرُسُ وَاقِفًا يَسْتَدْفِي ٩

قَالُوا لَهُ « أَلَسْتَ أَنْتَ أَيْضًا مِنْ تَلَامِيذِهِ ١٠ ؟ » فَانْكَرَ

وَقَالَ « لَسْتُ مِنْهُمْ ١١ » . ❖ ثُمَّ قَالَ وَاحِدٌ مِنْ عِبِيدِ

رَئِيسِ الْكَهَنَةِ كَانَتْ تَرْبِطُهُ صِلَةٌ بِذَلِكَ الَّذِي قَطَعَ

بَطْرُسُ أُذُنَهُ : « أَمَا رَأَيْتَكَ أَنَا مَعَهُ فِي الْبَسْتَانِ ؟ ١٢ » .

❖ فَانْكَرَ بَطْرُسُ مَرَّةً أُخْرَى . وَعِنْدَئِذٍ صَاحَ

الذَّيْلُ ١٣ .

(٨) مت ٢٦ : ٦٩

١٧١ ، مر ١٤ : ٦٩

لو ٢٢ : ٥٨

(٩) مت ٢٦ : ٧٤ ، مر

١٤ : ٧٣ ، لو ٢٢ :

١٦ ، يو ١٣ : ٣٨

٢٥

٢٦

٢٧

مُحَاكِمَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَمَامَ بِيلاطُسَ الْبَنْطِي . يُوْحَنَّا ١٨ : ٢٨ - ٣٦

٢٨ ❖ وَأَمَّا يَسُوعُ فَعَجَّأُوا بِهِ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ مُحَاكِمَةُ

مِنَ عِنْدِ قَيَافَا إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا هُمْ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ

دَارَ الْوَلَايَةِ مَخَافَةَ أَنْ يَنْجَسُوا ، فَلَا يَتِمَكَّنُوا مِنْ أَنْ أَمَامَ بِيلاطُسَ

٢٩ يَأْكُلُوا الْفِصْحَ . ❖ وَمِنْ ثَمَّ خَرَجَ بِيلاطُسُ الْبَنْطِي :

إِلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ : « مَا هِيَ التَّهْمَةُ الَّتِي تُوجَّهُونَهَا

٣٠ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ ؟ » . ❖ فَاجَابُوا وَقَالُوا لَهُ : « لَوْ

لَمْ يَكُنْ هَذَا فَاعِلَ شَرٍّ لَمَا أَسْلَمْنَاهُ إِلَيْكَ »

٣١ ❖ قَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ : « خذوه أَنْتُمْ وَاحْكُمُوا

عَلَيْهِ طَبَقًا لِشَرِيعَتِكُمْ » . فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ « إِنَّا

٣٢ لَا يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَقْتَلَ أَحَدًا » . ❖ وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ

لِتِمِّمِ الْكَلِمَةَ الَّتِي قَالَهَا يَسُوعُ ، مُشِيرًا إِلَى الْكَيْفِيَّةِ

الَّتِي سَمِّيَتْ بِهَا .

٣٣ ❖ وَمِنْ ثَمَّ عَادَ بِيلاطُسُ فَدَخَلَ دَارَ

الْوَلَايَةِ ، وَدَعَا إِلَيْهِ يَسُوعَ وَقَالَ لَهُ « أَنْتَ مَلِكُ

٣٤ الْيَهُودِ ؟ » . ❖ فَاجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلًا : « آمِنُ

نَفْسِكَ تَقُولُ هَذَا ، أَمْ قَالَ لَكَ آخَرُونَ ذَلِكَ

٣٥ عَنِّي ؟ » . ❖ فَقَالَ بِيلاطُسُ « أَلَعَلِّي أَنَا يَهُودِيٌّ ؟

إِنَّ أُمَّتَكَ وَرُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ هُمْ الَّذِينَ أَسْلَمُوكَ إِلَيَّ .

٣٦ فَمَاذَا فَعَلْتَ ؟ » . ❖ أَجَابَ يَسُوعُ قَائِلًا . « إِنَّ

(١) مت ٢٧ : ٢

٢٧ : ١٥ مر ١٠ : ١

٢٣ : ١١ لو ٢٣ : ١٣

١٩ : ٩ يو

(٢) لو ١٠ : ٢٨

١١ : ٣١ لو ١١ : ٥٥

(٣) مت ٢١ : ٢١ يو

١٢ : ٣٣ يو ٣ : ٣

١٤ : ٨ مت ٢٨ : ١٤

٢٦ : ٢٢ مر ١٠

٢٣ : ١٨ لو ٢٣

(٤) مت ٢٧ : ١١ لو

٢٣ : ٣١ يو ١٩ : ١٢

(٥) لو ١١ : ٦ يو ١٣

لو ٢٣ : ٣٠

مُحَاكِمَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَمَامَ بِيلاطُسِ الْبَنْطِيِّ . يُوحَنَّا ١٨ : ٣٦ - ٤٠

مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ<sup>١</sup> . وَلَوْ كَانَتْ

مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ لَكَانَ خُدَّامِي يُقَاتِلُونَ عَنِّي

كَيْ لَا أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ . وَالآنَ فَإِنَّ مَمْلَكَتِي

لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ<sup>٢</sup> . ﴿ فَقَالَ لَهُ بِيلاطُسُ

« أَفَأَنْتَ إِذْنُ مَلِكٍ ؟ » . أَجَابَ يَسُوعُ قَائِلًا « نَعَمْ

أَنَا مَلِكُ كَقَوْلِكَ<sup>٣</sup> . لِأَجْلِ هَذَا وُلِدْتُ أَنَا ، وَلِأَجْلِ

هَذَا جِئْتُ إِلَى الْعَالَمِ كَيْ أَشْهَدَ لِلْحَقِّ<sup>٤</sup> . فَكُلُّ

مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي<sup>٥</sup> . ﴿ فَقَالَ لَهُ

بِيلاطُسُ « وَمَا هُوَ الْحَقُّ ؟ ! » . قَالَ هَذَا ثُمَّ خَرَجَ

ثَانِيَةً إِلَى الْيَهُودِ وَقَالَ لَهُمْ : « إِنِّي لَا أَجِدُ فِي

هَذَا الرَّجُلِ مَا يَسْتَوْجِبُ الْحُكْمَ عَلَيْهِ<sup>٦</sup> . وَلَمَّا

كَانَتْ قَدْ جَرَّتِ الْعَادَةُ عِنْدَكُمْ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ فِي

الْفِصْحِ سَرَّاحًا وَاحِدًا<sup>٧</sup> فَهَلْ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ

سَرَّاحًا مَلِكِ الْيَهُودِ ؟ » . ﴿ فَعَادُوا جَمِيعًا

يَضْرُخُونَ<sup>٨</sup> قَائِلِينَ « لَا تُنْطَلِقْ سَرَّاحًا هَذَا ، بَلْ

بَارَابَاسَ » ، وَكَانَ بَارَابَاسُ هَذَا لِيصَّا<sup>٩</sup> .

(١) ٢٠ : ٤٤ - ٧

(٢) ١٤ : ١٢ - ١٤

(٣) ١٥ : ٢٨ - ١٥

(٤) ١٦ : ٢٦ - ١٥

(٥) ٢١

(٦) ١١ : ٢٧ - ١٦

(٧) ١٧ : ٢٢ - ١٥

(٨) ٣

(٩) ١٧ : ١٧

(١٠) ١٩ : ٣ - ١٩

(١١) ١٤

(١٢) ١٧ : ٨ - ١٠

(١٣) ١٩ : ٦

(١٤) ١٩ : ٤

(١٥) ٢٧ : ٢٤ - ١٧

(١٦) ٢٣ : ١٤ - ٤

(١٧)

(١٨) ٢٧ : ١٥ - ١٠

(١٩) ٢٣ : ١٧

(٢٠) ٣ : ١٤

(٢١) ٢٣ : ١٩

بِيلاطس يَجْلِدُ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ ثُمَّ يَحَاوِلُ إِطْلَاقَ سَرَاحِهِ .  
 يوحنا ١٩ : ١-٦



الفصل التاسع عشر

- ١ ❖ وَحِينَئِذٍ أَخَذَ بِيلاطسُ يَسُوعَ وَجَلَدَهُ ١ .
- ٢ ❖ وَضَفَرَ الْجَنْدُ إِكْلِيلًا مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَالْبَسُوهُ ثَوْبًا مِنْ أَرْجَوَانٍ . ❖ وَأَخَذُوا
- ٣ يَتَقَدِّمُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ لَهُ « السَّلَامُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ » وَيَلْطَمُونَهُ ٢ .
- ٤ ❖ ثُمَّ خَرَجَ بِيلاطسُ ثَانِيَةً وَقَالَ لَهُمْ « هَانَذَا سَأُخْرِجُهُ إِلَيْكُمْ لِتَعْلَمُوا أَنِّي لَا أَجِدُ فِيهِ جَرِيمَةً ٣ . »
- ٥ ❖ ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ لَا بَسًا إِكْلِيلَ الشَّوْكِ وَثَوْبَ الْأَرْجَوَانِ ، فَقَالَ لَهُمْ بِيلاطسُ « هَاهُوَذَا الرَّجُلُ » . ❖ فَلَمَّا رَأَهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْخُدَّامُ صَاحُوا قَائِلِينَ « اصْلِبْهُ . اصْلِبْهُ » . قَالَ لَهُمْ بِيلاطسُ : « خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاصْلِبُوهُ ، فَإِنِّي

بِيلاطسُ  
 يَجْلِدُ السَّيِّدَ  
 الْمَسِيحَ ثُمَّ  
 يَحَاوِلُ إِطْلَاقَ  
 سَرَاحِهِ :

- (١) مت ٢٠ : ١٩  
 ٢٧ ٢٦ : ٣٠  
 ١٥ : ١٩  
 ١٨ : ٣٣  
 (٢) ١٨ : ٢٢  
 (٣) ١٨ : ٣٨  
 ١٩ : ٦  
 (٤) ٣ : ١٣  
 ١٨ : ٣٠  
 ٥٨

بِيلاطُسُ يُجْلِدُ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ ثُمَّ يَحَاوِلُ إِطْلَاقَ سَرَاحِهِ .

يُوحَنَّا ١٩ : ٦ - ١٣

- ٧ لَا أَجِدُ فِيهِ خَطِيئَةً يُدَانُ عَلَيْهَا ١. ❖ فَاجَابَهُ  
الْيَهُودُ قَائِلِينَ « إِنَّ لَنَا شَرِيعَةً ، وَإِنَّهُ عَلَيَّ مُقْتَضَى  
شَرِيعَتِنَا . يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ ٢ لِأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ  
٨ اللَّهِ ٣ . » ❖ فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاطُسُ هَذَا الْكَلَامَ  
٩ اَزْدَادَ خَوْفًا . ❖ وَدَخَلَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى دَارِ  
الْوَلَايَةِ ، وَقَالَ لِيَسُوعَ « مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ » ، وَلَكِنَّ  
١٠ يَسُوعَ لَمْ يُجِبْهُ . ❖ فَقَالَ لَهُ بِيلاطُسُ « لِمَاذَا  
لَا تُكَلِّمُنِي ؟ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ لِي سُلْطَانًا أَنْ أَصْلِبَكَ  
١١ وَسُلْطَانًا أَنْ أُطْلِقَ سَرَاحَكَ ؟ » . ❖ أَجَابَ يَسُوعُ  
قَائِلًا « لَيْسَ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانُ الْبَيْتَةِ ، مَا لَمْ تَكُنْ قَدْ  
أَعْطَيْتَ مِنْ فَوْقِ ٦ . » . وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الَّذِي أَسْلَمَنِي ٧  
١٢ إِلَيْكَ خَطِيئَتُهُ أَعْظَمُ » . ❖ وَبِسَبَبِ هَذَا كَانَ  
بِيلاطُسُ يَبْتَغِي أَنْ يُطْلِقَ سَرَاحَهُ ، وَلَكِنَّ الْيَهُودَ  
أَخَذُوا يَصِيحُونَ قَائِلِينَ « إِنَّ أَنْتَ أَطْلَقْتَ سَرَاحَهُ  
فَلَسْتَ مُحِبًّا لِقَيْصَرَ ٨ ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ  
مَلِكًا إِنَّمَا يُقَاوِمُ قَيْصَرَ ٩ . »

(١) يو ١٨ : ٣٨ - لو

٤ : ٢٣

(٢) يو ١٦ : ٢٤ - مت

٢٦ - ٢٦

(٣) مت ٢٦ : ٦٥ - يو

٥٥ - ١١ : ٢٣

(٤) يو ١٨ : ٢٣

(٥) إش ٥٣ : ٧ - مت

٥٧ - ٦ : ٢٧

(٦) يو ١٨ : ٢٤ - ٣٧

(٧) لو ٢٢ : ٥٣ - يو

٧ - ١٣ : ١٠

(٨) يو ١٨ : ١٣ - ٢٨

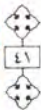
الحج ، أع ٣ : ١٣

(٩) لو ٢٣ : ٢ - يو

١٨ : ٢٣

(٩) أع ١٧ : ٧

(١٠) مت ٢٧ : ١٩



- ١٣ ❖ فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاطُسُ هَذَا الْكَلَامَ ، أَخْرَجَ  
يَسُوعَ ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيَّ كُرْسِيِّ الْقَضَاءِ ١٠ فِي مَكَانٍ



اليهود يصلون السيد المسيح .

يوحنا ١٩ : ١٣ - ٢١

- ١٤ يَسْمَى الْبَلَاطُ ، وَبِالْعِبْرَانِيَّةِ جَبَانًا . ❖ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ يَوْمَ الاسْتِعْدَادِ لِلْفِصْحِ ٢ ، وَكَانَتِ السَّاعَةُ نَحْوَ السَّادِسَةِ ٣ ، فَقَالَ بِيلاطُسُ لِلْيَهُودِ « هَا هُوَذَا مَلِكُكُمْ » . ❖ أَمَا هُمْ فَصَاحُوا قَائِلِينَ « اِرْفَعَهُ . ١٥ اِرْفَعَهُ . اصْلِبْهُ » ٤ . قَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ « أَصْلِبُ مَلِكُكُمْ ؟ » . فَأَجَابَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ قَائِلِينَ « لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلَّا قَيْصَرُ ! » ٥ . ❖ وَعِنْدَئِذٍ سَلَّمَهُ إِلَيْهِمْ لِيَصْلِبُوهُ ٦ ، فَأَخَذُوا يَسُوعَ وَمَضَوْا بِهِ . ❖ وَخَرَجُوا بِهِ ٧ وَهُوَ حَامِلٌ صَلِيبَهُ ٨ إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَسْمَى الْجُمُجْمَةَ ٩ ، وَبِالْعِبْرَانِيَّةِ جَلْجَثَةُ ١٠ . ❖ وَهُنَاكَ صَلَبُوهُ ، وَصَلَبُوا مَعَهُ لَصِينَ ١١ ، كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى جَانِبٍ مِنْهُ ، وَيَسُوعُ فِي الْوَسْطِ .
- ١٩ ❖ وَوَضَعَ بِيلاطُسُ لَافِتَةً عَلَى الصَّلِيبِ ١٢ ، كَتَبَ فِيهَا « يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ » . ❖ فَقَرَأَ هَذِهِ اللَّافِتَةَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ ، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي صَلَبُوا فِيهِ يَسُوعَ كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَلِأَنَّهَا كَانَتْ مَكْتُوبَةً بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَاللَّاتِينِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ . ❖ فَقَالَ رُؤَسَاءُ كَهَنَةِ الْيَهُودِ لِبِيلاطُسَ ٢١

(١) بر ٢٠ : ٥

(٢) مت ٢٧ : ٢٧

(٣) مر ١٥ : ٢٥ - مت ٢٧ : ٤٥

(٤) لو ٢٣ : ١٨

(٥) تك ٤٩ : ١٠

١. صر ١٢ : ١٢

(٦) مت ٢٧ : ٢٦

١٥ : ٣١ - مر ١٥ : ١٥

لو ٢٣ : ٢٥

(٧) عد ١٥ : ٣٦

عب ١٣ : ١٢

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

١٢ : ١٣

(تابع) الْيَهُودُ يَصْلِبُونَ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ .

يُوحَنَّا ١٩ : ٢١ - ٢٧

« لَا تَكْتُبُ أَنَّهُ مَلِكُ الْيَهُودِ ، بَلْ إِنَّهُ هُوَ قَالَ أَنَا

٢٢ مَلِكُ الْيَهُودِ » ❖ فَأَجَابَ بِيلاطُسُ قَائِلًا  
« مَا كُتِبَ قَدْ كُتِبَ »<sup>١</sup> .

(١) تِك ٤٣ : ١٤

بِس ٤ : ١٦

(٢) ت ٢٧ : ٣٥ - مر

١٥ : ٢٤ - لوقا ٢٣ :

٢٤ : ٢٨ - خر

(٣) لوقا ١٢ : ٤

(٤) مر ٢١ : ١٨

٢٣ ❖ وَلَمَّا صَلَبَ الْجُنْدُ يَسُوعَ ، أَخَذُوا ثِيَابَهُ

وَجَعَلُوهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ<sup>٣</sup> ، لِكُلِّ جُنْدِيٍّ مِنْهَا  
نَصِيبٌ ، وَأَخَذُوا الْقَمِيصَ<sup>٤</sup> ، أَيْضًا ، وَإِذْ كَانَ بَعِيرٌ

خِيَاطَةٌ مَنسُوجًا كُلُّهُ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى نِهَايَتِهِ ،

٢٤ ❖ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ « لَا نَشَقُّهُ ، بَلْ فَلْنَقْتَرِعْ

عَلَيْهِ لِمَنْ مِمَّا يَكُونُ ، كَيْ يَتِمَّ قَوْلُ الْكِتَابِ  
« اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ ، وَعَلَى قَمِيصِي اقْتَرِعُوا » .

وَهَذَا مَا فَعَلَهُ الْجُنْدُ .

(٥) ت ٢٧ : ١٥٥ - مر

١٥ : ٤٠ - لوقا ٢٣ : ٤٩

(٦) ت ١٢ : ٤٦

(٧) لوقا ٢٤ : ١٨

(٨) يوحنا ١٩ : ٢٠ - ١٨ :

لوقا ٨ : ٢

(٩) يوحنا ١٣ : ٢٣

(١٠) يوحنا ٢٠ : ٢٠ - ٧

٢٥ و ٢٤

(١١) يوحنا ٢ : ٤

(١٢) يوحنا ١١ : ٤١

١٦ : ٢٢ - لوقا ١٨ :

١٦ : ٢١ - لوقا ١٦ : ٢٨

٢٥ ❖ وَكَانَتْ وَقَفَاتٍ<sup>٥</sup> عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ

أُمُّهُ<sup>٦</sup> ، وَأَخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كَلُوبَا<sup>٧</sup> ، وَمَرْيَمُ

٢٦ الْمَجْدَلِيَّةُ<sup>٨</sup> ، ❖ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ أُمَّهُ ، وَالتَّلْمِيذَ

الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ<sup>٩</sup> وَاقْفًا<sup>١٠</sup> ، قَالَ لِأُمِّهِ « يَا سَيِّدَةُ<sup>١١</sup>

٢٧ هُوَذَا ابْنُكَ » ❖ ثُمَّ قَالَ لِلتَّلْمِيذِ « هِيَ ذِي

أُمِّكَ » . وَمُنْذُ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التَّلْمِيذُ إِلَى  
بَيْتِهِ<sup>١١</sup> .

السيد المسيح يسلم الروح على الصليب. جندى يطعن جنبه.

يوحنا ١٩: ٢٨-٣٥

- ٢٨ ❖ وَبَعْدَ ذَلِكَ رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ اكْتَمَلَ فَلَكَى يَتِمُّ قَوْلُ الْكِتَابِ قَالَ «أَنَا عَطْشَانٌ»<sup>١</sup>. ❖ وَكَانَ ثَمَّةَ إِنَاءٍ مَوْضُوعٌ مُمْتَلِئٌ خَلًّا ، فَمَلَأُوا إِسْفَنْجَةً بِالْحَلِّ وَرَفَعُوهَا عَلَى قَصَبِهِ مِنْ الزُّوْفَاءِ<sup>٢</sup> وَأَدْنَوْهَا مِنْ فَمِهِ<sup>٣</sup>. ❖ فَلَمَّا ذَاقَ يَسُوعُ الْحَلَّ قَالَ «قَدْ تَمَّ كُلُّ شَيْءٍ»<sup>٤</sup> ، ثُمَّ أَمَالَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ .
- ٢٩ ❖ وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ يَوْمَ الاسْتِعْدَادِ ، وَلَثَلًا تَبَقَى الْأَجْسَادُ عَلَى الصَّلِيبِ يَوْمَ السَّبْتِ<sup>٥</sup> ، لِأَنَّ يَوْمَ السَّبْتِ هَذَا كَانَ عَظِيمًا<sup>٦</sup> ، طَلَبَ الْيَهُودُ إِلَى بِيلاطُسَ أَنْ يَكْسِرُوا سِيقَانَهُمْ وَيَرْفَعُوهُمْ . ❖ فَجَاءَ الْجُنْدُ وَكَسَرُوا سَاقِي أَوَّلِ اللَّذَيْنِ كَانَا مَصْلُوبَيْنِ مَعَهُ ، ثُمَّ كَسَرُوا سَاقِي الْآخَرَ ❖ وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ وَجَدُوهُ قَدْ مَاتَ ، ٣٣ فَلَمْ يَكْسِرُوا سَاقِيهِ . ❖ إِلَّا أَنْ وَاحِدًا مِنَ الْجُنْدِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ ، فَخَرَجَ مِنْهُ عَلَى الْفُورِ دَمٌ وَمَاءٌ<sup>٧</sup> . ❖ وَالَّذِي أَبْصَرَ ذَلِكَ قَدْ شَهِدَ<sup>٨</sup> ، ٣٥ وَشَهِادَتُهُ حَقٌّ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ قَالَ الْحَقَّ ، لِتُؤْمِنُوا بِحَرْبَةٍ :

(١) مر ٦٨ : ٢١

(٢) مر ١٢ : ١٢ - ١٤

(٣) مت ٢٧ : ٤٨

(٤) مر ١٩ : ٣٠ - ٣٣

لو ٢٣ : ٣٦

السيد المسيح

يسلم الروح

على

الصليب :

(٥) يو ١٧ : ٤

(٦) يو ١٩ : ٣١ - ٣٨

(٧) مت ٢٧ : ٥٠ - ٥٤

(٨) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٧

(٩) مر ١٥ : ٤٢ - ٤٤

(١٠) مت ٢٧ : ٢٤ - ٢٦

(١١) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(١٢) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(١٣) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(١٤) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(١٥) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(١٦) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(١٧) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(١٨) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(١٩) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(٢٠) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(٢١) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(٢٢) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(٢٣) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(٢٤) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(٢٥) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(٢٦) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(٢٧) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(٢٨) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(٢٩) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

(٣٠) يو ١٩ : ٣٤ - ٣٦

دَفْنُ جَسَدِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ . يوحنا ١٩ : ٣٦ - ٤٢

(١) خر ١٢ : ٤٦ ، عد  
١٩ : ١٢ ، مر ٢٣ :  
٢٠ : ١٢ ، زك ١٠ :  
١ : ٥ ، كو ٧ :  
(٢) مر ٢١ : ١٦ ،  
١٧ : ١٧ ، زك ١٧ :  
١٠ ، يو ١٠ : ٧ ،  
(٣) مت ٢٧ : ٥٧ ، مر  
١٥ : ٤٣ ، لو ٢٣ : ٥٠

دَفْنُ جَسَدِ  
السَّيِّدِ  
الْمَسِيحِ :

(٤) مر ٩ : ٢٢ ، يو ١٢ :  
٤٢ ، يو ١٣ : ٧ ،  
(٥) يو ١٣ : ٢٥ ،  
٥٠ : ٧ ،  
(٦) خر ٣٠ : ٢٣ ،  
يش ٢ : ١٢ ، تم ٧ :  
١٧ ، نش ٣ : ٦ ،  
١٤ : ١١ ،  
(٧) مر ٤٤ : ٨ ، تم  
٧ : ١٧ ، مت ١٢ : ١١ ،  
(٨) يو ١٢ : ٣ ،  
(٩) يو ١١ : ٤٤ ، مت  
٢٦ : ١٢ ، مر ١٤ :  
٨ ،  
(١٠) يو ٥ : ٧ ،  
لو ٢٤ : ١٢ ،  
(١١) مت ٢٧ : ٦٠ ،  
(١٢) لو ٢٣ : ٥٣ ،  
(١٣) يش ٥٣ : ٩ ،  
(١٤) يو ١٩ : ٢١

٣٦ . أَنْتُمْ . ❖ وَقَدْ كَانَ هَذَا لِيَتِمَّ مَا جَاءَ فِي أَحَدِ  
أَسْفَارِ الْكِتَابِ «إِنَّ عَظْمًا مِنْهُ لَنْ يُكْسَرَ» .

٣٧ ❖ كَمَا جَاءَ فِي سِفْرِ آخَرَ «سَيَنْظُرُونَ إِلَى الَّذِي  
طَعَنُوهُ» ٢ .

٣٨ ❖ وَبَعْدَ هَذَا جَاءَ يُوسُفُ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ ٣ ،

وَكَانَ تَلْمِيزًا لِيَسُوعَ وَإِنْ يَكُنْ خُفِيَّةً لِحَوْفِهِ مِنْ  
الْيَهُودِ ٤ ، وَطَلَبَ إِلَى بِيلاطُسَ أَنْ يَأْخُذَ جَسَدَ  
يَسُوعَ ، فَأَمَرَ لَهُ بِيلاطُسُ بِذَلِكَ ، فَجَاءَ وَأَخَذَ  
جَسَدَ يَسُوعَ . ❖ وَجَاءَ أَيْضًا نِيقُودِيمُوسُ ٥ الَّذِي  
كَانَ قَدْ أَتَى مِنْ قَبْلِ إِلَى يَسُوعَ لَيْلًا ، وَكَانَ يَحْمِلُ  
حَنُوطًا مِنَ الْمَرْمَرِ وَالصَّبْرِ ٦ ، يَزِنُ نَحْوَ مِائَةِ رَطْلٍ ٧ .

٣٩ ❖ وَأَخَذَا جَسَدَ يَسُوعَ وَكَفَّنَاهُ بِلِفَائِفٍ ٨ مِنْ

الْكُتَّانِ مَعَ الْأَطْيَابِ ٩ عَلَى عَادَةِ الْيَهُودِ فِي  
التَّكْفِينِ . ❖ وَكَانَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صَلَبُوهُ

٤٠ فِيهِ بُسْتَانٌ ، وَفِي الْبُسْتَانِ قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ ١١ يَوْضَعْ فِيهِ  
مِنْ قَبْلِ أَحَدٍ قَطُّ ١٢ ❖ فَوَضَعُوا يَسُوعَ فِيهِ ١٣ ،

بِسَبَبِ الْإِسْتِعْدَادِ ١٤ عِنْدَ الْيَهُودِ ، لِأَنَّ الْقَبْرَ كَانَ  
قَرِيبًا .

قِيَامَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَظُهُورُهُ لِتَلَامِيذِهِ .

يُوحَنَّا ٢٠ : ١ - ٦



### الفصلُ العِشرون

- ١ ❖ وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ أَوَّلِ الْأُسْبُوعِ ١ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ ٢ إِلَى الْقَبْرِ ٣ ، وَكَانَ الظَّلَامُ لَا يَزَالُ مُخَيِّمًا ، فَرَأَتْ أَنَّ الْحَجَرَ قَدْ رُفِعَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ ،
- ٢ ❖ فَكَرَّضَتْ وَجَاءَتْ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ ، وَإِلَى التَّلْمِيذِ الْآخَرَ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ ، وَقَالَتْ لَهُمَا : « قَدْ أَخَذُوا سَيِّدَنَا مِنَ الْقَبْرِ وَلَا أَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ » .
- ٣ ❖ فَخَرَجَ بُطْرُسُ وَالتَّلْمِيذُ الْآخَرُ ، وَمَضَيَا إِلَى الْقَبْرِ . ❖ وَكَانَا يَرُكَّضَانِ مَعًا ، وَلَكِنَّ التَّلْمِيذَ الْآخَرَ سَبَقَ بُطْرُسَ فَوَصَلَ قَبْلَهُ إِلَى الْقَبْرِ . ❖ وَتَطَّلَعَ إِلَى الدَّخْلِ فَرَأَى الْأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً ٤ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ . ❖ ثُمَّ جَاءَ سِمْعَانُ

قِيَامَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَظُهُورُهُ لِتَلَامِيذِهِ :

- (١) مت ٢٨ : ١ - ١٦
- (٢) يو ١٩ : ٢٥
- (٣) مت ٢٧ : ٦٦
- (٤) يو ٢٠ : ١٦ ، ٢٨ ، ٢٩
- (٥) لو ٢٤ : ١٦ ، ١٧
- (٦) يو ١٩ : ٤٠

(تابع) قِيَامَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَظُهُورُهُ لِتَلَامِيذِهِ . يُوحَنَّا ٢٠ : ٦ - ١٥

٧ بَطْرُسُ يَتَّبِعُهُ وَدَخَلَ الْقَبْرَ ، فَرَأَى الْأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً ، ❖ وَأَمَّا الْمِنْدِيلُ الَّذِي كَانَ عَلَى

(١) يوحنا ١١ : ٤٤

(٢) مت ٢٢ : ٢٩ - ٢٢

(٣) يوحنا ١١٥ : ١١٠ - ١١٠

(٤) لوقا ٢٤ : ١٣ - ١٣

(٥) لوقا ٢٤ : ٢٦ - ٢٦

(٦) لوقا ٢٤ : ٢٦ - ٢٦

(٧) مت ٢٨ : ٩ - ٩

(٨) يوحنا ٢١ : ٤ - ٤

(٩) لوقا ٢٤ : ١٢ - ١٢

(١٠) لوقا ٢٤ : ١٢ - ١٢

(١١) لوقا ٢٤ : ١٢ - ١٢

(١٢) لوقا ٢٤ : ١٢ - ١٢

(١٣) لوقا ٢٤ : ١٢ - ١٢

(١٤) لوقا ٢٤ : ١٢ - ١٢

(١٥) لوقا ٢٤ : ١٢ - ١٢

رَأْسِ يَسُوعَ ١ فَلَمْ يَكُنْ مَوْضُوعًا مَعَ الْأَكْفَانِ ، وَإِنَّمَا كَانَ مَطْوِيًّا فِي مَكَانٍ عَلَى حِدَةٍ . ❖ ثُمَّ

دَخَلَ أَيْضًا التَّلْمِيذُ الْآخَرَ الَّذِي جَاءَ أَوَّلًا إِلَى الْقَبْرِ وَرَأَى قَامِنًا . ❖ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَعْدُ يَدْرِكُونَ

مَعْنَى قَوْلِ الْكِتَابِ ٢ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ ٣ . ❖ وَبَعْدَ ذَلِكَ مَضَى التَّلْمِيذَانِ

عَائِدَيْنِ إِلَى حَيْثُ كَانَا ؛ ❖ وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً فِي الْخَارِجِ عِنْدَ

الْقَبْرِ تَبْكِي . ٥ وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي تَطَّلَعُ إِلَى دَاخِلِ الْقَبْرِ . ❖ فَرَأَتْ مَلَائِكَيْنِ ٦ فِي ثِيَابٍ بَيَضَاءَ

جَالِسَيْنِ حَيْثُ كَانَ جَسَدُ يَسُوعَ مَوْضُوعًا ، أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَالْآخَرُ عِنْدَ قَدَمَيْهِ .

❖ فَقَالَا لَهَا : يَا امْرَأَةُ لِمَاذَا تَبْكِينَ ؟ ٧ . قَالَتْ لَهُمَا « إِنَّهُم أَخَذُوا سَيِّدِي وَلَا أَعْلَمُ أَيْنَ

وَضَعُوهُ » ❖ وَإِذْ قَالَتْ هَذَا التَّفَتَّتْ إِلَى الْوَرَاءِ فَرَأَتْ يَسُوعَ وَاقِفًا ٧ وَلَمْ تَعْرِفْ أَنَّهُ يَسُوعُ ٨ .

❖ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ « يَا امْرَأَةُ لِمَاذَا تَبْكِينَ ؟

(٧) مت ٢٨ : ٩ - ٩

(٨) يوحنا ١٩ : ١٦ - ١٦

(٩) يوحنا ٢١ : ٤ - ٤

(١٠) يوحنا ٢١ : ٤ - ٤

(١١) يوحنا ٢١ : ٤ - ٤

السيد المسيح يظهر لتلاميذه مجتمعين.

يوحنا ٢٠ : ١٥ - ٢١

- عَمَّنْ تَبْحَثِينَ؟» . فَظَنَّتْ هِيَ أَنَّهُ الْبَسْتَانِيُّ ،  
فَقَالَتْ لَهُ « يَا سَيِّدِي إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي حَمَلْتَهُ ،  
فَقُلْ لِي لِمَ لَمْ يَنْ وَضَعْتَهُ وَأَنَا آخِذُهُ» . ❖ قَالَ لَهَا ١٦  
يَسُوعُ « يَا مَرْيَمُ » ، فَالْتَفَتَتْ وَقَالَتْ لَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ  
« رَبُّونِي »<sup>١</sup> أَيْ<sup>٢</sup> « يَا مُعَلِّمُ » . ❖ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ ١٧  
« لَا تَمْسِكِي بِي هَكَذَا ، فَإِنِّي لَمْ أَصْعُدْ بَعْدُ إِلَى  
أَبِي ، وَلَكِنْ أَذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي<sup>٣</sup> وَقُولِي لَهُمْ إِنِّي  
سَأَصْعَدُ إِلَى أَبِي<sup>٤</sup> الَّذِي هُوَ آبَاكُمْ ، وَإِلَهِي الَّذِي  
هُوَ إِلَهُكُمْ » . ❖ فَجَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ ١٨  
وَأَخْبَرَتِ التَّلَامِيذَ قَائِلَةً « إِنِّي رَأَيْتُ الرَّبَّ » وَانَّهُ  
قَالَ لَهَا ذَلِكَ الْقَوْلَ .

(١) مر ١٦ : ١٠ ، مت ٢٣ : ٧  
(٢) يو ١٥ : ٢  
(٣) مر ٢١ : ٢٢ ، مت ٢٨ : ١٠ ، يو ١١ : ٢٨ ، عب ٢ : ١١  
(٤) يو ١٦ : ٢٨ ، ٧ : ٢٣ ، ١٢ : ٢٣ ، ١٦ : ١٦ ، (٥) نف ١٧ : ١٧  
(٦) مت ٢٨ : ١٠ ، يو ١٠ : ٢٤ ، ١١ : ٢٣ ، مر ١٦ : ١٦

السيد المسيح يظهر لتلاميذه مجتمعين :

- ❖ وَفِي مَسَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ<sup>٧</sup> ، وَهُوَ الْأَحَدُ الْأَوَّلُ ١٩  
أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ ، وَكَانَتْ الْأَبْوَابُ مُغْلَقَةً حَيْثُ  
كَانَ التَّلَامِيذُ مُجْتَمِعِينَ خَوْفًا مِنَ الْيَهُودِ<sup>٨</sup> ، جَاءَ  
يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي وَسْطِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ « السَّلَامُ  
لَكُمْ »<sup>٩</sup> . ❖ وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ ٢٠  
وَجَنَبِهِ<sup>١٠</sup> . فَفَرِحَ التَّلَامِيذُ إِذْ رَأَوْا الرَّبَّ<sup>١١</sup> .  
❖ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ ثَانِيَةً « السَّلَامُ لَكُمْ ، كَمَا ٢١

(٧) مر ١٦ : ١٤ ، لو ٢٤ : ٣٦ ، كو ٥ : ١٥  
(٨) يو ١٧ : ١٣  
(٩) لو ٢٤ : ٣٦ ، يو ١٤ : ٢٧  
(١٠) لو ٢٤ : ٣٩ ، ٤٠ ، يو ١٩ : ٢٤ ، (١١) يو ٢٠ : ٢٢

تُومًا لَا يُصَدِّقُ أَنْ زُمَلَاءَهُ التَّلَامِيذَ رَأَوْا الرَّبَّ . يُوحَنَّا ٢٠ : ٢١ - ٢٨

(١) مت ٢٨ : ١٨ - ٢٠

١٧ : ١٨ و ١٩ - ٢٠ : ٢١

٢ : ٢٠ ع ٣ : ٢٠

٢٢ أَرْسَلَنِي الْآبُ ، كَذَلِكَ أُرْسِلُكُمْ أَنَا . ﴿١﴾ قَالَ

هَذَا ثُمَّ نَفَخَ فِي وُجُوهِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ « ااقْبَلُوا رُوحَ

٢٣ الْقُدُّوسِ . ﴿٢﴾ مَنْ غَفَرْتُمْ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ تُغْفَرْ لَهُمْ ،

وَمَنْ أَمْسَكْتُمُوهَا عَلَيْهِمْ تُمَسَّكْ عَلَيْهِمْ ٢ .

٢٤ ﴿٣﴾ وَأَمَّا تُومًا ٣ أَحَدُ الْاِثْنَيْ عَشَرَ ، الَّذِي كَانَ

يُدْعَى دِيدِيمُوسَ ، أَيْ التَّوَّامَ ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ

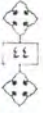
٢٥ هُنَاكَ حِينَ جَاءَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ . ﴿٤﴾ فَقَالَ لَهُ

التَّلَامِيذُ الْآخَرُونَ « إِنَّا قَدْ رَأَيْنَا الرَّبَّ » . فَقَالَ لَهُمْ

« إِنْ لَمْ أَبْصُرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ وَأَضَعُ فِي

مَوْضِعِ الْمَسَامِيرِ إِصْبَعِي ، وَأَضَعُ يَدِي فِي جَنْبِهِ

لَا أُؤْمِنُ ٥ .



تُومًا لَا يُصَدِّقُ

أَنَّ زُمَلَاءَهُ

التَّلَامِيذَ رَأَوْا

الرَّبَّ :

(٢) مت ١٦ : ١٦ - ١٩

١٨ : ١٨ - ١٩ : ١٥

١١ : ٨ - ١٢ : ٢١

٩ : ١٦

(٣) ١١ : ١٦

(٤) ٦ : ٦٧

(٥) ١٦ : ١١

تُومًا يَرَى

الرَّبَّ فَيُؤْمِنُ :

٢٦ ﴿٥﴾ ثُمَّ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ ، كَانَ التَّلَامِيذُ

مُجْتَمِعِينَ فِي الدَّاخِلِ أَيْضًا ، وَكَانَ تُومًا مَعَهُمْ ،

فَدَخَلَ يَسُوعُ وَالْأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ وَوَقَفَ فِي وَسْطِهِمْ

٢٧ وَقَالَ لَهُمْ . « السَّلَامُ لَكُمْ » . ﴿٦﴾ ثُمَّ قَالَ لِتُومًا

« هَاتِ إِصْبَعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصُرْ يَدِي ، وَهَاتِ يَدَكَ

وَضَعْهَا فِي جَنْبِي ٦ ، وَلَا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ

٢٨ مُؤْمِنًا . ﴿٧﴾ فَأَجَابَ تُومًا وَقَالَ لَهُ « رَبِّي

(٦) ١ : ١٠ - ١١

٢٨ : ٤٠



السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَصْنَعُ آيَاتٍ أُخْرَى كَثِيرَةً . يُوْحَنَّا ٢٠ : ٢٨ - ٣٢

وَالْهَيَّ . ❖ قَالَ لَهُ يَسُوعُ «لَأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُوْمَا ٢٩  
أَمَنْتَ . طُوبَى لِلَّذِينَ لَمْ يَرَوْا وَآمَنُوا» .

٣٠ ❖ وَقَدْ صَنَعَ يَسُوعُ أَمَامَ تَلَامِيذِهِ آيَاتٍ  
أُخْرَى كَثِيرَةً ، لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ ،  
٣١ ❖ وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا ٣١ بَأَنَّ يَسُوعَ هُوَ  
الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، وَلِتَكُونَ لَكُمْ إِنْ آمَنْتُمْ الْحَيَاةَ  
الْأَبَدِيَّةَ بِاسْمِهِ .

السَّيِّدُ  
الْمَسِيحُ  
يَصْنَعُ آيَاتٍ  
أُخْرَى كَثِيرَةً  
أَمَامَ  
تَلَامِيذِهِ :

(١) ٢ : ٥ - ٧

١ : ٦ - ٨

(٢) ٢١ : ٢٥ - ٢٠

١١

(٣) ١١ : ١٤ - ١٠

١٩ - ٣٥

(٤) ١ : ١٢ - ١٠

٣ : ١٦ و ١٥

١٠ : ٣٦ و ٥ : ٢٤ - ١

١ : ١٠ و ٨ : ١ - ١٠

٥ : ١١ و ٤ : ٣



السيد المسيح يظهر لتلاميذه مرة أخرى على بحر طبرية.

يوحنا ٢١ : ١ - ٤



(١) بر ١٦ : ١٢  
(٢) بر ١٦ : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢  
(٣) بر ١٦ : ١

### الفصل الحادي والعشرون

◆◆

السيد المسيح

◆◆

يظهر لتلاميذه  
مرة أخرى  
على  
بحر  
طبرية :

- ١ وبعد ذلك أظهر يسوع نفسه مرة أخرى  
لتلاميذه<sup>١</sup> على بحر طبرية<sup>٢</sup> ، وكان ظهوره  
هكذا : ◆ كان سمعان بطرس وتوما المدعو  
ديديموس ، وثئتايل<sup>٣</sup> الذي من قانا الجليل<sup>٤</sup> وأبنا  
زبدي<sup>٥</sup> وأثنان آخران من تلاميذه مجتمعين معاً ،  
◆ فقال لهم سمعان بطرس « إنني ذاهب  
لأصطاد سمكاً » . فقالوا له « ونحن أيضاً نذهب  
معك » ، ثم خرجوا وركبوا السفينة ، إلا أنهم لم  
٢ يصيدوا في تلك الليلة شيئاً<sup>٦</sup> . ◆ حتى إذا طلع  
٣ الصبح ، وقف يسوع على الشاطئ<sup>٧</sup> ، ولكن

(٤) بر ١١ : ١٦  
(٥) بر ١١ : ٤٥  
(٦) بر ١٢ : ١  
(٧) مت ٢١ : ٤ ، ٢١  
(٨) لو ٥ : ١٩ ، ٥ : ١٠

(تابع) السيد المسيح يظهر لتلاميذه مرة أخرى على بحر طبرية.

يوحنا ٢١: ٤-١٢

- ٥ التلاميذ لم يعلموا أنه هو يسوع<sup>١</sup>. ❖ فقال لهم يسوع «يا فتیان اذیکم شیء یوکل<sup>٢</sup>؟». آجابوه
- ٦ «لا». ❖ فقال لهم «ألقوا الشبكة من الجانب الأيمن للسفينة فتجدوا»<sup>٣</sup>، فألقوها، وعندئذ لم يستطيعوا أن يجذبوها إلى فوق من كثرة السمك.
- ٧ ❖ فقال التلميذ الذي كان يسوع يجبه؛ ليطرس «إنه الرب». فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب أترز بثوبه لأنه كان عرياناً، ثم ألقى بنفسه في البحر. ❖ وأمّا التلاميذ الآخرون، فجاءوا بالسفينة التي لم تكن تبعد عن الشاطئ إلا نحو مائتي ذراع، ثم أخذوا يجرون شبكة السمك.
- ٩ ❖ فلما جاءوا إلى الأرض تطلعوا فرأوا جمراً<sup>٤</sup>، وسمكاً موضوعاً عليه وخبزاً. ❖ وقال لهم يسوع «قدموا من السمك الذي اصطدتم الآن».
- ١١ ❖ فصعد سمعان بطرس وجر الشبكة إلى الأرض وهي مكتنزة سمكاً كبيراً، مائة وثلاثاً وخمسين سمكة، ومع كثرة هذا العدد لم تتحرق الشبكة.
- ١٢ ❖ فقال لهم يسوع «هلموا تناولوا الطعام»<sup>٥</sup>. ولم يجسر أحد من تلاميذه على أن

(١) يو ٢٠: ١٤-١٥

١٦-٢٤

(٢) لو ٢٤: ٤١

(٣) لو ٥: ٥-٦ و ٧

(٤) يو ١٣: ٢٣

٢٠-٢١

(٥) يو ١٨: ١٨

(٦) يو ٦: ٦-٩ و ١١

(٧) لو ١١: ٤١

حَدِيثُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ إِلَى تَلْمِيذِهِ بَطْرُسَ .  
 يوحنا ٢١ : ١٢ - ١٨

١٣ يسأله : « مَنْ أَنْتَ ؟ » ، لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّهُ هُوَ الرَّبُّ . ❖ ثُمَّ تَقَدَّمَ يَسُوعُ ، وَأَخَذَ الْخُبْزَ وَتَنَاوَلَهُمْ ، وَكَذَلِكَ السَّمَكِ . ❖ وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْمَرَّةُ الثَّلَاثَةَ الَّتِي أَظْهَرَ يَسُوعُ فِيهَا نَفْسَهُ لِتَلَامِيذِهِ ، بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ .

(١) يو ٢٠ : ١٩ - ٢٦

(٢) يو ١٣ : ٣٧ - مت

٢٦ : ٣٣ - مر ١٤

٢٩

(٣) لو ١٢ : ٣٢



[٤٦]



حَدِيثُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ إِلَى تَلْمِيذِهِ بَطْرُسَ :

١٥ ❖ وَبَعْدَ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ قَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ بَطْرُسَ « يَا سِمْعَانَ بْنَ يُوْحَنَّا أَتَجِبُنِي أَكْثَرَ مِنْ هَوْلًا ؟ » . فَقَالَ لَهُ « نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعَلَّمُ أَنَّي أُحِبُّكَ » . قَالَ لَهُ : « ارْعَ حِمْلَانِي » ٣ . ❖ ثُمَّ قَالَ لَهُ ثَانِيَةً « يَا سِمْعَانَ بْنَ يُوْحَنَّا أَتَجِبُنِي ؟ » . فَقَالَ لَهُ « نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعَلَّمُ أَنَّي أُحِبُّكَ » . قَالَ لَهُ « ارْعَ خِرَافِي » ٤ . ❖ ثُمَّ قَالَ لَهُ لِلْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ « يَا سِمْعَانَ بْنَ يُوْحَنَّا أَتَجِبُنِي ؟ » ، فَحَزَنَ بَطْرُسُ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُ لِلْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ « أَتَجِبُنِي ؟ » . وَقَالَ لَهُ « يَا رَبُّ أَنْتَ تَعَلَّمُ كُلَّ شَيْءٍ ٦ . أَنْتَ تَعَلَّمُ أَنَّي أُحِبُّكَ » . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ « ارْعَ غَنَمِي . ❖ الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ إِنَّكَ حِينَ كُنْتَ شَابًا كُنْتَ تَمْنَطِقُ نَفْسَكَ بِنَفْسِكَ ، وَتَذْهَبُ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ ،

(٤) مت ٢ : ١٦ - ١٧

٢٠ : ٢٨ - عب ١٢

٢٠ : ١٠ - بط ٢ : ٢٥

٥ : ١٧ - رؤ ٧

(٥) يو ١٣ : ٣٨

(٦) يو ٢ : ٢٤ - ٢٥

١٦ : ١٣

حَدِيثُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ عَنِ الْقُدَيْسِ يُوحَنَّا . يُوحَنَّا ٢١ : ١٨ - ٢٤

وَلَكِنَّكَ مَتَى شِخْتُ فَسَتَبْسِطُ يَدَيْكَ وَشَخَّصَ آخَرَ  
يَمْنَطُكَ وَيَحْمِلُكَ إِلَى حَيْثُ لَا تَشَاءُ ١ .  
❖ قَالَ لَهُ هَذَا مُشِيرًا إِلَى الْمِيْتَةِ الَّتِي كَانَ مَزْمَعًا  
١٩ أَنْ يُمَجِّدَ اللَّهُ بِهَا ٣ . وَبَعْدَ أَنْ قَالَ هَذَا ، قَالَ لَهُ  
« اتَّبِعْنِي » ٤ .

(١) بر ١٣ : ١٣٦ ، لوقا  
٤ : ٣  
(٢) بر ١٢ : ٣٣ ،  
٢٢ : ١٨  
(٣) ٢ : ١ ، بط ١٤ :  
(٤) مت ٨ : ٢٢ ،  
٢٤ : ١٦

❖ فَالْتَفَتَ بَطْرُسُ وَرَأَى التَّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ  
يَسُوعُ يُحِبُّهُ يَتَّبِعُهُ ، وَهُوَ ذَلِكَ الَّذِي كَانَ قَدِ اتَّكَأَ  
عَلَى صَدْرِهِ فِي آثَاءِ الْعِشَاءِ ، وَالَّذِي قَالَ لَهُ :  
يَارَبُّ مَنْ هُوَ الَّذِي سَيَسْلُمُكَ . ❖ فَلَمَّا رَأَى  
بَطْرُسُ ذَلِكَ قَالَ لِيَسُوعَ « يَارَبُّ وَمَاذَا عَنْ هَذَا ؟ »  
❖ قَالَ لَهُ يَسُوعُ « لَوْ أَنَّنِي شِئْتُ أَنْ أُبْقِيَهُ إِلَى أَنْ  
أَجِيءَ ٧ ، فَمَاذَا يَعْنِيكَ ؟ ٩ . اتَّبِعْنِي أَنْتَ . »  
❖ فَذَاعَ بَيْنَ الْإِخْوَةِ الْقَوْلُ بِأَنَّ ذَلِكَ التَّلْمِيذَ  
لَا يَمُوتُ . غَيْرَ أَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَقُلْ لَهُ إِنَّهُ لَا يَمُوتُ ،  
وَأِنَّمَا قَالَ « لَوْ أَنَّنِي شِئْتُ أَنْ أُبْقِيَهُ إِلَى أَنْ أَجِيءَ  
فَمَاذَا يَعْنِيكَ ؟ » .

حَدِيثُ السَّيِّدِ  
الْمَسِيحِ  
عَنِ  
الْقُدَيْسِ  
يُوحَنَّا :

(٥) بر ١٣ : ٢٣ ،  
٢٠ : ٢٥ ،  
٢٥ : ١٣  
(٦) مت ١٦ : ٢٧ ،  
٢٥ : ٣١ ،  
٤٠ : ١١ ،  
٥٠ : ٢٦ ،  
٥١ : ٢٠ ،  
٥٢ : ٢٠ ،  
٥٣ : ١١ ،  
٥٤ : ٢٢ ،  
٥٥ : ٧ ،  
(٨) لوقا ١٥ : ١٠  
(٩) بر ١٥ : ٢٧ ،  
(١٠) بر ١٩ : ٣٠ ،  
٣٥ : ١٢

❖ ذَلِكَ هُوَ التَّلْمِيذُ الَّذِي شَهِدَ بِهِدَا ،  
وَالَّذِي كَتَبَ هَذَا ٩ ، وَنَعَلِمَ أَنَّ شَهَادَتَهُ حَقٌّ ١٠ .

هَذِهِ الْبِشَارَةُ  
شَهِدَ بِهَا  
الْقُدَيْسُ يُوحَنَّا  
وَكَتَبَهَا :

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ بَصَنَعَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً أُخْرَى .

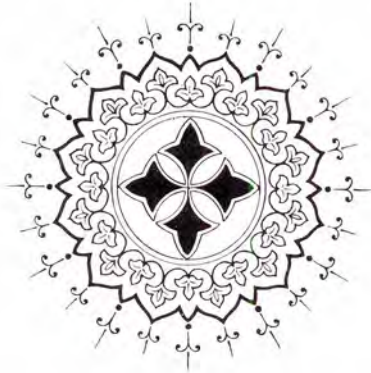
يُوحَنَّا ٢١ : ٢٥

٢٥ ❖ وَنَمَّةَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً أُخْرَى صَنَعَهَا يَسُوعُ<sup>١</sup> لَوْ أَنَّهَا  
كُتِبَتْ وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً فَلَا أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ<sup>٢</sup> نَفْسَهُ  
يَسَعُ الْكُتُبَ الَّتِي تُكْتَبُ . آمِينَ .

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ  
صَنَعَ أَشْيَاءَ  
كَثِيرَةً جَدًّا  
غَيْرَ مَا كُتِبَ فِي  
هَذِهِ  
الْبَشَارَةِ :

(١) يوحنا ٢٠ : ٣

(٢) ١٠ : ٧٤





ИОАНН

يوحنا

النفساني





## الفصل الأوّل

١ : ١ - ١٣

ينفرد الإنجيل على يد القديس يوحنا بأنه لا يكلمّ الناس عن ميلاد السيد المسيح من العذراء مريم كما فعل الإنجيل على يد القديس متى والإنجيل على يد القديس لوقا ، ولا يتناول الأحداث التي سبقت الميلاد ولا تلك التي صاحبت أوالتي لحقت ، كخطبة السيدة العذراء مريم ليوسف البار ، وحبّلتها بميلاد السيد المسيح ومرسوم الإمبراطور أوغسطس قيصر بإجراء تسجيل لسكان العالم كله ، وأحداث ليلة الميلاد ، وظهور الملائكة للرعاة ، وظهور النجم للمجوس ، وهرب العائلة المقدسة إلى مصر . وعودتها إلى أرض فلسطين ، ولا ذكّر شيئاً عن طفولة السيد المسيح وعمله كنجار ، وتردّده وهو صبّى على الهيكل ...

كل ذلك وغيره مما ذكره الإنجيليون الآخرون لم يذكره الإنجيل على يد القديس يوحنا ، لا لأنه سبقه إليه غيره من كتبة الأناجيل ، ولكن لأن الإنجيل على يد القديس يوحنا قصد به أن ينبه إلى أن السيد المسيح قبل أن يظهر كإنسان في صورة ابن الإنسان « يسوع » كان له وجود قبل الزمان ، وجود أزلي مع الآب في السماء قبل أن ينزل على الأرض متجسداً ، « آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس » ( فيلبي ٢ : ٧ ) . إن المسيح قبل أن يولد من مريم كان هو الكائن منذ الأزل ، إله مريم ، وخالق مريم وكل الخليقة . فليس ميلاده من مريم في الحقيقة الا أنه تجسد منها ، أى أن ميلاده ليس كميلاد أى طفل آخر . فيلاد أى طفل يعين وجوده ، لأنه بميلاده يصير له وجود . أما السيد المسيح فقبل أن يولد من مريم العذراء كان كائناً منذ الأزل مع الآب ، وهو الذى أراد فخلق كل الوجود . فيلاد السيد المسيح هو في الحقيقة تجسده . ولذلك فإن المسيحيين إذ يحتفلون بعيد الميلاد هم في الواقع يحتفلون بعيد التجسد الإلهي من مريم العذراء .

لذلك يبدأ الإنجيل للقديس يوحنا ببيان الطبيعة الإلهية للسيد المسيح ، على قدر ما يمكن للغة البشرية أن تعبر عن تلك الطبيعة التي هي فوق إدراك البشر ، وأسمى من أن تعبر عنها لغتهم القاصرة . لأن الله روح . والروح لا يمكن أن تدركها إلا روح من ذات طبيعتها . وأما العقل البشرى فقاصر عن ادراك مافوق المادة . والمادة لا يمكن أن تدرك إلا ما هو مادي مثلها ، وفي نطاق حدودها .

وقد وصف القديسون متى ومرقس ولوقا السيد المسيح في بشاراتهم بأنه « ابن الله » . وأما الإنجيل للقديس يوحنا فهو يصفه في بدء كلامه عنه من زاوية أخرى ، وهو أنه « كلمة الله » . ولما كانت الكلمة هي التعبير عن الفكر أو العقل الإلهي . ولما كان فكر أى ذات من الذوات هو تلك الذات نفسها .

لأنه من جوهرها ، ففكر الله أو العقل الإلهي إذن هو الله ذاته . والكلمة التي تُعبر عن هذا الفكر أو العقل هي الله ذاته كذلك . ولذلك يصف القديس يوحنا « الكلمة » بأنه أزلي ، وهي صفة لا يمكن أن يوصف بها إلا الله وحده ، فيقول « في البدء كان الكلمة . والكلمة كان لدى الله ، وكان الكلمة هو الله . كان منذ الأزلي لدى الله » .

**فالبدء هنا هو الأزلي . هو البدء الذي قبل الزمان ، وقبل الوجود . هو البدء الذي لا علم للناس به حين بدأ ، أو هو البدء الذي لا بدء قبله ، هو البدء الذي بدأ مع الله الذي ليس له بدء . فهو الأزلي الذي لا بدء له . فما أبعد الفرق بين « البدء » هنا في مطلع الإنجيل للقديس يوحنا ، وبين « البدء » الذي حدثنا عنه مطلع سفر التكوين ، إذ قال « في البدء خلق الله السماوات والأرض » ( التكوين ١ : ١ ) . فبدء سفر التكوين بدء في الزمان . أما بدء إنجيل يوحنا فبدء قبل الزمان . بدء سفر التكوين هو بدء الوجود للموجود . أما البدء في إنجيل يوحنا فهو إشارة إلى الأول قبل الوجود ، واجب الوجود ، الله السرمدى الذي لا بدء له ، والأول الذي لم يسبقه أول ، والبدء الذي ليس له ابتداء ( انظر ١ يوحنا ١ : ١ ) . وفي قول الإنجيل للقديس يوحنا « كان الكلمة » نجد أن الفعل « كان » سواء في اللغة العربية أو اللغات الأصلية والقديمة التي ترجم عنها وإليها الإنجيل ، وإن كان في الماضي لكنه أيضاً يفيد الامتداد في الحاضر إلى أبد الأبد . إن الفعل « كان » هنا في الماضي لتوكيد الأزلية . ولكنه بمعناه يمتد إلى الأبدية ، لأن الله الكلمة كان وكائن ويدوم إلى الأبد .. « هو الألف والياء . البداية والنهاية . الرب الإله الكائن والذي كان والذي يأتي ، القادر على كل شيء » ( سفر الرؤيا ١ : ٨ ) ؛ ( ١١ : ١٧ ) ؛ ( ١٦ : ٥ ) ، أي الكائن في الماضي لأنه أزلي ، والكائن في الحاضر وإلى الأبد لأنه أبدي ، فهو الكائن دائماً أو هو الدائم « يوه » ، الأزلي الأبدي ، السرمد ، والسرمدى ، الدائم .**

يقول الإنجيل للقديس يوحنا « في البدء كان الكلمة » . و« الكلمة » ترجمة عربية يقابلها باليونانية اللوغوس (LOGOS) . واللوغوس هو العقل الإلهي ظاهراً في الوجود . فليس المقصود بـ « الكلمة » اللفظ ، لأنه قبل اللفظ هناك العقل أو الفكر الذى يلد الكلمة . والقَبْلِيَّةُ هنا قَبْلِيَّةٌ منطقيَّةٌ وليست قَبْلِيَّةٌ زمنية . لأنه حيث كان العقل أو الفكر هناك « الكلمة » . وليس هناك وقت كان فيه العقل ولم يكن الكلمة معه ، وإلا كان العقل عاطلاً لا حياة فيه ، وبالتالي لا وجود له . فالكلمة في الإنجيل ليس اللفظ وإنما هو « شخص » . فالكلمة مُشَخَّصٌ . ولذلك جاء الحرف الأول في بعض اللغات الأصلية والترجمات حرفاً كبيراً ، تمييزاً له عن لفظ الكلمة المقروءة والمسموعة . وجاء الفعل في اللغة العربية مذكَّراً ، أى « كان » وليس « كانت » ، توكيداً لأن المقصود هو « الكلمة مشخَّصاً » أى « الله الكلمة » أو « العقل الإلهي ظاهراً في الوجود » (لوقا : ١ : ٢) ؛ (١ . يوحنا ١ : ١) .

فالعقل غير منظور ، ولكنه يصير منظوراً في « الكلمة » لذلك فإن الفعل « كان » في لغة العرب ، ليس استخدامه هنا في مطلع إنجيل يوحنا باعتباره فعلاً ماضياً ناقصاً ، ولكنه فعل ماض تام . فالفعل « كان » هنا من الكينونة بمعنى الوجود . فليس هو على نظير قولنا « كانت الشمس طالعة » أى أنها كانت طالعة ، ولكنها ليست الآن طالعة . بل « كان » الكلمة بمعنى أن كيان الكلمة ووجوده هو كائن منذ الأزل .

وأما قول الإنجيل للقديس يوحنا إن « الكلمة كان لدى الله » فعناه أن الكلمة أزل لأنه منذ البدء ، إذ يقول قبل ذلك « في البدء كان الكلمة » والله أزل ، ولكن ليس ثمة إلهان أزليان ، فليس الكلمة مستقلاً بوجوده وكيانه عن الله ، وليس منفصلاً عنه قائماً بذاته ، إنما « الكلمة لدى الله » ، أى كائن

فيه ومعه ، وكيانه به . ليس الله كياناً والكلمة كياناً آخر . إن الله وكلمته كيان واحد ، ذات واحدة ، جوهر واحد ( ١٠١ يوحنا ٥ : ٧ ) . فالكلمة هو العقل الإلهي ظاهراً ، والعقل الإلهي هو الكلمة ، لأنه بالكلمة يُعرف العقل ، والعقل يظهر بالكلمة وفي الكلمة . وفي ذلك يقول القديس يوحنا البشير « فإن الحياة أظهرت . وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا » ( ١٠١ يوحنا ١ : ٢ ) . وإذن فلولا التجسد لَمَا لُقِّبَ السيد المسيح بالكلمة ، ولَمَا دُعِيَ اسمه « كلمة الله » ( الرؤيا ١٩ : ١٣ ) ؛ ( ١ : ٢ ) . وإذن فالكلمة هو العقل الإلهي مُتجسداً . والعقل الإلهي إذ تجسَّد سُمِّيَ بـ « الكلمة » إذ يقول الانجيل المقدس « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو الذي أخبر عنه » ( يوحنا ١ : ١٨ ) وسُمِّيَ السيد المسيح بالكلمة لأنه هو الخالق .. « به عمل العالمين » ( العبرانيين ١ : ٢ ) . فالكلمة ليس لفظاً ، لكنه القدرة الفاعلة الخالقة .. « كلمة قدرته » ( العبرانيين ١ : ٣ ) . وفي ذلك يقول الوحي الإلهي « بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله ، حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر » ( العبرانيين ١١ : ٣ ) . فكلمة الله فاعلة وخالقة . ولذلك فإن الترجمة الفرنسية لكلمة « اللوغوس » اليونانية جاءت معبزة عن « الفعل » و« الخلق » وهو Le Verbe أى « الفعل » أو « الكلمة الفاعلة » إذ تقول Au Commencement était Le Verbe . وقد سُمِّيَ السيد المسيح بـ « الكلمة » لأن فيه وبه تكلم الله الغير المنظور . لقد تكلم الله قبل التجسد على أفواه الأنبياء أو عن طريق الملائكة الذين أرسلهم لتبليغ رسالة منه ، ولكنه شاء أن يتكلم أخيراً مع الناس بشخصه ، فنزل من السماء ، وتكلم معهم فمأ لضم . وكلمته هو يسوع المسيح . إذ يقول الكتاب المقدس إن « الله بعد أن كلم الآباء بالأنبياء قديماً ، بأنواع وطرق كثيرة . كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه ، الذى جعله وارثاً لكل شيء ، الذى به أيضاً عمِلَ العالمين . الذى هو ضياء

مجده وصورة جوهره وحامل جميع الأشياء بكلمة قدرته « (العبرانيين ١ : ١ - ٣) ؛ (الأمثال ٨ : ٢٢ - ٣٠) .

ويقول الإنجيل للقديس يوحنا إن « الكلمة كان لدى الله » ، وذلك لأنه قبل أن يتجسد كان في السماء لدى الله ، ومن قبل أن يظهر كياناً متجسداً على الأرض كان لدى الله في السماء ، معه وفيه منذ الأزل (يوحنا ١٧ : ٥) ومع ذلك لم يفصل عنه بنزوله إلى الأرض ، وبتجسده ، لأنه على حد قول مخلصنا له المجد « مامن أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذي نزل من السماء ، ابن الإنسان الذي هو في السماء » (يوحنا ٣ : ١٣) كما جاء في رسالة القديس بطرس الأولى : « المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ، ولكنه قد أظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم » (١ بطرس ١ : ١٩ و ٢٠) . ويقول القديس أثاناسيوس الرسول إن « الكلمة كائن دائماً في الآب ، والآب كائن في الكلمة ، كما هو الحال في البهاء أو الضياء بالنسبة إلى النور » . في رسالة للقديس أثاناسيوس للدفاع عن قانون مجمع نيقية - فقرة (٢٠) .

ثم يقول الإنجيل للقديس يوحنا بعد ذلك « وكان الكلمة هو الله » وذلك لأن « الكلمة » هو الله متجسداً . فالله بطبيعته غير منظور ، وإذ صار منظوراً في المسيح لم يتغير في طبيعته ، لأنه ليس جسداً ، وإنما استمر في جسد ، احتجب في جسد ، واتخذ جسداً (يوحنا ١ : ١٤) . ومع ذلك فإنه لم يزل هو الله بذاته . ويقول القديس أثاناسيوس الرسول في ذلك إن « المسيح كان ولم يزل إلهاً » ، وذلك لأن تجسده لم يغير طبيعته الإلهية ، ومن ثم ظلّ وهو متجسداً محتفظاً بألوهيته . ويقول الكتاب المقدس في ذلك إن « المسيح .. الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد » (روما [ رومية ] ٩ : ٥) ؛ (١ : ٢٥) ؛ (٢ . كورنثوس ١١ : ٣١) . وقد جاء في صلاة الصلح بالقداس الغريغوري « أنت بغير تحوّل تجسدت وتأنست » .

فالسيد المسيح هو الكلمة الذى ظهر متجسداً ، ومن ثمَّ فهو كما يقرر الوحي الإلهي « صورة الله الغير المنظور » (كولوسي ١ : ١٥) . ولئن كان التجسد حدثاً تمَّ في الزمان إنَّ الكلمة بوجوده ليس حادثاً ، وإنما هو أزلي ، لأنه كائن في الآب وقائم معه منذ الأزل بلا فارق في الزمان . لأنه حيث كان الله فالعقل الإلهي فيه ، إذ لا يمكن أن نتصور - على حد قول القديس أثنا سيوس الرسول - زمناً كان فيه الله الآب كائناً ولم يكن العقل كائناً معه وفيه . وإلا كان معنى هذا أن الله كان في وقت ما غير عاقل ، ثم صار له عقل فيما بعد ، إنما العقل في الله الآب كائن معه منذ أن كان هو الله الآب ، أى منذ الأزل . فالكلمة قبل التجسد هو العقل الإلهي . والعقل الإلهي أزلي ، فالكلمة إذن أزلي . وإن كان التجسد قد تمَّ في الزمان ، إذ أن التجسُّد معناه أن الله الأزلي الغير المنظور قد احتجب في جسد .

بعد أن وصف الإنجيل للقديس يوحنا - بهذه العبارة الروحية الرائعة التركيب العميقة المعنى - سيدنا يسوع المسيح بالأزلية التي هي صفة الله وحده ، ذكر صفة أخرى تدل على ألوهيته كذلك ، هي أنه الخالق الوحيد لكل شيء في الوجود . ولما كان الخالق الوحيد لكل شيء في الوجود هو الله وحده ، فإن السيد المسيح كما أنه هو ابن الله وهو كلمة الله ، فهو الله ذاته في الوقت نفسه ، إذ يقول الإنجيل للقديس يوحنا إن « كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان » . وإذا كان العقل البشري عاجزاً عن التسامى إلى فهم هذه الحقيقة فذلك لأنها حقيقة تتعلق بطبيعة الله اللانهائي غير المحدود ، في حين أن العقل البشري إنما ينتهي عند حد معين لا يمكنه أن يتعداه ، وهو عاجز عن أن يدرك ما وراء هذا الحد ، إلا إذا تلقى وحياً من الله ، بواسطة أحد مختاريه ، يكشف له عن ذلك السرَّ الإلهي .

فالقول بأن « كل شيء به كان » معناه أن « الكلمة » الذى هو « صورة الله الغير المنظور ، المولود أولاً قبل كل الخليقة » هو الخالق لكل الوجود ( المزمور ٣٢ : ٦ ) . وقد « كان العالم به » ( يوحنا ١ : ١٠ ) . فانه « فيه خلق الجميع ، ما فى السماوات ، وما على الأرض ، ما يرى وما لا يرى ، سواء أكان عروشاً أم سيادات أم رئاسات أم سلاطين . الجميع به وله قد خلق . الذى هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل .. الذى هو البداية .. لأنه فيه سرٌّ أن يحمل كل الملئ » ( كولوسى ١ : ١٥ - ١٩ ) . « وكل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر وفيه » ( الرؤيا ٥ : ١٣ ) ؛ ( الأعمال ١٤ : ١٥ ؛ ١٧ : ٢٤ ) ؛ ( الرؤيا ٤ : ١١ ) ؛ ( ١٠ : ٦ ) ..

وأما قول الإنجيل للقديس يوحنا بأن « بغيره لم يكن شيء مما كان » ، فمعناه أن سيدنا يسوع المسيح هو وحده الخالق ، وليس غيره الخالق . وهذا برهان آخر على لاهوته ، إذ ينسب الإنجيل إليه صفة الخلق التى لا يتصف بها إلا الله وحده . وفى ذلك يقول الكتاب المقدس إن « الله خالق الجميع بيسوع المسيح » ( أفسس ٣ : ٩ ) . ولذلك جاء فى سفر الرؤيا إن السيد المسيح هو « رئيس خليقة الله » ( الرؤيا ٣ : ١٤ ) . فهو الأول فى الوجود أو قبل الوجود ، لأن به كان الوجود ، وهو لذلك رأس الخليقة ، وسيد الخليقة ، ورب الخليقة .

وفضلاً عن أن السيد المسيح يتصف بالأولية التى هى من صفات الله ، وهو الخالق لكل شيء فى الكون ، وذلك لا يمكن نسبته إلا إلى الله الواحد وحده ، فإنه الإله الحيّ . وهو أصل الحياة ومصدرها . ومن ثمّ يصفه الإنجيل للقديس يوحنا بأن « فيه كانت الحياة » وبالتالي فإن كل ذى حياة استمدّ حياته منه ، ولا سيما الناس الذين وهبهم الله مع الحياة العقل . فكانت الحياة العاقلة نوراً لهم يرون على هداه نور الله . ولذلك يقول الإنجيل للقديس يوحنا « والحياة كانت



نور الناس» . وعلى الرغم من أن الناس قد سقطوا في ظلمة الخطيئة ، إذ خالفوا وصايا الله ، فإن السيد المسيح الذى هو خالقهم وهو الحياة ، وهو النور ، قد جاء بتجسده بينهم ليبدد ما يكتنفهم من تلك الظلمة . ولكنهم - بسبب كثافة تلك الظلمة التى أصبحت تكتنفهم - لم يدركوا حقيقته . وهذا هو معنى قول القديس يوحنا إن «النور يضىء في الظلمة . والظلمة لم تدركه» .

ومن ثمَّ فإن السيد المسيح هو الكلمة الأزلى لأنه «صورة الله الغير المنظور» . وهو الكلمة لأن فيه وبه تكلم الله مع الناس . وهو الخالق الذى «كل شيء به كان . وبغيره لم يكن شيء مما كان» . ولهذا فيه كانت الحياة ، ومن دونه لم تكن حياة . فليس هو حياً في ذاته وبذاته فقط (يوحنا ٥ : ٢٦) ؛ (١٤ : ١٩) . بل إن «فيه كانت الحياة» لكل أحد ولكل شيء . وإذْ ن فهو منسْء الحياة ، وباعث الحياة ، ومبدىء الحياة . وبهذا المعنى هو «رئيس الحياة» (الأعمال ٣ : ١٥) . أى أنه رأس الحياة ، وأصل الحياة . بل هو «الحياة» (يوحنا ١١ : ٢٥) ؛ (١٤ : ٦) ،

وهو «الحياة الأبدية» (١ . يوحنا ٥ : ٢٠) و«به نحيا» (١ . يوحنا ٤ : ٩) ؛ (الأعمال ١٧ : ٢٨) ، إذ أنه «يهب الحياة للعالم» (يوحنا ٦ : ٣٣) . بل يهب «الحياة الأبدية» (١ . يوحنا ٥ : ١١) .

والسيد المسيح من حيث هو «الكلمة» ، ومن حيث هو «الحياة» هو أيضاً «نور الناس» . فهو يبعث فيهم الحياة ، وينير لهم الطريق . فهو «نور وليس فيه ظلمة البتة» (١ . يوحنا ١ : ٥) و«ساكنًا في نور لأيدنى منه» (١ . تيموثيوس ٦ : ١٦) . وإذ منح الناس الحياة ، منحهم مع الحياة النور ، إذ يقول هو نفسه «أنا هو نور العالم . من يتبعنى لا يسير في الظلام ، وإنما يكون له نور الحياة» (يوحنا ٨ : ١٢) . ويقول «أنا قد جئت للعالم نوراً حتى إن كل من

يؤمن بي لا يُمكث في الظلمة » (يوحنا ١٢ : ٤٦) . كما يقول : « مادمت في العالم فأنا نور العالم » (يوحنا ٩ : ٥) . ويقول « إن النور باق في وسطكم زماناً يسيراً . فسيروا في النور مادام النور لكم » (يوحنا ١٢ : ٣٥) .

**فالنور إذن هو المسيح . هو الله الكلمة .** وقد جاء إلى العالم نوراً يضيء في الظلمة . والظلمة هنا هي ظلمة الشر والخطيئة والدنس التي كان العالم متردداً فيها . ومع ذلك لم يستطع الناس لكثافة الظلام الذي كانوا يعيشون فيه أن يدركوا قيمة النور الذي أشرق عليهم بتجسد الله الكلمة وإقامته بينهم . لقد قال إشعيا النبي قديماً بروح النبوة عن المسيح له المجد ، باعتباره النور الذي أضواء العالم بمجيئه ، وإن « الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً . الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور » (إشعيا ٩ : ٢) ؛ (متى ٤ : ١٦) ؛ (لوقا ١ : ٧٩) . وقال الوحي الإلهي عن السيد المسيح كلمة الله ، على فم إشعيا النبي أيضاً « وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم ، لتفتح أعين العمى ، تُخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن ، الجالسين في الظلمة » (إشعيا ٤٢ : ٧ و٦) ؛ (٤٩ : ٧) ؛ (الأعمال ٢٦ : ١٨) .

وقد قال السيد المسيح له المجد مؤكداً على نفس المعنى « وهذه هي الدينونة أن النور جاء إلى العالم ، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة . فإن كل من يفعل الشر يبغض النور ، ولا يقبل إلى النور ، لئلا تفتضح أعماله الشريرة وتوبَّخ . وأما من يفعل الحق فإنه يقبل إلى النور ، لكي يظهر أن أعماله إنما أتاها في الله » (يوحنا ٣ : ١٩ - ٢١) .

وقد أثبت السيد المسيح بعد أن بدأ يؤدي رسالته ، بأقواله الإلهية ، وأعماله

التي لا يمكن أن تصدر إلا من الله وحده ، أنه هو ابن الله ، وأنه هو كلمة الله ، وأنه هو النور الإلهي . ولكنه قبل أن يبدأ في أداء هذه الرسالة ، وهو في الثلاثين من عمره ، شاء تدبير الله وشاءت حكمته أن يبعث برسول ليعلن مجيئه للعالم ، ويمهد الطريق له بأن يشهد بأنه هو المسيح الذي كان العالم ينتظر مجيئه ، على مقتضى نبوءة ملاخي النبي التي يقول فيها على لسان السيد المسيح : « هأنذا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق أمامي » ( ملاخي ٣ : ١ ) . وكان هذا الملاك أو الرسول هو يوحنا المعمدان ( انظر أيضًا إشعياء ٤٠ : ٣ - ٥ ) ؛ ( متى ٣ : ٣ ) ؛ ( مرقس ١ : ٢ و ٣ ) ؛ ( لوقا ١ : ٧٦ ) ؛ ( ٣ : ٤ - ٦ ) . ومن ثم يقول الإنجيل للقديس يوحنا عنه :

« كان رجل قد أرسل من الله اسمه يوحنا ، جاء هذا للشهادة كي يشهد للنور ، ليؤمن الكل على يده » .

ويوحنا المقصود هنا هو يوحنا المعمدان ابن زكريا الكاهن واليصابات ( لوقا ١ : ١ - ٢٥ ) ؛ ( ١ : ٥٧ - ٨٠ ) الذي شهد عنه السيد المسيح بأنه أكثر من نبي ، وأنه لم يقم بين المولودين من النساء أعظم منه . غير أن الأصغر منه في ملكوت الله أعظم منه ( متى ١١ : ٩ و ١١ ) ، ( لوقا ٧ : ٢٦ و ٢٨ ) . وقال عنه ملاخي النبي كما رأينا بلسان السيد المسيح : « هأنذا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق أمامي » ( ملاخي ٣ : ١ ) . كما جاء عنه في سفر إشعياء النبي « صوت صارخ في البرية : أعدوا طريق الرب ، قوموا في القفر سبيلاً لإلهنا » ( إشعياء ٤٠ : ٣ ) ؛ ( متى ٣ : ٣ ) ؛ ( مرقس ١ : ٢ و ٣ ) ؛ ( لوقا ١ : ٧٦ ) ؛ ( ٣ : ٤ - ٦ ) .

وإذ كان كثيرون من اليهود يظنون أن يوحنا المعمدان هو المسيح الذي ينتظرونه ، أراد الإنجيل للقديس يوحنا أن يوضح هذا الظن ، ويوضح الرسالة الحقيقية ليوحنا المعمدان . فقال إنه :

« لم يكن هو النور ، وإنما أرسل ليشهد للنور » وقد شهد يوحنا المعمدان بأنه « مُرسَل » أمام سيده المسيح ، فقال لليهود : « لست أنا المسيح ، وإنما أنا مرسل أمامه » (يوحنا ٣ : ٢٨) وقال كذلك « وأنا لم أكن أعرفه . ولكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء هو الذى قال لى .. » (يوحنا ١ : ٣٣) ؛ (لوقا ٣ : ٢) .

وهكذا حدّد الإنجيل الهدف من إرسالية يوحنا المعمدان ، وهو أنه مُرسَل من الله ليشهد للمسيح أنه ابن الله الأزلى ، وأنه حمل الله الذى يحمل خطيئة العالم ، وأنه أتى من السماء ، وأنه فوق الجميع ، إذ يقول الإنجيل « وقد شهد يوحنا له ونادى قائلاً : هذا هو الذى قلت عنه إن الذى يأتى بعدى قد تقدّمنى لأنه كان قبلى » (يوحنا ١ : ١٥) .. « وهذه هى شهادة يوحنا .. فاعترف ولم ينكر وأقر قائلاً : لست أنا المسيح .. أنا صوت الصارخ فى البرية ، أعدّوا طريق الرب .. أنا أعمدكم بالماء . ولكن بينكم قائم ذلك الذى لستم تعرفونه ، الذى وإن أتى بعدى كان قبلى ، وأنا لست بمستحق لأن أحلّ أربطة حذائه .. وفى الغد رأى يوحنا يسوع مقبلاً إليه ، فقال : هوذا حمل الله الذى يحمل خطيئة العالم . هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى رجل يتقدمنى لأنه كان قبلى . وأنا لم أكن أعرفه ، ولكن من أجل أن يُظهر لإسرائيل جئت أنا أعمد بالماء . وشهد يوحنا قائلاً : إني قد أبصرت الروح نازلاً عليه من السماء فى هيئة حمامة ، واستقرّ على رأسه . وأنا لم أكن أعرفه ، ولكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء هو الذى قال لى : إن الذى تبصر الروح ينزل ويستقر على رأسه هو الذى يعمد بروح القدس . وأنا قد أبصرت وشهدت بأن هذا هو ابن الله . ثم فى اليوم التالى كان يوحنا واقعاً مع اثنين من تلاميذه . وإذ أبصر يسوع ماشياً ، قال : هذا هو حمل الله » (يوحنا ١ : ١٥ - ٣٦ - انظر أيضاً يوحنا ٣ : ٢٥ - ٣٦) ؛ (يوحنا ٥ : ٣٣ - ٣٦) .

وجاء في سفر الأعمال « فقال بولس إنَّ يوحنا عمَّد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده ، أى بالمسيح يسوع . فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع » (الأعمال ١٩ : ١ - ٥) .

ومع أن الإنجيل نسب بوضوح إلى المسيح وهو الله الكلمة أنه هو النور الذي يضيء في ظلمة هذا العالم الشرير ، وأن الظلمة لم تدرك حقيقته ، عاد يكرّر من جديد أن يوحنا المعمدان على الرغم من أنه كان كما وصفه رب المجد « هو السراج الموقد المنير » (يوحنا ٥ : ٣٥) ، لكنه « لم يكن هو النور » في ذاته المقصود في قوله « والنور يضيء في الظلمة » . ولذلك أضاف يؤكد هذه الحقيقة معلناً الفرق بين يوحنا المعمدان وبين سيده المسيح ، قائلاً إنَّ ذاك « لم يكن هو النور ، وإنما أرسل ليشهد للنور » .

إنَّ يوحنا المعمدان « أكثر من نبي » كما شهد عنه رب المجد ، ومع ذلك فإنه ليس بشيء بالقياس إلى سيِّده الذي كان يوحنا المعمدان خادماً له ، وهو الذي جاء يتقدمه بمثابة العبد الجارى السابق أمام الملك ليعدَّ الطريق أمامه ، يصرخ وينادى معلناً عن قدوم ملكه وسيِّده . وقد أقرَّ يوحنا بذلك قائلاً « وأنا لست بمستحق لأن أنحنى وأحلَّ أربطة حذائه » (يوحنا ١ : ٢٧) ، (مرقس ١ : ٧) ؛ (لوقا ٣ : ١٦) أو « أحمل حذائه » (متى ٣ : ١١) .

أما أن يوحنا المعمدان إنما أرسل ليشهد للنور ، فهذا يتضح من قول الإنجيل : « كان رجل قد أرسل من الله اسمه يوحنا » (١ : ٦) . كما يتضح أيضاً من (ملاخي ٣ : ١) ؛ (يوحنا ٣ : ٢٨) ؛ (يوحنا ١ : ٣٣) .

وبعد أن قرر الإنجيل للقديس يوحنا أن يوحنا المعمدان « لم يكن هو النور ، وإنما أرسل ليشهد للنور » ، قرر أن « النور الحقيقي » هو السيد المسيح الذي كان عندئذ قد أتى إلى العالم والذي جاء يوحنا المعمدان ليشهد أنه هو الذي كان مقرراً

في التدبير الإلهي أن يأتي إلى العالم ، إذ يقول : « كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم » ومن يكون « النور الحقيقي » غير السيد المسيح له المجد . وهو الله الكلمة الذي ليس جسداً . وقد أشرق على الجالسين في الظلمة وظلال الموت موثقين بالذلل والحديد ( الزمور ١٠٦ : ١٠ و ١٤ ) . ؟

لقد وصفه الإنجيل قبل ذلك بأنه « النور » ( يوحنا ١ : ٤ و ٥ و ٧ و ٨ ) . لكنه يضيف هنا إلى النور أنه « الحقيقي » وذلك تمييزاً له عن أى إنسان آخر يعتبر نوراً ، لقد قال السيد المسيح لتلاميذه « أنتم نور العالم » ( متى ٥ : ١٤ ) وقال لهم أيضاً « فليضيئ نوركم هكذا أمام الناس » ( متى ٥ : ١٦ ) . وقال له المجد عن يوحنا المعمدان : « ذاك كان هو السراج الموقد المنير . وقد كنتم تريدون أن تهلّلوا بنورة ساعة » ( يوحنا ٥ : ٣٥ ) . فالرسل والقديسون لهم نور ، لكن نورهم ليس منهم . لأنه نور مستعار أو منعكس عليهم من « النور الحقيقي » . . مثلهم في ذلك مثل القمر : فالقمر جسم معتم لكنه يبدو منيراً . على أن النور الذي يظهر به ليس منه .. لأنه من نور الشمس ، وقد انعكس عليه ، فصار يبدو منيراً . فالمسيح وحده هو « النور الحقيقي » . وقد تكرر هذا الوصف عن السيد المسيح له المجد . ( ١ . يوحنا ٢ : ٨ ) .

هذا النور الحقيقي ينير كل إنسان . ينيره في الروح والنفس والفكر والقلب ، فيبصر بهاء هذا النور ما لم يكن يبصره من قبل . وهو ينير كل إنسان ، أى يغمر بنوره قلب الإنسان الذي كان - بسبب خطيئته - قد غمرته الظلمة ، فلم يعد يهتدى بنور الله الذي بدونَه يضلّ الطريق ، ويتخبّط ويتعثّر في كل خطوة يخطوها ، ويسقط في كلّ هوة تعترضه . حتى ينتهى به الأمر إلى السقوط الأبديّ . وهو يغمر بنوره لا قلوب اليهود وحدهم الذين أتى بينهم ، والذين كانوا يعدّون أنفسهم شعب الله المختار ، دون سائر شعوب الأرض ، وإنما قلوب

جميع الناس في كل مكان وكلّ زمان ، لأنه كما يقرر الإنجيل للقديس يوحنا « ينير كلّ إنسان » . ولقد قال السيد المسيح له المجد « أتيت أنا دينونة للعالم ، حتى يبصر الذين لا يبصرون » ( يوحنا ٩ : ٣٩ ) . يبصر ماضيه فيندم عنه ويتوب ، ويبصر حاضره فيدرك أين هو ، ويتبين نسبته إلى الله وإلى الكون .. ويبصر مستقبله فيرعوى ويتعظ . ويجاهد ليكون له نصيب مع الذين ينالون الخلاص ، فيحظى بفرديوس النعيم وملكوت السماوات .

إنه « ينير كل إنسان » ، يهودياً كان أو من غير اليهود . فالسيد المسيح وإن كان قد جاء لليهود أولاً ، لكن دعوته كانت دعوة إنسانية غير عنصرية . كانت دعوة لجميع الناس للخلاص إلى أقصى الأرض ( إشعيا ٤٩ : ٦ ) . لأن كلّ إنسان قد حُلِقَ « على صورة الله ومثاله » ( التكوين ١ : ٢٦ و٢٧ ) .. « وليس يهودى ولا يونانى . ليس عبد ولا حر . ليس ذكراً وأنثى ، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع » ( غلاطية ٣ : ٢٨ ) .

ومع أن السيد المسيح كان « آتياً إلى العالم » فإنه كما يقول الإنجيل « كان في العالم ، وكان العالم به ، والعالم لم يعرفه » .

لقد كان له المجد في العالم منذ إنشاء العالم ، بل إنه كائن قبل كون العالم ( يوحنا ١٧ : ٥ ) . لأنه هو خالق العالم ، إذ « كان العالم به » ولكنه بتجسده ظهر للعالم إلهاً متأنساً ، وراه الناس إنساناً بينهم ، محدوداً بناسوته ، وإن كان غير محدود بلاهوته ، وعلى الرغم من أنه ماتجسداً لإلخلاص العالم ، بسبب محبته للعالم الذى هو خالقه ، فإن « العالم لم يعرفه » ( يوحنا ١ : ٢٦ و٢٧ ) ؛ ( ٨ : ١٩ ) ؛ ( ١٤ : ٧ ) . لأن المادية كانت قد طغت على أهل العالم ، والظلمة قد اكتنفتهم ، وأعمت أبصارهم وبصائرهم ، ومن ثم كانوا عاجزين عن أن يروا ذلك النور الذى سطع بينهم أو يعرفوا حقيقته .

لقد كان هو النور الحقيقي الذي أتى إلى العالم متجسداً ، « صائراً في شبه الناس » ( فيلبي ٢ : ٧ ) . « وظهر في الهيئة كإنسان » ( فيلبي ٢ : ٨ ) . « لَمَّا جاء ملء الزمان » ( غلاطية ٤ : ٤ ) . ولكنه قبل التجسد من السيدة العذراء مريم « كان في العالم » أيضاً . وقد كان في العالم منذ إنشاء العالم ، يدبره ويرعاه بصفته خالق العالم ، « وكان العالم به » فهو الكلمة « الكائن منذ الأزل . كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان » ( يوحنا ١ : ٣ و ٢ ) . والكائن « قبل كون العالم » ( يوحنا ١٧ : ٥ ) . « الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم كل شيء » ( كولوسي ١ : ١٧ ) . « وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته » ( العبرانيين ١ : ٢ ) . وقد « كان في العالم . والعالم لم يعرفه » . وكان في العالم بوجوده غير المنظور ، ومع ذلك كان يظهر أحياناً في شكل منظور ، بنوع من التجسد قبل التجسد : فقد ظهر لآدم وحواء بعد سقوطها وسمعا صوته « ماشياً في الجنة » ( التكوين ٣ : ٨ ) فاختبأ من وجهه .. وظهر لإبراهيم الخليل عند بلوطات ممرا ومعه ملاكان ( التكوين ١٨ : ١ ) ، ووعده بميلاد إسحق ، وتشفع لديه إبراهيم في سدوم وعمورة .. وظهر لإبراهيم أيضاً في هيئة ملكي صادق ، وباركه وقبل منه العشور ( التكوين ١٤ : ١٨ - ٢٠ ) .. ثم ظهر ليعقوب أبي أسباط اليهود الاثني عشر وصارعه ثم باركه « فدعا يعقوب اسم المكان فنيثيل ، قائلاً : لأنني نظرت الله وجهاً لوجه » ( التكوين ٣٢ : ٢٤ - ٣١ ) .. وظهر ليشوع بن نون في هيئة رئيس جند ، وأمره بأن يخلع نعله من رجله « لأن المكان الذي أنت واقف عليه هو مقدس » ( يشوع ٥ : ١٣ - ١٥ ) . ولو لم يكن هو الرب لَمَّا أمره بما أمر به موسى النبي عندما ظهر له بأن يخلع حذاءه « لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة » ( الخروج ٣ : ٥ و ٤ ) ... وظهر لإشعيا النبي « جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل » ( ٦ : ١ ) وظهر لحزقيال النبي جالساً على العرش في شبه منظر إنسان ( ١ : ٢٦ ) .. وظهر لدانيال النبي



في شبه ابن إنسان ( ٧ : ١٣ ) .. في كل ذلك الظهور قبل التجسد من السيدة العذراء مريم « لم يعرفه العالم » . وحتى في ظهوره متجسداً من العذراء مريم « لم يعرفه العالم » . وقد قال عنه يوحنا المعمدان : « أنا أعمدكم بالماء . ولكن بينكم قائم ذلك الذي لستم تعرفونه ، الذي وإن أتى بعدي كان قبلي » ( يوحنا ١ : ٢٦ و ٢٧ ) . وقال السيد المسيح له المجد لليهود : « إنكم لا تعرفوني أنا ولا تعرفون أبي . لو كنتم تعرفوني لكنتم تعرفون أبي أيضاً » ( يوحنا ٨ : ١٩ ) . بل قال لبعض تلاميذه « لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً » ( يوحنا ١٤ : ٧ ) . والمعنى من كل ذلك أن العالم لم يعرفه على حقيقته . ذلك لأنه جاء محتججاً في الناسوت ، مستتراً فيه ، مخفياً لاهوته عن الشيطان ليم عمل الفداء وخلص الإنسان : « لأنهم لو عرفوا لَمَا صلبوا رب المجد » ( ١ . كورنثوس ٢ : ٨ ) . « إلى خاصته جاء » . وقد كانت خاصته هم اليهود الذين أعلن الله لهم ذاته دون غيرهم من الأمم . وأعطاهم شريعته ليحافظوا عليها ويعملوا بمقتضاها ويُبشِّروا بها العالم كله ، وينشروا نورها في كل أرجاء الأرض . ولكن « خاصته لم تقبله » ، لأن أولئك اليهود الذين كانوا هم خاصته كانت ظلمة الخطيئة قد غلقت قلوبهم ، وأعمت أبصارهم وبصائرهم كما فعلت بسائر البشر ، بل أكثر مما فعلت بسائر البشر ، فرفضوا النور الذي أتى إليهم لينير قلوبهم . لأن السيد المسيح الذي هو « النور الحقيقي » لم يأت إليهم كما كانوا يتوقعون ، بناء على فهمهم الخاطيء لنبوءات أنبيائهم ، أنه سيأتي إليهم في مجد دنيوي عظيم ، كملك جبار ، وقائد مغوار ، يتربع على عرشهم ، ويقود جيوشهم ، ليسيظروا على العالم كله ويسودوا شعوبه ، على مقتضى غرورهم وأطماعهم ولثوم طباعهم . وإنما أتى إليهم في صورة إنسان فقير وديع بسيط المظهر متواضع القلب ، لا يُرضى جشعهم الدنيوي ، ولا يقيم لهم مملكة أرضية ، وإنما يوصيهم بالتخلي عن مطامع الدنيا . وبالتطلع إلى ملكوت السماء . لذلك لم يقبلوه لأنهم لم

يعرفوه على حقيقته باعتباره المسيح الذى ينتظرونه ، فى حين آمن كثيرون من سائر الشعوب الوثنية الأخرى بأنه هو المسيح ابن الله وكلمته . ومن ثم لم يقبله إلا الذين آمنوا به . و « أما الذين قبلوه ، فأعطاهم السلطان لأن يكونوا أبناء الله ، أولئك هم المؤمنون باسمه » . أى أنه له المجد قبل الذين قبلوه من اليهود أو من غير اليهود . وقد فتح لهم هذا القبول الباب لأن ينالوا أعظم وأكرم مكانة يمكن أن ينالها إنسان فى كل مكان وكل زمان ، ولا يمكن أن تضاهيها مكانة أو سلطان . وهى أن يكونوا أبناء الله ، الذين يحتضنهم الله احتضان الأب أبناءه ، ويحبهم ويحذب عليهم ، فينعمون بقرهم منه ، ويتمتعون فى ملكوته بسلطان يستمدونه من سلطانه ، لأنهم بإيمانهم بابن الله وكلمته واعتمادهم باسمه قد وُلدوا ولادة ثانية .. « ولدوا لا من دم ، ولا من مشيئة إنسان ، وإنما من الله وُلدوا » ، أى أن تلك الولادة الثانية ليست ولادة جسدية من أب بشرى كالولادة الأولى ، ولم تنشأ كالولادة الأولى عن مشيئة إنسان حين تتجه مشيئته لأن ينجب ابناً . وإنما الولادة الثانية هى ولادة روحية تنشأ عن مشيئة الله ، ويصير بها الإنسان ابناً لله بالمعمودية .

وتفصيل ذلك أن خاصة السيد المسيح هم اليهود . فالمسيح جاء أولاً من أجل اليهود . ولذلك وُلد من أم يهودية هى السيدة مريم التى من سبط يهوذا ( العبرانيين ٧ : ١٤ ) ؛ ( ٨ : ٨ ) ؛ ( الرؤيا ٥ : ٥ ) . و وُلد فى بيت لحم بإقليم اليهودية بأرض يهوذا ( متى ٢ : ١ و ٦ و ٨ ) ؛ ( ميخا ٥ : ٢ ) ؛ ( يوحنا ٧ : ٤٢ ) . وقيل عنه إنه يهودى ( يوحنا ٤ : ٩ ) ودُعِيَ « ملك اليهود » ( متى ٢ : ٢ ) ؛ ( ٢١ : ٥ ) ؛ ( ٢٧ : ١١ و ٢٩ و ٣٧ ) ؛ ( مرقس ١٥ : ٢ و ٩ و ١٢ و ١٨ و ٢٦ ) ؛ ( لوقا ٢٣ : ٣ و ٣٧ و ٣٨ ) ؛ ( يوحنا ١٨ : ٣٣ و ٣٩ ) ؛ ( ١٩ : ٣ و ١٩ و ٢١ ) . وسُمى « ملك إسرائيل » ( يوحنا ١ : ٤٩ ) ؛ ( متى ٢٧ : ٤٢ ) ؛ ( مرقس ١٥ : ٣٢ ) ؛ ( يوحنا ١٢ : ١٣ ) .

وقال السيد المسيح له المجد: «لأن الخلاص إنما هو من اليهود»  
(يوحنا ٤ : ٢٢) .

ولقد عدَّ الرَّبُّ اليهود ، أوبنى إسرائيل ، خاصته إذ قال لموسى النبي « هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى إسرائيل .. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي - تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب » ( الخروج ١٩ : ٣ - ٥ ) وجاء فى سفر الزامير : « لأن الربَّ قد اختار يعقوب لذاته وإسرائيل لخاصته » ( المزمور ١٣٤ : ٤ ) . وجاء فى سفر نبوة ملاخى النبى « ويكونون لى ، قال رب الجنود ، فى اليوم الذى أنا صانع ، خاصَّة ، وأشفق عليهم كما يشفق الإنسان على ابنه الذى يخدمه » ( ملاخى ٣ : ١٧ ) .

ولكن على الرغم من أن المسيح الرب جاء إلى اليهود ، وهم الذين يعدون خاصته ، لأنه جاء من أم يهودية ، فإن اليهود مع ذلك رفضوه وتمردوا عليه ولم يقبلوه لقسوة قلوبهم وتصلب رقابهم .. واليهود الذين رفضوه هم رؤساء اليهود وقادتهم وزعماؤهم من الكهنة ورؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين والصدوقيين ومن انقاد إليهم وخضع لهم من عامة اليهود ، فكم من مرَّة ذكر الإنجيل المقدس أنهم كانوا يتدنَّون عليه ويتفنون قتله ( يوحنا ٧ : ١ و ١٩ و ٢٠ و ٢٥ و ٣٠ و ٣٢ و ٤٤ و ٤٥ ) ؛ ( ١٠ : ٣٩ ) ؛ ( ١١ : ١٦ و ٥٠ و ٥١ و ٥٣ و ٥٧ ) . وكثيراً ما شتموه وقالوا له « ألم نكن على صواب إذ قلنا إنك سامرى وبك شيطان ؟ » ( يوحنا ٨ : ٤٨ و ٤٨ و ٥٢ ) ؛ ( ٧ : ٢٠ ) ؛ ( ١٠ : ٢٠ ) . وقالوا عنه إنه قد اختل عقله (مرقس ٣ : ٢١) ؛ ( يوحنا ١٠ : ٢٠ ) ؛ ورفعوا حجارة ليرجموه ( يوحنا ٨ : ٥٩ ) ؛ ( ١٠ : ٣١ ) ؛ ( ١١ : ٨ ) . بل لقد « أصدروا قراراً بأنه إذا اعترف أحد بأنه هو المسيح يُقطع من المجمع » ( يوحنا ٩ : ٢٢ ) ؛ ( ١٢ : ٤٢ ) . وأخيراً تأمروا عليه وصلبوه وقتلوه ، كما أشار هو

نفسه إلى ذلك في مثل الكرم إذ قال « لكن الكرامين حين رأوا الابن تأمروا فيما بينهم قائلين بعضهم لبعض : هوذا الوارث هلموا نقتله فيصير الميراث لنا ثم أمسكوه ومن ثمَّ طرحوه خارج الكرم وقتلوه » ( متى ٢١ : ٣٨ و٣٩ ) ؛ ( مرقس ١٢ : ٨ و٧ ) ؛ ( لوقا ٢٠ : ١٤ و١٥ ) . وردّ نفس المعنى حين قال « ولكن أهل بلده إذ كانوا يكرهونه أرسلوا في إثره سفراء عنهم يقولون : لا نريد أن يملك هذا علينا » ( لوقا ١٩ : ١٤ ) ؛ ( الأعمال ٣ : ٢٦ ) .

وقد اتخذ السيد المسيح له المجد من رفض اليهود له تبريراً لأن يفتح باب الخلاص للأمم من غير اليهود ، أي الوثنيين . إذ قال « ولى خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة ، ينبغي أن أجيء بها هي أيضا فتسمع صوتي ، ويكون ثمة رعية واحدة وراع واحد » ( يوحنا ١٠ : ١٦ ) ؛ ( الأعمال ١٣ : ٤٦ ) . وقد عبّر عن ذلك قائلاً :

« أما كل الذين قبلوه فأعطاهم السلطان لأن يكونوا أبناء الله ، أولئك هم المؤمنون باسمه » .

وذلك أن الله لا يفرض عطاياه على الناس ، لئلاً يكون بهذا قد قهرهم على أن يقبلوا نعمة على الرغم منهم . مما يتعارض مع الحرية الممنوحة لهم ابتداءً ، إذ أنهم خلّقوا على صورة الله أحراراً ( يشوع ٢٤ : ١٥ و٢٢ ) . لذلك فإذا جاء أولاً إلى خاصته فرفضوه ولم يقبلوه ، قد فتح الطريق أمام كل الذين قبلوه وارتضوه وآمنوا به ، سواء أكانوا من اليهود أو من غير اليهود . فليس جميع اليهود قد رفضوه . وإنما رفضه قادة اليهود وزعمائهم من الكهنة ورؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين والصدّوقيين ومن انقاد إليهم ولكن تلاميذه وهم من اليهود قبلوا دعوته . وكثيرون آخرون من اليهود ومن رؤسائهم آمنوا به ( يوحنا ١٢ : ٤٢ ) . ولعلّ من أبرزهم نيقوديموس الذي جاء إلى السيد المسيح ليلاً ( يوحنا

٣ : ١) . ويوسف الرامى ( يوحنا ١٩ : ٣٨ ) . ففتح كل الذين قبلوه السلطان والحق لأن يكونوا أبناء الله ، أى المنضوين تحت لوائه ، ممن قبلهم وقبلوه وصاروا من أتباعه وضمن نطاق مملكته . على أن هذه البُنة لله بُنة بالوضع لا بالطبع . فهى بُنة بالفضل والإنعام ولكنها ليست بالطبيعة . وهى إذن بالتبني . وبذلك تفرق افتراقاً جوهرياً وأساسياً عن بُنة السيد المسيح لله ، فالمسيح ابن الله الحى ( متى ١٦ : ١٦ ) . بالطبع ، لأنه من طبيعة الله ومن جوهره ، فهو واحد معه فى الجوهر ( يوحنا ١٠ : ٣٠ ) . وهو « صورة الله الغير المنظور » ( كولوسى ١ : ١٥ ) . وهو « الله الذى ظهر فى الجسد » ( ١ ) . تيموثيوس ٣ : ١٦ ) . وقد جاء فى رسائل الرسل : « لأن كل الذين ينقادون بروح الله . فأولئك هم أبناء الله . إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف ، بل أخذتم روح التبني الذى به نصرخ يا أبا الآب . الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله . فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ، وورثة الله ووارثون مع المسيح » ( روما [ رومية ] ٨ : ١٤ - ١٧ ) . وأيضاً « أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله » ( ١ . يوحنا ٣ : ١ ) . انظر أيضاً ( متى ٥ : ٩ ) ؛ ( لوقا ٢٠ : ٣٦ ) ؛ ( يوحنا ١١ : ٥٢ ) ؛ ( روما [ رومية ] ٨ : ١٩ ) ؛ ( غلاطية ٣ : ٢٦ ) .

أولئك الذين آمنوا بابن الله وكلمته قد ولدوا ولادة ثانية .. « ولدوا لا من دم ، ولا من مشيئة جسد ، ولا من مشيئة إنسان ، وإنما من الله » فهم بالإيمان بالسيد المسيح صاروا أصحاب حق وسلطان أن يكونوا أولاد الله . وليس هذا بفعل الإيماء الذاتى عند الذين آمنوا ، ولكن إذ آمنوا أعطوا الله مجالاً لفعاليات العمل الإلهى فيهم للولادة الجديدة من الله ، فالؤمنون يقبلون بعد إيمانهم بالمسيح سِرَّ العماذ المقدس ، وبالمعمودية يولدون « الميلاد الثانى من الماء والروح » ( يوحنا ٣ : ٥٣ ) . « فيغتسلون » من خطاياهم السابقة « ( الأعمال ٢٢ : ١٦ ) ؛

(أفسس ٥ : ٢٦) . وهذا كله يتم بحلول روح القدس على مياه المعمودية فتحوّل إلى مياه ملتبهة بنار ، فيصير العباد بروح القدس وبالنار (متى ٣ : ١١) ، (لوقا ٣ : ١٦) . وجاء في الكتاب المقدس : « حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه ، لا بأعمال في برّ عملناها نحن . بل بمقتضى رحمته خلّصنا بَعَسَل الميلاذ الثاني وتجديد الروح القدس » ( تيطس ٣ : ٥ و٤ ) . فهذه الولادة الجديدة هي ولادة من فوق ( يوحنا ٣ : ٣ ) لا من الأرض . فهي ولادة ثانية غير الولادة الأولى التي تم من الأب والأم . و« الدم » المتكون منها معاً ، والذي يسرى في الجنس البشرى كله متّصلاً بالإنسان الأول آدم ، إذ « صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على وجه الأرض كلها » ( الأعمال ١٧ : ٢٦ ) ، وتسرى فيه الخطيئة الأصلية إلى كل الجنس البشرى ( روما [ رومية ] ٥ : ١٢ ) .

الذين وُلدوا من الله الولادة الثانية ولدوا لا من دم الأب والأم ، ولا من مشيئة جسد بشهوة الزواج التي قال عنها داود النبي « بالآثام حُبل بي ، وبالخطيئة اشتهتني أمي » ( المزمور ٥٠ : ٥ ) ولا من مشيئة إنسان ، « وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً .. نحن أيضاً جميعاً تصرّفنا قبلاً .. في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار . وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً . الله الذي هو غنى في الرحمة من أجل محبته التي أحببنا بها ، ونحن أموات بالخطايا أحياناً مع المسيح . بالنعمة أنتم مُخلّصون . وأقامنا معه .. لأنكم بالنعمة مُخلّصون بالإيمان . وذلك ليس منكم ، هو عطية الله . ليس من أعمال كيلاً يفتخر أحد ، لأننا نحن عمله ، مخلوقين في المسيح يسوع » ( أفسس ٢ : ١-١٠ ) .

هذا هو الفارق العظيم بين الولادة الثانية من الله ، من الماء والروح القدس ،

والتي نناها في المعمودية ، والولادة الأولى التي نناها من الأب والأم ، من خلال دم الأبوين ، ومشية الجسد بالشهوة ، ومشية الإنسان في الزواج وبه .

إن الولادة الثانية هي من الله للمؤمنين بالمسيح ، وهي ولادة حقيقية من فوق ، بنعمة المسيح التي تهبط من السماء باستدعاء الروح القدس ، فيغير طبع الماء ، فتصير لمياه المعمودية القدرة على أن تطهر المؤمنين من الإنسان العتيق ، وتغسل الخطيئة الأصلية فيه ، وتخلق منه إنساناً جديداً بالمسيح . وهذه هي الخليقة الجديدة ... « إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة . الأشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً » ( ٢ . كورنثوس ٥ : ١٧ ) ، لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ، بل الخليقة الجديدة » ( غلاطية ٦ : ١٥ ) .

ومرة أخرى ليس يتم هذا الخلق الجديد بمجرد إيمان المؤمن . إنما الإيمان يبيء للمؤمن أن يقبل عمل الروح القدس الآتي من فوق ، من عند الله ، « لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع . لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح » ( غلاطية ٣ : ٢٦ و٢٧ ) .



« والكلمة اتخذ جسداً . وحلَّ بيننا » ، وهذا هو السرُّ الأعظم الذى تنطوى عليه العقيدة المسيحية ، والذى يقف أمامه العقل البشرى ذاهلاً مبهوراً . ولولا أننا تلقيناه بوحى من الله إلى أنبيائه القديسين ، وبتصريح واضح صريح من السيد المسيح الذى آمنا به أصدق الإيمان وأعمق الإيمان ، لما استطعنا أن نرتفع بكياننا المادى الأرضى إلى مستوى دلالاته الروحية السماوية . فإن كلمة الله الذى هو الله ذاته المالىُّ السماء والأرض ، الأزلىَّ الأبدى ، العزيز الجبار ، الخالق لكل شىء ، والقادر على كل شىء الذى لا يحدّه زمان ولا مكان ، قد شاءت حكمته ورحمته وقدرته أن يتنازل فيتخذ جسداً بشرياً ترائياً كأجساد البشر المخلوقة من التراب ، ويحلَّ بينهم كواحد منهم ، ليفديهم - كما قرَّر هو نفسه - ويكفِّر فى هذا الجسد الذى يشبه أجسادهم عن خطيئتهم التى ارتكبوها واستحقوا عنها لدى العدل الإلهى الهلاك والموت . ولما كانت ذبيحة التكفير عن الخطيئة ينبغى أن تكون طاهرة ، لم يعد أحد من البشر صالحاً لأن يكفِّر عن سائر البشر ، بعد أن نجسهم الخطيئة جميعاً ، ومن ثم ارتضى - له المجد - أن يقدم نفسه ، وهو الطاهر طهارة كاملة ، ذبيحة عنهم ، لا لأنه محتاج إليهم ، ولكن لأنه أحبهم وهم خليقته حب الأب لأبنائه ، والراعى لرعيته . وقد أراد أن يرحمهم من عاقبة الحكم الذى أصدرته عدالته عليهم ، لأنه كما أنه إله عادل عدالة مطلقة ، فهو كذلك إله رحيم رحمة مطلقة ، على مقتضى كماله الإلهى الذى لا تجور فيه صفة من صفات الكمال على صفة . وإنما تجتمع له تلك الصفات كلها متعادلة متكاملة .

وعلى هذه الصورة المذهلة المبهرة ، ولهذا الحكمة الإلهية السماوية اتخذ كلمة الله جسداً بشرياً وحلَّ بين البشر ليروا فيه الله الغير المنظور بأعينهم ،



ويعلموا كلمته بأذانهم ، وليخلصهم بموته في الجسد من لعنة الموت الذى استحقوه جزاء خطيئتهم . وعلى الرغم من أن سائر اليهود قد عميت أبصارهم وبصائرهم عن أن يدركوا حين رأوه - وقد اتخذ جسد إنسان فقير بسيط متواضع - أنه هو ابن الله وأنه هو كلمة الله . وأنه هو الله . فإن تلاميذه الذين التصقوا به ولازموه وخالطوه وسمعوا وصاياه ورأوا معجزاته ، عرفوا حقيقة الإلهية . ولذلك يشهد القديس يوحنا وهو أحد هؤلاء التلاميذ قائلا : « وقد أبصرنا مجده ، مجد الابن الوحيد لأبيه ، الممتلئ من النعمة والحق » . أى أنهم قد تكشف لهم مجد لاهوته وهو في جسد ناسوته ، وأدركوا أن هذا هو ابن الله الوحيد ، الذى تسمو بئوته عن أن تكون كبنوة سائر البشر لله ، على مقتضى القول بأن البشر جميعاً هم أبناء الله . لأن بئوته لله - كما سبق أن رأينا - إنما هي بئوة فريدة في طبيعتها ، لا يتمتع بها إلا هو وحده ، لأنه من جوهر الله ذاته . فهو ابن الله ، وهو الله في الوقت ذاته . ولذلك يصفه القديس يوحنا بأنه « الممتلئ من النعمة والحق » وهذه صفة لا تنطبق على أحد من البشر ، وإنما تنطبق على الله وحده ، الذى هو النعمة الخالصة ، والحق المطلق ، لأن ابن الله وكلمته حين اتخذ جسداً بشرياً ، شابه البشر في كل شيء ، إلا في صفة واحدة هي أنه ظلّ طاهراً طهارة كاملة ، صادقاً صادقاً مطلقاً ، ينطوى على النعمة في شخصه ويسبغها على المؤمنين به . ويتمثل الحق في شخصه ويقم عليه كل تعاليمه .

إن الكلمة الأزلى الذى كان منذ الأزل لدى الله ، وهو الله ذاته ، العقل الأعظم ، والحياة ذاتها ، وباعث الحياة في الوجود وفي كل الخلق ، لأن « فيه كانت الحياة » و « كان العالم به » ، بل « كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان » . وهو « النور الحقيقى » الذى أضاء على الجالسين في الظلمة .. هذا الكلمة الأزلى « اتخذ له جسداً » من طبيعة جسدنا . استر فيه ، وصار له

حجابًا ، حتى لا تحترق الأرض ومن عليها وما عليها بنزوله إليها وسكنه فيها  
وعليها ، « لأن إلهنا نار آكلة » ( العبرانيين ١٢ : ٢٩ ) ؛ ( الخروج ٢٤ :  
١٧ ) ؛ ( التثنية ٤ : ٢٤ ) ؛ ( ٩ : ٣ ) ؛ ( اشعيا ٢٩ : ٦ ) ؛ ( ٣٠ :  
٣٠ ) .

فلو ظهر المسيح ، الله الكلمة ، بكامل لاهوته ، ولو لم يحتجب في جسد ،  
فمن من الناس كان يمكنه أن يعيش ؟ لقد قال الله لموسى « لأن الإنسان لا يرانى  
ويعيش » ( الخروج ٣٣ : ٢٠ ) . وقال إشعيا النبي « مَنْ مَنَّا يسكن في نار  
آكلة ؟ . مَنْ مَنَّا يسكن في وقائد أبدية ؟ » ( إشعيا ٣٣ : ١٤ ) .

لقد « اتخذ الله جسداً » من قبل ، فظهر لآدم وحواء في الجنة « وسمعا صوت  
الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاخْتَبَأَ آدم وامرأته من وجه  
الرب الإله في وسط الجنة . فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت ؟ .  
فقال : إني سمعت صوتك في الجنة فخشيت ، لأني عريان ، فاخْتَبَأْتُ »  
( التكوين ٣ : ٨ - ١٠ ) .

و « اتخذ جسداً » فظهر ملكاً وكاهناً في صورة ملكى صادق ملك شاليم ( أى  
ملك السلام ) ، وبارك إبراهيم الخليل وقدم له إبراهيم العشور من كل شىء «  
( التكوين ١٤ : ١٨ - ٢٠ ) ؛ ( العبرانيين ٧ : ١ - ٢٥ ) .

و « اتخذ جسداً » وظهر ومعه ملاكان لإبراهيم أبى الآباء عند بلوطات ممراً  
وهو جالس في باب خيمته وقت حرّ النهار ، وبارك إبراهيم ، ووعدّه بإسحق  
ابناً واستشفع لديه إبراهيم في خلاص سدوم وعموره ( التكوين ١٨ :  
١ - ٢٣ ) .

و « اتخذ جسداً » وظهر ليشوع بن نون عند أريحا في هيئة رئيس جُنْد . ولمّا

سأله يشوع عن شخصيته قال له « اخلع نعليك من رجلك ، فإن الموضع الذى أنت قائم فيه هو مقدّس . فصنع يشوع كذلك . وسقط يشوع على وجهه على الأرض وسجد » ( يشوع ٥ : ١٣ - ١٥ ) ، وهى نفس العبارة التى قالها الرب لموسى النبي عندما ظهر له فى العليقة وقال له « اخلع نعليك من رجلك فإن الموضع الذى أنت قائم فيه أرض مقدسة » ( الخروج ٣ : ٥ ) .

و « اتخذ جسداً » وظهر لأشعيا النبي « جالساً على عرش عال ومرتفع ، وأذياله تملأ الهيكل . من فوقه السرافيم قائمون .. فقلت ويل لى . إني قد هلكت لأنى رجل دنس الشفتين .. وقد رأيت عيناي الملك رب الجنود » ( إشعيا ٦ : ٧ - ١ ) .

واتخذ جسداً وظهر للنبي حزقيال جالسا على العرش فى السماء « شبه عرش كمنظر العقيق الأزرق ، وعلى شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق » ( حزقيال ١ : ٢٦ ) .

و « اتخذ جسداً » وظهر لدانيال النبي على سحب السماء مثل ابن إنسان . وله سلطان ومجد وملكوت ، فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه ، وسلطانه سلطان أبدي لن يزول . وملكه لا ينقرض ( دانيال ٧ : ١٣ و ١٤ ) .

لكن الكلمة عندما اتخذ جسداً فى القديم قبل ميلاده من العذراء مريم ، لم يكن جسده من طبيعة جسدنا ، يحبل به فى البطن لمدة تسعة أشهر ( لوقا ٢ : ٦ و ٧ ) ، ثم يولد ( روما [ رومية ] ١ : ٣ ) ؛ ( غلاطية ٤ : ٤ ) . وينمو قليلاً قليلاً إلى قامة الإنسان الكامل ( لوقا ٢ : ٥٢ ) . إنما كان صورة يترأى بها لعين الإنسان ثم يخفى . قال الوحى الإلهى : « لما حان ميلء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ، مولوداً تحت الشريعة ليفتدى الذين تحت الشريعة ، لتنال التبتى » ( غلاطية ٤ : ٤ و ٥ ) .

والعبارة اليونانية المقابلة لقول الإنجيل « والكلمة اتخذ جسداً » هى

σάρξ, ἐγένετο تفيد حرفياً « صار له جسد » ، وأما العبارة  
 في اللغة العبرانية فهي « لبس جسداً » ... לָבַשׁ לְבָשׁוּ

وفي اللغة القبطية - δαρεν ουσαρεν أى أخذ أو اتخذ جسداً .

والمعنى أن « الكلمة » اتخذ له جسداً ... « عظيم هو سرّ التقوى . الله ظهر في  
 الجسد » ( ١ . تيموثيوس ٣ : ١٦ ) . ولكنه مازال هو الكلمة ، فهو لم يتغير  
 ولم يتحوّل ولم يفقد بالتجسّد طبيعته الإلهية .. « أنت الذى بغير تحوّل تجسّدتَ  
 وتأنّستَ وشابهتنا في كل شيء ما خلا الخطيئة وحدها » ( القديس الغريغورى -  
 صلاة الصلح ) .

وكما يقول القديس أثناسيوس الرسولى : « كان ولم يزل إلهاً » وهذا يوافق  
 قول الوحى الإلهى « المسيح بحسب الجسد الكائن على الكل الإله المبارك إلى  
 الأبد » ( روما [ رومية ] ٩ : ٥ ) .

اتخذ جسداً أى « جاء في الجسد » ( ١ . يوحنا ٤ : ٢ ) . ولم يكن هذا  
 الجسد مجرد صورة أو إطار ، لكنه جسد حقيقى له عظام ولحم ( لوقا ٢٤ :  
 ٣٩ ) . ولقد تكوّن من دم العذراء مريم . ولما لم يكن هناك زرع رجل ( متى ١ :  
 ١٨ ) ؛ ( لوقا ١ : ٣٤ ) ، فقد حلّ الروح القدس على العذراء مريم ( متى ١ :  
 ٢٠ ) ؛ ( لوقا ١ : ٣٥ ) . وصنع من دمها جسداً ... « هيأت لى جسداً »  
 ( العبرانيين ١٠ : ٥ ) . وبعد تهبّثه نزل الكلمة الإلهى واتحد به اتحاداً لا يُعبّر عنه  
 ولا يوصف ولا يُدرك . لكنه على قول الآباء والمجامع المقدّسة ، مسكونية  
 ومحليّة ، إتحاد كامل تام لا يقبل الانقسام أو الانفصال أو التقسيم أو التجزئة  
 أو المفارقة . ثم إنه اتحاد بغير اختلاط ، وبغير امتزاج أو تغيير . وعلى ذلك فليس  
 له في عالم الطبيعة المادية نظير . وإذا كان له شبيه مع الفارق الكبير فهو - على  
 قول البابا كيرلس الإسكندرى رئيس مجمع أفسس الأول عام ٤٣١ للميلاد -

شبيه باتحاد النار بالحديد : إذا ما وُضِعَ قضيب من حديد في النار لمدة طويلة فإنه يتوهج بالنار ويحرق ، ولكن دون أن يفقد الحديد أو النار بالاتحاد خصائصهما . فالحديد باق بصفاته من حيث هو كتلة صلبة لها شكلها وحجمها ووزنها . وكذلك النار باقية بخصائصها وهي التوهج والإحراق . وعلى قول البابا ديوسقوروس الإسكندري ، إنه شبيه باتحاد النار بالفحم ، فصار بفضل هذا الاتحاد جمرًا له خصائص الفحم من حيث الكتلة والوزن والحجم والصلابة . وله خصائص النار من حيث التوهج والإحراق .

هذا الاتحاد بين الكلمة وبين الجسد ، أى بين اللاهوت والناسوت ، اتحاد حقيقى لا يمكن فصله ، كمثل الحديد إذا اتحد بالنار لا يمكن الفصل بينهما ، وكمثل الفحم إذا اتحد بالنار لا يمكن الفصل بينهما . ولذلك فهو اتحاد حقيقى وليس من قبيل الجمع أو الضم وإنما صار الاثنان ( اللاهوت والناسوت ) كلاً واحداً ، أقنوماً واحداً ، وطبيعة واحدة جمعت بين خصائص اللاهوت وخصائص الناسوت معاً . وهذا هو بالضبط معنى عبارة القديس كيرلس عمود الإيمان التى تبنتها من بعده الكنيسة المسيحية شرقاً وغرباً : « طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد »

« وحل بيننا » وفي اللغة العبرانية « سَكَنَ بَيْنَنَا » **יְבִיטָנוּ** أى أن الحلول هنا ليس بالمعنى العادى لكلمة الحلول فى مفهومها العربى . فإن الحلول بمعناه الحرفى فى اللغة العربية يفيد « النزول فى المكان » . وحلول الكلمة بيننا لا بمعنى النزول فى المكان كأنه لم يكن فيه من قبل إذ أن الله بطبيعته حال فى كل مكان . ولا يخلو منه مكان . ولكن الحلول هنا هو بمعنى أنه صار للكلمة كيان منظور فى المكان على الأرض ، مع أنه كان له فيه من قبل كيان غير منظور . وحيث إن الله يوصف دائماً بالنسبة للإنسان أنه فى السماء وعرشه فى السماء ، وذلك على الرغم من أنه معروف أنه كائن فى السماء وعلى الأرض وكل مكان .

فإذا صار له على الأرض كيان منظور ، فقد نزل بالنسبة إلى الإنسان أو حلَّ في المكان .

وفي الترجمة القبطية نقراً « وحلَّ فينا »

أى أنه سَكَنَ ليس فقط في أرضنا وإنما سَكَنَ في طبيعتنا ، أى سَكَنَ في الجَسَدِ المطابع لجسدنا . وبذلك شاركنا في كل شيء .. « فإذا قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيها لكى يُبَيِّد بالموت ذلك الذى له سلطان الموت ، أى إبليس ، ويعتق أولئك الذين خوقاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية .. مِنْ ثَمَّ كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء .. حتى يكفّر خطايا الشعب » ( العبرانيين ٢ : ١٤ و ١٥ و ١٧ ) . وبهذا يكشف لنا الكتاب المقدس عن سبب آخر للتجسّد الإلهى . فليس الهدف من تجسّد الكلمة هو فقط التواجد مع البَشَرِ محبّة فيهم ورحمة بهم ومشاركة لهم في حياتهم ، وهو أقصى الحب واللفظ الإلهى . وإنما الهدف الآخر هو الفداء ، وخلص الإنسان . وذلك بأن يتخذ الإله له جسداً يحتمل فيه الحكم بالموت بدلاً من الإنسان . وبذلك يفدى الإنسان من العذاب الأبدى المحكوم به عليه لمخالفته للوصية . وفي هذا يتجلّى عدل الله كما تتجلّى فيه محبته . ففي الصليب تلتقى محبة الله وعدله .. « الرحمة والحق الثّقِيَا . البِرُّ والسلام ثلاثاً » ( المزمور ٨٤ : ١٠ ) .

يقول القديس أنثا سيوس الرسول : « إذا كان ( الكلمة ) مخلوقاً ، فما كان يمكن أن يتخذ الجسد المخلوق ليحييه إذ ما هو النفع الذى تحصل عليه الخلائق من مخلوق هو نفسه بحاجة إلى الخلاص ؟ .. ولكن لما كان ( الكلمة ) هو الخالق الذى خلق المخلوقات ، لذلك ففي ، آخر الدهور لَيْسَ ( الكلمة ) المخلوق ، حتى بوصفه الخالق يقدّس المخلوق ويشفيه . إذ أن المخلوق لا يمكن أن يخلّص المخلوق . كما أنه لا يمكن لمخلوق أن يخلق مخلوقات مالم يكن ( الكلمة ) هو

المخالق» ( الرسالة رقم ٦٠ للقديس أناسيوس الرسولى إلى الأسقف أدلفيوس  
فقرة ٧ ) .

وفي حلول « الكلمة » في طبيعتنا صرنا نحن فيه « شركاء الطبيعة الإلهية »  
( ٢ . بطرس ١ : ٤ )

« وقد أبصرنا مجده ، مجد الابن الوحيد لأبيه ، الممتلئ من النعمة  
والحق » .

ولعلّ القديس يوحنا كاتب هذه البشارة يشير إلى كثير من الأحداث التي ظهر  
بها مجد المسيح ، ومنها المعجزات التي أجراها السيد المسيح له المجد بسلطان لاهوته  
( يوحنا ٢ : ١١ ) . فقد كان يشفى المرضى ، ويظهر البُرصَ ، ويقمى الموتى  
( يوحنا ١١ : ٤٠ ) . ويُخرج الشياطين بلمسة منه أو بكلمة .. « لأن قوة كانت  
تخرج منه فتبرئهم جميعاً » ( لوقا ٦ : ١٩ ) ؛ ( ٨ : ٤٦ ) ؛ ( ٥ : ١٧ ) ؛  
( مرقس ٥ : ٣٠ ) - انظر ( إشعيا ٤٠ : ٥ ) .

ولعلّ القديس يوحنا يشير إلى شهادة الآب السماوى عنه في نهر الأردن . إذ  
« انفتحت السماء له . ونزل عليه الروح القدس في صورة جسم يشبه الحمامة .  
وجاء صوت من السماء يقول : أنت هو ابني حبيبى الذى به سررت » ( لوقا  
٣ : ٢٢ ) ؛ ( متى ٣ : ١٦ و ١٧ ) ؛ ( مرقس ١ : ١٠ و ١١ ) .

ولعلّه يشير بالأحرى إلى مجده الذى تجلى على جبل تابور حين تغيّرت هيئته  
متجلياً أمام ثلاثة من تلاميذه ، وكان من بينهم يوحنا نفسه ومعه بطرس  
ويعقوب . فأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالنور ، متألقة  
كالبرق ، ناصعة كالثلج حتى ليعجز أى قَصَّار على الأرض عن أن يجعلها في مثل

بياضها . وإذا رجلان وهما موسى وإيليا ، قد ظهرا له يخاطبانه .. وفيما هو يتكلم إذا سحابة من نور غمرتهم ، وإذا صوت من السحابة يقول : هذا هو ابني حبيبي الذي به سررت فله اسمعوا « (متى ١٧ : ١ - ٥) ؛ (مرقس ٩ : ١ - ٦) ؛ (لوقا ٩ : ٢٨ - ٣٥) .

ويبدو أن هذه الرؤيا كانت لا تزال في ذهنه عندما شرع القديس يوحنا يقول في مطلع رسالته الأولى عن سيده المسيح مخلصنا : « ذاك الذي كان من البدء . ذاك الذي سمعناه . ذاك الذي رأيناه بعيوننا . ذاك الذي شاهدناه ولمسته أيدينا ، من جهة كلمة الحياة . فإن الحياة أظهرت . وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا » (١ . يوحنا ١ : ١ - ٣) .

بل لقد كان في ذهنه ما هو أقوى مما رآه على جبل التجلي وهو مارآه في رؤياه العظيمة حين رأى مجد المسيح كما وصفه وبهر به ، إذ رآه في بهاء أعظم مما رآه على جبل التجلي . رأى وجهه يضيء كالشمس وهي تضيء في اشتدادها . وسيف ماض ذو حددين يخرج من فمه . ثم يقول : « فلما رأيت سقطت عند رجله كميته . فوضع يده اليمنى على رأسي قائلاً : لا تخف . أنا هو الأول والآخر ، والحي وقد مت وهانذا حي إلى أبد الأبدين آمين . ولي مفاتيح الهاوية والموت » (الرؤيا ١ : ١٠ - ١٨) .

أما بطرس الرسول ، فهو أيضاً لم ينس بهاء المسيح له المجد وعظمته التي تجلت على جبل تابور فأنشد يقول في رسالته : « لأننا لم نتبع خرافات مصنعة ، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه ، بل قد كنا معانين عظمته . لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً ، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى : هذا هو ابني حبيبي الذي به سررت . ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء : إذ كنا معه في الجبل المقدس » (٢ . بطرس ١ : ١٦ - ١٨) .



## « مجد الابن الوحيد لأبيه »

إن مجد المسيح ليس مجد نَبِيّ ، ولا مجد واحد ممَّن يصدق عليهم أنهم أبناء الله بالتبنيّ (يوحنا ١ : ١٢ و١٣) .

لكنه مجد « الابن الوحيد » الذى لا يشاركه أحد من البشر أو الملائكة فى هذا النوع من البِنوة . فهو الابن الوحيد الذى ليس له نظير :

وقد وَرَدَ وصف السيد المسيح أو « الكلمة » بوصفه « الابن الوحيد للآب » أو « ابن الله الوحيد » فى أكثر من موضع من الإنجيل . فإلى هذا الموضع يرد قوله مرة أخرى « الله لم يره أحد قط ، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه » (يوحنا ١ : ١٨) . وهنا يصفه بأنه « الذى فى حضن الآب » أى فى عُمق الآب . وفى ذات جوهره . حيث أن الآب ليس له حضن كما للإنسان حضن . فحُضن الآب هو ذاته ، وأعماقه . وجوهره .. فليس مولودًا منه على نحو الولادة فى عالم الإنسان . لكنه قائم فيه وكائن معه فى ذات الجوهر .

وجاء بعد ذلك قوله : « لأنه إلى هذا المدى أحبَّ الله العالم ، حتى إنه بذل ابنه الوحيد . لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية . لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم . وإنما ليخلِّص به العالم . فالذى يؤمن به لا يُدان . وأما الذى لا يؤمن فقد أُدين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد » (يوحنا ٣ : ١٦ - ١٨) .

وجاء فى رسالة القديس يوحنا الأولى قوله : « بهذا أظهرت محبة الله فىنا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحميا به » ( ١ . يوحنا ٤ : ٩) .

ويلاحظ أن الكلمة اليونانية المترجمة « الابن الوحيد » وهى

تفيد حرفياً « الابن الوحيد الجنس » أى الفريد فى نوعه وجنسه ، المتفرد وليس له نظير . ولعله لهذا السبب تميز السيد المسيح بشهادة الآب السماوى أنه « ابنى الحبيب » أو كما جاء فى الترجمة القبطية « ابنى حبيبي » ( متى ٣ : ١٧ ) ؛ ( ١٧ : ٥ ) ؛ ( مرقس ١ : ١١ ) ؛ ( ٩ : ٧ ) ؛ ( لوقا ٣ : ٢٢ ) ؛ ( ٩ : ٣٥ ) ؛ ( ٢٠ : ١٣ ) .

يقول القديس أنثا سيوس الرسولى إن ( الابن ) ؛ وهو فى طبيعته الإله الحق ، وهو ( الكلمة ) ، وهو حكمة ( الآب ) ، قد صار بمسرة ( الآب ) إنساناً فى الجسد من أجل خلاصنا جميعاً . ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية « ( العبرانيين ٢ : ١٥ ) فإنه ليس مجرد إنسان مَنْ بذل حياته من أجلنا . إذ أن كل إنسان هو تحت حكم الموت وفقاً لما قيل للجميع فى آدم : « إنك تراب وإلى التراب تعود » ( التكوين ٣ : ١٩ ) . وليس مخلوقاً ، فإن كل مخلوق قابل للتغير . لكن ( الكلمة ) بذل جسده عنا حتى لا تكون ثقنتنا ورجاؤنا فى إنسان ، وإنما لتكون ثقنتنا فى الله ( الكلمة ) ذاته ، حتى إنه إذ صار إنساناً « أبصرنا مجده ، مجد الابن الوحيد لأبيه . الممتلئ من النعمة والحق » ، لأن ما قبله ( الكلمة ) فى جسده قد مجده من حيث هو الله . إنه جاع فى الجسد ، لكنه كلاله أشبع الجياغ .. إنه كل إنسان سأل عن لعازر أين وضعوه . لكنه كلاله أقامه من بين الأموات . فلا يسخر أحد إذا دُعى ( الكلمة ) طفلاً ، وذُكر عن سنّه ونموّه وأكله وشربه وآلامه ، لثلاً إذا أنكر ما يخص الجسد أنكر أيضاً تماماً أنه أقام فيما بيننا . وكما أنه لم يصير بطبيعته إنساناً كذلك كان مقبولاً أنه إذ اتخذ جسداً كان يلزم أن يظهر ما يخص الجسد ، حتى لا يظن أحد ماظنه « ماني » أنه اتخذ جسداً خيالياً . كذلك كان من المناسب ، وقد اتخذ جسداً ، أن لا يخفى ما يخص لاهوته حتى لا يجد بولس الساموساطى ما يبرر ادعاءه عن الكلمة أنه إنسان متميز فى شخصه عن الله الكلمة « ( رسائل

القديس أثناسيوس - الرسالة ٦١ إلى مكسيموس فقرة (٣) .

وأما أنه « الممتلىء من النعمة والحق » فلأنه المُدخَّر فيه جميع كنوز النعمة ، إذ « فيه يحل كل ملء اللاهوت » (كولوسي ٢ : ٢ و٣ و٩ و١٠) وهو واهب كلِّ نعمة . ومنه تصدر كل نعمة « لأن فيه سرٌّ أن يحلَّ كل الملء » (كولوسي ١ : ١٩) . ولذلك قال الإنجيل عن الربِّ يسوع « فكان الجميع يشهدون له ، ويتعجبون من كلمات النعمة التي كانت تخرج من فمه » (لوقا ٤ : ٢٢) .

وقد تمَّ الخلاص من فيض نعمته .. « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي يسوع المسيح » (روما [ رومية ] ٣ : ٢٤) : ( تيطس ٣ : ٧ ) : ( روما [ رومية ] ٥ : ٢ و١٥ و٢٠ و٢١ ) : ( ١ : ٥ ) : ( ٦ : ١٤ ) : ( ١١ : ٥ و٦ ) ؛ ( غلاطية ٥ : ٤ ) ؛ ( أفسس ٢ : ٨ ) ؛ ( ٤ : ٧ ) ؛ ( ٢ كورنثوس ٨ : ٩ ) ؛ ( أفسس ١ : ٦ ) ؛ ( ٢ : ٧ ) ؛ ( ٢ تيموثيوس ١ : ٩ ) ؛ ( ٢ : ١ ) ؛ ( ١ بطرس ١ : ١٠ ) : ( ٥ : ١٠ ) .

وقد صارت نعمة الخلاص التي تُفَاضُ منه على المؤمنين دعاء وبركة يسألونها ويلتمسونها منه :

ففي رسائل الآباء الرُّسل ، نجدهم يستحدرون النعمة على كنيسة الله وعلى المؤمنين في مقدمة الرسالة وفي ختامها .

ففي مقدمة الرسالة يقول الرسول « نعمة لكم وسلام من الله أبينا وربنا يسوع المسيح » . ( روما [ رومية ] ١ : ٧ ) : ( ١ كورنثوس ١ : ٣ ) : ( ٢ كورنثوس ١ : ٢ ) ؛ ( غلاطية ١ : ٣ ) ؛ ( أفسس ١ : ٢ ) ؛ ( فيلبي ١ : ٢ ) ؛ ( كولوسي ١ : ٢ ) ؛ ( ١ تسالونيكي ١ : ١ ) ؛ ( ٢ تسالونيكي ١ : ٢ ) ؛ ( ١ تيموثيوس ١ : ٢ ) ؛ ( ٢ تيموثيوس ١ : ٢ ) ؛ ( تيطس ١ : ٢ ) ؛ ( ١ تيموثيوس ٢ : ٢ ) ؛ ( ٢ تيموثيوس ٢ : ٢ ) ؛ ( تيطس ٢ : ٢ ) .

١ : ٤) ؛ (فليمون: ٣) ؛ (٢ . يوحنا ٣) .

وفى ختام الرسالة : « نعمة ربنا يسوع المسيح معكم ، آمين » ( روما  
[ رومية ] ١٦ : ٢٠ و٢٤ ) .

وقد صيغت فى البركة الرسولية على النحو الآتى : « نعمة ربنا يسوع المسيح .  
ومحبة الله الآب ، وشركة الروح القدس مع جميعكم » ( ٢ . كورنثوس ١٣ :  
٤ ) . وصار العرش الإلهى ذاته يعرف بـ « عرش النعمة » ( العبرانيين  
٤ : ١٦ ) .

وأما أن السيد المسيح الكلمة هو الممتلئ من الحق ، فلأنه هو الحق ذاته .  
قال المسيح « أنا هو الطريق والحق والحياة » ( يوحنا ١٤ : ٦ ) . وجاء فى سفر  
الرؤيا « واكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى فيلادلفيا ، هذا يقوله القدوس الحق  
الذى له مفتاح داود ، الذى يفتح ولا أحد يغلق ، ويغلق ولا أحد يفتح »  
( الرؤيا ٣ : ٧ ) ؛ ( ٦ : ١٠ )

ومن ثم فمن يتبعه « يحيا فى الحق » و« يعرف الحق » . جاء فى رسالة القديس يوحنا  
الأولى : « ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة . لنعرف الحق ، ونحن فى  
الحق فى ابنه يسوع المسيح . هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية » ( ١ . يوحنا  
٥ : ٢٠ ) . قال المسيح له المجد « إن ظلمتم متمسكين بكلامى فبالحقيقة تكونون  
تلاميذى وتعرفون الحق ، والحق يحرككم » ( يوحنا ٨ : ٣١ و٣٢ )

ولأنه هو الحق . فهو « يعلن الحق » ( متى ١٢ : ١٨ ) . « ويعلم بالحق »  
( متى ٢٢ : ١٦ ) ؛ ( مرقس ١٢ : ١٤ ) ؛ ( لوقا ٢٠ : ٢١ ) . « ويدين  
بالحق » ( يوحنا ٨ : ١٦ ) .

وبعد أن تحدث القديس يوحنا عن طبيعة السيد المسيح باعتباره ابن الله وكلمته ، وأدلى بشهادة تلاميذه عنه بعد أن أبصروا مجده ، سجّل الشهادة عنه التي أدلى بها يوحنا المعمدان الذي سبق تلاميذه في التبشير به قائلاً :

« وقد شهد يوحنا له ونادى قائلاً : هذا هو الذي قلت عنه إنّ الذي يأتي بعدي قد تقدّمني ، لأنه كان قبلي » .

وكان يوحنا المعمدان يقول قبل أن يبدأ مخلصنا أداء رسالته ويظهر نفسه للناس ، إن المسيح الذي كان اليهود ينتظرون مجيئه قد جاء فعلاً إلى العالم ، وإن وقت ظهوره قد اقترب ، وإنه إن كان يظهر بعده من حيث الزمن فإنه يتقدمه من حيث المكانة ، لأنه هو مجرد رسول يقتصر دوره على أن يتقدّم أمام المسيح ليمهّد له الطريق بين الناس ، كما يمهّد الخادم الطريق أمام الملك . وأما المسيح فهو سيّد ذلك الرسول وهو إله . وهو إن كان قد جاء بعد يوحنا ، فإنه كان كائناً قبله ، لأن يوحنا إنسان بدأ وجوده بالولادة ، وأما السيد المسيح فهو الإله الأزلي الأبدى الذي لا بداية لوجوده ولا نهاية . ولأن مجد يوحنا كرسول ومجد جميع الصالحين من الناس إنما يستمدونه من مجد السيد المسيح الذي له المجد الكامل . حتى إذا أظهر السيد المسيح نفسه للناس ورآه يوحنا المعمدان نادى قائلاً : « هذا هو الذي شهدت له من قبل » ، وكان يعنيه بما سبق أن قاله لليهود .

لقد أعلن يوحنا المعمدان منادياً لتلاميذه ولليهود عن سيّده المسيح أن الذي أتى بعده في الزمن ، وهو المسيح ، من حيث أن يوحنا قد وُلد سابقاً على زمن ولادة المسيح يسوع بستة أشهر (لوقا ١ : ٢١) ، يتقدمه في المكانة والمنزلة

والأهمية . وذلك لأنه هو الأزل . أما يوحنا فهو زمني . فالمسيح لم يكن ميلاده غير تجسده في صورة إنسان . ولكنه قبل أن يتجسد من العذراء مريم كان كائناً قبل يوحنا المعمدان ، بل قبل إبراهيم الخليل ، فلقد قال « الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم ، أنا كائن » ( يوحنا ٨ : ٥٨ ) . بل إنه « قبل كل شيء » ( كولوسي ١ : ١٧ ) . « متقدماً في كل شيء » ( كولوسي ١ : ١٨ ) ؛ ( يوحنا ١ : ٢٧ و ٢٢ ) ؛ ( ٣ : ٢٨ - ٣٦ ) ؛ ( ٥ : ٣٣ ) ؛ ( متى ٣ : ١١ ) ؛ ( مرقس ١ : ٧ ) ؛ ( لوقا ٣ : ١٦ ) .

### ١ : ١٦ و ١٧

وإذ سبق للقديس يوحنا البشير أن قال عن السيد المسيح إنه ممتلئ من النعمة والحق ، عاد فقال إننا « من ملئنا جميعنا أخذنا ، ونعمة أخذنا بدلاً من نعمة » أى أنه إن كان التلاميذ وسائر المؤمنين يتمتعون ببعض النعمة ، أو يتصفون بجانب من الحق . فإن مصدر تلك النعمة ومنبع ذلك الحق هو السيد المسيح الممتلئ من كليهما ، ومن ملئنا أخذ كل الذين تمتعوا ببعض النعمة أو اتصفوا بجانب من الحق . إذ يقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل أفسس إن السيد المسيح قد امتلأ لكي « يملأ الكل في الكل » ( أفسس ١ : ٢٣ ) . ويحدّد القديس يوحنا معنى هذه النعمة التي أخذناها من فادينا ، فيقول إنها « نعمة أخذنا بدلاً من نعمة . لأن الشريعة بموسى أعطيت ، وأما النعمة والحق في يسوع المسيح كانا » . أى أنها نعمة العهد الجديد التي أعطانا إياها له المجد بدلاً من نعمة العهد القديم . إذ أن العهد الجديد ينطوي على النعمة الحقيقية التي تتمثل في سيدنا يسوع المسيح وحده ، والتي لم تكن نعمة العهد القديم التي جاء بها موسى النبي إلا رمزاً لها ، ومجرد وعدٍ بها وتطلّع إليها . ففي السيد المسيح وهو

الإله المتجسّد تجسّدت النعمة كما تجسد الحق الذي لا يمكن إدراكه إلا بفعل النعمة . والمقصود بالحق هنا هو الله نفسه ، لأنه هو الحق في جوهره ، وهو مصدر الحق في جميع صورته ، وبمختلف دلالاته . فإن كان موسى قد تنبأ بمجيء الله في صورة الإنسان كى يسبغ نعمته على بنى الإنسان . فلم تكن نبوءته تلك تنطوى إلا على أمل سيتحقق في المستقبل البعيد ، ومن ثم يقتصر الأثر الذي يتركه في النفس على ما يثيره الأمل من سعادة مجدّدة غامضة تخامر النفس فلا تغدو تلك السعادة كاملة وسافرة وغامرة إلاّ بأن يتحقق ذلك الأمل ويغدو حقيقة ملموسة وحقاً منظوراً . **وَمِنْ ثَمَّ** يغدو نعمة حقيقية تفيض على النفس فتملؤها بالبهجة وتغمرها بالاطمئنان والأمان والإيمان ، وهذا هو الذي حدث حين تجسّد ابن الله ، وخاطب الناس بأقوال الله ، وكشف لهم النقاب عن طبيعته ، فتحقق بذلك الأمل الذي تنطوى عليه نبوءة موسى ، والذي ترمز إليه كل طقوس شريعته .. وإذ لم يكن في مقدور الناس أن يروا الله أو يدركوا شيئاً عن حقيقته ، كان من نعمة الله عليهم أن يرسل إليهم ابنه وكلمته ليخبرهم بما كانوا عاجزين عن أن يروه أو يدركوه . وما كان في استطاعة أحد أن يفعل ذلك غيره . لأنه كائن منذ الأزل في حضنه ، وطبيعته هي من ذات طبيعته . فهو في وحدة كاملة معه ، وهو القادر وحده على أن يعرف كنهه ويدرك حقيقته ويخبر البشر بهذا الذي يعرفه كل المعرفة ويدركه كل الإدراك عن أيه السماوى الذى هو واحد معه . ومن ثم يقول القديس يوحنا في بشارته إن « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه » .

إن السيد المسيح هو الكل فى الكل .. « هو الأليف والياء ، البداية والنهاية ، الأوّل والآخِر » ( الرؤيا ٢٢ : ١٣ ) . « الذى هو قبل كل شىء ، وفيه يقوم الكل .. هو البداية .. لأنه فيه سرُّ أن يحلَّ كل الملئ » ( كولوسى ١ :

١٧ - ١٩) ، « فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » (كولوسي ٢ : ٩) .  
 فهو مصدر النعم والبركات ولذلك فإن كُلَّ بَشَرٍ لديه نعمة أو بركة ، ليست هي  
 من عنده ، وإنما هي من عند الله الكلمة ، فمنه أخذ جميع الأنبياء والرسل وكُلُّ  
 الخلق (يوحنا ١٠ : ٨) . فالأنبياء والرسل من بحر نعمته اغترفوا وأعطوا .  
 لا من عندهم أعطوا . وكما قال يوحنا المعمدان « إن الذي يأتي من فوق هو فوق  
 الجميع » (يوحنا ٣ : ٣١) .

لقد كان هو مانح العهد القديم بكل شرائعه وطقوسه ورموزه وبكل  
 امتيازاته . فَلَمَّا تجسّد الله الكلمة جاء لنا بخيرات أعظم ، وبركات أوفر ، بحيث  
 لم تكن كل امتيازات العهد القديم غير ظل لتلك الامتيازات والبركات التي أتانا  
 بها المسيح في العهد الجديد (البرانيين ٩ : ١١) ؛ (١٠ : ١) .  
 هو سيّد العهدين ، لكنه أعطانا نعمة العهد الجديد بدلاً من نعمة العهد  
 القديم « لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب ، الذي فيه لنا الفداء بدمه  
 غفران الخطايا حسب غِنَى نعمته التي أجزها لنا بكل حكمة وفضة ، إذ عَرَفْنَا بِسِرِّ  
 مشيئته حسب مَسْرَتِهِ التي قصدتها في نفسه لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كُلَّ شَيْءٍ  
 في المسيح ، ما في السّموات وما على الأرض » (أفسس ١ : ٦ - ١٠) .

« لأن الشريعة بموسى أعطيت . وأما النعمة والحق ، فبیسوع المسيح كانا » .

فشريعة العهد القديم التي أنعم الله بها على البشرية نزلت على يد موسى النبي  
 الكلم . وقد سُمِّيَتْ « شريعة موسى » لأن موسى هو الذي تلقاها من الله ،  
 وأبلغها إلى بني إسرائيل (١ الملوك ٢ : ٣) ؛ (نحميا ٨ : ١) ؛ (دانيال  
 ٩ : ١١) ؛ (ملاخي ٤ : ٤) ؛ (لوقا ٢ : ٢٢) ؛ (يوحنا ٧ :  
 ١٩ و٢٣) ؛ (٨ : ٥) ؛ (الأعمال ١٣ : ٣٩) ؛ (١٥ : ٥) ؛ (البرانيين  
 ١٠ : ٢٨) .



قال الكتاب المقدس « وهذه هي الشريعة التي وضعها موسى أمام بني إسرائيل . هذه هي الشهادات والفرائض والأحكام التي كَلَّمَ بها موسى بني إسرائيل .. » (الثنية ٤ : ٤٤ و٤٥) .. « ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم : اسمع يا إسرائيل الفرائض والأحكام التي أتكلَّم بها في مسامعكم اليوم ، وتعلّموها واحترزوا لتعملوها » (الثنية ٥ : ١) ؛ انظر أيضا الثنية (٣٣ : ٤) .

وأما قول القديس يوحنا « وأما النعمة والحق فيسوع المسيح كانا » فليس معناه أن لا شريعة في المسيحية ، إذ الواقع أن شريعة موسى مازال لها احترامها في العهد الجديد ، لأن الشريعة هي شريعة الله ، والله لا يتناقض ولا يتعارض مع ذاته . وقد طالب السيد المسيح كثيرا بالعمل حسب شريعة موسى ولم ينقضها ولم يهدمها .

قال السيد المسيح له المجد : « لا تظنوا أني جئت لأنقض الشريعة أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأتمم . فالحق أقول لكم إنه إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة حتى يتم كل شيء . » (متى ٥ : ١٧ و١٨) . وقال للرجل الأبرص بعد أن شفاه « اذهب إلى الكاهن أره نفسك ، وقدم عن تطهيرك القربان الذي أمر به موسى » (مرقس ١ : ٤٤) ؛ (لوقا ٥ : ١٤) ؛ (متى ٨ : ٤) - انظر أيضا (متى ٧ : ١٢) ؛ (٢٢ : ٣٥ - ٤٠) ؛ (٢٣ : ٢٣) ؛ (لوقا ١٠ : ٢٦) - (٢٨ : ١٦) ؛ (١٧ : ١٦) .

وقال القديس بولس الرسول : « هكذا أعبد إله آبائي مؤمنا بكل ما هو مكتوب في الشريعة والأنبياء » (الأعمال ٢٤ : ١٤) .

يبد أن المفهوم من قول الإنجيل للقديس يوحنا « أما النعمة والحق فيسوع

المسيح كانا ، هو لَقْتُ النظر إلى فضل السيد المسيح في نزوله من السماء ، ليسترك مع البشرية في آلامها ومعاناتها . ثم لكي يُقدِّم ذاته فدية عن الإنسان لخلاص الإنسان . وهذا هو كمال الحب ، وقمة عمل النعمة . فإذا كان موسى قد أتى البشرية بشريعة إلهية عظيمة ، فإن السيد المسيح أتى بنفسه لیتمم الشريعة التي عجز الإنسان عن طاعتها وتنفيذ متطلباتها . وقَبِلَ على نفسه أن ينوب عن الإنسان ليفتدي الإنسان . فأخذ وهو الإله ، صورة الإنسان . فكان هو آدم الثاني ، الذي قَبِلَ في إنسانيته الحكم المقضى به على آدم الأول وذريته .

قال الكتاب المقدس في العهد الجديد : « وأما الآن فقد ظهر بَرَّ الله بدون الشريعة ، مشهودًا له من الشريعة والأنبياء ، بَرَّ الله بالإيمان يسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون ، لأنه لا فرق ، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله ، متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذي يسوع المسيح الذي قدَّمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بَرِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله . ( روما [ رومية ] ٣ : ٢١ - ٢٥ ) . » لأنه إن كان بخطيئة الواحد قد ملك الموت بالواحد ، فبالأولى كثيرًا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البرِّ سيملكون في الحياة بالواحد ، يسوع المسيح . فإذن كما بخطيئة واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة ، هكذا ببرِّ واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة ، لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعِلَ الكثيرون خطاة ، هكذا أيضًا بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبرارًا . وأما الشريعة فدخلت لكي تكثر الخطيئة . ولكن حيث كثرت الخطيئة ازدادت النعمة جدًّا . حتى كما ملكت الخطيئة في الموت هكذا تملك النعمة بالبرِّ للحياة الأبدية يسوع المسيح ربنا » ( روما [ رومية ] ٥ : ١٧ - ٢١ ) « فإنَّ الخطيئة لن تسودكم لأنكم لستم تحت الشريعة بل تحت النعمة » ( روما [ رومية ] ٦ : ١٤ ) .

إِنَّ عَمَلِ النِّعْمَةِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ هُوَ أَوَّلًا فِي نَجْسِدِ الْكَلِمَةِ الْإِلَهِيِّ ، وَثَانِيًا فِي قِيَامِهِ بِعَمَلِ الْفِدَاءِ وَالْخَلَاصِ بَدَلًا مِنَ الْإِنْسَانِ مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ .

وَأَمَّا أَنْ الْحَقَّ كَانَ بِالْمَسِيحِ ، فَلَأَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي أَعْلَنَ ذَاتَهُ . لَقَدْ قَالَ سَقْرَاطُ : لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ إِلَّا إِذَا أَظْهَرَ رَبَّ الْحَقِّ وَأَعْلَنَ ذَاتَهُ لِلبَشَرِ . وَالْمَسِيحُ أَعْلَنَ أَنَّهُ الْحَقُّ بِقَوْلِهِ « أَنَا هُوَ الْحَقُّ » ( يوحنا ١٤ : ٦ ) . وَ « الْقُدُوسُ الْحَقُّ » ( الرُّؤْيَا ٢ : ٧ ) ؛ ( ٦ : ١٠ ) . لَقَدْ عَرَّفَ الْحُكَمَاءُ وَالْفَلَسَفَةُ بَعْضَ الْحَقِّ ، أَمَّا فِي الْمَسِيحِ وَبِالْمَسِيحِ فَقَدْ عَرَّفْنَا الْحَقَّ الْكَامِلَ ، إِذْ هُوَ الْحَقُّ الْمَطْلُوقُ . وَهُوَ الْحَقُّ لِأَنَّهُ صَادِقٌ « يَقُولُ الْحَقُّ » ( يوحنا ٨ : ٤٥ و٤٦ ) وَلَا يَبَالِي بِأَحَدٍ وَلَا يَحَابِي وَجْهَ إِنْسَانٍ ( مَتَّى ٢٢ : ١٦ ) . وَ « يَعْزِزُ الْحَقُّ » ( مَتَّى ١٢ : ١٨ ) وَ « يُعَلِّمُ بِالْحَقِّ » ( مَرْقَسُ ١٢ : ١٤ ) . وَ « يَشْهَدُ لِلْحَقِّ » ( يوحنا ١٨ : ٣٧ ) .

وَبِالْمَسِيحِ كَانَ الْحَقُّ ، إِذْ هُوَ الْفَادِي الَّذِي بَدَمَهُ كَانَ الْوَفَاءَ لِلْحَقِّ الْإِلَهِيِّ كَامِلًا .. « وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ دِينُونَةَ اللَّهِ هِيَ حَسَبُ الْحَقِّ » ( رُومَا [ رُومِيَّة ] ٢ : ٢٠ و٢١ ) . وَقَدْ التَقَّتْ فِي الصَّلِيبِ النِّعْمَةُ مَعَ الْحَقِّ . فَلَوْلَا مَحَبَّةُ اللَّهِ لَخَلَّصَ الْإِنْسَانَ مَا كَانَ نَزُولُهُ إِلَى الْأَرْضِ وَقَبُولُهُ الْآلَامِ بَدَلًا مِنَ الْإِنْسَانِ . وَلَوْلَا الْحَقُّ لَمَّا كَانَ الصَّلِيبُ ضَرُورَةً لِفِدَاءِ الْإِنْسَانِ . فَقَبِيَ صَّلِيبَ الْمَسِيحِ إِذْ نَ التَقَّتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ الَّتِي لَا حُدُودَ لَهَا بِعَدْلِهِ الَّذِي لَا حُدُودَ لَهُ .. « الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ التَّقِيَا » ( الْمَزْمُورُ ٨٤ : ١٠ ) . وَلَوْلَا الصَّلِيبُ لَمَّا تَحَرَّرَ الْإِنْسَانُ أَوْ انْعَقَ مِنَ الْحُكْمِ عَلَيْهِ .. « الْحَقُّ يَجْرِّمُكُمْ » ( يوحنا ٨ : ٣٢ ) . يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ « وَإِذْ كُنْتُمْ أُمُوتَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغُلْفَ جَسَدِكُمْ أَحْيَاكُمْ مَعَهُ مَسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا ، إِذْ مَحَا الصِّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفِرَاطِضِ . الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا ، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسْطِ مُسْمَرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ » ( كُولُوسِي ٢ : ١٣ و١٤ ) .

« الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخطر

عنه » .

الله لم يره أحد قط . إن الله من حيث طبيعته فى ذاته غير منظور للناس . وهو لا يقع تحت الحواس . وهو غير ملموس . ولقد قال الله لموسى عندما رغب موسى فى أن يراه قائلاً : أرنى مجدك .. قال : « لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الإنسان لا يوافق ويعيش » ( الخروج ٣٣ : ١٨ - ٢٠ و ٢٣ ) . وقال عنه موسى النبي لبني اسرائيل : « لم تروا صورة بل صوتاً .. لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب فى حوريب من وسط النار » ( التثنية ٤ : ١٢ و ١٥ ) .

وقال المسيح له المجد « لا أحد قد رأى الآب إلا الذى هو من الله ، فهذا هو الذى قد رأى الآب » ( يوحنا ٦ : ٤٦ ) . والمعنى واضح أن بشراً مالم يستطع أن يرى الله ، ولا يقدر أن يراه . إنما الوحيد الذى رأى الله هو المسيح . ذلك لأنه من حيث لاهوته هو من طبيعة الله الآب ومن جوهره . فهو الذى رأى الآب لأنه كائن معه وفيه . وهو فى الآب والآب فيه ( يوحنا ١٤ : ١٠ و ١١ و ٢٠ ) ؛ ( ١٧ : ٢١ و ٢٣ ) . على أن رؤية الابن للآب ليست من قبيل تلك الرؤية الحسية لأنه كائن معه وفيه . وهو فى الآب والآب فيه ( يوحنا ١٤ : ١٠ و ١١ و ٢٠ ) ؛ ( ١٧ : ٢١ و ٢٣ ) . على أن رؤية الابن للآب ليست من قبيل تلك الرؤية الحسية المادية ، وإنما هى الرؤية الروحية الباطنية التى لا يُعبر عنها ولا توصف . إنها رؤية عيانية من غير واسطة ، مباشرة لأنها فى الجوهر الإلهى والطبيعة الإلهية ( يوحنا ٣ : ١١ و ٣٢ ) ؛ ( ٨ : ٣٨ ) .

وقال الرسول القديس بولس : « وملك الدهور الذى لا يفنى ولا يُرى ، الإله الحكيم وحده » ( ١ . تيموثيوس ١ : ١٧ ) . « الذى وحده له عدم الموت ، ساكنًا فى نور لا يُدنى منه ، الذى لم يره أحد من الناس . ولا يقدر أن يراه » ( ١ . تيموثيوس ٦ : ١٦ ) . وقال الرسول القديس يوحنا « الله لم ينظره أحد قط » ( ١ . يوحنا ٤ : ١٢ و ٢٠ ) - وانظر (أيوب ٩ : ١١) و (٢٢ : ١٤) ؛ (١٤ : ٢٣) ؛ (٩ : ٣٤) ؛ (٢٩ : ٣٥) ؛ (١٤ : ١٤) ؛ (العبرانيين ١١ : ٢٧) ؛ (١ . بطرس ١ : ٨) .

### الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه .

ومع أن الله لم يره أحد قط ولا يقدر أن يراه ، لكنه شاء لكى يجعل ذاته منظورًا أن يحتجب فى جسد (يوحنا ١ : ١٤) . وهذا هو « الله الذى ظهر فى الجسد » ( ١ . تيموثيوس ٣ : ١٦ ) . هو الابن الوحيد (يوحنا ١ : ١٤) ؛ (٣ : ١٦ - ١٨) ؛ (١ . يوحنا ٤ : ٩) . لأنه ليس له نظير فى هذه البنية . وليست هذه البنية من نوع الولادة كما هى فى عالم الإنسان . لكنها للدلالة على أن المسيح من حيث لاهوته هو من طبيعة الله ومن جوهره ، ولأنه ظهر فى الجسد .

وهو فى حضن الآب ، بمعنى أنه فى ذات الآب ، وفى عين جَوْهَرِهِ ، لأن الله ليس له حضن كما للإنسان حضن ، وإنما حِضْنُهُ هو ذاته ، وأعماقه وصميم جوهره ، فقد قال « صدقونى أنى فى أبى وأن أبى فىى » (يوحنا ١٤ : ١٠ و ١١ و ٢٠) ؛ (١٧ : ٢١ و ٢٣) . وقد أخبر عنه بمعنى أن المسيح هو الذى أخبرنا عن الآب ، ومن غيره لا نعرف شيئًا عن الآب . فهو وحده الذى يعرف الآب المعرفة الحقيقية الكاملة المباشرة من غير واسطة ، ذلك لأنه منه وكائن فيه . وقد قال المسيح له المجد « ولا أحد يعرف من هو الابن إلا الآب ، ولا أحد

يعرف من هو الآب إلا الابن » ( لوقا ١٠ : ٢٢ ) ؛ ( متى ١١ : ٢٧ ) . وقال أيضاً لليهود عن الآب « وأنتم لا تعرفونه . أما أنا فأعرفه لأني منه » ( يوحنا ٧ : ٢٩ ) . وقال كذلك لليهود « أبى هو الذى يجدنى . ذلك الذى تقولون أنتم إنه إلهنا ، وأنتم لا تعرفونه . أما أنا فأعرفه . وإن قلت إننى لا أعرفه أكون مثلكم كاذباً ، ولكنى أعرفه » ( يوحنا ٨ : ٥٤ و ٥٥ ) . وقال ملحقاً على نفس المعنى : « إن أبى يعرفنى ، وأنا أعرف الآب » ( يوحنا ١٠ : ١٥ ) . وعندما سأله تلميذه فيلبس أحد الاثني عشر قائلاً : « يارب أرنا الآب وكفانا . قال له يسوع : « أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يا فيلبس ؟ من رآنى فقد رأى الآب . فكيف تقول أنت أرنا الآب ؟ ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأن أبى فىّ .. صدقونى أتى فى أبى ، وأن أبى فىّ » ( يوحنا ١٤ : ٨ - ١١ ) . والمعنى والمغزى من هذا الحوار أن المسيح له المجد يؤكد على هذه الحقيقة : أن الله الآب لم يره أحد قط . ولكن لما شاء الله أن يجعل ذاته منظوراً لبس صورة إنسان ، وفيه عرفنا الله الآب الذى ما كنا نعرفه على حقيقته لولم يتجسد . فالمسيح هو الذى أعلن لنا عن الله الآب الغير المنظور . وهو الذى أخبرنا عنه ، فهو صورة الله الغير المنظور » ( كولوسى ١ : ١٥ ) .

١٩ - ٢٨

وقد سبق للقديس يوحنا البشير أن تكلم فى بداية هذا الفصل عن يوحنا المعمدان ، قائلاً إنه رجل مُرسَل من الله ليشهد للنور الذى هو السيد المسيح . ثم أورد ملخص شهادته عنه حين رآه ، إذ أشار إليه وهتف قائلاً إن هذا هو المسيح ابن الله الذى ينتظره اليهود ، والذى تنبأ هو من قبل بأنه قد اقترب موعد ظهوره . وأنه إن كان يظهر بعده فإنه سيتقدمه ، لأنه كان موجوداً قبله ، مشيراً بذلك إلى أزليته ، ومن ثم إلى ألوهيته ، حيث أن الأزلى هو الله وحده . ثم لم

يلبث القديس يوحنا بعد أن أشار في إيجاز إلى هذه الشهادة التي أدلى بها يوحنا المعمدان أن عاد ليتكلم عنها بشيء من التفصيل . ( انظر يوحنا ٣ : ٢٥ - ٣٦ ) ؛ ( ٥ : ٣٣ ) . إذ كان اليهود بسبب لهفتهم إلى ظهور المسيح الذي تنبأ بمجيئه كل أنبيائهم ليخلصهم مما كانوا فيه من مذلة وهوان ، قد اعتقدوا أنه هو يوحنا المعمدان الذي رأوا في سيرته النقية وطهارته وتقواه وسمو تعاليمه سياتٍ وصفاتٍ من أنبيائهم الأقدمين الذين كان قد انقطع ظهورهم منذ مئات السنين . ومن ثم أرسلوا إليه من أورشليم عاصمة بلادهم وأقدس مدنهم قوماً من علمائهم الدينيين العارفين بأسرار الشريعة ونبوءات الأنبياء ، وهم الكهنة واللاويون ( يشوع ٣ : ٣ ) أصحاب السلطة في الهيكل وأقدر الناس على المناقشة في أصول الدين ، والوصول إلى الحقيقة في أمر ذلك الذي قام يُعَلِّم الناس ويعمدهم ويجمع حوله عددًا عظيمًا من التلاميذ والمريدين .

ومن ثم جاء هؤلاء المتكبرون المغرورون إلى يوحنا تقودهم الغيرة منه والرغبة في هدم إيمان الشعب اليهودي به ، فسألوه قائلين : « من أنت ؟ » . وإذ كان يعلم أنهم يريدون أن يعرفوا منه إن كان هو حقًا المسيح الآتي إلى العالم كما كان سائر اليهود يظنون ( لوقا ٣ : ١٥ ) ، اعترف على الفور في تواضع ولم ينكر الحقيقة ، وإنما أقر قائلًا « لست أنا المسيح » ( انظر يوحنا ٣ : ٢٨ ) ؛ ( الأعمال ١٣ : ٢٥ ) .

وقد كانوا يعرفون من نبوءات أنبيائهم أن ثمة نبيًا سيبعث به المسيح قبل أن يظهر نفسه للناس كى يبسط الطريق له بينهم ، بأن يعلن لهم مجيئه ويدعوهم إلى الإيمان به ، إذ قال إشعياء النبي عن هذا النبي إنه « صوت صارخ في البرية ، أعدوا طريق الرب ، قوموا في القفر سبيلًا لإلهنا . كل وطاء يرتفع ، وكل جبل وأكمة ينخفض ، ويصير المعوج مستقيمًا ، والعراقيم سهلًا ، فيعلن مجد الرب

ويراه كل بشر» (إشعياء ٤٠ : ٣-٥) ؛ (متى ٣ : ٣) ؛ (مرقس ١ : ٢ و٣) ؛ (لوقا ٣ : ٤-٦) . كما كان علماء اليهود يعرفون من نبوءات أنبيائهم كذلك أن إيليا النبي الذى صعد بالجسد إلى السماء فى مركبة نارية (٢ . الملوك ٢ : ١١ و١٢) ، سيعود ثانية إلى العالم ليكون هو ذلك النبي الذى يجيء قبل المسيح ليهيئ الطريق له ، إذ تنبأ ملاخى النبي قائلاً بلسان المسيح : «هأنذا أرسل ملاكى فيهيئ الطريق أمامى» (ملاخى ٣ : ١) كما تنبأ قائلاً : «هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيئ يوم الرب ، اليوم العظيم المخوف ، فيرد قلب الآباء إلى الأبناء ، وقلب الأبناء إلى آباءهم» (ملاخى ٤ : ٥ و٦) . وإذا كانوا قد لمسوا أوجه الشبه العظيم بين صفات إيليا وأسلوب حياته (٢ الملوك ١ : ٨) ، وصفات يوحنا وأسلوب حياته (متى ٣ : ٤) ؛ (مرقس ١ : ٦) ؛ (لوقا ١ : ١٧) ، ظنوا أنه هو نفسه إيليا قد نزل من السماء ، ومن ثم سألوه قائلين : «ماذا إذن ؟ أنت إيلياً ؟» .. وقد كان يوحنا المعمدان يعرف أنه هو صوت الصارخ فى البرية ليعلن مجيئ الرب على مقتضى نبوءة إشعياء النبي . كما كان يعرف أنه هو الملاك الذى تنبأ ملاخى النبي بأن المسيح سيرسله ليهيئ الطريق أمامه ، وأنه هو الذى رمز إليه ملاخى فى نبوءته بإيليا النبي الذى سيجيئ قبل مجيئ يوم الرب . ولكن يوحنا المعمدان كان يدرك فى نفس الوقت أن الذى سيجيئ ليهيئ الطريق أمام المسيح ليس إيلياً نفسه كما كان اليهود يعتقدون ، وإنما نبي آخر يجيئ مشابهاً له فى سيرته ورسالته ، وفى روحه وقوته . وذلك هو الإدراك السليم الذى أيده الملاك الذى بشر زكرياً الكاهن بأن زوجته أليصابات ستحبل فى شيخوختها وتلد ابناً هو يوحنا المعمدان ، إذ قال له «لا تحفَ يا زكريا فإن دعاءك قد استجيب ، وزوجتك أليصابات ستحبل وتلد ابناً قسميه يوحنا وتفرح وتبهج ، كما يفرح كثيرون بميلاده ، لأنه سيكون عظيماً أمام الرب ، وخمراً أو مسكراً لا يشرب ، ومنذ يكون فى بطن أمه سيكون ممثلاً من روح



القدس ، وسيرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم ، ويتقدّم أمام الرب بروح إيلياً وقوته ، ليردّ قلوب الآباء إلى أبنائهم ، والعصاة إلى فكر الأبرار ، كى يهيبى للرب شعباً صالحاً » (لوقا ١ : ١٣ - ١٧) . بل إن السيد المسيح نفسه قد آيد ذلك الإدراك السليم لمعنى نبوءة ملاخى النبي ، إذ أن القديس متى بعد أن تحدث في بشارته عن معجزة تجلّي السيد المسيح على الجبل ، قال إن تلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنا حين رأوا تجلّيه في هيئته الإلهية تأكدوا أنه هو المسيح ابن الله ، ومن ثمّ سألوه قائلين : « لماذا يقول الكتبة إذن إن إيلياً ينبغي أن يحيى أولاً ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : حقاً إن إيلياً ينبغي أن يحيى أولاً ويعيد كلّ شيء إلى نصابه ، ولكنى أقول لكم إن إيليا قد جاء فعلاً فلم يعرفوه ، وإنما فعلوا به كلّ ما أرادوا . هكذا ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم . وعندئذ فهم التلاميذ أنه كان يكلمهم عن يوحنا المعمدان » (متى ١٧ : ١٠ - ١٣) ؛ (مرقس ٩ : ١١ - ١٣) . كما أن السيد المسيح في موضع آخر من بشارة القديس متى تحدّث عن يوحنا المعمدان قائلاً : « هذا هو الذى كتُب عنه : هأنذا أبعث أمام وجهك رسول الذى يهيبى طريقك أمامك .. فهذا إن شئتم أن تقبلوا هو إيلياً المزمع أن يحيى » (متى ١١ : ١٠ و١٤) . وعلى الرغم من أنّ السيد المسيح وهو يتحدث عن يوحنا المعمدان أشاد بعظّمته إذ وصفه قائلاً : « إنه لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان » (متى ١١ : ١١) . فإن يوحنا - في تواضع القديسين الأبرار - حين سأله كهنة اليهود وعلماءهم قائلين « أنت إيليا ؟ » قال : « لست هو » ، لأنه - وإن كان قد جاء بروح إيلياً وقوته كقول ملاك الله (لوقا ١ : ١٧) - لم يكن هو إيلياً نفسه الذى أكرمه الله فأصعده بالجسد إلى السماء في مركبة نارية (٢٢ الملوك ٢ : ١١ و١٢) . ومن ثمّ كانت له لدى اليهود منزلة عظيمة لم يشأ يوحنا - على الرغم من عظّمته هو - أن ينسبها إلى نفسه . وإنما اقتصر على أن يبيّن لليهود

المهمة التي جاء من أجلها كمجرد خادم للمسيح يتقدمه في الطريق كما يتقدم الخادمُ الملكَ العظيم .

فلما سمع الكهنة والعلماء من يوحنا أنه ليس المسيح وليس إيلياً ، بقى في أذهانهم احتمال ثالث وهو أن يكون هذا الإنسان البار الذي ظهر بين اليهود فجأة فتبعوه والتفوا حوله ، هو النبي الذي تنبأ موسى بمجيئه ، إذ قال لليهود في سفر التثنية : « يقيم لك الرب إلهك نبياً من وَسَطِكَ ، من إخوتك مثلي .. وأجعل كلامي في فمه .. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه » (التثنية ١٨ : ١٥ و١٨) - انظر (أعمال الرسل ٧ : ٣٧) . ومن ثمَّ سألوا يوحنا قائلين : « أنت النبي ؟ » . بيد أنهم بسؤالهم هذا برهنوا على جهلهم حتى بشريعتهم ونبوءات أنبيائهم التي كانوا يزعمون أنهم فقهاؤها المتصلعون في فهمها . لأن ذلك النبي الذي تحدّث عنه موسى وقال إنه سيجيء من بين اليهود هو نفسه المسيح ابن الله الذي كانوا ينتظرونه ، كما يبدو ذلك جلياً في سياق النبوءة نفسها . ولعلّ مما يؤكّد جهل اليهود بهذه الحقيقة أن يوحنا ، مع أنه يدرك كل الإدراك أنه هو نفسه نبي ، وإذ أدرك أن أولئك الفقهاء حين سألوه لم يكونوا يقصدون أيّ نبيّ دون تحديد . وإنما كانوا يقصدون ذلك النبي بذاته الذي تنبأ موسى عن مجيئه ، أجابهم بالنفي قائلاً « كلاً » ، أي أنه ليس ذلك النبي الذي كان يعلم أن المقصود به في النبوءة هو المسيح نفسه .

والمعروف أن النبوءة هي من وظائف المسيح بوصفه إنساناً ، وهي إحدى ثلاث وظائف رئيسية تقلدها المسيح بصفته آدم الثاني والنائب عن البشرية والذي قام بعمل الفداء بالنيابة عن الإنسان ، وهي : النبوءة والمُلك والكهنوت .

ولقد رأى قادة اليهود وعلماؤهم أن في ما قاله النبي موسى عن ذلك النبي

الذى سيقوم في وسط بني إسرائيل ، إشارة وتلويحاً إلى المسيح باعتبار أن النبوة هي من بين وظائفه .

ولذلك يقول الإنجيل عن اليهود إنهم لما رأوا ما صنع المسيح له المجد من معجزات باهرة « قالوا : هذا هو بالحقيقة النبي الآتى إلى العالم » ( يوحنا ٦ : ١٤ ) . ولا بُدَّ أنهم قصدوا بذلك أنه النبي الذى تكلم عنه موسى فى التوراة (التثنية ١٨ : ١٥ و١٨) . ويروى الإنجيل من ثمَّ الحوار بين المسيح وبين اليهود ، وقوله له المجد « من آمن بى فكما قال الكتاب ستجرى من باطنه أنهار ماء حتى » ، ثم يعقَّب على ذلك بقوله « فحين سمع ذلك الكلام قوم من الجمع قالوا : هذا بالحقيقة هو النبي . وقال آخرون : هذا هو المسيح » ( يوحنا ٧ : ٤٠ و٤١ ) . ولكن زعماء اليهود عندما سمعوا رواية المرسلين منهم ليقبضوا عليه ويأتوهم به قالوا « ابحث وانظر فإنه لا يقوم نبي من الجليل » ( يوحنا ٧ : ٥٢ ) .

كذلك عندما استقبل اليهود المسيح فى أحد الشعانين بأغصان الزيتون وسعف النخل ، ودخل أورشليم « اهتزت المدينة قائلة : من هذا ؟ فقالت الجموع : هذا هو يسوع النبي الذى من ناصرة الجليل » ( متى ٢١ : ١٠ و١١ ) .

وعندما صدر الحكم على المسيح القادى بالموت .. « راح بعضهم ييصقون عليه ، وقد غطوا عينيه ، وأخذوا يلطمونه على وجهه ثم يسألونه قائلين له : تنبأ لنا أيها المسيح من الذى لطمك الآن ؟ » ( مرقس ١٤ : ٦٥ ) ؛ ( متى ٢٦ : ٦٧ و٦٨ ) ، ( لوقا ٢٢ : ٦٤ و٦٥ ) . وهذا معناه أنهم حتى وهم يهزأون به يعلمون أنه لو كان هو المسيح لكانت النبوة من بين صفاته ووظائفه . وعندما آمنت المرأة السامرية بالمسيح قالت له فى مبدأ الأمر « ياسيدى أرى أنك نبي » . ثم انطلقت إلى المدينة وقالت للناس هلموا انظروا ذلك الرجل الذى قال لى كل شىء فعلته ..

أَيكون هذا هو المسيح؟ (يوحنا ٤ : ١٩ و ٢٥ و ٢٩) . وهذا يدل على أنها تعلم أن النبوة هي بعض وظائف المسيح . ويقول الإنجيل بعد ذلك : « وقد آمن به كثيرون من السامريين في تلك المدينة بسبب كلام المرأة التي شهدت قائلة : إنه قال لي كل ما كنت قد فعلت . ومن ثمَّ جاء السامريون إليه ورجوه أن يمكث عندهم .. وقد آمن به كثيرون آخرون من أجل كلامه ، وجعلوا يقولون للمرأة : إننا الآن نؤمن ، لا بسبب كلامك ، وإنما لأننا سمعناه بأنفسنا . وقد علمنا أن هذا هو حقُّ المسيح مخلص العالم » (يوحنا ٤ : ٣٩ - ٤٢) .

انظر أيضًا في بيان ذلك ما قاله اليهود بعد أن أقام المسيح من الموت الشاب ابن أرملة نايين إذ «مجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم ، وقد تفقد الله شعبه » (لوقا ٧ : ١٦) . وما قاله عنه تلميذا عماوس : « يسوع الناصري الذي كان نبياً مقتدرًا في الفعل والقول لدى الله وكل الشعب » (لوقا ٢٤ : ١٩) .

وقال عنه ذلك أيضًا المولود أعمى حين شفاه (يوحنا ٩ : ١٧) - انظر أيضا (مرقس ٦ : ١٥) : (يوحنا ٣ : ٢) .

ومن ثمَّ تضايق أولئك الكهنة واللاويون إذ أخفقوا في أن يحصلوا من يوحنا المعمدان على أية إجابة تدلُّ على حقيقة شخصيته ليعودوا بها إلى رؤسائهم الذين أرسلوهم إليه ، والذين كانوا يخافونهم ، وقد أرادوا أن يخيفوا يوحنا بهم . لأنهم رؤساء الكهنة وأعضاء مجلس السنهدريم وغيرهم من أصحاب المناصب العليا والنفوذ العظيم ، وكانوا قد أقلقهم تزايد عدد الذين آمنوا بيوحنا المعمدان من الشعب اليهودي . واعتبارهم إياه نبياً عظيماً ، وبالتالي ارتفاع مكانته بينهم ، مما يهدد مكانة أولئك الرؤساء ويخرج كبرياءهم ويملاً بالحقد صدورهم . وقد أراد أولئك الكهنة واللاويون أن يُخرجوا يوحنا ليدفعوه إلى إجابة ينكر فيها أى صفة فيه تجعله مستحقاً لإيمان الشعب به وإكبارهم إياه والتفافهم حوله ، كى يخففوا

بذلك حق رؤسائهم وبنالوا رضاءهم عنه ، فسألوه قائلين : « فَمَنْ أَنْتَ لِنَعطَى إجابة للذين أرسلونا ؟ ماذا تقول عن نفسك ؟ » وعندئذ كشف لهم عن حقيقة شخصيته ، فصارحهم بأنه هو الذى تنبأ عنه إشعياى النبى قائلاً : « صوت صارخ فى البرية ، أعدوا طريق الرب ، قوموا فى القفر سبيلاً لإلهنا .. فَيُعْلَنُ مَجْدُ الرَّبِّ وَيَرَاهُ كُلُّ بَشَرٍ » (إشعياى ٤٠ : ٣ - ٥) ، إذ قال يوحنا لهم « أنا صوت صارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب . كما قال إشعياى النبى » وقد كان أولئك الكهنة واللاويون الذين أرسلهم رؤساء اليهود إلى يوحنا من طائفة الفرسيين المتعصبين المتحذلقين المنافقين الذين على الرغم من جهلهم بروح الشريعة وجوهرها ؛ كانوا لا يفتأون يتشدقون بقشورها وبظاهر نصوصها وطقوسها ، وبفهمهم السطحى الملتوى لها ، ومن ثم تجاهلوا ماتعنيه إجابة يوحنا من أنه هو الرسول الذى تنبأ إشعياى النبى بأنه سيجىء ليمهد الطريق للمسيح ، وأنه بالتالى هو الملاك الذى قال عنه المسيح على لسان ملاخى النبى : « هأنذا أرسل ملاكى فيبشئ الطريق أمامى » (ملاخى ٣ : ١) . وماتنتوى عليه تلك الإجابة من كرامة يستحق يوحنا التكرم والتعظيم من أجلها ، وأرادوا على العكس أن يُحَقِّروهُ ويزدروه ويغضوا من شأنه ، بل أن يلصقوا به مخالفة دينية ، باجترائه على أن يمارس طقساً لا يحقُّ له فى اعتقادهم أن يمارسه ، وهو طقس العباد ، إذ قالوا له : « لماذا تُعمدُ إذن مادمت لست المسيح ولا إيليا ولا النبى ؟ » وعلى الرغم مما فى سؤالهم من تحرش واستفزاز ، فقد أجابهم يوحنا بكل هدوء وكل تواضع قائلاً « أنا أعمدكم بالماء ، ولكن بينكم قائم ذلك الذى لستم تعرفونه ، الذى - وإن أتى بعدى - كان قبلى ، وأنا لست بمستحق لأن أحلَّ أربطة حدائه . أى أن كل ما يستطيعه هو - فى حدود السلطان الممنوح له - لكى يطهرهم من شرورهم أن يعمدَّهم بالماء الذى هو مجرد رمز للوسيلة الحقيقية للتطهير وهى الروح القدس الذى لا يملك التطهير به إلا واحد هو المسيح ، وفقاً

لما جاء في بشارة القديس متى ، إذ قال يوحنا المعمدان لليهود « أنا أعمدكم بلما من أجل التوبة . أما الذى سيأتى بعدى فهو أقوى منى .. إنه سيعمّدكم بالروح القدس وبالنار » (متى ٣ : ١١) . وقد أعلن لهم يوحنا أن المسيح قائم بالفعل في ذلك الوقت بينهم وإن كانوا لا يعرفونه . لأنه لم يبدأ رسالته بعد . وهو إن كان سيُظهر نفسه للعالم بعد أن أظهر يوحنا نفسه ، فإنه كان كائنًا قبله ، لأنه هو الإله الكائن منذ الأزل . وقد تحدّث عنه يوحنا بكل الخشوع والإجلال اللذين يتحدث بهما الخادم عن سيّده الذى تفوق عَظَمَتُهُ كل عَظَمَةٍ في الوجود ، حتّى إن يوحنا - وإن كان السيد المسيح نفسه قد وصفه بأنه لم يقم بين المولودين من النساء أعظم منه (متى ١١ : ١١) ؛ (لوقا ٧ : ٢٨) - قد عدّ نفسه من قلة الشأن بالنسبة إليه حتى إنه غير مستحق لأن يحلّ أربطة حذائه (مرقس ١ : ٧) ؛ (لوقا ٣ : ١٦) . وهكذا أفصح يوحنا المعمدان لليهود عن حقيقة شخصيته وحدود مُهمَّته وبشّرهم بمجىء المسيح مخلص العالم الذى كانوا ينتظرونه منذ مئات السنين . مبيّنًا لهم مقدار مجده وعظمته .

### ١ : ٢٩ - ٣٤

ثم واصل القديس يوحنا البشير بعد ذلك تسجيل شهادة يوحنا المعمدان عن السيد المسيح . فقال إنه في اليوم التالى لحديثه مع الكهنة والملاويين الذين أرسلهم رؤساء اليهود ليعرفوا حقيقة شخصيته ، رأى مُخلصنا مَقْبَلًا إليه . فقال لتلاميذه ولسائر المؤمنين به الذين جاءوا ليعتمدوا منه : « هوذا حمل الله الذى يحمل خطيئة العالم » ( انظر أيضا يوحنا ١ : ٣٦ ) ؛ ( العبرانيين ٩ : ٢٨ ) : ( ١ . بطرس ٢ : ٢٤ ) ؛ ( ١ . يوحنا ٣ : ٥ ) .. هذا هو الذبيحة الحقيقية التى لم يكن الحمل الذى يذبحه اليهود في عيد الفصح إلا رمزًا لها ( الخروج ١٢ : ٣ و٤ - ١٣ ) . والذى شاءت رحمة الله ومحبته للبشر أن يُقدمه - وهو ابنه

الوحيد - ذبيحة وضحية ليكفر بها عن خطيئة آدم وذريته في العالم كله (إشعيا ٥٣ : ٦ و ٧) ؛ (الأعمال ٨ : ٣٢ و ٣٣) . فيستحقوا بذلك صفحه عنهم ومغفرته لهم ، ويستعيدوا رضاه عنهم ومصالحته إياهم . ومن ثمَّ يرحمهم بذلك من الهلاك الذي استحقوه بموجب العدل الإلهي .. « عالمين أنكم اقتديتم لا بأشياء تفتي ، بفضة أو ذهب .. بل بدم كريم كما مِنْ حَمَلٍ بلا عيب ولا دَنَس ، دم المسيح » (١ . بطرس ١ : ١٨ و ١٩) . عقاباً لهم على خطيئة آدم جدهم الأول التي ورثوها عنه ، فضلاً عن خطاياهم التي ارتكبوها هم أنفسهم ، لأن ابن الله إذ ارتضى أن يكون هو الذبيحة والضحية للتكفير عن خطايا العالم (العبرانيين ١ : ٣) ؛ (٢ : ١٧) ؛ (١ . بطرس ٣ : ١٨) ؛ (الرؤيا ٥ : ٦ - ١٢) ارتضى في الوقت نفسه أن يحمل على عاتقه كل هذه الخطايا (يوحنا ١ : ٣٦) كأنه هو نفسه الذي ارتكبها (٢ . كورنثوس ٥ : ٢١) . وكان عليه مِنْ ثمَّ أن يكفِّر عنها نيابة عن البشر الذين هم المرتكبون الحقيقيون لها (١ . كورنثوس ١٥ : ٣) ؛ (غلاطية ١ : ٤) ؛ (١ . يوحنا ٤ : ١٠) . وهذا هو المعنى الذي ردّده القديس يوحنا البشير في رسالته الأولى ، إذ يقول إن السيد المسيح « هو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا نحن فقط ، بل لخطايا كلِّ العالم أيضاً » (١ . يوحنا ٢ : ٢) ؛ (الرؤيا ١ : ٥) كما أن هذا هو المعنى الذي ردّده إشعيا النبي في نبوءاته عن السيد المسيح ، إذ يقول عنه : « لكنَّ أحراننا حملها وأوجاعنا تحملها .. وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا ... وبخبره شُفيْنَا .. كُلُّنا كفنم ضللتنا ، ملنا كلَّ واحد إلى طريقه . والرب وضع عليه إثمَّ جميعنا ... جعل نفسه ذبيحة إثمَّ .. وهو حَمَلٍ خطيئة كثيرين وشفع في المذنبين » (إشعيا ٥٣ : ٤ - ١٢) .

ثم قال يوحنا المعمدان وهو يواصل شهادته عن مخلصنا : « هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل يتقدمني لأنه كان قبلي . وأنا لم أكن أعرفه ، ولكن

من أجل أن يُظهر لإسرائيل جثث أنا أعمد بالماء» وهو يردّد بهذه العبارة ماسبق أن قاله لليهود الذين أتوا ليعتمدوا منه (يوحنا ١ : ١٥ و ٢٧) . ثم ما قاله للكهننة واللاويين الذين أرسلهم رؤساء اليهود ليتحققوا من شخصيته . فهو لا يفتأ يكرر هذه العبارة لتستقرّ في الأذهان ، وليعلم الجميع مكانة السيد المسيح ومكانته هو بالنسبة للسيد المسيح . فهو يصفه بأنه رجُل لأنه إنسان كامل الناسوت . ولكنه يصفه بأنه كان قبله مع أنه جاء بعده في الزمان ، إذ وُلِدَ متأخراً عنه بستة أشهر (لوقا ١ : ٢٦ و ٥٧) ، ليبين أنه كان كائناً منذ الأزل . ولما كان ليس أزلياً إلا الله ، فهو الله الكامل اللاهوت . ومع أن يوحنا المعمدان سبق له وهو في بطن أمه أليصابات أن سجد للسيد المسيح وهو في بطن أمه السيدة العذراء مريم حين جاءت لزيارتها (لوقا ١ : ٤١) ، فإنه لم يكن يعرفه قبل أن يجيء ليعتمد منه ، لأن كلاً منها كان بعد ولادته يعيش بعيداً عن الآخر . فكان مخلصنا يعيش في مدينة الناصرة (لوقا ٢ : ٣٩ و ٤٠) ؛ (متى ٢ : ٢٣) . أما يوحنا المعمدان فقد كان « يقيم في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل » (لوقا ١ : ٨٠) ؛ (متى ٣ : ١١) ؛ (١١ : ٧) . وذلك منذ طفولته المبكرة . فقد كان هيرودس ملك اليهود قد أمر بقتل كل الأطفال المناهزين لعمر الطفل الإلهي يسوع المسيح « من ابن سنتين فما أقل وفقاً للزمان الذي تحقّقه من الجوس » (متى ٢ : ١٦) . وكانوا قد جاءوا يسألون عن ذلك الطفل قائلين : « أين هو المولود ملك اليهود؟ » (متى ٢ : ٢) . وقد كان يوحنا المعمدان واحداً من بين الأطفال الذين ينطبق عليهم أمر القتل الذي أصدره هيرودس . ويروى لنا تقليد قديم أن الجند حين جاءوا ليقتلوه في بيت أبيه زكرياً ، احتضنه أبوه بين يديه ، وقال للجند : « سأسلمه إليكم من المكان الذي أخذته منه » ، ثم جرى مسرعاً نحو الهيكل يحمل ابنه بين ذراعيه ، والجند يحجرون وراءه ، فلما بلغ الهيكل أمسك بقرون المذبح وأخذ يصرخ إلى الرب إلهه قائلاً : « أليس هذا هو الابن الذي



أعطيتني إياه في سن الشيخوخة بعد طول جهاد؟ إنهم يريدون قتله ، وعند ذلك خطفه ملاك الرب من بين ذراعَي أبيه ومضى به إلى البرية ، فلما لم يجده الجند ، قتلوا أباه زكريا بالسيف ، وأما يوحنا فقد ظلَّ في البرية حتى كبر وصار يافعاً « وكان طعامه جرأداً وعسلاً برياً » (متى ٣ : ٤) . وهكذا أعدَّ يوحنا نفسه للرسالة الجليلة التي تنتظره ، والتي كرسه الله لها منذ الحبل به في بطن أمه ، وهي إعداد الطريق للمسيح المنتظر حين يُظهر نفسه للناس ، وتعريفهم به وبخقيقة شخصيته ، وبجوهر تعاليمه . حتى إذا أُرِف موعده ظهوره بدأ هو يقوم بالدور المرسوم له ، فأخذ يعمِّدُ بنى إسرائيل بالماء (متى ٣ : ٦ و٧) ؛ (مرقس ١ : ٨ و٥) ؛ (لوقا ٣ : ٣ و٤ و١٦) . ليظهر أجسادهم ونفوسهم كي يكونوا مهئين للتوبة ، ولاستقبال ذلك الذي جاء ليفديهم ويكفر عنهم لمغفرة خطاياهم (لوقا ١ : ١٧ و٧٦ و٧٧) .

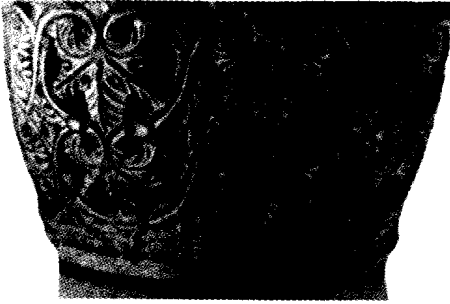
وقد شرح يوحنا المعمدان بعد ذلك الوسيلة التي عرّف بها شخصيّة السيد المسيح الذي لم يكن قد رآه من قبل ، إذ شهد قائلاً : « إني قد أبصرت الروح نازلاً عليه من السماء في هيئة حمامة ، واستقرَّ على رأسه ، وأنا لم أكن أعرفه . ولكن الذي أرسلني لأعمِّد بالماء هو الذي قال لي : إن الذي تبصر الروح ينزل ويستقر عليه ، هو الذي يعمِّد بروح القدس . وأنا قد أبصرت وشهدت بأن هذا هو ابن الله » (يوحنا ١ : ٣٢ - ٣٤) ؛ (متى ٣ : ١٦) ؛ (مرقس ١ : ١٠) ؛ (لوقا ٣ : ٢٢) ؛ (يوحنا ٥ : ٣٢ و٣٣) .

وفي هذه الشهادة الرائعة نلمس تدبير الله في حكمته ، كما نلمس حكمته في تدبيره . فلم يكن عدم معرفة يوحنا لمخلصنا قبل أن يجيء ليعتمد منه ، أو قيام أى صداقة بينها محض مصادفة ، وإنما كان أمراً قصّدت إليه العناية الإلهية لئلا تكون شهادة يوحنا المعمدان للسيد المسيح منظوية أمام الناس على آية شبيهة للمجاملة التي قد تشوب شهادة صديق عن صديقه ، أو منظوية على آية شبيهة

للتأثير الذي قد يفتعله صديق في أفكار صديقه بحيث يرى أو يروى ما قد يعدّه الناس وهمًا أو أضغاث أحلام . وإنما شاء الله ألا يتعرّف يوحنا على شخصية سيّده الذي جاء ليهدّد الطريق أمامه إلا بعلامة مادّية منظورة ومسموعة ومحسوسة وملموسة ، بحيث لا تدع في نفسه آية ريبية أو أدنى شك في أن هذا هو السيد الذي ماجاء هو إلى العالم إلا ليشهد له ، والذي ظل حياته كلّها ينتظره ليشهد له . وبحيث لا يدع هذا كله في نفس من يسمع شهادته آية ريبية أو أدنى شك في أن ما يقوله عنه حق وصدق . وذلك أن الله الأب الذي أرسله لهذه الغاية وحدها جعل له علامة يتعرّف بها إلى ذلك السيّد الإلهي الذي لم يره من قبل وإن كان قد سجد له وهو لا يزال في بطن أمه . فقد أمره بأن يعمّد بالماء فقط تمهيدًا لذلك السيد الذي سيعمّد بالروح القدس . أي ذلك الذي لن يكتفى بالتمعيد بالماء الذي لا يصلح إلا لتطهير الجسد المادّي الفاني ، وإنما سيظهر الروح نفسها ، وهي العنصر الجوهرى الخالد في الإنسان بما يصلح لها ويتفق مع طبيعتها ، وهو روح الله الذي هو الروح القدس . ومن ثمّ قال له الله الأب : « إن الذي تبصر الروح ينزل ويستقر عليه ، هو الذي يعمّد بروح القدس » . وهنا يبدو الفارق واضحًا بين المعمودية يوحنا ومعمودية المسيح له المجد . فمعمودية يوحنا هي للإعداد والتوبة ، لكنّ الماء فيها يبقى على بسيط الحال ، ولا يتغيّر عن طبعه . أما المعمودية المسيح فشيء آخر . إنها ينحدر فيها الروح القدس على الماء ( يوحنا ٣ : ٥ و٣ ) . فيتغيّر الماء عن طبعه ، ويصير ماء نزل فيه الروح القدس ، فصار ماء من نار ( متى ٣ : ١١ ) ؛ ( الأعمال ١ : ٥ ) ؛ ( ٢ : ٤ ) ، له القدرة على أن يغسل الخطيئة ( الأعمال ٢٢ : ١٦ ) ، ويظهر من الدّنس ، بل يخلق الإنسان خلقًا جديدًا ( غلاطية ٦ : ١٥ ) . وهو أيضًا ختان جديد ، لا بقطع جزء من الجسد ، بل بقطع جسم خطايا البشريّة ، ختان المسيح ( كولوסי ٢ : ١٢ و١١ ) .

وقد حدث ذلك بالفعل أمام عيني يوحنا حين جاء مخلصنا ليعتمد منه . إذ يقول « إني قد أبصرت الروح نازلاً عليه من السماء في هيئة حمامة واستقرَّ على رأسه » . وما كان ليوحنا المعمدان ، أو كان في استطاعته ، أو كان من طبيعة كيانه البشرى أن يرى روح الله الذى لا يستطيع أن يراه إنسان ، ولا يحتمل أن يراه إنسان ، وقد سبق لليهود حين كانوا في صحراء سيناء أن تجلَّى الله لهم ، فخافوا خوفاً شديداً ، وتملكتهم رهبة قاتلة . إذ جاء في سفر الخروج أنه حين أراد الله أن يخاطب اليهود .. « صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً ، فارتعد كل الشعب الذى فى المحلَّة ، وأخرج موسى الشعب من المحلَّة لملاقاة الله ، فوقفوا فى أسفل الجبل . وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار ، وصعد دخانه كدخان الأتون ، وارتجف كل الجبل جداً . فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً ، وموسى يتكلَّم والله يحميه بصوت .. وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن . ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد ، وقالوا لموسى : تكلم أنت معنا فنسمع ، ولا يتكلَّم معنا الله لثلاً نموت » ( الخروج ١٩ : ١٦-١٩ ) ؛ (٢٠ : ١٨ و١٩) . ولذلك فإن الله بعد أن استبدل بعهد النعمة على البشر بسبب خطاياهم ، عهد النعمة بعد أن أرسل ابنه الجيب ليكفِّر بموته عن تلك الخطايا ، ويعيدهم إلى أحضان حنان أبيهم السماوى ، قد شاءت حكمته ورحمته أن يبعث بروحه القدوس إلى بنى الإنسان ، لافى رعود وبروق وصوت بوق ونار ودخان ، وإنما فى هيئة حمامة بيضاء نقيه وديعة رقيقة هى أبداع وأروع رمز للمحبة والسلام فى العهد الجديد ، عهد المحبة والسلام . وفى هذه الهيئة رأى يوحنا المعمدان روح الله القدوس نازلاً على فادينا الحبيب ، ومستقرّاً على رأسه ، كإشارة بليغة وبالغة الدلالة وعميقة المعنى ، ليفهم منها يوحنا المعمدان أن هذه هى العلامة التى حدّدها الله له ليدرك منها أن هذا هو المسيح ابن الله الذى جاء

ليشهد له ويمهد الطريق أمامه لدى بني إسرائيل ولدى العالم أجمع . ومن ثمّ ختم يوحنا شهادته بقوله في يقين ليس بعده يقين ، وفي إيمان ليس أعمق منه إيمان : « أنا قد أبصرت وشهدت بأن هذا هو ابن الله » .



١ : ٣٥ - ٤٢

ثم في اليوم التالي كان يوحنا المعمدان واقفاً مع اثنين من تلاميذه الذين بهرتهم تعاليمه الجديدة فأمنوا به والتفؤا حوله . وقد ازداد تعلقهم به حين سمعوه يبشّرهم بأن المسيح ابن الله الذي ينتظرونه مع سائر اليهود قد جاء فعلاً ، وأنه قائم بينهم وإن كانوا لم يعرفوه بعد ، وأنه قد أوشك أن يُظهر لهم ذاته ويبدأ بينهم رسالته التي جاءت من أجلها إلى العالم . ولم يلبث يوحنا وهو واقف مع تلميذه أن أبصر محلّصنا ماشياً قبالهم . وكان قد بدأ بالفعل يجول في بلاد اليهود ، مظهرًا لهم ذاته . فما أبصره يوحنا حتى أخذ يُكرّر على مسمع من تلميذه شهادته التي كان قد جاهر بها مرارًا من قبل على مسمع من اليهود الذين كانوا يجيئون إليه ومنهم هذان التلميذان ، إذ قال لهما : « هذا هو حمل الله » . وإذا كانا قد فها معنى هذه العبارة من يوحنا الذي كانا يعدّانه معلمها ويثقان فيه ثقة التلاميذ بعلمهم ، أدركا أنّ هذا هو المسيح فادى البشر ومخلصهم الذي ينتظرونه ،

فتبعاه . وقد ذكر القديس يوحنا البشير اسم أحد هذين التلميذين وهو أندراوس أخو سمعان بطرس ( متى ٤ : ١٨ ) . وأما التلميذ الآخر الذي كان معه ، فلا بد أن يكون هو القديس يوحنا ذاته . ولذلك لم يذكر اسمه تواضعاً منه وتحرُّجاً من أن يتكلم عن نفسه ، شأن الأبرار القديسين . وفيما كان هذان التلميذان يتبعان مُخْلِصَنَا النَّفْتَ مُخْلِصَنَا وِوَأَهْمَا وَهَمَا يَتَّبِعَانِهِ . وإذا كان يعلم أنها يريدان أن يتحدثا إليه ، ولكنها يمنعها عن ذلك الرَّهْبَةُ وَالْحَجَلُ وَالْأَدَبُ . كما كان يَعْلَمُ أَنَّهُمَا سَيَكُونَانِ مِنْ بَيْنِ تَلَامِيذِهِ ( متى ١ : ٢ ) ؛ ( مرقس ٣ : ١٧ و١٨ ) ؛ ( لوقا ٦ : ١٤ ) ، أراد - بوداعته وتواضعه - أن يفتح لهما باب الحديث بنفسه . فقال لهما : « ماذا تطلبان ؟ » ، أى « ماذا تريدان أن تقولاً لى ؟ » . فقالا له : « رابى - الذى ترجمته يامعلم - أين تقيم ؟ » . ولم يكن سؤالها هذا مجرد أن يعلم أين يقيم ، وإنما أرادا أن يُعَبِّرَا بِذَلِكَ عَنْ تَعْظِيمِهَا لَهُ ، إِذْ لَقَبَاهُ بِالْمُعَلِّمِ . وكان اليهود لا يطلقون هذا اللقب إلا على أعظم علمائهم ومعلميهم . كما أرادا أن يعبراً عن رغبتهم فى أن يتبعاه ليلتصقا به فى الموضع الذى يقيم فيه ، لأنها أدركا أنه يقيم فى مكان بعيد عن المكان الذى رأياه فيه . ولأنهما قررا منذ تلك اللحظة أن يكونا من أقرب تلاميذه إليه ، فيقما حيث يقيم ، ويذهبا إلى حيث يذهب ، ويستمعا إلى كل مايقول ، ويريا كل مايفعل . فقال لهما : « تعاليا وانظرا » ، تعبيراً عن ترحيبه بهما وقبوله رغبتهما فى أن يتعرفا به فيعرفاه على حقيقته .

وَمِنْ ثَمَّ آرَادَهُمَا أَنْ يَنْظُرَا إِلَى الْمَكَانِ الْمُتَوَاضِعِ الَّذِى يَقِيمُ فِيهِ لِثَلَاثِيَتِهِمَا أَنَّهُ وَهُوَ ابْنُ اللَّهِ قَدْ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ حِينَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ قَصْرًا مِنْ قُصُورِ الْمُلُوكِ أَوْ قَلْعَةً مِنْ قَلْعِ الْأَبَاطِرَةِ ، فَيُنِيَانِ عَلَى ذَلِكَ أَفْكَارًا دُنْيَوِيَّةً وَأَمَالًا أَرْضِيَّةً فِي الْجَاهِ الدُّنْيَوِيِّ وَالسُّلْطَانِ الْأَرْضِيِّ . وَإِنَّمَا اخْتَارَ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا فَقِيرًا مُتَوَاضِعًا ، كَالْغَالِيَةِ الْعَظْمَى مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ ، لِأَنَّ مَمْلَكَتَهُ الَّتِى سِيدَعُو إِلَيْهَا لَيْسَتْ عَلَى الْأَرْضِ ، وَإِنَّمَا

هي في السماء (يوحنا ١٨ : ٣٦) . فإن كان هذان التلميذان يريدان حقاً أن يتبعاه ، فليعرفا هذه الحقيقة منذ اللحظة الأولى ، فلا يكونا ضحية وهم خادع أو أملٍ كاذب . وفعلاً أتيا ونظرا أين يقيم ومكثا عنده ذلك اليوم حتى بلغت الساعة نحو العاشرة بالتوقيت اليهودي ، أى نحو الساعة الرابعة بعد الظهر بالتوقيت الحديث ، أى مكثا عنده اليوم كله ، مما يدلُّ على أنهما - على الرغم من تواضع المكان الذى وجداه يقيم فيه ، وعلى الرغم من تواضعه هو نفسه - بهرتما عظمة شخصيته النبيلة الجليلة ، وأذهلتها روعة تعاليمه السماوية السامية . مما جعلها يتعلقان به من أول وهلة ، فلم يتركاها إلا في آخر النهار ، وماتركاه إلا لينطلقا فرحين إلى اخوتها ومعارفها لبشراهم بذلك النبا العظيم الذى تنبأ به كل أنبياء العهد القديم ، نبأ مجيئ المسيح ابن الله مخلص العالم .

وكان أول من لقبه أندراوسُ أخاه سمعان بطرس ، فبادره قائلاً « قد وجدنا المسيح » ، وهذا هو النطق الآرامى لكلمة المسيح ، أو باليونانية « مَسِيَّاس » . وإذ كان أندراوس في لهفة شديدة لأن يذيع أمر ذلك الاكتشاف الرائع بأسرع ما يمكن ، وعلى أوسع نطاق ، أخذ أخاه بطرس على الفور وجاء به إلى مخلصنا . والراجح أن بطرس كان هو أيضاً من تلاميذ يوحنا المعمدان ، فلما رآه مخلصنا قال له « أنت سمعان بن يوحنا ، وليكن اسمك كيفاً » . وهكذا برهن السيد المسيح منذ أول لحظة بدأ فيها أداء رسالته على علمه الإلهي بكل شيء وبكل شخص (يوحنا ٢ : ٢٥) ، إذ عرف بمجرد أن رأى بطرس لأول مرة أن اسمه العبراني سمعان ، وأن اسم أبيه يوحنا ، ولكنه شاءت حكمته أن يختار له اسماً آخر هو « كيفاً » ، وهى كلمة آرامية معناها « حَجَر » ، وباليونانية بطرس Πέτρος ومعناها أيضاً « حَجَر » ، فأصبح هو الاسم الغالب له (متى ١٦ : ١٨) ؛ (مرقس ٣ : ١٦) ؛ (لوقا ٦ : ١٤) ؛ (يوحنا ١٣ : ٨) . وإن كان

الكتاب المقدس كثيراً ما يجمع بين الاسمين فيقول عنه « سمعان بطرس » ( متى ١٦ : ١٦ ) ؛ ( لوقا ٥ : ٨ ) ؛ ( يوحنا ١ : ٤٠ ) .

١ : ٤٣ - ٥١

وفي اليوم التالي ، إذ كان فادينا يقصد إلى منطقة الجليل في تجواله الذي أصبح دائماً ومتصلاً كى ينجز رسالته ، وجد رجلاً آخر أدرك بعلمه الإلهي صلاحيته لأن يكون من تلاميذه الأقربين . وكان اسمه « فيلبس » ، فقال له « اتبعنى » ، فبعه على الفور وأصبح من تلاميذه الاثني عشر ( متى ١٠ : ٣ ) ؛ ( مرقس ٣ : ١٨ ) ؛ ( لوقا ٦ : ١٤ ) ، مما يدل على أن اختيار مخلصنا له كان قائماً على حكمته الإلهية ، وعلمه العميق والدقيق بمعادن الرجال ودخائل نفوسهم ، ومدى استعدادهم واستحقاقهم للرسالة الجليلة التي هيأهم للقيام بها . وقد كان فيلبس هذا من مدينة « بيت صيدا » على شاطئ بحر الجليل ( يوحنا ١٢ : ٢١ ) . وهى نفس المدينة التي كان منها أندراوس وبطرس . ومعنى اسمها « بيت الصيد » ، لأن أغلب سكانها كانوا من صيادى السمك . فما استمع فيلبس إلى تعليم الرب يسوع المسيح الذى دعاه ليتبعه حتى أدرك على الفور حقيقة شخصيته ، فانطلق في فرح عظيم ليذيع النبا كما فعل أندراوس من قبل . وكان أول من وجده من معارفه ثنائيل الذى من بلدة « قانا » بالقرب من « الناصرة » ( يوحنا ٢١ : ٢ ) . فأفضى اليه على الفور بذلك السرّ الرائع قائلاً له : « قد وجدنا الذى كتبَ عنه موسى فى الشريعة ، وكذلك الأنبياء ، وهو يسوع بن يوسف الذى من الناصرة » ، ويدلّ قوله هذا على أنه كان دارساً للعهد القديم من الكتاب المقدس دراسة دقيقة وعميقة ، ومدركاً كلّ الإدراك لمعنى نبوءات كل الأنبياء الذين تكلموا عن محىء المسيح ابن الله ، منذ موسى النبي (التكويين ٣ : ١٥) ؛ (٧ : ١٧) ؛ (١٨ : ٢٢) ؛ (١٠ : ٤٩) ؛ (التثنوية ١٨ :

(١٨) وكل الذين جاءوا بعده من الأنبياء على مدى أكثر من ألف عام (إشعيا ٤ : ٢)؛ (٧ : ١٤)؛ (٩ : ٦)؛ (٥٣ : ٢)؛ (مياخا ٥ : ٢)؛ (زكريا ٦ : ١٢)؛ (٩ : ٩) . بيد أن فيلبس إن كان قد تأكد من أن ذلك الذى وجدته والذى دعاه لأن يتبعه هو المسيح الذى تنبأ بمجيئه الأنبياء ، فإنه حين ذكّر اسمه لثنائيل قال إنه « يسوع بن يوسف » . ولعلّ السبب فى ذلك أن مخلصنا كان معروفاً لدى أهل مدينة الناصرة التى قضى فيها معظم حياته على الأرض (متى ٢ : ٢٣) ؛ (لوقا ٢ : ٤) ؛ (٤ : ٤) ؛ (٤ : ١٦) بأنه ابن يوسف النجار ، على مقتضى التدبير الإلهى الذى شاء أن يتم بين يوسف ومريم عقد زواج رسمى عقده كهنة الهيكل بينما قبل أن تنتقل مريم من بيت النذيرين فى الهيكل إلى بيت يوسف ، وبالتالى قبل أن يُبشّرها الملاك جبرائيل بالحبل الإلهى . فالمعروف من تاريخ مريم أن أبويها نذراها للهيكل فى الثالثة من عمرها ، فلما بلغت الثامنة من عمرها كانت قد تيمت من أبويها ، وظلت فى الهيكل حتى سن الثانية عشرة من عمرها . وعندئذ كان لأبدها - فى سن البلوغ - أن تخرج من الهيكل . ومن ثمّ لزم أن يعقد لها على رجل يحميها ، إذا ما كان لهم أن يسلموها إلى رجلٍ إلاّ إذا عقّدوا لها عليه عقداً رسمياً ، يبرئها من كل اتهام يحدّث سمعتها لو حملت بجنين - على أن هذا الزواج بالنسبة لمريم كان من نوع ذلك الزواج البتولى الذى لا يجرى فيه اختلاط جسدى بين الرجل وزوجته . وممّا يدلُّ على ذلك أن مريم اعترضت على قول الملاك لها : « هأنت ذى ستحبلين وتلدن ابناً تسمينه يسوع » (لوقا ١ : ٣١) قائلة : « كيف يكون لى هذا ، وأنا لا أعرف رجلاً » (لوقا ١ : ٣٤) على الرغم من أن بشارة الملاك لها كانت بعد أن عقد الكهنة عليها وعلى يوسف ، وبعد أن انتقلت بالفعل إلى بيت يوسف ، وهذا يثبت أنها كانت معترمة على بقائها بتولاً على الرغم من عقد الزواج الرسمى بينها وبين يوسف ، حتى إن الملاك ظهر ليوسف فى الحلم ، وقال له « يا يوسف بن داود ، لا تخف أن



تستيقى مريم امرأتك ، لأن الذى سيولد منها إنما هو من روح القدس ... فلما نهض يوسف من النوم فَعَلَ كما أَمَرَهُ ملاك الرَّبِّ ، واستيقى مريم امرأته « (متى ١ : ٢٠ - ٢٤) .

ولو لم تكن مريم قد انتقلت بالفعل إلى بيت يوسف بعد اتمام عقد الزواج الرسمى ، ثم قبلت بُشْرَى الملاك لها هناك ، لَمَا قال الإنجيل عن يوسف ، « وإذ كان يوسف رجلها بارًّا ، ولم يشأ أن يشهر أمرها ، أراد أن يخلى سبيلها سرًّا » (متى ١ : ١٩) . فهو إذن رَجُلُها . ثم بعد أن رأى علامات الحمل عليها وهى فى بيته ، وهو يعلم أن هذا الحمل ليس منه ، أراد أن يخلى سبيلها سرًّا لأنه لم يشأ أن يشهر أمرها ، وذلك بأن يخرجها من بيته خفية من دون أن يعلم أحد بموضوعها حتى لا تُرْجَمَ بموجب الشريعة . ثم يذكر الإنجيل بعد ذلك « ولكنه فيما كان يفكِّر فى ذلك إذا ملاك الربُّ قد ظهر له فى حلم قائلاً : يا يوسف بن داود ، لا تخفَ أن تستيقى مريم امرأتك لأن الذى سيولد منها إنما هو من روح القدس » (متى ١ : ٢٠) .

وإذن فمريم زوجة رسمية ليوسف بموجب العقد الرسمى الذى بينهما ، وبناء عليه انتقلت بالفعل إلى بيت يوسف : وبعد ذلك ظهر لها الملاك جبرائيل وبشَّرها بالحمل الإلهى . وقد ذكر الإنجيل ذلك صراحة ، أن يوسف رَجُلٌ مريم ، وأن مريم امرأة يوسف ، إذ يقول « ويعقوب أنجب يوسف رجل مريم التى وُلِدَ منها يسوع الذى يُدعى المسيح » (متى ١ : ١٦) . وأيضًا « وإذ كان يوسف رَجُلها بارًّا » (متى ١ : ١٩) . ثم « يا يوسف بن داود ، لا تخفَ أن تستيقى مريم امرأتك » (متى ١ : ٢٠) . وكذلك « فلما نهض يوسف من النوم ، فَعَلَ كما أَمَرَهُ ملاك الرَّبِّ ، واستيقى مريم امرأته » (متى ١ : ٢٤) .

أما اعتراض مريم على بشرى الملاك لها وقولها له : « كيف يكون لى هذا وأنا

لا أعرف رجلاً» (لوقا ١ : ٣٤) . فيدُل ليس فقط على أنها كانت بتولاً قبل الحمل يسوع المسيح (متى ١ : ١٨) ، وإنما يدل أيضاً على أنها كانت قد نذرت البتولية لتظل بتولاً كل أيام حياتها مُقدَّسة جسداً وروحاً . إذ كيف لفتاة عُقد عليها عُقد زواج رسمي ، وانتقلت إلى بيت رجلها بالفعل ، وقد ذكَّره الإنجيل صراحة أنه رجلها وهي امرأته ، كيف لفتاة هذا وضعها أن تعرّض على بُشرى الملاك مع أنه يكلمها بلغة المستقبل قائلاً « وها أنت ذى ستحبلين وتلدن ابناً » (لوقا ١ : ٣١) ، وتقول بلغة الحسم « كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلاً » لو لم تكن قد نذرت نفسها للبتولية الدائمة والعفة الكاملة كل أيام حياتها ؟

ثم إن الملاك جبرائيل لم يُوبِّخها على هذا الاعتراض ولم يلمها ، ولكنه في احترام وفي أدب جم أدرك مغزى اعتراضها مبيِّناً لها أن هذا الحمل سوف لا يتعارض مع احتفاظها ببتوليتها ، لأنه سوف يكون بالروح القدس . لا بزرع رجلٍ .. « إنَّ روح القدس سيحلّ عليك وقوة العليّ ستظللّك » (لوقا ١ : ٣٥) . فلما اقتنعت بأنها ستكون أمّاً وأنها ستظل عذراء دائماً ، عذراء دائمة البتولية ، خضعت لمشيئة الله وإرادته وقالت على الفور « هاأناذاً أمة الربّ ، فليكن لى بحسب قولك » (لوقا ١ : ٣٨) .

ولذلك ردّد فيلبس ذلك القول الشائع من أنه ابن يوسف ، لأنه لم يكن قد أدرك بعد ، ذلك السرّ الذى يفوق عقول البشر ويتجاوز مداركهم عن طبيعة السيّد المسيح من أنه ابن الله ، وأنه فى الوقت نفسه ابن الإنسان ، لأنه جاء من نسل المرأة ، متخذاً جسداً إنسان . ( غلاطية ٤ : ٤ ) .

غير أن نشائيل حين سمع مع فيلبس أن المسيح من الناصرة ، لم يصدّق ماقاله

له ، لأن اليهود كانوا ينظرون إلى هذه المدينة نظرة احتقار وازدراء ، إذ أن ساكنيها من اليهود كانوا يختلطون بالوثنيين ويتبادلون معهم التجارة والمصالح ، مما يجعلهم في نظر اليهود المتزمتين أنجاساً وأشراراً وكفاراً يستوجبون غضب الله عليهم وقضاه بهلاكهم ( يوحنا ٧ : ٤١ و ٤٢ و ٥٢ ) . **وَمِنْ ثَمَّ قَالَ نَثَائِيلَ عَلَى الْفُورِ : « أَيْمَكُنْ أَنْ يُخْرَجَ مِنَ النَّاصِرَةِ شَيْءٌ صَالِحٌ ؟ »** فلم يجد فيلبس حجة يردّ بها على هذا الاعتراض إلا أن يدعو نثنائيل لأن يأتي معه ليرى بنفسه ذلك الذي أبدى الشك في صلاحه لمجرد أنه نشأ في مدينة يعدّها غير صالحة . ومن ثم قال له : **« تعال وانظر »** . وقد كان هذا أبلغ برهان يمكن أن يفحمه به . لأنه بالفعل أدّى إلى النتيجة الرائعة التي هدَفَ إليها وتوقعها ، لأن مخلصنا ما إن رأى نثنائيل مقبلاً نحوه حتى أشار إليه كأنه يعرفه من زمان بعيد ، وقال عنه للمجتمعين حوله : **« هوذا حقاً إسرائيلي لا غشّ فيه »** ، لأنه علم عنه أكثر مما يعلمه هو عن نفسه ، ممتدحاً إياه بأنه رجل مستقيم لا يلتوى ، وصادق لا يكذب ، وصریح لا يعرف الغش ولا الرياء ، وهي الصفات التي ينبغي أن تتوفر للرجل الإسرائيلي حقاً ووفقاً لوصايا الله التي أوصى بها بني إسرائيل ( المزمور ٣١ : ٢ ) ؛ (٧٢ : ١) ؛ (يوحنا ٨ : ٣٩) ؛ (روما [رومية] ٢ : ٢٨ و ٢٩) ؛ (٦ : ٩) وقد دهش نثنائيل دهشة عظيمة من قول مخلصنا الذي لم يكن قد رآه قبل ذلك ، وسأله قائلاً **« من أين تعرفني ؟ »** . ولم يكن هذا سؤالاً بقدر ما كان تعبيراً عما أصاب نثنائيل من ذهول وعجب من ذلك الإنسان الذي - مع أنه لم يره إلا في هذه اللحظة - أظهر معرفة كاملة بأعمق أعماق نفسه . وعندئذ ضاعف مخلصنا من دهشته وذهوله وعجبه ، إذ أجاب قائلاً : **« قبل أن يدعوك فيلبس حين كنت تحت شجرة التين . رأيتك »** . وقد كشف له بذلك أنه لا يعرف دخيلة نفسه فحسب ، وإنما يعرف عنه أمراً خاصاً لا يعلم به أحد غير نثنائيل نفسه ، وأمّ نثنائيل ، كما يدلنا على ذلك ما نقله إلينا تقليد قديم ، وهو أنه عندما كان طفلاً

رضيماً ، كان من بين الأطفال الذين انطبق عليهم قرار هيرودس الملك الذي « حين رأى أن الجوس قد سخروا به استشاط غضباً وأرسل فقتل كل الأطفال الذين كانوا في بيت لحم وفي كل نواحيها ، من ابن ستين فأقل ، وفقاً للزمان الذي تحققه من الجوس » (متى ٢ : ١٦) . وإذ انتهت أم نثنائيل وضعت طفلها في سفت ، وحملته إلى أعلى شجرة التين وخبأته بين أغصانها . فدخل الجند بيتها ولم يجدوا في البيت طفلاً فخرجوا ، وهكذا نجح الطفل نثنائيل من موت محقق .. هذه القصة التي لم يعرفها إلا نثنائيل وأمه التي أخبرته بها هي التي نقلت إيمان نثنائيل فجأة من شخص كان متردداً أن يجيء إلى يسوع المسيح بعد أن علم أنه من الناصرة ، بل قال لفيلبس الذي دعاه « أيمكن أن يخرج من الناصرة شيء صالح ؟ » إلى شخص يقول ليسوع الناصري بانهار « يامعلم أنت ابن الله . أنت ملك إسرائيل » (يوحنا ١ : ٥٠) . ذلك لأنه سمع من الرب يسوع قوله له « حين كنت تحت شجرة التين رأيتك » ، أى حين لم يبصرك أحد وأنت تغطيك الأغصان قابلاً في سَفَطِ في تعريشة التينة ، أنا رأيتك .. عندئذ أدرك نثنائيل - وهو عالم بالكتب المقدسة وأسفار الأنبياء - أن يسوع الناصري ليس إنساناً ، وإن ظهر في صورة إنسان ، إنه صورة الله الغير المنظور ، إنه ابن الله (متى ١٤ : ٣٣) على الحقيقة ، من ذاته ومن طبيعته ، وإنه بالتالى « ملك إسرائيل » المسيح الموعود به في نبوءات الأنبياء . إذ كانت النبوءات عن المسيح ابن الله تقول إنه حين يجيء سيكون ملك اليهود ويجلس على عرش إسرائيل (يوحنا ١٨ : ٣٧) .

وإذ رأى مخلصنا أنه آمن بكل هذه السرعة وكل هذا الصدق وكل هذا العمق ، لمجرد أنه وجده عالماً بأمور خاصة به لا يعرفها عنه أحد غيره ، أراد له المجد أن يوطد إيمانه ويؤكد صدق الشهادة التي هتف بها . فقال له : « لأنى قلت لك إنى رأيتك تحت شجرة التين آمنت ؟ لسوف ترى أعظم من هذا » . أى أنه سوف يرى براهين أقوى وأروع من هذا البرهان على أنه هو المسيح ابن الله ، وذلك

حين يرى المعجزات الغريبة العجيبة الإلهية التي سيصنعها ، إذ يقيم الموتى ويشفي المرضى ويُخرج الشياطين وغير ذلك من الآيات الرائعة بكلمة منه . ثم قال مخلصنا لثنائيل ولسائر الموجودين : « الحق الحق أقول لكم إنكم سترون السماء مفتوحة ، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان » . أى أنه بتعاليمه السماوية ومعجزاته الإلهية سيزيل الحاجز بين الأرض والسماء فيرى الناس السماء مفتوحة أمامهم (إشعياء ٦٤ : ١) ؛ (حزقيال ١ : ١) ؛ (ملاخي ٣ : ١٠) ؛ (متى ٣ : ١٦) ؛ (مرقس ١ : ١٠) ؛ (لوقا ٣ : ٢١) في عهد النعمة الذي جاء به مخلصنا ، بتكفيره عن خطايا البشر ، بعد أن كانت السماء مغلقة في عهد النعمة ، حين كانوا لا يزالون رازحين تحت نير خطاياهم . ولما كان الملائكة هم خدام ابن الله قبل أن يحيى من السماء إلى العالم ، فإنهم سيظلون يخدمونه بعد مجيئه إلى العالم . وهم لا يفتأون لهذه الغاية يصعدون وينزلون عليه (متى ٤ : ١١) ؛ (مرقس ١ : ١٣) ؛ (لوقا ٢ : ٩ و١٣) ؛ (٢٢ : ٤٣) ؛ (٢٤ : ٤) ؛ (الأعمال ١ : ١٠) . وقد لقب نفسه بابن الإنسان تواضعاً منه وهو ابن الله ، وإظهاراً للناسوته الذي اتحد بلاهوته ، إذ كان حريصاً على أن يكشف للناس هذه الحقيقة ، لئلا تتبلبل أفكارهم بشأنه ، وليعلموا علم اليقين أنه وإن كان إنساناً كامل الناسوت فيما عدا الخطيئة ، كما يدلُّ على ذلك مظهره الإنساني ، فإنه في الوقت نفسه هو ابن الله ، وهو الله ذاته الكامل اللاهوت ، كما تدلُّ على ذلك أقواله وأعماله الإلهية .





## الفصل الثاني

٢ : ١ - ١١

ثم روى القديس يوحنا قصة أول معجزة صنعها محلّصنا بعد ذهابه إلى الجليل بثلاثة أيام . وقد بدأ له المجد يصنع المعجزات ليؤمن الناس بحقيقة شخصه الإلهي ، إذ أعلن يوحنا المعمدان في شهادته عنه أن هذا هو ابن الله . وقد كان هذا الإعلان عن إنسان مثلهم أمراً فوق مدارك البشر ، يصعب على العقل البشري أن يستوعبه ، ولا يسعه لأوّل وهلة إلا أن يكذّبه ، بل أن يسخر منه ويستهزئ به ، لأنه كيف يمكن للعقل البشري أن يصدّق أن الله العظيم الجبار ، الأزلي الأبدي ، المالك السماوات والأرض ، الذي لا بداية له ولا نهاية ، ولا يحده زمان ولا مكان ، ولا يمكن أن يصل إلى كنهه أو مدى قوته أو قدرته أو قد سبته خيال إنسان ، يتنازل هكذا فيأخذ صورة رجل متواضع ، فقير النشأة ، بسيط الرداء ، قليل الغذاء ، لا مضجع له ولا مال ولا منصب ولا جاه ، ولا موضع له بين السادة الأقوياء والأغنياء والوجهاء من أهل هذا العالم ؟ . حقاً لقد كان اليهود ينتظرون مجيء ابن الله في صورة البشر على مقتضى نبوءات أنبيائهم . ولكنهم تصوروه - كما صورهم كهنتهم وفقهاؤهم وعلماؤهم - سيجيء بصخب عظيم في هيئة ملك طاغية ، يملأ الأرض بجيوشه ، ويغطي البحر بأساطيله ، ليخلصهم من ربة الرومان ، ويعيد إليهم مجد مملكة داود وسليمان ، ويفتح العالم كله

ليجعلهم سادة جميع الأمم . وذلك لأن غباوة اليهود وغلظة قلوبهم وعمى بصائرهم وشدة كبريائهم وغطرسهم ، وبشاعة حيوانيتهم وبهيميتهم ، حالت بينهم وبين أن ينكشف لهم ذلك السر الإلهي العجيب الذي أعلنه الله لهم في نبوءات أنبيائهم ، والذي طالما أكَّد لهم في تلميح غامض تارة وفي تصريح واضح تارة أخرى أنه - إذ شاءت حكمته ورحمته خلاص البشر من الهلاك المحكوم به عليهم من العدل الإلهي - قرَّر أن يرسل ابنه الذي هو كلمته في صورة البشر ليُقَدِّم بدمه الكفَّارة اللازمة لذلك الخلاص . وإذ هو قادر على كل شيء ، فهو قادر على تحقيق هذا الذي قرَّره ، على الرغم من قصور العقل البشري عن إدراك الكيفية التي يمكن أن يتم بها ذلك ، لقصور ذلك العقل عن معرفة كنه الله ، وحقيقة طبيعته ، لأنه لا يمكن للجزء أن يحيط بالكل ، ولا يمكن للمخلوق - وهو لا يعرف حقيقة نفسه - أن يعرف بالأحرى حقيقة خالقه . وقد كان السيد المسيح يدرك - وقد جاء في غير الصورة التي كان اليهود يتصورونها - أنهم لن يصدقوا أنه المسيح ابن الله الذي ينتظرونه ، إلا إذا صنع أمامهم - على الرغم من هيئته البشرية المتواضعة - أعمالاً لا يستطيع أن يصنعها إلا الله وحده ، بسلطان لا يمكن أن يكون إلا سلطان الله وحده ، لأنه ليس في استطاعة إنسان ولا في سلطانه أن يصنعها .. ولذلك سميت بالمعجزات ، إذ تعجز كلُّ قوة بشرية عن أن تأتي مثلها .

وقد تبدو المعجزات التي صنعها السيد المسيح ليؤمن به اليهود خارقة لقوى الطبيعة ، بحيث يرتاب في صدقها كثيرون ممن لم يروها بأعينهم . بيد أن ذلك لا يصدر من هؤلاء المرتابين إلا عن سطحية في التفكير ، وجهل بمدى قدرة الله . لأن الإنسان بقدراته الضئيلة واستعداداته المحددة لا يمكن أن يميز في ذلك الكون العظيم المحيط به بين ماهو ممكن وماهو غير ممكن . وبين ما يبدو منها خارقا

لقوى الطبيعة وماهو غير خارق لها ، وبين ماهو موافق لقوانين الطبيعة ومايظهر منها مخالفًا لتلك القوانين . ولأن الله - وهو الخالق الكون ، والمانح الطبيعة قواها ، والواضع لها قوانينها - قادر على أن يدير هذه الطبيعة كيف يشاء ، وأن يدبّر أمورها على مقتضى إرادته التي لا يحدّها حدّ ولا يعوقها عائق ، ولا يحول دون تنفيذها حائل ولا مانع من قوة أو قانون . وإلا كان في قوى الطبيعة وقوانينها ما يحدّ من قدرته وإرادته ، في حين أنه هو مبدعها وواضعها . وهذا غير معقول ولا مقبول . كما أن قوى الطبيعة وقوانينها إذا كانت تحدّ من قدرة الله وإرادته كان ذلك مدعاة إلى القول بعجزه ، وهو تعالى منزّه عن العجز ، لأنه كامل كمالاً مطلقاً . فما نسّميه إذن بالمعجزات - وإن كان معجزاً للناس لأنه فوق قدرتهم - لا يمكن أن يكون معجزاً لله ، لأنه قادر على كل شيء . ( أيوب ٤٢ : ١ ) ؛ ( التكوين ١٨ : ١٤ ؛ لوقا ١ : ٣٧ ) .

فبعد أن ذهب محلّصنا إلى الجليل بثلاثة أيام ، يروى الإنجيل للقديس يوحنا أنه كان ثمة عرس في قانا الجليل . وكانت السيدة العذراء القديسة مريم أم محلّصنا حاضرة في ذلك العرس . كما كان مدعوّاً إليه الرب يسوع هو ( متى ١١ : ١٨ و ١٩ ) وتلاميذه الأوائل الذين كانوا لا يزالون قلائل في ذلك الحين . وقد كان تقديم الخمر من مستلزمات الضيافة عند اليهود ولا سيما في الأعراس ، لأن الخمر لم تكن محرّمة لديهم ( التكوين ٢٧ : ٢٥ و ٢٨ و ٣٧ ) ، وإنما كانوا يعدّونها من بركات الله ودلائل نعمته ( التكوين ١٤ : ١٨ ) ؛ ( إشعياء ٣٦ : ١٧ ) ؛ ( ٦٢ : ٨ و ٩ ) ؛ ( ٦٥ : ٨ ) ؛ ( المزمور ١٠٣ : ١٥ ) ؛ ( يوثيل ٢ : ٢٤ ) . لأنها كانت من عصير العنب الذي تجود به الأرض الطيبة إذا رعاها الله بعنايته ( إرميا ٦ : ٩ ) ؛ ( ٢٥ : ٣٠ ) ؛ ( ٤٨ : ١١ و ١٢ و ٣٣ ) ؛ ( إشعياء ٥ : ٢ ) ؛ ( ١٦ : ١٠ ) ؛ ( ٦٣ : ١ - ٣ ) ؛



(نحميا ١٣ : ١٥) ؛ (أيوب ٢٤ : ١١) ؛ (٣٢ : ١٩) ؛ (متى ٢٦ : ٢٩) . بل لقد كانت الخمر من عصير العنب تقدم للرب كسكيب مع المحرقة اليومية (الخروج ٢٩ : ٤٠) . ومع الباكورات (اللاويين ٢٣ : ١٣) ومع كل أنواع الذبائح (العدد ١٥ : ٥) . وكانت البكور والعشور منها تقدم للرب وللكهنة (الثنية ١٨ : ٤) وكانت الخمر تشرب في أثناء أكل خروف الفصح .

بيد أن الخمر لم تلبث أن نفدت فجأة في ذلك العرس ، فارتبك العريس ، وانتابه حرج شديد إزاء المدعوين ، ومن ثم عطفت السيدة العذراء عليه وأرادت أن تنقذه من ورطته . وكانت تعلم أن ابنها قادر على ذلك ، فقالت له : « ليس لديهم خمر » ، وبهذه العبارة اللبقة القصيرة ناشدته أن يتدخل بقدرته الإلهية المعجزية التي تعرفها عنه دون سائر الناس كي يرفع الحرج عن العريس ويدفع عنه الخجل الذي انتابه من ذلك التقصير في إكرام ضيوفه . ولا سيما أن السيدة العذراء قد لاحظت أن ابنها الإلهي قد بدأ فعلاً في إنجاز رسالته ، فلم يعد ثمة مانع من أن يبدأ في إثبات حقيقة ذاته ، بأن يصنع أمام تلاميذه ما كان ولا ريب يصنعه أمامها هي من معجزاته الإلهية ، لأنها كانت تعرف أنه ابن الله . ولكن مخلصنا فيما يبدو كان يرى أنه ينبغي أولاً أن يقضى وقتاً كافياً في التعليم قبل أن يبدأ في صنع المعجزات ، لأن كل قول وكل عمل كان له وقت محدد لديه ، فلا يقول أو يعمل شيئاً في غير وقته المحدد له . ومن ثم قال لها : « ماشأني ياسيدة وشأنك في هذا ؟ إن ساعتى لم تأت بعد » . أى أن الساعة التي حددتها لصنع المعجزات لم تأت بعد (يوحنا ٧ : ٦) . ومع ذلك فقد كانت مخاطبتها لها - وهو يطلب إليها ذلك تنطوى على كل الاحترام الذى يليق بالابن نحو أمه . لأن قوله لها « ياسيدة » أو « يا امرأة » (يوحنا ١٩ : ٢٥) كان في تقاليد تلك الأيام يدل على أعظم الإجلال والإكرام . ولكنها كانت تعلم أنه - وإن كان قد اعترض على الطلب الذى تقدمت به إليه - سيطيعها كما تعودت منه ذلك (لوقا ٢ :

(٥١) . طاعة الابن البارّ لأمه ، ولا يرفض لها طلباً . كما كانت تعلم كم هو رحم وحنون ومحب ورءوف ومستعد لعمل الخير لكل إنسان وفي كلّ حين . فقالت في ثقة للقائمين بالخدمة في وليمة العرس « ما يأمركم به افعلوه » أى نفنؤوا كل أوامره بكل دقة ، ودون أى مناقشة . وذلك ثقة منها بأنه قد استجاب لطلبها ، ولا بدّ أنها فهمت من لهجة حديثه معها ومن قسّمات وجهه أنه قبل رجاءها ، وأنه على الرغم من أن ساعته لصنع المعجزات لم تأت بعد كما قال لها ، سيصنع المعجزة إكراماً لها .

وقد كان ثمة ستة قدور من الحجر موضوعة هناك للتطهير بالماء وفقاً لسنن اليهود وتقاليدهم ، إذ كانوا بناء على أوامر الشريعة اليهودية وبناء على تعاليم الفقهاء وتعاليمهم لا يفتأون يغتسلون قبل الخروج وبعد العودة ، وقبل الأكل وبعده ، وفي غير ذلك من مختلف المناسبات التي تتجاوز المئات .. « لأن الفريسيين وسائر اليهود لا يأكلون ما لم يغسلوا أيديهم مراراً ، متمسكين في ذلك بما تسلموه من الشيوخ . وإذا عادوا من السوق لا يأكلون ما لم يغتسلوا ، وغير ذلك الكثير من الأمور التي تسلموها وتمسكوا باتباعها ، كغسل الكؤوس والأباريق والأواني النحاسية والأسرة » (مرقس ٧ : ٣ : ٤) . فهم يحتفظون على الدوام في كل بيت من بيوتهم بعدد كبير من الأواني المملوءة بالماء لهذا الغرض . وكانت تلك القدور الستة الموضوعة في بيت العريس من الضخامة بحيث يسع كلٌّ منها بثنيّين أو ثلاثة . والبث مكيال يهودي يُسمّى كذلك « إيفة » (١٠١ الملوك ٧ : ٢٦) ؛ (٠٢ أخبار الأيام ٢ : ١٠) ؛ (إشعياء ٥ : ١٠) ؛ (حزقيال ٤٥ : ١٤) ؛ (الخروج ١٦ : ٣٦) و « الإيفة » لفظ فرعونى الأصل وكان يعادل ٩٩١ و ٢٢ لترًا أو ٧٥ و ٢٢ أقة . ومن ثمّ كانت سعة القدر الواحد من تلك القدور الستة نحو ستة وأربعين لترًا ، أو تسعة وستين لترًا ، مما يدلّ على اتساعه الكبير . فقال محلّصنا للخدم « إملاؤا القدور ماء » فأطاعوه كوصية أمه



السيد المسيح في عرس قانا الجليل (يوحنا ٢ : ١ - ١١)

السيدة العذراء ، وملأوا تلك القدور إلى حافة كل منها بالماء ، وهم لا يدرون ما هو مزعم أن يفعل ، لأن المشكلة كانت الحاجة إلى مزيد من الخمر وليس الماء . بيد أنهم لدهشتهم البالغة وذهولهم العظيم وجدوا أن الماء بمجرد أن وضعوه في القدور تحوّل على الفور إلى خمر ، ولا بدّ أنهم ذاقوها وتأكدوا أنها خمر فعلاً . وقد أمرهم مخلصنا قائلاً « اغترفوا الآن وقدموا إلى رئيس الوليمة » . وكان من عادة اليهود أن يختاروا لكل وليمة رئيساً من رؤساء الكهنة أو أصحاب المراكز العليا ليتصدّر المائدة ، كنوع من التشريف له أو التشرّف به . وقد كان الأمر الطبيعي أن يكون مخلصنا هو رئيس هذه الوليمة بالذات . ولكن يبدو أنه لم يكن قد ذاعت شهرته بالقدر الكافي بعد ، لأنه لم يكن قد بدأ يظهر شخصيته للناس إلا منذ أيام قليلة . ولذلك تصدّر المائدة شخص آخر كان أكثر منه شهرة في ذلك الحين . وكان هو رئيس الوليمة الذي ينبغي أن يقدم إليه الخدم الطعام والشراب قبل غيره . وقد قدّموا إليه من الخمر الجديدة التي تحوّل إليها الماء . ( يوحنا ٤ : ٤٦ ) . فلما ذاق رئيس الوليمة تلك الخمر ، ولم يكن يعلم من أين جاء الخدم بها ، وإن كان أولئك الخدم يعرفون ، دعا العريسَ إليه وقال له : « كل إنسان يُقدّم للمدعوين الخمر الجيدة أولاً ، حتى إذا سكروا قدّم لهم ما هو دونها جودة . أما أنت فأبقيت الخمر الجيدة إلى الآن » ، مما يدلُّ على أن مخلصنا حين انجهدت إرادته - استجابة لشفاعته أمه - لأن يصنع خمرًا بمعجزة ، صنع من الماء أجود أنواع الخمر التي لا تفوقها خمر أخرى من صنع الإنسان .

وليس معنى ذلك أن مخلصنا أباح للناس شرب الخمر ، لأنه قد صنعها في تلك الحادثة لينقذ العريس من ورطة وقع فيها أدت إلى إحراجها أمام ضيوفه من اليهود الذين كانت قد جرت العادة لديهم على تقديم الخمر للضيوف كمظهر من مظاهر تكريمهم . ولم يكونوا يعدونها محرّمة أو نجسة ، وإنما كانوا على العكس

يعدونها نعمة من نعم الله عليهم ، ومن أفضل خيراتہ التي يقدمها إليهم إذا كان راضياً عنهم . كما أنه ليس ثمة في شريعة مخلصنا طعام نجس أو شراب نجس . فإن من تعاليمه أنه « لا شيء مما هو خارج الإنسان إذا دخله يمكن أن ينجسه . وإنما ما يخرج من فم الإنسان هو الذي ينجس الإنسان » ، لأن « كل ما هو في الخارج إذا دخل الإنسان لا يمكن أن ينجسه ، لأنه لا يدخل في قلبه وإنما في جوفه ثم يندفع إلى الخارج .. لأنه من الداخل . من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة . يخرج الزنى والفجور والقتل والسرقة والطمع والحبث والمكر والعهارة والعين الشريرة والتجديف والكبرياء والجهل . فهذه الشرور كلها تخرج من الداخل . وهي التي تتجس الإنسان » . (مرقس ٧ : ١٥ - ٢٣) ؛ (متى ١٥ : ١٠ و ١٧ - ٢٠) .

ولكن مخلصنا مع ذلك ينهى الإنسان عن أن يُفْرِطَ في شرب الخمر حتى يسكر ، مما يؤدي به إلى أن يفقد عقله فيفعل الشرَّ ويُعرض نفسه للهلاك ، إذ يقول مخلصنا لتلاميذه ولسائر المؤمنين به وهو يتحدث عن يوم الدينونة الذي سيجيء فجأة : « فانتبهوا لأنفسكم لتلا تصير قلوبكم مثقلة بالتخمة والسكر والانغماس في المشاغل الدنيوية ، فيفاجئكم ذلك اليوم بغتة » (لوقا ٢١ : ٣٤) .

وقد تلقى تلاميذ مخلصنا عنه ذلك التعليم ونادوا به . ومن ذلك ما قاله الرسل في رسائلهم ، فقد قال بولس الرسول : « قد تنأى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور . لنسلك بلياقة كما في النهار ، لا بالبطر والسكر ... » (روما [ رومية ] ١٣ : ١٢ و ١٣) فالسكر إذن من أعمال الظلمة والشر . ويقول أيضاً : « إن كان أحد مدعو أخاً زانياً أو طماعاً أو عابداً وثناً أو شتاماً أو سيكيراً ... فلا تحاطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا » ( ١ . كورنثوس ٥ :

(١١) . فالسُّكْرُ يُحصَى بين الخطايا الكبار مثله مثل الزنى وعبادة الأوثان . وقد مُنع المسيحيون من مخالطة السُّكَّيرين . وقد صار مقرراً أن السُّكَّيرين يجب أن يُفرزوا من الكنيسة ويمنعوا من شركة المؤمنين . ويقول بولس الرسول أيضاً : « لا تزلُّوا . لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور ولا سارقون ولا طمَّاعون ولا سَكَّيرون .. يرثون ملكوت الله » ( ١ . كورنثوس ٦ : ١٠ ) . فالسُّكَّيرون محرومون من ملكوت الله . ويقول كذلك : « وأعمال الجسد ظاهرة ، التي هي : زنى ، عهارة ، نجاسة ، دعارة ، عبادة الأوثان ، سحر ، عداوة .. حسد . قتل . سُكْر .. وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلتُ أيضاً إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله » ( غلاطية ٥ : ١٩ - ٢١ ) . ثم يقول « لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هي مشيئة الرب . ولا تسكروا بالخمِر الذي فيه الخلاعة » ( أفسس ٥ : ١٧ و١٨ - انظر أيضاً (إشعيا ٥ : ١١ و١٢ و٢٢) ؛ (٢٨ : ١ - ٧) ؛ (هو شع ٤ : ١١) ؛ (إشعيا ٥٦ : ١٢) . وقال بولس الرسول أيضاً بين واجبات وصفات الأسقف والقسيس أن يكون « غير مومن الخمر » ( ١ . تيموثيوس ٣ : ٣ ) . وكذلك الشماسة « يجب أن يكون الشماسة ذوى وقار .. غير مولعين بالخمِر الكثير » ( ١ . تيموثيوس ٣ : ٨ ) . وقال لتلميذه الأسقف تيموثيوس ، وقد كان مريضاً بالاستسقاء « لا تكن في مابعد شرَّاب ماء . بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة » ( ١ . تيموثيوس ٥ : ٢٣ ) . وهذا معناه أن الخمر أبيضت في المسيحية لأسباب علاجية دوائية على أن يكون القدر المسموح به قليلاً ، لأن الكثير منها يؤدي إلى السُّكْر وهو شرٌّ وخطيئة ( ١ . تسالونيكي ٥ : ٦ و٧ )

ويقول القديس بطرس الرسول : « لأن زمان الحياة الذى مضى يكفيننا

لنكون قد عملنا إرادة الأمم سالكين في الدَّعارة والشهوات وإدمان الخمر.. وعبادة الأوثان الحُرمة ، الأمر الذي فيه يستغريون أنكم لستم تركضون معهم إلى فيض هذه الخلاعة عينها مجدِّفين « ( ١ . بطرس ٤ : ٣ و٤ ) . فالخمر في هذه الحالة فضلاً عن أنها تؤدي إلى هلاك الجسم ، تؤدي إلى هلاك الروح . ففيها مضيعة للإنسان في دنياه وفي آخرته على السواء .

لذلك ، نعتقد أن الخمر التي صنعها الرب يسوع لم تكن خمرا مسكرة ، إذ من غير الممكن أن يتناقض صاحب الشريعة مع نفسه ، ويبيح ما سبق فنهى عنه ، وحدّر منه في الأسفار المقدسة .

جاء في سفر الأمثال « الخمر مستهزئة ، المسكر عجاج ومن يترنح بهما فليس بحكيم » ( ٢٠ : ١ ) وفيه « لاتكن بين شربي الخمر بين المتلفين أجسادهم لأن السكر والمسرف يفتقران والنوم يكسو الحرق ( ٢٣ : ٢٠ ، ٢١ ) ، وأيضا قوله « لمن الويل لمن الشقاوة لمن المحاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب ، لمن ازمهرار العينين . للذين يدمنون الخمر الذين يدخلون في طلب الشراب المزوج . لاتنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حباها في الكأس وساعت مرفرفة . في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان . عينك تنظران الأجنبيةات وقلبك ينطق بأمر ملتوية . وتكون كمضطجع في قلب البحر أو كمضطجع على رأس سارية . يقول ضربوني ولم أتوجع . لقد لكأوني ولم أعرف . متى استيقظ . أعود اطلبها بعد ( ٢٣ : ٢٩ - ٣٥ ) ثم يقول « ليس للملوك .. ليس للملوك أن يشربوا خمرا ، ولا للعظماء المسكر ، لثلا يشربوا وينسوا المفروض ويغيروا حجة بني المذلة . أعطوا مسكرا لهالك وخمرا لمرى النفس يشرب وينسى ( ٣١ : ٤ - ٧ ) . انظر ( أمثال ٢١ : ١٧ ) . ١ . صموئيل ١ : ١٤ - ١٦ ) .

وقد نهى الرب الكهنة عن شرب الخمر وكذلك النذير ..

جاء في سفر اللاويين : « وكلم الرب هرون قائلا : خمرا ومسكرا لاتشرب

أنت وبنوك معك عند دخولك إلى خيمة الاجتماع ، لكي لا تموتوا. فرضاً دهرياً في أجيالكم » ( اللاويين ١٠ : ٩ و ٨ ) .

وجاء في سفر العدد « وكلم الرب موسى قائلاً ... إذا انفرد رجل أو امرأة لينذر نذر النذير لينتذر للرب . فعن الخمر والمسكر يفترز ولا يشرب خل الخمر ولا خل المسكر ... كل أيام نذره لا يأكل من كل ما يعمل من جفنة الخمر ... » ( العدد ٦ : ١ - ٤ ) .

وقد كانت هذه المعجزة التي صنعها مخلصنا إذ حوّل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل هي أول معجزة يصنعها أمام تلاميذه . ونلاحظ أنه في هذه المعجزة حوّل الماء إلى خمر بمجرد إرادته الداخلية وحدها دون أن ينطق بكلمة واحدة ، كما نلاحظ ما انطوت عليه هذه المعجزة وما صاحبها من معان جلييلة ودلالات سامية : إذ نرى كيف أن مخلصنا مع أنه صرّح بأن موعد صنعه للمعجزات علانية لم يكن قد حان بعد ، فإنه تقديراً لمكانة السيدة العذراء مريم وكرامتها عنده استجاب لرجائها وصنع المعجزة التي طلبتها ، ونرى كيف أن مخلصنا مع أنه عاش بتولاً بغير زواج طيلة حياته على الأرض ، بارك الزواج وقُدّسه بحضوره هذا العرس . كما نرى كيف أنه مع أنه التزم حياة التقشف والزهد في متاع الدنيا ومشتياتها ، شارك الناس أفراحهم ومباهجهم البريئة ، في سماحة رفيعة ، ومودة سامية ، حتى إنهم حين أحوجتهم الخمر وفَرَّها لهم كي لا ينقص من فرحهم وبهجتهم ، فعلى الرغم من أنه كان يدعو في ديانته إلى الكمال ، لم يكن يظهر - كما يفعل الداعون إلى الأديان والعقائد - بمظهر التزمّت الشكلي والمغالاة الجوفاء . لأن ديانته لم تكن ديانة الشكليات والمظاهر الزائفة ، وإنما كانت هي ديانة النية النقية ، والطوية البريئة ، والقلب الصادق . ومن ثمّ كانت هي ديانة المحبة والمودة والسماحة والصفاء .

وقد أدّت هذه المعجزة على الرغم من الظروف التي أحاطت بها ، إلى



التيجة التي كان يقصد إليها مُخْلِصًا بصفة أساسية من صنع معجزاته ، وهي أن يُظهر مجده باعتبارهِ المسيح ابن الله ، ليؤمن الناس بهذه الحقيقة . فقد قرّر القديس يوحنا أن تلاميذه الذين كانوا حاضرين معه في العرس ، حين رأوا هذه المعجزة الأولى التي صنعها أمامهم آمنوا به ، أو بالأحرى توطّد وتأكّد إيمانهم به ، إذ كانت بذرة هذا الإيمان قد استقرت قبل ذلك بالفعل في قلوبهم بمجرد أن سمعوا تعاليمه السماوية التي لا يمكن أن تصدر عن إنسان عاديّ ، وإنما عن الله وحده .

٢ : ١٢ - ٢٢

وبعد هذا نزل فادينا إلى كفرناحوم - التي معناها بالعبرية قرية ناحوم - وهي تقع في منطقة الجليل ، على الشاطئ الشمالي الغربي لبحيرة طبرية . وكانت تبعد سَفَر يوم عن قانا الجليل . وقد انتقل إليها بعد ذلك من الناصرة التي كان قد قضى فيها شطراً كبيراً من حياته . ولم يلبث أن جعل من كفرناحوم هذه مقرّاً له ومركزاً لدعوته ، ومن ثمّ قيل عنها إنها مدينته (متى ٩ : ١) . وقد صنع فيها كثيراً من معجزاته . والراجح أنها كانت قائمة في الموضع الذي يسمى اليوم « تل حوم » وهو يبعد نحو ميلين ونصف ميل إلى الجنوب الغربي من مصب نهر الأردن ، ونحو ميلين إلى الجنوب من مدينة « كورازين » التي كانت تقع بالقرب من بحيرة طبرية ، المسماة كذلك ببحر الجليل .

ويقول الإنجيل للقديس يوحنا إن ربنا يسوع له المجد أخذ معه إلى كفرناحوم أمه وإخوته وتلاميذه ، وذلك لأنهم كانوا يلازمونه في كل مكان يذهب إليه ، إذ كانوا هم أسرته . فكان يرعاهم ويعلمهم ، وكانوا همّ يخدمونه ويتعلّمون منه ويتلمذون كلهم عليه ، إذ كانوا همّ الصف الأول من المؤمنين به . وقد يثور

التساؤل عمَّن يكون أولئك الذين يدعوهم الإنجيل للقديس يوحنا إخوته . مع أن السيدة العذراء القديسة مريم لم تكن قد تزوّجت قبل أن تلده من روح القدس ، أو بعد أن ولدته ، وإنما ظلت عذراء طاهرة طوال حياتها . والواقع أن أولئك الذين يقال عنهم إخوته هم في الحقيقة أقاربه ، إذ كان من عادة اليهود أن يقولوا عن الأقارب إنهم إخوة . ومثال ذلك أنه قيل في سفر التكوين عن لوط إنه أخو ابراهيم مع أنه كان ابن أخيه ( التكوين ١٤ : ١٤ ) وقيل عن يعقوب إنه أخو لابان ، مع أنه كان ابن أخته ( التكوين ٢٩ : ١٢ ) . كما قيل عن إخوة لابان إنهم إخوة يعقوب ، مع أنهم كانوا أخواله ( التكوين ٣١ : ٣٢ و٣٧ و٤٦ ) . وقد قيل في سفر اللاويين عن أبناء العم إنهم إخوة . بل إن اليهود كانوا يقولون عن كل بني جنسهم إنهم إخوة . ومن ذلك ماورد في سفر التثنية ، إذ تنبأ موسى لليهود قائلاً « يقيم لك الرب إلهك من وسطك ، من وسط إخوتك ، نبياً مثلي .. قال لي الرب .. أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك » ( التثنية ١٨ : ١٥ و١٧ و١٨ ) . ولذلك فإنه على الرغم من أن يوسف لم يتزوج السيدة العذراء قبل ميلاد السيد المسيح أو بعده ، وبالتالي لم يكن للسيد المسيح إخوة بالمعنى المعروف لهذه الكلمة فكان يقال عن أقرباء أمه وأقرباء يوسف أنهم إخوته . ومثال ذلك أنه جاء في بشارة القديس متى أن السيد المسيح « فيما كان يكلم الجموع ، إذا أمه وإخوته قد وقفوا في الخارج يريدون مخاطبته ، فقال له أحد تلاميذه : هاهم أولاء أمك وإخوتك واقفون في الخارج يريدون مخاطبتك » ( متى ١٢ : ٤٦ و٤٧ ) ؛ ( مرقس ٣ : ٣١ - ٣٥ ) ؛ ( لوقا ٨ : ١٩ - ٢١ ) . كما جاء في بشارة القديس متى أن السيد المسيح « حين جاء إلى وطنه كان يعلمهم في مجامعهم حتى بهتوا وقالوا : من أين له هذه الحكمة وهذه القدرات ؟ أليس هذا هو ابن النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ؟ أوليست أخواته جميعهن عندنا ؟ » ( متى ١٣ : ٥٣ -

(٥٦) ؛ (مرقس ٦ : ٣) . وقد كان يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا الذين قيل عنهم هنا إنهم إخوته هم - كما يتضح من النصوص الأخرى - أبناء خالته ، أخت السيدة العذراء مريم ، التى كان اسمها مريم كذلك ، وكانت زوجة رَجُل يسمى «كلوبا» إذ يقول القديس يوحنا فى بشارته «وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا» (يوحنا ١٩ : ٢٥) . وجاء فى بشارة القديس متى أنه عندما كان السيد المسيح على الصليب «كانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد .. وكانت بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسى» (متى ٢٧ : ٥٥ و٥٦) . ومن ثمَّ فإن مريم زوجة كلوبا وأخت السيدة العذراء التى ذكرها القديس يوحنا فى بشارته ، هى نفسها مريم التى ذكرها القديس متى وقال إنها أم يعقوب ويوسى ، وهما من الذين قيل عنهم إنهم إخوة السيد المسيح ، فى حين أنها كما يتضح هنا أبناء خالته . هذا إلى أن كلوبا أوحلى كان أيضاً أخا ليوسف النجار ، كما يروى يوسايبوس القيصرى . ومن ثمَّ يكون يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا أولاد خثولة السيد المسيح وأولاد عمومته فى الوقت نفسه .

بيد أن أن سيدنا له المجد - وإن كان قد جعلَ فيما بعد من كفرنا حوم مقراً له ومركزاً لدعوته - لم يمكث فيها فى هذه المرة التى ذهب فيها مع أسرته وتلاميذه حين جاء من قانا الجليل ، أياماً كثيرة ، إذ كان لا يفتأ يجول فى أنحاء بلاد اليهود كلها ليعلمهم ويصنع المعجزات لهم وأمامهم . إظهاراً لمجده باعتباره المسيح ابن الله الذى كانوا ينتظرونه .

وبعد ذلك بنحو ستة أشهر كان فصح اليهود قد اقترب ، وهو ذكرى خروج اليهود من مصر (الخروج ١٢ : ١٤) ؛ (التثنوية ١٦ : ١٠ و١٦) ؛ (يوحنا ٢ : ٢٣) ؛ (١ : ٥) ؛ (٦ : ٤) ؛ (١١ : ٥٥) . ومن ثمَّ كان أكبر أعيادهم . وكان يحتشد اليهود فى أثناء الاحتفال به من جميع أنحاء العالم فى أورشليم ، حتى ليقال

إن عدد الذين كانوا يجيئون إليها في ذلك العيد كان يبلغ الملايين . وكانوا يجتمعون في احتفالات صاحبة زاخرة بالرقص والموسيقى . وإذا كان ينبغي أن تقام تلك الاحتفالات بذلك العيد في أورشليم وينبغي أن تتم كل الصلوات والطقوس الخاصة به في هيكلها . صعد محلّصنا إلى أورشليم ودخل الهيكل لأول مرة بعد أن بدأ في إنجاز رسالته . وكان هيكل أورشليم هو مركز العبادة اليهودية ورمز تاريخ اليهود وموضع فخارهم وزهوهم . وقد شيّده الملك سليمان قبل ميلاد المسيح بألف سنة ، وأنفق بإسراف عظيم على بنائه وزخرفته ، حتى لقد احتاج في ذلك إلى عشرة آلاف عامل وألف عربة وألف كاهن في ثيابهم المزركشة ليضعوا أحجاره في أمكنتها بعد أن قام النحاتون بتسويتها وصلقلها . وقد أتى له سليمان بالذهب من ترشيش ، وبالخشب من لبنان ، وبالأحجار الكريمة من اليمن ، ثم بعد سبع سنوات من العمل المتواصل تكامل بناء الهيكل . فكان آية من آيات الدنيا في ذلك الزمان ، ولكن يد الخراب لم تلبث أن امتدت إلى الهيكل مرات عديدة ، إذ كان هدفاً دائماً للغزاة والطامعين ينهبون مابه من كنوز ، ثم يشعرون فيه الدمار . حتى قام هيردوس الكبير بتجديد بنائه ، فأنفق في هذا السبيل أموالاً طائلة ، إذ كان يريد أن يضفي على نفسه مجد سليمان ، وكان يطمع في الوقت نفسه في أن يرضى اليهود الذين كانوا يبغضونه ويرفضونه كملك عليهم . وقد استغرق بناء الهيكل في هذه المرة ستة وأربعين سنة ( يوحنا ٢ : ٢٠ ) ، أصبح بعدها صرحاً ضخماً تحيط به ثلاثة أسوار هائلة . لم يبق منها إلا جدار واحد هو حائط المبكى . ولكن اليهود اعتدوا على قدسيّة هذا الهيكل وأهانوا رونقه وفخامته ، إذ لم يلبثوا أن أحالوه إلى سوق للبيع والشراء . فتزاحم في ساحته بائعو الثيران والكباش والحمام ، حتى امتلأ بهم الرواق وأصبح لبقذارته أقرب إلى مربط البهائم . كما كانت تكتنف الهيكل مكاتب الصيارفة التي لا يفتأ يتعالى منها رنين النقود مختلطاً بصوت مساومات الناس وهم يستبدلون ما بيدهم من

دراهم . فقد كان الكهنة في الأعياد يجمعون الفريضة المقدَّسة القديمة ، أى نصف الشَّاقِل سنويًّا عن كلِّ إسرائيلى - سواء أكان غنيًّا أم فقيرًا - فدية عن نفسه . وكانت هذه الضريبة تُخصَّصُ لخدمة الهيكل ، ولم يكن قانونيًّا أن يؤتى بهذه الفدية من عملة أجنبية ولا سما إذا كانت من النحاس الأحمر أو الأصفر ، المنقوشة بِصُورٍ وثنية أو كتابات كُفريَّة . ولذلك كان اليهود يضطرون لأن يُبدلوا نقودهم إلى العملة المرغوبة ، أى الشاقِل الفضى ، ومن ثمَّ احتل الصيارفة مداخل الهيكل وشاركوا تجار الماشية في تحويل ذلك المكان المقدس إلى سوق للبيع والشراء ، تختلط فيه البهائم بالناس . وتطنى فيه أصوات خوار البقر وثغاء الأغنام على صوت الكهنة وتراتيل اللاويين . وكان الكهنة يشتركون في هذه التجارة ويأخذون ضرائب من التجار ويشاركونهم في أرباحهم . ومن ثمَّ تألم السيد المسيح مما رأى من هوانٍ لبيت الله واستهانة بقدسية هيكله ، إذ وجد في ذلك الهيكل باعة البقر والغنم والحمام ، والصيارفة جالسين إلى مناظدهم ، فصنع سوطًا من الحبال التى كان تجار الماشية يربطونها ويسوقونها بها ، وطردهم جميعًا من الهيكل مع البقر والغنم ، وكبَّ نقود الصيارفة وقلب مناظدهم ، وقال لباعة الحمام « ارفعوا هذه من هنا . ولا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة » . وقد كان مخلصنا وديعًا وداعة كاملة ، رقيقًا رقة السماء الصافية ، حنونًا حنان الأب نحو أبنائه . عطوفًا عطف الراعى على حملانه ، غير عنيف ولا قاسٍ ولا متجهمٍ ولا متهمجٍ ، ولا غَضُوب ولا مشاكس ، وإنما يتصرف ويتكلم في هدوء ورفق وسلام ومسائلة ورحمة وحكمة وصبر وطول أناة . بيد أن هذه الصِّفَات كلها فيه لم تكن تعنى أنه لم يكن يغضب ، أو لم يكن صارمًا وعنيفًا حين تكون الصرامة لازمة والعنف ضروريًّا . لأن وداعته لم تكن ضعفًا فيه ، وإنما كانت فضيلة من فضائله وسجِّيَّة من سجاياه . فإذا تطلب الموقف تصرفًا قويًّا أو كلمة عنيفة ، كان يتصرف ذلك التصرف القوي ، وينطق بتلك الكلمة العنيفة ، كوسيلة من

وسائل التعبير عن الغضب المقدس ، أو كوسيلة من وسائل الردع والقمع والتقويم والتعليم . ولذلك غضب غضباً شديداً حين رأى اليهود قد حوّلوا ذلك المكان الطاهر المقدس المخصّص لعبادة الله إلى مكان أبعد ما يكون عن الطهارة ، أو القدسية ، أو عبادة الله إذ جعلوه سوقاً لتجارة الماشية والطيور واستبدال النقود ، مما يتضمّن أعمال الاستغلال والسرقة . ولما كان الهيكل بالنسبة لمخلصنا هو بيت أبيه السماوى . قال : « لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة » . وهو يشير بذلك إلى نبوءة إرميا النبي عن الهيكل ، إذ يقول لليهود على لسان الله الآب « هل صار هذا البيت الذى دُعى باسمى عليه مغارة لصصوص فى أعينكم ؟ » ( إرميا ٧ : ١١ ) . فلما قال مخلصنا ذلك تذكّر تلاميذه أنه مكتوب فى سفر المزامير « إنّ الغيرة على بيتك أكلتنى » ( المزمور ٦٨ : ٩ ) . ويبدو من ذلك أن التلاميذ قد أذهلهم ذلك الغضب المقدس الذى أبداه معلمهم ، وذلك العمل العنيف الذى قام به ، مع ما عرفوه عنه من وداعة ومسالمة وطول أناة . ولذلك فسّروا غضبه وعُنفه غير المألوفين أو المعروفين عنه ، بغيرته على قدسية هيكل الله ، الذى - وهو المسيح ابن الله - يعدّه بيت أبيه .

وقد حنق اليهود حنقاً شديداً على مخلصنا لأنه فعل هذا بهيكلهم ، مع أنه لم يفعل إلا أن طهّره مما دنّسوه هم به . ولم يروا فى ذلك عملاً من أعمال الخير نحو الله وتكريماً له . وإنما رأوا فيه عملاً من أعمال الشر نحوهم والتعدى عليهم . وإذا كان هذا من أعمال الخير فقد أنكروا على مخلصنا أن يكون هو الذى يقوم به ، لأنه ليس له - فى اعتقادهم - أى صفة فى الهيكل تعطيه السلطان لأن يُطهّره . فلم يكن من رؤساء الكهنة ولا من أعضاء مجلس السهندريم الذين هم عظماء الشعب . ولم يكونوا يعرفون بعد حقيقة شخصيته ، لا باعتباره من خُدّام الهيكل فحسب ، وإنما باعتباره ابن الله ( لوقا ٢ : ٤٩ ) ، فهو ابن صاحب الهيكل ، وباعتباره الله نفسه صاحب الهيكل . ولو كانوا قد فهموا نبوءات

أنبيائهم لعرفوا هذه الحقيقة من نبوءة ملاخى النبي التى تنبأ فيها بأن المسيح ابن الله الذى يتظرونه سيأتى إلى هيكله فى وقت لا يعلمونه ، ويطهره ، ويطهر خدامه من اللاويين المختصين بشئون الهيكل ، إذ يقول : « يأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه .. فيجلس ممحصًا ومنقياً للفضة ، فينتقى بنى لاوى ويصنّفهم كالذهب والفضة ، ليكونوا مقرّبين للرّب تقدمة بالبرّ ، فتكون تقدمة يهوذا وأورشليم مرضية للرّب كما فى أيام القِدَم ، وكما فى السنين القديمة » ( ملاخى ٣ : ١ - ٤ ) . وإذ كان اليهود يعتقدون أنه لا سلطان لأحد فى تطهير الهيكل إلا إذا كان نبياً من الأنبياء الذين يعدّونهم أعظم سلطانا من الكهنة ورؤساء الكهنة . ولما كان البرهان الذى يقدمه النبي على توافر هذا الوصف له ، هو أن يصنع الآيات والمعجزات ( التثنية ١٣ : ١ - ٣ ) ؛ ( ١٨ : ٢١ و ٢٢ ) ؛ ( متى ١٢ : ٣٨ ) ؛ ( يوحنا ٦ : ٣٠ ) ، قالوا لمخلصنا . « أية آية ترينا حتى تفعل هذا ؟ » فأجابهم قائلاً « انقضوا هذا الهيكل وأنا فى ثلاثة أيام أقيمه » . يبدّ أنهم فهموا هذا القول الرمزي فهماً حرفياً ، غير مدركين حقيقة ما يعنيه ، حتى إنهم استندوا إلى هذا المفهوم الخاطيء . حين حاكموه فيما بعد ، حاسبين ما قاله جريمة يستحق عليها الموت ( متى ٢٦ : ٦١ ) ؛ ( ٢٧ : ٤ ) ؛ ( مرقس ١٤ : ٥٨ ) ؛ ( ١٥ : ٢٩ ) . ولذلك قالوا له « فى ستّ وأربعين سنة بنى هذا الهيكل ، أفقيمه أنت فى ثلاثة أيام ؟ » وقد كان بالفعل قادراً - حتى بهذا المفهوم الحرفيّ الظاهريّ - على أن يصنع هذه المعجزة ، لأنه بصِفَتِهِ الإلهية قادر على كل شىء . ولكنه لم يكن يعنى فيما قال هيكل أورشليم ، وإنما كان يتكلّم - كما قرر الإنجيل للقدّيس يوحنا - عن هيكل جسده ، إذ كان يعلم أن اليهود سيقتلونه ، ناقضين بذلك هيكل هذا الجسد ، ولكنه سيقميه بعد ثلاثة أيام ( انظر ١ . كورنثوس ٣ : ١٦ ) ؛ ( ٦ : ١٩ ) ؛ ( ٢ . كورنثوس ٦ : ١٦ ) ؛ ( العبرانيين ٨ : ٢ ) . فكانت هذه أعظم آية من شأنها أن تقنعهم بأنّ له سلطاناً لا أن يعيد بناء

هيكل أورشليم فحسب ، وإنما أن يعيد نفسه هو بإرادته إلى الحياة بعد الموت . فلما صلبوه بعد ذلك بنحو ثلاث سنوات ، ومات على الصليب ، ثم قام من بين الأموات بسلطانه وإرادته وحدها ، تذكر تلاميذه أنه قال لهم هذا ( لوقا ٢٤ : ٨ ) . فآمنوا - أو بالأحرى توطد إيمانهم - بأن هذا هو حقاً المسيح ابن الله ، على مقتضى النبوءات التي وردت في العهد القديم عنه ، وتحققوا من أن الكلمة التي قالها مخلصنا عندئذ لليهود كانت حقاً وصدقاً ، إذ رأوا بأعينهم أنها تمت بالفعل كما قالها .

٢ : ٢٣ - ٢٥

وإذ كان قاديانا في أثناء رحلته تلك إلى أورشليم في عيد الفصح قد قام بالتعليم كمعلم إلهي ، وصنع بعضاً من معجزاته التي لا يمكن أن يصنعها إلا الله وحده ، بهر بتعاليمه ومعجزاته الجموع الضخمة التي كانت مجتمعة في تلك المدينة وفي هيكلها في أثناء ذلك العيد ، ومن ثم آمن به كثيرون منهم ، باعتباره المسيح الذي ينتظرونه ، أو على الأقل باعتباره نبياً عظيماً من الأنبياء . بيد أن قاديانا كان يعلم طبيعة اليهود المتقلبة . وما يتصفون به من تسرع فيما يقولون ويعملون ، ومن جهل يجعل عقولهم وقلوبهم غير مستقرة كالسحابات في مهب الريح ، ومن جبن يدفع بهم إلى التراجع أمام رؤسائهم عن كل اعتقاد يعتقدونه ولو كانوا مقتنعين به ، ومن نفاق يبدونه أمام أولئك الرؤساء . تملقاً لهم وكسباً لرضائهم عنهم ، ومن شر ومكر وغدر وخديعة وخيانة حتى لمن أسدوا إليهم الخير وأخلصوا في خدمتهم وفي بذل النصيحة الصالحة لهم . ومن ثم فإن قاديانا لم يكن يأمنهم على الرغم مما أبدوه من إيمان به . وقد سبق لهم أن قتلوا أو اضطهدوا كل الأنبياء ( متى ٢٣ : ٢٩ - ٣٦ ) ؛ ( الأعمال ٧ : ٥١ و ٥٢ ) . الذين جاءوا لتعليمهم وتقويمهم وإرشادهم إلى طريق الله ، بعد أن كفروا به وعبدوا الأوثان من دونه .



ولذلك لم يكن فادينا له المجد يثق فيهم أو يأمن جانبهم ، لأنه كان عارفاً بدخيلة نفس كل واحد منهم .. ( ١ . صموئيل ١٦ : ٧ ) ، كما يعرف بعلمه الإلهي دخيلة نفوس الناس جميعاً ( ١ . أخبار الأيام ٢٨ : ٩ ) ؛ ( متى ٩ : ٤ ) ؛ ( مرقس ٢ : ٨ ) . فلم يكن - وهو فاحص القلوب ( الأعمال ١ : ٢٤ ) ؛ ( الرؤيا ٢ : ٢٣ ) والمطلع على السرائر والأسرار - بحاجة لأن يخبره أحد عمماً بيدي أى إنسان أو يبطن من طبيعته أو طبعه ، إذ أنه يعلم أدق العلم وأعمقه وأصدق ما فى الإنسان من خير أو شر ( يوحنا ٦ : ٦٤ ) ؛ ( ١٦ : ٣٠ ) ، ومن فساد أو بر ، ومن صدقٍ أو نفاق ، ومن كُلى صفة من الصفات ، أو مبدأ من مبادئ الأخلاق .





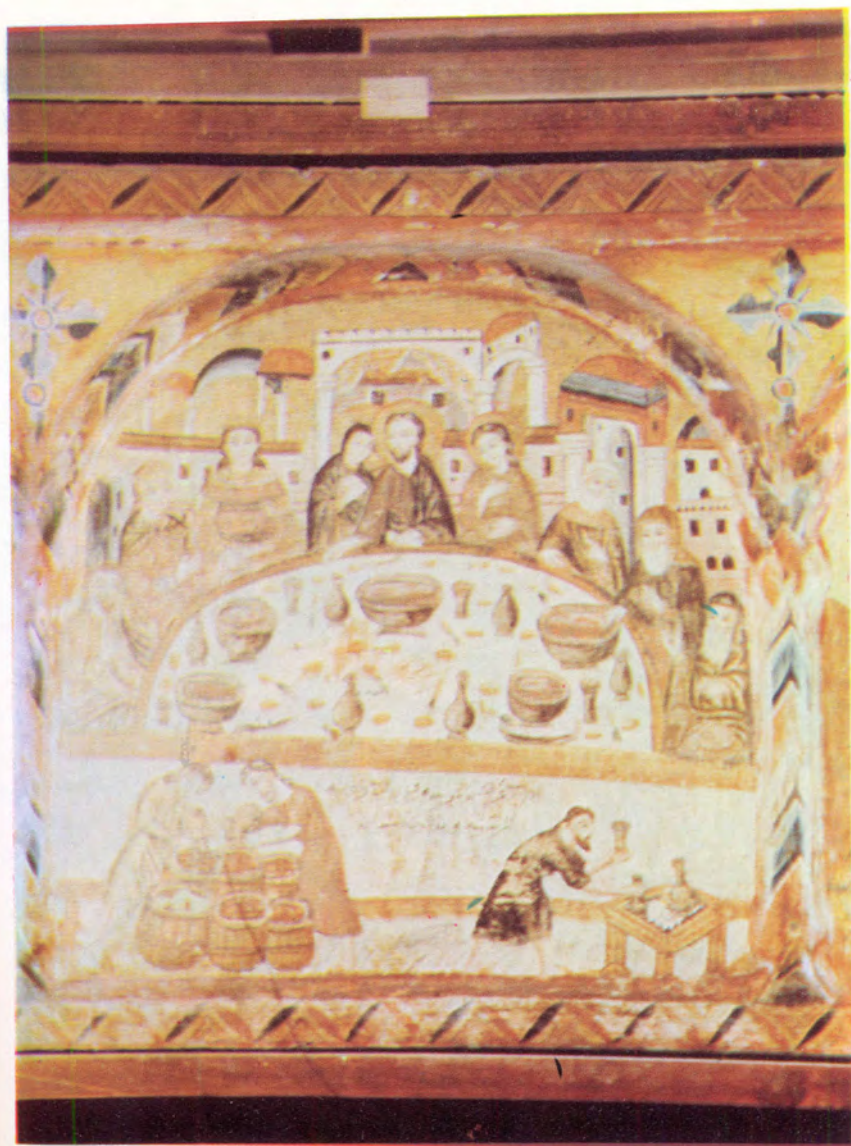
## الفصل الثالث

٣ - ١ - ٢١

وكان ممن آمنوا بفادينا الحبيب حين كان يبشر في أورشليم ويصنع المعجزات في عيد الفصح رجل اسمه نيقوديموس ، كان رئيساً من رؤساء اليهود وعظيماً من عظمائهم ( يوحنا ٧ : ٥٠ ) ؛ ( ١٢ : ٤٢ ) ؛ ( ١٩ : ٣٩ ) ، إذ كان عضواً بالمجلس الأعلى لهم ، وهو مجلس السنهدريم . كما أنه كان فقيهاً من فقهاءهم وعالماً من علمائهم ، إذ كان من الفريسيين الذين اشتهروا بدراسة الكتب المقدسة لديهم ، والإفتاء في شئونهم الدينية ، وإن كان أغلبهم من المرائين المنافقين الذين يقولون مالا يعملون ، ويتظاهرون بالورع والتقوى ، في حين كانوا في داخلهم أشراراً فاسدين ، يتاجرون بالدين ، ويتحايلون لمخالفة أحكامه في تصرفاتهم وكل شئون حياتهم ، متخذينه وسيلة لإمتاع أنفسهم وإشباع أهوائهم وشهواتهم . فحين سمع نيقوديموس هذا تعاليم سيدنا له المجد ورأى معجزاته الإلهية أدرك أنه ليس إنساناً عادياً ، وإنما نبياً من الأنبياء ظهر بينهم بعد انقطاع ظهور الأنبياء بمئات السنين ، فعقد العزم على أن يلتقي به على انفراد ليتأكد من حقيقة شخصيته . ولكنه إذ كان حريصاً على منصبه الكبير ومنزلته الرفيعة بين اليهود ، حتى أن يذهب إليه علانية لئلا يعرض للخطر ذلك المنصب وتلك المنزلة ، بعد



تجلي السيد المسيح على الجبل



## المعجزة في عرس قانا الجليل

ليس إلهة خلفنا ، فقلد العرس على الذي يلقى به على تعراد ليشكك من حقيقة شخصه ، ولكنكم إلا كان حرمنا على بضعة الكعب ومبرهه الرقيقة بين اليهود ، نحن لم نذهب إلى الصلاة إلا بمرغى من تلك النسب وتلك المزة ، بعد

أن رأى مخلصنا يتحدّى رؤساء الكهنة وغيرهم من كبار الرؤساء ، إذ نَسَبَ إلى نفسه السلطان في أن يطهر هيكَل أورشليم ويطرد منه كُلَّ التجار والصارفة الذين كانوا يقتسمون أرباحهم مع أولئك الرؤساء المسئولين عن ذلك الهيكل . كما أنه خشي بوصفه فريسيًّا أن يتعرَّض لسخط الفريسيين الذين كانوا يحتكرون النفوذ والاحترام بين سائر اليهود ويكرهون أن ينافسهم أحد في ذلك النفوذ وذلك الاحترام . ومِنْ ثَمَّ جاء ليلتقي بمخلصنا ليلاً تحت جناح الظلام حتى لا يراه أحد من أولئك أو هؤلاء ، وإن كان قد برهن - بعد ذلك بنحو ثلاث سنوات - على أنه قد اكتمل إيمانه به وتوطَّد يقينه بحقيقة شخصيته حين حاكمه رؤساء اليهود ليقضوا عليه . فجاهرَ بذلك الإيمان وأعلن ذلك اليقين صراحة وفي غير خفاء ، إذ اعترض على حكم أعضاء السنهدريم عليه بالموت (يوحنا ١٢ : ٤٢) ، كما اشترك مع يوسف الرامي علانية في تكفينه ودفنه (يوحنا ١٩ : ٣٩) .

وقد بدأ نيقوديموس حديثه مع ربنا له المجد حين أتى إليه في تلك المرة الأولى قائلاً له : « يا معلم ، نحن نعلم أنك جئت من الله معلِّماً ، لأنه ما من أحد يقدر أن يصنع هذه الآيات التي أنت تصنع ما لم يكن الله معه » . ومع أنه كان من عظماء اليهود ، وكان من الفريسيين المتعاضمين ، فقد خاطب سيِّدنا بكل احترام ، ملقِّباً إياه بالمعلم ، وهو لقب لم يكن اليهود يخاطبون به إلا عظماءهم وعلماءهم (متى ٢٢ : ١٦) مما يدلُّ على اقتناعه بأنه أمام شخصية سماوية سامية . وقد أيد ذلك الاقتناع بقوله له إنه مع كل الذين آمنوا به حينذاك يعلمون - بعد أن سمعوا تعاليمه - أنه جاء ، لا بتعليم أرضيٍّ تلقته من الناس ، وإنما بتعليم سماوي تلقاه من الله نفسه (يوحنا ٣ : ٢٧ و٣١ - ٣٤) ، وأن الله أرسله ليكون معلِّماً . فلم يكن ذلك اللقب الذي يخاطبه به في بدء حديثه معه منحة من الناس إكباراً له ، لأن الناس كثيراً بل غالباً ما يلقبون به ذوى النفوذ

بينهم ، خوفاً منهم ، أو تملقاً لهم ، أو نفاقاً لا يعبرون به عن مشاعرهم الحقيقية نحوهم ، وإنما استحقَّ محلَّصنا هذا اللقب من لدن الله الذي أرسله . وقد أدرك نيقوديموس هذه الحقيقة - وهو الرجل المثقف والفقير المتمكّن - من بديهية استند إليها ، وهي أنه مامن أحد يقدر أن يصنع هذه الآيات والمعجزات التي يصنعها محلَّصنا ما لم يكن الله معه ( يوحنا ٩ : ١٦ و ٣٠ - ٣٣ ) ؛ ( الأعمال ٢ : ٢٢ ) ؛ ( ١٠ : ٣٨ ) ، لأنها آيات ومعجزات لا يقدر أن يصنعها إلا الله وحده . وإذا كانت هذه الحقيقة التي توصل إليها نيقوديموس مجرد استنباط عقلي ، أراد محلَّصنا أن يرتفع به فوق مستوى العقل البشرى الدينوى إلى الآفاق العليا الروحية السماوية ، ليدرك الحقائق إدراكاً روحياً لا عقلياً . فأجابه قائلاً له : « الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق ، لا يمكنه أن يرى ملكوت الله » . أى أن الإنسان ينبغي أن تتطهَّر روحه طهارة كليَّة وكاملة ، حتى تصبح روحاً لا تنتسب إلى الأرض التي تتدنس الأرواح فيها وتتنجس وإنما تنتسب إلى السماء التي لا تسكنها إلا الأرواح الطاهرة طهارة كليَّة وكاملة ، بحيث تغدو روحه قد وُلدت ولادة ثانية وجديدة وسماوية ، غير الولادة الجسدية الأولى التي بدأت بها حياته على الأرض . لأنه بغير ذلك لا يمكن للروح الأرضية أن تدرك غير الأرضيات ، فلا يمكنها إلا بتلك الولادة الثانية الجديدة السماوية أن تغدو روحاً سماوية تدرك ملكوت الله الذي هو حياة السماء ، ومن ثمَّ لا يمكنها إلا بذلك أن تدخل ذلك الملكوت ( يوحنا ١ : ١٣ ) ؛ ( يعقوب ١ : ١٨ ) ؛ ( ١ . بطرس ١ : ٢٣ ) ؛ ( ١ . يوحنا ٣ : ٩ ) .

ولكن نيقوديموس - على الرغم من أنه عالم وفقير - فهم حديث فادينا عن الولادة الثانية فهمًا حرفياً سطحياً ينطوى على السذاجة والجهل ، إذ أجاب قائلاً : « كيف يمكن أن يولد إنسان وهو شيخ ؟ أَلَعَلَّه يقدر أن يدخل مرة أخرى

في بطن أمه ثم يولد؟». وبذلك برهن نيقوديموس على أنه لم يكن يختلف كثيراً في عقلية عن سائر الفريسيين الذين - على الرغم من تظاهرهم بالعلم وتصديهم للتعليم وقسره الناس على أن يلقبوا كلاً منهم بالمعلم - كانوا في الواقع جهلاء يفسرون نصوص الكتب المقدسة تفسيراً حرفياً سطحياً ساذجاً ، يخرج بها عن معناها الحقيقي ، ويعلمون البسطاء من الناس على هذا النحو . فكان ينطبق عليهم القول إنهم «عميان قادة عميان» (متى ١٥ : ١٤) ؛ (٢٣ : ١٦ و ٢٤) ، ومن ثم أراد مخلصنا أن يفتح بصر نيقوديموس وينير بصيرته ، ليكتسب مزيداً من الفهم ، شأن المعلم الذي يجد أن تلميذه لم يفهم تعليمه ، فيسهب في الشرح والتوضيح له ، فقال له : «الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح . لا يمكن أن يدخل ملكوت الله . فالمولود من الجسد هو جسد والمولود من الروح هو روح . لا تعجب إذ قلت لك إنكم ينبغي أن تولدوا ثانية من فوق . فإن الريح تهب إلى حيث تشاء ، وأنت تسمع صوتها ، ولكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب . هكذا كل مولود من الروح» .

وقد أنشأ مخلصنا بهذا القول سرَّ العباد لا بالماء وحده كما كان يفعل يوحنا المعمدان لتطهير الجسد ، كمقدمة لتطهير الروح (متى ٣ : ١١) ؛ (مرقس ١ : ٨) ؛ (لوقا ٣ : ١٦) ؛ (يوحنا ١ : ٢٦) وإنما بالماء والروح القدس معاً (أفسس ٥ : ٢٦) ؛ (تيطس ٣ : ٥) كوسيلة فعلية ومباشرة لتطهير الروح تطهيراً فعلياً ومباشراً ، ولغفران الخطايا السالفة ونيل الخلاص (مرقس ١٦ : ١٦) ؛ (الأعمال ٢ : ٣٨) . وقد كانت هذه من أهم وصاياها لتلاميذه قبل صعوده إلى السماء ، إذ قال لهم : «فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨ : ١٩) . وذلك لأن الإنسان مالم يتم عمادته بالماء والروح لا يمكن أن يغير طبيعته الجسدية المادية الأرضية التي تنجست بالخطيئة

التي ورثها البشر عن جدّهم الأول آدم ، فأصبحوا جسديين أرضيين يتجهون بكل كياناتهم إلى إرضاء شهواتهم الجسدية الأرضية النجسة ، فضعفت فيهم الطبيعة الروحية السماوية الطاهرة التي كانت متحدة بأجسادهم حين خلقهم الله في بدء الخليقة . ومن ثمّ فما لم يغيّر الإنسان هذه الطبيعة الجسدية الأرضية النجسة إلى طبيعة روحية سماوية طاهرة ، حتى يولد ولادة ثانية وجديدة ، لا يمكنه أن يحيا حياة السماء التي هي ملكوت الله ، وبالتالي لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله ، ولا ينبغي لنيقوديموس أو لغيره من الناس أن يتساءل في دهشة وعجب عن ماهية هذه الولادة الثانية من الروح ، لأن هذه الولادة الروحية تتم في الحفاء بروح الله . ومع ذلك تفعل فعلها وتترك أثرها ، لأنها ليست ولادة جسد من جسد ، أى ولادة جسدية مادية يدركها الإنسان بحواسه البشرية المادية ، وإنما هي ولادة روح من روح . فمثّلها في ذلك مثل الريح التي لا يعلم الإنسان من أين تأتي ولا إلى أين تذهب ، ومع ذلك يحسُّ بهبوبها ويسمع صوتها . فالروح تشبه الريح ( ١ . كورنثوس ٢ : ١١ ) . ولعلها أخذت اسمها منها . وقد أدرك تلاميذ مخلصنا هذا التشابه بينها فقال القديس لوقا كاتب سفر أعمال الرسل إن التلاميذ حين كانوا مجتمعين في يوم الخمسين بعد صعود ربنا له المجد : « صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملاً كل البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأ الجميع من روح القدس » ( الأعمال ٢ : ٢ و ٣ ) .

يبد أن نيقوديموس ظل مع ذلك غير مدرك بعقله الجسدى ذلك الشرح الروحي ، لأن طبيعته الجسدية كانت لا تزال غالبية على الطبيعة الروحية التي أماتها فيه حياة الجسد ، فتساءل قائلاً في دهشة : « كيف يمكن أن يكون هذا ؟ » . وإذ رأى مخلصنا مقدار جهل هذا الذي يعدّه بنو إسرائيل معلماً لهم



وعالمًا بكل ماجاء في كتبهم ، وبَّخَهُ قائلاً « أنت معلّم إسرائيل ولا تعلم هذا؟ » فلو أنه كان عالمًا حقًا بنبوءات العهد القديم حتى يتخذ لنفسه لقب المعلم ، لأدرك معنى الولادة الثانية الجديدة التي تحدّث عنها مُخلِّصنا ، لأنها قد ورد ذكرها كثيرًا في تلك النبوءات ، ومن ذلك قول حزقيال النبي لبني إسرائيل : « اطرخوا عنكم كل معاصيكم التي عصيتم بها واعملوا لأنفسكم قلبًا جديدًا وروحًا جديدة » ( حزقيال ١٨ : ٣١ ) . وقوله : « هكذا قال السيد الرب .. أرشُّ عليكم ماء طاهرًا ، فتطهرون من كل نجاستكم .. وأعطيتكم قلبًا جديدًا وأجعل روحًا جديدة في داخلكم ، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيتكم قلب لحم ، وأجعل روحي في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها .. وأخلِّصكم من كلِّ نجاساتكم » ( حزقيال ٣٦ : ٢٥ - ٢٩ ) .

ثم قال معلّمنا الإلهي لنيقوديموس : « الحقّ الحقّ أقول لك إننا نتكلّم بما نعلم ونشهد بما رأينا ، ولكنكم لا تقبلون شهادتنا . إن كنت قد كلمتكم عن الأرصاديات ولم تؤمنوا ، فكيف تؤمنون إن كلمتكم عن السمائيات ؟ . مامن أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذي نزل من السماء : ابن الإنسان الذي هو في السماء » . وهكذا فإن فادينا على الرغم من أنه وبَّخَ نيقوديموس على جهله ، أراد أن يوطّد إيمانه به ، ذلك الإيمان الذي دفع به لأن يجيء تحت جناح الظلام إليه ، مخاطرًا بمركزه الرفيع في المجتمع اليهودي ، فأكدّ له أنه إن كان قد تكلم معه عن الولادة الثانية من فوق ، فهو إنما يتكلّم بما يعلم ويشهد بما رأى ( يوحنا ١ : ١٨ ) ؛ ( ٧ : ١٦ ) ؛ ( ٨ : ٢٨ ) ؛ ( ١٢ : ٤٩ ) ؛ ( ١٤ : ٢٤ ) . لأنه من الله جاء ( يوحنا ١٦ : ٢٨ ) . وإذا كان قد تكلم عن بعض أسرار السماء التي هي ملكوت الله ، فهو صادق لأنه يعلم بما في السماء التي جاء منها والتي رأى بنفسه

ما فيها ، لا كما يعلم ويشهد سائر الأنبياء ، لأن هؤلاء إنما اكتسبوا علمهم  
 واستمدوا شهادتهم من وحى الله إليهم بأمر لم يروها بأنفسهم ( ٢ . بطرس ١ :  
 ٢١ ) . وأما هو فإنه يَعْلَمُ بصفته ابن الله وبصفته الله نفسه ( متى ١١ : ٢٧ )  
 ويشهد بما رأى في ملكوت أبيه وملكوته هو نفسه . ومع ذلك فإن اليهود  
 لا يقبلون شهادته ( يوحنا ٣ : ٣٢ ) ، لأنهم يجهلون نبوءات أنبيائهم عنه ، ومن  
 ثمَّ يجهلون حقيقة شخصيته . وقد كَلَّمهم عن الأسرار الإلهية بنفس اللغة التي  
 يتكلمون بها عن الأرضيات ، كى يُيسِّرَ لعقولهم المحدودة القاصرة أن تفهم تلك  
 الأسرار العالية جداً والسامية جداً والتي ترتفع كثيراً عن أن تدركها تلك  
 العقول ، مستخدماً التشبيهات والأمثال وغيرها من شئون الحياة الأرضية التي  
 يعرفونها ويألفونها ، ليساعدهم على فهم الحياة السمائية ، ومع ذلك لم يؤمنوا ،  
 لظلام عقولهم وغلظة قلوبهم ، فكيف يؤمنون إن كَلَّمهم عن السمائيات كما هي  
 بغير تبسيط أو تشبيه أو مثال أو بأى أسلوب من أساليب الإيضاح والشرح  
 والتفسير ؟ . وإذا كان ذلك عسيراً على اليهود بالفعل ، فإن فادينا أراد أن يأخذ  
 بيد نيقوديموس ليؤمن به الإيمان الكامل ، فاستمر يميظ له اللثام عن حقيقة  
 شخصيته ليتأكد من أن مايقوله صدق وحق ، وصارحه بطبيعته الإلهية التي  
 لا يشاركه فيها أى نبي من الأنبياء أو معلّم من معلّمي الأرض ، وهى أنه - وهو  
 ابن الله وهو الله نفسه الذى فى السماء - قد نزل من السماء ( يوحنا ٦ :  
 ٣٣ و٣٨ و٥١ ) ؛ ( ١ . كورنثوس ١٥ : ٤٧ ) ؛ ( يوحنا ١ : ١٨ ) . واتخذ  
 جسد ابن الإنسان كى يتم عمل الفداء الذى رسمته الرحمة الإلهية لخلاص  
 البشر . وإذا اتحدَ لاهوته بناسوته اتحاداً كاملاً فهو ابن الإنسان المقيم فى  
 الأرض ، وهو فى الوقت نفسه ابن الله المقيم فى السماء . وبعد أن يتم رسالته  
 الجليلية النبيلة التي جاء من أجلها سيصعد إلى السماء ( يوحنا ٦ : ٦٢ ) كما نزل  
 من السماء ( يوحنا ١٦ : ٢٨ ) ؛ ( الأعمال ٢ : ٣٤ ) ؛ ( أفسس ٤ : ٩ و١٠ )

« مامن أحدُ صعد إلى السماء إلا ذلك الذي نزل من السماء » وقد جاء في سفر  
الامثال « مَنْ صعد إلى السماوات ونزل . مَنْ جمع الريح في حفتيه . مَنْ صرَّ  
المياه في ثوب . مَنْ ثبَّت جميع أطراف الأرض . ما اسمه وما اسم ابنه إن  
عَرَفْت ؟ » (الأمثال ٣٠ : ٤) .

ثم استرسل فادينا له المجد يشرح لنيقوديموس هذا السرَّ العجيب الذي أفضى  
به إليه قائلاً إنه « كما رفَع موسى الحية في البرية ، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن  
الإنسان ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية ، لأنه إلى  
هذا المدى أحب الله العالم حتى إنه بذلَ ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كلُّ مَنْ  
يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية . لأنَّ الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين  
العالم ، وإنما ليخلص به العالم . فالذي يؤمن به لا يُدان . وأما الذي لا يؤمن به  
فقد أدين ، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد . وهذه هي الدينونة : أن النور  
جاء إلى العالم ، وأحبَّ الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت  
شريرة . فإن كل من يفعل الشر يبغض النور . ولا يقبل إلى النور لئلا تفتضح  
أعماله الشريرة وتتويخ . وأما مَنْ يفعل الحق فإنه يقبل إلى النور ، لكي يظهر أن  
أعماله إنما أتتها في الله » .

وفي هذه العبارة يميظ مخلصنا اللثام عن سرِّ تجسُّده وسبب مجيئه إلى العالم ،  
إذ ضربَ لنيقوديموس - كى يفهم هذا السرَّ - مثلاً من التوراة التي هو من علماءها  
والمتفقيين فيها ، وهو أنَّ بنى إسرائيل حين كانوا في صحراء سيناء تدمروا على الله  
وعلى موسى النبي « قائلين لماذا أصعدتَمانا من مصر لنموت في البرية لأنه لا خبز  
ولاماء ، وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف ، فأرسل الربُّ على الشعب  
الحيات المحرقة فلدغَت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل .. فصَلَّى موسى  
لأجل الشعب . فقال الربُّ لموسى : اصنع لك حيةً محرقةً وضعها على سارية ،

فكل من لدغ ونظر إليها يمجا . فصنع موسى حيةً من نحاس ووضعها على السارية . فكان متى لدغته حيةٌ إنساناً ونظر إلى حية النحاس يمجا » ( العدد ٢١ : ٤ - ٩ ) . وقد كانت هذه القصة رمزاً للغرض الذي جاء من أجله مخلصنا إلى العالم . فكما كانت خطيئة بني إسرائيل نحو الله وحكمه بالموت عليهم ، هكذا كانت خطيئة آدم نحو الله ومن بعده جميع البشر سبباً في غضب الله وحكمه بالموت عليهم . وكما رفع موسى الحية على سارية في البرية لكي لا يهلك كل من نظر إليها . هكذا رتب رحمة الله أن يرسل ابنه إلى العالم ليتخذ جسداً إنساناً ويكفر عن خطايا البشر ويفديهم ، بأن يموت مرفوعاً على خشبة الصليب ( يوحنا ٨ : ٢٨ ) ؛ ( ١٢ : ٣٢ ) ؛ ( كولوسي ٢ : ١٤ ) ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية ( يوحنا ٣ : ٣٦ ) . وذلك أن الله أحب البشر الذين في العالم لأنهم خليقته ، وقد بلغ من قوة هذا الحب وعمقه أن الله الأب ارتضى - كى ينقذ البشر من الهلاك والموت الأبدى - أن يفديهم بابنه الوحيد الذى هو وحده المتحد به ومعه اتحاداً كاملاً ، لأنه من ذات جوهره ، فهو ليس ابناً له بذات المعنى الذى تتضمنه بئوة البشر لله . وإنما هو ابنه بمعنى آخر لا يشاركه فيه أحد أبداً ، ولذلك قيل عنه إنه الوحيد ، لأن كيانه هو ذات كيانه ، وطبيعته هى ذات طبيعته ، فهو وإن كان يدعى ابنه للتعبير عن مدى قوة صلته به ، فإنه واحد معه ( يوحنا ١٠ : ٣٠ ) . فهو ابن الله ، وهو فى ذات الوقت الله نفسه متجسداً . وهذا سرٌّ من أسرار الطبيعة الإلهية كشفه لنا مخلصنا ، وإن كانت عقولنا البشرية المحدودة لا يمكن أن تستوعبه أو تصل إلى مدى ارتفاعه وغلوه وسموه ، فإن الله إذ أحبَّ البشر الذين فى العالم إلى هذا المدى ، حتى إنه بذل ابنه الوحيد ليفديهم ، ويكفر عن خطاياهم كى يعفو عنهم ، فإنَّ « الله يبين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا » ( روما [رومية] ٥ : ٨ ) . فإنَّ أحدًا من البشر لا يستحقُّ هذا الحب ولا هذا البذل ولا هذا

الفداء ولا هذا العفو ، إلا إذا آمن بأن الله فعل ذلك من أجله ، وبالتالي إذا آمن بأن يسوع هو المسيح ابن الله فادى البشر ومُخْلِصهم . فكل مَنْ يُؤمن به على هذا الوجه وبهذا المعنى لا يهلك تنفيذًا للحكم الذى أصدرته العدالة الإلهية على آدم وذريته بسبب خطاياهم . وإنما يتبرَّر ويتطهَّر وَمِنْ ثَمَّ يغدو مستحقًا لأن ينال الحياة الأبدية ، التى لا يناها إلا الأبرار والأطهار فى ملكوت الله ( يوحنا ٦ : ٤٠ و٤٧ ) ؛ ( ٢٠ : ٣١ ) . لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم فى هذه المرة ليدين البَشَر الذين فى العَالَم ( يوحنا ٥ : ٤٥ ) ؛ ( ٨ : ١١ و ١٥ ) ؛ ( ١٢ : ٤٧ ) ، كما سيحدث عند مجيئه الثانى فى يوم الدينونة ، وإنما أرسله فى هذه المرَّة ليخْلِص به البَشَر الذين فى العالم ( لوقا ٩ : ٥٦ ) ؛ ( ١٠ : ١٤ ) . فالذى يُؤمن به حين جاء ليخْلِص البشر لا يُدان حين يجيء ثانية فى يوم الدينونة ليحاسب البشر ، ( يوحنا ٥ : ٢٤ ) ، لأنه بإيمانه أثبت أنه اعترف بخطاياها وتاب عنها وتطهَّر منها وشكَّر الله الذى هيا له سبيل النجاة من الهلاك الذى كان معرَّضًا له بسببها . لأنه « بهذا أظهرت محبة الله فىنا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحميا به » ( ١٠ : ٩ ) . وأما الذى لا يُؤمن بذلك الفادى باعتباره ابن الله الوحيد ، فقد صدر عليه الحكم بالإدانة بمجرد رفضه الإيمان به ( مرقس ١٦ : ١٦ ) . لأنه بعدم إيمانه أثبت أنه متشبَّث بخطاياها ، لا يريد أن يتوب عنها أو يتطهر منها أو يشكر الله الذى فتح له باب الخلاص ودعاه إليه ، فنكص عن دخول ذلك الباب ، ورفض تلك الدعوة الكريمة الرحيمة الموجهة إليه ، ومن ثَمَّ أثبت أنه غير مستحق للخلاص ، وأنه مخلوق فاسد شرير لا يصلح لأن يشارك الأبرار والأطهار فى حياتهم الأبدية فى السماء ، وإنما يظل ساريًا عليه حكم الهلاك الذى سبق أن أصدره العدل الإلهى عليه . فهو ابن الهلاك ، ومصيره حتمًا إلى هلاك ، إذ لم يعد له أولأى فاسدٍ شرير من أمثاله عذر ، بعد أن كان الناس يهيمون فى ظلام الخطيئة والشر ، حتى عميت أبصارهم وبصائرهم عن أن يروا

الفضيلة والبر ليسلكوا سبيلها ، ثم جاء ابن الله إلى العالم فبدد الظلام بنوره السماوى ، لأنه هو النور ( يوحنا ١ : ٩ و ٨ و ٤ : ١٢ ) . وقد قال هو نفسه : « أنا قد جئت للعالم نوراً ، حتى إن كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلام » ( يوحنا ١٢ : ٤٦ ) . وقال للناس : « إن النور باق فى وسطكم زماناً يسيراً ، فسيروا فى النور مادام النور لكم ، لئلا يدرككم الظلام ، لأن الذى يمشى فى الظلام لا يدرى إلى أين يذهب . مادام لكم النور ، فآمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور » ( يوحنا ١٢ : ٣٥ و ٤٦ ) .

ولكن الناس لم يؤمنوا بالنور ، وإنما أحبوا الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة ، فإن كل من يفعل الشر يبغض النور ( الأعمال ٢٤ : ١٣ ) ؛ ( أفسس ٥ : ١٣ ) ، ولا يقرب إليه وإنما يفرّ مبتعداً عنه ، لئلا تفتضح فى النور أعماله الشريرة ، فينال بسببها التوبيخ والتحقير والزجر والعقاب . وأما من يفعل الحق والخير والبرّ والصلاح ، فإنه لا يهرب من النور وإنما يهرع إليه ، سعيداً به مطمئناً إليه ، لأنه سيكشف عن معدنه النقى وعن قلبه النقى ، وعن أعماله النبيلة التى أتاها فى خوف الله ، وطاعته وتقواه . ومن ثم يتمجد من الناس ، وينال رضى الله .

وهكذا كشف مخلصنا نيقوديموس عن حقيقة شخصيته الإلهية وأوضح له سر العقيدة المسيحية السماوية السامية فى عبارات قليلة ولكنها سامية سمو السماوات ، عميقة عمق الحقيقة الخالدة ، دقيقة دقة الخالق المبدع فى كل ماخلق وأبدع . فلا عجب ولا غرابة بعد ذلك فى أن نيقوديموس اكتمل إيمانه به ، إذ علم منه ماكان لا يعلمه ، وفهم ماكان لا يفهمه ، وسطع نور الفادى عليه فأضاء قلبه وفتح على مجده السماوى بصره وبصيرته ، فتبعه كتلميذ له ، وإن يكن فى الحفاء ، حتى إذا حانت اللحظة الحاسمة التى كان عليه فيها أن ينكره

وتنكر له أو يناصره ويجاهر على رؤوس الأشهاد بإيمانه به ، لم يتراجع ولم يتزعزع ، وإنما تصدّى لرؤساء اليهود في مجلس السنهدريم حين حكموا على مخلصنا بالموت ، فعارضهم فيما حكموا به (يوحنا ٧ : ٥٠) . حتى إذا نفذوا ذلك الحكم وقتلوه ، تقدّم أمام الجميع فأخذ جثمانه واشترك مع يوسف الرامى في تكفينه ودفنه (يوحنا ١٩ : ٣٩ - ٤٢) ؛ مخاطراً بكل شيء ومضحياً بكل شيء ، حتى لقد سبق في ذلك الموقف الشهم النبيل تلاميذ مخلصنا الاثنى عشر أنفسهم . فكان إيمانه أصدق إيمان وأعمق إيمان على مرّ الزمان .

٣ : ٢٢ - ٣٦

وبعد أن أقام مخلصنا ومعه تلاميذه بعض الوقت في أرض الجليل ، جاء وهمّ معه إلى أرض اليهودية ، ومكث هناك يعمّد . وكان يوحنا المعمدان أيضاً لا يزال يعمّد في عين نون ، بالقرب من سالم ، وهما مكانان يقعان في وادى الأردن على مسافة نحو ستة أميال شمال شرقى أورشليم ، وكانت المياه وفيرة هناك ، ووفرة المياه ضرورية للمعمودية ، لأن المعمودية كانت تباشر بالتغطيس الكامل . فكان كثيرون من اليهود يأتون هناك إلى مخلصنا وتلاميذه ويعتمدون . وذلك أن مخلصنا كان يعلم أن هيردوس أنتيباس ملك الجليل سيقبض على يوحنا المعمدان ويلقى به في السجن ثم يقتله ، لأنه كان يندّد به جهاراً مؤبّخاً إياه لأنه اغتصب من أخيه فيلبس وهو لا يزال على قيد الحياة زوجته هيرودياً واتخذها زوجة لنفسه ، قائلاً له إنه لا يخلّ له ذلك .. (متى ١٤ : ١ - ١٢) ؛ (مرقس ٦ : ١٤ - ٢٩) ؛ (لوقا ٩ : ٧ - ٩) . وإذا كان يوحنا يعمد كجزء من الرسالة التى عهد الله بها إليه وأمره بها (يوحنا ١ : ٣٣) ، ليهدّ قلوب اليهود لاستقبال الرب يسوع المسيح والإيمان به ، أراد مخلصنا أن تستمر عملية التعميد بعد احتجاب يوحنا في السجن . فأخذ تلاميذه وعهد إليهم بالتعميد بدلاً من يوحنا ، ومن ثمّ اختلط

الأمر على تلاميذ يوحنا وغيرهم من اليهود الذين كانوا يؤمنون بأنه هو المسيح الذى يتظرونه . وقد جرت بين تلاميذ يوحنا وبعض اليهود مجادلة بشأن عملية العماد والتطهير التى كان يقوم بها وإذ عجز أولئك التلاميذ عن تفسير هذا الذى حدث ، ولعلمهم أخذتهم الغيرة على معلّمهم يوحنا المعمدان ، وظنوا أن يسوع المسيح أخذ اختصاصاته وتنكر له ، جاءوا إلى يوحنا وقالوا له « يامعلّم إن الذى كان معك فى عبر الأردن ، ذلك الذى شهدت له ، هوذا يعمّد الجميع يقبلون إليه » ، مما يدلّ على أن تلاميذ يوحنا على الرغم من أنهم سمعوا معلّمهم يشهد لمخلّصنا فى عبارات صريحة واضحة بأنه هو المسيح الفادى - أشفقوا على معلّمهم يوحنا من المصير الذى آل إليه . فقد أخذ يسوع المسيح يقوم بعمل التعميد الذى كان يقوم به يوحنا . وذهب الناس وراء يسوع المسيح يتبعونه . وأما يوحنا معلّمهم فقد انفض الناس عنه ، فأفل نجمه . فأجابهم يوحنا إجابة يحدّد بها رسالته هو ، ومكانته بالقياس إلى رسالة مخلّصنا ومكانته ، قائلاً لهم « لا يستطيع الإنسان أن ينال شيئاً ما لم يُعطه من السماء ، أنتم أنفسكم تشهدون بأنى قلت إننى لست أنا المسيح ، وإنما أنا مُرسل أمامه . إن الذى له العروس هو العريس ، وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه ففرحاً وفرحاً لصوت العريس . ومن ثمّ فإن فرحى قد اكتمل . إنه ينبغي أن يزداد هو . أما أنا فأنقص . إن الذى يأتى من فوق ، هو فوق الجميع ، والذى من الأرض هو أرضى ، ومن الأرض يتكلّم ، أما الذى يأتى من السماء فهو فوق الجميع . ومارآه وماسمعه هو الذى به يشهد . ولكن أحداً لا يقبل شهادته . وكل من قبل شهادته فقد أقرّ بأن الله حق . لأن ذلك الذى أرسله الله إنما بكلام الله يتكلّم . فإن الله يعطيه الروح بغير مقدار . إن الآب يحب الابن ، وقد جعل فى يده كلّ شيء . فمن يؤمن بالابن له الحياة الأبدية . ومن لا يؤمن بالابن فلن يرى الحياة ، وإنما يحلّ عليه غضب الله » .



وهكذا أوضح يوحنا لتلاميذه أن له رسالة معينة كلفته بها السماء ، فكان عليه أن يؤدي هذه الرسالة في حدودها المعينة له . ولا يستطيع أن يتجاوز هذه الحدود التي عيّنتها له السماء . وقد سبق أن شهد واعترف أمام تلاميذه أولئك الذين جاءوا يسألونه الآن بأنه ليس هو المسيح (يوحنا ١ : ١٩ و ٢٠ و ٢٧) ، وإنما تنحصر رسالته في أنه رسول جاء ليهدد الطريق للمسيح الفادي (يوحنا ١ : ٢٣) ؛ (ملاخي ٣ : ١) ؛ (مرقس ١ : ٢) ؛ (لوقا ١ : ١٧) . فكما أن الشخصية الرئيسية في كلِّ عرس هي العريس الذي تزفُّ العروس له ، وليس صديق العريس الذي يصاحبه ويتولى خدمته ، هكذا هو بالنسبة للمسيح . لأنه إذ كانت كنيسة المسيح هي عروسه (٢ . كورنثوس ١١ : ٢) ؛ (الرؤيا ٢١ : ٩) ، فهو العريس (متى ٩ : ١٥) ؛ (مرقس ٢ : ١٩) ؛ (لوقا ٥ : ٣٤) . وليس أحدًا سواه . وأما يوحنا فهو صديق ذلك العريس (نشيد الأناشيد ٥ : ١) ، الذي تنحصر كل مهمته في أن يصاحبه ويخدمه . ولأنه يحبه بحكم صداقته له ، يفرح فرحًا عظيمًا بأن يسمع صوته ، ومن ثم فقد اكتمل فرح يوحنا بأنه كان هو صاحب ابن الله وخادمه ، وبأنه أدى واجبه نحوه على أكمل وجه ، وتم رسالته الموكول بها إليه في أنبل صورة . ومادام ابن الله قد جاء (يوحنا ١ : ١١) ؛ (١٠ : ١٠) . وأظهر ذاته للناس ، فينبغي أن تزداد في نفوس الناس مكانته بقدر ما يزداد إيمانهم به . وأما يوحنا وقد أكمل الرسالة المعهود بها إليه ، فإن المجد الذي له لدى الناس لا بد أن يتناقص ويتوارى كما يتناقص نور النجم الصغير ويتوارى حين يسطع نور الشمس العظيمة ويحجب كل أنوار النجوم الأخرى ، لأن المسيح ابن الله الآتي من فوق (يوحنا ٣ : ١٣) ؛ (٨ : ٢٣) ، هو فوق الجميع (فيلبي ٢ : ٩) من أبناء الأرض . ومع أن يوحنا نبي عظيم ، فإنه ليس إلا إنسانًا من الأرض ، ومع أنه موحى إليه من السماء بما يتكلم ، فإنه من الأرض يتكلم (١ . كورنثوس ١٥ : ٤٧) . وأما

المسيح ابن الله الآتى من السماء فهو فوق الجميع (روما ٩ : ٥) ؛ (أفسس ١ : ٢١) وهو الوحيد الذى يستطيع أن يشهد شهادة صادقة بما رآه وسمعه فى السماء (يوحنا ١٥ : ١٥) لأنه هو إله السماء الذى نزل من السماء (يوحنا ٣ : ١٣) ؛ (٦ : ٣٣ و ٣٨ و ٥١ و ٦٢) ؛ (١٦ : ٢٨) ؛ (١٧ : ٨) . ولكن أحدًا من اليهود مع ذلك لا يقبل شهادته ، لظلام عقولهم وغلظة قلوبهم . وأما كل من قبل شهادته من اليهود أو غير اليهود فى الأرض كلها ، فقد أُقِرَّ بأن الله حق ( ١ . يوحنا ٥ : ١٠) . لأن الله سبق فأعلن على لسان أنبيائه مجيء السيد المسيح ابن الله وكلمته (إشعيا ٩ : ٦) ؛ (ميتا ٥ : ٢) . وقد تحقق هذا مما يدل على أن الله حق (روما ٣ : ٤) . لأن كل ما أوحى به إلى أنبيائه اتضح أنه حق ( ٢ . بطرس ١ : ٢١) . وقد أرسل يوحنا المعمدان ليمهد لمجيء ابن الله . فلما جاء اتضح أن مقاله رسول الله بوحي من الله حق . ثم حين جاء ابن الله بالفعل ، وخطب الناس بكلمات لا يمكن أن تصدر إلا من الله (متى ٧ : ٢٩) ؛ (يوحنا ١٤ : ٦) ؛ (مرقس ٢ : ٧ و ١٠) وبمعجزات لا يمكن أن يقدر عليها إلا الله وحده (مرقس ٤ : ٤١) ؛ (١ : ٢٧) ؛ (لوقا ٤ : ٣٦) ، تأكيد من ذلك أن الله حق ، لأن ذلك الذى أرسله الله إنما يتكلم بكلام الله (يوحنا ٣ : ١١) ؛ (٨ : ٢٦) ؛ (٧ : ١٦) . فهو كلمة الله بحق ، إذ أن الله لم يضع فيه روحه ليلهمه كما ألهم كل أنبيائه بمقدار معين محدود ، وإنما أعطاه الروح القدس بغير مقدار . لأن الله وروحه القدوس هما من جوهر واحد . فالروح القدس هو كائن مع الابن ومع الآب ، فى جوهر واحد ، وذات إلهية واحدة . ذلك أن الآب والابن والروح القدس لا هوت واحد ، وطبيعة واحدة ، بغير انقسام وبغير انفصال وبغير تجزئة . فالمسيح ممتلىء بالروح القدس امتلاء الذات بذاتها . فقد حلَّ فيه كل ملء اللاهوت جسدياً (كولوسى ٢ : ٩) . والله الآب يحب الله الابن (يوحنا ٥ : ٢٠) ؛ متى ٣ : ١٧) ؛ (١٧ : ٥) ؛ (٢ . بطرس ١ : ١٧) . ذلك أنهما معاً كيان واحد وذات

واحدة . وقد جعل الله الآب في يد الله الابن كل شيء وكل شخص وكل سلطان (متى ١١ : ٢٧) ؛ (٢٨ : ١٨) ؛ (لوقا ١٠ : ٢٢) ؛ (يوحنا ١٣ : ٣) ؛ (١٧ : ٢) ؛ (١ . كورنثوس ١٥ : ٢٧) ؛ (العبرانيين ٢ : ٨) . فمن يؤمن بالله الابن ينال - باعتبار أنه يؤمن بالله الآب في نفس الوقت - الحياة الأبدية . لأن إيمانه هذا دليل على تسليمه بسلطان الله عليه ، وخضوعه لهذا السلطان ، والتزامه بوصاياه ، وانتهاجه - بسبب هذا الإيمان - سبيل الفضيلة والطهارة والتقوى وكل الصفات التي تجعله أهلاً لأن يقترب من ملكوت الله ، وأن يصبح أحد رعايا هذا الملكوت ، بل يصبح ابناً لله ، مستحقاً للحياة الأبدية في حضن أبيه السماوى ، لأن الله هو الآب السماوى لكل من يستحق أن يطيعه طاعة الابن البار لأبيه (حبقوق ٢ : ٤) ؛ (روما [رومية] ١ : ١٧) . وأما مَنْ لا يؤمن بابن الله ، بل يكفر به وينكر حقيقة شخصيته ، فإنه يكون ابناً عاقاً لا يستحق تلك البتوة لله ، ومن ثم لا يستحق - بسبب عقوبه - الاقتراب منه . وبالتالي لا يستحق أن يحيا معه تلك الحياة الأبدية التي سينعم بها الأبرار والأطهار ، وإنما يحلّ عليه غضب الله . لأنه تشبث بشروبه وأصرَّ على المضى في الطريق الشرير الذى اختاره لنفسه بمحض إرادته . فلم يعد أهلاً لأن يكون ابناً له ولا أن يكون أحد رعاياه فى ملكوته . ولا يصلح إلا لأن يكون مصيره لا الحياة الأبدية ، وإنما الهلاك الأبدى ، على مقتضى العدل الإلهى الذى يحكم بالهلاك على كل شرير .

قال مخلصنا له المجد : « الحق الحق أقول لكم إنَّ من يؤمن بى فله الحياة الأبدية » (يوحنا ٦ : ٤٧) . وقال أيضاً « لأنه إلى هذا المدى أحب الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ١٦) . وجاء فى رسالة القديس يوحنا الأولى قوله « إن الله أعطانا حياة أبدية . وهذه الحياة هى فى ابنه . مَنْ له الابن فله الحياة .

وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللَّهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ» (١ . يوحنا ٥ : ١١ و١٢) ، وقوله « بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به » (١ . يوحنا ٤ : ٩ - وانظر يوحنا ١ : ٤) .

وقد كانت هذه الأقوال التي نطق بها يوحنا المعمدان مطابقة كل المطابقة لكل ما قاله محمّلنا لنيقوديموس وهو يشرح له سر العقيدة المسيحية ، مما يدل على أن يوحنا المعمدان لم يكن ينطق فيما يقول إلا بما أوحى الله به إليه ، وبالتالي يدل على أنه الرسول الصادق الأمين الذي كان أول مَنْ بَشَّرَ مِنَ الْبَشَرِ بِالسَّرِّ الْإِلَهِيِّ الذي تنطوي عليه عقيدة العهد الجديد التي جاء بها محمّلنا ، تلك العقيدة التي تأسست على صخرتها كنيسة سيدنا يسوع المسيح له المجد ، وستظل راسخة في قلوب المسيحيين إلى الأبد .

إن مقاله يوحنا المعمدان عن سيده يسوع المسيح ، شهادة عظيمة ، ما أعظمها شهادة ! وقد أشاد بها رب المجد كما أشاد بعبده يوحنا . فقال : « أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد بالحق . وأنا لا أقبل شهادة من إنسان ، ولكنني أقول هذا لتخلصوا أنتم . ذلك هو السراج الموقد المنير . وقد كنتم تريدون أن تهلكوا بنوره ساعة ، أما أنا فلي شهادة أعظم من شهادة يوحنا ، لأن الأعمال التي أعطاني أبي لأبجزها ، تلك الأعمال التي أنا أعملها هي نفسها التي تشهد لي » ( يوحنا ٥ : ٣٣ - ٣٦ ) .

على أن يوحنا كان عظيمًا أيضًا في ردّه على الذين قصدوا أن يثيروه بأن جميع الناس تركوه وذهبوا إلى يسوع المسيح . وقد برهن برده الرّوحاني على أنه أعظم من الإثارة ، وأنه حقًا نبي عظيم وخادم أمين فهم رسالته كل الفهم ولم يخرج عنها . وأنه كان أمينًا لسيدته ، إذ عرف أن مهمته تنحصر في أن يببىء العروس للعريس ، فلم ينحرف في فهم تلك الرسالة ، ولم يطمع في أن ينحطف

العروس لنفسه ، فكان نِعْمَ الصديق للعريس ، ذلك الصديق الذى يفرح من كل قلبه بأن تذهب العروس لعريسها ، وبأن يكون له كصديق للعريس شرفُ تهيئة العروس لعريسها . وهنا تنتهى مهمته . وقد أتمها يوحنا بنجاح عظيم ، غير أن نجاحه الأعظم كان فى أنه عرف حدود مهمته ولم ينحرف عنها . فطوبى له من نبي كريم وقديس عظيم



## الفصل الرابع

٤ : ١ - ٤٢

ولما علم الرب يسوع أن الفريسيين الذين كانوا في أرض اليهودية سمعوا أنه اتخذ تلاميذ كثيرين ممن آمنوا به حين رأوا شخصيته الإلهية وسمعوا تعاليمه السماوية ، وأنه يعمد أكثر من يوحنا ، مع أن ربنا نفسه لم يكن يعمد ، وإنما كان تلاميذه هم الذين يعمدون بتكليف منه وإرشاده ، امتلاً هؤلاء الفريسيون غيرة منه وحقداً عليه ، بسبب ازدياد عدد المؤمنين به ، وارتفاع مكانته لدى الشعب مما أصبح يهدد مكانتهم التي كانت تفضي عليهم الاحترام والتعظيم . ومن ثم كانوا يجنون من ورائها كثيراً من المكاسب والمنافع ، وكانوا في سبيل الاحتفاظ بها واحتكارها لأنفسهم ، لا يتورعون عن قتل كل منافس لهم فيها . ولذلك فإن محلصنا له المجد ترك أرض اليهودية بعد أن مكث بها نحو ستة أشهر . ومضى ثانية إلى أرض الجليل . وقد كان يتحتم كى يصل إليها أن يمر في طريقه بمنطقة السامرة التي تقع في وسط فلسطين بين اليهودية في الجنوب ، والجليل في الشمال . وكان سكان هذه المقاطعات الثلاث جميعاً من شعب بني إسرائيل وكانت لهم مملكة واحدة عاصمتها اورشليم . وقد ظلت كذلك إلى عهد الملك سليمان بن داود . فلما مات سليمان وخلفه ابنه رجبام انقسمت المملكة في عهده بسبب حماقته إلى مملكتين ، إذ تمردت عليه عشرة من أسباط بني إسرائيل الاثني عشر وأقاموا لأنفسهم مملكة مستقلة في السامرة أسموها مملكة « إسرائيل » وجعلوا عاصمتها

« شكيم » التي تسمى اليوم « نابلس » ، واختاروا يربعام بن نباط ملكاً عليهم . فلم يبق مع رحبعام إلا سبط واحد هو سبط يهوذا وظلت عاصمة مملكته هي أورشليم ( ١ . الملوك ١٢ ) . ولكي يضمن يربعام ولاء العشرة الأسباط التي تتألف منها مملكة إسرائيل واستمرار انفصالها عن مملكة « يهوذا » عمل على أن يمنع ذهاب شعبه إلى أورشليم للحج أو للسجود هناك في الهيكل « عمل عجلاين من الذهب وقال لهم لا حاجة لكم بعد بالصعود إلى أورشليم . هذه آهتكم يا إسرائيل التي أخرجتكم من مصر ، وجعل أحدهما في بيت إيل والآخر وضعه في دان .. وبني بيت المرتفعات وأقام كهنة من لفيف الشعب لم يكونوا من بني لاوى ، وأقام يربعام عيداً في الشهر الثامن في اليوم الخامس عشر من الشهر كالعيد الذي في يهوذا ، وأصعد على المذبح ، وكذلك عمل في بيت إيل وذبح للعجلاين اللذين عملها » ( ١ . الملوك ١٢ : ٢٥ - ٣٣ ) ؛ ( ٢ . الملوك ١٠ : ٢٩ ) ؛ ( ١٧ : ١٦ ) ؛ ( هوشع ٨ : ٤ - ٧ ) . ثم بعد ذلك قام عمرى أبى أخاب ملك إسرائيل ببناء السامرة أوتجديدها في المدة بين عامي ٨٧٦ و ٨٤٢ قبل الميلاد . فصارت هذه المدينة هي عاصمة مملكة إسرائيل . حتى إذا جلس أخاب بن عمرى ملكاً على إسرائيل أقام في السامرة مذبحاً للبعل الذي هو من آلهة الوثنيين ( ١ . الملوك ١٦ : ٣٢ ) . ومن ثم كانت السامرة منذ بنائها مدينة وثنية واستمرت كذلك ( هوشع ٨ : ٤ - ٦ ) ؛ ( عاموس ٨ : ١٤ ) حتى هاجم شلمنصر ملك آشور هذه المدينة سنة ٧٢٤ قبل الميلاد وحاصرها ثلاث سنوات . ثم في سنة ٧٢٢ قبل الميلاد غزا سرجون خليفة شلمنصر هذه المدينة أيضاً ( إشعيا ٣٠ : ١ ) وسبي من أهلها ٢٧٢٨٠ شخصاً وأخذهم إلى آشور وأسكنهم في بعض مدنها ( ٢ . الملوك ١٧ : ٦٥ ) فلم يترك في السامرة إلا الضعفاء المعدمين من سكانها . ثم لكي يضمن خضوع تلك البقية الباقية من السامريين في السامرة ، نقل إليها خليطاً من الشعوب الوثنية .. « وأتى ملك آشور

بقوم من بابل وكوث وعوًا وحاه وسفروايم وأسكنهم في مدن السامرة مكان بني إسرائيل ، فامتلكوا السامرة واستوطنوا مدنها . وكان أنهم في مبدأ إقامتهم هناك لم يتقوا الرب .. فأخذت كل أمة تعمل آلهتها وتضعها في بيوت المرتفعات التي عملها السامريون ، كل أمة في مدنها التي سكنتها . فعمل أهل بابل سكوت بنوت ، وأهل كوث عملوا نرجال .. والسفروائيميون كانوا يحرقون بنهم بالنار لأدرملك وعنملك إلهي سفروايم .. فكانوا يتقون الرب ويقيمون لأنفسهم من ليفهم كهنة مرتفعات ، ويعبدون آلهتهم كعادة الأمم الذين جلوهم من بينهم .. فكان هؤلاء الأمم يتقون الرب ويعبدون تماثيلهم ، وكذلك بنوهم وبنو بنهم « ( ٢ . الملوك ١٧ : ٢٤ - ٤١ ) . وقد ظل أهل السامرة يمارسون هذه العبادة المزوجة أيضًا في عهد أسر حدون ملك آشور حتى سقوط أورشليم في عام ٥٨٦ قبل الميلاد ( عزرا ٤ : ٢ ) : ( ٢ . الملوك ١٩ : ٣٧ ) . كما أن الإسكندر المقدوني عندما استولى على السامرة في عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، نقل سكانها إلى شكيم ، وأتى بدلاً منهم بمقدونيين وسوريين وثنيين وأسكنهم فيها . وهكذا تأثر السامريون بمعتقدات الوثنيين من الأجناس المختلفة الذين وفدوا إليهم ، واختلطت ديانتهم اليهودية بكثير من تلك المعتقدات . ولذلك أصبح سائر اليهود في بقية أنحاء فلسطين يحتقرون السامريين ويتجنبون مخالطتهم ، بل يتجنبون حتى مخاطبتهم ، أو التعامل بأي صورة من الصور معهم ، معتبرين إياهم نجسين وذنسين وملعونين من الله . ومن ثم اشتدت العداوة بين أولئك وهؤلاء ، حتى إن السامريين امتنعوا عن الصلاة في هيكل أورشليم ، وأقاموا لأنفسهم هيكلًا خاصًا بهم على جبل جرزيم الذي يقع في أرضهم .

وقد مرَّ مخلصنا وهو في طريقه من اليهودية إلى الجليل بمدينة من مدن السامرة تسمى « سوخار » ، بالقرب من الضيعة التي كان يعقوب يملكها في شكيم ، وقد



وهي قبيل موته لابنه يوسف . وكانت هناك بئر يعقوب وهي عين ماء كانت تقع في تلك الضيعة التي كانت مملوكة له . وكان مخلصنا قد أتعبه السفر ، بعد تلك الرحلة الطويلة الشاقة التي بدأت عند الفجر سيراً على الأقدام من اليهودية إلى السامرة التي بلغها في نحو الساعة السادسة بالتوقيت الشرقي القديم ، أي الساعة الثانية عشرة ظهراً بالتوقيت الحديث . ومن ثم جلسَ عند بئر يعقوب ليستريح بعض الوقت . ولم تلبث أن جاءت امرأة سامريّة لتستقي ماء من البئر . فقال لها مخلصنا « أعطيني لأشرب » . ولابدُّ أن يكون قد عطش فعلاً كإنسان . بيد أن الأمر الغريب أنه عطش ولم يشرب .. أفلاً يكون هذا معناه أن هذا العطش إنما كان عطشاً « تديرياً » ، أي أن مخلصنا له المجد كان يمكنه أن يبطل فعل هذا العطش بسلطان لاهوته المتحد بناسوته ، ولكنه سمح لنفسه بأن يعطش . ولم يتدخل بلاهوته ليبطل فعل هذا العطش ، ليجعل من هذا العطش تبريراً صادقاً لأن يدخل في حوار مع المرأة السامرية كي يقودها به إلى خلاص نفسها وخلص أهل السامرة جميعاً ؟ . ومن ثم كان مخلصنا يريد بطلبه من تلك المرأة أن تعطيه ليشرب أن يفتح معها باب الحديث ليقودها إلى الإيمان ، إذ كان هذا من وسائل أداء رسالته . وكان تلاميذه في هذه الأثناء قد مضوا إلى مدينة قريبة من ذلك الموضع ليتاعوا طعاماً لهم ولعلمهم . بيد أن المرأة السامرية دهشت لهذا الطلب منه ، إذ كان يهودياً ، وكان اليهود كما رأينا يتجنبون السامريين ويرفضون التعامل معهم أو مجرد مخاطبتهم ، وقد اشتدت القطيعة بين اليهود من سبط يهوذا وبين السامريين حتى إنه عندما عاد المسييون من اليهود إلى أورشليم في عهد زربابل ، طلب السامريون أن يشتركوا معه في بناء الهيكل في أورشليم بزعم أنهم مثلهم يعبدون الرب إله إسرائيل ، لكن زربابل رفض طلبهم ، فلم يسمح لهم بالاشتراك معه في البناء ، فحقت السامريون على اليهود ، وجعلوا يحاربونهم ويقاومونهم وانضموا إلى أعداء اليهود في تعطيل بناء الهيكل ثم في تعطيل بناء

سور أورشليم . وقد جاء عن ذلك في سفر نحemia « ولما سمع سنبَلط أننا آخذون في بناء السور غضب وحنق حنقاً شديداً وسخر من اليهود . وتكلّم أمام إخوته أهل السامرة وقال : ماذا يفعل أولئك اليهود الضعفاء .. ولما سمع سنبَلط والعرب والعمّونيون والأشدوديون بأن أسوار أورشليم قد رُمّمت ، وأنه قد أخذ في سدّ الثلم غضبوا جداً ، وتحالفوا كلهم يداً واحدة على أن يأتوا ويحاربوا أورشليم ويتزلوا بها شراً .. » ( نحemia ٤ : ١ - ٢١ ) . وقد استفحل العداة أكثر عندما طرد نحemia من الكهنوت منسى الكاهن لأنه تزوّج من ابنة سنبَلط الحورونى ، على مايروى يوسيفوس المؤرخ اليهودى . فلما لجأ منسى إلى سنبَلط حميه وعده هذا ببناء هيكل على جبل جرزيم ، إذا احتفظ بابنته زوجة له ولم يطلقها كطلب شيوخ إسرائيل ( انظر كتاب « تاريخ اليهود » ليوسيفوس اليهودى . الجزء ١١ - الفقرة ٢ - ثم الجزء ١٢ . فصل ٤ فقرة ١ ) . وقد برّ سنبَلط بوعده فبنى هيكلًا على جبل جرزيم ، لينافس به هيكل أورشليم فى نحو عام ٤٣٢ قبل الميلاد ، وأصبح يسمى بالهيكل السامرى . وقد صار جبل جرزيم هذا مقدساً عند السامريين نظراً لبناء هيكلهم فوقه ، وظلّ مقدساً عندهم حتى بعد أن هدم يوحنا هرکانوس ذلك الهيكل سنة ١٢٨ قبل الميلاد ( انظر كتاب « تاريخ اليهود » ليوسيفوس اليهودى - الجزء ١٣ فصل ٩ فقرة ١ ) . ومع ذلك استمر السامريون يقدمون قرابينهم على جبل جرزيم حيث كان ذلك الهيكل . وعندما نجس أنطيوخوس أيبفانيوس اليونانى هيكل أورشليم بأن قدم خنزيرة على مذبحه ، أعلن السامريون أنهم لا ينتمون إلى اليهود أصلاً ، وزادوا على ذلك بأن ألقى بعض السامريين فى هيكل أورشليم عظاماً نجسة ، وذلك فى السنة السادسة قبل الميلاد فاشتدت لذلك كراهية اليهود للسامريين حتى أصبح اليهودى يعتبر طعام السامرى نجساً بمثابة لحم الخنزير ، بل لقد غالى اليهود فى احتقارهم للسامريين حتى صار اسم السامرى ذاته نجساً عند اليهودى ، وكان يستنكف أن ينطق به لئلاّ تتنجس

بذكر اسمه شفتاه . وبالتالي صار العداء مستحكماً بين اليهود والسامريين . وانقطعت بين الفريقين كل صلة ، ولم تعد بينهما أية علاقات دينية أو اجتماعية . وقد كان هذا ماعبرت عنه المرأة السامرية في دهشة وذهول حين طلب منها مخلصنا أن تعطيه ليشرّب ، إذ قالت له على الفور « كيف تطلب مني لتشرّب وأنت يهودى وأنا سامرية ، واليهود لا يخالطون السامريين ؟ » ( يوحنا ٤ : ٩ ) - وانظر أيضا ( متى ١٠ : ٥ ) ؛ ( لوقا ٩ : ٥٢ و ٥٣ ) ؛ ( يوحنا ٨ : ٤٨ ) ؛ ( الأعمال ١٠ : ٢٨ ) . وقد كان هذا القول من تلك المرأة هو الذى قصد إليه مخلصنا حين أراد ان يفتح معها باب الحديث ليستدرجها إلى معرفة حقيقة شخصيته ، وينير بصيرتها لتؤمن به ، ومن ثم قال لها : « لو كنت تعرفين عطية الله ومن هو الذى يقول لك أعطيني لأشرب ، لطلبت أنت منه ، فأعطاك ماءً حياً » . وقد كان يقصد بالماء الحىّ النعمة الروحية السامية الخالدة التى لا تزول ولا يزول أثرها كما يزول أثر الماء المادى الأرضى ، وتلك هى نعمة الروح القدس .

بيد أن المرأة لبساطتها وسذاجتها لم تفهم ما يقصده مخلصنا بالماء الحىّ ، وإنما ظنت أنه يحدثها عن الماء الذى فى البئر ، فقالت له « ياسيد ، ليس معك دلو ، والبئر عميقة فمن أين لك الماء الحىّ ؟ » ثم إنها على الرغم من أنها خاطبته فى بدء حديثها معه باحترام ، عادت فأبدت تعجبها منه إن كان يقصد أنه قادر على أن يعطيها ماءً أفضل من ذلك الماء الذى فى البئر ، قائلة له « أعلّك أعظم من أيننا يعقوب الذى أعطانا هذه البئر ، وقد شرب منها هو وبنوه وماشيته » . وهكذا اتجهت إجاباتها فى نفس الاتجاه الذى أراده مخلصنا ليكشف لها عن حقيقة شخصيته التى هى أعظم من شخصية إبراهيم بما لا يقاس . وليكشف لها عن حقيقة الماء الحىّ الذى يستطيع هو أن يعطيه إياها ، والذى هو أثنى من الماء الذى فى تلك البئر . والذى فى كل آبار الأرض وبحيراتها وبحارها ومحيطاتها بملا

مجال معه لمقارنة أو قياس . ومِنْ ثَمَّ قال لها : « كل مَنْ يشرب من هذا الماء لا يلبث أن يعطش ، أما من يشرب من الماء الذي أعطيه إياه أنا ، فلن يعطش إلى الأبد ، بل الماء الذي أعطيه إياه يكون فيه ينبوع ماء ينهمر إلى الحياة الأبدية » . أى أن الماء الذى فى بئر يعقوب أو أى ماء آخر ينبع من الأرض ، قد يرتوى منه الإنسان لحظة ، ولكنه لا يلبث أن يعطش ، ومهما شرب منه فإنه سيعود فيعطش ، لأنه ماء مادىّ ، فهو من احتياجات الجسد المادىّ الذى هو من طبيعته ، والذى مهما شرب منه فإنه سيموت فى النهاية ويفنى ، وأما الماء الذى يعطيه مخلّصنا فهو ماء روحى ترتوى به روح الإنسان فلا تشعر بأنه ينقصها أبداً ، لأنها تمتلئ به امتلاءً كاملاً ، فتظل مرتوية به إلى الأبد ، كينبوع منهمر من النعمة الروحية لا ينقطع ولا ينضب ولا يفتأ يفعل فعلة فى الإنسان حتى يؤدى به إلى الحياة الأبدية .

ولم تفهم المرأة السّامرية بطبيعة الحال ما يقصد إليه معلّمنا بهذا القول السامى السماوى الذى لم يكن ليفهمه فى ذلك الحين حتى أكبر علماء اليهود وفقهاءهم ، فى حين أنها كانت امرأة قروية ساذجة . ومِنْ ثَمَّ ظنّت أنه يحدثها عن نوع آخر من الماء يوجد فى نبع آخر من ينابيع الأرض غير بئر يعقوب ، من شأنه أن يروىها بصفة دائمة فلا تعطش ، وبذلك توفر على نفسها ذلك المجهود الذى تبذله كل يوم فى الحجىء إلى البئر حاملة جرّتها ، ثم تعود حاملة إياها وهى ممتلئة ، فقالت له فى بساطة وبراءة « ياسيد أعطنى هذا الماء لكيلا أعطش ولا أجيء إلى هنا لأستقى » . بيد أن فادينا له المجد أراد أن يجعلها تفهم قوله على وجهه الصحيح ، بأن تعرف شخصيته السماوية على حقيقتها ، وبذلك تدرك أن الماء الذى يتحدث عنه ماء يصدر عن السماء لا عن الأرض . ولم يكن ذلك ممكناً بالنسبة لهذه المرأة إلا أن يظهر لها بعض قدرته الإلهية فى العلم بالغيب ، تلك القدرة التى

لا يملكها إلا الله وحده ، فقال لها « اذهبي واستدعي زوجك وتعالى إلى هنا » .  
أجابت المرأة وقالت له « ليس لى زوج » ، فقال لها « أَحَسَنْتِ إِذْ قُلْتِ لَيْسَ لِي  
زوج ، لأنه كان لك خمسة أزواج ، والذي معك الآن ليس زوجك . فى قولك  
هذا صَدَقْتِ » . ومن هذه العبارة يتبين أن تلك المرأة كانت امرأة ساقطة ، لأنها  
تنتقل من رجل إلى آخر تحت ستار الزواج تارة ، أو بغير زواج تارة أخرى ، كما  
حدث بالنسبة لذلك الرجل الأخير الذى تعيش معه دون أن تتزوجه ، ومع ذلك  
تجاوز محلصنا عن توبيخها أو تعييرها بتلك الحياة الشائنة التى تحياها ، لأنه كان  
ينبغى منذ البداية ما هو أهم من ذلك ، وهو خلاصها خلاصاً كاملاً ، وتوجيهها  
إلى الإيمان لتحيا حياة التوبة والطهارة ، ومن ثمَّ فإنه بدلاً من التوبيخ والتعير  
امتدح صدقها ، إذ اعترفت بأن الرجل الذى تعيش معه حينذاك لم يكن  
زوجها . وقد كان لهذا الأسلوب الحكيم الذى اتبعه معها أثره السريع والمباشر ،  
إذ أدركت المرأة أن ذلك الذى يتحدث معها ليس إنساناً عادياً . فقالت له  
« ياسيد . أرى أنك نبيّ » . وهكذا تقدمت درجة فى إدراكها بطبيعة محلصنا .  
بيد أنها إذ فهمت من حديثه معها أنه نبيّ ، وإذ رأت أنه وهو يهودى يعاملها  
وهى سامريّة فى رقة وسماحة ، على العكس مما يفعله سائر اليهود مع السامريين ،  
أرادت أن تفهم منه وجه الحق فى قضية من قضايا الخلاف بين اليهود  
والسامريين ، وهى أن اليهود كانوا يعدّون أنّ المكان المقدس الوحيد الذى تنبغى  
فيه عبادة الله والسجود له هو هيكل أورشليم دون أى موضع آخر على الأرض ،  
فى حين يعتقد السامريون أن تلك العبادة وذلك السجود ينبغى أن يكون فى  
هيكل السامريين القائم على جبل جرزيم . والمعروف أن يعقوب الذى هو إسرائيل  
بنى فيه مذبحاً لله وهناك عبده وسجد له ( التكوين ٣٣ : ١٨ - ٢٠ ) . ومن ثمَّ  
قالت المرأة محلصنا « لقد كان آباؤنا يسجدون فى هذا الجبل ، وأنتم تقولون إن فى  
أورشليم الموضع الذى ينبغى فيه السجود » . ولا شك أن المرأة السامرية عندما

قالت « لقد كان آباؤنا يسجدون في هذا الجبل » كانت تشير إلى آباؤها من اهل السامرة الذين كانوا وما زالوا على قولها يسجدون في جبل جرزيم الذى تعنيه بقولها « هذا الجبل » ، أى الجبل القريب منها ، وهو الذى يسمى الآن « جبل الطور » الذى يكُون الحد الجنوبي للوادي العميق الضيق الذى كانت تقع فيه « شكيم » المسماة اليوم « نابلس » ، ويقف في مواجهته جبل « عيبال » في الجانب الشمالى من الوادى . وفي سفح جبل جرزيم هذا بئر يعقوب التى جلس عندها مخلصنا والتقى هناك بالمرأة السامرية التى كانت قد جاءت لتستقي ماء من تلك البئر . والمعروف أنه على جبل جرزيم كان يقف نصف أسباط بنى إسرائيل يهتفون بالبركات لمن يحفظ وصايا الرب ، في حين كان يقف النصف الآخر من الأسباط على جبال عيبال ينطقون باللعنات على من يعصى أوامر الرب ( انظر سفر التثنية ١١ : ٢٩ ) ؛ ( ٢٧ : ١٢ ) ؛ ( يشوع ٨ : ٣٣ - ٣٥ ) ؛ ( القضاة ٩ : ٧ - ٢١ ) .

وقد أجاب مخلصنا المرأة قائلاً : « ابنا المرأة صدقيني أنه تأتى ساعة فيها لا فى هذا الجبل ولا فى اورشليم تسجدون للآب . انتم تسجدون لمن لا تعرفون . وأما نحن فنسجد لمن نعرف ، لأن الخلاص إنما هو من اليهود . ولكن تأتى ساعة ، وقد أتت الآن ، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . فإن الله روح ، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا » .

وقد كان فى هذا القول الذى أفضى به معلّمنا للمرأة إعلان عن العهد الجديد الذى جاء هو به ، إذ كان السجود فى العهد القديم يتم كعلامة لعبادة الله وتعظيمه والخشوع أمامه . بيد أن اليهود كانوا يمارسونه كعمل جسدى بحت ، وشكلى محض ، لا دخل فيه للروح التى ينبغي أن تكون هى التى تعبد الله وهى التى تعظمه ، وهى التى تخشع أمامه ، وهذا هو السجود الروحى الذى أصبح فى العهد الجديد هو الغاية العظمى وهو الهدف الأسمى ، سواء أكان هذا فى جبل

جززم أم في أورشليم أم في أى مكان في الوجود ، لأنه ينطوى على العبادة الحقيقية لله الآب . بيد أن معلّمنا مع ذلك أوضح للمرأة السامرية ، أن الترتيب الإلهي قد قصد أن يأتى المسيح مخلص العالم من نسل داود ، وقد حدد الله في أسفار العهد القديم هيكل أورشليم ليكون رمزاً لعبادته والسجود له . فإذا خالف السامريون هذا الأمر الإلهي وجعلوا مركز عبادتهم وسجودهم هيكلًا آخر أقاموه على جبل جززم ، فقد كانوا في ذلك مخطئين . وقد نشأ خطأهم عن أنهم لم يكونوا يهودًا خالصين وإنما اختلطوا بالشعوب الوثنية التي كانت تسجد لآلهة لا تعرفها ، في حين كان اليهود الاصيلون يسجدون لله الذى أعلن لهم ذاته فعرفوه ، وإن كانوا على الرغم من معرفتهم له قد خالفوا أغلبهم وصاياهم . فقد كانت عبادتهم له شكلية محضة ، ومظهرية غير صادقة . لكن ثمة ساعة تأتى ، وقد أتت في ذلك الوقت بالفعل بمجىء المسيح ابن الله مخلص العالم ، يسجد فيها المؤمنون لله الآب سجودًا حقيقيًا وفعليًا وليس شكليًا أو مظهريًا ، لأنه سجود لا بالجسد كعلامة لعبادة الله ، قد تكون كاذبة ، وإنما هو سجود بالروح ينبع عن إيمان حقيقى وصادق ، وعن ورع وإخلاص ، لا نفاق فيه ولا افتراء ولا رياء ، لأن الله الآب لا يقبل سجود الساجدين له إلا بهذا المفهوم وعلى هذا الأساس الرّوحى العميق . فان الله روح ، والذين يسجدون له فبالرّوح والحق ينبغي أن يسجدوا . فإن فعلوا ذلك نالوا رضاه عنهم ومسرتهم بهم ونعمة ملكوته يغدقها عليهم .

ومن هذه الإجابة القدسية من فم السيد المسيح له المجد عن سؤال المرأة السامرية تتضح الحقائق الآتية :

أولاً : أن العبادة الحقيقية في العهد المسيحي لا ترتبط بالمكان ، بل بالأحرى إنها تقوم بالروحانية والصدق . فليس المهمّ في تعليم المسيح أين يكون

السجود أو أين تكون العبادة ، وإنما المهم في العبادة أن تمارس « بالروح والحق » . وبعبارة أخرى ليس المهم « أين » يسجد العابد ، بل « كيف » يسجد و « كيف » يعبد . ليكن المكان أى مكان . هذا لا يهم . وإنما الذى يهم في الحقيقة هو « روح العبادة » ، وأن تكون عبادة صادقة وحقيقية . عبادة من أعماق القلب والروح والنفس ، وليس مجرد عبادة شكلية مظهرية رسمية .. والدليل على أن هذا هو المقصود هو قوله له المجد : « السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ ، لِأَنَّ الْآبَ يَبْتَغِي مِثْلَ هَؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ . فَإِنَّ اللَّهَ رُوحٌ وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَبْتَغِي أَنْ يَسْجُدُوا » ( انظر أيضا غلاطية ٥ : ٢٥ ) ؛ ( فيلبي ٣ : ٣ ) ؛ ( ١ . تيموثيوس ٢ : ٨ ) ؛ ( يعقوب ٤ : ٨ ) ؛ ( ١ . بطرس ١ : ٢٢ ) .

ثانياً : إن العبادة « والسجود لله » في تعليم السيد المسيح له المجد لم تعد مرتبطة بمكان معين ، وإنما صارت العبادة لله الآب عبادة محررة من الارتباط بالمكان المحدود . وهذا يتمشى مع منطق تعليم المسيح في العهد الجديد الذى نقل الكنيسة إلى كل امتداد . فلم تعد كما كانت في المفهوم اليهودى القديم كنيسة عنصرية تتألف من شعب بذاته ، وهو الشعب اليهودى الذى كان يُسمى الشعب المختار ، وإنما صارت في العهد الجديد كنيسة جامعة مسكونية عالمية تضم المؤمنين بالمسيح من كل شعب وأمة ولسان في كل مكان .. « ليس يهودى أو يونانى ، عبد أو حر ، ذكر أو أنثى . لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع » ( غلاطية ٣ : ٢٨ ) . وعن هذا المفهوم للعبادة المسيحية جاء في نبوءة ملاخى النبي : « لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمى عظيم في الأمم ، وفي كل مكان يُقرب لاسمى بنحور وتقدمة طاهرة . لأن اسمى عظيم في الأمم . قال رب الجنود » ( ملاخى ١ : ١١ ) . وهذا هو النص القدسى الذى يردده الكاهن في القداس للدلالة على امتداد العبادة المسيحية الروحانية إلى كل مكان وفي كل مكان .



ثالثاً : إن هذا المفهوم الجديد للكنيسة بامتدادها الجامعي المسكوني العالمي هو المفهوم الذي قدّمه السيد المسيح له المجد بنفسه . وقد بدأ فعلاً بمجيء المسيح وصار مرتبطاً أساساً بالدعوة المسيحية والرسالة المسيحية . ويتضح هذا من تصريحه له المجد بقوله : « تأتي ساعة ، وقد أتت الآن » ( يوحنا ٤ : ٢٣ ) وإذن فقد بدأت ممارسة هذا المفهوم بمجرد النطق الإلهي « وقد أتت الآن » . أى أن السيد المسيح لا يميلنا على المستقبل البعيد ، وإنما يحسم القضية بأن هذا المفهوم الجديد قد صار « الآن » .

وقد أبدت المرأة السامرية ارتياحها لأقوال محلّصنا . ولكنها مع ذلك لم تفهمها ، لأنها تسمو كثيراً عن مدارك تلك المرأة الريفية الساذجة ، ولما كان السامريون كسائر اليهود ينتظرون مجيء المسيح ، فقد أعربت عن أملها في أنه حين يجيء ستفهم عنه ما لم تفهمه من محلّصنا . أو لعلها أدركت أن هذا الذي يحدثها هو المسيح نفسه ، بعد أن رآته يعرف كُلاً دخائل حياتها ، إذ قالت « نحن نعلم أن مسياً الذي يُدعى المسيح آت ، فتى أنى فسيخبرنا بكلّ شيء » ، فقال لها على الفور « أنا الذي أكلمك هو » .

وعند ذلك جاء تلاميذ محلّصنا ، فتعجبوا إذ رأوه يتكلّم مع امرأة سامرية ، مع أن اليهود لم يكونوا يكلمون السامريين . ولكنهم تهيّأوا أن يسألوه عما تطلب هذه المرأة ، أو عن سبب كلامه معها ، لأنهم كانوا يعلمون أن له حكمة في كل مايقول وكل مايعمل ، وأنه لو أراد أن يوضح لهم جليّة ذلك الأمر الذي حيرهم لفاعل . أما وقد سكّت فقد منعهم احترامهم لإياه أن يسألوه .

وأما المرأة السامرية فتركت جرتها عند البئر وانطلقت إلى المدينة التي جاءت منها وقالت للناس : « هلمّوا انظروا ذلك الرجل الذى قال لى كلّ شيء فعلته . أياكون هذا هو المسيح ؟ » . فخرجوا من المدينة وأقبلوا عليه ، لأن السامريين

تقولون : بعد أربعة أشهر يحين الحصاد ؟ وهأنذا أقول لكم : ارفعوا أعينكم وانظروا إلى الحقول . إنها قد ابيضَّت فعلاً للحصاد . والحاصد يأخذ الأجرة ، ويجمع ثماراً للحياة الأبدية ، لكي يفرح الزارع والحاصد كلاهما معاً ، إذ في هذا يصدق القول : إن واحداً يزرع وآخر يحصد . وقد أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه . فإن آخرين قد تعبوا . وأنتم تجنون ثمرة تعبهم . » .

وقد كان فادينا الحبيب يستخدم الأمثال من واقع حياة الناس المادية الأرضية لِيُسرِّهم فهم أقواله الروحية السائية ، ومن ثمَّ ضَرَبَ هنا مثلاً للتلاميذ يفهمون معناه حق الفهم ، كى يفهموا ما يطابقه من معاني عباراته السامية ، وهو أنهم كانوا حين يزرعون أى نوع من محاصيلهم كانوا يعلمون بالتحديد بعد كم من الزمن سينضج ويحين حصاده ، فحدثهم عن محصول من تلك المحاصيل كان مزروعاً وهم يدركون أنه يحتاج إلى أربعة أشهر كى ينضج ويبيضُّ لونه فيحصده ، ثم أرادهم أن يفهموا أن الناس تشبه زراعة تلك المحاصيل ، وأن الحصول على ثمرة غرس الإيمان فى نفوس الناس بعد الزمن اللازم لذلك ، يشبه حصاد تلك المحاصيل ، فليفهم التلاميذ إذن أن أنبياء العهد القديم قد زرعوا بنوئتهم فى نفوس اليهود الإيمان بمجىء المسيح حتى تغلغل فيهم ذلك الإيمان ، وراحوا يتوقعون ذلك الهجىء بين لحظة وأخرى . ولا أدل على ذلك من أن تلك المرأة السامرية التى وجد التلاميذ عند عودتهم من المدينة أن معلّمهم يتكلّم معها كان لديها ذلك الإيمان ، وقد أفضت به صراحةً لخُلصنا على الرغم من أنها سامرية ينكر اليهود أنها تنسب إليهم هى وكل السامريين من عشيرتها . ثم بعد أن حان الوقت المحدّد لتحقيق صحة ذلك الإيمان ولينتج ثمرته ، ظهر يوحنا المعمدان كى يؤكّد ويوطّد ذلك الإيمان فى نفوس اليهود ، ويهيئ قلوبهم لاستقبال المسيح الذى ينتظرونه « لأن جميع الأنبياء وكتبة الشريعة حتى يوحنا قد تنبأوا » (متى ١١ : ١٣) . معلناً لهم إنه قد جاء بالفعل (يوحنا ١ :

٢٦ و ٢٩ - ٣٦) . ومن ثمَّ أصبحت تلك القلوب مهياً لقبول الإيمان الكامل ولا تحتاج إلا لمن يدفعها إليه ، كما يحتاج محصول الزرع حين ينضج ويبيض إلى الحاصد ليحصده ، وإلا يسقط على الأرض ويتلف . وكما شبّه مخلصنا الأنبياء السابقين بأنهم الزارعون ، شبّه تلاميذه بأنهم الحاصدون ، لأن مهمتهم كانت هي أن يجمعوا المؤمنين كما يجمع الحاصد المحصول بعد نضجه . ولم تكن مهمة التلاميذ هذه بغير أجر . لأن الحاصد من حقه أن يأخذ الأجرة عن عمله ( متى ١٠ : ١٠ ) ؛ ( ١ . كورنثوس ٩ : ٧ ) ؛ ( ١ . تيموثاوس ٥ : ١٨ ) ؛ ( التثنوية ٢٥ :

٤ ) ، لأنه يجمع الثمار التي هي نفوس المؤمنين للحياة الأبدية ، كما يجمع حاصد الزرع الثمار ليضعها في الأمكنة التي أُعدَّت لها ، فيفرح بذلك الزارعون الذين هم الأنبياء السابقون الذين زرعوا الإيمان بنبوءاتهم ، فجاء ذلك الإيمان أخيراً بثماره ، كما يفرح بذلك الحاصدون الذين هم التلاميذ الذين جمعوا نفوس المؤمنين بعد أن اكتمل إيمانهم . بيد أن في هذا يصدق القول : « إنَّ واحداً يزرع وآخر يحصد » ، أى أن البعض يزرعون ولكنهم لا يرون ثمار ما زرعوا ، لأن تلك الثمار تجيء بعد موتهم ، في حين أن البعض الآخر يحصدون ما لم يتعبوا في زراعته ورعايته . وهذا ما ينطبق على التلاميذ ، لأن معلّمهم أرسلهم ليحصدوا ما لم يتعبوا في زراعته ، إذ أن الذين تعبوا في ذلك هم الأنبياء الذين جاءوا قبلهم . ثم جاء التلاميذ ليجنوا ثمرة ماتعب في زراعته أولئك الأنبياء .

ولعلَّ من المفارقات التي تدلُّ على الحكمة الإلهية أن المرأة السامرية التي لم تكن من تلاميذ مخلصنا ، وإنما كانت تنتسب إلى شعب يعدّه اليهود كافرًا وملعونًا من الله ومصيره إلى الجحيم ثم جهنم ، أصبحت من أوائل الحاصدين الذين كلّفهم مخلصنا بأن يجمعوا نفوس المؤمنين ( متى ٩ : ٣٧ و ٣٨ ) ؛ ( لوقا ١٠ : ٢ ) ، إذ استطاعت أن تدفع للإيمان بالمسيح عددًا كبيرًا من السامريين المقيمين في المدينة التي ذهبت لتبشّر به فيها ، إذ طفقت تقول لهم عنه في حاس عظيم :



العشاء الرباني



قيامه السيد المسيح

« إنه قال لى كل ما كنت قد فعلته » ، أى أنه يعلم الغيب . فهو إذن المسيح ابن الله الذى ظلوا طويلاً ينتظرونه ، ومن ثمَّ جاء السامريون إليه (قارن لوقا ٩ : ٥٢-٥٦) : (الأعمال ٨ : ٢٥) . ورجوه أن يمكث عندهم ليتحققوا من صحة ماقلته تلك المرأة لهم عنه . وعلى الرغم من أن اليهود كانوا لا يخالطون أولئك السامريين وإنما يتعدون كل الابتعاد عنهم ، بحسبانهم أشراً نجسين ملعونين ، فقد قَبِلَ مَحْلُصنا بكل سماحة دعوتهم ، بل لقد مكث يومين كاملين معهم وفى بيوتهم ، لأنه جاء لخلاص البَشَر جميعاً وليس اليهود وحدهم ، ولأنه جاء - كما قال هو نفسه - ليدعو إلى التوبة ، لا الأبرار ، وإنما الخطاة ، إذ « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ، بل المرضى » .. « لأنى ماجئت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » (متى ٩ : ١٢ و١٣) : (مرقس ٢ : ١٧) : (لوقا ٥ : ٣١ و٣٢) . وفعلاً كان من نتيجة إقامته تلك بين السامريين أن كثيرين آخرين منهم إذ سمعوا كلماته السامية وتعاليمه السماوية آمنوا به ، وجعلوا يقولون للمرأة التى بشرتهم به : « إننا الآن نؤمن ، لا بسبب كلامك . وإنما لأننا سمعناه بأنفسنا . وقد علمنا أن هذا هو حقاً المسيح مَحْلُص العالم » . وهكذا آمن به واعترف بحقيقة شخصيته أولئك المغضوب عليهم والمحتقرون من سائر اليهود (يوحنا ٨ : ٤٨) ، حتى قبل أن يكتمل إيمان تلاميذه أنفسهم به ، او يدركوا كل الإدراك حقيقة شخصيته ، مع أن أولئك السامريين لم يكونوا قد سمعوا شهادة يوحنا المعمدان عنه ، كما سمعها بعض تلاميذه ، بأنه هو المسيح ابن الله مَحْلُص العالم .

٤ : ٤٢ - ٤٥

وبعد أن أمضى مَحْلُصنا يومين فى المدينة السامرية وآمن به كثيرون من أهلها خرج من هناك ومضى إلى منطقة الجليل (متى ٢ : ٢٢) : (٣ : ١٣) : (٤ : ١٢ و١٥ و٢٥) التى أمضى سنوات كثيرة من حياته السابقة على الأرض فى

« الناصرة » إحدى مدنها (متى ٢: ٢٣)؛ (٤ : ١٣) . وكان هو نفسه قد شهد بأنه لآكرامة لنبى فى وطنه (متى ١٣ : ٥٧) ؛ (مرقس ٦ : ٤) ؛ (لوقا ٤ : ٢٤) ؛ (يوحنا ٤ : ٤٤) . وذلك لأن أهل أى بلد تتملكهم الغيرة من أى شخص ينشأ بينهم كواحد منهم ، ثم ينال بين الناس إكراماً ومجداً بسبب ما يبدى من أسباب العظمة والسُّمو ، فيحقدون عليه ويحاولون الغضَّ من شأنه والتنكُّر له وإنكار ما استحقه فى البلاد الأخرى من كرامة وتكريم . ومع ذلك فإنَّ محلَّنا حين مضى إلى منطقة الجليل وجعل يطوف بين مدنها فيما عدا الناصرة ، مواصلاً التعليم وصُنْع المعجزات استقبله الجليليون استقبالاً حافلاً بمظاهر الحفاوة والتعظيم ، وآمنوا به (يوحنا ٢ : ٢٣)؛ (٣ : ٢) . لأنهم كانوا قد رأوا كل ما صنعه فى أورشليم فى عيد الفصح ، إذ أنهم هم أيضاً كانوا قد ذهبوا إلى هناك للاحتفال بذلك العيد الذى كان واجباً على اليهود جميعاً فى كل أنحاء بلادهم أن يحتفلوا به فى هيكل أورشليم دون سواه ، حيث يُقدِّمون ذبائحهم وقرابينهم وعطاياهم التى نصت عليها الشريعة اليهودية . (التثنية ١٦ : ١٦) ؛ (الخروج ٢٣ : ١٤ و ١٧) ؛ (٣٤ : ٢٣) .

#### ٤ : ٤٦ - ٥٤

وكان من أوائل المدن التى جاء إليها فادينا فى تجواله فى أنحاء منطقة الجليل ، مدينة « قانا الجليل » (يوحنا ٢١ : ٢) . حيث كان قد صنع معجزة تحويل الماء إلى خمر (يوحنا ٢ : ١ - ١١) . وإذ كانت هذه المعجزة قد ذاع أمرها فى تلك المدينة ، كما ذاعت فيها بعض المعجزات الأخرى التى صنعها محلَّنا فى غيرها من الأماكن ، ولاسيما فى أورشليم . وقد سمع بهذه المعجزات أحد رجال حاشية الملك هيروُدس أنتيباس ملك الجليل ، وكان له ابن مريض فى كفرناحوم (متى ٤ : ١٣) ؛ (٨ : ٥) ؛ (١١ : ٢٣) ؛ (١٧ : ٢٤) ، فما إن سمع أنَّ

محلّصنا جاء من إقليم اليهودية إلى قانا الجليل حتى انطلق إليه على الرغم من أن كفرناحوم كانت تبعد عن هذه المدينة نحو خمسة عشر ميلاً (مرقس ١ : ٢١) ؛ (٢ : ١) . (٩ : ٣٣) . وقد قطع هذه المسافة الطويلة من فرط ثقته بأن محلّصنا قادر على شفاء ابنه المريض ، فلما وصل إلى حيث كان محلّصنا تَوَسَّل إليه في تواضع ومذلة على الرغم من أنه كان ذا مركز رفيع في البلاط الملكي ، متناسياً أمام ذلك الشخص الإلهي كل عجرته وعنجهيته المعروفتين عن حاشية الملوك ، ضارعاً إليه أن يحيى ويشفي ابنه ، إذ كان مشرفاً على الموت ، فقال له فادينا « ما لم تروا آيات وعجائب لا تؤمنون » (١ . كورنثوس ١ : ٢٢) ، وهى عبارة تنطوى على التوبيخ لذلك الجليل كله من اليهود الذين كانوا ينتظرون مجيء المسيح ابن الله منذ مئات السنين ، ويعلمون من نبوءات أنبيائهم موعد مجيئه بالتحديد ، لم يكن يكفهم مع ذلك ليؤمنوا به أن يسمعوا تعاليمه السامية السماوية التى تدل على حقيقة شخصيته والتى لا يمكن أن تصدر إلا عن الحكمة الإلهية وحدها ، وإنما كانوا يطلبون كى يؤمنوا به أن يروا منه معجزات وغرائب تفوق إدراك العقل البشرى ، ليكتشفوا بواسطتها أنه ليس إنساناً عادياً من أهل الأرض ، وإنما هو المسيح الذى ينتظرونه ، وأنه ذات إلهية نزلت من السماء . بيد أن ذلك الذى كان صاحب وظيفة عظيمة لدى الملك الجبّار هيروُدس احتمال هذا التوبيخ فى انكسار أمام هبة فادينا . ورفعهُ إيمانه الراسخ بقدرته على شفاء ابنه الذى اشتدت عليه العلة حتى يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة ، والذى لا بد أنه عرّضه قبل ذلك على أطباء كثيرين فأخفقوا فى إنقاذه من مرضه الخطير ، فعاد يتصرّع إلى فادينا قائلاً له فى لهفة : « هياً ياسيدى قبل أن يموت ابنى » . ولم يكن يخطر ببال هذا الرجل أنّ فى مقدور محلّصنا أن يشفى ابنه المريض إلا إذا ذهب إليه حيث يرقد وفحصه كأي طبيب بشرى كى يشفيه ( يوحنا ١١ : ٢١ و ٣٢ ) . بيد أن محلّصنا فاجأ ذلك الرجل بمعجزة أكبر وأعجب لم يكن يتوقعها أو يتصوّرُها ، إذ



شَفَى ابنه بكلمة منه وهو في مكانه على بُعد نحو خمسة عشر ميلاً من الموضع الذي يرقد فيه ابنه ، إذ قال له « اذهب . إن ابنك حيّ » . فوثق الرجل على الفور بالكلمة التي قالها له مخلصنا من فرط إيمانه بقدرته الإلهية . وذهب إلى حيث كان ابنه في كفر ناحوم ( لوقا ٤ : ٢٣ و ٣١ ) : ( ٧ : ١ ) : ( ١٠ : ١٥ ) . وفيما هو ذاهب قابله خدمه في الطريق وبشّروه قائلين « إن ابنك حيّ » فاستفسر منهم عن الساعة التي بدأ فيها يسترد صحته . فقالوا له « بالأمس في الساعة السابعة زالت عنه الحمى » ، فأدرك أبوه أنها هي تلك الساعة ذاتها التي قاله له مخلصنا فيها « إن ابنك حيّ » . وآمن هو وكل أهل بيته بفادينا الحبيب . ويعتقد البعض أن ذلك الرجل هو « خوزى » وكيل الملك هيردوس الذي ذكره القديس لوقا في بشارته ( لوقا ٨ : ٣ ) . في حين يعتقد آخرون أنه هو « مناين » الذي جاء في سفر أعمال الرسل أنه تَرَبَّى مع ذلك الملك ( الأعمال ١٣ : ١ ) . وقد كانت هذه هي المعجزة الثانية التي صنعها مخلصنا في « قانا الجليل » بعد عودته من اليهودية ، إذ كانت معجزته الأولى التي صنعها في تلك المدينة هي معجزة تحويل الماء إلى خمر .



## الفصل الخامس

٥ : ١ - ١٦

وبعد هذا كان عيد لليهود ، وهو عيد الفصح ( اللاويين ٢٣ : ٥ ) ؛  
( التثنية ١٦ : ١ ) ؛ ( يوحنا ٢ : ١٣ ) ، فصعد محلّصنا إلى أورشليم للاحتفال  
بذلك العيد كعادته كل عام ( لوقا ٢ : ٤١ و ٤٢ ) . لأنه كان يلتزم بعبادات  
اليهود كواحد منهم ( الخروج ٢٣ : ١٥ ) . وقد كان من عادة اليهود أن يحتفلوا  
بعيد الفصح في أورشليم ، حيث يقيمون الطقوس الخاصة به في هيكلها ،  
ويقدمون فيه ذبائحهم وكل ما فرضته الشريعة اليهودية عليهم أن يقدموه بهذه  
المناسبة ( التثنية ١٦ : ١ ) . كما أن تجمّع اليهود في أورشليم في ذلك العيد كان  
فرصة طيبة لفادينا كي يجاهر بتعاليمه السماوية ، ويصنع معجزاته الإلهية بينهم ،  
فيؤمنوا بأنه هو المسيح الذي ينتظرونه .

وكان عند أحد أبواب أورشليم المسمّى « باب الضأن » ( نحميا ٣ :  
١ و ٣٢ ) ؛ ( ١٢ : ٣٩ ) ، حظيرة بالقرب منه يباع فيها الضأن وهو الخراف  
التي كان اليهود يقدمونها ذبيحة في عيد الفصح . وكان هذا الباب هو أقرب  
الأبواب إلى هيكل أورشليم الذي يقدمون فيه ذبائحهم . وكانت عنده بركة  
يسمونها بالعبرانية « بيت حسدا » ، وهي بركة قديمة من المرجح أنها هي  
المذكورة في نبوءات إشعيا ، النبي باسم « البركة العتيقة » ( إشعيا ٢٢ : ١١ ) .

وكان اليهود يستخدمونها للاغتسال من الأدناس الطقسية التي وردت في أسفارهم . ولذلك بنوا حولها خمسة أروقة . أي دهاليز مسقوفة . لخلع الملابس قبل الاغتسال . ثم ارتدائها بعد ذلك . ثم حدثت فيها ظاهرة رثتها الله لشفاء المرضى ، مما جعل اليهود يضطجعون في تلك الأروقة طلباً للشفاء من أمراضهم . فكان منظرًا فيها حشد كبير من المرضى ، من العمى والعرج والمصابين بالكساح ، منتظرين وقوع تلك الظاهرة الإلهية وهي تحريك الماء . لأن ملاكاً كان ينزل من وقت لآخر إلى البركة ويحرك ماءها . فكان أول من ينزل عند تحريك الماء يبرأ من كل مرض يعتره . وقد كانت هذه الظاهرة علامة على اقتراب موعد ظهور المسيح ابن الله الذي كان اليهود ينتظرونه . والذي كان هو القادر وحده على شفاء كل مرض مهما كان خطره أو كانت خطورته ، أو كان استعصاؤه على الشفاء . وكان اقتصار الشفاء في حالة تحريك الملاك للماء على من يُلقي بنفسه فيه أولاً من المرضى علامة على أن الذي يبادر إلى الإيمان بالمسيح عندما يحىء هو الذي يفوز بالخلاص . كما أن عدم شفاء المرضى الآخرين الذين يلقون بأنفسهم في البركة بعده ، علامة على امتحان الله لمدى تلهّف الناس على محىء المسيح لخلاصهم ومقدار صبرهم في انتظار هذا الخلاص .

وكان هناك بين المنظرين حول هذه البركة عندما مرّ بها محلّصنا رجل عليل منذ ثمان وثلاثين سنة ، ويبدو أنه كان مصاباً بالفالج أو الكساح . فلما رآه محلّصنا مضطجعاً ، وإذا كان يعلم على مقتضى علمه الإلهي أن له زماناً طويلاً هكذا ، قال له « أتريد أن تبرأ » . وقد كان محلّصنا يعلم بالطبع أنه يريد أن يبرأ ولكنه اراد أن يبدى اهتمامه به وعطفه عليه ، كما أراد أن يثير انتباهه إلى المعجزة التي سيصنعها له . ومع أنه يبدو حسب الظاهر أن سؤال فادينا له المجد لا محلّ له ، بالنسبة لإنسان مريض منذ ثمانية وثلاثين عاماً ، وقد أتى بالفعل وانطرح

مضطجعاً بالقرب من البركة ، مما يظهر معه أنه راغب في الشفاء . لكن مما لاشك فيه أن مخلصنا لم يسأل هذا السؤال عبثاً : « هل تريد أن تبرأ ؟ » بيد أن السؤال كان لا بد منه احتراماً لإرادة الرجل . فعطاي الله ومواهبه لا تمنح من غير إرادة الإنسان ورغبته ، وهذا برهان على حرية الإرادة في الأفعال الأدبية من خير وشر . وأن الإنسان مناط أمره بيده . وأنه لا يقسر على شيء بالرغم منه . حتى أمر الشفاء من المرض وبالتالي الشفاء من الخطيئة . ثم إن سؤال مخلصنا له المجد ربما كان مقصوداً على أنه موجه إلى عمق أعماق الرجل : إذا كان حقاً يريد أن يشفى ، وبالتالي إذا كان مستعداً أن يمنع نفسه عن الخطيئة التي سببت له هذا المرض ، وهو الثمن الذي لا بد له أن يدفعه في مقابل شفائه ، بدليل قول مخلصنا بعد أن شفاه : « هأنت ذا قد برئت . فلا تعد إلى الخطيئة لئلا يصيبك ما هو أسوأ » . وإلا فإنه قد يكون هذا العليل يريد الشفاء لجسده حتى يصير قادراً على أن يعود إلى الخطيئة التي أصبح عاجزاً عنها بفجز جسده . فيعود إليها من جديد . وعلى كل حال فإن هناك من المرضى من لا يريد حقاً الشفاء لنفسه لأنه يعلم أن الشفاء يكلفه التوبة التي لا يريدتها . وقد كان هذا الرجل فيما يبدو من هذا الطراز ، لأنه على ما نخبرنا البابا كيرلس الأول عمود الإيمان نقلاً عن يوحنا الرسول ، أن هذا الرجل قد عاد إلى الخطيئة فعلاً .

وعلى أي حال فإن العليل أجاب عن سؤال مخلصنا قائلاً : « ياسيد ليس لي من يلقى بي في البركة متى تحرك الماء . ففيما أنا أهمّ بالتزول يسبقني آخر » . ويبدو من هذه العبارة المريرة مدى أنانية الناس ، فإن كلاً منهم لا يفكر إلا في نفسه ، ولا يريد إلا أن يبرأ هو وحده من علته وإن كان يعلم أن كثيرين غيره يعانون أكثر مما يعاني ، وأن زمان مرض كثيرين غيره قد امتد أكثر كثيراً مما امتد زمان مرضه هو . بل إن من الأصحاء الذين لا يكابدون أي مرض من يجمعون عن مساعدة المريض ليعينوه على الشفاء من مرضه ، إذ يقول ذلك الرجل المسكين لمعلمنا :

« ليس لى من يلتقى بى فى البركة متى تحرك الماء ». أى أنه قد هجره الجميع فلم يَعد له صديق ولا معين . وقد يدل هذا من ناحية أخرى على أن ذلك الرجل كان مكروهاً لشَرِّه وفضاظته ، فإنه من غير المألوف أن يفقد الإنسان محبة كل الناس بحيث لا يبقى له صديق أو قريب ، مالم يكن إنساناً يستحق كراهية الناس له وابتعادهم عنه . وهنا نلمس الفارق الضخم بين هذا العليل وبين المفلوج الذى حمله أجاؤه وجاءوا به إلى محلّصنا فلما وجدوا الزحام حوله يحول دون الوصول إليه صعّدوا بالمفلوج إلى السقف ونقبوه ثم انزلوه بفراشه الذى كان راقداً عليه إلى حيث كان محلّصنا (مرقس ٢ : ١-١٢) ؛ (لوقا ٥ : ١٧-٢٦) . ولا ريب أن عدم اهتمام الناس بذلك العليل الراقد بجوار البركة كان عاملاً من العوامل التى جعلت محلّصنا يؤثّر باهتمامه دون غيره من المرضى الآخرين المضطّجين حول البركة ، ومن ثم قال له : « قم احمل فراشك وامش » . ففى الحال برىء الرجل وحمل فراشه ومشى . فكانت هذه الكلمة من فادينا الحبيب تنطوى على أمر للمرض المزمن بأن ينصرف على الفور ، بحيث يستعيد الرجل كل قوّته ، ويبلغ من قدرته لا أن يقوم من رقدته الطويلة ويمشى فحسب ، وإنما كذلك أن يقوى على حمل فراشه كأى إنسان صحيح الجسم لا يعانى أى مرض أو ضعف ، مع أنه كان ولاشك قد تقدمت به السنُّ بعد مرضه كل تلك السنين الطوال المليئة بالأوجاع والأهوال . وهنا نلاحظ أن محلّصنا له المجد لم يتضرّع كما يتضرّع الأنبياء ، فهو لم يطلب قوة من خارج ذاته . وإنما شفى المريض بأن أصدر إليه الأمر بالشفاء من دون صلاة ، مما يدل على سلطان لاهوته . وقد صنع محلّصنا ذلك مراراً فى كل المعجزات التى أجراها (متى ٩ : ٦ و٥) . (مرقس ٢ : ١١ و٩) ؛ (لوقا ٥ : ٢٣ و٢٤) .

ولعلّ تهاة عقلية اليهود وسفاهة فهمهم لشريعتهم ، وخبث طبيعهم ومكر طبيعتهم . وكل ما اجتمع لهم من صفات شريرة وحقيرة ، لا يبدو كما بدا فى

حديثهم عن هذه المعجزة التي صنعها محلّصنا الصالح . إذ أنهم حين رأوا ذلك الرجل المنطرح مشلولاً مايقارب الأربعين عاماً ، لم يسألوه عمّن صنع له تلك المعجزة التي تعلو على مدارك البشر فأبرأه . وإنما إذ كان اليوم سبتاً ، وإذ رأوه يحمل فراشه ، قالوا له « إن اليوم سبت ، فلا يحلُّ لك أن تحمل فراشك » ، وهذا تمثيلاً مع الفهم الحرفي لما أمرت به الشريعة (الخروج ٢٠ : ١٠) ؛ (نحميا ١٣ : ١٩) ؛ (ارميا ١٧-٢٧) . ولا بد أن الرجل قد أذهله تفكيرهم اللثم ، ومنطقهم السقيم ، بعد أن رأوا معجزة شفائه ، فلم يبالوا بها ، على الرغم من غرابتها التي تفوق كلَّ حد ، وإنما اتجه كلُّ همهم إلى لومه على أمرشكليّ تافه يدل على سوء فهمهم لمقاصد شريعتهم ، لأنه كما قال محلّصنا : « إنما جعل السبت لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت » (مرقس ٢ : ٢٧) . فأجابهم الرجل بتفكير سليم ومنطق قويم أفحمهم به وألجمهم ، إذ قال لهم : « إنَّ الذي أبرأني هو الذي قال لي : احمل فراشك وَاَمْشِ » ، أى أن الذي صنَّع له هذه المعجزة الباهرة المبهرة لا بد أنه يملك من القوة القادرة القاهرة أكثر بكثير مما لشريعة حفظ السبت . وكأنما كان يعرف ما قرره محلّصنا في مثل هذه المناسبة إذ قال إن « ابن الإنسان هو رب السبت » (مرقس ٢ : ٢٨) ؛ (متى ١٢ : ٨) ؛ (لوقا ٦ : ٥) . وإذ نخاذل اليهود أمام هذه الإجابة السديدة سألوه في غيظ : « من هو الرجل الذي قال لك احمل فراشك وَاَمْشِ ؟ » . ولكن الذي برى ، لم يكن يعلم مَنْ هو لأن السيد المسيح له المجد بعد أن شفاه لم يكشف له عن شخصيته ، وإنما تركه واختفى ، حيث كان ذلك المكان مزدحماً بالناس ، لأنه لم يكن يريد لحكمة ارتآها أن يعلن عن شخصيته في هذا الزحام فيختلف الناس في أمره ، ويحدث بينهم شقاق وشغب لم يكن يريد أن يحدث ، تاركاً المعجزة التي صنعها للرجل الكسيع تتحدث عن نفسها .

بيد أن محلّصنا بعد ذلك وجد الرَّجُل في الهيكل - ولا بد أنه بمجرد شفائه

ذهب ليقدم الشكر هناك لله - فقال له : « هأنت ذا قد برئت . فلا تعد إلى الخطيئة لئلاً يصيبك ما هو أسوأ » . ويدلّ ذلك على أن المرض الطويل الذي عاناه ذلك الرجل إنما كان قصاصاً له من الله على خطيئة ارتكبها . ومن ثمّ حدّره من أنه إذا عاد إلى ارتكاب الخطيئة فسيصيبه من الشر أسوأ مما سبق أن أصابه . فلم يعد له عذر إذا أخطأ مرة أخرى . ويكون من العدل الإلهي عندئذ عقابه بمرض أشد وأقسى في هذه الحياة الدنيا أو بهلاكه في يوم الدينونة . وفعلاً لقد عاد هذا الرجل إلى الخطيئة من جديد . وكان هو الرجل الذي قاد مظاهرة لمنع دفن العذراء مريم بعد وفاتها ، وأمسك بالتابوت ، فضربه رئيس الملائكة ميخائيل بسيفه ، فانفصلت يده من جسمه ، على ما روى الباب كيرلس الأول عمود الايمان نقلا عن القديس يوحنا الرسول . وإذ علم هذا الرجل أن مخلصنا بعد هذا الذي قاله له هو الذي شفاه ، مضى وقال لليهود إن يسوع هو الذي أبرأه . غير أن اليهود أوغلوا في تفاهتهم وسفاهتهم وخبيثهم ومكرهم وشرهم ، فلم يجدوا ذلك الشخص الإلهي الذي صنع تلك المعجزة التي لا يقدر أن يصنعها إلا الله وحده ، بل على العكس أخذوا يطاردونه ويسعون إلى قتله ، لا لسبب إلا لأنه صنع تلك المعجزة في السبت . بيد أن هذا لم يكن السبب الحقيقي لما أرادوا أن يفعلوه به . وإنما كان السبب هو غيرتهم العمياء منه وحقدهم الأسود عليه ، بعد أن راوا مانال من مجد وكرامة وتكريم لدى الذين آمنوا به .

٥ : ١٧ - ٣٠

وهنا ثارت مناقشة محتدمة بين مخلصنا وبين اليهود ، إذ كان له المجد هدفاً دائماً لمناوأة طوائف كثيرة منهم ، ولا سيما رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين والصدوقيين المتفقيين في الشريعة اليهودية ، الذين كانوا لا يفتأون متربصين له ، ليتصيدوا منه كلمة يبتون بها أنه ليس المسيح المنتظر ، ليحولوا دون إيمان الناس

به ، أو ليدفعوه إلى قول يتهمونه فيه بارتكاب مخالفة للشريعة تستوجب الحكم عليه بالموت ، أو يتهمونه فيه بالتمرد على الرومان الذين يحكمونهم ، فيكون ذلك ذريعة للحكم عليه بالموت كذلك . إذ كان هدفهم الدائم وغايتهم الوحيدة أن يقضوا عليه ويتخلصوا منه ، لأنه كان يندد بشروهم ويهدد مكائنتهم في المجتمع اليهودي ، إذ يفضح رياءهم وتماديهم في كبرياتهم وغرورهم ، واتخاذهم الدين ستاراً للاستمتاع بالدنيا واستعباد الناس واستغلالهم وابتزاز أموالهم وإخضاعهم لجورهم وفجورهم . فكانوا لا ينقطعون عن مراقبته والتجسس عليه وتوجيه أسئلة إليه يتضمّن كل سؤال منها فخاً يريدون أن يقتنصوه به . وقد أعدّوه له بكل ما في طبيعتهم من خبث ومكر ودهاء . وبكل ما في طاقتهم من علم بالشريعة وأسرارها وخفاياها . ومن قدرة على المحاوراة والمناورة والخديعة والاتواء . وقد كانوا يفاجئونه بتلك الأسئلة ليأخذوه على غرّة ، وليدفعوه لأن يجيبهم دون تفكير أو تحضير أو حيلة أو حدّر ، عسى أن يخطيء الخطأ القاتل الذي يريدونه له . ولكن السيد المسيح كان ينطلق في الاجابة عن اسئلتهم على الفور . فسرعان ما يفحمهم بالحجة القوية ويلجمهم بالمنطق الدقيق العميق ، متخذاً من السلاح الذي يوجهونه إليه سلاحاً ضدهم . وإذا كانوا يتشدقون بمعرفتهم بالشريعة ومحاولون أن يوقعوه في أحاييلها ، فسرعان ما كان يأتيهم بالحجة التي تبطل كيدهم من شريعتهم ذاتها ، فهي حاضرة دائماً بين شفثيه ، لا يحتاج في الاستشهاد بها إلى وقت ليتذكرها ، أو إلى بحث ليعثر عليها . فكانوا يقفون أمامه مدحورين مقهورين مبهورين . ثم لا يلبثون أن ينصرفوا عنه خجلين متخاذلين . ونجد مثلاً من كل ذلك في هذا الفصل وفي الفصول التالية من بشارة القديس يوحنا ، إذ كان أغلب تلك الفصول حواراً محتدماً مضطرباً بينه وبين اليهود ، لا يلبث أن يهدر فيه حجتهم ويقهر حقدهم وسوء نيتهم وسواد قلوبهم .



ومن ذلك ما حدث بعد أن صنع فادينا له المجد معجزة شفاء الكسيح عند بركة بيت حسدا، إذ رأينا أن اليهود حين علموا بأنه هو الذى صنع هذه المعجزة أخذوا يطاردونه ويسعون إلى قتله، زاعمين أنهم يريدون أن يفعلوا به ذلك لأنه صنع معجزته تلك فى السبت. ويبدو أنهم قدّموه من أجل هذه التهمة إلى مجلسهم الأعلى وهو السنهدريم ليحاكمه ويحكم عليه بالموت وفقاً للشريعة اليهودية التى تقضى بقتل من يكسر السبت بأن يقوم فيه بأى عمل.

ولم تكن هذه هى المرة الوحيدة التى اعترض فيها اليهود على محلّصنا لأنه شفى مريضاً فى يوم سبت، وعدّوه لذلك ناقضاً لشريعة السبت، فقد اعترضوا عليه أيضاً لأنه أبرأ رجلاً ذايد يابسة فى يوم سبت، «فخرج الفريسيون على الفور وتأمروا ضده مع الهيروديسين كى يهلكوه» (مرقس ٣ : ١ - ٦)؛ (متى ١٢ : ٩ - ١٤). بل يقول الإنجيل للقديس لوقا «ومن ثم جنّ جنونهم، وراحوا يتشاورون فيما بينهم ماذا يفعلون بيسوع» (لوقا ٦ : ٦ - ١١).

واعترضوا عليه لأنه شفى فى يوم سبت امرأة كان قد استولى عليها روح أصابها بمرض منذ ثمانية عشر عاماً، فكانت منحنية ولم تكن لتستطيع أن تنتصب البتّة، فوضع يديه عليها، ففى الحال انتصبت.. «(لوقا ١٣ : ١٠ - ١٧)». واعترضوا عليه لأنه شفى فى يوم سبت رجلاً مصاباً بداء الاستسقاء (لوقا ١٤ : ١ - ٦).

واعترضوا عليه لأنه شفى فى يوم سبت المولود أعمى.. «فقال قوم من الفريسيين: إن هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت» (يوحنا ٩ : ١٤ - ١٦).

وكان محلّصنا دائماً يرد على اعتراضاتهم مصححاً لهم سوء فهمهم لمقاصد الشريعة، بأنه «يحلّ فعل الخير فى السبت» (متى ١٢ : ١٢)؛ (مرقس ٣ :

(٤) . وبالتالي « يحلّ الإبراء في السبت » (متى ١٢ : ١٠) ؛ (لوقا ١٤ : ٣) . وقال يوبّخهم على غلظة قلوبهم . « إن كان لأى منكم شاة واحدة وسقطت في حفرة في السبت ، أفلا يمسك بها ويخرجها . فكم هو الإنسان أفضل من الشاة ؟ » . (متى ١٢ : ١١ و ١٢) . كما قال : « أيها المراءون ألا يحلّ كل منكم في يوم السبت ثوره أو حماره من المزود ويمضى به فيسقيه ؟ » (لوقا ٦ : ١٥) . وقال « من منكم يسقط حماره أو ثوره في بئر فلا يسارع إلى انتشاله في يوم السبت ؟ » (لوقا ١٤ : ٥) .

وقال أيضا يوبّخهم على مايقعون فيه هم أنفسهم من تناقض « وأنتم تختنون الإنسان في السبت . فإن كان الإنسان يخن في السبت لثلاث تُنقَصَ شريعة موسى ، أفتسخطون علىّ لأننى شفيت إنساناً بأكمله في السبت ؟ . لا تحكموا حسب الظاهر ، وإنما احكموا بالحق » (يوحنا ٧ : ٢٣ و ٢٤) .

وإذ وجّه أعضاء السهدريم هذه التهم إلى محلّصنا أجابهم قائلاً : « إن أبى حتى الآن يعمل ، وأنا أيضاً أعمل » . أى أن الله أباه السماوى له السلطان أن يقضى بماينبغى عمله وما لا ينبغى عمله في السبت ، لأنه هو رب السبت . ولما كان محلّصنا هو ابن الله ، فإن له نفس السلطان ، ومن ثم هو أيضاً رب السبت . وقد سبق له أن قرّر ذلك صراحة ، إذ قال « إن ابن الإنسان هو رب السبت » (متى ١٢ : ٨) ؛ (مرقس ٢ : ٢٨) . وبهذه العبارة التى قالها له المجد أمام رؤساء اليهود أكّد انه هو ابن الله الآب ، وأنه يعمل مع الآب لأنه في وحدة كاملة معه . فإذا كان الله الآب هو الذى قرّر في شريعة العهد القديم أن يكون السبت يوم راحة ، لا يصح فيه القيام بأى عمل (الخروج ٢٠ : ٨) ؛ (٣١ : ١٣) فإن له السلطان أيضاً أن يقرّر الأعمال التى يصح القيام بها في ذلك اليوم إن كانت هذه الأعمال تستوجبها الضرورة أو الرحمة أو الخير (متى ١٢ : ١٢) ؛

(مرقس ٣ : ٤) ؛ (لوقا ٦ : ٩) ، أو أى اعتبار آخر ينطوى على تمجيد الله والعمل بمشيئته ، على مقتضى إرادته وحكمته . ولما كان مخلصنا هو ابن الله وله نفس سلطانه فمن حقه أن يفعل نفس الشيء ، لأنه كما أن الله خلق كل الأشياء بالمسيح ( يوحنا ١ : ٣ ) ؛ (أفسس ٣ : ٩) ؛ (كولوسى ١ : ١٦) ؛ (العبرانيين ١ : ٢) ؛ (الرؤيا ٤ : ١١) ، فهو أيضا يعمل كل الأشياء ويدبرها به (العبرانيين ١ : ٣) . ثم إن في قوله له المجد « إن أبى حتى الآن يعمل وأنا أيضا أعمل » بيانا بأن الله تعالى لا يتوقف عن العمل . حقا لقد قال الكتاب المقدس « وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل » (التكوين ٢ : ٢) ؛ (الخروج ٢٠ : ١١) ؛ (٣١ : ١٧) ؛ (العبرانيين ٤ : ٤) . بيد أن الفراغ من العمل ليس معناه التوقف عن العمل . إنه تعالى فرغ من عمل الخليقة الأولى ، لكنه لا يتوقف عن العمل إطلاقا . فالله الذى خلق الكون ، لا يزال يخلق بالقوانين التى ستمها للخليقة ولكل مخلوق منها ، سواء المخلوقات الحية أو الجامدة . وهو تعالى حافظ الكون وليس خالقه فقط ، فعنايته وتدييره ورعايته مستمرة وإلى الأبد بغير توقف . ثم إنه تعالى هو الذى يحفظ لقوانين الطبيعة بقاءها واستمرارها وفعاليتها بغير توقف . هذا فضلا عن تدييره للكائنات العاقلة وتدخله المباشر وغير المباشر في حياة كل مخلوق ، ورعايته له . وهو أيضا ساهر لا ينام ليضمن للوجود بقاءه واستمراره ، ويكفل لكل شىء في خليقته أن يسير في مساره المرسوم له بحسب طبيعته دون تصادم مع غيره ، فهو تعالى الضابط للكون ، وسيده ، ولا يغفل عن سياسته وتدييره ، كليًا وجزئيًا ( انظر يوحنا ٩ : ٤) ؛ (١٤ : ١٠) .

وفي قول مخلصنا له المجد « إن أبى حتى الآن يعمل وأنا أيضا أعمل » تمجيد للعمل ، وتكريم له . فإذا كان الله يعمل ، فمن شرف الإنسان المخلوق على صورة

الله ومثاله أن يعمل ، ولا يتوقف عن العمل . وعندما خلق الله الإنسان « وضعه في جنة عدن ليفلحها ويحفظها » ( التكوين ٢ : ١٥ ) . فالعمل كرامة الإنسان ، ليكون على غرار خالقه ، خالقاً صغيراً بما وهبه الله من إمكانيات وإمكانيات يصقلها ويستثمرها . وقد أمر الله الإنسان منذ الابتداء قائلاً « املأوا الأرض وأخضعوها وتسَلطوا على سَمَك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدبُّ على الأرض » ( التكوين ١ : ٢٨ ) . فهذا السلطان العظيم الذي أعطاه الله للإنسان كي يُخضع الأرض ويسود به على الطبيعة وعلى الخليقة معناه أن الله يتطلَّب من الإنسان أن يستثمر ما وهبه الله إياه من قدرات روحية وعقلية ومادّية لكي يخضع الأرض وقوانينها لخيرهِ وخير الوجود ، حسب إرادة خالقه . وفي تمجيد العمل يقول القديس بولس الرسول « أنتم تعرفون كيف يجب أن يُتمثل بنا ، لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم ، ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحد ، بل كنا نشتغل بتعب وكدِّ ليلاً ونهاراً لكي لا نثقل على أحد منكم .. لكي نعطيكم أنفسنا قدوة حتى تمثلوا بنا . فإننا أيضاً حين كنا عندكم أوصيناكم بهذا ، إنه إن كان أحد لا يريد أن يعمل فلا ينبغي أن يأكل أيضاً » ( ٢ . تسالونيكي ٣ : ٧ - ١٠ ) . وقال أيضاً « أطلب اليكم أيها الإخوة .. أن تحرصوا على أن تكونوا هادئين وتمارسوا أموركم الخاصة وتشتغلوا بأيديكم أنتم كما أوصيناكم » ( ١ . تسالونيكي ٤ : ١٠ ) . ويقول أيضاً « لا يسرق السارق فيما بعد ، بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطى من له احتياج » ( أفسس ٤ : ٢٨ ) .

وإذ قال مخلصنا « إن أبي حتى الآن يعمل وأنا أيضاً أعمل » ، اشتدت رغبة اليهود في قتله ، لأنه لم ينقض السبت فحسب ، وإنما قال أيضاً إن « الله أبي » . مساوياً نفسه بالله . وهذا يدل على أن اليهود فهموا من بنوة المسيح لله أنها ليست

مجرد بنوة نَسِيَّة ، إنما فهموا هذه البُنُوَّة على معناها الحقيقي الكامل ، أى بمعنى أن المسيح هو « صورة الله الغير المنظور » ( كولوسى ١ : ١٥ ) ؛ ( ٢ . كورنثوس ٤ : ٤ ) ؛ ( العبرانيين ١ : ٣ ) . وبعبارة أخرى أنه هو الله الغير المنظور وقد صار منظوراً وأنه هو الله الظاهر فى الجسد . لذلك أرادوا قتله ، لأنه بهذه الدعوى جعل نفسه مساوياً لله ( يوحنا ١٠ : ٣٣ ) . ولقد أكَّد السيد المسيح له المجد مساواته لله الآب إذ قال « أنا وأبى نحن معاً واحد » ( يوحنا ١٠ : ٣٠ ) وجاء فى رسالة بولس الرسول إلى فيلبى « المسيح يسوع الذى إذ هو فى صورة الله لم يكن يعتد مساواته لله اختلاساً » ( فيلبى ٢ : ٦ ) ومن ثمَّ أضاف مخلصنا بذلك إلى نهمته الأولى التى تستوجب الموت ، وهى أنه نقض السبت ، نعمة أخرى عدّها اليهود أشنع وأبشع ، وتستوجب الموت أكثر من الأولى ، وهى أنه قال عن نفسه إنه ابن الله وإنه مساو له ويملك نفس سلطانه وقوته ومجده . ولم تكن هذه هى المرة الوحيدة التى كان اليهود يبتغون فيها قتله ، فقد سعوا كثيراً لأن يقتلوه ( انظر متى ١٢ : ١٤ ) ؛ ( ٢٧ : ١ ) ؛ ( مرقس ٣ : ٦ ) ؛ ( لوقا ٦ : ١١ ) ؛ ( يوحنا ٧ : ١٩ ) ؛ ( ١٠ : ٣٩ و ٣١ ) ، ( ١١ : ٥٣ ) ؛ ( الأعمال ٣ : ١٣ و ١٥ ) .

فلما رأى مخلصنا غلظة قلوبهم وعمى أبصارهم وبصائرهم ، وإصرارهم على قتله ، بدلاً من أن يؤمنوا بما يقول ، ولا سيما بعد ما سمعوا من تعاليمه السامية ومعجزاته الإلهية ، استرسل فى توضيح تلك الحقيقة التى قررها لهم عن علاقته بالله الآب ، عسى أن يفتح بذلك مغاليق عقولهم وقلوبهم ، قائلاً لهم : « الحق الحق أقول لكم إن الابن لا يسعه أن يعمل الذى يعمل من نفسه شيئاً ، إلا ما يرى الآب يعمل ، لأن كل ما يعمل الآب يعمله الابن أيضاً . فإن الآب يحب الابن ، وهو يريه كل ما يعمل ، وسيره اعمالاً أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم ، لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم ، هكذا الابن يحيى من يشاء ، فإن الآب لا يدين أحداً وإنما

سَلَّمَ القضاء كله للابن ، ليمجد الجميع الابن كما يمجدون الآب . ومن لا يمجّد الابن ، لا يمجّد الآب الذى أرسله . الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى له الحياة الأبدية ، ولن يأتى إلى دينونة ، وإنما ينتقل من الموت إلى الحياة . الحق الحق أقول لكم : إن ثمة ساعة تأتى ، وقد أتت الآن ، يسمع فيها الموتى صوت ابن الله ، والذين يسمعون يحيون . لأنه كما أن الآب له الحياة فى ذاته ، هكذا أعطى الابن أن تكون له الحياة فى ذاته . وقد أعطاه السلطان لأن يدين ، لأنه ابن الإنسان . لا تعجبوا من هذا ، فإنه تأتى ساعة يسمع فيها كل الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة . أنا وحدى لا أستطيع من نفسى أن أعمل شيئاً ، وإنما حسبما أسمع أدين ، ودينونتى عادلة ، لأننى لا أبتغى مشيئتي ، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى .

وفى هذه العبارات العظيمة الدلالة ، العميقة المعنى ، يوضح محلّصنا العلاقة التى تربطه بأبيه السماوى ، باعتبار أنها ذات إلهية واحدة ، ولها مشيئة واحدة . فما يريدّه الآب يريدّه الابن أيضاً وما يعملّه الآب يعملّه الابن أيضاً . والابن باعتباره الله الظاهر فى الجسد ، لا يسعه أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما يرى الآب يعملّه ، أى أن عمل الابن بصفته الله المنظور ، لا يمكن إلا أن يكون مطابقاً لعمل الآب ، ومتفقاً معه ، أى أن الابن لا ينفرد بعمل شىء دون أن يكون الآب يريدّه وبيتيه ، إذ أن إرادتها واحدة . وهو يؤكد هذا المعنى كثيراً . ومن ذلك قوله : « أنا وحدى لا أستطيع من نفسى أن أعمل شيئاً » (يوحنا ٥ : ٣٠) وقوله « إني لا أعمل شيئاً من نفسى وحدى وإنما أتكلّم بما علّمنى أبى » (يوحنا ٨ : ٢٨) وقوله « لأننى لم أتكلّم من نفسى وحدى » (يوحنا ١٢ : ٤٩) وقوله « إن الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلّم به من نفسى أنا وحدى » (يوحنا ١٤ : ١٠) . انظر أيضاً (يوحنا ٩ : ٤) .

إن السلطان الذي للابن هو نفسه السلطان الذي للآب ، نظرًا للوحدة الكاملة بينهما (متى ١١ : ٢٧) ؛ (٢٨ : ١٨) ؛ (لوقا ١٠ : ٢٢) ؛ (يوحنا ٣ : ٣٥) ؛ (١٧ : ٢) ؛ (١ . كورنثوس ١٥ : ٢٧) ؛ (أفسس ١ : ١٠ و ٢١) ؛ (فيلبي ٢ : ٩ و ١٠) ؛ (العبرانيين ١ : ٢) ؛ (٢ : ٨) . والوحدة الكاملة بينهما تنطوي بالضرورة على المحبة الكاملة التي تربط بينهما (متى ٣ : ١٧) ؛ (١٢ : ١٨) ؛ (١٧ : ٥) ؛ (مرقس ١ : ١١) ؛ (٩ : ٧) ؛ (لوقا ٣ : ٢٢) ؛ (٩ : ٣٥) ؛ (يوحنا ٣ : ٣٥) ؛ (١٠ : ١٧) ؛ (أفسس ١ : ٦) ؛ (كولوسي ١ : ١٣) ؛ (٢ . بطرس ١ : ١٧) . كما تنطوي هذه الوحدة الكاملة بين الله الآب والله الابن على المشيئة الواحدة والإرادة الواحدة بينهما ، متطابقة مطابقة تامة ومطلقة . ويترب على ذلك أن كل ما يعمل الآب يراه الابن وباعتباره الله المتجسد يعمل بمقتضاه لأن ارادتهما واحدة ومشيئتهما واحدة ومقاصدهما واحدة . ووساطة الابن في مهمة الفداء التي أخذها على عاتقه ، لا تنتقص ذرة واحدة من تلك الوحدة بين الآب والابن في الإرادة والمشية والمقاصد ، لأنه حين اتخذ الابن جسدًا بشريًا وحلَّ في الأرض بين الناس كواحد منهم ، ظل مع ذلك وفي نفس الوقت في السماء ، وقد سبق لمخلصنا أن قرر ذلك في حديثه مع نيقوديموس حين قال له « ما من أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذي نزل من السماء » (يوحنا ٣ : ١٣) . وهو - وإن حلَّ في الأرض - ظل مع ذلك وفي نفس الوقت « في حضن الآب » ، إذ يقول الإنجيل للقديس يوحنا إن « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو الذي أخبر عنه » (يوحنا ١ : ١٨) . ولذلك فإن الابن وهو كائن في الأرض كان يعلم تمام العلم ، ويرى أوضح الرؤية ، كل ما يعمل الآب في السماء . ولما كان الابن واحدًا مع الآب في الجوهر وفي اتحاد كامل معه ، فإن « كل ما يعمل الآب يعملهُ الابن أيضًا » وهو يعملهُ - وإن كان متخذًا جسد

إنسان على الأرض - بنفس السلطان الذى للآب فى السماء . فإذا قام الابن بعمل فى السبت - وهو الاتهام الذى وجَّه إليه اليهود - فإن ذلك داخل فى سلطانه بنفس الدرجة التى هو داخل بها فى سلطان الله الآب ، بل إن الابن سيعمل - على مقتضى التوافق والمساواة والاتحاد بينه وبين الآب - أعمالاً أعظم من عمل الخير فى السبت ، إذ تقتضى الحكمة الإلهية ذلك ، وأعظم من شفاء الرجل العليل عند بركة بيت حسدا وإصدار الأمر إليه بأن يحمل فراشه فى ذلك اليوم ، وستكون تلك الأعمال العظيمة مصدر عجب ودهشة لليهود ، تفوق كل عجب ودهشة استولت عليهم قبل ذلك من أى معجزة صنعها مخلصنا . ولعله يشير إلى سلطانه المطلق فى شفاء جميع الأمراض دون استثناء ، وإخراج الأرواح النجسة بسلطان لاهوته دون أن يتضرَّع أو يصلِّى كما يفعل الأنبياء والرسل ، وكيف ينتهر الريح والبحر ، ويزجر الحمى ، ويقيم الموتى بقدرته ، دون أن يطلب شيئاً من هذا من كائن آخر. خارج عن ذاته . وذلك لأنه سيقوم بما لا يمكن أن يقوم به إلا الله الآب وحده ، إذ سيقم الموتى ويعيدهم إلى الحياة «لأنه كما أن الآب يقم الموتى ويحييهم هكذا الابن يحيى من يشاء» . لقد أقام ابنة يايروس بسلطان لاهوته (مرقس ٥ : ٤١) ؛ (لوقا ٨ : ٥٤) . وأقام ابن أرملة نايين بسلطان لاهوته (لوقا ٧ : ١٤) . وأقام لعازر بسلطان لاهوته (يوحنا ١١ : ٤٣) . وقال إنه يمنح الحياة ، بل الحياة الأبدية ، لكل من يؤمن به ويحفظ كلامه ويعمل به (يوحنا ٣ : ١٥ و١٦ و٣٦) ؛ (٤ : ١٤) ؛ (٦ : ٢٧ و٤٠ و٤٧ و٥٤) ؛ (٨ : ٥١) ؛ (١١ : ٢٥) ؛ (٢٠ : ٣١) ؛ (١ . يوحنا ٥ : ١١ و١٢) . وهذا أكبر دليل على أن سيدنا وفادينا له المجد هو ابن الله ويملك نفس السلطان الذى يملكه أبوه السماوى ، فهو متحد به اتحاداً كاملاً . ومساوٍ له مساواة كاملة فى جميع الصفات والكمالات الإلهية ، كما أن من دلائل ذلك السلطان الذى يملكه مخلصنا بناء على اتحاده الكامل بالله الآب



ومساواته الكاملة له ، أن أباه قد سلّم له القضاء كله في يوم الدينونة . فلن يكون الديّان في ذلك اليوم هو الآب ، وإنما سيكون هو الابن . وهذا وحده دليل كامل وكاف على ألوهية الابن الذي هو محلّصنا ، مادام له كل هذا السلطان على كل البشر ، إذ يملك في ذلك اليوم الرهيب المهيب أن يفصل بين الأخيار والأشرار ، فيمنح الاخيار الحياة الأبدية ، وأما الأشرار فيقضى بهلاكهم الهلاك الأبدى ( متى ٢٥ : ٣١ - ٤٦ ) .

أما أن المسيح هو وحده الذي سيدين الأحياء والأموات في اليوم المعين للدينونة ، فهو ما تجده في مواضع متفرقة من الكتاب المقدس : إذ يقول المسيح له المجد « ومتى جاء ابن الإنسان في مجده ، وكل الملائكة القديسين معه ، يجلس عندئذ على عرش مجده ، وتجتمع أمامه كل الشعوب ، فيفرز بعضهم من بعض كما يفرز الراعي الخراف من الجداء ، ثم يقيم الخراف عن يمينه وأما الجداء فعن يساره . حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا أيها المباركون من أبي لترثوا الملكوت .. ثم يقول أيضًا للأشرار الذين عن يساره : اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته .. » ( متى ٢٥ : ٣١ - ٤٦ - وانظر أيضًا متى ١٩ : ٢٨ ) . وجاء في سفر أعمال الرسل « نحن ( الرسل ) الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من بين الأموات . وقد أوصانا أن نركز للشعب ، ونشهد بأنه هو الذي عينه الله ديّانًا للأحياء والأموات » ( الأعمال ١٠ : ٤١ و ٤٢ ) .. « لأنه قد عين يومًا فيه مزع أن يدين المسكونة بالعدل برجلٍ قد عينه مقدمًا للجميع إيمانًا ، إذ أقامه من بين الأموات » ( الأعمال ١٧ : ٣١ ) . وجاء في رسالة بولس الرسول إلى أهل روما قوله « اليوم الذي يدين الله فيه سرائر الناس بحسب إنجيلي يسوع المسيح » ( روما ٢ : ١٦ ) ، وقوله « فإننا جميعًا سنقف أمام منبر المسيح » ( روما ١٤ : ١٠ ) وفي رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس يقول « لأننا جميعنا لا بُدَّ من أن نظهر أمام منبر المسيح لينال كل واحد على حسب

ما صنع بالجسد خيراً كان أم شراً» (٢ . كورنثوس ٥ : ١٠) ، وفي رسالته الثانية إلى تيموثيوس يقول « الرب يسوع المسيح سيدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته » (٢ . تيموثيوس ٤ : ١) .

وبسبب سلطان الدينونة هذا الذى لمخلصنا ابن الله ، والذى ليس فوقه سلطان يتعين على الجميع أن يمجّدوا الابن كما يمجّدون الآب . ومن لا يمجّد الابن ، لا يمجّد الآب الذى أرسله إلى الأرض متخذاً جسد إنسان ليتمم عمل الفداء الذى دبرته الرحمة الإلهية لخلاص البشر وإنقاذهم من حكم الهلاك الصادر عليهم بسبب خطاياهم . وإذا كان المسيح له المجد يردد دائماً أن الآب أرسله أو أنه مُرسل من الآب ( يوحنا ٤ : ٣٤ ) ؛ ( ٦ : ٣٨ ) فهذا الإرسال ليس من نوع إرسال الأنبياء والرسل . لأن هؤلاء إرسلهم من خارج الذات الإلهية . وأما إرسال الابن فهو إرسال من الداخل ، أى من الذات الإلهية على نحو ما ترسل الشمس أشعتها ، فهى منها وفيها ولا تفصل عنها . ثم إنه إذ يقول إن الآب أرسله أو أنه مُرسل من الآب ، إنما يقول ذلك لكى يطمئن الناس إلى أنه ليس إلهاً آخر مستقلاً أو منفصلاً عن الآب الذى يعرفونه بأنه هو الله . وذلك قصداً إلى توكيد الوجدانية ، وأن الله واحد : فالآب هو الله غير المنظور ، والابن هو الله وقد صار منظوراً . فهما ليسا اثنين ، وإنما إله واحد .

وقد رتبَّ لمخلصنا على هذه الحقيقة ، حقيقة أخرى ترتبط بها وتؤدى إليها ، إذ قال لليهود « الحق الحق أقول لكم إنَّ من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى له الحياة الأبدية ، ولن يأتى إلى دينونة ، وإنما ينتقل من الموت إلى الحياة » . لأنه ما دام له سلطان الدينونة بصفته الله الديان ، وبحكم اتحاده بالله اتحاداً تاماً فإن من يُطيعه ، بأن يسمع كلامه ، وينفِّذ وصاياه وأحكامه ، ويؤمن به وبالآب السماوى الذى أرسله إلى الأرض متخذاً جسد إنسان ليؤدى المهمة التى

دبرتها العناية الإلهية لخلاص البشر ينال الخلاص بالفعل ويستحق الحياة الأبدية التي هي من نصيب أولئك الذين نالوا الخلاص . ولن يحكم عليه الديان العادل بالموت الذي هو الهلاك الأبدى . ويتم ذلك على مرحلتين ، وفي مناسبتين ، إحداهما هي « أن ثمة ساعة تأتي ، وقد أتت الآن ، يسمع فيها الموتى صوت ابن الله ، والذين يسمعون يحيون » ، أى أن ثمة أناساً وإن كانوا لا يزالون على قيد الحياة في أثناء وجود المسيح بينهم على الأرض - يُعدّون موتى بسبب خطاياهم (متى ٨ : ٢٢) ؛ (لوقا ٩ : ٥٩ و ٦٠) ؛ (أفسس ٢ : ١ و ٥) ؛ (٥ : ١٤) ؛ (كولوسى ٢ : ١٣) ، فإن آمنوا بفادينا نالوا الخلاص ، ومن ثمّ يستحقون الحياة الأبدية بسبب إيمانهم ، وبسلطان ذلك الذى يملك الحكم بالحياة الأبدية للذين يؤمنون به ، أو بالهلاك الأبدى للذين ينكرونه ويتنكرون له ، ويسعون إلى القضاء عليه . والقيامة هناهى القيامة من موت الخطيئة . وهى ليست عامة ، لكنها مقصورة على الذين يسمعون كلام الله ، وصوت ابن الله ودعوته وتعاليمه ويطيعون ويعملون بما سمعوا .. « هذه هى القيامة الأولى . مبارك ومقدس من له نصيب فى القيامة الأولى . هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم » (الرؤيا ٢٠ : ٥ و ٦) . لأنه كما أن الآب له الحياة فى ذاته ، هكذا أعطى الابن أن تكون له الحياة فى ذاته ، أى أنه كما أن الآب لا يستمد وجوده من آخر ولا يعتمد على آخر ، وإنما هو الموجود بذاته والحىّ بذاته ، وهو واهب الحياة بسلطانه المطلق ، فإن الابن كذلك لا يستمد وجوده من آخر ، ولا يعتمد على آخر . وإنما هو الموجود بذاته والحىّ بذاته . وهو باتحاده الكامل بالآب واهب الحياة بسلطانه المطلق الناتج عن هذا الاتحاد . وأما المرحلة والمناسبة الثانية التى يتحدث عنها مخلصنا للحكم بالحياة الأبدية أو الموت الأبدى فهى يوم الدينونة ، الذى سيكون فيه له المجد هو الديان ، إذ أعطاه أبوه السماوى هذا السلطان لأنه ابن الإنسان .. وكان هو الذى نزل إلى الناس وخالطهم وعاشهم

وحثهم على انتهاج سبيل الخير كى يسلكوه فينالوا به الحياة الأبدية ، وحذرهم من انتهاج سبيل الشر كى يبتعدوا عنه وإلا استحقوا الموت الأبدى . وهو ابن الإنسان لأنه أخذ طبيعة الإنسان واتخذ صورة الإنسان وولد من مريم العذراء كإنسان ( دانيال ٧ : ١٣ و ١٤ ) ؛ ( متى ٢٤ : ٣٠ ) ؛ ( ٢٦ : ٦٤ ) ؛ ( الرؤيا ١ : ١٣ ) ؛ ( ١٤ : ١٤ ) . لذلك صار هو بصفته هذه رئيس الخليقة وأرأس الخليقة ( كولوسى ١ : ١٥ ) ؛ ( الرؤيا ٣ : ١٤ ) .

ولا ينبغي أن يعجب اليهود من هذا الذى يقوله مخلصنا عن ذلك السلطان الذى يملكه ، بزعم أنه أمر غريب وعجيب لا يمكن تصوُّره أو تصديقه ، إذ أكد لهم أنه تأتى ساعة محدّدة فى نهاية الدهر يسمع فيها صوته كل الذين فى القبور ، الذين ماتوا منذ آدم حتى تلك الساعة ، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة الأبدية التى يمنحها هو إياهم ، مكافأة لهم على ما عملوا من صالحات ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة التى يحكم بها هو عليهم بالموت الأبدى جزاء لهم على ما عملوا من سيئات . وهذا هو ما يعرف بالقيامة العامة ، أو القيامة الثانية ( بالنسبة إلى القيامة الأولى وهى التوبة ) أو قيامة الأجساد ، إذ القيامة الأولى هى للروح . أما القيامة الثانية فللأجساد بعد أن تدخل فيها أرواحها . ويصير الإنسان كاملاً بالروح والجسد ليقف أمام منبر المسيح أو كرسيه للقضاء . ثم هى قيامة للجميع ، اختياراً كانوا أو أشراراً . جاء فى سفر إشعياء « تحيا أمواتك . تقوم الجثث . استيقظوا ، ترنّموا ياسكّان التراب » ( إشعياء ٢٦ : ١٩ ) . وجاء فى سفر دانيال « وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار للآزدرء الأبدى » ( دانيال ١٢ : ٢ ) . وجاء فى سفر الأعمال « سوف تكون قيامة للأموات ، الأبرار منهم والأئمّة » ( الأعمال ٢٤ : ١٥ ) . وجاء فى سفر حزقيال وصف

لعملية القيامة للأجساد ، إذ يقول « كان صوت وإذا رعرش ، فتقاربت العظام كلُّ عظمٍ إلى عظمِهِ . ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح . فقال لى تنبأ للروح .. وقل للروح هكذا قال السيد الرب : هَلُمَّ ياروح من الرياح الأربع وهبّ على هؤلاء القتلى ليحيوا . فتنبأت كما أمرنى فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم ، جيش عظيم جداً جداً » ( حزقيال ٣٧ : ١ - ١٠ ) - وانظر أيضاً ( طوبيا ٤ : ٧ و ١٠ و ١٧ ) ؛ ( لوقا ١٤ : ١٤ ) ؛ ( ٢ . كورنثوس ١ : ٩ ) ؛ ( ١ . تسالونيكي ٤ : ١٦ ) . ثم أكد مخلصنا لليهود أن دينوته عادلة لا ظلم فيها ولا مجاملة ولا محاباة ، لأنه كما أن الله الآب عادل عدلاً مطلقاً بحكم كماله المطلق ، هكذا الابن عادل عدلاً مطلقاً بحكم كماله المطلق ، لاتحاده بالآب اتحاداً تاماً ، ولساواته للآب في جميع الصفات والكمالات الإلهية . فما يصدر عن الابن من حكم يكون هو في الوقت نفسه حكم الآب . وهذا هو معنى قول مخلصنا « أنا وحدى لا أستطيع من نفسى أن أعمل شيئاً ، وإنما حسباً أسمع أدين . ودينونتى عادلة ، لأننى لا أبتغى مشيئتى ، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى » . أما أن دينوته عادلة فلأنه سيدين كل واحد على حسب عمله ، إذ يقول « لأن ابن الإنسان سيأتى فى مجد أيبه مع ملائكته ، وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله » ( متى ١٦ : ٢٧ ) .. « لأننا جميعنا لابد من أن نظهر أمام منبر المسيح لينال كل واحد على حسب ما صنع بالجسد خيراً كان أو شراً » ( ٢ . كورنثوس ٥ : ١٠ ) . كما يقول مخلصنا « هأنذا آتٍ سريعاً وجزائى معى ، لأجازى كل واحد على حسب أعماله » ( الرؤيا ٢٢ : ١٢ ) - انظر أيضاً ( زكريا ٩ : ٩ ) ؛ ( روما ٢ : ٦ ) ؛ ( ٢ . تيموثيوس ٤ : ٨ ) ؛ ( الرؤيا ١٥ : ٣ ) ؛ ( ١٦ : ٥ ) ؛ ( ٢٠ : ١٢ و ١٣ ) .

فما يعمل الابن هو فى الوقت نفسه مايعمل الآب ، ومشيئة الابن هى فى

الوقت نفسه مشيئة الآب ، لأنها معاً إله واحد ورب واحد . وبحكم هذا الاتحاد لا يمكن أن يعمل الابن أمراً لا يوافق عليه الآب ، أو أن تكون للابن مشيئة تختلف عن مشيئة الآب (متى ٢٦ : ٣٩ و ٤٢) . ولما كان اليهود لا يعرفون إلا الله الآب ، ولا يعترفون إلا به ، فقد أكد لهم مخلصنا هنا أنه ابن الله الآب ومساو له ومُتَّحد به . فإن أنكروا الابن فإنما ينكرون بذلك الآب ، وإن تنكروا للابن فإنما يتنكرون بذلك للآب . وإذا كان الآب قد أرسل الابن إلى الناس ليكون وسيطاً بينه وبينهم ، متخذاً لذلك جسداً بشرياً ، فقد كان هذا تديباً اتفق فيه الابن مع الآب وصدر عن مشيئتهما ، لأنها مشيئة واحدة لرب واحد .

٥ : ٣١ - ٣٧

ولما كان مخلصنا في ذلك الوقت يقف أمام المحكمة العليا لليهود ، وهى مجلس السنهدريم . وإذا كانت المحاكم لا تقبل من المتهم الذى تحاكمه قولاً إلا إذا أثبتته بوثيقة معتمدة ، أو بشهادة شهود تثق فى صدقهم ، فقد فعل مخلصنا ذلك مستشهداً بشهود لا تجرؤ المحكمة على رفض شهادتهم . ومع أنه له المجد صادق الصديق الكامل ، وقوله هو الحق الكامل ، لأنه هو الإله الكامل ، فقد تواضع أمام أولئك الذين يتهمونهم بالكذب ، ولا يصدّقون ما يقوله عن نفسه وعن حقيقة شخصيته باعتباره ابن الله . فتنازل عن شهادته لنفسه قائلاً لهم « لو كنت أشهد لنفسى كما كانت شهادتى حقاً » . والمعنى إني إن كنت أشهد لنفسى وحدى ، ففي هذه الحالة لا تكون شهادتى حقاً . ولعلّ هذا ردّ على قول الفريسيين له « إنك تشهد لنفسك . فشهادتك ليست حقاً » (يوحنا ٨: ١٣) . والمعروف والمقرر فى الشريعة اليهودية أنه « على فم شاهدين أو ثلاثة .. لا على فم شاهد واحد يقوم الأمر » (التثنية ١٧ : ٦) ؛ (١٩ : ١٥) ؛ (العدد ٣٥ :

(٣٠) ؛ (١ . المكايين ٢ : ٣٧) ؛ (متى ١٨ : ١٦) ؛ (٢ . كورنثوس ١٣ : ١) ؛ (١ . تيموثيوس ٥ : ١٩) ؛ (العبرانيين ١٠ : ٢٨) .

ثُمَّ استشهد مخلصنا بشاهد يؤمن اليهود بصدقه ، لأنهم كانوا يعدّونه نبياً ، وهو يوحنا المعمدان ، قائلاً « إن هناك آخر يشهد لى ، وأنا أعلم أن شهادته التى يشهد لى بها حق . أنتم أرسلتم لى يوحنا فشهد بالحق . وأنا لا أقبل شهادة من إنسان . ولكنى أقول هذا لتخلصوا أنتم . ذلك كان هو السراج الموقد المنير ، وقد كنتم تريدون أن تهلّلوا بنوره ساعة » . وكان فادينا يقصد بالشاهد الآخر هنا أعماله الإلهية التى تشهد له بأنّه ابن الله ، كما كان يقصد أباه السماوى الذى شهد له ، وشهادته له هى الحق (١ . يوحنا ٥ : ٩) . وهو باعتباره ابنه و متحد به يعلم أنها هى الحق ، فلا حاجة بعدها لشهادة إنسان ، وهو لا يقبل بعد شهادة الله أن يكون الشاهد له إنساناً ، مها كان هذا الإنسان صادقاً وباراً ، ولو كان نبياً تسطع قداسته كالسراج الموقد المنير (٢ . بطرس ١ : ١٩) . ولكن لما كان اليهود قد فرحوا بيوحنا وتهلّلوا بنوره ، فقد كانوا يصدّقون شهادته . « لأنهم كانوا يعدّونه نبياً » (متى ١٤ : ٥) ؛ (٢٦ : ٢١) ؛ (لوقا ٢٠ : ٦) ، وحتى الملك هيرودس « كان يهرب يوحنا ، إذ كان يعلم أنه رجل بار وقديس » (مرقس ٦ : ٢٠) . ولذلك استشهد مخلصنا بشهادته (يوحنا ١ : ١٥ - ٣٤) لا لأنها تعادل شهادة الله ، ولكن ليقبّل اليهود فى شهادته فيؤمنوا بمخلصنا فيكون فى إيمانهم به خلاصهم هم أنفسهم . وقد أوضح مخلصنا قصده من عبارته السابقة إذ قال : « أما أنا فى شهادة أعظم من شهادة يوحنا . لأن الأعمال التى أعطانى أبى لأجزها ، تلك الأعمال التى أنا أعملها هى نفسها التى تشهد لى بأن الآب قد أرسلنى » . فلو كان لليهود ذرّة من العقل ، أو بصيص من النور يضىء قلوبهم المظلمة ، ولورفعوا غشاوة الحقد والشر التى تعمى أبصارهم وبصائرهم ، لكانوا قد آمنوا بأن مخلصنا هو ابن الله ، بعد أن سمعوا بأذانهم أقواله الإلهية ، ورأوا

بأعينهم معجزاته التي لا يمكن أن تصدر إلا عن الله وحده . ولاتخذوا من تلك الأقوال وتلك المعجزات برهاناً كافياً وواقعياً وساطعاً ومقتعاً يشهد له بحقيقة شخصيته ، وبأن الله الآب قد أرسله لينجز عمل الفداء لخلاص البشر على مقتضى نبوءات كل أنبيائهم . وقد كانت أعماله ومعجزاته هي الشهادة بأنه ابن الله ، فقد قال « إن الأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي » ( يوحنا ١٠ : ٢٥ ) . وقال أيضاً « إن لم أكن أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي » ( يوحنا ١٠ : ٣٨ ) . كما قال « لو لم أكن قد صنعت بينهم أعمالاً لم يصنعها أحد غيري لما كانت لهم خطيئة » ( يوحنا ١٥ : ٢٤ ) . وقد شهد نيقوديموس عضو السنهدريم اليهودي قائلاً « يا معلّم نحن نعلم أنك جئت من الله معلّمًا ، لأنه مامن أحد يقدر أن يصنع هذه الآيات التي أنت تصنع ما لم يكن الله معه » ( يوحنا ٣ : ٢ ) . وقال عنه بعض اليهود « كيف يستطيع إنسان خاطيء أن يصنع مثل هذه المعجزات » ( يوحنا ٩ : ١٦ ) . وقال عنه المولود أعمى « ماسمعنا منذ بدء الزمان أن إنساناً فتح عيني مولود أعمى . فلو لم يكن هذا من الله ما استطاع أن يصنع شيئاً » ( يوحنا ٩ : ٣٢ و ٣٣ ) .

يبد أن الأبلغ من ذلك والأكثر قوة وإقناعاً هو أن الله الآب نفسه شهد لمخلصنا بحقيقة شخصيته وبأنه هو ابنه الحبيب ، وقد كانت تلك الشهادة بصوت مسموع واضح طرّق آذان اليهود فسمعوه ووعوه ، إذ جاء في الإنجيل للقديس متى أنه بعد أن اعتمد مخلصنا من يوحنا المعمدان « إذا صوت يجرى من السماء قائلاً : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررتُ » ( متى ٣ : ١٧ ) ؛ ( مرقس ١ : ١١ ) ؛ ( لوقا ٣ : ٢٢ ) ؛ ( متى ١٧ : ٥ ) . كما جاء في الإنجيل أنه بعد تجلّي مخلصنا على الجبل كان معه من تلاميذه ، القديسون بطرس ويعقوب ويوحنا . و« إذا سحابة من نور غمرتهم ، وإذا صوت من السحابة يقول :- هذا هو ابني الحبيب الذي به سررتُ فله اسمعوا » ( متى ١٧ : ٥ ) ؛ ( مرقس ٩ : ٧ ) ؛



( لوقا ٩ : ٣٥ ) . ولذلك قال مَحَلِّصُنَا أمام مجلس السنهدريم إن « الآب نفسه الذى أرسلنى هو الذى شهد لى » . كما قال فى مرة أخرى : « ويشهد لى أبى الذى أرسلنى » ( يوحنا ٨ : ١٨ ) ؛ ( ٦ : ٢٧ ) . ولكن اليهود على الرغم من أنهم قد طَرَقَ آذانهم صوت الله الآب وهو يقول عن مَحَلِّصُنَا إنه هو ابنه الحبيب ويأمرهم بأن يستمعوا إليه ويطيعوه بحسبانه هو الله نفسه ( ١ . يوحنا ٥ : ٦ و ٧ و ٩ ) ، لم يستخدموا موهبة السمع هذه التى أعطاهم الله إياها بسبب غلظة قلوبهم ، وإنما صَمُّوا آذانهم كى لا يسمعا كلمة الله ، كما أغمضوا أعينهم كى لا يروا مجده . وفى ذلك يقول مَحَلِّصُنَا عنهم فى الإنجيل للقديس متى إنهم « مبصرون ولا يبصرون ، وسامعون ولا يسمعون ولا هُم يفهمون ، ففيهم قد تَمَّت نبوءة أشعياء القائلة : بالسمع تسمعون ولا تفهمون ، وبالبصر تبصرون ولا ترون ، لأنَّ قلب هذا الشعب قد غلُظَ وآذانهم قد ثقل سمعها ، وعيونهم قد أغمضوها لئلا يبصروا بعيونهم أو يسمعوا بآذانهم أو يفهموا بقلوبهم ، أو يرجعوا إِلَيَّ فَأُفْهِمِهِمْ » ( متى ١٣ : ١٣ - ١٥ ) . ولذلك فإن مَحَلِّصُنَا بعد أن قرر أمام أعضاء السنهدريم أن الله الآب نفسه هو الذى شهد له ، قال لهم « وأنتم لم تسمعوا صوته قط ولا رأيتم صورته . وكَلِمَتُهُ لا مَقَرَّهَا فيكم . لأنكم لم تؤمنوا بالذى أرسله » . وذلك لأنهم كانوا بالفعل قد سمعوا صوت الله الآب وهو يشهد مَحَلِّصُنَا بأنه هو ابنه الحبيب ، وقد سبق لآبائهم من قبل أن سمعوا صوته ورأوا مجده على الجبل فى صحراء سيناء ، ولو أنهم لم يروا هيئته ( التثنية ٤ : ١٢ ) لأن اللاهوت لا يقدر إنسان أن يراه مالم يحتجب فى الناسوت ( يوحنا ١ : ١٨ ) ؛ ( ١ . تيموثيوس ١ : ١٧ ) ؛ ( ١ . يوحنا ٤ : ٢ - ١٤ ) ، إذ جاء فى سفر الخروج : « فقال الرب لموسى ها آنذا آتِ إليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينئذ أنكلم معك فيؤمنوا بك أيضًا إلى الأبد ... وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل ، وصوتُ

بوق شديد جدًا . فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة . وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله ، فوقفوا فى أسفل الجبل ، وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخانه كدخان الأتون ، وارتجف كل الجبل جدًا ، فكان صوت البوق يزداد اشتدادًا جدًا وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت ... وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن . ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد ، وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ، ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت . فقال موسى للشعب : لا تخافوا لأن الله إنما جاء لكى يمتحنكم ، ولكى تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطنوا .. وكان منظر مجد الرب كمنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بنى إسرائيل « ( الخروج ١٩ : ٩ - ١٩ ) ؛ ( ٢٠ : ١٨ - ٢٠ ) ؛ ( ٢٤ : ١٧ ) .

بيد أن اليهود على الرغم من أنهم سمعوا صوت الله الآب ورأوا مجده ، نسوا ذلك كله أو تناسوه . وبعد أن آمنوا به أيامًا قليلة وعملوا بوصاياهم ، لم يلبثوا أن تنكروا له وخانوه وخالفوه ، لأن إيمانهم به كان سطحيًا ووقتياً وغير مستقر فى قلوبهم . وقد أرسل إليهم أنبياءه ليعيدوهم إلى حظيرته ويحثوهم على طاعته . وقد أجمع أولئك الأنبياء فى نبوءاتهم على أن الله سيرسل إليهم ابنه لخلاصهم ( لوقا ٢٤ : ٢٥ و ٢٧ ) ؛ ( الأعمال ٣ : ٢٤ ) . فلما تحقق هذا ، وجاء ابن الله إليهم رفضوه وتنكروا له وأنكروه ( يوحنا ١ : ١١ ) ؛ ( لوقا ١٩ : ١٤ ) ؛ ( الأعمال ٣ : ٢٦ ) ؛ ( ١٣ : ٤٦ ) ؛ ( مرقس ٧ : ٩ ) ؛ ( لوقا ٧ : ٣٠ ) ؛ ( يوحنا ١٥ : ٢٤ ) . وبذلك رفضوا الله الآب نفسه الذى أرسله ، وتنكروا له وأنكروه ، وبرهنوا على ضعف إيمانهم به وعدم استقرار كلمته فى مشاعرهم أو ضمائرهم أو عقولهم أو قلوبهم . ومن ثم قال مخلصنا لهم : « اجتثوا فى الأسفار المقدسة ، لأنكم تعتقدون أن لكم فيها حياة أبدية ، وتلك هى التى تشهد لى . ولكنكم لا تريدون أن تأتوا إلى لتكون لكم حياة . مجدًا من الناس لا أقبل ،

ولكنني عرّفتمكم أن محبة الله ليست فيكم . لقد جئت باسم أبي ولكنكم لا تقبلوني . ولو أن غيري جاء باسم نفسه لقبتموه . كيف يمكنكم أن تؤمنوا وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض . وأما المجد الذي من الله الواحد وحده فلا تبتغونه . لا تظنوا أنني أشكوكم إلى الآب . فإن هناك من يشكوكم وهو موسى الذي جعلتم فيه رجاءكم ، فإنكم لو كنتم تؤمنون بموسى لكنتم تؤمنون بي أيضًا ، لأنه كتبَ عني . فإن كنتم لا تؤمنون بما كتبه ، فكيف تؤمنون بكلامي ؟ .

وفي هذه العبارات يلوم فادينا اليهود على أنهم لا يعلمون شيئًا عما في أسفارهم المقدسة ، وهي أسفار العهد القديم ، أو أنهم يعلمون ما فيها بصورة سطحية لا تؤهلهم لفهمها فهمًا صحيحًا . ولذلك طلب إليهم أن يبحثوا في هذه الأسفار بحثًا عميقًا . لا مجرد تلاوتها تلاوة حرفية دون فهم كما كانوا يفعلون ، وإنما لدراستها دراسة دقيقة وعميقة تؤدي بهم إلى الغوص في روحها وإدراك معانيها الجليلة الأصيلة على حقيقتها . وبهذا المعنى جاء في سفر اشعيا إذ يقول « إلى الشريعة وإلى الشهادة . إن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر » ( إشعيا ٨ : ٢٠ ) . ويقول : « فتشوا في سفر الرب ، واقرءوا واحدة من هذه لا تُفقد . لا يغادر شيء صاحبه لأن فمه هو قد أمر . وروحه هو جمعها » ( إشعيا ٤٤ : ١٦ ) . وقال السيد المسيح له المجد بلسان إبراهيم الخليل : « إن لديهم موسى والأنبياء فليستمعوا إليهم » ( لوقا ١٦ : ٢٩ ) . وقال له المجد لليهود : « فإنكم لو كنتم تؤمنون بموسى ، لكنتم تؤمنون بي أيضًا ، لأنه كتبَ عني » ( يوحنا ٥ : ٤٦ ) . وجاء في سفر أعمال الرسل عن اليهود في مدينة بيريّة : « وكان هؤلاء أشرف من الذين في تسالونيكي ، فقبلوا الكلمة بكل حرص ، وكانوا كل يوم يفحصون الكتب هل كانت تلك الأمور هكذا ، فأمن كثيرون منهم ومن كرام النساء اليونانيات ومن الرجال عدد ليس بقليل » ( الأعمال ١٧ : ١١ و ١٢ ) .

وإذ كان اليهود على الرغم من فهمهم لشريعتهم ذلك الفهم السطحي غير العميق ولا الدقيق يعتقدون أن مجرد تلاوتها تمنحهم الحياة الأبدية ، فقد استشهد بها محلّصنا على حقيقة شخصيته وصدق رسالته قائلا إنها « هي التي تشهد لي » ( لوقا ٢٤ : ٢٥ و ٢٧ و ٤٤ ) ، ( يوحنا ١ : ٤٥ ) ؛ ( الأعمال ٢٤ : ١٤ ) ؛ ( ٢٦ : ٢٢ ) ؛ ( ٢٨ : ٢٣ ) ؛ ( روما ٣ : ٢١ ) . ولو أنهم فهموا هذه الشريعة على وجهها الصحيح لعلموا أنها تشتمل من أولها إلى آخرها على النبؤ بمجىء المسيح ابن الله ( التكوين ٢٢ : ١٨ ) ؛ ( ٢٦ : ٤ ) ؛ ( ٤٩ : ١٠ ) ؛ ( إرميا ٢٣ : ٥ ) ؛ ( ملاخي ٣ : ١ ) ؛ ( ٤ : ٢ ) ونحدد موعد مجيئه تحديداً دقيقاً ( دانيال ٩ : ٢٤ ) ، وتصف كيفية ميلاده من عذراء ( إشعيا ٧ : ١٤ ) ، كما تصف شخصيته وصورته وطباعه وتصرفاته ( إشعيا ٩ : ٦ ) ، ( إرميا ٣٣ : ١٤ و ١٥ ) ؛ ( حزقيال ٣٤ : ٢٣ ) ؛ ( ٣٧ : ٢٥ ) ؛ ( ميخا ٧ : ٢٠ ) . وتذكر بتفصيل مسهب تعاليمه وما سيصدر عنه من أقوال وما سيصنع من معجزات ، وما سيفعله هو مع اليهود وما سيفعله اليهود معه ، وكيف أنهم على الرغم مما سيصنع لهم من خير سيضطهدونه ويطاردونه ثم في نهاية الأمر سيصلبونه فيموت على الصليب ( التكوين ٣ : ١٥ ) ؛ ( العدد ٢١ : ٩ ) ؛ ( المزمور ٢١ : ١ - ٢١ ) ؛ ( إشعيا ٥٠ : ٦ ) ؛ ( ٥٣ : ١ - ١٢ ) . ثم تقرر تلك النبوءات أنه سيمكث في القبر ثلاثة أيام ، ثم يقوم من بين الأموات ( المزمور ١٥ : ٩ و ١٠ ) ، ويصعد إلى السماء ( المزمور ٦٨ : ١٨ ) . فلو عرف اليهود الذين يحاكمونه الآن كل هذا الذي ورد عنه في أسفارهم المقدسة ذاتها ، لما ولاموه لا حاكموه ، بل لكانوا قد آمنوا به ومجّدوه وقدموا له الإكرام اللائق به على أنه إلههم وابن إلههم . ولكنهم لغباثتهم وكبريائهم وشرهم ومكرهم وعمى بصائرهم وسواد قلوبهم لا يريدون أن يفعلوا ذلك ، حتى بناء على شهادة أسفارهم المقدسة التي شهدت له ، ولا يريدون أن يأتوا إليه معترفين

بحقيقة شخصيته لينالوا الحياة الأبدية (يوحنا ٣ : ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨) التي  
جاء من السماء لمنحها لهم بتقديمه ذاته فداء عنهم . فهو إنما يفعل ذلك  
لمصلحتهم هم ، لأنهم هم المحتاجون إليه وليس هو المحتاج إليهم ، أو إلى  
ما يقدمونه إليه من تمجيد ، إذ قال له المجد « أنا لا أقبل شهادة من إنسان .. مجداً  
من الناس لا أقبل » (يوحنا ٥ : ٣٤ و ٤١) . وذلك لأنه بصفته الإلهية مجد  
على أى حال سواء مجده الناس أم لم يمجدوه ( ١ . تسالونيكي ٢ : ٦ ) . وهو  
لا يطلب لنفسه مجداً دنيوياً كملك أو قائد أو زعيم أو صاحب أى منصب من  
تلك المناصب العليا التي يسعى الناس إليها ، لأن مملكته ليست من هذا العالم  
( يوحنا ١٨ : ٣٦ ) ؛ ( دانيال ٢ : ٤٤ ) ؛ ( ٧ : ١٤ ) ؛ ( لوقا ١٢ :  
١٤ ) ؛ ( يوحنا ٦ : ١٥ ) . ولأن له رسالة أخرى ما جاء إلى العالم إلا  
لينجزها . هي رسالة الفداء لخلاص البشر ( متى ١ : ٢١ ) . وقد أوضح لليهود  
أنهم لا يريدون أن يؤموا به ويأتوا إليه لينالوا الحياة الأبدية ، لا لسبب يرجع إليه  
هو ، وإنما لسبب يرجع إليهم هم كما عرّفهم ، وهي أن محبة الله ليست فيهم ،  
على الرغم من تظاهرهم بأنهم يحبونه حباً عظيماً ، « لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر  
من مجد الله » ( يوحنا ١٢ : ٤٣ ) . إذ أنهم لو كانوا يحبون الله لأحبوه هو ، لأنه  
بشهادة أسفارهم المقدسة ذاتها ابن الله . وقد جاء باسم أبيه السماوى ، وقدم  
نفسه إليهم بهذه الصفة . ولكنهم لم يقبلوه . وفي ذلك قال له المجد « وهذه هي  
الدينونة أن النور جاء إلى العالم ، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن  
أعمالهم كانت شريرة ، فإن كل من يفعل الشر يبغض النور ، ولا يُقبل إلى  
النور ، لئلاً تفتضح أعماله الشريرة وتوبّخ » ( يوحنا ٣ : ١٩ و ٢٠ ) . وذلك  
في حين أنهم لو أن أحداً من المسحاء الكذبة والأنبياء الكذبة جاءهم ،  
لاباسم الآب السماوى ، وإنما باسم نفسه وضد إرادة الآب  
السماوى لقبلوه . لأن المسحاء الكذبة والأنبياء الكذبة يستغلون نواحي

الضعف في الناس ، ولاسيما قليلى الإيمان منهم بالله ، فيظهرون أمامهم بمظهر العظمة العالميّة ، والمجد الدنيوى ، متخذين سيماء الملوك والقادة والزعماء ، واعددين إياهم بأن يمنحوهم إذا تبعوهم بعض ما لهم من مجد أضفوه على أنفسهم . والناس ضعفاء النفوس ، يفرهم المجد الدنيوى بمختلف مظاهره ، فيسعون إليه ويتكالبون عليه ، ويتذللون للقادرين على منحهم إياه تذلّل العبيد لسادتهم . وهذا ما كان يفعله اليهود ، لأنهم كانوا يريدون مسيحاً يأتيهم كملك جبّار وقائد مغوار ، يقودهم بجيوشه الجرّارة ليفتحوا العالم كله ويسيطروا عليه ويستبدوا به ويستعبدوه ، ويستأثروا بخيراته ، ويستكثروا لأنفسهم من ثرواته ، فيرضى بذلك غرورهم ، ويُشيع نهمهم إلى المال والجاه والشهوات والملذات . فلما جاءهم المسيح الحقيقى فقيراً بسيطاً متواضعاً زاهداً في كل أمجاد الدنيا وأطاعها ، لا يملك فيها شيئاً ، ويقول لهم إن مملكته ليست من هذا العالم ، ولا يعدهم بأى مكسب من مكاسب الدنيا أو أموالها أو خيراتها ، بل يحثهم على أن يزهدوا في ذلك كله ، وأن يتطلعوا إلى غاية واحدة هي ملكوت السموات ، رفضوه واحتقروه واضطهدوه وطاردوه . وعلى الرغم من أنه اثبت لهم في كل ما قال وكل ما فعل أنه هو المسيح ابن الله الذى يتظرونه ، أنكروا عليه ذلك واستنكروه واستهانوا به وأهانوه ، ومن ثمّ وبخهم محلّصنا قائلاً : « لقد جئت باسم أبى ، ولكنكم لا تقبلونى . ولو أن غيرى جاء باسم نفسه لقبلتموه . كيف يمكنكم أن تؤمنوا وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض ، وأما المجد الذى من الله الواحد وحده فلا تبتغونه ؟ » ثم كشف لهم محلّصنا عن سبب آخر لعدم إيمانهم ، وهو أنهم يعدّون موسى النّبى شفيعهم لدى الله ويجعلون فيه رجاءهم ، ويتظاهرون بتعظيمه أعظم التعظيم ، وبطاعة شريعته أعمق الطاعة . ولكنهم مع ذلك خالفوا في تصرفاتهم وأسلوب حياتهم كل وصاياهم التى تلقاها من الله ، حتى لم يعودوا في الواقع يؤمنون به أو بشريعته ، ما داموا لا يطيعونه ولا يطيعون

شريعته . ومن ثم أصبح موسى ولا ريب غاضبًا منهم ساخطًا عليهم ، يشكوهم إلى الله وهو في العالم الآخر ، كما كان يشكوهم إلى الله وهو في هذا العالم حين كانوا يتمرّدون عليه في صحراء سيناء . وقد كان هذا سببًا آخر لعدم إيمان اليهود بمخلّصنا لأنهم لو كانوا لا يزالون يؤمنون بموسى لكانوا يؤمنون بمخلّصنا أيضًا ، لأن موسى كتب عنه . متنبئًا بمجيئه ( التكوين ١٢ : ٣ ) ؛ ( ١٨ : ١٨ ) ، إذ يقول في سفر الشنية : « يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك ، من إخوتك مثلى ، له تسمعون : حسب كل ماطلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الرب إلهي . ولا أرى هذه النار العظيمة أيضًا لثلاث أموت . قال لى الرب : قد أحسنوا فيما تكلموا . أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه فيكلّمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلّم به باسمى أنا أطلبه » ( الشنية ١٨ : ١٥ - ١٩ ) . ولذلك قال مخلصنا لليهود : « لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الآب ، فإن هناك من يشكوكم وهو موسى الذى جعلتم فيه رجاءكم . فإنكم لو كنتم تؤمنون بموسى ، لكنتم تؤمنون بى أيضًا لأنه كتب عنى . فإن كنتم لا تؤمنون بما كتبه ، فكيف تؤمنون بكلامى ؟ » .

---

## الفصل السادس

٦ : ١ - ١٣

وفي وقت لاحق لتلك المعجزة التي صنعها مخلصنا للرجل العليل عند بركة بيت حسدا عند باب الضأن في أورشليم ، وماترتب عليها من محاكمة له لأنه صنع تلك المعجزة في يوم سبت ، وقال عن نفسه إنه ابن الله ، مضى إلى الضفة الأخرى من بحر الجليل ، الذي هو في الواقع بحيرة كانت تُدعى بحيرة طبرية ، كما كانت تسمى بحيرة جنيسارت ، وقد تبعه جمع عظيم ممن آمنوا به لأنهم كانوا قد رأوا معجزاته التي صنعها للمرضى . فصعد مخلصنا إلى الجبل حيث يتسع المكان لذلك الجمع العظيم كي يلتقى عليهم عظامه ويزودهم بتعاليمه . وجلس هناك مع تلاميذه الذين كانوا ملازمين له في كل مكان يذهب إليه . وكان عيد الفصح الذي هو أعظم أعياد اليهود قد اقترب موعده (اللاويين ٢٣ : ٧٥) ؛ (التثنوية ١٦ : ١) ؛ (يوحنا ٢ : ١٣) ؛ (١١ : ٥) . فرفع مخلصنا عينيه ورأى جمعا عظيما مقبلا إليه . ومن ثم فإنه « أشفق عليهم إذ كانوا كغنم بغير راع ، فطلق يعلمهم في أمور كثيرة حتى إذا انقضى جزء كبير من النهار ، تقدم إليه تلاميذه قائلين : إن المكان قفر وقد تأخر الوقت ، فاصرفهم ليذهبوا إلى الضياع والقرى القريبة ويشترؤا لأنفسهم ما يأكلون » (مرقس ٦ : ٣٤ و ٣٥) . فالتفت مخلصنا إلى تلميذه فيلبس وسأله قائلاً : « من أين نشترى خبزا ليأكل هؤلاء ؟ » وإنما قال له هذا ليتمحن مدى إيمانه به وبقدرته الإلهية التي رأى أمثلة كثيرة لها من قبل ،



ولا سيما أنه كان من أقدم تلاميذه ، وقد حضر معجزاته كلها منذ أن صنع أول معجزة له وهي تحويل الماء إلى خمر في عرس « قانا الجليل » ( يوحنا ٢ : ١ - ١١ ) . وقد كان فادينا يعلم ما كان هو نفسه مزعمًا أن يفعله لإطعام ذلك الجمع العظيم الذي كان مقبلًا إليه . بيد أن فيلبس أخفق في هذا الامتحان ، إذ غابت عن ذهنه تلك القدرة الإلهية التي لمُخْلِصنا والتي يستطيع بها أن يفعل كل شيء ، وظن أنه محتاج فعلاً لأن يشتري طعاماً لكل هذا الجمع ، فأجابه قائلاً « إن خبزاً بمائتي دينار لا يكفي لينال كل واحد منهم قدرًا ضئيلاً » . وبذلك وقع فيما وقع فيه موسى النبي من قبل عندما بكى بنو إسرائيل في البرية « واشتهوا أن يأكلوا لحمًا وقالوا : من يطعمنا لحمًا . قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانًا والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم .. فلما رفع موسى الأمر إلى الرب ، وعد الرب موسى والشعب وقال : تقدسوا للغد . فتأكلوا لحمًا .. تأكلون لا يومًا واحدًا ولا يومين ولا خمسة أيام ولا عشرة أيام ولا عشرين يومًا . بل شهرًا من الزمان حتى يخرج من مناخركم .. فقال موسى للرب : ستائة ألف ماشٍ هو الشعب الذي أنا في وسطه . وأنت قد قلت أعطيهم لحمًا ليأكلوا شهرًا من الزمن . أئذبح لهم غنم ويقر ليكفيهم ، أم يُجمع لهم كل سمك البحر ليكفيهم . فقال الرب لموسى : هل تقصر يد الرب ؟. الآن ترى أيوافيك كلامي أم لا » ( العدد ١١ : ١ - ٢٣ ) - انظر أيضًا ( ٢ . الملوك ٤ : ٤٣ و ٤٤ ) ؛ ( متى ١٥ : ٣٣ ) ؛ ( مرقس ٨ : ٤ ) كما أخفق في هذا الامتحان الذي أخفق فيه فيلبس تلميذ آخر من أقدم تلاميذ مُخْلِصنا ، كان هو أيضًا قد رأى من قبل كل معجزاته ، وهو أندراوس أخو سمعان بطرس ، ففكر بنفس الطريقة التي فكر بها فيلبس . وقال « إن هنا غلامًا معه خمس خبزات من الشعير وسمكتان . ولكن ماعسى أن تكون هذه بالنسبة لكل هذا الجمع ؟ » . أى أنه أبدى اليأس من حل هذه المشكلة . أو من حلّ هذه التي بدت له أنها مشكلة . وعندئذ شرع

معلمنا يفعل ما كان مزماً أن يفعل . فقال لتلاميذه « اجعلوا الناس يجلسون » . وكان ثمة عشب كثير في المكان فجلسوا عليه . وكان عددهم نحو خمسة آلاف . ومن ثم أخذ مخلصنا الخبزات التي كانت مع ذلك الغلام الذي أشار إليه أندراوس . وشكر وباركها . ثم قسمها على الجالسين . وكذلك السمكتين ، بقدر ما رغبت كل منهن . وقد تكاثر الخبز والسمك بطريقة معجزية ، فأكل منه أولئك الخمسة الآلاف حتى شعوا جميعاً . بل لقد لقد فاض منه قدر كبير . فقال مخلصنا لتلاميذه « اجمعوا ما فضل من الكسر لئلا يضيع شيء منها » ، فجمعوها وملأوا اثنتي عشرة قفة من الكسر التي فضلت عن الآكلين من خمسة أرغفة الشعير .

وقد كانت هذه المعجزة من أعظم معجزات ربنا يسوع المسيح له المجد ، لأنها تدل على أنه هو الإله الخالق . إذ كانت عملية إيجاد طعام مادي من لاشيء هي عملية خلق بكل معنى الكلمة ، فإن الخبز والسمك الذي أكلته الجموع لم يكن شيئاً وهمياً . وإنما هما خبز حقيقي ، وسمك حقيقي ، بدليل أنه فضلت منه كمية كبيرة . فأمر مخلصنا تلاميذه بأن يجمعوها « لئلا يضيع شيء منها » ، ففعلوا ذلك فلأت اثنتي عشرة قفة . فكان ذلك تحقيقاً للرمز الذي يتمثل في الأمر الذي أصدره الله إلى موسى النبي بأن يحتفظ بكمية من المن الذي كان يرسله الله إلى اليهود حين احتاجوا إلى الطعام وهم في صحراء سيناء ، فكان خبزاً نازلاً من السماء . إذ جاء في سفر الخروج أن اليهود تدمروا على موسى حين جاعوا « فقال الرب لموسى هأنذا أمطر لكم خبزاً من السماء .. فقال لهم موسى هو الخبز الذي أعطاكم الرب لتأكلوا .. وقال لهم موسى : هذا هو الشيء الذي أمر به الرب : ملء العمر منه يكون للحفظ في أجيالكم ، لكي يروا الخبز الذي أطعمتكم به في البرية حين أخرجتكم من أرض مصر . وقال موسى لهارون خذ قسطاً واحداً واجعل فيه ملء العمر مناً وضعه أمام الرب للحفظ في أجيالكم . كما أمر موسى

وضعه هارونُ أمام الشهادة للحفظ » ( الخروج ١٦ : ٤ و ١٥ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ ) . وجاء في سفر الزمير أن الله « أمطر عليهم مَنًا للأكل .. أَكَل الإنسان خبز الملائكة . أرسل عليهم زادًا للشبع » ( المزمور ٧٨ : ٢٤ و ٢٥ ) . وفعلًا ظلَّ ذلك القسط الذى يحتوى على المنَّ محفوظًا في تابوت العهد الذى كان يحتوى على أقدس تراث لليهود ، ولذلك وضعوه في قدس الأقداس ، كما ذكر ذلك بولس الرسول إذ يقول : « قُدُس الأقداس فيه مبخرة من ذهب وتابوت العهد مصفَّحًا من كُلِّ جهة بالذهب الذى فيه قسط من ذهب فيه المنُّ وعصا هارون التى أفرخت ولوحا العهد » ( العبرانيين ٩ : ٣ و ٤ ) .

فلئن كابرَّ المكابرون وأنكر المنكرون لمعجزات فادينا ، ولا سمًا في شفائه للمرضى ، زاعمين أن الشفاء كان يرجع إلى تأثير نفسى أدى إلى ذلك الشفاء . فكيف يفسرون خلق المسيح لذلك الطعام المادى الذى أكله خمسة آلاف شخص . وبقيت منه بقیة كانت هى البرهان الساطع والقاطع الذى لا يقبل مكابرة ولا إنكارًا ، على أنه كان طعامًا حقيقياً وليس شيئاً نفسياً أو وهمياً ، كما كانت هى البرهان الساطع الذى لا يقبل كذلك مكابرة ولا إنكاراً على أن سيدنا له المجد هو الله الخالق ، وهو وحده القادر على أن يقول للشىء كُنْ فيكون .

وتظهر عظمة المعجزة وقيمتها في كثرة الجماهير التى قُدِّرت أعدادها بخمسة آلاف رجل ( متى ١٤ : ٢١ ) ؛ ( مرقس ٦ : ٤٤ ) فيما عدا النساء اللائى لم يكن من السهل أن يندسَّ الرجال بينهم ليحصوا عددهن ، وكذلك الأطفال . وقد أكلوا من الخبز والسمك « بقدر ما رغب كل منهم » . أى أن المسيح لم يبخل عليهم بشىء بحجة كثرة عدد الآكلين وقلة الخبز والسمك . ثم إنهم أكلوا حتى شبَعوا ، علمًا بأنهم على ما يروى الإنجيل للقديس مرقس « أسرعوا سيرًا على الأقدام من كل المدن » ( مرقس ٦ : ٣٣ ) ، وأنهم ظلوا طوال النهار بغير طعام

يستمعون إلى الرب يسوع ، أى أنهم كانوا جائعين جداً . فلا بدّ أنهم أكلوا كثيراً ليشبعوا . ثم إنهم لم يشبعوا فقط بعد هذا الجوع لساعات طويلة من المشى على الأقدام والاستماع إلى مواعظ رب المجد . وإنما تبقى من الكِسْر ماملأً إلى الحافة اثنتى عشرة قفة . وهنا أمر مثير ومُبهر ، إذ كيف يكون الأصل الذى جاءوا به إلى محلّصنا خمسة أرغفة وسمكتين ، مما لا يشغل إلاّ جزءاً من قُفّة ، يتبقّى منه بعد أن تأكل الألوْف الجائعة « بقدر ما رغبتُ كُلُّ منهم » ، اثنتا عشرة قفة مملوءة ، أى أنّ ما تبقى يزيد على الأصل خمسين ضعفاً على الأقل ؟ . كيف يمكن للعقل أن يفسّر هذا الأمر تفسيراً طبيعياً منطقياً إلاّ بأن المسيح أثبت بهذه المعجزة قدرته على الخلق ، وسلطانه المطلق على المادة . فهو سيدها ، ومنها يصنع ما يشاء وما يريد ، وهو يسخرها لمقاصده العالية ولخير خليقته .. « إنه يفعل ما يشاء » (دانيال ٤ : ٣٥) و « يستطيع كل شيء . ولا يعسرُ عليه أمر » (أيوب ٤٢ : ١) .

٦ : ١٤ ، ١٥

فلما رأى الناس الآيات التى صنعها محلّصنا ، ولاسيّما معجزته التى رأوها بأعينهم فى ذلك اليوم ، وهى أنه خلق لهم من العدم طعاماً كان من الوفرة بحيث أشبعهم جميعاً وهم خمسة آلاف نفس ، فيما عدا النساء والأطفال ، قالوا : « هذا بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » ، أى أنه هو النبى الذى أشار الله إليه حين كان اليهود فى صحراء سيناء ، إذ قال لموسى « أقيم لهم نبيّاً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلّم به باسمى أنا أطلبه » (التثنية ١٨ : ١٨ و ١٩) ، وإذ كان اليهود يعلمون أن هذا النبى هو نفسه المسيح ابن الله ،

والنبوة إحدى وظائفه الناسوتية ، فهو من حيث إنسانيته ملك وكاهن ونبي  
( متى ٢١ : ١١ ) : ( لوقا ٧ : ١٦ ) : ( ٢٤ : ١٩ ) : ( يوحنا ١ : ٢١ ) :  
( ٤ : ١٩ ) : ( ٧ : ٤٠ ) . ومن ثم فقد كان ذلك الذى قالوه عن هذا الذى  
أطعمهم بمعجزة إلهية ، ينطوى على إيمان منهم بأنه هو المسيح الذى يتظرونه ،  
وإذ كانوا يعتقدون أن المسيح حين يأتى سيكون ملكاً لليهود يجلس على عرش  
مملكتهم ليعيد إليهم مجد مملكة داود التى كانوا يفخرون بها ويتطلعون إلى استعادتها  
( لوقا ١ : ٣٢ و ٣٣ ) : ( الأعمال ١ : ٦ ) : ( يوحنا ١ : ٤٩ ) . اعترضوا أن  
يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً . وقد كان هذا فهمًا خاطئًا منهم للرسالة الحقيقية  
للمسيح ، لأنه جاء لا ليكون ملكاً أرضياً . وإنما هو الملك السماوى . ومملكته  
ليست من هذا العالم ( يوحنا ١٨ : ٣٦ و ٣٧ ) . ولذلك فإن محلّصنا إذ رأى  
عندئذ أنهم اعترضوا أن يفعلوا ذلك انصرف إلى الجبل وحده ، ليحول دون ذلك  
الذى يريد عامّة اليهود أن يفعلوه ، لأنه وإن كان فى ظنهم تكريمًا وتعظيمًا له ،  
وتحقيقًا لأمل يراودهم فى التخلص من ربة الرومان الذين كانوا يستعبدونهم ،  
فإنه فى الحقيقة يدلّ على خطأ منهم فى فهم رسالته وفى معرفة حقيقة شخصيته  
التي هى أعظم بما لا يقاس من شخصية أى ملك من ملوك الأرض ، لأنه ملك  
الملوك ورب الأرباب ( ١ . تيموثيوس ٦ : ١٥ ) : ( الرؤيا ١٧ : ١٤ ) :  
( ١٩ : ١٦ ) . كما أن حركتهم تلك تنطوى على تمرد على الرومان ، مما يجعلها  
حركة سياسية ، لا كما يريدونها أن تكون بعنّاً روحياً . وهولم يأت ليكون زعيماً  
سياسياً يترعّم ثورة ضد الرومان أو غير الرومان ( لوقا ١٢ : ١٤ ) . وإنما ليكون  
فادياً للبشر جميعاً ، يخلصهم بفدائه لهم من الحكم بالهلاك الذى أصدرته  
العدالة الإلهية عليهم بسبب شرورهم وآثامهم . وإذا كان يخشى له المجد أن يشترك  
تلاميذه أنفسهم فى تلك الحركة التى تهدف إلى تنصيبه ملكاً أرضياً ، مدفوعين  
إلى ذلك بطموحهم لأن تكون لهم المناصب العليا فى مملكته تلك ( مرقس ١٠ :

٣٥ - ٣٧) ، انصرف إلى الجبل وحده (مرقس ٦ : ٤٧) : (متى ١٤ : ٢٣) . متعمداً ألا يأخذهم معه كعادته في اصطحابه لهم إلى كل مكان يذهب إليه .

### ٦ : ١٦ - ٢١

حتى إذا كان المساء نزل تلاميذ مخلصنا إلى البحر ، وركبوا سفينة وعبروا بحر الجليل متجهين إلى كفر ناحوم ، إذ كان الظلام قد خيم ولم يكن مخلصنا قد جاء بعد من الجبل إليهم . تفادياً لرغبتهم التي شاركوا فيها الجموع في أن ينادوا به ملكاً . وكان بحر الجليل هائجاً ، إذ هبت عليه ريح شديدة ، لأن هذا البحر محاط بتلال وجبال يبلغ ارتفاع بعضها أكثر من ألف قدم ، في حين أن سطحه منخفض جداً . يقل ارتفاع سطحه عن سطح البحر الأبيض المتوسط نحو سبعمئة قدم . ولذلك فإنه كثيراً ما هب عليه رياح عاصفة تثير فيه زوابع عاتية عنيفة . فلما كان التلاميذ قد جدفوا وأوغلوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة ، أى ما يعادل نحو ثلاثة أو خمسة أميال ، أبصروا مخلصنا ماشياً على البحر ، ومقبلاً نحو السفينة . فخافوا معتقدين أنه شبح أو خيال أو روح متجسدة ، فصرخوا من الخوف (متى ١٤ : ٢٦) : (مرقس ٦ : ٤٨) واضطربوا كلهم (مرقس ٦ : ٤٩) . فقال لهم مخلصنا « اطمئنوا أنا هو . لا تخافوا » (متى ١٤ : ٢٧) ؛ (مرقس ٦ : ٥٠) . فاطمأنوا ، ورجبوا في أن يأخذوه معهم في السفينة . فأتجه نحوهم وركب السفينة . فسكنت الريح (مرقس ٦ : ٥١) ؛ (متى ١٤ : ٣٢) فذهلوا ذهولاً عظيماً . وقد استولت الدهشة عليهم (مرقس ٦ : ٥١) ، إذ رأوه يمشى على الماء . وكأنه يمشى على الأرض الصلبة ، على الرغم من أنهم رأوا من قبل كثيراً من معجزاته التي تدل على قدرته الإلهية . وبالفعل كانت تلك معجزة خارقة للطبيعة . تدل على أن مخلصنا بوصفه ابن الله ، وبوصفه الله ذاته

متجسداً . كانت له السيطرة الكاملة على الطبيعة كلها . فهو سيّد الطبيعة ،  
ويمكنه أن يُسَخَّر قوانينها كما يشاء بصورة يعجز عنها كل بشر . لأنه هو خالقها ،  
وهو الذى يتصرّف حسب مشيئته فى كلّ عنصر من عناصرها . مهما بدا ذلك  
للعقل البشرى القاصر المحدود غريباً أو عجيّباً أو غير ممكن أو مستحيلًا ، لأن هذا  
العقل عاجز عن إدراك طبيعة الله أو مدى قدرته التى لا تحدها حدود .  
أو تقيدّها قيود أو يمنعها مانع أو يحول دونها حائل . وقد كان من أثر هذه القدرة  
الإلهية التى لمُخلّصنا على توجيه نوايس الطبيعة أنه ما إن ركب السفينة مع تلاميذه  
حتى هدأت الرياح وسكنت العاصفة . فجاء الذين كانوا فى السفينة وسجدوا له  
قائلين : حقاً أنت ابن الله ( متى ١٤ : ٣٣ ) . ثم لم تلبث السفينة أن بلغت  
شاطئ الأرض التى كانوا يقصدونها . ولقد برهن الرب يسوع المسيح بهذه  
المعجزة - إذ مشى على الماء - على سلطانه على الماء ، أى على المادة فى صورتها  
السائلة ، كما برهن بمعجزة إشباع الجماهير الكثيرة من خمسة أرغفة وسمكتين على  
سلطانه على المادّة فى صورتها الجامدة . كما برهن بسلطانه على الرياح على سلطانه  
على المادة فى صورتها الغازية . فهو الذى كان ينهر الرياح والأمواج ويقول للبحر  
اصمت ، اسكت ، فسكن الرياح والأمواج ويسود هدوء عظيم ( مرقس ٤ :  
٣٩ ) . فكان الناس بتعجبون ويقولون « أى انسان هذا الذى حتى الرياح  
والبحر تطيعه ؟ » ( متى ٨ : ٢٧ ) ؛ ( لوقا ٨ : ٢٥ ) . حقاً إنه سيّد الطبيعة  
بغير منازع . ولذلك استولت الدهشة على التلاميذ وعلى جميع الذين كانوا معهم  
فى السفينة فجاءوا وسجدوا له سجود العبادة قائلين : حقاً أنت ابن الله . وقد  
كان هذا الاعتراف الجماعى من جانب التلاميذ سابقاً على اعتراف بطرس الرسول  
عندما سأل السيّد المسيح له المجد تلاميذه فيما بعد فى قيصرية فيلبس : « وأنتم من  
تقولون إبنى هو ؟ . فأجاب سمعان بطرس وقال : أنت هو المسيح الله ابن الله  
الحى » ( متى ١٦ : ١٥ و ١٦ ) ؛ ( لوقا ٩ : ٢٠ ) ؛ ( مرقس ٨ : ٢٩ ) .

وهذا برهان على أن سمعان بطرس لم يكن منفردًا بهذا الاعتراف ، بل بالأحرى كان معبرًا عن إيمان جميع التلاميذ . علمًا بأن برثولماوس أحد الاثنى عشر سبق كُلَّ أولئك ، لأنه منذ الابتداء قال له في انبهار و يقين « يامعلم أنت ابن الله . أنت ملك إسرائيل » ( يوحنا ١ : ٤٩ ) .

٦ : ٢٢ - ٢٧

وفي اليوم التالي راح الجمع يبحثون عن محلّصنا ، إذ صنع لهم وأمامهم واحدة من أعظم معجزاته ، وهى أنه أطعمهم وكانوا خمسة آلاف نفس بخمس خبزات من الشعير وسمكتين صغيرتين ، أى خلّق لهم طعامًا أشبعهم جميعًا وفاض منه قدر كبير ، وكانوا لم يروه مع تلاميذه حين ركبوا السفينة التى أقلعت بهم فى بحر الجليل . وذلك الجمع يرقبهم على الضفة الأخرى من البحر . ولم يروا سفينة غيرها جاءت بعدها ليركبها محلّصنا بعد رحيل تلاميذه . بيد أنّ سفنا أخرى لم تلبث أن أقبلت من مدينة طبرية إلى قرب المكان الذى كانوا واقفين فيه ، والذى أكلوا فيه الخبز بعد أن صلّى ربُّنا عليه صلاة الشكر ( يوحنا ٦ : ١١ ) فلما تبين لهم أنه لا محلّصنا كان هناك ولا تلاميذه ، وإذ كانوا يريدون أن يتبعوه حيثما ذهب ، ركبوا هم أيضا تلك السفن التى أقبلت من طبرية ، وجاءوا إلى كفرناحوم يبحثون عنه ، لأنهم كانوا يعلمون أنه يقيم فى تلك المدينة مع تلاميذه . وقد وجدوه فعلاً على الضفة الأخرى من البحر . يعلم فى الجمع الذى فى كفرناحوم - كما ذكر لنا القديس يوحنا فى الآيات التالية - فقالوا له : « يامعلم متى جئت إلى هنا ؟ » ، لأنهم لم يكونوا قد رأوا سفينة أخرى جاءت إلى الضفة الأخرى التى كانوا واقفين عليها غير تلك التى ركبها تلاميذه ليركبها هو ويتبعهم ، فعجبوا كيف اجتاز البحر إلى كفرناحوم ومتى فعل هذا . وقد كان بحبهم عنه وتكبدهم تلك المشقة كى يجدوه يبدو فى ظاهر الأمر - بعد أن رأوا المعجزة التى



صنعها أمامهم وغيرها من المعجزات التي سبق لهم أن رأوها أو سمعوا بها أرادوا أن يتبعوه - كدليل على إيمانهم به . ولكن ربنا ومخلصنا العالم بكل شيء ، والعارف بخفايا القلوب ، صارحهم قائلاً لهم : « الحق الحق أقول لكم إنكم تبحثون عني ، لأنكم رأيتم المعجزات ، وإنما لأنكم أكلتم من الخبز وشبعتم » .

وهكذا نرى مدى ما كان اليهود قد وصلوا إليه من تفاهة في التفكير والشعور ، وتعلق بالماديات وبكل ما يجدون فيه منفعة لأشخاصهم ، غير مكترئين بالتفكير في حقيقة ذلك الذي يقدم المنفعة لهم أو في الوسيلة التي يقدم بها إليهم تلك المنفعة ، ولو كانت معجزة من المعجزات التي لا يستطيع أن يصنعها إلا الله وحده . فمع أنهم كانوا يتعصبون لشريعتهم تعصباً أعمى ، ويتظاهرون بإيمانهم بالله الذي أعطاهم تلك الشريعة إيماناً عظيماً ، لم يكونوا في الواقع يفكرون في الله ولا في تنفيذ الوصايا الواردة في شريعتهم ، بقدر ما كانوا يفكرون في إشباع بطونهم والتكالب على شهواتهم وتحقيق مطامعهم التي لا تهدف إلا إلى اكتناز المال ، وانتهاز كل فرصة تتيح لهم الوصول إلى الجاه ووجاهة هذه الدنيا والمناصب العليا التي تفضي عليهم ما يرضى غرورهم ويدفع الآخرين إلى تكريمهم وتعظيمهم . وقد كانت تلك هي الصفات التي يتصفون بها جميعاً ، ولا سيما رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين والصدّوقين وأمثالهم ممن كانوا يزعمون أنهم أكثر الناس غيرة على عبادة الله وحرصاً على العمل بشريعته . وحتى إذا أظهر بعض اليهود إيمانهم بمخلصنا حين يرون إحدى معجزاته ، كما فعل أولئك الذين أطعمهم بمعجزة حتى شبعوا ، فإن إيمانهم هذا كان سطحياً ووقتياً ، فسرعان ما كان يتبدّد ويزول ، بل ينقلب أحياناً إلى نقيضه ، كما فعلوا مع مخلصنا إذ آمنوا به بعض الوقت ، ثم لم يلبثوا أن انقلبوا عليه وتكروا له وأنكروه . وفي آخر الأمر أمسكوه وصلبوه . ومن ثمّ قال مخلصنا لأولئك الذين بحثوا عنه وعبروا البحر

ليجدوه : « اعملوا لا من أجل الطعام الفاني ، وإنما من أجل الطعام الباقي للحياة الأبدية ، الذي يعطيكم ابن الإنسان ، لأنَّ هذا قد آقره الله الآب بختمه » ، أى أنهم ينبغي ألا يضعوا كل همهم واهتمامهم فى العمل من أجل الطعام المادى الفانى ليشبعوا بطونهم ، ومن أجل كل مايرمز إليه الطعام من مطالب الدنيا وشهواتها المادّية ، لأن هذه كلها لا تلبث أن تزول وتفتنى ولا يبقى لهم من فائدتها شىء ، بل إنها قد تؤدى إلى هلاكهم الأبدى . وفى ذلك يقول بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس « الأطعمة للجوف ، والجوف للأطعمة ، والله سيبيدها وتلك » ( ١ . كورنثوس ٦ : ١٣ ) ( كولوسى ٢ : ٢٢ ) .

وإنما ليعملوا من أجل الطعام الأبدى الباقي للحياة الأبدية ، أى البركات السائية التى لا تزول ولا تفتنى ، والتى يناهها من يأخذ من جسده ودمه الأقدسين ( يوحنا ٦ : ٥٤ ) ، لأنها تؤدى بهم إلى الحياة الأبدية فى ملكوت الله ( يوحنا ٤ : ١٤ ) ، تلك البركات التى يمنحهم إياها ابن الإنسان الذى هو مخلصنا ابن الله ، الذى شهد الله علانية بأنه ابنه ( متى ٣ : ١٧ ) ؛ ( مرقس ١ : ١١ ) ؛ ( لوقا ٣ : ٢٢ ) ؛ ( متى ١٧ : ٥ ) ؛ ( ٩ : ٧ ) ؛ ( لوقا ٩ : ٣٥ ) ؛ ( يوحنا ١ : ٣٥ ) ؛ ( ٥ : ٣٧ ) ؛ ( ٨ : ١٨ ) ؛ ( الأعمال ٢ : ٢٢ ) ؛ ( ٢ . بطرس ١ : ١٧ ) وختم الله الآب تلك الشهادة بختمه الذى يدل على أنها وثيقة رسمية صادرة عنه ، كما اعتاد الناس أن يختموا كل وثيقة يريدون أن يثبتوا أنها حقيقية ، وأنها فعلاً صادرة عنهم ، لا ينكرونها هم ، ولا يستطيع أحد أن ينكرها .

٦ : ٢٨ - ٤٠

فلما قال مخلصنا ذلك لأولئك الذين بحثوا عنه وجاءوا إليه ، ولأولئك الذين كانوا فى المجمع قبل مجيئهم يستمعون إلى تعاليمه ، ثارت بينهم وبينه مناقشة حادة ، كنتلك التى ثارت حين شفى الرجل العليل عند بركة بيت حسدا فى يوم

صنعها أمامهم وغيرها من المعجزات التي سبق لهم أن رأوها أو سمعوا بها أرادوا أن يتبعوه - كدليل على إيمانهم به . ولكن ربنا ومخلصنا العالم بكل شيء ، والعارف بخفايا القلوب ، صارحهم قائلاً لهم : « الحق الحق أقول لكم إنكم تبحثون عني ، لأنكم رأيتم المعجزات ، وإنما لأنكم أكلتم من الخبز وشبعتم » .

وهكذا نرى مدى ما كان اليهود قد وصلوا إليه من تفاهة في التفكير والشعور ، وتعلق بالماديات وبكل ما يجدون فيه منفعة لأشخاصهم ، غير مكترئين بالتفكير في حقيقة ذلك الذي يقدم المنفعة لهم أو في الوسيلة التي يقدم بها إليهم تلك المنفعة ، ولو كانت معجزة من المعجزات التي لا يستطيع أن يصنعها إلا الله وحده . فمع أنهم كانوا يتعصبون لشريعتهم تعصباً أعمى ، ويتظاهرون بإيمانهم بالله الذي أعطاهم تلك الشريعة إيماناً عظيماً ، لم يكونوا في الواقع يفكرون في الله ولا في تنفيذ الوصايا الواردة في شريعتهم ، بقدر ما كانوا يفكرون في إشباع بطونهم والتكالب على شهواتهم وتحقيق مطامعهم التي لا تهدف إلا إلى اكتناز المال ، وانتهاز كل فرصة تتيح لهم الوصول إلى الجاه ووجاهة هذه الدنيا والمناصب العليا التي ترضى عليهم ما يرضى غرورهم ويدفع الآخرين إلى تكريمهم وتعظيمهم . وقد كانت تلك هي الصفات التي يتصفون بها جميعاً ، ولا سيما رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين والصدّوقيين وأمثالهم ممن كانوا يزعمون أنهم أكثر الناس غيره على عبادة الله وحرصاً على العمل بشريعته . وحتى إذا أظهر بعض اليهود إيمانهم بمخلصنا حين يرون إحدى معجزاته ، كما فعل أولئك الذين أطعمهم بمعجزة حتى شبعوا ، فإن إيمانهم هذا كان سطحياً ووقتياً ، فسرعان ما كان يتبدّد ويزول ، بل ينقلب أحياناً إلى نقيضه ، كما فعلوا مع مخلصنا إذ آمنوا به بعض الوقت ، ثم لم يلبثوا أن انقلبوا عليه وتنكروا له وأنكروه . وفي آخر الأمر أمسكوه وصلبوه . ومن ثمّ قال مخلصنا لأولئك الذين بحثوا عنه وعبروا البحر

ليجدوه : « اعملوا لا من أجل الطعام الفانى ، وإنما من أجل الطعام الباقي للحياة الأبدية ، الذى يعطيكم ابن الإنسان ، لأنَّ هذا قد أقره الله الآب بختمه » ، أى أنهم ينبغي ألا يضعوا كل همهم واهتمامهم فى العمل من أجل الطعام المادى الفانى ليشبعوا بطونهم ، ومن أجل كل مايرمز إليه الطعام من مطالب الدنيا وشهواتها المادّية ، لأن هذه كلها لا تلبث أن تزول وتفتنى ولا يبقى لهم من فائدتها شىء ، بل إنها قد تؤدى إلى هلاكهم الأبدى . وفى ذلك يقول بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس « الأطعمة للجوف ، والجوف للأطعمة ، والله سيبيدها وتلك » ( ١ . كورنثوس ٦ : ١٣ ) ( كولوسى ٢ : ٢٢ ) .

وإنما ليعملوا من أجل الطعام الأبدى الباقي للحياة الأبدية ، أى البركات السمائية التى لا تزول ولا تفتنى ، والتى يناهها من يأخذ من جسده ودمه الأقدسين ( يوحنا ٦ : ٥٤ ) ، لأنها تؤدى بهم إلى الحياة الأبدية فى ملكوت الله ( يوحنا ٤ : ١٤ ) ، تلك البركات التى يمنحهم إياها ابن الإنسان الذى هو مخلصنا ابن الله ، الذى شهد الله علانية بأنه ابنه ( متى ٣ : ١٧ ) ؛ ( مرقس ١ : ١١ ) ؛ ( لوقا ٣ : ٢٢ ) ؛ ( متى ١٧ : ٥ ) ؛ ( ٩ : ٧ ) ؛ ( لوقا ٩ : ٣٥ ) ؛ ( يوحنا ١ : ٣٥ ) ؛ ( ٥ : ٣٧ ) ؛ ( ٨ : ١٨ ) ؛ ( الأعمال ٢ : ٢٢ ) ؛ ( ٢ . بطرس ١ : ١٧ ) وختم الله الآب تلك الشهادة بختمه الذى يدل على أنها وثيقة رسمية صادرة عنه ، كما اعتاد الناس أن يجتموا كل وثيقة يريدون أن يثبتوا أنها حقيقية ، وأنها فعلاً صادرة عنهم ، لا ينكرونها هم ، ولا يستطيع أحد أن ينكرها .

فلما قال مخلصنا ذلك لأولئك الذين بحثوا عنه وجاءوا إليه ، ولأولئك الذين كانوا فى المجمع قبل مجيئهم يستمعون إلى تعاليمه ، ثارت بينهم وبينه مناقشة حادة ، كتلك التى ثارت حين شفى الرجل العليل عند بركة بيت حسدا فى يوم

سبت ، وقال عن نفسه إنه ابن الله (يوحنا ٥ : ١٨) . إذ قالوا له في هذه المرة : « ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟ » . فأجاب مخلصنا وقال لهم : « هذا هو عمل الله ، أن تؤمنوا بالذي أرسله » . فع انهم سألوه عن الأعمال التي تجعلهم صالحين أمام الله ، والتي تجعلهم مستحقين للحياة الأبدية التي وعد بها الصالحين منهم ، أجابهم بأن ثمة عملاً واحداً يكفيهم أن يعملوه ، لأنه ينطوي في ذاته على كل الأعمال التي تؤدي بهم إلى الحياة الأبدية ، وذلك العمل هو أن يؤمنوا بالذي ارسله الله (يوحنا ٣ : ١٧) ، وهو مخلصنا الذي - وإن كان هو ابن الله الآب ، وهو متحد اتحاداً كاملاً به - قد اتفقت مشيئتهما معاً على أن يكون هو الرسول إلى البشر الذي يصلح بينهم وبين الله ليرفع عنهم خطاياهم ، بأن يقدم نفسه فداء عنهم ، وبذلك يخلصهم من الهلاك الأبدي المحكوم به عليهم .. « لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم ، وإنما ليخلص به العالم » (يوحنا ٣ : ١٧) . فلو آمن البشرُ جميعاً بمخلصنا ، يكونون بذلك قد آمنوا بالابن وبالآب معاً ، وتكون النتيجة أنهم بحكم ذلك الإيمان سيعملون كل الأعمال التي ترضى الله ، فيمنحهم الحياة الأبدية التي وعدهم بها لو آمنوا به . على أن الإرسال للابن من قبل الآب ليس هو كإرسال الأنبياء . إنما هو كإرسال الشمس لأشعتها . فهو إرسال باتصال لا بانفصال ، لأن الابن مع نزوله إلى العالم هو كائن مع الآب وفي الآب (يوحنا ١٠ : ٣٠) ؛ (يوحنا ١٤ : ١٠ و ١١ و ٢٠) ؛ (١٠ : ٣٨) ؛ (١٧ : ٢١) .

وربما يرد هنا سؤال وهو : هل عمل الله هو مجرد الإيمان بالابن الذي نزل من السماء ؟ . بيد أن الجواب على ذلك هو أن الإيمان المطلوب ليس هو مجرد الإيمان اللفظي بالابن ، إنما لأن نزول الابن من السماء هو فضل ورحمة من الله فإن هذا النزول هو للافتقاد ، وللرحمة ، ثم للخلاص . وهذا هو عمل الله مع الإنسان ومن أجل الإنسان . فلم يعد الله كما في المفهوم الوثني إلهاً يسكن وراء

الجال ولا يخفل بآلام البشر. وإنما الله في المسيحية هو الأب الرحيم والراعى الصالح .. « فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذلك الذى له سلطان الموت أى إبليس » ( العبرانيين ٢ : ١٤ ) فالإيمان هنا هو إيمان بمحبة الله ورحمته « لأنه إلى هذا المدى أحبَّ الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ١٦) ويتبع الإيمان العمل وحفظ وصايا الله ، فإن « الإيمان بدون أعمال ميت » (يعقوب ٢ : ٢٦) ؛ (يوحنا ١٤ : ٢٢ و ٢٣) . فَمَنْ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ « (يوحنا ٣ : ٣٦) .

وإذ تضمّن قول مخلصنا التصريح بأنه هو ابن الله ، ومع أنّ الحاضرين من اليهود سبق أن سمعوا من أقواله ورأوا من أعماله ومعجزاته ما يبرهن برهانا ساطعاً وقاطعاً على أنه هو ابن الله بالفعل ، سألوه قائلين : « آية آية تصنع أنت لئرى وتؤمن بك ؟ أى عمل تصنع ؟ » مما يدلّ على أنهم بالفعل كما سبق أن قال عنهم مخلصنا : « مبصرون لا يبصرون ، وسامعون لا يسمعون ولا يفهمون » (متى ١٣ : ١٣) . وقد أرادوا أن يقارنوا بين معجزاته ومعجزات موسى التى صنعها مع آبائهم في صحراء سيناء ، ليثبتوا أنّ مخلصنا أقلّ شأنًا من أن يكون مساوياً لموسى الذى يفخرون به ، ومن أن يقول بالأحرى عن نفسه إنه هو ابن الله. وليست هذه هى المرة الوحيدة التى سألوها فيها المسيح له المجد أن يأتيتهم بآية من السماء (متى ١٢ : ٣٨) ؛ (١ : ١٦) ؛ (مرقس ٨ : ١١) ؛ (لوقا ١١ : ١٦) ؛ (يوحنا ٢ : ١٨) ؛ ومن ثمّ قالوا له « إن آباءنا أكلوا المنّ فى البرية وفقاً لما هو مكتوب . أنه أعطاهم خبزاً من السماء لياكلوا » مشيرين بذلك إلى ما فى سفر المزامير إذ يقول : « أمطر عليهم منّا للأكل .. أكل الإنسان خبز الملائكة » (الزمور ٧٧ : ٢٤ و ٢٥) - انظر أيضاً الخروج (١٦ : ٤ و ١٤ و ١٥ و ٣١ و ٣٥) ؛ (العدد ١١ : ٧) ؛ (نحميا ٩ : ١٥ و ٢٠) ؛ (١ . كورنثوس ١٠ : ٣) . فقال لهم مخلصنا « الحقّ الحقّ أقول لكم

إِنَّ موسى لم يعطكم الخبز من السماء ، وإنما أبى هو الذى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء . لأن خبز الله هو الذى ينزل من السماء ، ويهبُ الحياة الأبدية للعالم . وذلك أن موسى لم يكن هو الذى أعطاهم الخبز من السماء وإنما كان الله هو الذى أعطاهم المنَّ ليأكلوه بدلاً من الخبز لعدم وجود الخبز فى الصحراء (الخروج ١٦ : ٤ و ١٥) ؛ (نحميا ٩ : ١٥ و ٢٠) ؛ (المزمور ٧٧ : ٢٤) ؛ (التثنية ٨ : ٣) . وكان هذا المنُّ طعاماً يأمنون به غائلة الجوع ، ولكنه كان مؤقتاً ، يأكلون منه ويشبعون ، ولكنه لا يلبث أن يفسد بعد ساعات قليلة ويرعى فيه الدود (الخروج ١٦ : ٢٠) . وأما الخبز الحقيقى ، أى النعمة الحقيقية التى تُغذِّى الروح لا الجسد والذى لا يفسد ولا ينتهى الشبع منه أبداً ، فهو الذى يرسله إليهم الله الآب من السماء ، لأن خبز الله هو المسيح ابن الله الذى نزل ويتزل من السماء . وهو ليس كالخبز المادى الذى لا يلبث أن يفنى ، والذى مها أكل منه الإنسان طيلة عمره ، فإن هذا الإنسان لا يلبث أن يموت ، وإنما هو الذى يهبُ الحياة الأبدية للناس ، فلاتنتهى بالموت الجسدى حياتهم ، وإنما يظلون أحياء بالروح إلى الأبد . وإذا كان تفكير اليهود سطحياً وتافهاً ومادياً ، لا يتجاوز احتياجاتهم الجسدية والدينية ، ويتطلعون دائماً لأن يحصلوا على ما هو أكثر فائدة وأكثر وفرة من تلك الاحتياجات . ففعلوا حين قال لهم مخلصنا ذلك ، كما فعلت المرأة السَّامرية من قبل حين قال لها له المجد « لو كنت تعرفين عطية الله ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب ، لطلبت أنتِ منه ، فأعطيك ماءً حياً .. من يشرب من الماء الذى أعطيه إياه أنا ، فلن يعطش إلى الأبد » فأجابته المرأة فى سداجة دون أن تفهم قصده قائلة « ياسيد . أعطني هذا الماء لكيلا أعطش » (يوحنا ٤ : ١٤ و ١٥) . وذلك أن أولئك اليهود حين حدّثهم له المجد عن الخبز الذى يهبهم الحياة الأبدية قالوا له « ياربّ أعطنا هذا الخبر فى كلِّ حين » ، وقد ظنّوه خبزاً عادياً كالذى يأكلونه ، ولكن له ميزة خاصة ، هى

أنهم إذا أكلوه يتمتعون بالحياة الأبدية فلا يموتون . وعندئذ كشف لهم مخلصنا عن المعنى الحقيقي الذى لم يفهموه لذلك الخبز الذى حدثهم عنه ، قائلاً لهم « أنا هو خبز الحياة . مَنْ يُقْبَلْ إِلَىَّ فَلَنْ يَجُوعَ . وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلَنْ يَعْطَشَ أَبَدًا . ولكنى قلت لكم إنكم قد رأيتمونى ولم تؤمنوا . كل ما يعطينيه الآب يُقْبَلُ إِلَىَّ ، ومن يُقْبَلُ إِلَىَّ لَا أَلْقَى بِهِ خَارِجًا . لِأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ ، لَا لِأَعْمَلَ بِمَشِيئَتِي وَإِنَّمَا بِمَشِيئَةِ الْآبِ الَّذِي أُرْسَلُنِي . وهذه هي مشيئة الآب الذى أرسلنى : أَنْ كُلَّ الَّذِينَ أَعْطَانِي لَا أَهْلِكُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، بَلْ أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ . لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ أَبِي الَّذِي أُرْسَلُنِي أَنْ كُلَّ مَنْ يَرَى الْإِبْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ » .

ومخلصنا له المجد حين يتكلم عن الخبز هنا ، لا يقصد ذلك الخبز الذى نأكله كطعام لأجسادنا ، وإنما هو يقصد أن ذلك الخبز المادى بوصفه أهم عناصر الطعام فى المحافظة على الجسم لكى يستمرّ فى الحياة الأرضية ، فلا يجوع ويؤدى به الجوع إلى الموت ، يعدّ رمزاً لذلك الطعام الروحى الذى لا بد أن تتغذى به الروح لكى تستمرّ فى الحياة الروحية هنا فى الأرض ثم بعد ذلك فى السماء ، وبدونه تموت الروح على الرغم من استمرار حياة الجسد فى الأرض ، ثم يكون مصيرها بعد موت الجسد هو الموت الأبدى فى السماء . ولذلك يقول له المجد : « أنا هو خبز الحياة » ، أى الطعام الروحانى الذى تتغذى به الروح فتحيا به فى كل زمان ومكان ، وبدونه تموت فى كل زمان ومكان كذلك . فالذى يؤمن بمخلصنا ويُقْبَلُهُ وَيُقْبَلُ إِلَيْهِ لَنْ يَجُوعَ وَلَنْ يَعْطَشَ أَبَدًا ، وبذلك يحيا إلى الأبد . لأنه كما أن الجسد يموت إذا جاع وعطش ، هكذا الروح تموت إذا لم تزود بالطعام الروحانى من عند مخلصنا ، وتجعله طعامها وشرابها على الدوام . وقد كرر له المجد هذا التعبير فى نفس المناسبة بقوله « أنا هو خبز الحياة » ( يوحنا ٦ :



ولكن اليهود على الرغم من أنهم رأوا مخلصنا وأبصروا أعماله وسمعوا أقواله التي تدل دلالة قاطعة وساطعة على أنه هو ابن الله مخلص البشر الذي تنبأ بمجيئه كل أنبيائهم ، لم يؤمنوا به (يوحنا ٦ : ٦٤) . ولم يجعلوه طعاماً وشراباً لأرواحهم كى نجيأ أرواحهم ولا تموت ، فى حين أن الذين يفتح الله الأب قلوبهم (يوحنا ١٧ : ٢٢ ، ٢٤) ليؤمنوا به بوصفه ابن الله ، سيقبلونه على هذا الوصف ويقبلون إليه (يوحنا ٦ : ٤٤ و ٤٥) . ومن يفعل ذلك منهم يمنحه ابن الله الحياة الأبدية ، ولن يلقى به خارجاً إلى ظلمات الموت الأبدى (يوحنا ٣ : ١٥ و ١٦) ، لأنه وهو ابن الله قد نزل من السماء ليتمم التدبير الإلهى الذى يقضى بأن يقدم نفسه ذبيحة عنهم (البرانيين ٩ : ٢٦) ؛ (البرانيين ١٠ : ١٢) ، وفادياً لهم (البرانيين ٩ : ١٢) ، ويغفر خطاياهم ، وبذلك يصلح بين الله وبينهم (روما ٥ : ١١) . فينقذهم من الهلاك الذى قضت به العدالة الإلهية عليهم (التكوين ٢ : ١٧) ؛ (٣ : ٣) بسبب تلك الخطايا التى ارتكبوها ، إذ خالفوا وصايا الله التى أوصى بها آدم جدهم الأول . ومخلصنا إذ نزل من السماء (يوحنا ٣ : ١٣) ، واتخذ جسداً بشرياً لكى يتمم هذا التدبير الإلهى ، لم يكن يعمل بمشيئته هو وحده بوصفه ابن الله (متى ٢٦ : ٣٩ و ٤٢) ؛ (مرقس ١٤ : ٣٦) ؛ (لوقا ٢٢ : ٤٢) . وإنما بالاتفاق فى ذلك مع مشيئة أبيه (يوحنا ٤ : ٣٤) ؛ (٥ : ٣٠) الذى هو متحد به اتحاداً كاملاً ، والذى نزل من السماء مرسلًا منه بناء على مشيئته معاً . وقد كان من مقتضيات هذه المشيئة أن كل الذين فتح الله الأب قلوبهم ليؤمنوا بالابن لأيهلك الابن منهم أحدًا (يوحنا ١٠ : ٢٨) ؛ (١٧ : ١٢) ؛ (١٨ : ٩) بل فى اليوم الأخير ، أى فى يوم القيامة ، يمنحهم الحياة الأبدية فلا يهلكون ولا يموتون الموت الأبدى (يوحنا ٣ : ١٥ و ١٦) ؛ (٤ : ١٤) ؛ (٦ : ٢٧ و ٤٧ و ٥٤) .

ومما يثير الانتباه فى حديث السيد لمسيح له المجد فى هذا النص القدسى :

أولاً : توكيده على أنه نزل من السماء ، إذ يقول له المجد « لأنى قد نزلت من السماء لأصنع مشيئتي » ( ٦ : ٣٨ ) ويقول مرةً أخرى « أنا هو خبز الحياة .. الخبز النازل من السماء ليأكل منه الإنسان فلا يموت . أنا هو الخبز الحىّ الذى نزل من السماء ( ٦ : ٤٨ - ٥١ ) . انظر أيضا ( ٦ : ٥٨ ) . ولقد سبق له المجد أن قال كذلك « مامن أحد صعد إلى السماء ، إلا ذلك الذى نزل من السماء ، ابن الإنسان الذى هو فى السماء » ( يوحنا ٣ : ١٣ ) . وليس هذا إنكاراً لتجسده من العذراء مريم ، ولكنه بيان لوجوده السابق على التجسد . فالمسيح له وجود قبل الزمان ، ووجود فى الزمان . وقبل أن يولد من العذراء مريم كان كائناً فى السماء . فليس ميلاده إلا تجسداً . إذ يقول أيضاً « فماذا لو رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان قبلاً » ( يوحنا ٦ : ٦٢ ) ، مما يؤكد حقيقة وجوده السابق فى السماء قبل التجسد .

ثانياً : كشف مخلصنا له المجد عن حقيقة أنه هو بذاته الخبز السماوى ، وأنه الطعام الحقيقى والمحيى ، الذى يهب الحياة لمن يؤمن به ، ولن يُقبل إليه ، ولن يعتدى منه ويعتمد عليه . وأن المنّ الذى أكله بنو إسرائيل فى البرية كان مجرد رمز للخبز الحقيقى الذى يهبه المسيح لمن يُقبل إليه بإيمان واستحقاق ، وسوف يقرّر فى فقرة تالية أن هذا الخبز هو جسده ودمه الأقدس .

ثالثاً : أنه ذو سلطان على أن يقيم المؤمنين به والمعتمدين عليه ، والأحياء به ، فى اليوم الأخير ، وهو يوم القيامة ولا عَجَبْ فهو يقرّر فى موضع آخر أنه هو القيامة والحياة ( يوحنا ١١ : ٢٥ ) .

وحين كَشَفَ مَخْلَصُنَا لليهود عن هذا السِّرِّ الإلهى تدمروا عليه فيما بينهم ، لأنه

قال : « أنا هو الخبز الذى نزل من السماء » . وقالوا : « أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن نعرف أباه وأمه . فكيف يقول الآن إني نزلت من السماء ؟ » . وهكذا تراجع اليهود سريعاً عن إيمانهم بمخلصنا ، لأنهم كانوا قوماً سطحيين غير ثابتين في تفكيرهم أو في شعورهم ، ينقلبون في لحظة من النقيض إلى النقيض . فبعد أن بحثوا عن ذلك الذى أطعمهم بمعجزة واجتازوا البحر ليجدوه ويمجدوه ، وبعد أن حاولوا أن يختطفوه ليقيموه ملكاً عليهم ، إذابهم في اليوم التالى مباشرة يستهينون به ويهينونه بعبارات السخرية والاستخفاف ، معيرون إياه بأنه لم يكن - كما سبق لهم أن عرفوه - إلا شخصاً فقيراً من عائلة فقيرة . فكان أبوه - كما كانوا يظنون (لوقا ٣ : ٢٣) - هو يوسف الذى كان يعمل نجاراً بسيطاً (متى ١٣ : ٥٥) . (مرقس ٦ : ٣) ؛ (لوقا ٤ : ٢٢) . وكان هو يعمل معه في مهنته تلك المتواضعة . وكانت أمه مريم امرأة فقيرة وبسيطة كذلك . وقد عاش مع أولئك اليهود الذين يستمعون إليه كواحدٍ منهم ، لا يميزه عنهم مال ولا جاه ولا منصب ولا مكانة مرموقة في المجتمع . فكيف يقول الآن إنه ابن الله وإنه نزل من السماء . وقد تجاهلوا تماماً ما سبق أن رأوه يصنعه من المعجزات التى تدل على صدقه فيما يقول ، والتى تجعله جديراً بالتمجيد والتكريم ، فلم يذكروا عنه إلا حياته السابقة التى لا تستحق في نظرهم تمجيداً ولا تكريماً ، وإنما إهانة واستهانة . **وَمِنْ ثَمَّ صَدَقَ فِيهِمْ قَوْلُهُ : « لَانبِيَّ بِلَا كِرَامَةٍ إِلَّا فِي وَطْنِهِ وَفِي بَيْتِهِ » (متى ١٣ : ٥٧) ؛ (مرقس ٦ : ٤) ؛ (لوقا ٤ : ٢٤) ؛ (يوحنا ٤ : ٤٤)**  بيد أنه التمس لهم العذر فيما قالوه عنه . لأن الحقائق التى ذكرها لهم كانت أسراراً إلهية لا يمكن لعقولهم السطحية الساذجة أن تفهمها أو ترتفع الى مستواها ، ولأنهم ليس في قدرتهم الإيمان بها إلا إذا وهبهم الله نعمة تفتح قلوبهم وعقولهم لقبولها والتسليم بها . فأجابهم له المجد قائلاً : « لا تتذمروا فيما بينكم . ما من أحد يستطيع أن يقبل نحوى ما لم يحتذبه إلى الآب الذى أرسلنى .

وأنا أقيمه في اليوم الأخير . إنه مكتوب في أسفار الأنبياء أن الجميع سيكونون متعلمين من الله . فكل من استمع إلى أبي وتعلّم منه يُقبل نحوى . لا أحد قد رأى الآب إلا الذى هو من الله . فهذا هو الذى رأى الآب . الحقّ الحقّ أقول لكم إن من يؤمن بى فله الحياة الأبدية » .

وبذلك أكّد فادينا أن الإيمان به لا يكتسبه إلا أولئك الذين شاءوا فأنا الله بصائرهم وأبصارهم (يوحنا ٣ : ٢٧) ؛ (٦ : ٦٥) ؛ (نشيد الأناشيد ١ : ٤) . وأخذ بأيديهم في ظلام الجهل وسواد القلب وتبلّد الشعور وموت الوجدان ليروا من خلف الستار الجسدى لمخلّصنا مجده الإلهي ، فينجذبوا إليه ويقبلوه ، ويُقبلوا نحوه ويؤمنوا به . ومن ثمّ يأخذهم مخلصنا في حضنه وبياركمهم ويرعاهم ، ثم يقيمهم في اليوم الأخير (يوحنا ٦ : ٣٩ و٤٠ و٤٤) ، ليحيوا معه إلى الأبد . وقد قرّر مخلصنا أن الله مع مرور الزمن سينير عقول جميع الناس من كلّ الأجناس ، سواء أكانوا يهوداً أم غير يهود ، إذا استمعوا إلى كلام الله وتعلموا منه ، بحيث يرون كلهم مجد مخلصنا فيقبلون إليه ويؤمنون به . وقد سبق لأنبياء العهد القديم أن تنبأوا بذلك ، ومنهم إرميا الذى تنبأ قائلاً : « يقول الربُّ : أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم .. وأكون لهم إلهًا ، وهم يكونون لى شعبًا .. ولا يعلمون بعد كلّ واحد صاحبه . وكلُّ واحد أخاه قائلين اعرفوا الربُّ ، لأنهم كلّهم سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم ، يقول الرب ، لأنى أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيئتهم بعد » (إرميا ٣١ : ٣٣ و٣٤) - وانظر أيضا (إشعيا ٥٤ : ١٣) ؛ (ميشا ٤ : ٢) ؛ (١ : ١٠) ؛ (١٢ : ١٠) ؛ (العبرانيين ٨ : ١٠ - ١٢) ؛ (١٧ و١٦) ؛ (١٧ : ٢٧) . فكل من استمع إلى الآب وتعلّم منه يؤمن بمخلصنا ابن الله ويُقبل نحوه (يوحنا ٦ : ٣٧ و٤٤ و٦٥) ، لا لعلمه بطبيعة الآب ، وإنما بتعلّمه منه . لأنه لا أحد من البشر قد رأى الآب ولا عرف طبيعته ، إلا مخلصنا

الذى هو من طبيعة الله الآب. ومن جوهره. قال له المجد «أما أنا فأعرفه، لأنى منه» (يوحنا ٧: ٢٩) وفي وحدة معه، إذ هو كائن معه وفيه (يوحنا ١٠ : ٣٠) ؛ (١٤ : ١٠ و ٢٠) ؛ (١٧ : ٢١) . فهو وحده الذى قد رأى الآب بحكم تلك الوحدة التى تجمعهما ، لأنها معاً إله واحد (قارن يوحنا ٥ : ٣٧) ، **وَمِنْ نَمِّ فَإِنَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْآبِ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِالتَّالِيِ بِاللَّهِ الْابْنِ**، وبذلك الإيمان تكون له الحياة الأبدية (يوحنا ٣ : ١٦ و ٣٦) ؛ (٥ : ٢٤) ؛ (٦ : ٤٠) ؛ (١١ : ٣٦) . وقد قال الإنجيل فى نفس المعنى : «الله لم يره أحد قط ، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١ : ١٨) . وقال أيضاً «ولا أحد يعرف الابن إلا الآب : ولا أحد يعرف الآب إلا الابن» (متى ١١ : ٢٧) ؛ (لوقا ١٠ : ٢٢) وقال مخلصنا له المجد «إِنَّ أبِي يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الْآبَ» (يوحنا ١٠ : ١٥) . وقال فى مناجاته للآب «يا أبته الحق . إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ وَأَمَّا أَنَا فَعْرِفْتُكَ» (يوحنا ١٧ : ٢٥) .

ثم عاد مخلصنا فأكد لليهود ماسبق أن قاله لهم وأدّى إلى تدمرهم ، قائلاً لهم : «أنا هو خبز الحياة . آباؤكم أكلوا المَنَّ فى البرية وماتوا . أما هذا فهو الخبز النازل من السماء ليأكل منه الإنسان فلا يموت . أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . مَنْ يَأْكُلْ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ . وَالْخُبْزُ الَّذِي سَأَعْطِيهِ أَنَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي سَأُبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ» . فإذا كان اليهود قد تفاخروا عليه له المجد بالمعجزة التى جرت لآبائهم فى صحراء سيناء على يد موسى النبي ، وهى أن الله أرسل لهم المَنَّ ليأكلوه فى تلك الصحراء التى لا طعام فيها . فإنَّ هذا المَنَّ لم يكن إلا طعاماً وقتياً لا يغذى إلا جسد الإنسان ، ثم لا يلبث هذا الطعام أن يفسد ولا يلبث ذلك الإنسان أن يموت . وفعلاً فإنَّ كُلَّ آباء اليهود الذين أكلوا من ذلك المَنَّ ماتوا (يوحنا ٦ : ٣١) . أما مخلصنا فهو الخبز الحى ، وهو

خبز الحياة ، الذى من يأكله يحيا به إلى الأبد ولا يموت ( يوحنا ٦ : ٥١ و٥٨ ) . وليس للموت الثانى عليه سلطان ( الرؤيا ٢٠ : ٦ ) . ولأن الإنسان الذى يتغذى بهذا الخبز الحى الذى نزل من السماء ( يوحنا ٣ : ١٣ ) تكون له الحياة الأبدية .

وهنا يكشف السيد المسيح له المجد عن سرٍّ عظيم وهو سرُّ تناول من جسده ودمه . فالمسيح هو « شجرة الحياة » الحقيقية ( التكوين ٢ : ٩ ) ؛ ( ٣ : ٢٢ و٢٤ ) . وهو « الكرمة الحقيقية » ( يوحنا ١٥ : ١ ) والمؤمنون به هم الأغصان . فهو له المجد يقول « فكما أن الغصن لا يمكنه أن يأتى بشمر من ذاته وحده إن لم يثبت فى الكرمة . هكذا أنتم لا يمكنكم أن تأتوا بشمر إن لم تثبتوا فى . أنا الكرمة وأنتم الأغصان . فالذى يثبت فىّ وأنا فيه يأتى بشمر كثير ، لأنكم بدونى لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً . وأما الذى لا يثبت فىّ فيقطع خارجاً كالغصن فيجف » ( يوحنا ١٥ : ١ - ٦ ) . ولما لم يكن للغصن حياة من غير الكرمة التى منها يأخذ عصارة الحياة فتسرى فيه الحياة ، ومن دون ذلك يجف ويموت . هكذا المؤمنون حياتهم بالمسيح ومن المسيح . منه يستمدون الحياة ، لأن فيه كانت الحياة ( يوحنا ١ : ٤ ) . والسيد المسيح يتكلم هنا بكل الوضوح قائلاً إنه هو الخبز الحقيقى الذى نزل من السماء ( يوحنا ٦ : ٣٢ ) وخبز الحياة ( يوحنا ٦ : ٣٥ ) الذى يهب الحياة للعالم ( يوحنا ٦ : ٣٣ ) وأنه هو جسده ودمه الذى يبذله من أجل حياة العالم ( العبرانيين ١٠ : ١٠ ) . وأن من يأكله يحيا به ، وأن جسده هو الطعام الحق ، وأن دمه هو الشراب الحق . ولذلك فإن من يأكل جسده ويشرب دمه له الحياة الأبدية . أما الذى لا يأكل جسده ولا يشرب دمه فليس له حياة فى نفسه . وكلها كلمات واضحة ، ولا تحتاج إلى مزيد من تفسير فى أن سرِّ تناول ذبيحة حقيقية يأكل منها الإنسان أكلاً حقيقياً لا مجازياً ولا معنوياً ، وأنه بهذا الأكل الحقيقى والشرب الحقيقى يستمد عصارة الحياة من

الكرمة الحقيقية لكي يحيا ، ومن دون ذلك فلا حياة . فالإنسان - وهو له  
 بدءاً - لأبد أن تكون له نهاية . أما الذى يعطيه الحياة إلى الأبد فهو تناوله من  
 شجرة الحياة التى هى جسد المسيح ودمه . لأن المسيح « فيه كانت الحياة »  
 ( يوحنا ١ : ٤ ) بل هو « الحياة » ذاتها ، فقد قال « أنا هو القيامة والحياة »  
 ( يوحنا ١١ : ٢٥ ) . وإذن فالمسيح ليس حياً فقط ، بل هو « الحياة » و « له  
 الحياة فى ذاته » ( يوحنا ٥ : ٢٦ ) . وهو لذلك واهب الحياة ، وأصل الحياة ،  
 ومُبدئ الحياة ، ومِنهُ الحياة . « كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان »  
 ( يوحنا ١ : ٣ ) . ولأن مخلصنا كشف بوضوح عن حقيقة التناول من جسده  
 ودمه الأقدس ، وضرورة هذا التناول للحياة الأبدية ، لذلك اكتفى الإنجيل  
 للقديس يوحنا بما جاء على فم المسيح له المجد فى حديثه وحواره مع اليهود  
 بعامة . ومع تلاميذه بخاصة . ولم يورد ما أوردته الأناجيل الثلاثة الأخرى عن  
 تسليم السيد المسيح لسر القربان المقدس فى ليلة آلامه إذ « أخذ يسوع خبزاً وباركه  
 وقسمه وناول تلاميذه وقال : خذوا كُلُّوا فإن هذا هو جسدى الذى يُبذل  
 عنكم . إصنعوا هذا لِذِكْرِي ثم أخذ كأساً وشكرَ وناولهم قائلاً : اشربوا منها  
 كلكم ، فإنَّ هذا هو دمي للعهد الجديد الذى يُسْفِكُ عنكم وعن كثيرين لمغفرة  
 خطاياهم » ( متى ٢٦ : ٢٦ - ٢٨ ) ؛ ( مرقس ١٤ : ٢٢ - ٢٤ ) ؛ ( لوقا  
 ٢٢ : ١٩ و ٢٠ ) . وجاء فى الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس : « لأننى تسلَّمت  
 من الرب ما سلَّمتكم أيضاً أن الرب يسوع فى الليلة التى أُسِّلم فيها ، أخذ خبزاً  
 وشكرَ فكسَّر وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم . إصنعوا هذا  
 لِذِكْرِي . كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشُّوا قائلاً : هذه الكأس هى العهد  
 الجديد بدمي . إصنعوا هذا لِذِكْرِي .. إذن فمن أكل هذا الخبز أو شرب كأسَ  
 الرب بدون استحقاق يكون مجرماً إلى جسد الرب وإلى دمه . ولكن ليمتحن  
 الإنسان نفسه ، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذى يأكل

ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب»  
(١. كورنثوس ١١ : ٢٣ - ٣٠) .

يَبْدُ أَنَّ الْيَهُودَ فَهَمُوا أَقْوَالَ سَيِدِنَا فَهَمًّا سَطْحِيًّا مَادِيًّا فَأَخَذُوا يَجَادِلُونَ بَعْضُهُمْ  
بَعْضًا قَاتِلِينَ « كَيْفَ يَسْتَطِيعُ هَذَا أَنْ يُعْطِينَا جَسَدَهُ لِنَأْكُلَهُ ؟ » وَمَنْ ثَمَّ قَالَ لَهُمْ  
مُخَلِّصُنَا « الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : مَا لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الْإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ  
لَا تَكُونُ لَكُمْ حَيَاةٌ فِي أَنْفُسِكُمْ . مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ الْحَيَاةُ  
الْأَبَدِيَّةُ ، وَأَنَا أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ . لِأَنَّ جَسَدِي هُوَ طَعَامٌ حَقًّا ، وَدَمِي هُوَ  
شَرَابٌ حَقًّا . مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا أَيْضًا أَقِيمُ فِيهِ . كَمَا  
أَنَّ الْآبَ الْحَيَّ قَدْ أَرْسَلَنِي ، وَأَنَا كَذَلِكَ أَحْيَا بِالْآبِ هَكَذَا فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُنِي يَحْيَا  
بِي . هَذَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ . وَهُوَ لَيْسَ كَالْمَنْ أَكَلَهُ آبَاؤُكُمْ ثَمَّ  
مَاتُوا . مَنْ يَأْكُلُ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ » .



وقد كانت هذه الأقوال التي نطق بها مُخَلِّصُنَا وهو يُعَلِّمُ الْيَهُودَ فِي مَجْمَعِهِمْ  
بِكْفَرٍ نَاحِومٍ ، أَقْوَالًا إلهية عالية المعنى جدًا على أفهامهم ، ولا سيما أن معظمهم



كانوا قومًا جهلاء ، مظلمى العقول ومظلمى القلوب معاً . فحين سمع هذه الأقوال كثيرون من تلاميذه الذين سبق لهم أن آمنوا به وتبعوه حين سمعوا تعاليمه ورأوا معجزاته - وقد كان هؤلاء غير تلاميذه الاثنى عشر الذين كانوا يلازمونه ملازمة دائمة - قالوا فيما بينهم « إن هذا كلام عسير . من يستطيع أن يستمع إليه ؟ » أى أنهم عاجزون عن فهمه . وإذ علم مخلصنا فى نفسه بمقتضى علمه الإلهى أن تلاميذه هؤلاء تدمروا من كلامه قال لهم « اهذا يجعلكم ترتابون ؟ فإذا لو رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان من قبل ؟ » . أى أنهم إذا كانوا قد راودهم الشك فى صدق كلامه حين قال لهم إنه نزل من السماء ، فإذا يفعلون إذا رأوه صاعداً إلى السماء ، كما حدث ذلك بالفعل بعد ذلك ؟ . إنهم ينبغي أن يتقوا فى كلامه ثقة كاملة بعد أن أثبت لهم بتعاليمه ومعجزاته أنه قادر على كل شىء . والقادر على كل شىء لا بد أن يكون صادقاً فى كل مايقول . وسيكون دليل صدقه حين قال إنه نزل من السماء ، هو أنه سيصعد إلى السماء . ولكنهم قد أعمى الجهل بصيرتهم . ومن ثم أعمى أبصارهم . فهم لا يصدّقون حتى ما يرونه بأعينهم . وإذا رأى له المجد ذلك منهم ، ولمس ذلك الجهل فيهم ، أخذ يعمل على إنارة قلوبهم المظلمة ، وتنوير أذهانهم الجامدة المتبلّدة ، ليفهموا أقواله الروحية فهماً روحياً لا جسدياً ، ومعنوياً لا حرفياً ، فقال لهم : « إنَّ الرُّوح هو الذى يحيى ، وأما الجسد فلا يُجدى نفعاً . والكلام الذى قلته لكم هو روح وحياة » ، لأنه إنما يوجّه أقواله الروحية إلى أرواحهم لا إلى أجسادهم ، فإذا فهموه بأرواحهم كان لهم فيه حياة لأرواحهم ، وأما إذا فهموه بأجسادهم ، فإنه لا يجدى نفعاً لا لأرواحهم ولا لأجسادهم ، وإنما سيظلون أمواتاً بالروح وإن كانوا لا يزالون أحياء بالجسد . ولا يفهم من قوله « إن الروح هو الذى يحيى أما الجسد فلا يجدى نفعاً . الكلام الذى قلته لكم هو روح وحياة » ماداعاه بعض الذين يريدون أن يتملصوا من الفهم الواضح الصريح لكلمات السيد

المسيح له المجد عن حقيقة سرّ تناول ، وأنه فيه يعطى المسيح جسده للمؤمنين به قُوَّةً حقيقيًّا لأرواحهم ، وغذاءً أبدياً روحانياً لنفوسهم للحياة الأبدية . فعاد الله أن يكون المعنى من ذلك أن جسد المسيح لا يجدى نفعاً . بل إنه على العكس يبيِّن صراحةً بهذه الكلمات أن تناول من جسده المقدَّس ودمه الكريم هدفه الحقيقى بناء الروح لا الجسد . فهو قُوَّة للروح وغذاء للنفس ، وهو إكسير الحياة الذى يهب الآخذين منه الحياة الأبدية . والحياة ضدَّ الموت . وليس معنى الحياة مجرد الاستمرار فى الوجود ، لكنه الاستمتاع بقوة الحياة فى عالم الروح بكل أسباب السعادة الباطنية ، والصحة الروحية ، والسلام الداخلى الذى يفوق كلَّ عقل . إن الأشرار سوف يقومون فى اليوم الأخير للدينونة والعذاب الأبدى لا الحياة الأبدية . أما الأبرار والصدِّيقون فسوف يكفل لهم تناولهم من شجرة الحياة الحقيقية وهى جسد المسيح ودمه فى سرِّ تناول ، ليس مجرد الاستمرار فى الوجود ، وإنما الوجود الحىّ والسعيد ، والتمتُّع الدائم بالحياة التى فى الله . فلا موت ولا مرض ولا حزن ولا كآبة ولا ألم من أى نوع ، بل فرح وسلام وسعادة وحبور فى الروح والجسد ، لأنهم كالأغصان يأخذون من الكرمة عصارة الحياة التى تكفل للأغصان الخضرة الدائمة ، والنمو ، والحياة ، وعدم الذبول أو الموت .

وإذ كان محلِّصنا يعلم بمقتضى علمه الإلهى الذى يكشف مكونات النفس البشرية وما تنطوى عليه العقول والقلوب ، قال لهم : « ولكن قوماً منكم لا يؤمنون » . فقد كان منذ البدء يعلم من هم الذين سوف لا يؤمنون به ، ومن هم الذين سيؤمنون . كما كان يعلم من هو الذى سيخونه من بين تلاميذه الاثنى عشر أنفسهم ويسلمه لأعدائه ليقتلوه . وقد كان يعلم كذلك مدى غلظة قلوب اليهود وانفاسهم فى الماديات الدنيوية بدرجة تطمس أرواحهم ، وتغلق عقولهم ، وتسدل ستاراً سميكاً من الظلام على أفهامهم بحيث يعجزون عن أن

يدركوا معنى أقواله السماوية ومغزى أعماله الإلهية ، فيستحيل عليهم أن يؤمنوا به ويُقبلوا إليه ، إلا مَنْ يمنحه الله منهم موهبة من لَدُنْهِ تتطهَّرُ بها روحه ، ويفتح عقله ويستنير فهمه ، فيرى مجدَ مُخَلِّصنا الإلهي من خلال جسده البشري ، ويُدرك معنى أقواله على حقيقتها ، وبذلك يؤمن به وبأقواله . ومن ثمَّ قال مُخَلِّصنا لليهود : « لذلك قلت لكم إنه مامن أحد يستطيع أن يقبل إليَّ ما لم يوهب من أبي » .

ولذلك نكص على أعقابهم كثيرون ممن كانوا يتبعون مُخَلِّصنا ويظهرون بمظهر تلاميذه ، فلم يعودوا يمشون معه كما كانوا يفعلون من قبل . فقال مُخَلِّصنا لتلاميذه الاثني عشر الذين سبق له أن اختارهم فلازموه ملازمة دائمة : « ألعلمكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا ؟ » وإنما قال لهم ذلك ليتمحن إيمانهم . فأجابهم سمعان بطرس نيابة عنهم جميعاً : « يارب إلى مَنْ نذهب ؟ إنَّ كلام الحياة الأبدية عندك . ونحن قد آمنا وعرفنا بيقين أنك أنت هو قدّوس الله المسيح ابن الله الحي » . وبذلك القول تحقق تلاميذ مُخَلِّصنا الاثنا عشر أن علمه الإلهي بهم كان صادقاً نافذاً حين اختارهم من بين المئات غيرهم الذين تبعوه ليكونوا هم الصف الأول من المؤمنين به ، وأنهم كانوا جديرين حقاً بالثقة الغالية التي وضعها فيهم ليكونوا هم أوائل الذين يحملون الأمانة التي تركها لهم ووضعها في أعناقهم ، وهي التبشير به في كل أنحاء الأرض ، واجتذاب النفوس من كل الأمم إلى حظيرته لتنال بالإيمان به الحياة الأبدية التي وَعَدَ بها كل الذين يؤمنون به بصفته قدّوس الله المسيح ابن الله الحي . على أنه في قوله لتلاميذه الأخصاء ، وهم الاثنا عشر « ألعلمكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا » يبدو واضحاً إصراره له المجد على أقواله الخاصة بسرّ تناول ، وأن جسده هو الطعام الحق ودمه هو الشراب الحق ، وأن من يأكل جسده ويشرب دمه يحيا إلى الأبد ، وأن من لا يأكل جسده ويشرب دمه بالمعنى الحقيقي لا المجازي ليس له حياة في نفسه . وإلا فلماذا

ترك الرب يسوع عددًا كبيرًا من أتباعه ينكصون على أعقابهم ولا يعودون يمشون معه بعد أن اعترضوا عليه قائلين : « كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لناكله » (٦ : ٥٢) . فيجيبهم بإصرارٍ قائلاً « الحق الحق أقول لكم : ما لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فلن تكون لكم حياة في أنفسكم .. لأن جسدي هو طعام حقاً ودمي هو شراب حقاً » . لقد كان من الممكن لو أنهم فهموا على غير ما قصد أن يراجع قوله شارحاً بعبارات أخرى يتفادى بها فهمهم الحرفي لمنطوق كلماته . ومع ذلك لم يتراجع ولم يتنازل عن قوله مُصِراً عليه كل الإصرار ، وهو الذي جاء ليخلص لا ليهلك ، وليجمع لا ليبدد . بل زاد على قوله أن وجهه إلى تلاميذه الاثني عشر قوله : « ألعلمكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا ؟ » أي أنه سيبقى عند قوله مصراً عليه حتى لو ذهب عنه تلاميذه الأخصاء الاثنا عشر . وهذا تعبير يبدو فيه واضحاً ثباته على موقفه ، وبالتالي أن كل ما قاله خاصاً بسرّ تناول ينبغي لمن يريد أن يكون من أتباعه أن يفهمه على حقيقته فهماً حرفياً ، لا مجال فيه لمجازٍ أو تورية .

وحين سمع مخلصنا إجابة تلاميذه على لسان بطرس قال لهم : « ألم أكن أنا الذي اخترتكم أنتم الاثني عشر ؟ » مما يدل على أن إيمانهم به كان ناتجاً عن أن الله قد أنار عقولهم وأودع في قلوبهم هذا الإيمان ، ومن ثمّ اختارهم مخلصنا ليكونوا تلاميذه وأقرب الناس إليه وخلفاءه في التبشير بكلمة الخلاص التي جاء بها له المجد إلى العالم . وقد كان يعلم كل ما في قلب كل واحد منهم ، كما كان يعلم منذ الابتداء أن واحداً منهم سيسيطر عليه إبليس في نهاية الأمر ، ويدفعه إلى خيائته وتسليمه إلى أعدائه ليقتلوه . ولذلك ختم كلامه إليهم قائلاً « وواحد منكم لإبليس » . وكان يعلم من هو ذلك الواحد بالذات من بين تلاميذه الاثني عشر ، وهو يهوذا بن سمعان الأسخريوطي ، لأنه كان هو الذي سيغويه إبليس بأن يسلمه ، فخضع لغوايته بالفعل ، وسلّمه أخيراً لأعدائه من اليهود .

## الفصل السابع

٧ : ١ - ١٣

وأخذ فادينا بعد ذلك يجول في أنحاء إقليم الجليل ( يوحنا ٤ : ٣ ) ؛ ( ٦ : ١ ) . ولم يشأ أن يجول في إقليم اليهودية الذي عاصمته أورشليم ، لأن زعماء اليهود في ذلك الإقليم ولا سيما رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين والصدوقيين وأمثالهم كانوا يتفنون قتله ( يوحنا ٥ : ١٦ و١٨ ) ؛ ( ٧ : ١٩ ) ؛ ( ٨ : ٣٧ و٤٠ ) ؛ ( ١١ : ٥٣ ) . ولما كان ثمة موعد محدد في الترتيب الإلهي لموته على الصليب فداء للبشر لمغفرة خطاياهم ، ولم يكن هذا الموعد قد حلَّ بعد ، فإنه لم يشأ أن يتعرض للموت قبل حلول ذلك الموعد ، حتى اقترب عيد المظال ( اللاويين ٢٣ : ٣٤ و٤٢ و٤٣ ) ؛ ( التثنية ١٦ : ١٣ و١٦ ) ؛ ( زكريا ١٤ : ١٦ - ١٩ ) ، وهو آخر عيد من الأعياد السنوية الكبرى لليهود ، وكانت الشريعة تقضى بأن يذهب فيه كل رجل منهم للاحتفال به في هيكل أورشليم . وكانوا يقيمون في أثناء احتفالهم به في مظال يقيمونها في ساحات المدينة ، وعلى الجبال المجاورة لها ، ليقيموا فيها إحياءً لذكرى إقامة آباؤهم في مظال مماثلة ، حين كانوا في صحراء سيناء . وكان الاحتفال بذلك العيد يستمر ثمانية أيام . فلما اقترب مواعده تكلم مع محلصنا إخوته ( متى ١٢ : ٤٦ ) ؛ ( مرقس ٣ : ٣١ ) ؛ ( الأعمال ١ : ١٤ ) وهم في الحقيقة ليسوا إخوته وإنما أقرباؤه حسب الجسد ومعارفه ، فلم يكن للمسيح إخوة أشقاء ، لأن أمه كانت عذراء ولم

تتزوج ، وكان اليهود يطلقون على الأقارب والمعارف لقب الإخوة ( التكوين ١٣ : ٨ ) ؛ ( ٢٩ : ١٥ ) ؛ ( ٢ . بطرس ٣ : ١٥ ) وقد قال هؤلاء له : « ارتحل من هنا وامض إلى اليهودية ، حتى يرى تلاميذك أعمالك التي تصنعها . فإنه لا أحد يعمل شيئاً في الخفية وهو يبتغى أن يكون معروفاً . إن كنت تعمل هذه الأعمال فأظهر نفسك للعالم » ، إذ أن أقرباءه ومعارفه أولئك الذين كان يُقال عنهم إنهم إخوته لم يكونوا هم أنفسهم يؤمنون به ( مرقس ٣ : ٢١ ) . وذلك غيرة منه وَحَسَدًا له على ما نال من شهرة وتمجيد بين الناس بسبب أقواله وأعماله والمعجزات التي كانت تجرى على يديه ، وَمِنْ ثَمَّ كانوا يقصدون في ما قالوه له أنه إذا كان حقاً ما يقوله ويعمله ، وإذا كانت المعجزات التي يصنعها حقيقية ، فلا بد أنه ينبغي من ورائها الشهرة والمجد لنفسه ، فلا يصح أن يقتصر في إظهارها - كى يصل إلى هذه الغاية - على أعداد قليلة من الناس في منطقة الجليل ، وإنما فلينتهز فرصة العيد الذي يتجمع للاحتفال به في أورشليم أعداد عظيمة من اليهود الآتين من كل أنحاء بلادهم ، فيقول أمامهم ما يقول ويعمل ما يعمل ، حتى يسمع تلاميذه البعيدين من المؤمنين به ( يوحنا ٦ : ٦ ) أقواله ويروا أعماله ، فتزداد شهرته ويتضاعف مجده . وقد كان أقرباؤه غير مخلصين في ذلك الذي قالوه له ، لأنهم كانوا لا يعينهم أمره هو ، إذ كانوا يعلمون أن اليهود الذين في أورشليم يريدون قتله . فلم يكثرثوا بهذا الخطر الذي يهدده ، وإنما كان يعينهم أمر أنفسهم ، لأنه إذا قتله اليهود يشفى ذلك غليلهم الناشئ عن غيرتهم منه وحقدهم عليه ، وإذا آمن به اليهود فسيجعلونه ملكاً عليهم ، فينال أولئك الأقرباء من وراء ذلك منافع لأنفسهم . وقد كان مخلصنا يعلم بطبيعة الحال خبيثة أنفسهم وما يضمرونه نحوه في قلوبهم . ومع ذلك أجابهم بكل تسامح ووداعة قائلاً : « إنَّ وقتي لم يأت بعد ، وأما أنتم فوقتكم مهياً في كل حين . إن العالم لا يمكن أن يبغضكم . أما أنا فيبغضني لأنني أشهد عليه بأن أعماله شريرة .

فاصعدوا أنتم إلى العيد ، وأما أنا فلن أصعد الآن إلى هذا العيد ، لأن وقتي لم يحن بعد .»

وذلك أنه كان لكل عمل من أعمال مخلصنا وقت محدد في التدبير الإلهي ، وينبغي أن يتم في الوقت المحدد له بالدقة . ولم يكن الوقت المحدد لذهابه إلى أورشليم قد أتى بعد ( يوحنا ٢ : ٤ ) ؛ ( ٧ : ٨ و ٣٠ ) ؛ ( ٨ : ٢٠ ) . وأما هم فإنهم غير مرتبطين في أعمالهم بأي وقت محدد ، ومن ثم يمكنهم أداءها في أي وقت يشاءون دون أن يحسبوا حساب شيء . لأنهم إذ كانوا أشراراً كسائر الناس الذين في العالم فليس لدى أحد في العالم أي مبرر لأن يبغضهم من أجله . وأما هو فإن الناس الذين في العالم يبغضونه ( يوحنا ١٥ : ١٨ ) لأنه يؤنبهم علانية على أعمالهم الشريرة ( يوحنا ٣ : ١٩ ) ، وهم يريدون له الموت . وهو وإن كان لا يخشى الموت لأنه ما جاء إلى العالم إلا ليموت على الصليب إتماماً لعمل الفداء الذي أخذه على عاتقه ( يوحنا ١٢ : ٢٧ ) إلا أن هذا الموت له وقت محدد ينبغي أن يتم فيه ، فهو لا يشاء أن يعطى اليهود فرصة لأن يقتلوه قبل الوقت المحدد لموته . كما أن ثمة وقتاً محدداً لصعوده إلى أورشليم للاحتفال بعيد المظال . فهو لا يشاء أن يصعد إليها قبل ذلك الوقت المحدد . وأما أقبواؤه فليصعدوا إلى هناك في الوقت الذي يشاءون . وبالفعل قال لهم هذا ومكث في الجليل ، حتى إذا حان الوقت المحدد لصعوده هو إلى أورشليم ، وكان ذلك بعد أن صعد أقبواؤه . صعد هو أيضاً إليها للاحتفال بالعيد . ولكنه حرص على ألا يراه رؤساء اليهود الذين في أورشليم . فلم يظهر بينهم علانية ، وإنما التزم التخفي ، لئلا يقتلوه قبل الوقت المحدد لموته . وأما عامة اليهود من جموع الشعب الذين كانوا من قبل قد رأوا معجزاته أو سمعوا بها ، فإنهم كانوا يتوقعون مجيئه في ذلك العيد ويتوقون إلى رؤيته ( يوحنا ١١ : ٥٦ ) . فلما تأخر ظهوره بينهم أخذوا يبحثون عنه قائلين : « أين هو ؟ » وكان ثمة كثير من التهامس في شأنه بينهم ( يوحنا ٩ :

(١٦) ؛ (١٠ : ١٩) . فقد كان بعضهم يقولون « إنه إنسان صالح » (يوحنا ٢١ : ٤٦) ؛ (لوقا ٧ : ١٦) ؛ (يوحنا ٦ : ١٤) ؛ (٧ : ٤٠) ، في حين كان البعض الآخر يقولون « كلا بل إنه يضلُّ الشعب » ، على أنه لم يكن أحد يتكلَّم علانية عنه خوفاً من رؤساء اليهود الذين كانوا يكرهونه ويحقدون عليه ويضربون الشَّر له (يوحنا ٩ : ٢٢) ؛ (١٢ : ٤٢) ؛ (١٩ : ٣٨) .

٧ : ١٤ - ٣٦

حتى إذا انقضت نصف أيام العيد ، أى أربعة أيام ، صعد مخلصنا إلى الهيكل ، إذ حان الوقت لأن يُظهر نفسه ، وأخذ يعلم اليهود ، فكانوا يتعجبون قائلين « كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم ؟ » . فقد كان معروفاً لدى اليهود أن مخلصنا يعمل نجاراً بسيطاً (متى ١٣ : ٥٥) ؛ (مرقس ٦ : ٣) . وأنه لم يتلقَّ تعليماً عالياً كالذى كان يتلقاه الكتبة والفريسيون من علماء الشريعة الذين كانوا يتظاهرون باحتكارهم للعلم بنفائهم وأسرارها ، وان كان المؤكد أنَّ معلمنا تلقى قدرًا من التعليم يؤهله لأن يقرأ ويكتب ، فقد التحق بالكتب في الناصرة على عادة اليهود ، إذ كان الكتاب ملحقا بالمجمع الذى يتلون فيه صلواتهم في كل مدينة وقرية ، وذلك بدليل أن مخلصنا قرأ فصلاً من الشريعة في مجمع الناصرة ، كما جاء في الإنجيل للقديس لوقا (لوقا ٤ : ١٦ - ٢١) . وكذلك ورد في الإنجيل للقديس يوحنا أنه كان يعرف الكتابة ، فقد كتب بإصبعه على الأرض (يوحنا ٨ : ٦ - ٨) . كما ورد عنه أنه وهو في سن الثانية عشرة كان في الهيكل « جالسا في حلقة العلماء ، يستمع إليهم ويسألهم . وكان كل الذين يسمعونهم مشدوهين من علمه وأجوبته » (لوقا ٢ : ٤٦ و٤٧) . وذلك فضلاً عن أن ردوده على أسئلة اليهود ولا سيما الذين كانوا يريدون أن يأخذوا عليه قولاً يخالف الشريعة ليهلكوه ، كانت تتضمن الدليل على معرفته الكاملة بكل



أحكام الشريعة اليهودية بمقتضى علمه الناسوتى وعلمه اللاهوتى معاً وفي وقت واحد ، لأنه هو صاحب تلك الشريعة وواضعها . ومن ثم أجاب معلّمنا على تساؤل اليهود في هذا الشأن قائلاً : « إنَّ تعليمى ليس من عندى ، بل من عند الذى أرسلنى . فإن عمل أحد بمشيئة الذى أرسلنى فسيعرف عندئذ إن كان تعليمى من الله ، أم أننى أتكلّم من عندى وحدى . إنَّ من يتكلّم من عند نفسه وحده ، إنمّا يتنغى مجد نفسه ، وأما الذى يتنغى مجد الذى أرسله فهو صادق ولا يتنغى ظلماً » . وذلك أن اليهود على الرغم من كلِّ نبوءات أنبيائهم الذين تنبأوا عن المسيح الآتى بأنه ابن الله ، وأنه متحد بالله اتحاداً تاماً ، وهو كائن فى الآب ، والله الآب كائن فيه ، وأن مايقوله هو مايقوله الله الآب نفسه فى نفس الوقت ، اذ جاء فى سفر الثنية قول الله الآب عن ابنه « أجعل كلامى فى فم » ( الثنية ١٨ : ١٨ ) ، كانوا لا يعرفون الله إلا بصورة مجردة من كلِّ الحقائق المتعلقة بطبيعته كما وردت فى نبوءات أنبيائهم ، وكما وردت على لسان مخلصنا ، ولا يؤمنون إلا بأقوال الله الآب وحده ، ومن ثمَّ أراد مخلصنا أن يساعدهم على فهم هذه الحقيقة ليؤمنوا بحقيقة شخصيته باعتباره ابن الله الذى أرسله لإتمام رسالته دبّرتها المحبّة الإلهية للبشر من أجل خلاصهم . وهى أن يفديهم ليحقق لهم هذا الخلاص فقرر لهم أن تعليمه إنمّا هو تعليم الله الآب المتحد بالله الابن ، والذى أرسل الابن لإنجاز هذه الرسالة . فلئن كان الابن قد قام بالتعليم ، فإن تعليمه كان هو فى نفس الوقت تعليم الله الآب نفسه فى الوقت ذاته ، فإن عمل أحد من اليهود أو غير اليهود بمشيئة الله الآب الذى أرسل الابن (يوحنا ٣ : ١١) : (٨ : ٢٨) : (١٢ : ٤٩) : (١٤ : ١ و ٢٤) فسيعرف عندئذ أن تعليم الابن هو فى الوقت ذاته تعليم الله الآب نفسه ، وليس تعليم الابن مستقلاً عن تعليم الله الآب . ومن ثمَّ فإن الابن لا يشهد لنفسه ، وإنمّا الذى يشهد له بأنه صادق فيما قال هو أن ماقاله هو فى الوقت ذاته ماقاله الله الآب

الذى هم يؤمنون به . ولكن اليهود لا يؤمنون بذلك لأنهم لا يفهمون شريعتهم التى تلقوها بواسطة الله الآب من موسى النبي ( الخروج ٢٤ : ٣ ) ؛ ( التثنية ٣٣ : ٤ ) ؛ ( يوحنا ١ : ١٧ ) ؛ ( الأعمال ٧ : ٢٨ ) ، ولا يعملون بمقتضاها ، ولذلك يسعون إلى قتل ذلك الذى تحدّث عنه تلك الشريعة بأنه هو ابن الله . ومن ثمّ قال لهم مخلصنا : « أما أعطاكم موسى الشريعة ، ومع ذلك فما من أحد منكم يعمل بالشريعة ؟ لماذا تسعون إلى قتلى ؟ » ومع أنهم كانوا فعلاً يسعون إلى قتله ( متى ١٢ : ١٤ ) ؛ ( مرقس ٣ : ٦ ) ؛ ( متى ١١ : ١٨ ) ؛ ( يوحنا ٥ : ١٦ - ١٨ ) ؛ ( متى ١٠ : ٣١ و ٣٩ ) ؛ ( متى ١١ : ٥٣ ) ، فقد أنكروا ذلك ، وكانوا فى ردّهم عليه وقحين كل الوقاحة ، إذ أجابوه قائلين « إنّ بك شيطاناً . من الذى يسعى إلى قتلك ؟ » فهّم لم ينكروا أنهم كانوا يسعون إلى قتله فحسب ، وإنما برهنوا بقولهم هذا على جهلهم بحقيقة شخصيته بوصفه المسيح ابن الله الذى ينتظرونه . وتنادوا فى ذلك الإنكار حتى لقد اتهموه بأن معجزاته التى صنعها بينهم ليرهن لهم بها على أنه هو ابن الله إنما هى ليست من الله ، وإنما من الشيطان ( يوحنا ٨ : ٤٨ و ٥٢ ) ؛ ( متى ١٠ : ٢٠ ) ؛ ( متى ١١ : ١٨ ) فأجابهم مخلصنا وقال لهم « لقد أتيت عملاً واحداً فدهشتم كلكم . من ثمّ أعطاكم موسى الحتان ، وهو ليس من موسى ، وإنما من الآباء . وأنتم تختنون الإنسان فى السبت ، فإن كان الانسان يُختن فى السبت لتلاّ تُنقض شريعة موسى ، أفتسخطون علىّ لأننى شفيت إنساناً بأكمله فى السبت ؟ . لا تحكموا حسب الظاهر ، وإنما احكموا بالحق » . أى أنه صنع معجزة لم يروا هم غيرها وهى معجزة شفاء العليل عند بركة بيت حسدا ، فدهشوا كلهم لأنه صنع تلك المعجزة فى السبت ، ولاموه على ذلك . بل قدّموه إلى المحاكمة بدعوى أنه خالف أحكام شريعتهم ، فى حين أن لديهم حكم تلك الشريعة نفسها الذى يقضى بختان العطل فى السبت إن صادف ذلك الموعد اليوم الثامن من مولده

(اللاويين ١٢ : ٣) وتلك هي شريعة الله لم ينزلها على موسى فحسب ، وإنما أنزلها قبله بنحو أربعائة وثلاثين سنة على الآباء الأولين لليهود (التكوين ١٧ : ١٠) ؛ (غلاطية ٣ : ١٤ و١٧). فهُم إذعاناً لتلك الشريعة يختنون الطفل في اليوم الثامن من مولده ولو صادف ذلك يوم سبت . فإن كانوا يفعلون ذلك في يوم سبت لثلاً ينقضوا شريعة موسى ، أفيسخطون على مخلصنا لأنه شَفَى إنساناً بأكمله في السبت ؟. إنَّ الختان عمل شرعه الله لليهود ليكون شاهداً على العهد الذى قطعه مع آبائهم ، وعلى التزامهم بهذا العهد . وهو يحتاج الى عملية جراحية بسيطة لا تلبث أن يتمَّ الشفاء منها في أيام قليلة ، واليهود يقومون به في يوم السبت إن اقتضى الأمر ذلك ، على الرغم من وصية الامتناع عن القيام بأى عمل في يوم السبت . فهل يلومون مخلصنا ساخطين عليه لأنه شَفَى إنساناً بأكمله ، جسداً وروحاً ، في يوم السبت ؟ (يوحنا ٥ : ٨ و٩ و١٦) . إن هذا مخالف للمنطق والتفكير السليم . ولا يمكن أن يكون ناتجاً إلا عن أن اليهود كانوا يستهينون بالسيد المسيح ويستخفون به ، لبساطة مظهره ، إذ كان نجاراً متواضعاً وديعاً بسيط الثياب ، لا يرتدى ملابس الملوك ولا يضع على رأسه تيجانهم ، في حين أنهم كانوا يتوقعون - حسب فهمهم الخاطيء لشخصية المسيح الذى يتظرونه - مجيء ملك تحيط به كل المظاهر الفخمة والضحمة للملوك . وذلك فضلاً عن أنهم كانوا يقيمون حتى لمظهر الأشخاص العاديين من غير الملوك وزناً كبيراً . ومن ثمَّ كان رؤسائهم وفقهاؤهم الكتَّبة والفريسيون يظهرون أمامهم بالثياب الضافية البراقة لينالوا احترامهم وتبجيلهم وإجلالهم ، ولو كانوا في الحقيقة أبعد الناس عن استحقاق الاحترام والتبجيل والإجلال . ومن ثمَّ أوصاهم مُخلصنا قائلاً : « لا تحكوا حسب الظاهر . وإنما احكموا بالحق » . لأنهم إن حكموا بالحق ، ولم يحاسبوا مخلصنا على حسب مظهره الإنسانى البسيط ، وإنما على مقتضى أعماله الإلهية العظيمة ، لا يعودوا بعد ذلك يستهينون

أو يستخفون به أو يسخطون عليه أو يحاكمونه من أجل عمل صالح قام به في يوم السبت . بل على العكس يكبرونه ويعظمونه ويؤمنون بحقيقة شخصيته ، لا كمجرد إنسان ، وإنما لأنه يملك القدرة الإلهية التي بها ، وبها وحدها ، يصنع كل معجزاته . ( اللاويين ١٩ : ١٥ ) ؛ ( الثنية ١ : ١٧-١٦ ) ؛ ( الأمثال ٢٤ : ٢٣ ) ؛ ( اشعيا ١١ : ٣ ) ؛ ( زكرياً ٧ : ٩ ) ؛ ( يوحنا ٨ : ١٥ ) ؛ ( يعقوب ٢ : ١ ) .

فلما سمع اليهود تلك العبارات من مخلصنا بدأ تفكيرهم يتبلبل من جهته ، ولا سيما أهل أورشليم ، الذين كانوا خاضعين وخانعين لتفكير وتدبير رؤساء الكهنة وغيرهم من أصحاب المناصب العليا في تلك المدينة ، وخصوصاً أعضاء السنهدريم . ومن ثم قالوا : « أليس هذا هو الذى يتغون قتله ، وهوذا يتكلم علانية ، ولا يقولون له شيئاً . فهل أيقن الرؤساء أن هذا هو المسيح ؟ إلا أن هذا قد عرفنا من أين هو ، وأما المسيح متى جاء فسوف لا يعرف أحد من أين هو » . وقد برهنوا بذلك على جهلهم حتى بأقوال كههم المقدسة التى تتضمن نبوءات صريحة بأن المسيح الذى ينتظره اليهود سيولد في بيت لحم ( ميخا ٥ : ٢ ) ؛ ( مرقس ٢ : ٥ ) من عذراء ( اشعيا ٧ : ١٤ ) ، وسيعيش في الناصرة لأنه سيدعى ناصرياً ( متى ٢ : ٢٣ ) . فكيف يقولون إنه متى جاء فسوف لا يعرف أحد من أين هو ؟!

وقد ضاعف من بلبلة فكر يهود أورشليم بشأن مخلصنا أن رؤساءهم تركوه يتكلم علانية في هيكل أورشليم ذاته ، في حين أنهم سبق أن أضرموا قتله وطفقوا يبحثون عنه لتنفيذ ذلك الذى أضمره له ، ومن ثم راح أولئك اليهود يتسألون فيما بينهم عما إذا كان رؤساؤهم أنفسهم قد أيقنوا أن هذا هو المسيح الذى ينتظرونه ( يوحنا ١ : ٣ ) ؛ ( ٤٨ : ٧ ) . بيد أنهم كانوا مخطئين في ذلك الظن أيضاً ، لأن رؤساءهم لم يكونوا قد تركوا مخلصنا يتكلم علانية لأنهم

اعترفوا بأنه هو المسيح ، وإنما لأنهم خافوا أن يقبضوا عليه ويقتلوه علانية لئلا يثور عليهم أولئك الذين آمنوا به ويفتكوا بهم (لوقا ٢٠ : ١٩) . ومن ثمَّ فَنَدَّ مَحَلِّصَنَا مزاعمهم تلك ولا سببًا قولهم إنهم قد عرفوا من أين هو في حين أن المسيح متى جاء سوف لا يعرف أحد من أين هو ، إذ رفع صوته في الهيكل وهو يُعَلِّمُ قائلاً : « إنكم تعرفونني ، وتعرفون من أين أتيت ، وأنا لم آت من نفسي وحدي ، وإنما أرسلني ذلك الذي هو حق ، وأنتم لا تعرفونه . أما أنا فأعرفه ، لأنني منه ، وهو الذي أرسلني » . أي أنهم وإن كانوا يعرفونه بوصفه ذلك النجَّار البسيط ، يعرفون أنه جاء من الناصرة حيث كان يعيش مع أمه التي كانوا يعرفونها هي أيضًا (متى ١٣ : ٥٥) ؛ (مرقس ٦ : ٣) ؛ (لوقا ٤ : ٢٢) ؛ (يوحنا ٨ : ١٤) ؛ (٤٢ : ٦) فإن معرفتهم هذه لا تدلُّ إلا على معرفته من حيث ناسوته . وأما من حيث لاهوته فإنهم كان ينبغي أن يعرفوا من نبوءات أنبيائهم أنه هو ابن الله الذي أتى من السماء ، وأنه لم يأت بمشورته وحده باعتباره أقنوم ابن الله ، وإنما بالمشورة المشتركة التي تمت بينه وبين أبيه الذي هو أقنوم الله الآب المتحد به والذي أرسله (يوحنا ٥ : ٤٣) ؛ (٨ : ٤٢) ، ذلك الآب الذي هو حق (يوحنا ٨ : ٢٦) ؛ (روما ٣ : ٤) ؛ (يوحنا ٥ : ٣٢) ، والذي إن كانوا هم لا يعرفونه على حقيقته (يوحنا ٨ : ١٩ و٥٥) ؛ (١٥ : ٢١) ؛ (٣ : ١٦) ، (١٧ : ٢٥) ؛ (متى ١١ : ٢٧) فإنه هو يعرفه (متى ١١ : ٢٧) ؛ (يوحنا ٨ : ٥٥) ؛ (١٥ : ١٠) ؛ (١٧ : ٢٥) لأنه منه (يوحنا ٦ : ٤٦) . ولأنه في اتحاد كامل معه ، فهو يعرفه معرفته لنفسه ، ويعرفه المعرفة العيانية المباشرة ، المعرفة الذاتية ، التي لا يعرفها أحد آخر غيره ، ويعرف أنه هو الذي - بناء على المشورة المتحددة بينهما - أرسله للقيام بعمل الفداء من أجل خلاص البشر إتمامًا للتدبير الإلهي ، وبمقتضى الرحمة الإلهية التي اقتضتها محبة الله لخلقته .

وإذ قال مخلصنا إنه من الله ، أى فى كينونة واحدة مع الله الآب ، مساوياً بذلك نفسه به ، أراد اليهود عندئذ أن يقبضوا عليه ليقتلوه ، (متى ٢١ : ٤٦) ، (مـرقس ١١ : ١٨) ، (١٢ : ١٢) ، (لوقا ٢٠ : ١٩) ، (٤٧ : ٤٧) ، (يوحنا ٧ : ١) ، (٥ : ١٦ ، ١٨) ، (٨ : ٣٧ ، ٤٠) بدعوى أنه جَدَّف على الله وأهانته ، ولكن يد الله قد شَلَّت أيديهم عن أن يفعلوا هذا فى ذلك الحين ، لأن الساعة التى كانت معددة فى التدبير الإلهى لموت مخلصنا لم تكن قد جاءت بعد (يوحنا ٧ : ٤٤) ؛ (٨ : ٢٠) ؛ (١٠ : ٣٩) بيد أنه على الرغم مما اضمره له أولئك اليهود الأشرار ، فقد آمن به فى تلك اللحظة كثيرون من الجمع الذين كانوا يحتفلون بالعيد فى أورشليم ، والذين سمعوا هذه الأقوال الإلهية التى صدرت عنه ، قائلين « أَلَعَلَّ المسيح متى جاء يصنع معجزات أكثر من تلك التى صنعها هذا ؟ » (انظر يوحنا ٢ : ٢٣) ؛ (٨ : ٣٠) ؛ (١٠ : ٤٢) ؛ (١١ : ٤٥) ؛ (١٢ : ١١ و١٢) ونفهم من ذلك أنهم آمنوا بأنه هو المسيح ، متأثرين بالمعجزات التى كان قد صنعها أمامهم (يوحنا ٢ : ١١) ، فضلا عن الأقوال التى سمعوها منه ، والتى سحرتهم وبهرتهم ودخلت إلى صميم قلوبهم . إلا أن الفريسيين المترتمين المتعطرسين الذين كانوا يخشون أن يغطى مجد مخلصنا على مكانتهم لدى اليهود ، سمعوا الجمع يتهامون بذلك فى شأنه ، فاحتدموا غيظاً منه وحقداً عليه هُم وشركاؤهم فى السؤدد والسلطان وهُم رؤساء الكهنة ، وأرسلوا خدماً ليقبضوا عليه ليقتلوه . فقال مخلصنا : « أنا باق معكم زماناً يسيراً ثم أمضى إلى الذى أرسلنى . عندئذ ستطلبوننى فلا تجدوننى ، وحيث أكون أنا لن تستطيعوا أنتم أن تأتوا » . أى أنه إن كره الفريسيون ورؤساء الكهنة وجوده بينهم ، خوفاً على أنفسهم ، فليزعوا من نفوسهم كراهيتهم له وخوفهم منه ، لأنه لن يبقى معهم طويلاً ، وإنما أياماً قليلة يمضى بعدها إلى الآب الذى أرسله (يوحنا ١٢ : ٣٥) ؛ (١٣ : ٣٣) ؛ (١٤ : ١٩) ؛ (١٦ : ١٦) -

(١٩) ؛ (يوحنا ١٤ : ١٢) ؛ (١٦ : ١٥ و ١٧) ؛ (٢٠ : ١٧) . وذلك بعد أن يتمَّ عمل الفداء الذى جاء من أجله إلى العالم . وعندئذ سيظنون فى انتظار المسيح الذى ينتظرونه فلا يجيئ إليهم فى أثناء حياتهم على الأرض . لأنه قد جاء إليهم بالفعل فأنكروه . وإذا سيكون هو على عرش لاهوته فى ملكوت السماوات فلن يستطيعوا أن يأتوا إليه بعد موتهم (يوحنا ٨ : ٢١) ؛ (١٣ : ٣٣) ؛ (هوشع ٥ : ٦) . لأنهم أشرار قد رفضوه فرفضهم ، ولم يؤمنوا به فأصبح مصيرهم المحتوم هو الموت الأبدى . وإذا قال مخلصنا ذلك قال اليهود فيما بينهم : « إلى أين يزمع هذا أن يذهب حتى إننا لن نجده ؟ أعلِّه مزمع ان يذهب إلى شتات اليونانيين ، ويعلم اليونانيين ؟ ما هذا الكلام الذى يقوله : ستطلبونى فلا تجدونى ، وحيث أكون أنا لن تستطيعوا أنتم أن تأتوا ؟ » . وقد برهنوا بذلك على غباثهم أو تغاييهم . إذ تساءلوا فى هزء وسخرية إلى أين هو مزمع أن يذهب ، مع أنه قال لهم فى عبارته نفسها إنه سيذهب إلى الذى أرسله ، ثم تمادوا فى هزئهم وسخريتهم . فتساءلوا عما إذا كان سيرك اليهود الذين كانوا يتفاخرون بأنهم همَّ وحدهم شعب الله المختار دون سائر الشعوب ويذهب إلى اليونانيين الوثنيين (يعقوب ١ : ١) ؛ (١ . بطرس ١ : ١) الذين هم موضع احتقارهم وازدراؤهم كى يعلمهم ، معبرين بذلك عن جهلهم أيضًا بحقيقة شخصية المسيح الذى ينتظرونه ، لأن نبوءات أنبيائهم كانت تشير صراحة إلى أن المسيح حين يجيئ سيكون معلمًا لا لليهود وحدهم وإنما لكل شعوب الأرض ، بغير تمييز بين يهودى ووثنى ، لأنه سيجيئ من أجل خلاص البشر جميعًا فى كل زمان ومكان . ثم طفق أولئك العميان البصر والبصيرة يتكلمون على قوله : « ستطلبونى فلا تجدونى ، وحيث أكون أنا لن تستطيعوا أنتم أن تأتوا » ، غير مدركين ما فى هذا القول من إشارة إلى المصير الرهيب الذى يتظرهم ، إذ أنهم بعد موتهم سيتحققون فى عالم الأرواح أن هذا الذى هزءوا به وسخروا منه

وأهانوه إنما هو المسيح الحقيقي الذى جاءهم فتنكروا له وأنكروه ورفضوه . وعندئذ سيسعون فى طلب رؤيته . ولكنهم سيكونون قد نالوا جزاء رفضهم له فاستقرت أرواحهم فى الجحيم وعندئذ يستحيل عليهم أن يأتوا إليه أويروه وهو جالس على عرشه فى ملكوت السماوات ، حيث لا يستطيع أن يأتى إليه أويراه إلا الذين آمنوا به فاستحقوا الحياة الأبدية فى دار النعيم .

٧ : ٣٧ - ٤٤

وفى اليوم الأخير العظيم وهو اليوم الثامن من ذلك العيد وهو عيد المظال (اللاويين ٢٣ : ٣٦) ؛ (العدد ٢٩ : ٣٥) ؛ (نحميا ٨ : ١٨) الذى يحتشد فيه أكبر عدد من اليهود فى هيكل أورشليم كى يقيموا أعظم الاحتفالات المقدسة لديهم قبل عودتهم إلى بلادهم ، وقف مُخْلِصُنَا وصاح بأعلى صوته كى يسمعه الجميع ، منادياً بدعوة الإنجيل قائلاً « إن عطش أحد فليأت إلىّ ويشرب . مَنْ آمَن بي فكما قال الكتاب ستجرى من باطنه أنهار ماء حيّ » . وكانت عادة اليهود قد جرت على أنهم فى اليوم الأخير من عيد المظال يقيمون احتفالاً عظيماً يسمونه « سكب الماء » ، وكانوا يأتون فيه بإناء ذهبى ويملؤونه ماء من بركة سلوام ويجيشون به من تلك البركة فى مهرجان عظيم تعلو فيه أصوات التراتيل وينطلق هتاف البوق حتى إذا بلغوا الهيكل يصعدون إلى المذبح ويسكب رؤساء الكهنة أمام الربّ فى بهجة عظيمة وترنيم وتسييح (إشعيا ٤٤ : ٣) ؛ (٥٥ : ١) ؛ (٥٨ : ١١) . ويبدو أن مُخْلِصُنَا قد صَاح بعبارته تلك فى أثناء ذلك الاحتفال ، كى يوضّح لليهود أن ذلك الماء الأرضى الذى يسكبونه أمام الربّ ليس إلا رمزاً للماء السماوى الحى الدائم الجريان والانسكاب على المؤمنين . فإن عطش أحد من البشر جميعاً إلى الإيمان الحقيقى أو كان يعاني أى نوع من الألم الذى يشبه ألم العطشان ، فليأت إلى مُخْلِصُنَا ويؤمن به فيشرب من هذا الماء الذى



فيه الخلاص من كلِّ خطيئة (يوحنا ٦ : ٣٥) ؛ (الرؤيا ٢٢ : ١٧) ، كما أنَّ فيه الخلاص من كلِّ آلام الحياة وضيقاتها ، لأن من يؤمن به تنطبق عليه أقوال أنبياء العهد القديم من الكتاب المقدس ، إذ تجرى من باطنه أنهار ماء حى (الأمثال ١٨ : ٤) ؛ (إشعيا ١٢ : ٣) ؛ (حزقيال ٤٧ : ٢٠١) ؛ (زكريا ١٤ : ٨) ؛ (يوحنا ٤ : ١٠) . ومثال ذلك ماجاء فى نبوءات إشعيا النبي إدا يقول إن المؤمن يصير « كنبع مياه لا تنقطع مياهه » (إشعيا ٥٨ : ١١) . وإنه يصير « بئر ماء حية » (إشعيا ٤ : ١٥) وإن الله يجعل « الأرض اليابسة مَفَجَّرَ مياهه » (إشعيا ٤١ : ١٨) وإنه يجعل « فى القفر أنهاراً » (إشعيا ٤٣ : ١٩) . ويقول القديس يوحنا كاتب هذه البشارة عندما ذكَّر تلك العبارة التى صاح بها معلّمنا أنه إنمّا قال هذا عن الروح القدس الذى كان المؤمنون به عتيدين أن ينالوه (إشعيا ٤٤ : ٣) ؛ (يوئيل ٢ : ٢٨) ؛ (يوحنا ١ : ٣٣) ؛ (١٦ : ٧) . لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد ، إذ لم يكن محلّصنا قد تمجّد بعد ، أى لم يكن قد أظهر مجده بعد بقيامته من بين الأموات ثم صعوده إلى السماء فإنَّ الروح القدس لم ينسكب على المؤمنين إلا بعد ذلك (الأعمال ١ : ٤) ؛ (٢ : ١٧ و١٧ و٣٣ و٣٨) ؛ (١٩ : ٢٠) ؛ (يوحنا ٢٠ : ٢٢) . وقد استخدم محلّصنا نفسه هذا التعبير حين قال قبل فترة قصيرة من موته على الصليب « قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان » (يوحنا ١٢ : ٢٣ و٢٦) . ومن ثمَّ رمز محلّصنا إلى الروح القدس بالماء الحى الدائم الانسكاب والتدفق على المؤمنين بكل مايجويه من بركات ومواهب ينالونها (يوحنا ١٦ : ٧) ويمتلثون بها فلا تلبث أن تنساب وتتدفق منهم فى صورة أخلاق نبيلة وأعمال صالحة وثمار طيبة توهمهم للحياة الأبدية فى ملكوت السماوات .

فحين سمع ذلك الكلام قوم من الجمع بهرهم وسحرهم ونفّذ إلى أعماق قلوبهم فقالوا عن محلّصنا : « هذا بالحقيقة هو النبي » . وكانوا يقصدون بذلك

النبي الذي تنبأ موسى لآباء بني إسرائيل بأنه سيجيء ، ، إذ قال لهم « يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك مثلي » ( الثنية ١٨ : ١٥ ) ؛ ( يوحنا ١ : ٢١ ) ؛ ( ٦ : ١٤ ) . ولقب النبي كان يشير في الحقيقة إلى المسيح المنتظر ، إذ أن النبوة هي إحدى وظائفه ، فالمسيح من حيث ناسوته ، أى إنسانيته ، نبى ومملك وكاهن . والنبي هو من ينبئ بإرادة الله ويخبر عنه . وقد قال الإنجيل « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه » ( يوحنا ١ : ١٨ ) . بيد أن لقب النبى أكثر تعميماً من لقب المسيح المحدد كما ذكرته النبوات . فقد قال آخرون ممن استمعوا إلى أقوال محلّصنا عندئذ فى الهيكل « هذا هو المسيح » ، أى هذا هو بالذات الذى يتظره اليهود ليحلّصهم وفق نبوات أنبيائهم ( يوحنا ٤ : ٢٥ و٢٦ و٤٢ ) ؛ ( ٦ : ٦٩ ) . بيد أن بعض الحاضرين من غير هؤلاء أبدوا ريبهم فى أن يكون هذا هو المسيح ، قائلين « العلى المسيح من الجليل يأتى ؟ ألم يقل الكتاب إنه من نسل داود ومن قرية بيت لحم التى منها كان داود يأتى المسيح ؟ » . وقد اعتمد هؤلاء فى ريبهم تلك على معلومات خاطئة من جانبهم ، وعلى تفسير خاطئ للنبوات ( يوحنا ١ : ٤٦ ) ؛ ( ٧ : ٥٢ ) . كما تلقوه من الكتبة والفريسيين الذين وصفهم معلّمنا بأنهم عميان قادة عميان ، لأنهم لو كانوا سألوا أحد تلاميذ محلّصنا أو سألوا محلّصنا نفسه عن نسبه حسب الجسد لعلموا فعلاً أنه من نسل داود ( المزمور ١٣١ : ١١ ) ؛ ( إرميا ٢٣ : ٥ ) ؛ ( متى ١ : ١ ) ؛ ( لوقا ١ : ٣٢ و٦٩ ) ؛ ( الأعمال ١٣ : ٢٣ ) ؛ ( روما ١ : ٣ ) ؛ ( الرؤيا ٢٢ : ١٦ ) . ولو سألوا أحد تلاميذه عن موضع ولادته لعلموا أن ميلاده كان بالفعل فى بيت لحم ، مدينة داود ( ١ . صموئيل ١٦ : ٤١ ) التى ذكر ميخا النبى أن المسيح الذى يتظره اليهود سيولد فيها ( ميخا ٥ : ٢ ) ؛ ( متى ٢ : ٥ ) ؛ ( لوقا ٢ : ٤ ) . ولو كانوا هم أو معلّمهم من الكتبة والفريسيين على علم بكل نبوات العهد

القديم لعلموا منها أن المسيح الذي يتظرونه سينشأ في مدينة من مدن الجليل وهي الناصرة ، كما ذكر ذلك القديس متى إذ يقول في بشارته إنه « سكن في مدينة تُدعى الناصرة ، ليتم ما قيل بالأنبياء إنه سيُدعى ناصرياً » ( متى ٢ : ٢٣ ) .  
وكما سبق أن تنبأ إشعيا النبي عن ظهور المسيح المنتظر في أرض الجليل ، إذ يقول عن تلك الأرض التي كانت من نصيب سبطى زبولون وفتالى : « أرض زبولون وأرض نفتالى .. طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم . الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً . الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور » ( إشعيا ٩ : ١ ) ؛ ( متى ٤ : ١٢ - ١٦ ) . ومن ثمَّ حدث انشقاق بين الجمع المحتشد في الهيكل في شأن محلّصنا ( يوحنا ٦ : ٥٢ ) ؛ ( ٧ : ١٢ ) ؛ ( ٩ : ١٦ ) ؛ ( ١٠ : ١٩ ) . وعلى الرغم من أن قوماً منهم آمنوا بأن هذا هو المسيح الذى يتظرونه من قديم الزمان ، فإن قوماً آخرين منهم عادوه وعاندوه وأرادوا أن يقبضوا عليه ليقتلوه ( يوحنا ٧ : ٣٠ ) . ولكنَّ أحدًا لم يلق عليه يدًا ، لأنَّ قوة غير منظورة أخفته عن أعينهم ، إذ أنَّ ساعة موته لم تكن في التدبير الإلهى قد أتت بعد ، وقد كان ينبغي أن يكون موته في لحظة محدّدة تحديداً دقيقاً بمقتضى المشيئة المشتركة بين الله الآب والله الابن ، بحيث لا يتم ذلك الموت قبل تلك اللحظة بلحظة ، أو بعدها بلحظة .

٧ : ٤٥ - ٥٣

وكان رؤساء الكهنة والفرّيسيون قد أرسلوا جندهم ( يوحنا ٧ : ٣٢ ) ليقبضوا على محلّصنا ويقتلوه بعيداً عن أعين جموع الشعب التي التفتت حوله وآمن عدد كبير منها به ، مما أثار الغيرة والحقد في قلوب أولئك الذين يعدّون أنفسهم رؤساء اليهود وفقهاءهم ، والذين أحقّهم وأغاظهم أن يمجد الشعب محلّصنا بدلاً من أن يمجدهم . فقررروا قتله والخلاص منه ، كى يظلّوا محتفظين بما

يتمتعون به لدى الشعب من مجد وسلطان ومناصب ومكاسب . غير أن الجند عادوا إليهم دون أن يقبضوا عليه ، فقال هؤلاء لهم : « لماذا لم تأتوا به ؟ » . فأجاب الجند : « ماتكلم إنسان قط بمثل مايتكلم به هذا الإنسان » ، مما يدل على أنهم حين ذهبوا إليه وجدوه يعلم الجمع ، واستمعوا إلى تعاليمه الإلهية الرائعة ، وإلى عباراته السائية السامية ، البديعة التركيب العميقة المعنى ، التي كان ينطق بها في رقة وفي عظمة معاً ، وفي وداعة وهيبة مجتمعين ، فنفذت فوراً إلى أعماق قلوبهم وبهرتهم وسحرتهم ، لأنهم لم يكونوا قد سمعوا من قبل إنساناً قط يتكلم بمثل هذا السموّ وهذه الروعة ، ومن ثمّ أحبّوه وهابوه ولم تطاوعهم قلوبهم على أن يتقدموا إليه ويلقوا القبض عليه ، كما أمرهم رؤساؤهم أن يفعلوا . وعلى الرّغم من علمهم بشراسة أولئك الرؤساء وخوفهم مما ينتظرونه على أيديهم من عقاب صارم وتعنيف عنيف ، عادوا إليهم دون أن يقبضوا عليه . ولقد شهد الإنجيل بالانطباع العامّ لدى الشعب كلّه بما كان للمسيح له المجد من سلطان ورهبة وروعة في تعليمه ، فيقول مثلاً « بهتت الجمع من تعليمه لأنه كان يعلمهم بوصفه صاحب سلطان وليس كالكتبة » ( متى ٧ : ٢٨ و٢٩ ) . وفعلاً أثار ذلك حنق الفريسيين أعداء مخلصنا ، فصرخوا في وجوه الجند قائلين لهم : « أعلّكم أنتم أيضاً قد ضلّتم ؟ هل آمنَ به أحد من الرؤساء أو من الفريسيين ؟ . ولكنّ هذا الشعب الذي لا يعرف الشريعة شعب ملعون » .

ويدلّ ذلك على مدى ما كان لرؤساء الكهنة والفقهاء من سيطرة على عقول عامة اليهود . فهّم بوجهونهم في شئون دينهم وشئون دنياهم على السواء الوجهة التي يريدونها لهم ، والتي تهدف إلى استغلال الشعب لمصلحتهم ، كى يغدق عليهم الاحترام والإجلال ، كما يغدق عليهم قبل ذلك وبعد ذلك العطايا والهدايا والأموال ، ويطيعهم طاعة عمياء . ولما كان الجند من أتباع أولئك الرؤساء والفقهاء الذين يتلقون عنهم أجورهم ويستمدون الهبة لدى الشعب من هيبتهم ،

فقد كانوا ينتظرون منهم أن يكونوا أول الممثلين لتعاليمهم وتعاليمهم ، والخاضعين لتوجيهاتهم ووجهات نظرهم . ولما كان رؤساء الكهنة والفريسيون قد أنكروا مخلصنا وعاندوه وعادوه وأضرموا الاعتداء عليه بزعم أنه يضلُّ الشعب بأقواله وأعماله ( يوحنا ٧ : ١٢ ) : ( متى ٢٧ : ٦٣ و٦٤ ) . حتى اعتقد الشعب أنه هو المسيح المنتظر فقد أغاظهم وأحققهم أن ينضمَّ جندهم إلى عامة الشعب في الإيمان به . والانبهار بتعاليمه ومعجزاته . وكان ينبغي عليهم - في نظرهم - أن يتمثلوا بهم في كل ما يقولونه ويفعلونه . ولما كان رؤساء الكهنة والفريسيون وهم سادتهم وقادتهم لم يؤمنوا به . كان على الجند من ثمَّ أن يتبعوهم ويتابعوهم وينقادوا إليهم انقياداً أعمى . فيؤمنوا بمن يؤمن به أولئك وينكروا ما ينكرونه . فكيف جرؤ الجند على أن يخالفوهم في الرأي . ويؤمنوا بمن أنكروه هم أنفسهم ؟ لقد أثار ذلك نقمة الفريسيين ليس فقط على الجند وإنما على الشعب اليهودي كله . ذلك الشعب الذي كان خاضعاً لهم خضوعاً تاماً في كل ما يقولون . ومتمثلاً بهم في كل ما يفعلون ، حتى إذ جاء مخلصنا فاستدار الشعب وأعطاهم ظهره والتفَّ حول ذلك الشاب الفقير المتواضع وآمن بأنه هو المسيح ابن الله الذي تنبأ بمجيئه أنبياءهم منذ آلاف السنين ، قال الفريسيون في غيظ وحقد « إن هذا الشعب الذي لا يعرف الشريعة شعب ملعون » . فإذا وصموا الشعب بأنه لا يعرف الشريعة . فإن هذه الصفة لاصقة بهم هم أنفسهم . وليس بالشعب الذي أثبت بإيمانه بالمسيح أنه أكثر منهم معرفة بالشريعة . لأنَّ الشريعة وكل أسفار العهد القديم تنبأت بكلِّ الملابس التي تحيط بمجيء المسيح وكلِّ الصفات التي يتصف بها وكلِّ الأقوال التي سيقولها وكلِّ الأعمال التي سيعملها وكلِّ الحوادث التي ستودى إلى تعذيبه وقلته على خشبة الصليب ، وكل ما يعقب ذلك من قيامته وصعوده إلى السماء . ولكن الفريسيين أعمتهم شهواتهم الدنيوية عن كل ما جاء في كتبهم المقدسة متعلقاً بالمسيح المنتظر . فسوها

أو تناسوها ، حتى إذا جاءهم فعلاً ذلك الذى ينتظرونه محققاً كل التفاصيل التى قالها أنبياءهم عنه أنكروه وناصبوه العداة وحاربوه . حتى قاموا عليه أخيراً وصلبوه مبرهنين بذلك على أنهم هم الجهلاء بالشرية . وليس أولئك الذين آمنوا به من الشعب الذى وصموه بالجهل ووصفوه بأنه « شعب ملعون » . فكانوا بذلك هم الذين يستحقون اللعنة فى نار جهنم . وأما الذين آمنوا به فقد فازوا بالنعمة واستحقوا النعيم فى ملكوت السماوات .

يبد أن نيقوديموس الذى كان واحداً منهم ( يوحنا ٣ : ١ و ٤ و ٩ ) . إذ كان عضو السنهدريم . وهو مجلس الشيوخ اليهودى ، وكان نيقوديموس هذا من بين الرؤساء الذين آمنوا بالمسيح ( يوحنا ١٢ : ٤٢ و ٤٣ ) . وكان هو الذى جاء من قبل إلى مخلصنا ليلاً ( يوحنا ٣ : ٢ ) : ( ١٩ : ٣٩ ) . واستفسر منه عن حقيقة تعاليمه . ثم بعد استماعه اليه توطد إيمانه به . وتصددى لهم قائلاً : « هل تحكم شريعتنا على أحد مالم تسمع منه أولاً وتعرف ماذا فعل ؟ » . وقد كان هذا هو صوت العقل والعدل . لأن هذا هو بالفعل ما تأمر به الشريعة ( الخروج ٢٣ : ١ ) ؛ ( التثنية ١ : ١٧ ) ؛ ( ١٧ : ٦ - ١٠ ) ؛ ( ١٩ : ١٥ ) ؛ ( الأمثال ١٨ : ١٣ ) ؛ ( الأعمال ٢٣ : ٣ ) . ومن ثم أفرعهم هذا الصوت ورووعهم . لأنه صادر عن واحد منهم . ولأنه قول الحق الذى يهدم كل مزاعمهم وافتراءاتهم التى جعلوا من غيرتهم على الشريعة ستاراً لها . وخجراً يسترون به سخائمهم وذناباتهم . ومن ثم ثارت نائزتهم عليه أكثر مما ثارت على الجند ، وقالوا له فى غيظ « لعلك أنت أيضاً من الجليل ؟ اجث وانظر ، فإنه لا يقوم نبي من الجليل » . إذ كان يهود الجليل محقرين من اليهود المترمتين لأنهم اختلطوا فى مدنهم ومعاملاتهم بالوثنيين من الأمم الأخرى ، ومن ثم كانوا يعدون وصف الشخص بأنه جليلي إهانة له . وقد أحتق أعضاء السنهدريم دفاع زميلهم نيقوديمس عنه ، فأرادوا تجريحه بأن يصفوه بهذا الوصف ويصموه بهذه

الوصمة . وفي سبيل ذلك برهنوا على جهلهم حتى بالسرعة التي يزعمون أنهم علماءها وفقهاؤها والمتبحرون فيها ، إذ قالوا - لتسفيه مسلك زميلهم - إنه « لا يقوم نبي من الجليل » ، معتقدين بذلك أنهم قدموا الدليل القاطع والحجة التي لا سبيل إلى نقضها ، مع أنهم يعرفون جيداً أو لا يعرفون على الإطلاق أن يونان النبي قد قام من الجليل ، وأن ناحوم النبي قد قام من الجليل . ولكنهم عموا أو تعاموا عن هذه الحقيقة ، وجعلوها أو تجاهلوا ، وقد طمس الغيظ قلوبهم وذهب الحقد بالبقية من عقولهم . وإذا كانوا يعلمون في قرارة أنفسهم أنهم يغالطون ، لم ينتظروا إجابة من نيقوديموس . وإنما انصرف كل منهم إلى بيته ، في انتظار فرصة أخرى تتيح له توجيه تهمة قاتلة إلى محلّصنا ، يتخلص بها منه ، ويزحجه من طريق مطامعه وشهواته ، كي يظل ينعم بما هو فيه مع زملائه من جاه وسلطان ، ومن وجاهة ومال وملذات يظن أنها ستدوم له على مدى الزمان .



## الفصل الثامن

٨ : ١ - ١١

أما محلّصنا له المجد فضى إلى جبل الزيتون ، ليقضى بقية النهار والليل في الصلاة كعادته دائماً ، لأنه لم تكن له كسائر الناس دار يأوى إليها ، فقد كان فقيراً أشدّ ما يكون الفقر . ولذلك فقد كانت الجبال هي مأواه ، وكان فيها خير مكان يتأجى فيه أباه السماوى ، على انفراد وبعيداً عن فضول الناس وريائهم وضوضائهم . ثم في الصباح الباكر عاد إلى الهيكل كى يواصل فيه أداء رسالته التعليمية بوصفه بيت الله الآب وبيته هو ابن الله ، ولأن أعداداً عظيمة من الذين جاءوا من كل البلاد للاحتفال بالعيد كانوا مجتمعين فيه ، فهى فرصة مباركة لينادى فيهم بتعاليمه قبل أن تنتهى فترة وجوده بينهم على الأرض ويرتفع إلى السماء . ولما كان الشعب كله مشتاقاً لأن يستمع إليه ويتمتع بالكلمات العذبة التى تخرج من فمه فتتغلغل إلى أعماق قلوبهم ، فما إن رأوه حتى أقبلوا إليه فى لطفة وتعطش ، فجلس يعلمهم ، جلوس المعلم صاحب السلطان على القلوب والعقول والأرواح . بيد ان التفافهم حوله أحنق وأغاظ رؤساء الكهنة والكتبة والفرّيسيين ، فأقبلوا إليه هم أيضاً ، وقد هينوا له فخاً مزدوجاً ليقعوه فيه ، ويتمكنوا من الحكم بالموت عليه ، إذ قدّموا إليه امرأة ضبطوها تزنى ، وأقاموها فى الوسط كما يقام المتهم فى وسط ساحة القضاء أمام القاضى ، وقالوا له : « يا معلم قد ضبطنا هذه المرأة متلبسة وهى تزنى . وشريرة موسى تقضى برجمها ، فإذا تقول أنت ؟ » .



فعلی الرّغم مما سبق لهم أن وجهوه إليه من شتائم وإهانات ، واستخفاف وتخقير ، تظاهروا - ليحبكوا مكيدتهم - بأنهم يحترمونه ويبجلونه ويرتضون حكمه ، قائلين له «يامعلّم» ، وهو لقب كان مقصوراً في مجتمعهم على العظماء والرؤساء والمعلّمين المبجّلين ، ولكنهم ما قالوا هذا إلا ليحرجوه كي يجدوا ما يتهمون به ، مغلفين بأدبهم المصطنع في مخاطبته كل ما يتصفون به من مكر وخبث ودهاء والتواء ، لأن شريعة موسى التي استشهدوا بها كانت تقضى بجرم الزانية ، إذ جاء في سفر اللاويين « إذا زنى رجل مع امرأة .. فإنه يُقتل الزانى والزانية » ( اللاويين ٢٠ : ١٠ ) . وجاء في سفر التثنية أن المرأة إذا زنت « يرحمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت » ( التثنية ٢٢ : ٢١ ) . فلو أنّ محلّصنا حكم بما يناقض ذلك اتهموه بمخالفة شريعة موسى وقضوا بموته . وإن هو حكم يرحم المرأة اتهموه بمخالفة شريعة التسامع والغفران التي نادى هو بها وعدّها شريعته ، ومن ثمّ اتهموه بأنه يضلّل الشعب ، وقضوا أيضاً بموته . وأما محلّصنا فأنحنى يخط بأصبعه على الأرض معبراً بذلك لهم عن إدراكه لمكرهم وخبثهم ودهائهم والتوائهم ، وإذا استبطأوا إجابته ظنوا أنه قد ارتبك ولا يدرى ماذا يقول أو كيف ينجو من ذلك الكمين المُحكّم الذي نصبوه ليقوعه فيه ، فألحوا عليه يستعجلون إجابته التي كانوا واثقين أنها ستكون القاضية عليه . ولكنه فاجأهم مفاجأة اربكتهم وأذهلتهم وأوقعتهم في شر أعمالهم ، إذ رفع رأسه وقال لهم « من كان منكم بلا خطيئة فليبدأ ويرمها بحجرٍ » ثم انحنى ثانية يخط على الأرض في انتظار تصرفهم ، ولينحهم فرصة يراجعون فيها أنفسهم . ولعله كان يكتب على الأرض خطاياهم واحداً واحداً فتبينوا أنهم خطاة وزناة ، وقد ارتكب كل منهم من أعمال الشر والفجور مثلاً ارتكبت هذه المرأة ، بل ربما ارتكب ما هو أكثر منها شراً وفجوراً ، فأدركوا أنّ محلّصنا يعلم خبايا نفوسهم وأنه إنما يوبّخهم ويقرّر لهم من خلال عبارته تلك أنه لا يجوز لشّرير أن يحاكم

شريراً . ولا لفاجر أن يحكم على فاجر . بل فليترك هذا وذاك المحاكمة والحكم للصالحين الأبرار ، وفي نهاية الأمر لله الحاكم الديان وحده ، فلما سمعوا هذا منه وفهموا توبيخه لهم ، أخذوا يخرجون متسللين في خزي وخجل واحداً فواحداً ، يتقدمهم الشيوخ الذين حفلت حياتهم الطويلة بقدر أكبر من أعمال الشر والفجور ، يتبعهم الشباب الذين لا يزالون في بداية هذا الطريق الشائن الخزي حتى خرجوا جميعاً بعد أن فشلت مكيدتهم ضد مخلصنا وأطبق الفخ الذي نصبوه له عليهم هم أنفسهم ، وبقى مخلصنا وحده ، والمرأة قائمة في الوسط لم تحاول أن تهرب بعد أن ذهب كل الشهود الذين قبضوا عليها وشهدوا ضدها . وإنما بهرتها وأسرتها حكمة ذلك المعلم السماوي وحلمه ورحمته ، فانقضت غشاوة الشر والشهوة عن عينيها . ورأت طريق الندم والتوبة مفتوحاً على مصراعيه أمامها ، ومن ثمَّ انتظرت لتسمع حكم قاضيها الرحيم الذي جاءها إليها . ولم يلبث مخلصنا أن رفع رأسه وقال لها : « يا امرأة أين أولئك الذين حكموا عليك ؟ . أما أدانك أحد ؟ » . قالت « لا أرى أحداً ياسيدي » ، وهكذا خاطبته في مدلة واحترام عميق . وهي لا تزال تنتظر حكمه عليها ، موقنة أنه الحكم العادل الذي تستحقه مها كان هذا الحكم قاسياً . ولكن فادينا الحبيب قال لها في سماحة مذهلة . وتسامح لا يقدر عليه إلا الله القادر وحده : « ولا أنا أدينك . فاذهي ومن الآن لا تعودى تخطئين » . وبذلك رفض إدانتها ، ليفتح لها باب الندم والتوبة ، كيَ تتطهر من إثمها ، ولا تعود تخطيء مرة أخرى ، محققاً بذلك رسالته التي جاء من أجلها إلى العالم . اذ يقول « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ، بل المرضى ، فما جئت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » (مرقس ٢ : ١٧) ؛ (لوقا ٥ : ٣١ و٣٢) ؛ (متى ٩ : ١٢ و١٣) . ويقول : « لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك نفوس الناس ، بل ليحييها » (لوقا ٩ : ٥٦) ؛ (١٩ : ١٠) ؛ (يوحنا ٣ : ١٧) ؛ (١٢ : ٤٧) . وهنا يبدو

أن مخلصنا كشف بوضوح أنه في مجيئه الأول لا يدين أحدًا . إذ هو جاء ليخلص لا ليدين ، إذ قال « لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم ، وإنما ليخلص به العالم » ( يوحنا ٣ : ١٧ ) ، وقال « وأما أنا فلا أدين أحدًا » ( يوحنا ٨ : ١٥ ) كما قال « وإن سمع أحد كلامي ولم يحفظه فأنا لا أدينه . لأنني ماجئت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم » ( يوحنا ١٢ : ٤٧ ) . هذا في المجيء الأول . أما في المجيء الثاني ، فليسوف يدين ، لأنه سيكون هو الديان ، إذ قال له المجد « فإن الآب لا يدين أحدًا وإنما سلم القضاء كله للابن ليمجد الجميع الابن كما يمجدون الآب » ( يوحنا ٥ : ٢٢ ) . « وقد أعطاه السلطان لأن يدين لأنه ابن الإنسان » ( يوحنا ٥ : ٢٧ ) - وانظر أيضًا ( الأعمال ١٠ : ٤٢ ) ؛ ( ١٧ : ٣١ ) ؛ ( ٢ . تيموثيوس ٤ : ١ ) ؛ ( ١ . بطرس ٤ : ٥ ) .

٨ : ١٢ - ٢٠

ثم خاطب مخلصنا اليهود قائلاً : « أنا هو نور العالم . من يتبعني لا يسير في الظلام وإنما يكون له نور الحياة » . وقد سبق لدانيال النبي أن قال في نبوءته عنه : « هو يكشف العماتق والأسرار ، ويعلم ماهو في الظلمة ، وعنده يسكن النور » ( دانيال ٢ : ٢٢ ) . وقال سمعان الشيخ عندما أبصره في طفولته حين دخلت به أمه مريم العذراء في الهيكل : « الآن أطلق ياسيدي عبدك بسلام وفقاً لكلمتك ، فإن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعدته أمام كل الشعوب . نوراً يتجلى للوثنيين ومجداً لشعبك إسرائيل » ( لوقا ٢ : ٢٨ - ٣٢ ) . وقال عنه الإنجيل للقديس يوحنا « وكان الكلمة هو الله .. فيه كانت الحياة . والحياة كانت نور الناس ، والنور يضيء في الظلمة ، والظلمة لم تدركه .. كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم » ( يوحنا ١ : ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ ) . وقال مخلصنا له المجد عن نفسه : « وهذه هي الدينونة ، أن النور جاء إلى العالم ، وأحب

الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة .. فإن كل من يفعل الشر يبغض النور ، ولا يُقبل إلى النور لئلاً تفتضح أعماله الشريرة وتتويخ . وأما من يفعل الحق . فإنه يُقبل إلى النور » ( يوحنا ٣ : ١٩ - ٢١ ) . وقال :

« مادمت في العالم فأنا نور العالم » ( يوحنا ٩ : ٥ ) . وقال في حديثه مع اليهود « إن النور باق في وسطكم زماناً يسيراً ، فسيروا في النور مادام النور لكم لئلاً يدرككم الظلام .. مادام لكم النور فآمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور .. أنا قد جئت للعالم نوراً حتى إن كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلام » ( يوحنا ١٢ :

٣٥ و ٣٦ و ٤٦ ) . نعم إن المسيح هو نور ، وهو « النور الحقيقي » ( ١ . يوحنا ٢ : ٨ ) . لأنه بطبيعته الإلهية نور ، وهو خالق النور ( التكوين ١ : ٣ ) ، و« ساكن في نور لا يُدنى منه » ( ٢ . يوحنا ١ : ١٦ ) . ثم هو « النور الحقيقي » ، لأن ماعده من نور ( متى ٥ : ١٤ و ١٦ ) مأخوذ ونابع منه . وهو « النور » الذي جاء إلى العالم فأناره بتعليمه وإرشاده . ولذلك فإن الكنيسة وهي جسده ( أفسس ٥ : ٢٣ ) تقام لها « منارة » علامة على أنها « حاملة » النور . أما النور الحقيقي فهو المسيح نفسه بطبيعته الإلهية ثم بتعليمه . فبطبيعته الإلهية نور ، وتعليمه أيضاً نور . فهو « نور العالم » . ومن يتبعه يتهدى بنوره فلا يسير دائماً في الظلام ، فيضل الطريق ، ويتخبط في دياجير الحياة ، فسرعان ما يسقط في هاوية الهلاك ، وإنما يكون له نور الحياة الذي هو معرفة الله والسير على هدى تعاليمه ووصاياه ، مما يؤدي بالإنسان إلى النجاة من شرور الدنيا والتمتع بعد ذلك ببركات الحياة الأبدية في السماء . وقد كان ينبغي أن يكشف مخلصنا للناس عن حقيقة ذاته وهو في أواخر الأيام التي كان مقرراً أن يقضيها بينهم على الأرض ، لثمر فيهم تعاليمه ويؤمنوا به وبرساته . ولكن الذين سمعوا قوله من القرّيسيين أحقّتهم ذلك ، ولم يسعفهم منطقهم السقيم وحقدهم الأسود على مخلصنا إلاّ باعتراض تافه وجهوه إليه ، إذ قالوا له « إنك تشهد لنفسك ،

فشهادتك ليست حقًا . وقد نسوا أو تناسوا أنّ موسى الذى هو أعظم أنبيائهم  
وعليه كل رجائهم قد شهد لنفسه ، إذ قرّر لآبائهم أنه مرسل من الله ، وقد فعل  
ذلك كل الذين تلوه من الأنبياء مقررّين أن الله قد أرسلهم وأنه تكلم  
بأفواههم . وقد طلب الفريسيون أنفسهم من يوحنا المعمدان أن يشهد لنفسه  
ليتحققوا من حقيقة شخصيته . معتمدين في ذلك على شهادته . إذ قالوا له  
« من أنت لنعطى جوابًا للذين أرسلونا . ماذا تقول عن نفسك ؟ » ( يوحنا ١ :  
٢٢ ) . وإذا كان محلّصنا مهتمًا بالفعل بأن يكشف لهم عن حقيقة شخصيته  
ليؤمنوا به فإن ذلك يكون هو الطريق إلى خلاصهم ، قدّم لهم حججًا قوية تثبت  
بمجالها معه للشك أن شهادته عن نفسه صادقة كلّ الصّدق ، إذ قال لهم  
« إني وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق ، لأنى أعلم من أين جئت وإلى أين  
أذهب . وأما أنتم فلا تعلمون من أين جئت ولا إلى أين أذهب . أى أنه عالم  
كل العلم بحقيقة شخصيته الإلهية . وموقن كل اليقين بتفاصيل الرسالة التي جاء  
من أجلها إلى العالم . لأنه عالم وموقن كل العلم وكل اليقين أنه ابن الله ، وأنه  
من عند الله الأب جاء ( يوحنا ٨ : ٤٢ ) ؛ ( ١٣ : ٣ ) ؛ ( ١٦ : ٢٧ و ٢٨ )  
وإلى الله الأب يذهب ( يوحنا ١٣ : ٣ ) ؛ ( ١٦ : ٢٨ ) . وأنه إنما جاء لمهمة  
محدّدة هي خلاص البشر من الهلاك الأبديّ المحكوم به من العدل الإلهي عليهم ،  
فهو يتكلم عن أمور يعلمها علم اليقين . وأما هم فلا يعلمون عنها شيئًا ( يوحنا  
٧ : ٢٨ ) ؛ ( ٩ : ٢٩ ) . ولا يستطيعون بتكبيهم البشرى المادى أن يعلموا  
عنها شيئًا . فهو في نور وهم في ظلام . ولئن شهد بتلك الأمور إنها شهادة الذى  
يرى في النور ، وأما هم فإن الظلام الذى يكتنهم يجعلهم لا يرون شيئًا . فما  
يشهد هو به لا يستطيع أحد غيره أن يشهد به لأنه لا يراه ، ولا يمكنه أن يراه ،  
ومِنَ ثَمَّ فإن واقع الأمر يجعله هو الشاهد الوحيد وإن شهد لنفسه ( يوحنا ١٨ :  
٣٧ ) ؛ ( الرؤيا ١ : ٥ ) ؛ ( ٣ : ١٤ ) . لأنه لا سبيل إلى شهادة غيره عنه

ولا تعارض بين مايقوله هنا « إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق » ، وبين قوله سابقاً « لو كنت أشهد لنفسى لما كانت شهادتى حقاً » ( يوحنا ٥ : ٣١ ) . لأن المعنى من قوله هذا أنه إن كان يشهد لنفسه وحده ولا يؤيده فى هذه الشهادة أحد آخر ، فإن هذه الشهادة تكون غير صحيحة طبقاً للمبدأ المقرّر فى الشريعة وهو أنه « على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كلُّ كلمة » ( ٢ . كورنثوس ١٣ : ٥ ) ؛ ( الثنية ١٧ : ٦ ) ؛ ( ١٩ : ١٥ ) ؛ ( متى ١٨ : ١٦ ) . مؤكداً بهذا أنه لا يشهد لنفسه وحده . وإنما يشهد له الآب الكائن معه . وقد شهد له أيضاً يوحنا المعمدان . ثم إن اعماله تشهد له . ولذلك يضيف مخلصنا قائلاً « وإنما هناك آخر يشهد لى وأنا أعلم أن شهادته التى يشهد لى بها حق . أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد بالحق .. أما أنا فى شهادة أعظم من شهادة يوحنا ، لأن الأعمال التى أعطانى أبى لأجزها . تلك الأعمال التى أنا أعملها هى نفسها التى تشهد لى بأن الآب قد أرسلنى . والآب نفسه الذى أرسلنى قد شهد لى » ( يوحنا ٥ : ٣٢ - ٣٧ ) . ويقول أيضاً فى نفس الفقرة السابقة « فأنا أشهد لنفسى ، ويشهد لى أبى الذى أرسلنى » ( يوحنا ٨ : ١٨ ) .

ثم قال مخلصنا لليهود تأييداً لما قاله لهم : « أنتم حسب الجسد تدينون ، وأما أنا فلا أدين أحداً ، وإنى وإن دنت فدينونتى حق ، لأننى لست وحدى ، بل أنا والآب الذى أرسلنى . وقد جاء فى شريعتكم أن شهادة رجلين حق ، فأنا أشهد لنفسى . ويشهد لى أبى الذى أرسلنى » . ( يوحنا ٨ : ١٥ و ١٦ )

فقد حكّم الفريسيون على شخصية مخلصنا حسب المظاهر المادّية الجسدية له ( يوحنا ٧ : ٢٤ ) . وحسب المقاييس البشرية الجسدية التى يحكمون بها على البشرىات والماديات ( ١ . صموئيل ١٦ : ٧ ) . ولما كان مخلصنا قد جاء إلى العالم فى صورة إنسان فقير ودع بسيط اللبس متواضع المهنة ، فلم يستطيعوا

بمقاييسهم تلك أن يدركوا أن هذا هو المسيح الذى ينتظرونه ، وأن هذا هو ابن الله الآب ، وأنه هو وأبوه فى وحدة كاملة ، فهو رب المجد ذاته . فى حين أنهم كانوا يتصورون أن المسيح الذى ينتظرونه سيأتيهم فى مجد دنيوى عظيم ، كملك جبَّار وقائد مغوار ، يرتدى ملابس الملوك ويسكن فى قصورهم ويجلس على عروشهم ويقود جحافل جيوشهم ، ليغزو بهم العالم ويجعلهم - على مقتضى غرورهم وجشعهم ومطامعهم - سادة كلِّ الشعوب والأمم . ومن ثمَّ هزأوا بمخلَّصنا حين جاء إليهم بهذه الصورة البسيطة كلنسان عادى يرتدى أرخص الثياب ولا يملك مسكنًا ولا يجلس ولا ينام إلا على الأرض ، ولا يقود إلا حفة من الناس البسطاء الودعاء المتواضعى المهنة مثله ، فهُم لا يحاربون ولا يمتطون الخيل أو يمتشقون السيف أو يخوضون معارك القتال ، وإنما يجوبون المدن والقرى والشوارع والطرق والحقول والسهول والجبال خلف معلِّمهم فى سلام ومسألة ومحبة للجميع وخدمة للجميع ، صانعين خيرًا لكل الناس مع معلِّمهم ، فكان من الصعب على أولئك الفريسيين المغطرسين المتعالمين المتعاطمين أن يدركوا أن هذا هو الإله خالق السماوات والأرض ومالك السماوات والأرض ، والحاكم العزيز الجبار لكل ما فى السماوات والأرض ، فحكموا عليه حسب مقاييسهم الدنيوية الأرضية الجسدية ، وحسب هذه المقاييس أدانوه بأنه مضلٌّ وغير صادق فى شهادته عن نفسه بأنه نور العالم . وأما هو فلا يدين أحدًا (يوحنا ٣ : ١٧) حسب هذه المقاييس فى أثناء وجوده على الأرض ، لأنه ما جاء - فى هذه المرة - ليدين أحدًا وإنما ليخلِّص الهالكين (يوحنا ١٢ : ٤٧) . وحتى إذا أدان أحدًا فى هذه الأثناء ، أى أصدر عليه حكمًا ، فإنه يحكم بالحق (يوحنا ٥ : ٣٠) . لأنه هو الحق (يوحنا ١٤ : ٦) ؛ (١ : ١٤) ؛ (١٨ : ٣٧) . وهو الإله الحق ، فضلًا عن أنه هو الحاكم والديان للخليقة كلها فى اليوم الأخير (٢) . كورنثوس ١٠ : ٥ .

دينوته حق ، لأنها دينونة الله الابن . وهى فى الوقت ذاته دينونة الله الآب ، « لأن الآب لا يدين أحداً وإنما سلم القضاء كله للابن » ( يوحنا ٥ : ٢٢ ) فلن شهد مخلصنا لنفسه بأنه هو نور العالم ( يوحنا ٩ : ٥ ) ، إن شهادته هى فى الوقت ذاته شهادة الآب الذى أرسله ليتم عمل الفداء بمشورتها المشتركة والمتحدة منذ الأزل من أجل خلاص البشر . وإذا كان مخلصنا يستشهد دائماً بأحكام الشريعة اليهودية ليقنع اليهود بما يقول ، استشهد هنا بحكم من أحكام تلك الشريعة يقضى بأنه ينبغي للحكم كى يكون عادلاً أن يستند إلى شهادة شاهدين على الأقل . إذ جاء فى سفر التثنية أنه « لا يقوم شاهد واحد على إنسان فى ذنب ما أو خطيئة مامن جميع الخطايا التى يخطئ بها . على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر » ( التثنية ١٩ : ١٥ ) . وقياساً على هذا الحكم ذكر مخلصنا أنه يشهد لنفسه ، ويشهد له فى الوقت نفسه أبوه الذى أرسله ( يوحنا ٥ : ٣٧ ) . وإذا كانت شهادة الإنسان لنفسه لا تصح فى الأمور البشرية ( العبرانيين ١٠ : ٢٨ ) ، فإنه فى الأمور الإلهية ، لا يوجد شاهد يمكن أن يشهد عليها إلا الله وحده ، لأنه هو وحده الذى يعلمها ، ومن ثم فإن شهادة الله الابن لنفسه تكون صحيحة ولاسيما وأنها تقترن بشهادة الآب الكائن مع الابن فى وحدانية كاملة . وقد كان واضحاً مما قال مخلصنا أنه يقصد بأبيه الله الآب نفسه . ولكن القريسيين إذ أفحهم مخلصنا بهذا المنطق الإلهى المقنع القاطع المانع لكل مغالطة أو مباحكة ، لم يقتنعوا ، وإنما راحوا يغالطون ويتمحكون ، مبتعدين عن جوهر المناقشة التى خرجوا منها مهزومين وتظاهروا بأنهم لا يعلمون من هو أبوه الذى يتحدث عنه فقالوا له « أين أبوك ؟ » . وقد كانوا يعلمون كل العلم أنه إذا قال إن أباه قد أرسله وشهد له ، فإنما يعنى أباه السماوى الذى هو الله الآب نفسه . ولكنهم إذ كانوا ينكرون أنه المسيح ابن الله الذى تثبأ بمجيئه كل أنبيائهم ، اصطنعوا الجهل وسألوه فى مغالطة



واضحة عمّن يكون أبوه ، وأين هو ، باعتباره أباً أرضياً مثل آباء سائر الناس .  
ليستدعوه كى يشهد له حسب قوله . وإذا أدرك هو أنهم يغالطون ، لم يشأ أن  
يذكر لهم صراحة مَنْ هو أبوه وأين هو ، وإنما أخذ يوبّخهم على جهلهم  
أو تجاهلهم ، فأجاب قائلاً : « إنكم لا تعرفونى أنا ولا تعرفون أبى . لو كنتم  
تعرفونى لكنتم تعرفون أبى » ، أى أنهم على الرّغم من ادّعاءهم أنهم بصفتهم كما  
يزعمون شعب الله ، لا يعرفون الله فى الحقيقة . لأنهم لو كانوا يعرفونه لعرفوا ابنه  
أيضاً حسب نبوءات أنبيائهم عنه . وقد قال لتلاميذه فى ليلة آلامه عن اليهود  
إنهم « لم يعرفوا الآب ولا عرفونى » ( يوحنا ١٦ : ٣ ) : ( ١٥ : ٢١ ) :  
( ٨ : ٥٥ ) . ولو كان اليهود يعرفون ابن الله لعرفوا الله أيضاً ، لأن الله الآب كما  
يقول بولس الرسول فى مقدمة رسالته إلى العبرانيين : « بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء  
قديمًا بأنواع وطرق كثيرة ، كلّمنا فى هذه الأيام فى ابنه الذى هو بهاء مجده  
وصورة جوهره وحامل كلّ الأشياء بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسه تطهيرًا  
لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعلى » ( العبرانيين ١ : ١ - ٣ ) . ولأن مَنْ  
رأى الابن فقد رأى الآب ( يوحنا ١٤ : ٩ ) . ومَنْ عَرَفَ الابن قد عرف  
الآب . إذ يقول الإنجيل للقديس يوحنا إنَّ محلّصنا قال لتلاميذه « لو كنتم قد  
عرفتمونى لعرفتم أبى أيضًا » ، وحين قال له تلميذه فيلبس « يارب أرنا الآب  
وكفانا » أجابه قائلاً « أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يا فيلبس ؟ الذى  
رأى فقد رأى الآب » ( يوحنا ١٤ : ٧ - ٩ ) .

قال محلّصنا هذه الكلمات للفرّيسيين وهو يُعلّم فى رواق الخزانة ، وهو أحد  
أروقة هيكل أورشليم ، وكانت به الخزانة التى كان اليهود يضعون فيها تقدماتهم  
من النقود ( مرقس ١٢ : ٤١ ) ، والتى كان رؤساء الكهنة والفرّيسيون يجتمعون  
حولها عادة ، لأن هدفهم الأكبر كان هو الاستيلاء على تلك النقود . وكانت  
هى إلههم الحقيقى الذى يعبدونه ، والذى كانوا حريصين على أن يكونوا أقرب

ما يكونون إليه . وإذ أحققتهم تلك الكلمات التي قالها مخلصنا مقررًا أنه ابن الله وأن الله أبوه . وكان القول بذلك جريمة في نظرهم تتضمّن التجديف على الله وتستوجب الحكم بالموت على مخلصنا . فإن أحدًا لم يستطع أن يقبض عليه عندئذ ( يوحنا ٧ : ٣٠ ) . لأن قوة الهية حجبت عن أعينهم . إذ أن الساعة التي كانت مقرّرة في التدبير الإلهي لموته لم تكن قد أتت بعد ( يوحنا ٧ : ٨ ) . وقد كان ينبغي أن يكون موته في ساعة محدّدة لا تتقدّم لحظة ولا تتأخر لحظة ، على مقتضى الحكمة الإلهية السامية والمشئبة الإلهية المقرّرة منذ الأزل .

٨ : ٢١ - ٣٠

وقال مخلصنا أيضًا لليهود ورؤسائهم : « إنني سامضى . وستأخذون تبحثون عني وتموتون في خطاياكم . فحيث أمضى أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا » . وكان يعنى كما هو واضح أنه سيرتفع بعد أيام قليلة إلى السماء . وقد سبق له أن قال مثل هذا ( يوحنا ٧ : ٣٤ ) ثم عاد فقله مرة ثالثة لتلاميذه ( يوحنا ١٣ : ٣٣ ) . وعندئذ سيتحقق المنكروون له من اليهود أنه هو المسيح ابن الله ، وأنهم قتلوه ظلمًا ، فيروحون يبحثون عنه فلا يجدونه ، لأنه سيرتفع إلى أحضان أبيه السماوى ويصعد إلى السماء التي منها نزل ، حيث لا يستطيعون هم أن يرتفعوا ، لأنهم خطاة . ومن ثمّ يموتون في خطاياهم ( يوحنا ٨ : ٢٤ ) بعد أن قوّتوا على أنفسهم فرصة الخلاص ، بعدم إيمانهم بذلك الذى جاء ليمنحهم الخلاص ، وحاربوه وعذبوه وصلبوه . وحتى إذا غلظت قلوبهم ولم يدركوا أن هذا الذى قتلوه هو المسيح ابن الله ، حتى بعد أن رأوا معجزة قيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماء ، وظلوا يبحثون عن ذلك الذى يعتقدون أنه المسيح الحقيقى حسب فكرتهم الخاطئة عنه ، فلن يجدوه ، لأنه لن يأتى أبدًا بعد أن أتى المسيح

الحقيقي ثم صعد إلى السماء ، ومن ثمَّ لن ينالوا الخلاص بسبب عدم إيمانهم به ، ويموتون في خطاياهم . ولكن اليهود ورؤساءهم فهموا هذا القول من مخلصنا فهمًا سطحيًا كما هو شأنهم دائمًا ، وفسروه تفسيرًا تافهًا يتفق مع تفاهة أفكارهم وسفاهة مقاصدهم (يوحنا ٨ : ٤٨) . إذ قالوا : « لعله سيقتل نفسه ، إذ يقول حيث أمضى أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا » . وكان هذا القول منهم ينطوي أيضًا على عدم إدراكهم لحقيقة شخصيته (يوحنا ٧ : ٣٥) باعتباره المسيح ابن الله ، وعدم إدراكهم أنه إذا مضى فإنما يمضي عائدًا إلى أبيه السماوي (يوحنا ١٦ : ١٦) الذي هو بلاهوته كائن معه في وحدانية كاملة ، والذي هو من الرفعة والعلوِّ والطهارة التامة والنقاء الإلهي بحيث لا يستطيع أى إنسان خاطيء مها بلغت خطيئته من الضلالة أن يصل إليه أو يقترب منه . ومن ثمَّ قال لهم مخلصنا « أنتم من أسفل ، وأما أنا فنن فوق ، أنتم من هذا العالم وأما أنا فلست من هذا العالم . لذلك قلت لكم إنكم ستموتون في خطاياكم . لأنكم إن لم تؤمنوا بأنى أنا هو فستموتون في خطاياكم » . أى أنهم من أسفل حيث الأرض والأرضيات ، والمادة والماديات (يوحنا ٣ : ٣١) . فهم لا يفكرون إلا تفكيرًا أرضيًا ماديًا ، وأما هو فنن فوق ، حيث السماء والسماويات ، والروح والروحيات ، وما يتكلَّم به إنما يفوق عقولهم ومدراكهم فلا يمكنهم أن يعوه أو يستوعبوه ، ومن ثمَّ لا يمكنهم أن يفهموه ، لأنهم من هذا العالم (يوحنا ١٥ : ١٩) ؛ (١ . يوحنا ٤ : ٥) الذى هو مسكن الناس ، وأما هو فليس من هذا العالم (يوحنا ١٧ : ١٤ و١٦) . وإنما هو ربُّ العالم ، وملك العالم ، ومالك العالم ، الساكن فى السماء . وفى قوله له المجد « أما أنا فنن فوق .. وأما أنا فلست من هذا العالم » على الرِّغم من أنه جاء فى الجسد ، وولد من العذراء مريم ، بيان لحقيقة لاهوته ، وأزليته ، وأن له وجودًا قبل الزمان . وأن وجوده لم يبدأ بميلاده من مريم ، وإنما هو « منذ القديم ، منذ أيام الأزل »

(ميخا ٥ : ٢) . وإن ميلاده من مريم هو في الحقيقة مجرد تجسد ، إذ يقول الإنجيل للقديس يوحنا إن « الكلمة اتخذ جسداً » ( يوحنا ١ : ١٤ ) . لذلك قال لليهود إنهم إن لم يفتحوا عيونهم وعقولهم وقلوبهم ويؤمنوا بأنه هو المسيح ابن الله الذي تنبأ بمجيئه كل أنبيائهم ، فسيموتون في خطاياهم . ( لوقا ٢١ : ٨ ) ؛ (مرقس ١٣ : ٦) .

بيد أن اليهود ورؤساءهم ظلوا مع ذلك مغلقى الأعين والعقول والقلوب ، فعلى الرغم من وضوح أقوال محلّصنا ودلالاتها على أنه هو المسيح الحقيقي الذى يتظرونه ، قالوا له « من أنت ؟ » فقال لهم محلّصنا « أنا ذاك الذى منذ البدء كلمتكم عنه » ، أى أنه سبق منذ أن بدأ رسالته التعليمية يقول لليهود سواء فى مجاز وتورية أو فى صراحة ووضوح أنه هو المسيح ابن الله الآتى إلى العالم على مقتضى نبوءات كل أنبيائهم ( يوحنا ٤ : ٢٦ ) ؛ ( ١٣ : ١٩ ) ؛ ( ٨ : ٢٨ ) . وقد ظل هذا هو تعليمه على الدوام ، لم يتراجع عنه أو يناقضه أو ينقضه ، وقد ذكره وكرّره فى كل قول قاله وكل فعل فعله ، فهم إذ يسألونه الآن « من أنت ؟ » إنما ينطوى سؤالهم على استخفاف به ، وتكذيب له ، وتهكّم عليه . كما ينطوى على ما يملأ قلوبهم من غلظة وفضاظة وشرّ ومكر ولؤم والتواء . ولذلك قال لهم محلّصنا : « إن عندى الكثير لأقوله وأحكم به فى شأنكم . بيد أن الذى أرسلنى هو حق . وما سمعته منه هو الذى أتكلّم به فى العالم » . أى أن فى قدرته أن يوبّخهم بكلام كثير ويدينهم عن خطايا كثيرة ارتكبوها ، ومنها إنكارهم له وعدم إيمانهم به ، على الرغم من كل ماسمعه من تعاليمه ورأوه من معجزاته . ولكنه أرجأ ذلك الكلام وتلك الإدانة إلى يوم الدينونة ، إذا هم تشبثوا بخطاياهم وبعدم إيمانهم ، واكتفى بأن أكّد لهم أن الكلام الذى قاله لهم حق ، لأن أباه السماوى هو واحد معه فى الجوهر ، والذى أرسله هو حق ( يوحنا ٣ : ٣٣ ) ؛ ( ٧ : ٢٨ ) وما سمعه منه هو الذى تكلم به فى

العالم (يوحنا ٣ : ٣٢) : (٨ : ٤٠) . فإن لم يصدقه العالم لأنه صدر عنه وهو في صورة ناسوته . فليصدقه لأنه صدر عن جوهر لاهوته . حيث إنه ماتكمم إلا بما سمعه من الله الآب (يوحنا ١٢ : ٤٩) : (١٥ : ١٥) الذي هو كائن معه وفيه . فما قاله الابن هو في نفس الوقت ما قاله الآب . وهذا دليل كاف على أن ما قاله هو الحق . ولكن اليهود ورؤساءهم مع ذلك ظل الظلام يغلف أرواحهم وأفكارهم ومشاعرهم ، فلم يدروا أو يدركوا أن مخلصنا إنما يكلمهم عن الآب السماوي الذي هو أبوه ، والذي هو كائن معه وفيه (يوحنا ١٤ : ١٠ و ١١) وواحد معه في الجوهر (يوحنا ١٠ : ٣٠) . فاخذ مخلصنا يزيدهم شرحاً وإيضاحاً . لأنه إنما كان ينذرهم الإنذار الأخير - قبل أن ينطلق عائداً إلى السماء - كي يتوبوا ويثوبوا إلى رشدهم ويؤمنوا به . وكان يحذرهم التحذير الأخير من نتيجة إنكارهم له وهي أن يموتوا في خطاياهم ، فلا ينعموا بالخلاص الذي جاء إلى العالم كي يُنعم به عليهم ، فيتمتعوا بالنعم في ملكوت السماوات . ومن ثم قال لهم : « حينما ترفعون ابن الإنسان تدركون عندئذ أني أنا هو ، وأنى لا أعمل شيئاً من نفسي وحدي ، وإنما أتكلّم بما علّمني أبي . إن الذي أرسلني هو معي ولم يتركني وحدي . لأنى في كل حين أعمل ما يرضيه » . أى أنهم لا يعرفون الآن حقيقة شخصية مخلصنا بوصفه المسيح ابن الله (روما ١ : ٤) الذي ينتظرون مجيئه ، ولكنهم سيعرفونها حق المعرفة حين يرفعونه على الصليب ليقتلوه (يوحنا ٣ : ١٤) : (١٢ : ٣٤) . ثم إذ يموت على الصليب ويمكث جثائه في القبر ثلاثة أيام . وبعدها يقوم . وقد عاد إلى الحياة بقوته وحده . فإن هذه المعجزات سوف توقظ ضمائر الصالحين منهم . وإذ يصارحهم تلميذه بطرس في يوم الخمسين قائلاً لهم : « فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً » سيصرخون قائلين : « ماذا نصنع ؟ » (الأعمال ٢ : ٣٦ و ٣٧) . أى ماذا يفعلون ليبرهنوا على أنهم آمنوا به . بعد أن

يكونوا قد آمنوا به بالفعل . وإذ يؤمنون بحقيقة شخصيته بصفته ابن الله فسيعرفون عندئذ الحقيقة المرتبطة بهذه الحقيقة . وهي أن أباه الذي يتحدث عنه إنما هو الله الآب الذي يعبدونه هم . وإذ أن ابن الله كائن مع أبيه السماوى فى وحدانية كاملة ، فهو لا يعمل مستقلاً عنه بإرادته وحده ( يوحنا ٨ : ١٦ ) ؛ ( ١٦ : ٣٢ ) ، وإنما يعمل كل شىء بإرادته هو وإرادة أبيه معه فى نفس الوقت لأن إرادتهما واحدة متحدة . ومشيئتهما واحدة . وقد سبق تخلصنا بيان إرادته الواحدة والآب السماوى . فقال « طعمى هو أن أعمل بمشيئة الذى أرسلنى وأنجز عمله » ( يوحنا ٤ : ٣٤ ) . وقال « لأننى لا أبتغى مشيئتي بل مشيئة الآب الذى أرسلنى » ( يوحنا ٥ : ٣٠ ) . وقال « لأنى قد نزلت من السماء لأعمل بمشيئتي . وإنما بمشيئة الذى أرسلنى » ( يوحنا ٦ : ٣٨ ) . ولئن تكلم الابن بشىء ، إنما يتكلم بلسانه هو وبلسان أبيه معه فى نفس الوقت ، لأن ما يتكلم به الابن إنما يتكلم به الآب ( يوحنا ٣ : ١١ ) إذ أن الابن هو الله الغير المنظور وقد صار منظوراً ، وهو « الكلمة » ( يوحنا ١ : ١ ) . وعلى الرغم من أن الآب قد أرسل الابن إلى العالم لينجز عمل الفداء الذى قاما معاً بتدييره لخلاص البشر من الهلاك الذى استحقوه بسبب خطاياهم ، فإن الابن لم ينفصل عندئذ عن الآب الذى أرسله ، ويصبح وحده ، وإنما هما فى ذات واحدة وكيان إلهى واحد كالشمس وضوئها ، فمذ كانت الشمس شمساً كانت مضيئة ، ونورها كائن معها وفيها ولا ينفصل عنها . ومن ثم ظل الابن يعمل بمشيئة الآب وبما يرضى الآب . لأن ما يشاؤه الابن هو فى الوقت نفسه ما يشاؤه الآب ، ولأن ما يرضى الابن هو فى الوقت نفسه ما يرضى الآب . ( يوحنا ٥ : ١٩ و ٣٠ ) .

وإذ قال تخلصنا هذا لليهود ليقنعهم بحقيقة شخصيته فى منطلق إلهى قوى قويم ، آمن به كثيرون منهم ، وقد لانت له قلوبهم ودانت له عقولهم ، مبرهنين بذلك على أنه وإن كانت الأغلبية فاسدة فاجرة وعنيدة فى التشبث بالمكر والشراً ،

فإن ثمة أقلية نقيّة وتقيّة ومستعدّة لأن تنتهج طريق البرّ والخير ( انظر يوحنا ٢ :  
 ٢٣ ) ؛ ( ٧ : ٣١ ) ؛ ( ١٠ : ٤٢ ) ؛ ( ١١ : ٤٥ ) ؛ ( ١٢ : ١١ و ٤٢ ) .  
 وهكذا كما يقول بولس الرسول « قد حصلت بقيّة حسَب اختيار النعمة » ( روما  
 [ رومية ] ١١ : ٥ ) .

٨ : ٣١ - ٣٧

وعندئذ قال مخلصنا لليهود الذين آمنوا به ، كى يوطّد إيمانهم ، ويستبعد  
 ذوى الإيمان الضعيف منهم : « إن ظلّتم متمسكين بكلامى ، فبالحقيقة تكونون  
 تلاميذى ، وتعرفون الحق ، والحق يحرككم » . أى أنه لا يكفي ممّن آمنوا به ،  
 بأن يكون إيمانهم هذا وقتياً ، أو ضعيفاً ، أو زائفاً ، أو زائلاً ، وإنما يكون إيماناً  
 دائماً ، قوياً ، حقيقياً ، ثابتاً ، بحيث يظلون متمسكين بأقواله وتعاليمه  
 ووصاياه ، متخذينها شريعة لهم ، وطبيعة لاصقة بأنفسهم ، يمارسونها كأنها  
 صفة من صفاتهم ، ولازمة من لوازم حياتهم ، لا يجيدون عنها ، ولا يصطنعون  
 المبررات لمخالفتها أو التهرب منها . لأنهم لو فعلوا ذلك يكونون بالحقيقة تلاميذه  
 ( يوحنا ٢ : ٢ ) ، الذين يتخذونه طوال حياتهم معلماً لهم منذ لحظة إيمانهم به  
 حتى لحظة موتهم ، لا ينحرفون ، ولا تملأ الكبرياء قلوبهم ، مها بلغوا من السنّ  
 أو من المنصب أو من الجاه أو من العلم أو من التجربة ، فيظنون أنهم قد بلغوا  
 الغاية التى ليس بعدها غاية ، وإنما يظلون معتبرين أنفسهم تلاميذ أصاغر بالنسبة  
 لمعلّمهم الأكبر والأوحد والأبجد . يتخذونه نبراساً لحياتهم . ويتخذون تعاليمه  
 أساساً لكلّ تصرفاتهم . لأنهم بذلك ، وبذلك وحده ، يعرفون الحق ، أى  
 يعرفون الله ، ويعرفون كل الحقائق التى تتصل بالله ، أو التى يوحى بها الله أو التى  
 يوصى بها الله ، إذ أن كل ماعدا الحقائق الإلهية باطل ووهم وضلال وظلام  
 فى ظلام . وقد قال مخلصنا لتلاميذه مؤكداً هذا المعنى : « اثبتوا فى .. فكما أن

الغصن لا يمكنه أن يأتي بشمر من ذاته وحده إن لم يثبت في الكرمة ، هكذا أنتم لا يمكنكم أن تأتوا بشمر إن لم تثبتوا فيّ . أنا الكرمة وأنتم الأغصان . فالذى يثبت فيّ وأنا فيه يأتي بشمر كثير ، لأنكم بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً . وأما الذى لا يثبت فيّ فيطرح خارجاً كالغصن ، فيجف فيجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق . إن أنتم ثبتتم فيّ وثبت كلامي فيكم فإنكم تطلبون ما تشاءون فيكون لكم . بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بشمر كثير ، فتكونوا تلاميذي ... فاثبتوا في محبتي ، إن حفظتم وصاياي ثبتتم في محبتي كما أنى أنا حفظت وصايا أبى وثبت في محبته » (يوحنا ١٥ : ٤ - ١٠) وانظر أيضا ( ٢ . يوحنا ٩ ) فإذا عرف اليهود الحق (يوحنا ١ : ١٤ و ١٧) ، فإن الحق يحررهم من كل باطل ومن كل وهم ومن كل ضلال ، ويخرجهم من الظلام إلى النور ، لأنه يعتقدهم من سلطان الشيطان عليهم ، ومن استعباد الشيطان لهم ( روما [ رومية ] ٦ : ١٤ و ١٨ و ٢٢ ) . ومن ثم يحررهم من كل ما يكبلهم به الشيطان من أغلال الشرور والآثام ، والأضاليل والأوهام ، والجور والفجور والظلم والظلام ( غلاطية ٥ : ١ و ١٣ ) ؛ ( يعقوب ١ : ٢٥ ) ؛ ( ٢ : ١٢ ) ؛ ( ١ . بطرس ٢ : ١٦ ) .

بيد أن اليهود كانوا بطبيعتهم يتصفون بالصلف والكبرياء والغرور والاستعلاء . وبالرغم من أنهم ظلوا طوال تاريخهم مستعبدين لشعوب وأمم أخرى غير شعبهم وأمتهم ، كانوا يعتقدون أنهم شعب الله المختار ( اللاويين ٢٥ : ٤٢ ) ، وأنهم إذ ينتسبون إلى إبراهيم أبى الأنبياء وخليل الله ، يكتسبون بذلك شرفاً يميزهم ويفرزهم عن سائر شعوب الأرض ( يوحنا ٨ : ٣٧ و ٣٩ ) ؛ ( متى ٩ : ٣ ) ، ومن ثم جرح قول مخلصنا « إن الحق يحررهم » ذلك الشعور بكل تلك الصفات الكامنة فيهم ، والتي تجرى في عروقهم وتمتج بدماهم . فأجابوه قائلين : « إنا ذرية إبراهيم ، ولم يستعبدنا أحد قط . فكيف تقول أنت : إنكم تصيرون أحراراً ؟ » . وإذا قالوا ذلك صحح لهم مخلصنا فكرتهم الخاطئة عن



الحرية ، وفهمهم الزائف لها . إذ أجابهم قائلاً « الحق الحق أقول لكم إن كل من يقترف الخطيئة هو عبد للخطيئة . والعبد لا يمكث في البيت إلى الأبد ، وأما الابن فيمكث إلى الأبد ، فإن حرركم الابن فبالحقيقة تصيرون أحراراً . أنا أعلم أنكم ذرية إبراهيم ولكنكم تبتغون قتلى ، لأن كلامي لا مقر له فيكم » . وبذلك أوضح لهم أنه حين كلمهم عن الحرية ، لم يكن يعنى حرية الشعب في أن يحكم نفسه . وقد كان يعلم أنهم حين يتشدقون بالحرية بهذا المعنى إنما يكذبون ويغالطون ، لأنهم لم يتمتعوا بالحرية بهذا المعنى أبداً ، وإنما كانوا منذ نشأتهم الأولى مستعبدين لشعوب أخرى من مصريين وآشوريين وبابليين ويونان ورومان وغيرهم من الشعوب الأقل من هذه قوة وسطوة . بل إنهم كانوا حتى في ذلك الوقت الذى زعموا فيه أمام فادينا أنهم لم يستعبدهم أحد قط ، كان الرومان يستعبدونهم أشنع وأبشع استعباد ، ويدوسون بأقدامهم على رقابهم ، ويسددون إلى صدورهم أسنة حراهم ، حتى أصبحوا أكثر عبودية من كل العباد في الأرض ، وأكثر مذلة من كل الأذلاء فيها . ومع ذلك لم يشأ محلصنا في سماحته وتسامحه ووداعته وتواضعه أن يكذبهم في زعمهم ، أو يضرهم على الجرح الذى يؤلمهم . وإنما اكتفى بأن شرح لهم معنى العبودية الحقيقية ، وهى العبودية للخطيئة ، قائلاً لهم إن كل من يقترف الخطيئة هو عبد للخطيئة ، ولو كان يتمتع بكل الحرّيات التى تكفلها القوانين الأرضية والشرائع الوضعية للبشر ( روما [ رومية ] ٦ : ١٦ و ١٧ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ ) : ( ٢ . بطرس ٢ : ١٩ ) . وكما أن العبد لا يقيم في بيت سيده كالابن إقامة دائمة . ولا يكون له مثل الابن نصيب في ميراث ذلك السيد ( التكوين ٢١ : ١٠ ) : ( غلاطية ٤ : ٣٠ ) : ( لوقا ١٥ : ٣١ ) ، هكذا المستعبد للخطيئة فإنه لا يقيم في ملكوت الله إلى الأبد . وأما الذى يحرره ابن الله من الخطيئة إذا آمن به وعمل بتعاليمه ووصاياه ، فإنه يتمتع بالحرية الحقيقية ( روما [ رومية ] ٨ : ٢ ) : ( ٦ : ١٤ و ١٨ و ٢٢ ) ؛

( ٢ . كورنثوس ٣ : ١٧ ) . وقيم في ملكوته ويصير بحق بنوته له وارثاً في ذلك الملكوت . لقد تفاخر اليهود بأنهم ذرية إبراهيم . وهو بالفعل شرف عظيم لم ينكره مخلصنا عليهم . لأن إبراهيم كان نبياً بل كان أبا الأنبياء جميعاً . وقد نال أعظم الرضا من الله حتى لقد أعطاه الله عهداً بأن تبارك بنسله كل قبائل الأرض ( التكوين ١٢ : ٣ ) : ( ١٨ : ١٨ ) : ( ٢٢ : ١٨ ) : ( ٢٦ : ٤ ) : ( ٢٨ : ١٤ ) : ( الأعمال ٣ : ٢٥ ) : ( غلاطية ٣ : ٨ ) . ولكن اليهود لم يعودوا يستحقون هذا الشرف بعد أن نكصوا عن مسلك إبراهيم . مسلك الخير والبرِّ والصلاح ، وانتهجوا على النقيض مسلك الشرِّ والجور والفجور . ولا أدلَّ على ذلك من أن مخلصنا نفسه جاء كي يهديهم ويفديهم ويبدل نفسه عنهم لينقذهم من الهلاك المحكوم به عليهم . فبدلاً من أن يؤمنوا به ويحبوه ، كفروا به وحاربوه . وعادوه واعتدوا عليه ، وراحوا آخر الأمر يبتغون قتله ( يوحنا ٨ : ٤٠ ) : ( ٧ : ١ ) . ولو أنهم استمعوا إلى كلامه وجعلوا له مكاناً مستقراً في قلوبهم . لَمَا فكَّروا هذا التفكير الشائن . ولا دبروا هذا التدبير الشرير . أما وقد فعلوا ذلك فإنهم لا يستحقون شرف الانتساب إلى إبراهيم البارِّ ، أو التشدُّق بأنهم ذريته أو تربطهم به أى صلة من الصلات أو علاقة من العلاقات . وقد قال القديس يوحنا المعمدان لليهود : « يا أبناء الأفاعى من أشار عليكم بالهرب من الغضب الذى سيحلُّ بكم ؟ . الأحرى بكم إذن أن تثمروا ثمرًا يليق بالتوبة . ولا يخطر لكم أن تقولوا في أنفسكم حسبتنا أن إبراهيم أبونا ، لأننى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أبناء لإبراهيم . وهاقد وضعت الفأس على أصول الشجر . فكلُّ شجرة لا تثمر ثمرًا جيداً تُقطع وتلقى في النار » ( متى ٣ : ٧ - ١٠ ) .

وواصل مخلصنا كلامه إلى اليهود الذين عادوه وعاندوه ولاسيما رؤساء الكهنة والفريسيين ، قائلاً : « أنا أتكلّم بما رأيت لدى أبي ، وأنتم تعملون بما سمعتم من أبيكم » ، أى أنه إذ يتكلّم معهم فإن كلامه لنا يعبر عن الحقائق الإلهية كما يراها هو رأى العين فى السماوات ، ويراها فى نفس الوقت أبوه السماوى الذى هو كائن معه وفيه فى وحدانية كاملة ، إذ أنها يريانهما معاً . ولما كان هو وأبوه جوهر الحق فى ذاته ، فإن ما يريانه معاً هو الحقائق الراسخة الأزلية الأبدية التى لا تقبل الرّيبة أو الشك أو المكابرة أو المهاترة التى يثيرها أعداء مخلصنا . وفى أكثر من موضع يلح - له المجد - على نفس الحقيقة . فى حديثه إلى نيقوديموس يقول له : « الحق الحق أقول لك إننا إنما نتكلّم بما نعلم ونشهد بما رأينا .. ومارآه (الابن) وما سمعه هو الذى به يشهد » (يوحنا ٣ : ١١ و ٣٢) . وفى حديثه إلى تلاميذه ردّاً على سؤال فيلبس يقول له « ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأن أبى فىّ ؟ إن الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلّم به من نفسى أنا وحدى ، وإنما الآب الكائن فىّ هو الذى يعمل أعماله . صدّقونى أتى فى أبى ، وأن أبى فىّ ... إن الكلام الذى تسمعونه ليس كلامى وإنما كلام الآب الذى أرسلنى » (يوحنا ١٤ : ١٠ و ٢٤) - انظر أيضاً (يوحنا ٥ : ١٩ و ٣٠) ؛ (٨ : ٤٢) . وأما اليهود فيعملون بما سمعوا من أيهم الذى هو الشيطان ، لأنهم أشرار والشيطان هو أبو الأشرار وهم أبناءه ، فهو الذى يوسوس لهم بما يعملون ، ويحرضهم عليه . وقد كان واضحاً كل الوضوح من قول مخلصنا أن أباهم الذى يعنيه فى ذلك القول هو الشيطان . ولكنهم على مقتضى طبيعتهم الماكرة الخبيثة المتلوية لجأوا إلى المغالطة والمناورة ، قائلين « أبونا هو إبراهيم » . فقال لهم مخلصنا : « لو كنتم أبناء إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم . ولكنكم الآن تبتغون قتلى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعته من الله ، وهذا ما لم يفعله إبراهيم . إنكم تعملون أعمال

أيكم» . وهكذا هَدَمَ فادينا - بعبارة واحدة وحجة قوية - ادعاءهم الذى يتشددون به ، ويتفاخرون به ، فى عجرفة وفى صَلف ، متمسحين بإبراهيم النبىِّ الصالح البارِّ ، قائلين إنه أبوهم ، مما يوحى بأنهم ورثوا عنه صلاحه وبرِّه . وقد كانوا فى ذلك مغالطين وكاذبين ، لأنهم لو كانوا قد ورثوا عن إبراهيم ذلك الصلاح وذلك البرِّ ، لَمَأْتَلُوهُ فى صفاته وخلالاله ، وتمثَّلُوا به فى أعماله . ( أنظر روما [ رومية ٢ : ٢٨ ] ؛ ( ٧ : ٩ ) ؛ ( غلاطية ٣ : ٧ و ٢٩ ) . ولكنهم فى نفس هذه اللحظة التى يزدھون فيها ويباهون بأنه أبوهم وبأنهم أبناؤه يرتكبون جريمة بشعة شنيعة ما كان لإبراهيم ليرتكبها ، إذ يسعون إلى قتل إنسان برىء بارِّ ( يوحنا ٧ : ١ ) ؛ ( ٨ : ٢٣ و ٤٠ ) ، لا لشيء إلا أنه كلَّمهم بالحقِّ الذى هو كلام الله الآب نفسه ( يوحنا ٨ : ٢٦ ) . وإذ كان هو بوصفه ابنه الكائن معه فى الجوهر والكائن فيه فى وحدانية كاملة ، فإن مايقوله الابن هو مايقوله الآب . ومايقوله الآب هو مايقوله الابن ، فَهَمَّا يقولانه معاً ، ويستمع كل منهما إلى الآخر فى نفس الوقت . فإن كان أولئك اليهود الضالُّون المضلُّون القاتلون المعتالون يزعمون أنهم أبناء إبراهيم ، فإنه زعم باطل . لأنَّ إبراهيم لم يكن ضالًّا ولا مضلًّا ، ولم يكن قاتلاً ولا مغتالاً ، وإنما هذه صفات الشيطان وحده ، فلم يكن إبراهيم إذن هو أباهم ( متى ٣ : ٩ ) وإن كانوا من سلالته . وإنما أبوهم هو الشيطان الذى يتبعونه ويطيعونه ، ويعملون حسب تفكيره وتدبيره ومشيئته . ولكن اليهود إذ سمعوا ذلك من مخلصنا تهادوا فى تغاييبهم ومغالطتهم ومناورتهم على الرغم من وضوح كلامه وقوة حجته ، فظأهروا بأنهم لا يفهمون أو يعلمون ذلك الذى يعنيه بأنه أبوهم . وإذ سبق أن أحبط مخلصنا ادعاءهم بأنهم أبناء إبراهيم ، لجأوا - فى دهائمهم والتوائم - إلى ادعاء آخر قائلين « إننا لم نولد من زنى وإنما لنا أب هو الله وحده » . ولم يدروا أنهم برفضهم المسيح وهو الله الظاهر فى الجسد واتباعهم الشيطان ونزواتهم قد سقطوا فى خطيئة الزنى لأنهم عبدوا إلهاً آخر هو

الشیطان وشهواتهم (التثنية ٣١ : ١٦) : (إشعيا ١ : ٢١) : (هوشع ٢ : ٤) . على أن اليهود إذ قالوا : « لنا أب هو الله وحده » قصدوا أبوة الله لهم بالمعنى العام لا بمعنى البتوة الخاصة التي نسبها المسيح له المجد إلى نفسه من حيث هو صورة الله الغير المنظور (كولوسي ١ : ١٥) . أى أن الله هو أصلهم من حيث هو الذى خلقهم وبرأهم ، وأوجدهم . وفى ذلك قال موسى النبي يوبخ شعب إسرائيل « أبهذا تكافىء الرب أيها الشعب الأحمق الذى لا حكمة له . أليس أنه هو أبوك ماللك الذى فطرك وأبدعك » (التثنية ٣٢ : ٦) . وجاء فى سفر إشعيا النبي « فانك أنت أبونا .. والآن يارب أنت أبونا . نحن الطين وأنت جابلنا ونحن جميعاً عمل يديك » (إشعيا ٦٣ : ١٦) ؛ (٦٤ : ٨) ؛ (ملاخى ١ : ٦) .

يبد أن محلّمنا بادر عندئذ كذلك إلى إحباط هذا الادعاء الذى ادّعاه اليهود بنفس الوضوح ونفس القوة قائلاً لهم « لو كان الله أباكم لأحييتموني لأننى من الله خرجت وأتيت . فأنا لم آت من نفسى وحدى ، وإنما هو الذى أرسلنى . لماذا لا تفهمون كلامى ؟ . لأنكم لا تستطيعون أن تستمعوا إلى ما أقول . إنكم أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تبتغون أن تتيموا . ذاك الذى كان منذ البدء قتالاً للناس . ولم يثبت على الحق أبداً ، لأنه ليس فيه من الحق شيء . متى تكلم فلإنما يتكلم مما عنده . لأنه كذاب وأبو الكذب . وأما أنا فلأنى أقول لكم الحق لا تؤمنون بى . من منكم يستطيع أن يثبت على خطيئة ؟ فإن كنت أقول لكم الحق ، فلماذا لا تصدقونى . من كان من الله يسمع كلام الله ، فإن كنتم لا تسمعون ، فلأنكم لستم من الله » .

وقد كان له المجد يعنى فيما قال فى منطقته الإلهى القوى القويم أنهم لو كان الله أباهم حقاً لفهموا وعلموا بناء على نبوءات أنبيائهم وبناء على مارأوه من تعاليمه ومعجزاته أنه هو ابن الله . وأنه كائن معه فى جوهر الألوهية الواحد . وأنه خرج

من الله خروج النور من الشمس ، معها وفيها منذ أن كانت الشمس شمسًا ولا ينفصل عنها ، ليجيء إلى العالم كي يتم عمل الفداء الذي دبرته العناية والرحمة الإلهية للخلاص البشر من نتيجة الشر الذي ارتكبه والذي استوجب في العدل الإلهي هلاكهم .

ويلاحظ هنا أن السيد المسيح له المجد يبين في قوله « لأنني من الله خرجت وأتيت » أنه قبل أن يولد من مريم كان مع الآب ، وأن وجوده مع الآب كان منذ الأزل ، وأنه قبل أن يظهر في العالم كان في السماء ثم نزل منها ، ومن مريم أخذ الجسد الذي ظهر به في صورة إنسان ، وإن كان هو الله الأزل ذاته ، وقد اتخذ في الزمان جسداً . فهذا هو المعنى الذي يؤكد له المجد في مواضع متفرقة من الإنجيل . ومن ذلك ( يوحنا ٣ : ١٣ و ٣١ ) : ( ٦ : ٣٣ و ٣٨ و ٤١ و ٤٢ و ٤٦ و ٥٠ و ٥١ و ٥٨ و ٦٢ ) : ( ١٣ : ٣ ) : ( ١٦ : ٢٧ و ٢٨ و ٣٠ ) : ( ١٧ : ٨ و ٢٥ ) .

ومن ثم فإن محللنا لم يأت - وهو أقنوم الابن في الطبيعة الإلهية - من نفسه وحده ، وإنما كانت مشيئته في ذلك متحدة بمشيئة الله الآب الذي أرسله كي ينجز هذه المشيئة التي يشترك فيها الله الآب مع الله الابن . وهذا هو المعنى المقصود من قوله دائماً إن « الآب أرسلني » ، ليؤكد أنه لم ينفرد في مجيئه بمشيئته وحده دون مشيئة الآب ، وبهذا يبنى انفصاله عن الآب ، فهو معه ، وهو من طبيعته وجوهره . فمشيئة الابن هي مشيئة الآب . لأن الآب والابن هما معاً واحد ( يوحنا ١٠ : ٣٠ ) ، أي أنهما خاصيتان في ذات إلهية واحدة ، أقنومان في جوهر واحد . فالله لا ينقسم في طبيعته ، كما لا ينقسم في مشيئته ( انظر يوحنا ٣ : ١٧ و ٣٤ ) ؛ ( ٥ : ٣٦ و ٣٨ و ٤٣ ) ؛ ( ٦ : ٢٩ و ٣٨ و ٥٧ ) ؛ ( ٧ : ٢٨ و ٢٩ ) ؛ ( ١٠ : ٣٦ ) ؛ ( ١١ : ٤٢ ) ؛ ( ١٧ : ٨ و ١٨ و ٢١ و ٢٣ و ٢٥ ) ؛ ( ٢٠ : ٢١ ) .

ولكن اليهود لم يستطيعوا - بعقلهم الجسدى المادى الجامد المحدود - أن يفهموا كلام فادينا (يوحنا ٧ : ١٧) أو يسمعوا له بالطاعة والإذعان (يوحنا ٥ : ٢٥) ، لأنهم لم يكونوا ممثلين بروح القدس الذى هو روح الله ، والذى لا يمكن لأى إنسان بدونه أن يفهم العقيدة المسيحية أو يقتنع بها أو يصل لأن يدرك مغزاها ومرماها ، لأنه « لا يستطيع أحد أن يقول : يسوع رب ، إلا بروح القدس » (١ . كورنثوس ١٢ : ٣) وإنما كان اليهود قد امتلأوا بروح الشيطان وهو إبليس الذى كان رئيساً من رؤساء ملائكة الله (يهوذا : ٦) . ولكنه ملأته الكبرياء حتى تمرد على الله واعتقد أنه قادر على أن يفرض سيادته على العالم من دونه . ومن ثم غضب الله عليه وحرمه من كل ما كان قد منحه إياه من قدرات وسلطات ، وأسقطه من مكانه ومكانته ، وأودعه فى أسفل سافلين ليحاسبه فى يوم الدينونة على تمرده وبحكم عليه بالجزاء الذى يستحقه فى العدل الإلهى ، وهو الهلاك الأبدي (٢ . بطرس ٢ : ٤) الذى يستحقه الجاحدون والمعاندون والمتمردون على الله ، وهو جهنم (متى ٢٥ : ٤١) التى يصطلى بنارها كل الجاحدين والمعاندين له والمتمردون عليه . فكل الذين استولى عليهم إبليس وسيطر على إرادتهم لا يعملون بمشيئة الله الذى هو أبو المؤمنين به والخاضعين له . وإنما يعملون بمشيئة أبيهم الحقيقى الذى هو إبليس (متى ١٣ : ٣٨ و٣٩) ، ذلك الذى كان منذ سقوطه (١ . يوحنا ٣ : ٨) وغضب الله عليه قد امتلأ بالغيرة من الناس أبناء الله بالحقد عليهم (الرؤيا ١٢ : ١٠) ، فعمل بكل قواه منذ أن خلقهم الله على اجتذابهم إليه ليقتلهم (٢ . تيموثيوس ٢ : ٢٦) ، (التكوين ٣ : ٤) ويقضى على كل فضيلة فيهم ، ويسوقهم إلى سبيل الضلال عن طريق الله الذى هو الحق المطلق ، لأنه حاد عن الحق منذ أن تمرد على الله فلم يعد له فى الحق شئ ، وإنما انتهج سبيل الضلال والكذب ، لأنه السبيل الوحيد الذى يستطيع أن ينتهجه منذ أن حاد عن طريق الله الذى هو طريق الهداية الكامل والصدق

الذى لا تشوبه شائبة من الكذب على الإطلاق ( ١ . يوحنا ٢ : ٤ ) . فلن تكلم ذلك الشيطان بالكذب إنه يتكلم بما يتصف به ، لأنه أصبح بطبعته بعد أن تمرد على الله كذاباً لا يستطيع أن يعيش إلا بالكذب . وبالتالي أصبح أبا للكذب ومصدراً له وأكثر المخلوقات قدرة عليه وأقدرها على أن يوحى به إلى الناس ويفرهم به ويدعوهم إليه . وقد فعل ذلك مع الفاسدين المفسدين من اليهود فأصبح أباً لهم من دون الله ( متى ١٢ : ٣٤ ) . ومن ثم لم يعد أبوهم هو إبراهيم . ولم يعد أبوهم هو الله إله إبراهيم ، وإنما أصبح أبوهم هو إبليس ، ذلك الذى يوسوس فى صدور الناس . وقد اعتادوا أن يرددوا ما يوحى إليهم من الأكاذيب والأضاليل والأباطيل . فلم يعودوا قادرين على أن يؤمنوا بالحق ( يوحنا ١٨ : ٣٧ ) الذى جاءهم به مخلصنا ابن الله ، مع أنه كان باراً بريئاً من كل خطيئة ( متى ٢٧ : ٤ ) ؛ ( ٢ . كورنثوس ٥ : ٢١ ) . صادقاً لا تشوب أى قول من أقواله أو أى عمل من أعماله أية شائبة من خطأ أو خطيئة أو شهوة من شهوات الناس أو شر من شرورهم «إنه لم يخطئ» ( ١ . بطرس ٢ : ٢٢ ) ؛ ( العبرانيين ٤ : ١٥ ) ؛ ( ١ . يوحنا ٣ : ٥ ) وإنما كان طاهرًا باراً و قدوساً ( العبرانيين ٧ : ٢٦ ) . صالحاً صادقاً ( متى ٢٢ : ١٦ ) . ( مرقس ١٢ : ١٤ ) كريماً حليماً ، وادعاً وديعاً متوضعاً ( متى ١١ : ٢٩ ) سمحاً متسامحاً . وقد تحداهم مخلصنا أن يستطيع واحد منهم أن يثبت عليه خطيئة ارتكبها أو ذنباً جناه ( متى ٢٧ : ١٩ و ٢٣ ) ؛ ( لوقا ٢٣ : ٤١ ) . لأنه كان يعلم وكانوا كلهم يعلمون أنه وإن كان قد عاش بين الناس كواحد منهم ( العبرانيين ٢ : ١٤ ) ، وأنه شابههم فى كل شىء يتصف به الناس ( العبرانيين ٢ : ١٧ ) ؛ ( فيلبي ٢ : ٧ ) إلا شيئاً واحداً هو أنه كان يتصف بالكمال المطلق فى كل أقواله وأعماله وأفكاره ومشاعره ، وانفعالاته وتصرفاته . فإن كانت هذه حالة ، وهذه أقواله وأعماله ، وهذا مدى صدقه فيما يقول وإخلاصه فيما يعمل ، فلماذا لا يصدقونه وهو يردد



على مسامعهم كلماته التي هي في نفس الوقت كلمات الله ذاته ؟ أليس هذا دليلاً على أنهم لا يعرفون الله ، لانهم لو كانوا يعرفونه لاستمعوا إلى كلامه ( يوحنا ١٠ : ٢٦ و ٢٧ ) فكيف إذن يزعمون أنهم أبناء الله . وهم لا يعرفونه ؟ ( ١ . يوحنا ٤ : ٦ ) .

٨ : ٤٨ - ٥٠

وقد كان هذا منطقياً قوياً دحض به مخلصنا مزاعم اليهود ( يوحنا ١ : ١٩ ) ، وهدم الركيزة التي يرتكزون عليها في غرورهم وعجرفتهم وصلفهم واستخفافهم به وتظاولهم عليه ، ولكنهم مع ذلك تبادوا في سفاهتهم وتفاهتهم ولم يجدوا غير الشتائم يوجهونها إليه ، شأن كل مهزوم ضعيف الحجة ، قائلين له : « ألم نكن على صواب إذ قلنا إنك سامري وبك شيطان ؟ » . وقد كانت هذه العبارة البذيئة تتضمن إهانتين تنطويان على كل ما يبغض قلوب رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين من حقد على مخلصنا وكراهية له وتحامل حقير وشرير عليه ، إذ كان وصفهم له بأنه سامري يعد شتيمة لدى المتعصبين من اليهود ( ٢ . الملوك ١٧ : ٢٤ - ٤١ ) الذين كانوا يحتقرون السامريين ( متى ١٠ : ٥ ) ؛ ( لوقا ١٧ : ١٥ - ١٨ ) ويزدرونهم ويتهمونهم بأنهم كفرة خارجون على الدين اليهودي ( لوقا ٩ : ٥٢ - ٥٦ ) ، وأنهم ملعونون من الله ومصيرهم جهنم وبئس المصير ( يوحنا ٤ : ٩ ) . وأما اتهامهم لمخلصنا بأن به شيطاناً فكان ينطوي على إهانة أحقر وأكثر شراً ، لأنهم إنما قصدوا بها أن يصموه بأنه مجنون ذاهب العقل ، أو بأنه قد استولى عليه الشيطان ، فهو لا يصنع كل المعجزات التي يصنعها إلا بواسطةه وبقدرته الشيطانية ، وليس بما لمخلصنا من قدرة ذاتية إلهية تدل على أنه هو ابن الله وأنه هو الله ذاته . وأنه هو المسيح الذي كان اليهود ينتظرونه بناء على نبوءات أنبيائهم التي تتضمن ما سيصنعه المسيح المنتظر حين يحيى من آيات

ومعجزات . ولقد تكرر هذا الاتهام وهذه الشتيمة لمخلصنا وفادينا من جانب اليهود عدداً من المرات ، إذ ورد مثلاً في الإنجيل : « أجاب الجمع وقالوا إن بك شيطاناً . من الذى يسعى إلى قتلك ؟ » ( يوحنا ٧ : ٢٠ ) .. « فقال كثيرون منهم : إن به شيطاناً وقد اختل عقله ، فلماذا تستمعون إليه ؟ » ( يوحنا ١٠ : ٢٠ ) - وانظر ايضا ( يوحنا ٨ : ٥٢ ) . وقال لمخلصنا له المجد يروى بشاعة هذا الاتهام المؤلم « يكفى التلميذ أن يكون كعالمه والخادم كسيده ، فإن كان رب البيت قد لقبوه ببعل زبول . فكيف بالأحرى يلقَّبون أهل بيته ؟ » ( متى ١٠ : ٢٥ ) . بل إن بعض اليهود اتهموه بأنه ببعل زبول رئيس الشياطين يُخرج الشياطين ، إذ جاء في الإنجيل « أمّا الكتبة الذين من أورشليم فقالوا إن معه بعل زبول وإنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين » ( مرقس ٣ : ٢٢ ) ؛ ( متى ٩ : ٣٤ ) : ( ١٢ : ٢٤ ) : ( لوقا ١١ : ١٥ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ ) . على أن هؤلاء الأشرار قالوا أيضاً عن يوحنا المعمدان نفس ما قالوه عن مخلصنا إذ قال مخلصنا « بمن أشبه هذا الجيل ؟ إنه يشبه صبية جالسين فى الأسواق ... فقد جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فقالوا : إنَّ به شيطاناً » ( متى ١١ : ١٦ - ١٨ ) .

وعلى الرغم مما كان يتضمنه قول أولئك الأشرار من شتائم وإهانات لمخلصنا فإنه بكماله الإلهى لم يغضب ولم يردَّ على شتائمهم بشتائم أو على إهاناتهم بإهانات ، وإنما أجابهم كعادته فى وداعة وسماحة وتسامح قائلاً لهم : « أنا ليس بى شيطان ، ولكننى أكرِّم أبى وأنتم تهينونى . إننى لا أطلب المجد نفسى . فثمَّة من يطلب ويدين » . فكل ما كان يهدف إليه هو أن يبنى الاتهام عن نفسه ويعمل على أن يُقنع بالحقيقة أولئك الضالِّين المضلِّين ، المعادين المعتدين القاتلين . ومن ثمَّ تجاوز عن شتيمتهم له بأنه سامرى ، لأنه كان يعلم أنهم يعرفون فى قرارة أنفسهم أنه ليس سامرياً ، وأنهم إذ يصفونه بهذا الوصف ليسوا إلا كاذبين وسغالطين ومفترين . ثمَّ أكَّد لهم أنه ليس به شيطان يذهب بعقله

أو يصنع المعجزات بواسطته ، وإنما هو بهذه المعجزات إنما يبرهن على قدرة أبيه السماوى وقدرته هو باعتباره ابنه وكائن معه فى وحدانية الذات الإلهية ( انظر متى ١٢ : ٢٥ - ٢٩ ) ؛ ( مرقس ٣ : ٢٣ - ٢٧ ) ؛ ( لوقا ١١ : ١٧ - ٢٢ ) . فهو بذلك إنما يمجّد أباه السماوى وهو الله الذى يعبدونه ويزعمون فى كبرياء وصلف أنهم أبناؤه . ومع ذلك فإنهم لا يقابلون هذا التمجيد وهذا التكريم منه لله الآب السماوى إلا بأن يشتموه ويهينوه ، مع أنه إذ يمجّد الله الآب ويكرمه لا يطلب مجداً لنفسه لدى الناس ولا تكريماً منهم ( يوحنا ٥ : ٤١ ) ؛ ( ٧ : ١٨ ) ، وإنما كل ما يطلبه هو أن يؤمنوا به ويصدقوه فى كل ما يقول ويعمل ، لا لمصلحته هو ، وإنما لمصلحتهم هم الذين ماجاء إلى العالم لإلفيديهم كى يغفر الله خطاياهم ويعفيهم من حكم الموت والهلاك الذى أصدرته عدالته الإلهية عليهم بسبب شرورهم وآثامهم . بل إن محلّصنا لم يطلب حتى أن يعاقب أولئك الأشرار وينتقم منهم جزاء ماوجّهوه إليه من شتائم وإهانات ، وما أضمره له من اعتداءات بلغت حدّ التآمر عليه بالقتل . فإنه ماجاء إلى العالم فى هذه المرة ليدين أحداً ( يوحنا ٣ : ١٧ ) . وإنما أرجأ الدينونة إلى اليوم المحدّد لذلك فى التدبير الإلهى ، عسى أن تستيقظ ضمائر أولئك الخطاة الأشرار قبل موتهم ، فتؤنّبهم على ما ارتكبوا من خطايا وشرور ، وتفتح أمامهم باب الندم والتوبة ، فتشملهم رحمة الله التى تتسع لكلّ نادم وتائب ، مها كانت جسامه خطاياهم وشروره .

٨ : ٥١ - ٥٩

ثم قال فاديننا لليهود « الحقّ الحقّ أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت أبداً » . وقد كان له المجد يعنى بهذا القول أن الذى يؤمن به ويعمل بوصاياهم سيستمتع بالحياة الأبدية فى السماء ، فهو - وإن مات فى هذه الدنيا -

لن تفتى روحه الفناء الأبدى الذى هو مصير أرواح الذين لا يؤمنون بمخلصنا  
والذين لا يعملون بوصاياه .

وفضلاً عن ذلك فإن من يسمع كلام ابن الله ويطيعه ويعمل به ، فسوف  
يحيا بالروح ولن يغلبه الموت ، موت الخطيئة ، بل إن كان ميتاً بالخطيئة فإنه  
بسماعه كلام ابن الله وبالعمل به يتوب . والتوبة فى حياة الإنسان يقول عنها  
الإنجيل « هذه هى القيامة الأولى . مبارك ومقدّس من له نصيب فى القيامة  
الأولى . هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم » ( الرؤيا ٢٠ : ٥ و ٦ ) .  
والموت الثانى هو الهلاك الأبدى فى جهنم النار الأبدية ( الرؤيا ٢٠ : ١٤ )  
يقول سيدنا يسوع المسيح له المجد عن القيامة الأولى ، وهى التوبة من الخطيئة :  
« الحقّ الحقّ أقول لكم إن مَنْ يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى له الحياة  
الأبدية . ولن يأتى إلى دينونة ، وإنما يتقل من الموت إلى الحياة . الحقّ الحقّ  
أقول لكم إنَّ نَمَّةَ ساعة تأتى ، وقد أتت الآن يسمع فيها الموتى صوت ابن الله ،  
والذين يسمعون يعيون » ( يوحنا ٥ : ٢٤ و ٢٥ ) . وقال أيضاً لمرثا أخت لعازر  
« أنا هو القيامة والحياة . من آمن بى وإن مات فسيحيا . وكلّ مَنْ كان حياً وآمنَ  
بى فلن يموت إلى الأبد » ( يوحنا ١١ : ٢٦ ) .

ولكن اليهود بغباء عقولهم وعمى قلوبهم ، فهموا هذا القول فهماً سطحياً  
جسدياً دنيوياً ، وكانوا عاجزين عن أن يتساموا إلى معناه العميق الروحي  
الساوى ، فتمادوا فى التناول على مخلصنا وإهانتة قائلين له : « قد علمنا الآن أن  
بك شيطاناً . فقد مات إبراهيم والأنبياء ، وأنت تقول إن كان أحد يحفظ كلامى  
فلن يذوق الموت أبداً . أفأنت أعظم من أيننا إبراهيم الذى مات ، والأنبياء  
الذين ماتوا أيضاً ؟ مَنْ عَسَاك تجعل نفسك ؟ » . أى أنه بذلك القول الذى قاله  
لهم قد أعطاهم الدليل على صدق اتهامهم له بأن به شيطاناً ، أى أنه محتلّ العقل  
يهذى وينطق بما لا يدرى . لأنّ أى عاقل - فى تفكيرهم - يصدّق أنّ إنساناً

لا يموت ، في حين أن إبراهيم أبا آبائهم وأول كل أنبيائهم قدم مات . كما مات كل هؤلاء الأنبياء وهم أعظم عظامهم . فكيف يقول مخلصنا أن من يحفظ كلامه فلن يرى الموت أبداً ؟ . ولقد برهن أولئك اليهود الجهلاء الأغبياء المظلوم العقول والقلوب على أنهم - على الرغم من كل مارأوا من معجزات مخلصنا الإلهية وماسمعوا من تعاليمه السماوية - لم يُدركوا حقيقة شخصيته ، باعتباره المسيح ابن الله الذي كانوا يتظرونه ، والذي سبق لكل أنبيائهم أن وصفوا بروح النبوة كل أقواله وأعماله ، وأوردوا كل أحداث حياته منذ ولادته من عذراء بحلول روح القدس عليها إلى موته على الصليب ، وقيامته من بين الأموات ، وصعوده إلى السماء . ولذلك عبروه في استهجان واستخفاف بأنه يزعم أنه أعظم من إبراهيم ( يوحنا ٤ : ١٢ ) ، وأعظم من كل الأنبياء . ولو أدركوا حقيقة شخصيته لعلموا أنه بالفعل أعظم منهم جميعاً ( لوقا ١١ : ٣١ و ٣٢ ) ؛ ( متى ١٢ : ٤١ و ٤٢ ) ، لأنه ربهم وإلههم . ومن ثم أجابهم مخلصنا قائلاً لهم « إن كنت أنا وحدي امجد نفسي فليس مجدى شيئاً ، وإنما هنالك أيضاً أبى هو الذى يمجدنى . ذلك الذى تقولون أنتم إنه إلهنا ، وأنتم لا تعرفونه . أما أنا فأعرفه . وإن قلت إننى لا أعرفه أكون مثلكم كاذباً ، ولكننى أعرفه وأحفظ كلامه . لقد تهلل إبراهيم أبوكم مشتبهاً أن يرى يومى ، وقد رأى وفرح » .

ومن ذلك نرى أن مخلصنا لكى يقنع اليهود بمنطقهم الإنسانى الذى لا يقبل شهادة أحد لنفسه ، تنازل هو عن شهادته لنفسه مع أن شهادته حق ( يوحنا ٨ : ١٤ ) ؛ ( الرؤيا ١ : ٥ ) ؛ ( ٣ : ١٤ ) ، لأنه الإله الحق . واستند إلى شهادة أبيه السماوى ( يوحنا ٥ : ٣٧ ) ؛ ( ٨ : ١٨ ) الذى هو كائن معه وفيه فى وحدانية كاملة ، والذي سبق أن شهد له ( يوحنا ١٣ : ٣٢ ) ؛ ( ١٢ : ٢٣ ) ؛ ( ١٦ : ١٤ ) ؛ ( ١٧ : ١ ) ؛ ( الأعمال ٣ : ١٣ ) . ومجده بصوت مسموع حين اعتمد من يوحنا المعمدان ، إذ قال : « هذا هو ابنى الحبيب الذى

به سررت» (متى ٣ : ١٧) ؛ (مرقس ١ : ١١) ؛ (لوقا ٣ : ٢٢) . وحين تجلّى على الجبل أمام تلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنا ، إذ قال ايضاً : « هذا هو ابني الحبيب الذى به سررت . له اسمعوا » (متى ١٧ : ٥) ؛ (مرقس ٩ : ٧) ؛ (لوقا ٩ : ٣٥) .

وقد وبّخ مخلصنا اليهود قائلاً إنهم يزعمون كاذبين أنهم يعرفون الله الذى هو أبوه ، فى حين أنهم لا يعرفونه (يوحنا ٧ : ٢٨) ؛ (١٧ : ٢٥) ؛ (١٥ : ٢١) . لأنهم لو كانوا يعرفونه لعملوا بوصاياهم وأطاعوه . فهم إذ تنكروا له أنكروه ، وإذ تجاهلوا تعاليمه جهلوه . وأما مخلصنا فيعرفه حق المعرفة (يوحنا ٧ : ٢٩) ؛ (١٧ : ٢٥) لأنه أبوه ولأنه منه (يوحنا ٧ : ٢٩) وكائن معه ومع الروح القدس ، لأنهم معاً إله واحد . فهو يعرفه معرفته نفسه . « ولا أحد يعرف الآب إلا الابن » (متى ١١ : ٢٧) ؛ (لوقا ١٠ : ٢٢) ؛ (يوحنا ١٠ : ١٥) . وهذه حقيقة لو أنه أنكرها وقال إنه لا يعرف الله أباه لكان مثل اليهود يقترف رذيلة الكذب فى حين أنه مَنزّه عن كل رذيلة ، كامل كمالاً مطلقاً . فهو يعرفه ، ويعمل فى حياته الناسوتية على مقتضى تعاليمه ووصاياهم . كما أنه فى كيانه اللاهوتى كذلك يعمل على مقتضى تلك التعاليم والوصايا ذاتها ، لأنها كما انها تعاليم ووصايا الله الآب ، هى فى الوقت ذاته تعاليم ووصايا الله الابن ، الذى هو مخلصنا له المجد . ولئن كان اليهود يفاخرون بأن إبراهيم هو جدّهم الأول والأعظم . فإن إبراهيم نفسه قد اشتبهى بروح النبوة أن يرى اليوم الذى يجىء فيه إلى العالم المسيح ابن الله مخلص العالم (متى ١٣ : ١٧) ؛ (لوقا ١٠ : ٢٤) ؛ (العبرانيين ١١ : ١٣) . وقد تحقّق له ذلك بالفعل ؛ إذ رأى ذلك اليوم وفرح ، لأنه يوم الخلاص للبشر جميعاً منذ عهد أبيهم الأول آدم إلى عهد إبراهيم نفسه وذريته من بعده حتى مجىء مخلصنا وتقديم نفسه ذبيحة على الصليب لتحقيق ذلك الخلاص . ولقد كمل الفرح بإتمام الخلاص وعمل

الفداء ، ونزول المسيح إلى الجحيم ، وهو العالم السفلي ، ليبشّر الأرواح المحبوسة فيه ( ١ . بطرس ٣ : ١٩ ) . وهذا هو السبب في أن يوم السبت الكبير السابق على عيد القيامة يسمى في المصطلح الكنسي « سبت الفرح » لأن الأرواح فرحت بالخلاص الذي حقّقه المسيح بموته ، وإذ تمّ نزل فبشرهم به ونقلهم إلى الفردوس . ولكن اليهود يجهلهم أيضاً وغباوتهم فهموا ذلك القول من مخلصنا فهماً حرفياً سطحياً كأنما يعني أن إبراهيم قد رأى في أثناء حياته على الأرض يوم مجيئ مخلصنا ، وبالتالي أن مخلصنا قد رأى إبراهيم ومن ثمّ قالوا له في سخريّة واستخفاف وتكذيب : « إنك لم تبلغ الخمسين بعد ، أفرايت إبراهيم ؟ » .

ويدلّ على ما يميلأ قلوبهم من حقد وضغينه أنهم لم يبينوا حتى حقيقة سن مخلصنا الذي لم يكن قد تجاوز الثالثة والثلاثين من عمره في ذلك الحين ، فظنوا أنه في نحو الخمسين ولعلّ مرجع ذلك إلى هبة معلّما التي تجعله يبدو أكبر من السن الحقيقية له في ناسوته ، ومن ثمّ قالوا له : « إنك لم تبلغ الخمسين بعد . أفرايت إبراهيم ؟ » .

وحينئذ كشف لهم النقاب عن حقيقة شخصيته الإلهية . إذ قال لهم : « الحقّ الحقّ أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » ، أى أنه أزلّى ( يوحنا ١ : ١ ) ؛ ( ١٧ : ٥ ) ، وهذه صفة الله وحده ( الخروج ٣ : ١٤ ) ؛ ( إشعيا ٤٣ : ١٠ و ١١ و ١٣ ) وقد عدّوا ذلك تجديفاً على الله يستحق عنه الموت حسب شريعتهم ، فرفعوا حجارة ليرجموه ( يوحنا ١٠ : ٣١ - ٣٣ ) ؛ ( ١١ : ٨ ) .

وأما هو فإذا كانت الساعة المحدّدة في التدبير الإلهي لموته على الصليب لم تأت بعد ، توارى عنهم محتفياً عن أنظارهم بطريقة معجزية ، وعبر مجتازاً في وسطهم دون أن يروه ، وخرج من الهيكل . وهكذا مضى دون أن يستطيع أحد أن يمسه بسوء . وفي هذا سلطان لاهوته أن يتوارى عن الناس فلا يرونه . وكثيراً ما فعل ذلك . ومن ذلك ما فعله مع تلميذى عمّاوس بعد قيامته المجيدة إذ اختفى عنها ( لوقا ٢٤ : ٣١ ) . غير أنه حدث منه ذلك كذلك قبل

قيامته ، عندما غضب منه اليهود « وقاموا وراحوا يدفعون به إلى خارج المدينة حتى جاءوا به إلى قمة الجبل الذي كانت مدينتهم مقامة عليه كي يطرحوه من هناك إلى أسفل ، ولكنه مرّ في وسطهم ومضى » ( لوقا ٤ : ٢٨ - ٣٠ ) . وفي مرّة أخرى « أرادوا أن يمسكوه ولكنه خرج من أيديهم » ( يوحنا ١٠ : ٣٩ ) . وانظر كذلك ( يوحنا ٧ : ٣٠ و ٣٢ و ٤٢ ) ؛ ( ١٢ : ٣٦ ) .





## الفصل التاسع

٧-١ : ٩

بعد ذلك صنع مخلصنا واحدة من أعظم وأعجب معجزاته ، وهي معجزة إعادة البصر إلى رجل كان أعمى منذ ولادته .

وقد صنع مخلصنا كل المعجزات التي صنعها رحمةً بالناس وإشفاقاً عليهم وحناناً نحوهم وإثباتاً لقدرته الإلهية ، ليؤمنوا بأنه هو المسيح ابن الله الذي تنبأ الأنبياء بأنه سيجيء إلى العالم لخلاص البشر . ومن ذلك أنه أقام ابن أرملة ناين من الموت رحمة بأمه البائسة ( لوقا ٧ : ١١ - ١٧ ) . وأقام ابنة رئيس المجمع كذلك من الموت استجابة لضراعة أبيها الحزين ( لوقا ٨ : ٤٠ - ٤٢ و ٤٩ - ٥٦ ) ؛ ( متى ٩ : ١٨ - ٢٦ ) ؛ ( مرقس ٥ : ٢٢ - ٤٣ ) . وشفى ذا اليد اليابسة والمرأة المنحنية دون أن يطلب إليه أحدهما ذلك ، رحمة بهما ( مرقس ٣ : ١ - ٦ ) ؛ ( متى ١٢ : ٩ - ١٤ ) ؛ ( لوقا ٦ : ٦ - ١١ ) ؛ ( لوقا ١٣ : ١١ - ١٧ ) . وقد حوّل الماء إلى خمر في عُرس قانا الجليل استجابة لرغبة أمه وتلبية لشفاعتها وإنقاذاً للعريس من الحرج ، وإسهاماً مع الحاضرين في بهجة تلك المناسبة الاجتماعية المباركة السعيدة ( يوحنا ٢ : ١ - ١١ ) ، وأطعم جموع المستمعين إليه رحمةً بهم وإشفاقاً عليهم من أن ينصرفوا جائعين بعد أن لازموه ساعات طويلة . بل أياماً متوالية ( مرقس ٦ : ٣٠ - ٤٤ ) ؛ ( متى ١٤ : ١٣ - ٢١ ) ؛ ( لوقا ٩ : ١٠ - ١٧ ) ؛ ( يوحنا ٦ : ٥ - ١٣ ) ؛ ( مرقس ٨ : ١ - ٩ ) ؛ ( متى ١٥ : ٣٢ - ٣٩ ) . بيد أن مخلصنا كان يرفض في بعض

الأحيان أن يصنع معجزة لإنسان ، إلا إذا كان ذلك الإنسان مؤمناً بأنه قادر على أن يصنع له تلك المعجزة ، مبرهنًا بذلك على أن قلبه تربة خصبة صالحة لكي يبذر فيها السيد المسيح بذاره ، ويحني منها ثماره . أما الإنسان الذي يغلق قلبه ويوصده رافضاً الإيمان غير مستعد لقبوله ، فإنه يبرهن بذلك على أن ذلك القلب المغلق الموصل الذي يحمله بين جنبيه هو أرض صلبة صخرية ، لا جدوى من بذر البذار فيها ، ولا أمل في جنى الثمار منها . فالأجددر لها أن تظل هكذا جرداء خربة مجذبة . ومن ثمَّ فإنَّ مخلصنا كان كثيرًا ما يصرِّح بأنه إنما صنع المعجزة تشجيعاً لإيمان الطالب لها والمحتاج إليها : فقد قال عن إيمان قائد المائة الروماني الذي تَوَسَّل إليه أن يشفي غلامه : « إني لم أجد لدى أحد في إسرائيل إيماناً بهذا القدر » ، ثم قال له : « اذهب وعلى حسب إيمانك فليكن لك » ، فَشُفي غلامه (متى ٨ : ١٠ - ١٣) ؛ (لوقا ٧ : ١ - ١٠) . وقال للمرأة الكنعانية التي تَوَسَّلَت إليه أن يشفي ابنتها : « أيتها المرأة عظيم هو إيمانك . فليكن لك ماتريدين » ، فَشُفِيَت ابنتها (متى ١٥ : ٢٨) ؛ (مرقس ٧ : ٢٤ - ٣٠) . وقال للأعمى الذي طَلَب منه الشفاء في أريحا : « إِنَّ إيمانك قد خلَّصك » (لوقا ١٨ : ٤٢) ؛ (متى ٢٠ : ٢٩ - ٣٤) ؛ (مرقس ١٠ : ٤٦ - ٥٢) . وقال للأعميين اللذين تبعاه إلى البيت وهما يلدحان في طلب الشفاء : « أتؤمنان بأني قادر أن أفعل هذا ؟ فقالا له : نَعَمْ يارب » فشفاهما (متى ٩ : ٢٨ و ٢٩) .

وحيث جاء إليه قوم بالرَّجُل المفلوج ، لم يستطيعوا الدخول بسبب الزحام فنقبوا السقف وأنزلوه منه مع فراشه أمام السيد المسيح ، ومن ثمَّ جاء في الإنجيل للقديس متى : « فلَمَّا رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج : اطمئن يا بُنَيَّ ، مغفورة لك خطاياك » ، ثم قال له : « قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك » (متى ٩ : ١ - ٦) ؛ (مرقس ٢ : ٣ - ١٢) ؛ (لوقا ٥ : ١٨ - ٢٦) . أما الذين اهتَرَّ إيمانهم بسبب هول الفاجعة التي أصابتهم ، فكان مخلصنا يأخذ بأيديهم في رفق

وحنان ليطمئنهم مؤكداً لهم أن الإيمان بقدرته على إنقاذهم هو الذى يؤدى إلى نجاحهم من فاجعتهم ، فقال لرئيس المجمع الذى سمع بموت ابنته « لاتخف ، وإنما آمن فقط » ، ثم أعاد إلى ابنته الحياة (مرقس ٥ : ٣٦) ؛ (لوقا ٨ : ٥٠) ؛ (متى ٩ : ١٨ - ٢٦) . وقال لمرثا أخت لعازر حين رآها يائسة من قيامة أخيها بعد أن مكثت جثته فى القبر أربعة أيام : « إن آمنتِ ترين مجد الله » ، ثم أعاد الحياة إلى أخيها (يوحنا ١١ : ٤٠) . وأما الذين اهتروا بإيمانهم بغير مبرر فقد وبَّحَنهم السيد المسيح : ومن ذلك أنه حين استولى الذعر على تلاميذه بسبب العاصفة التى هبَّت عليهم وهُم معه فى السفينة قال لهم : « لماذا أنتم خائفون يا قليلي الإيمان ؟ » ، ثم أوقف العاصفة (متى ٨ : ٢٦) ؛ (مرقس ٤ : ٤٠) ؛ (لوقا ٨ : ٢٥) . وحين جاء مخلصنا إلى تلاميذه ماشياً على ماء البحر وطلب إليه بطرس أن يذهب إليه هو أيضاً ماشياً على الماء ، لم يلبث أن خاف وكاد أن يغرق ، فقال له مخلصنا : « يا قليل الإيمان ، لماذا شككت ؟ » (متى ١٤ : ٣١) . وكان مخلصنا يؤكد فى تعاليمه أهمية الإيمان وقوة أثره ، فكان يقول : « إن كنتَ تستطيع أن تؤمن ، فكل شىء مستطاع للمؤمن » (مرقس ٩ : ٢٣) . ويقول : « إنَّ من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر بدون أن يخامرهُ الشك فى قلبه ، بل يؤمن بأن مايقوله سيكون ، فإنه يتم له مايقول » (مرقس ١١ : ٢٣) ؛ (متى ٢١ : ٢١) . بل إنه يقول إن « الذى يؤمن بى ، فالأعمال التى أعملها يعملها هو أيضاً بل ويعمل أعظم منها » (يوحنا ١٤ : ١٢) . أما غير المؤمنين فكان مخلصنا يندد بهم ويرفض أن يصنع أى معجزة لهم . إذ جاء فى إنجيل متى أنه « حين جاء إلى وطنه كان يعلمهم فى مجامعهم حتى بهتوا وقالوا من أين له هذه الحكمة وهذه القدرات ؟ أليس هذا هو ابن النجار ؟ . . . فكانوا مرتابين فى أمره . أما يسوع فقال لهم : لا نبيّ بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته ، ولم يصنع هناك معجزات كثيرة بسبب عدم

إيمانهم» (متى ١٣ : ٥٤ - ٥٨) ؛ (مرقس ٦ : ١ - ٦) . وكذلك : « جاء  
الفريسيون والصدوقيون وطلبوا إليه كى يجربوه أن يريهم آية من السماء فأجاب  
وقال لهم : إذا كان المساء تقولون سيكون الجو صحواً لأن السماء حمرة ، وفي  
الصباح تقولون سيكون الجو مطيراً اليوم لأن السماء حمرة ومكفهرة ، يامراءون  
أنتستطيعون أن تبيينوا وجه السماء ، وأما علامات الأزمنة فلا تستطيعون أن  
تبيينوها ؟. إنه لجليل شرير وفاسق يطلب آية فلا يُعطى إلا آية يونان النبي ، ثم  
تركهم ومضى » (متى ١٦ : ١ - ٤) ؛ (مرقس ٨ : ١١ - ١٣) . وقد قصد  
بآية يونان النبى معجزة قيامته بعد أن يمكث فى القبر ثلاثة أيام ، كما خرج يونان  
حيّاً من بطن الحوت بعد أن مكث ثلاثة أيام . أى أن قيامة السيد المسيح بعد  
موته هى المعجزة الوحيدة التى يمكن أن يقتنع بها أولئك الذين يصرون على عدم  
الإيمان به . وكما أن معجزات مخلصنا تتطلب الإيمان ، فإنها كذلك تودى إلى  
الإيمان . وقد صرح السيد المسيح بذلك أحياناً . إذ أنه - كما سزى - حين علم  
بمرض لعازر قال لتلاميذه : « إن هذا المرض ليس مرضاً للموت بل لأجل  
مجد الله ، كى يتمجد ابن الله به » . ثم حين علم أنه مات قبل أن يذهب إليه  
قال لهم : « أنا أفرح من أجلكم - إذ لم أكن هناك لتؤمنوا » (يوحنا ١١ :  
٤ و ١٥) ، أى أن موت لعازر قد أتاح الفرصة لأن يصنع السيد المسيح تلك  
المعجزة التى تفوق تصوّر العقل البشرى ، إذ يعيد إليه الحياة ويردّ إليه الروح بعد  
أن ظلّ جثائه فى القبر أربعة أيام وأخذ يتحلّل . ومن ثمّ يؤمن التلاميذ بمعلمهم  
إيماناً عظيماً . ويكون ذلك مدعاة لفرحه . وإذ كان اليهود يناوئون السيد المسيح  
ويكذبونه منكرين أنه هو المسيح ابن الله الذى ينتظرونه قال لهم : « صدقونى أنى  
فى أبى وأن أبى فىّ ، وإلا فصدقونى من أجل الأعمال نفسها » (يوحنا ١٤ :  
١١) ، أى إذا كنتم لا تصدقوننى من أجل أقوالى التى أقولها لكم ، فصدقونى  
من أجل أعمالى ومعجزاتى التى أصنعها أمامكم . ويقول الإنجيل للقديس يوحنا

بعد أن سرد بعض معجزات محلّصنا : « وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة لم تكتب في هذا الكتاب . وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولتكون لكم إن آمنتم الحياة الأبدية باسمه » ( يوحنا ٢٠ : ٣٠ و٣١ ) .

حقاً إنَّ من يتأمل معجزات السيد المسيح لا يسعه إلا أن يؤمن بشخصه الإلهي ، وبأن هذا هو المسيح ابن الله الحيّ وكلمته الذي تثبأ الأنبياء بأنه سيحيى لخلاص البشر ، ومن ثمَّ يؤمن بتعاليمه ووصاياه ويعمل بها ، فإن هذه المعجزات تتضمن في ذاتها الدليل على أن ما للسيد المسيح من سلطان لم يكن في يوم من الأيام لأحد من البشر ، ولا يمكن نسبته إلا إلى الله وحده . فقد أثبت السيد المسيح سلطانه على الإنسان جسماً وروحاً . فإذا مرض الجسم كان هذا المرض هو اختلال أو انحلال يصيب عضواً من أعضاء الجسم أو وظيفة من وظائفه . ولا بد لهذا الاختلال أو الانحلال من عنصر من العناصر أو عمل من الأعمال يزيل أثره ويعيد إلى الجسم نظامه الدقيق وتركيبه الصحيح الذي خلقه الله عليه والذي لا يحيا إلاَّ به ، كدواء يتعاطاه المريض فيزيل علته ، أو عملية يجريها فتستأصل الجزء الفاسد منه ، وربما تطلب الشفاء في جميع الحالات عددًا من الشهور أو عددًا من السنين ، أو ربما استعصى الأمر على كلِّ دواء من الأدوية أو عملية من العمليات فامتنع الشفاء وانتهى الأمر بالمريض بعد العذاب إلى الموت . بيد أن السيد المسيح كان يجيء إليه المصابون بأخطر الأمراض المزمنة وأبشعها أثرًا وأشنعها ألمًا وأكثرها استعصاء ، فيشفئها على الفور في لحظة واحدة بغير دواء ولا أي نوع من أنواع العلاج ، وإنما بكلمة واحدة منه ، أو حتى بمجرد صدور إرادته دون أن يقول شيئاً ، ودون أن يبذل مجهوداً ودون أن يستغرق وقتاً . فسلطانه على الجسم سلطان مطلق ، يأمره فيأتمر على الفور ، ويصدر إليه إرادته فيطيع في اللحظة ذاتها ، بقوة لا يمكن مقاومتها ، وبقدرة لا يستطيع أمامها

إلا الخضوع والخنوع . بل لقد يحدث أن يموت الجسم بعد أن تفارقه الروح ، وتمضى عليه بضع ساعات فيبدأ يفسد ، أو تمضى عليه بضعة أيام فيبدأ يتحلل ويتحوّل إلى تراب ، وقد تركه الناس في القبر ، ونفضوا منه أيديهم بعد أن بكوا عليه ماشاء لهم البكاء وندبوه على قدر ما أحبّوه واستشعروا الحزن عليه والفجعية فيه . غير أن السيد المسيح عندئذ يجيء في كل هدوء وطمأنينة وسلام روحى . ويقول للصبيّة التي ماتت منذ بضع لحظات وهي مسجاة على الفراش : « يا صبية قومي » فتقوم (لوقا ٨ : ٥٤) ؛ (مرقس ٥ : ٤١) . ويقول للشاب الذى مات منذ بضع ساعات وهو محمول على النعش : « أيها الشاب لك أقول قم » فيقوم (لوقا ٧ : ١٤) . ويقول للعازر الذى مات منذ بضعة أيام وتعفنت جسثه في القبر : « لعازر هلمّ خارجاً » فيقوم ويخرج (يوحنا ١١ : ٤٣) . فليس سلطان السيد المسيح في هذه الحالات مقصوراً على الجسد وحده ، وإنما هو يشمل الجسد والروح معاً . لأن الجسد بعد أن فسد أعاد إليه بكلمته الإلهية صلاحه ، ولأن الروح بعد أن فارقت الجسد وانفصلت عنه أمرها أن تعود فعادت إلى الجسد في الحال واتصلت به ، فقام الميت وقد استردّ الحياة . ولعلّ في تلك المعجزات الرائعة مايسّر لنا فهم حقيقة القيامة التي يصعب على عقولنا القاصرة أن تفهمها . بل ليصعب عليها أحياناً أن تصدّقها . لأنه إذا كان في الإمكان أن تعود الروح إلى الجسد بعد أن يتحلل تحللاً جزئياً ، كان في الإمكان أيضاً أن تعود إليه بعد أن يتحلل تحللاً كاملاً ، لأن القادر على أن يعيده صحيحاً ويعيد الروح إليه في الحالة الأولى ، قادر أيضاً على أن يعيده صحيحاً ويعيد الروح إليه في الحالة الثانية ، لأنه صاحب السلطان على الجسد والروح كليهما . وبما أنه قادر على كل شيء فإنّ الجمع بين الجسد والروح في أى حالة من الحالات وفي أى ساعة من الساعات مهما طال الزمن ، إنما يدخل في سلطانه وفي نطاق قدرته . وقد أثبت السيّد المسيح بقدرته الإلهية التي تنطوى عليها هذه

المعجزات أنه هو صاحب ذلك السلطان ، بل إنَّ السيد المسيح يظل صاحب السلطان على الإنسان حتى بعد أن يموت وينتقل إلى العالم الآخر ، إذ أنه يملك سلطان غفران الخطايا (مرقس ٢ : ١٠) ؛ (متى ٩ : ٦) ؛ (لوقا ٥ : ٢٤) . بيد أن سلطانه بهذا الصدد أكثر من ذلك شمولاً وأبعد مدى وأعظم خطراً وأعمق أثراً ، إذ صرَّح بأنه هو الذى يملك أيضاً سلطان الدينونة فى اليوم الأخير . فهو الذى يكافى الأبرار فى ذلك اليوم مانحاً إياهم الحياة الأبدية ، ويعاقب الأشرار حاكماً عليهم بالهلاك الأبدى (يوحنا ٥ : ٢٦ - ٢٩) ؛ (متى ٢٥ : ٣١ - ٤٦) . وقال بطرس الرسول عن السيد المسيح : « هذا هو المعين من الله دياناً للأحياء والأموات » (الأعمال ١٠ : ٤٢) . وقال عنه بولس الرسول إنه هو « العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته » (٢ . تيموثيوس ٤ : ١) . وقد أثبتت معجزات السيد المسيح أنَّ له السلطان لا على الأرواح الإنسانية فحسب ؛ وإنما على الأرواح الشيطانية كذلك (مرقس ١ : ٢٧) ؛ (لوقا ٤ : ٣٦) . كما دلَّت معجزات السيد المسيح على أن سلطانه ليس مقصوراً على الكائنات البشرية فقط ، ولا على الكائنات الشيطانية فحسب ، وإنما على الخليقة كلها وعلى الطبيعة كلها بجميع جواهرها ومظاهرها وظواهرها ، وحيوانها ونباتها وجمادها ، ومياهها ورياحها وعواصفها (مرقس ٤ : ٤١) ؛ (متى ٨ : ٢٧) ؛ (لوقا ٨ : ٢٥) ، وله السلطان على كل ما نراه أو لا نراه من موجوداتها وصور وجودها .

وقد صنع مخلصنا ضمن ماصع من تلك المعجزات التى برهن بها على سلطانه الإلهى ، عددًا لا يحصى من معجزات شفاء المرضى الذين كانت أمراضهم فى الغالب مستعصية الشفاء ، أو فى بعض الأحيان مستحيلة الشفاء ، فلا طبيب يستطيع أن يداويها ، ولا دواء ينفع فيها . ولقد كان العمى من أكثر الأمراض استعصاء على الشفاء . ومن ثمَّ فقد صنع مخلصنا كثيرًا من المعجزات

التي أعاد بها البصر إلى الذين فقدوه (لوقا ٧ : ٢١ و ٢٢) ؛ (متى ١١ : ٥) ؛ (مرقس ٨ : ٢٢ - ٢٦) ؛ (١٠ : ٤٦ - ٥٢) ؛ (لوقا ١٨ : ٣٥ - ٤٣) . ولعلّ من أروع تلك المعجزات تلك التي رواها الإنجيل للقديس يوحنا ، إذ يقول إنه فيما كان مخلصنا مجتازاً رأى رجلاً أعمى منذ ولادته . وإذ كان اليهود يعدّون كل مرض وكلّ عاهة تصيب الإنسان إنما ترجع إلى خطيئة اقترفها ، فقد تساءل تلاميذ مخلصنا في دهشة عن العلة في عاهة هذا الذي ولد أعمى ، وهل هي خطيئة اقترفها أبواه وينال هو جزاءها ، أو هي خطيئة اقترفها هو ذاته قبل ولادته في حياة أخرى عاشها قبل هذه الحياة على مقتضى عقيدة تناسخ الأرواح ، أو الاستجساد ، أي العودة إلى التجسّد ، التي كانت شائعة في ذلك العصر في بلاد الشرق ولاسيما في مصر وفلسطين والهند ، ومن بيّنات هذا الاعتقاد قول اليهود للمولود أعمى بعد أن شفاه السيد المسيح له المجد : « في الخطيئة قد وُلدت أنت بجملتك .. أفأنت نعلّمنا ؟ » (يوحنا ٩ : ٣٤) . ومن ثمّ سأل التلاميذ معلّمهم قائلين : « يا مُعلّم ، من الذي أخطأ أهذا أم أبواه حتى ولد أعمى ؟ » بيد أن مخلصنا أجاب قائلاً : « لا هذا أخطأ ولا أبواه ، وإنما لكي تظهر فيه أعمال الله . فإننا ينبغي - مادام النهار - أن نعمل أعمال الذي أرسلنا . لأنه سيجيء الليل ، الذي لا يستطيع أحد أن يأتي فيه عملاً . مادمت في العالم ، فأنا نور العالم » . أي أن ذلك الرّجل الأعمى منذ ولادته لم يخطئ هو أو أبواه ، وإنما شاءت الحكمة الإلهية ذلك « لكي تظهر فيه أعمال الله » . أي أن الله أعدّه لهذه اللحظة التي يعيد إليه فيها مخلصنا بصره بمعجزة حتى يؤمن الناس بقدرته الله التي في مخلصنا . ومن ثمّ أن يؤمنوا بأنه هو ابن الله ، وأنه هو الله ذاته ظاهراً في الجسد . ولا استفاد من قول فادينا هنا : « لا هذا أخطأ ولا أبواه » أن المولود أعمى عاش بريئاً من كل خطيئة ، أو أن أبويه لم يقترفوا خطيئة في حياتها . وإنما المفهوم من سياق السؤال وإجابة مخلصنا على هذا



السؤال أنه لا خطيئة هذا الرجل بالذات ، ولا خطيئة أبويه ، هي العلة الحقيقية في أنه وُلد أعمى . وإنما هي مشيئة الله غير المدركة الذي شاء لهذا الرجل أن يولد أعمى ، فإذا شفاه السيد المسيح له المجد بهذه الصورة التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، برز فيها سلطان المسيح وقدرة عظمته ، وظهر مجد لاهوته .

أما في غير حالة هذا الرجل فقد تكون خطيئة الوالدين أحياناً سبباً في عاهة أو نقص خلقي يولد به الطفل ؛ كما يظهر هذا في بعض الأمراض الخبيثة الناتجة عن النجاسة . وقد تنهك الخطيئة القوة الطبيعية في الرجل أو المرأة أو تستهلكها ، فلا يحمل الجنين أو الطفل إلا طاعة منهكة مستهلكة خاملة قد لا تقوى طويلاً على البقاء في الحياة ، فقد يموت في البطن وهو جنين أو قد يخرج إلى الحياة ولكن لا يعيش طويلاً ، أو إذا عاش طويلاً أو قصيراً فعالباً ما يعيش مريضاً بائساً ، بغير مناعة وبغير قدرة كبيرة على مقاومة الأمراض ، وقد ينشأ متخلفاً عقلياً أو ذهنيّاً أو معوقاً جسمانياً ، وهذا كله مما يدخل في نطاق الوعيد الإلهي : « أنا الرب الهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضى » (الخروج ٢٠ : ٥) ؛ (٣٤ : ٧) ؛ (التثنية ٥ : ٩) . وهو ما يعرف عند العلماء بقانون الوراثة .

وكذلك قول السيد المسيح له المجد : « لا أخطأ هذا .. حتى وُلد أعمى » لابعث في الحقيقة نفيّاً قاطعاً صريحاً لإمكانية عودة الروح بعد الموت إلى الحياة مرة أخرى في جسدٍ آخر . إنما النبي هنا يختصّ بهذا الرجل المولود أعمى ولكنه لا يتخذ دليلاً على التعميم ليشمل جميع الناس . أما الخطأ الذي وقع فيه العلامة أوريجينوس في هذا الصدد فهو أنه اتخذ من سؤال التلاميذ « من الذي أخطأ أهذا أم أبواه حتى ولد أعمى » نُكأة للاعتقاد بأن الأرواح البشرية كانت تحيا سابقاً في العالم الآخر ، ثم أخطأت . فعاقبها الله بأن طردها من ذلك العالم

الروحاني إلى عالم المادة وجسدها في أجساد لتكفر عن خطاياها في حياتها السابقة ، وهو الرأي الذي ذهب إليه أفلاطون في « نظرية المثل » . وقد أدرك أوريجينوس بعد حين أنه كان من الخطأ أن يتخذ من سؤال التلاميذ تكأة وبرهاناً على صحة مذهب أفلاطون ، فاعتذر صراحة في بعض كتبه عن هذا الخطأ وعَدَل عنه .

إن السيد المسيح له المجد يقرر أنه بكيانه الإلهي ذو طبيعة نورانية . وأنه هو مصدر النور الذي ينير العالم ( يوحنا ١ : ٩ و ٥ و ٩ ) ، وأنه طالما هو مقيم بين الناس الذين في العالم فهو نور العالم ( يوحنا ٣ : ١٩ ) ؛ ( ٨ : ١٢ ) ؛ ( ١٢ : ٤٦ ) . **وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ فِتْرَةَ إِقَامَتِهِ فِي الْعَالَمِ قَبْلَ صُعُودِهِ إِلَى السَّمَاءِ هِيَ بِمِثَابَةِ فِتْرَةِ النَّهَارِ الَّتِي تَتَمَتَّعُ فِيهَا الْأَرْضُ بِنُورِ الشَّمْسِ ( يوحنا ١٢ : ٣٥ و ٣٦ )** حتى إذا غابت الشمس حلَّ ظلام الليل محل نور النهار . فطالما أن مخلصنا مقيم في العالم وينيره بشخصه الإلهي ، لا يتوقف عن القيام بأعمال الرحمة التي تتطلبها مشيئة الله الآب الذي ارسله ( يوحنا ٤ : ٣٤ ) ؛ ( ٥ : ١٩ و ٣٦ ) ؛ ( ١٧ : ٤ ) . كما تتطلبها في نفس الوقت مشيئة الله الابن الذي هو كائن مع أبيه السماوي وفيه ، في وحدانية تامة ، حتى إذا انتهت فترة إقامته - له المجد - في العالم بصعوده إلى السماء ( يوحنا ٧ : ٣٣ ) ، فلن يعود الناس قادرين على أن يتمتعوا بما كانوا يسمعون من تعاليمه وما كانوا يرون من معجزاته ، لأنه هو النور الذي يضيء عالمهم مادام مقيماً بينهم ( يوحنا ١٢ : ٣٥ و ٣٦ ) .

على أن هذا المبدأ يسرى أيضاً على الإنسان ، وفي هذه الحالة يكون « النهار » هو فترة حياته على الأرض إلى أن يموت . وأما الليل فهو نهاية النهار ، عندما تنتهي حياة الإنسان بالموت . والمعنى من ذلك أن ما ينفع الإنسان في آخرته هو عمله الذي يعملُه في حياته هنا ( يوحنا ١١ : ٩ ) ؛ ( غلاطية ٦ : ١٠ ) .

فإذا مات شريراً فاسداً ، فلا توبة له هناك ، وبالتالي فلا غفران .. « ليس في الموت من يذكرك وهل في الجحيم من يعترف لك ؟ » ( المزمور ٦ : ٥ ) ؛ ( ٢٩ : ٩ ) ؛ ( ٨٧ : ١٠ - ١٢ ) ؛ ( ١١٤ : ١٧ ) ؛ ( الجامعة ٩ : ١٠ ) ؛ ( إشعياء ٣٨ : ١٨ ) .

وبعد أن قال مخلصنا هذا لتلاميذه ردًا على سؤالهم بخصوص الرجل المولود أعمى ، تَقَلَّ على الأرض وصنع من التفل طينًا وطلّى بالطين عيني ذلك الرجل ، وقال له : « اذهب فاغسل وجهك في بركة سلوام » . وقد أوضح الإنجيل للقديس يوحنا سبب تحديد مخلصنا له المجد لهذه البركة بالذات كي يغسل فيها وجهه ، فقال إن اسمها معناه « المرسل » ، أي أنها ترمز إلى شخصه الإلهي باعتباره المرسل من الله الآب لخلاص البشر ، لأنها كانت ترمز في النبوءات إلى عرش ومملكة بيت داود ( إشعياء ٨ : ٦ ) ؛ ( نحميا ٣ : ١٥ ) ؛ ( لوقا ١٣ : ٤ ) . ولأن النبوءات كانت تقول عن المسيح الآتي إنه « مرسل من الله » ، وإنه هو « ملك العهد » أي « رسول العهد » ( ملاخي ٣ : ١ ) . كما أن مخلصنا نفسه قد أشار إلى ذلك بقوله لتلاميذه « فإننا ينبغي - مادام النهار - أن نعمل أعمال الذي أرسلنا » ( يوحنا ٩ : ٤ ) . وفعلاً فإن المولود أعمى ذهب إلى بركة سلوام وغسل وجهه ، وعاد بصيراً ( يوحنا ٩ : ١١٧ ) .

ومما يلفت النظر ويستدعي التأمل في هذه المعجزة أن الرب يسوع المسيح تدرّع لشفاء المولود أعمى بوسيلة فريدة لم يسبق إليها في كل التاريخ . حتى المولود أعمى نفسه قال لقادة اليهود الذين أخذوا يستجوبونه : « ماسمعنا منذ بدء الزمان أن إنساناً فتح عيني مولود أعمى » ( يوحنا ٩ : ٣٢ ) ، خصوصاً بهذه الكيفية البتيمة التي لا مثيل لها ، وهي أنه « تفل على الأرض وصنع من التفل طيناً ، وطلّى بالطين عيني المولود أعمى » .

حقاً لقد سبق للسيد المسيح أن شفَى رجلاً أخرس بأن « تفل ولمس لسانه ..

فانحلت عقدة لسانه وتكلم بطلاقة» (مرقس ٧ : ٣٣ - ٣٥) . كذلك جاءوا إليه في بيت صيدا برجل أعمى ، فثقل في عينيه ووضع يديه عليه .. فتطلع بقوة وشفى ورأى كل شيء بوضوح (مرقس ٨ : ٢٢ و ٢٣) . أما في شفاء المولود أعمى فقد ثقل مخلصنا له المجد لا على لسان الرجل ولا « في عينيه » ، وإنما « ثقل على الأرض » أولاً ، ثم خلط الثفل بالتراب على الأرض « وصنع من الثفل طيناً » ، ثم أخذ الطين وطلّى به عيني المولود أعمى ، وهو أمر غريب ، كما أنه حدث فريد ليس له نظير من قبل في تاريخ الإنسان . بل إن السيد المسيح لم يصنع نظير ذلك من قبل بالنسبة لجميع العميان الذين شفاهم له المجد ممن ذكرهم الإنجيل ، مما يدل على أن مخلصنا قصد بهذا الأسلوب الفريد أن يقدم به وسيلة إيضاح لحقيقة لاهوتية كبرى ، وهي قدرته على خلق عينين من الطين لهذا المولود أعمى . إذ أن هذه هي الطريقة التي اتبعها الله تعالى في خلق آدم الإنسان الأول . فقد « جبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ، ونفخ في أنفه نسمة حياة » (التكوين ٢ : ٧) ؛ (٣ : ١٩) . ويقول أيوب الصديق « أنا أيضاً من الطين تقرّصت » (أيوب ٣٣ : ٦) ؛ (١٠ : ٩) ؛ (اشعيا ٢٩ : ١٦) . وجاء في سفر إشعيا « ويل لمن يخاصم جابله .. هل يقول الطين لجابله ماذا تصنع ؟ » (إشعيا ٤٥ : ٩) وجاء فيه : « والآآن يارب ، أنت أبونا . نحن الطين وأنت جابلنا ونحن جميعاً عمل يديك » (إشعيا ٦٤ : ٨) ؛ (إرميا ١٨ : ٦ و ٤) .

ومن هنا نعلم أن المعجزة التي صنعها السيد المسيح مع المولود أعمى لم تكن كغيرها من معجزات الشفاء للعيون المصابة بالجفاف في العصب البصرى ، بل كانت معجزة خلق لعينين لم يكن لها وجود في المقلتين . لهذا فإنه له المجد طلى أو بالأحرى ملأ بالطين المقلتين الفارغتين فخلق بالطين عينين للأعمى ، وهذا هو السبب الحقيقي فيما أحدثته هذه المعجزة من دوى غير عادى عند الكتبة

والفريسيين أكثر جدًا مما أحدثته أية معجزة أخرى سابقة لشفاء العميان ، فأخذوا يستجوبون الرجل مرات : « كيف انفتحت عينك؟ ... كيف أبضرت؟ » (يوحنا ٩ : ١٠ و ١٥) .. وأنت ماذا تقول عنه وقد فتح عينك؟ ( ٩ : ١٧) .. ثم عادوا فاستدعوا الرَّجُل وقالوا له ماذا صنع بك؟ كيف فتح عينك؟ ( ٩ : ٢٤ - ٢٦) .. فاستدعوا أبويه وسألوهما قائلين : أهذا هو ابنكما الذى تقولان إنه ولد أعمى ، فكيف إذن يبصر الآن؟ » ( ٩ : ١٨ - ٢١) .

أضف إلى ذلك ماتركته هذه المعجزة فى نفوس اليهود الآخرين من آثار بعيدة المدى عن قدرة المسيح وسلطانه بحيث كانت عندهم أعظم من معجزة إقامة الموتى ، بل أيضًا أعظم من إقامة لعازر من بين الأموات ، بعد أن صار له فى القبر أربعة أيام . لذلك قالوا عندما رأوه : « أما كان هذا الذى فتح عيني الأعمى منذ ولادته قادرًا على أن لا يترك هذا أيضًا يموت؟ » (يوحنا ١١ : ٣٧) . والمعنى واضح أن الذى يقوى على الأصعب يقوى بالأحرى على الأيسر . وإذا كانت معجزة المولود أعمى أصعب وأعسر وأعظم شأنًا من معجزة إقامة لعازر من بين الأموات بعد أن صار له فى القبر أربعة أيام . ذلك لأن الإقامة من الموت هى إعادة الحياة إلى الجسم المتحلل بعد أن خرجت منه الروح ، وهى معجزة على الرغم من عظمتها وروعها أقل روعة من معجزة خلق عينين من العدم أو من التراب . ولم يكن لهما سابقًا وجود .

« وبه خلق الدهور » ( العبرانيين ١ : ٢ ) .

إذن لقد أثبت السيد المسيح له المجد بهذه المعجزة ، معجزة تفتيح عيني المولود أعمى ، أنه الخالق ، وهذا تأكيد لما قاله الإنجيل للقديس يوحنا « فى البدء كان الكلمة ... وكان الكلمة هو الله .. كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان .. كان فى العالم وكان العالم به » ( يوحنا ١ : ١ - ٣ و ١٠) . وما جاء فى الرسالة الأولى إلى كورنثوس « ورب واحد وهو يسوع المسيح ، الذى

به كان كل شيء ، وبه نحن قائمون » ( ١ . كورنثوس ٨ : ٦ ) .. « هو صورة الله الذى لا يرى .. كل شيء خلق به وله » ( كولوسى ١ : ١٥ و ١٦ ) .. « وبه خلق العالمين » ( العبرانيين ١ : ٢ ) .

٩ : ٨ - ١٢

وقد ذهل اليهود حين رأوا ذلك الذى كان مولودًا أعمى إذ أصبح بصيرًا براهم كما يرونه . فقال جيرانه والذين كانوا يعرفونه من قبل يستعطي وهو أعمى « أليس هذا هو الذى كان يجلس ليستعطي ؟ » . وقد اختلفوا فى أمره ، فقال بعضهم « إنه هو » ، وقال البعض الآخر « لا بل يشبهه » . أما هو فكان يقول « أنا هو » فقالوا له « كيف انفتحت عينك ؟ » . أجاب وقال « إن الإنسان الذى يدعى اسمه يسوع صنع طينًا ، وطلّى به عينيّ وقال لى اذهب فاغسل وجهك فى بركة سلوام ، فذهبت وغسلت وجهى فأبصرت » . فقالوا له « اين هو ذلك الإنسان ؟ » قال « لا أعلم » ، إذ كان محلّصنا بعد أن طلى بالطين عينيه وأمره أن يذهب ليغسل وجهه فى بركة سلوام قد تركه ومضى .

٩ : ١٣ - ٣٤

وإذ استولت الدهشة على اليهود أمام تلك المعجزة الخارقة للطبيعة ، ولم تستطع عقولهم القاصرة أن تدرك الكيفية التى تمت بها ، ولا أن تعرف مغزاها لأنهم لم يكونوا يعرفون حقيقة الشخصية الإلهية لذلك الذى صنعها . وإذا كانوا يلجأون فى مثل هذه الأمور إلى فقهاءهم من الفريسيين ( يوحنا ١١ : ٤٦ ) ، جاءوا إليهم بذلك الذى كان من قبل أعمى . ليستفتوهم فى أمره . ولا سمّا أنه كان سبت حين صنع محلّصنا الطين وفتح عينيه . وكان القيام بأى عمل فى السبت خطيئة عظيمة فى شريعته ( يوحنا ٥ : ٩ ، ١٠ ) تستوجب الموت ، فسأله

الفريسيون هم أيضاً «كيف أبصرت؟» فقال لهم «إنه وضع طيناً على عينيَّ ثم اغتسلت فأبصرت». فقال قوم من الفريسيين «إن هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت». وهكذا بلغ من غباء أولئك الفريسيين الذين كانوا يدعون لأنفسهم العلم أنهم عميت أبصارهم وبصائرهم عن أن يدركوا دلالة هذه المعجزة. فلم يكن ثمة فيها ما يسترعى انتباههم إلا أن مخلصنا قد صنع طيناً وشفى به الأعمى في يوم السبت الذي لا يجوز فيه للإنسان أن يصنع شيئاً أو يقوم بأى عمل (متى ١٢ : ٢). فبرهنوا بذلك على جهلهم الواضح والفاضح لنبوءات أنبيائهم الذين تنبأوا جميعاً بما سيصنع المسيح الذي ينتظرونه حين يجيء من معجزات منها أن يفتح أعين العميان. كما برهنوا على سواد قلوبهم ومدى حقدهم على مخلصنا وغيرتهم منه وكراهيتهم له، حتى لقد أسدل كل ذلك ستاراً كثيفاً يحجب عن عيونهم مجد تلك المعجزة وجلالها السماوى وارتفاعها عن مستوى قدرة البشر (يوحنا ٢ : ١١)؛ (٢ : ٣)؛ (٩ : ٣٣)، فلا يقدر عليها إلا الله وحده. بيد أن قوماً آخرين كانوا أكثر انصافاً وأقل حقدًا فقالوا : «كيف يستطيع إنسان خاطيء أن يصنع مثل هذه المعجزات؟». ومن ثم وقع بينهم انقسام (انظر يوحنا ٦ : ٥٢)؛ (٧ : ١٢ و ٤٣)؛ (١٠ : ١٩). وقد أدى بهم ذلك التضارب في الرأى إلى أن يتناسوا ما لهم من علم ومكانة في المجتمع، فاحتكموا إلى الرجل الذى كان أعمى والذي كان شحاذاً فقيراً وجاهلاً وفى أحط مراتب ذلك المجتمع، فقالوا له «وأنت ماذا تقول عنه وقد فتح عينيك؟». وقد كان الرجل أكثر منهم ذكاءً وعقل ونقاء قلب، إذ فهم كل الفهم وأدرك كلاً الإدراك مغزى ما صنعه به فادينا له المجد فقال «إنه نبى» (انظر متى ٢١ : ١١)؛ (يوحنا ٤ : ١٩)؛ (٦ : ١٤). غير أن اليهود فى غباوتهم أو تغاييبهم، وفى جهلهم أو تجاهلهم، وفى عاهم أو تعاميمهم لم يصدقوا أن ذلك الرجل كان أعمى ثم أبصر. لأن استعادته البصر بعد أن كان أعمى منذ ولادته

كان أمراً يفوق عقولهم ويتفوق على كل مشاعرهم وأحاسيسهم . ومن ثم استدعوا ابويه ، وسألوهما قائلين « أهذا هو ابنكما الذى تقولان إنه وُلد أعمى ؟ فكيف إذن يبصر الآن ؟ » . وإذا كان أبوا ذلك الرجل المسكين فقيرين ولا حول لهما ولا قوة ، فقد خافا وجزعا من أولئك الفريسيين الذين يواجهونهما بالصِّلف وبالعداء والتهديد بالاعتداء . ومن ثم أجابا فى خوف ظاهر وتهرب يدل على مقدار هلعهما من أولئك الأقوياء المفترين ، قائلين : « إننا نعلم أن هذا هو ابنا وأنا ولدناه أعمى . أما كيف يبصر الآن فلا نعلم . أو من الذى فتح عينيه فلا نعلم . إنه بالغ سنّ الرشد ، أسأله فيتكلم هو عن نفسه » . وكان واضحاً أنّ أبويه قالوا هذا الخوفهما من اليهود ، أو بالأحرى رؤساء اليهود ، لأنهم كانوا قد أصدروا قراراً بأنه إذا اعترف أحد بأن مخلصنا الذى صنع هذه المعجزة وغيرها من المعجزات هو المسيح يُقطع من المجمع ، أى يصير مغضوباً عليه من الرئاسات الدينية لليهود ( يوحنا ٧ : ١٣ ) ، ويصبح شخصاً منبوذاً لا يصحّ لليهود أن يعاملوه ولا يصحّ له هو أن يعامل اليهود ، وهذه أشنع وأشنع عقوبة يمكن أن تصيب يهودياً ، لأنها بمثابة الحكم عليه بالإعدام . وقد ورد بعد ذلك قول الإنجيل « فقد آمن به كثيرون من الرؤساء أنفسهم ، وإن كانوا بسبب الفريسيين لم يعترفوا به علناً لئلاً يطردوا من المجمع » ( يوحنا ١٢ : ٤٢ ) . ومن ذلك ما قيل عن .. « يوسف الذى من الرامة وكان تلميذاً ليسوع ، وإن يكن خفية لحوفه من اليهود » ( يوحنا ١٩ : ٣٨ ) - انظر أيضاً ( الأعمال ٥ : ١٣ ) . وقد قال السيد المسيح له المجد لتلاميذه : « فإنهم سيخرجونكم من المجمع » ( يوحنا ١٦ : ٢ ) . وقد أخرجوا المولود أعمى فعلاً فطرده من جماعة اليهود ( يوحنا ٩ : ٣٤ ) .

وقد واصل اليهود من الفريسيين وغير الفريسيين محاولاتهم المستميتة لكى ينفوا عن مخلصنا قدرته الإلهية التى يستطيع بها أن يصنع معجزات يعجز البشر



عن أن يصنعوها . وَمِنْ ثَمَّ عَادُوا فَاسْتَدْعُوا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ أَعْمَى وَأَرَادُوا  
التأثير عليه بالترهيب والترغيب والوعد بالمكافأة والوعيد بالعقاب ، وقالوا له  
«مَجْدُ اللَّهِ، فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ خَاطِئٌ» (يشوع ٧: ١٩) ، (١. صموئيل ٦: ٥) ،  
(عزرا ١٠: ١١) ؛ (الرؤيا ١١: ١٣) . وفي هذا القول ما فيه من إيمانٍ بما يتفق  
مع عقولهم القاصرة ، ونفوسهم المريضة ، وقلوبهم الممتلئة بغيرة وحسدًا وحقْدًا  
وضغينة وكرهية لمخلّصنا له المجد . بيد أن الرجل بنفس صافية صادقة بريئة من أى  
غرض أو مَرَضٍ أو غيرة أو حَسَدٍ أو حقْدٍ أو ضغينة أو كراهية تجاه ذلك الإنسان  
الذى أراه الدنيا بعد أن كان لا يرى بصيصًا منها ، وأبراه من علة كانت ستقضى  
عليه بأن يعيش العمر كله فى ظلامٍ دامسٍ لا بصيص فيه من النور ، ولا بَصَرٍ  
فيه ولا بصيرة . وإذ كان الرجل تحت تأثير المعجزة الخارقة للطبيعة التى حدثت له  
لم يستطع أن ينكرها . وإنما اعترف بما تنطوى عليه من مقدرة فوق طاقة البَشَرِ .  
فلم يرهبه إرهاب ولا عقاب ، ولم يستطع أن يغيره إغراء أو يثنيه عن قول الحق  
ترغيب ولا وعد بالثواب . وَمِنْ ثَمَّ أَجَابَ الْيَهُودَ قَائِلًا « إِنْ كَانَ خَاطِئًا فَلَا أَعْلَمُ .  
وإنما أعرف شيئًا واحدًا وهو أنني كنت أعمى والآن أبصر » . وإذ أخفقت  
محاولاتهم معه ارتبكوا ولم يجدوا ما يقولونه له إلا أن يسألوه مرة أخرى عَمَّا سبق  
لهم أن سألوه عسى أن يتراجع فيما قرر أو يقول شيئًا مخالفًا لما سبق أن قاله  
فيضبطوه متلبسًا بتناقض أقواله ويستنتجوا من ذلك كذبه وعدم صحة المعجزة  
التي صنعها معه مخلصنا . وهذا ما كانوا يهدفون إليه من كل محاولاتهم ، إذ قالوا  
له « ماذا صنع بك ؟ كيف فتح عينيك ؟ » . فضاق ذرعًا بلجاجتهم وسماجتهم  
وسوء نيتهم وسواد طويّتهم ، وأجابهم قائلًا « قد قلت لكم ولم تسمعوا ، فلماذا  
تريدون أن تسمعوا مرة أخرى ؟ هل ترغبون أنتم أيضًا فى أن تصيروا تلاميذه ؟ »  
وذلك أنه هو شخصيًا إذ آمن به صار تلميذًا له ، ولم يستطع أن يفهم من إلخاف  
اليهود عليه فى السؤال وإلخاحهم فى طلب الإجابة ، إلا أنهم يريدون هم أيضًا

أن يؤمنوا بمخلصنا ويصيروا من تلاميذه . بيد أنهم اعتبروا هذا القول منه إهانة لهم ، فشموه قائلين « أنت تلميذ ذاك ، وأما نحن فإننا تلاميذ موسى . ونحن نعلم أن الله كلم موسى ، وأما هذا فلا نعلم من أين هو » . وهكذا عَيَّروه بأنه تلميذ مخلصنا مغمضين أعينهم عن المعجزة الإلهية العظيمة التي صنعها له والتي لا يسع أى إنسان - مهما يبلغ شره ومكره وغفلة عقله وغلظة قلبه - إلا أن يختر ساجداً أمام عظمة صانعها ويعترف بقدرته الإلهية ويتبعه إلى أقصى الأرض خادماً له ومُتلميذاً عليه ( يوحنا ٥ : ٢٥ ) . وقد أنكر اليهود واستنكروا أن يكونوا من تلاميذ مخلصنا ، مفتخرين في زهو كاذب وصلف قبيح بأنهم تلاميذ موسى ( روما [ رومية ] ٢ : ١٧ ) ، لأنهم تلاميذه حقاً ، إذ أنهم خالفوا كل وصاياهم ( يوحنا ٥ : ٤٥ ) ، وإنما لجرد الاستعلاء والكبرياء . وقد راحوا يقارنون بين موسى ومخلصنا ، مزهوئين ومزدهين بمكانة موسى العظيمة إذ كلمه الله ، ومزدرين بمخلصنا زاعمين أنهم لا يعلمون من أين جاء ( يوحنا ٨ : ١٤ ) ؛ ( ٧ : ٢٨ ) . وقد برهنوا بذلك على جهلهم الصارخ بكتبهم المقدسة ذاتها ، لأنها تتضمن أقوال أنبيائهم الذين تنبأوا جميعاً بما فيهم موسى نفسه بمجيء المسيح ، وذكروا أنه هو ابن الله الذى سيجىء من السماء . كما أنهم كانوا في هذا الذى قالوه مغالطين حتى أنفسهم ، لأنه إن كان افتخارهم بموسى قائماً على أساس أن الله كلمه ، فهم يعلمون أن الله كلم مخلصنا أيضاً وتكلم عنه وهو يعتمد من يوحنا المعمدان ، إذ قال على مسمع من كل اليهود الحاضرين « هذا هو ابني الحبيب الذى به سررت » ( متى ٣ : ١٧ ) ؛ ( مرقس ١ : ١١ ) ؛ ( لوقا ٣ : ٢٢ ) . وما من شك في أن أولئك الحاضرين من اليهود - وكان بينهم تلاميذ يوحنا - قد أذاعوا خبر ذلك القول الإلهي في كل البلاد اليهودية . فلم يعد خافياً على أحد ولا مجهولاً لإنسان ، ولا سيما أن يوحنا كان يردد على مسمع كل من يجيء إليه مارآه وسمعه حين جاء إليه مخلصنا ليعتمد منه ( يوحنا ١ : ١٩ -

(٣٤) . وإذن كان اليهود يعلمون من أين جاء مخلصنا ، فإذا أنكروا ذلك فقد كانوا كاذبين ومغالطين . وحتى لو كان إنكارهم عن جهل منهم بأقوال أنبيائهم ، وتجاهل لأقوال يوحنا المعمدان الذى كانوا يعدونه نبياً ، فقد كان ينبغي أمام تلك المعجزة الإلهية التى صنعها مخلصنا إذ فتح عينى ذلك المولود أعمى أن يدركوا دون مكابرة أو كبرياء أن هذا هو ابن الله الذى تنبأ بمجيئه الأنبياء . ولئن حال بينهم وبين أن يدركوا تلك الحقيقة فقدهم على مخلصنا وحقنهم عليه وغيرتهم منه ، إن المولود أعمى وهو ذلك الإنسان البسيط الفقير المسكين المتواضع الذى لا يزعم لنفسه علماً ولا معرفة ولا زهواً ولا استعلاء قد أدرك من ذلك الذى صنعه مخلصنا معه أنه كائن سماوى ، وأنه فوق مستوى البشر العاديين ، وأنه لو لم يكن باراً وطاهراً وقويّاً وقادراً لما استطاع أن يعيد إليه عينيه المفقودتين ، بل أن يخلق له من العدم عينين جديدتين ، ومن ثمَّ أجاب وقال لهم « إنَّ فى هذا عَجَباً أنكم لا تعرفون من أين هو ، وقد فتح عينى . ونحن نعلم أن الله لا يسمع للخطاة . وأما الذى يتقى الله ويعمل بمشيئته فإن الله يسمع له . وما سمعنا منذ بدء الزمان أن إنساناً فتح عينى مولود أعمى . فلو لم يكن هذا من الله ، ما استطاع أن يصنع شيئاً » (انظر أيوب ٢٧ : ٩ و٨) ؛ (٣٥ : ١٢) ؛ (المزمور ١٧ : ٤١) ؛ (٣٣ : ١٥ و١٦) ؛ (٦٥ : ١٨) ؛ (١٤٤ : ١٩) ؛ (الأمثال ١ : ٢٨) ؛ (١٥ : ٢٩) ؛ (٢٨ : ٩) ؛ (إشعيا ١ : ١٥) ؛ (إرميا ١١ : ١١) ؛ (١٤ : ١٢) ؛ (حزقيال ٨ : ١٨) ؛ (ميشا ٣ : ٤) ؛ (زكريا ٧ : ١٣) ؛ (يعقوب ٥ : ١٦) ؛ (يوحنا ٣ : ٢) .

وقد أفحم ذلك الإنسان البسيط علماء اليهود بحكمته الفطرية ومنطقه السليم . ومن ثمَّ حقنوا حنقاً شديداً عليه وهم المتعالون المتعاملون الزاعمون لأنفسهم الحكمة كلها والمنطق الذى لا منطق بعده . فأجابوا وقالوا له « فى الخطيئة قد ولدت أنت بجملتك ، أفأنت تعلمنا؟ » . وهكذا لم يجدوا غير

الشتائم يوجهونها إليه ، والافتراءات يفترونها عليه ، لأن الرَّجُل إن كانت أمه قد ولدته أعمى وفقيراً معدماً حتى اضطر أن يستعطي الناس ، فإنه لم يولد في الخطيئة ، ولم يكن خاطئاً ( يوحنا ٩ : ٣ و٢ ) . وإذا لم يكن لديهم الدليل على ذلك لكي يتهموه ، اكتفوا بأن شتموه . وإذا انهزموا أمامه وعجزوا عن الردّ عليه لم يجدوا أمامهم إلا العنف - وهو السبيل الوحيد أمام الضعفاء - فطرده من أمامهم في غلظة وفظاظة ، وعدّوه منبوذاً من المجتمع اليهودى ( يوحنا ٩ : ٢٢ و٣٥ - ٤١ ) : ( ٣ . يوحنا : ١٠ ) .

وسمع مخلصنا بأن رؤساء اليهود طردوا ذلك الرَّجُل ، فحين لقيه بعد هذا - وكان ذلك على الأرجح في هيكل أورشليم - أراد أن يختبر مدى إدراكه لحقيقة شخصيته ، فقال له « أتؤمن بابن الله ؟ » . وقد برهن الرجل على أنه على استعداد لأن يؤمن بابن الله لو أنه عرفه ، إذ قال « مَنْ هو ياسيدى فأؤمن به ؟ » . وإذا رأى مخلصنا ذلك الاستعداد منه قال له « إنك تراه وهو هو الذى يكلمك » ( انظر يوحنا ٤ : ٢٦ ) . وهكذا أعلن مخلصنا حقيقة شخصيته لذلك الرَّجُل المسكين ، مع أنه قليلاً ما فعل ذلك ، بل إنه - لحكمة لديه - كان في الغالب يوصى الذين يصنع لهم المعجزات ، كما يوصى تلاميذه الذين يشهدونها بالألأ يذيعوا أمرها . ولكن مخلصنا - بسبب ما أبداه ذلك الرجل من استعداد للإيمان - أراد أن يستجيب له ويوطّد ذلك الإيمان فيه ، ومِنَ ثَمَّ كشف له النقاب وهو الفقير البائس عمّا لم يكشفه لكثيرين من الملوك والرؤساء ، والمتعالمين والمتعاضمين .

أليس كلام السيد المسيح مع المولود أعمى ذليلاً واضحاً على حرصه له المجد على أن يعرفه أتباعه والمؤمنون به على أنه هو فى حقيقته « ابن الله » على الرغم من أنه هو فى نفس الوقت بحسب الجسد « ابن الإنسان » ؟ . هذه هى الحقيقة

المسيحية الكبرى ، وهي الصخرة التي أقام المسيح عليها كنيسته .. فهو له المجد يقول « على هذه الصخرة - أنت المسيح الله ابن الله الحي - أبني كنيستي » (متى ١٦ : ١٨) . نعم إن السيد المسيح هو ابن الله وهو ابن مريم . هو ابن الله من حيث لاهوته ، إذ هو الله الكلمة الذي نزل من السماء .. « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو الذي أخبر عنه » (يوحنا ١ : ١٨) . حقاً إنه كان يخفي لاهوته عن الشيطان لثلاً بتعطل الصليب ، وهو عمل الفداء والخلص الذي جاء من السماء لينجزه ويتممه (يوحنا ١٢ : ٢٧) .. « لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » (١ . كورنثوس ٢ : ٨) . لكنه كان من وقت إلى آخر يكشف عن حقيقة لاهوته ، وأنه ابن الله بالحقيقة ، وابن الله الوحيد الذي ليس لبنوته نظير ، فهو متمفرد بهذا النوع من البنوة لأنه من طبيعة الله الآب ومن جوهره (يوحنا ٧ : ٢٩) . وهو واحدٌ معه في الجوهر (يوحنا ١٠ : ٣٠) - وانظر (متى ٤ : ٣) ؛ (١٤ : ٣٣) ؛ (٢٦ : ٦٣) ؛ (٢٧ : ٥٤) ؛ (مرقس ١ : ١) ؛ (٣ : ١١) ؛ (لوقا ١ : ٣٥) ؛ (٤ : ٤١) ؛ (٢٢ : ٧٠) ؛ (يوحنا ١ : ٣٤ و٤٩) ؛ (٥ : ٢٥) ؛ (١٠ : ٣٦) ؛ (٢٠ : ٣١) ؛ (الأعمال ٩ : ٢٠) ؛ (روما [رومية] ١ : ٤) ؛ (٢ . كورنثوس ١ : ١٩) ؛ (غلاطية ٢ : ٢٠) ؛ (البرانيين ٤ : ١٤) ؛ (٦ : ٦) ؛ (٧ : ٣) ؛ (١٠ : ٢٩) ؛ (١ : ١٠) . يوحنا ٣ : ٨) ؛ (٥ : ١٠) ؛ (الرؤيا ٢ : ١٨) .

وقد كان الرّجل الذي كان أعمى عند حسن الظن به ، فسرعان ما أعلن الإيمان بمخلصنا قائلاً له « أو من ياسيدي » . ثم برهن على إدراكه لحقيقة شخصية الإلهي ، إذ سجد له . والسجود هنا لأبدياً أن يكون سجد العباداة ، لا مجرد سجد الاحترام (انظر متى ١٤ : ٣٣) ؛ (٢٨ : ١٧) ؛ (٢ : ١١ و٢) ؛ (لوقا ٢٤ : ٥٢) ؛ (البرانيين ١ : ٦) . وعندئذ قال مخلصنا

تعليقًا على تلك المعجزة التي فتح بها عيني الأعمى « آتيت أنا دينونة للعالم ، حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون » ، أى أنه جاء من السماء إلى العالم امتحانًا للذين فى العالم ( انظر يوحنا ٣ : ١٩ ) . حتى يفتح أعين العميان فيبصروا ويفتح قلوب غير المؤمنين فيؤمنوا . وأما الذين يدعون لأنفسهم البصيرة والبصر فإن غلظة قلوبهم تعمى بصائرهم وأبصارهم ( متى ١٣ : ١٣ - ١٥ ) ، حتى إن الحق يتألق كالشمس امامهم فلا يبصرونه ( إرميا ٥ : ٢١ ) ؛ ( اشعيا ٦ : ٩ ) ، ونور الله يتدفق عليهم ومن حولهم فلا يرونه أو تتبيته أعينهم ( حزقيال ١٢ : ٢ ) ؛ ( التثنية ٢٩ : ٤ ) ، والمسيح الذى ينتظرونه منذ آلاف السنين يأتى إليهم فلا يدركون حقيقة شخصيته ، وإنما يتنكرون له وينكرونها . حتى إذا جاء يوم الدينونة كوفئ المؤمن على إيمانه ، وعوقب المنكر بسبب نكرانه ( يوحنا ٥ : ٢٢ و٢٧ ) ؛ ( ١٢ : ٤٨ ) .

وقد سمع هذا القول من مخلصنا قوم من الفريسيين الذين كانوا عندئذ معه . فقالوا له « أعلنا نحن أيضًا عميان ؟ » . قال لهم مخلصنا « لو كنتم عميانًا لما كانت لكم خطيئة . ولكنكم الآن تقولون إننا نبصر . فخطيئتكم لهذا باقية » . أى أنهم لو كانوا ينكرون أنه المسيح ابن الله عن جهل يشبه جهل الأعمى بما لا يرى ، لما كان فى ذلك خطيئة من جانبهم ( متى ١٢ : ٣٢ ) ؛ ( لوقا ١٢ : ١٠ ) . أما وهم يدعون العلم والمعرفة ( روما [ رومية ] ٢ : ١٩ ) ؛ ( الأمثال ٢٦ : ١٢ ) ، فى حين أنهم ينكرون أنه المسيح ابن الله ، فليس ذلك جهلاً منهم يمكن أن يكون عذرًا لهم ، وإنما هو ادعاء للجهل أو تجاهل للحقيقة بنى كل عذر لهم ويجعل خطيئتهم متعمدة ، ويجعلهم متمسكين بها مصرين عليها ، ومن ثم فإنها تغدو خطيئة مستمرة وباقية فى أعناقهم ، لا انقضاء لها ، ولا غفران عنها ( متى ١٢ : ٣١ و٣٢ ) ؛ ( لوقا ١٢ : ١٠ ) ، قال السيد المسيح له المجد : « لو لم

أكن قد جنت وكلمتهم لما كانت لهم خطيئة . وأما الآن فليس لهم عذر في  
خطيئتهم .. لو لم أكن قد صنعت بينهم أعمالاً لم يصنعها أحد غيري لما كانت لهم  
خطيئة « ( يوحنا ١٥ : ٢٢ و٢٤ ) .



## الفصل العاشر

١٠ : ١ - ٦

وقد استطرد مخلصنا في مخاطبته لليهود قائلاً لهم : « الحق الحق أقول لكم إن الذي لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف وإنما يتسلق إليها من موضع آخر ، هو سارق ولص . وأما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف ، وله يفتح البواب ، والخراف تسمع صوته ، فيدعو خرافه بأسمائها ويخرجها ، ومتى أخرج خرافه التي تَحُصُّه ، سار قدامها وهي تتبعه ، لأنها تعرف صوته . أما الغريب فلا تتبعه وإنما تهرب منه لأنها لا تعرف صوت الغريب » .

وقد كان مخلصنا يعنى بذلك أنه هو المسيح الحقيقي الذي تنبأت بمجيئه النبوءات ، ولم يكن مسيحاً كاذباً أو مزيفاً كما يحاول اليهود أن يصوروه . لأن المسيح الحقيقي هو في الواقع الراعي الحقيقي للبشر ، الذين هم بمثابة خرافه . فإن لم يكن هو الراعي الحقيقي لما كان قد جاء إلى عالم البشر الذي هو بمثابة حظيرة للخراف ، بالصورة التي جاء بها مخلصنا ، إذ تجسّد في بطن السيدة العذراء مريم ، لا من زرع بشر وإنما من روح القدس الذي هو روح الله الأب . وقد تمثّل فيه كل الكمال الإلهي ، سواء باعتباره ابن الإنسان ، أو باعتباره ابن الله ، فقد كان باعتباره ابن الانسان مطيعاً لله كما ينبغي أن تكون طاعة الإنسان لله . وكان باعتباره ابن الله ممثلاً للطبيعة الإلهية بكل كمالها في الصفات والمقدرات . أما لو كان قد جاء عن غير ذلك الطريق من زرع إنسان تجوز الخطيئة عليه ،



أوجاء غير مطيع لله ، أو غير مالك لكلمات الله في صفاته وقدراته ، ومن تلك القدرات صنع المعجزات التي لا يمكن أن تصدر إلا من الله وحده ، لكان مسيحاً زائفاً يشبه ذلك السارق واللص الذي لا يجرؤ على أن يدخل حظيرة الخراف من بابها . وإنما يتسلق إليها من موضع آخر ، لا ليرعى الخراف شأن راعيها ، وإنما ليسرقها ( إرميا ٢٣ : ١ - ٤ ) ؛ ( زكريا ١١ : ٤ - ١٧ ) . ولذلك فإن الخراف إذ لا تعرفه تفرغ منه وتهرب من وجهه . وأما الراعى الحقيقي للخراف فإنه يتقدم بخطوات واثقة مطمئنة صلبة إلى باب الحظيرة . ولما كان حارس ذلك الباب يعرفه فإنه يفتح له الباب ( الأعمال ١٤ : ٢٧ ) ؛ ( ١٦ : ٧ و ٦ ) ؛ ( ١ . كورنثوس ١٦ : ٩ ) ؛ ( ٢ . كورنثوس ٢ : ١٢ ) ؛ ( كولوسي ٤ : ٣ ) ؛ ( الرؤيا ٣ : ٨ ) . ولما كانت الخراف التي في الحظيرة أيضاً تعرفه فإنها تهرع إليه حين تسمع صوته . ولما كان هو من جانبه يعرف تلك الخراف واحداً واحداً لأنها نخّصه فإنه يناديها كلاً باسمه ويخرجها من حظيرتها ليرعاها ، حتى إذا أخرج تلك الخراف جميعاً سار قدامها ، وهي إذ تعرفه وتعرف صوته تتبعه ، أما الغريب الذي ليس هو الراعى الحقيقي للخراف ، وإنما هو لص جاء ليسرقها ، فإنها إذ لا تعرف صوته لا يمكن أن تتبعه وإنما تهرب فرعة منه . وقد جاء مخلصنا إلى العالم باعتباره الراعى الحقيقي للبشر ، ولذلك دخل من الباب الذي يدخل منه ذلك الراعى ، باب الحق والصدق والرحمة والعدل ، ولا يجرؤ على أن يدخل منه السارقون للصوص الذين هم المسحاء والأنبياء الكذبة ، باب الخداع والختيال والاحتيال والغش . وهو يعرف خاصته من البشر . ومن ثمّ فهو يدعوهم بأسمائهم واحداً واحداً ، فيتبعونه على الفور . لأنهم في أعماق وجدانهم يعرفون صوته ، ولأنهم في صميم قلوبهم يدركون أن هذا هو راعيهم الحقيقي ، وأن هذا هو إلههم الذي أحبهم وأحبوه ، وآمنوا به واثمنوه على أنفسهم ، واطمأنوا إليه ، فارتضوا قيادته لهم ، وأسلموه قيادهم .

وإذ رأى مخلصنا له المجد أن اليهود لم يفهموا المثل الذي ضربه لهم (يوحنا ١٦ : ٢٩ و ٢٥) ؛ (٢ . بطرس ٢ : ٢٢) ، أخذ يشرح لهم مغزى ذلك المثل قائلا : « الحقُّ الحقُّ أقول لكم إني أنا باب الخراف . جميع الذين أتوا قبلي هم لصوص وسراق ، ولكن الخراف لم تسمع لهم . أنا هو باب الخراف فإن دخل بي أحد يخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى » .

وهكذا بدأ مخلصنا يطبق المثل على نفسه ، مقررًا أنه هو الراعى الحقيقى للبشر الذين هم خرافه ورعيته . . . « كراع يرعى قطيعه . بذراعه يحمل الحملان . وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات » (إشعيا ٤٠ : ١١) ؛ (إرميا ٣١ : ١٠) ؛ (حزقيال ٣٤ : ١٢ - ١٤ و ٢٣) . وهو فى نفس الوقت الباب الذى يدخل منه الذين يؤمنون به من البشر ويخرجون ويحيون ويخلصون (يوحنا ١٤ : ٦) ؛ (أفسس ٢ : ١٨) ؛ (العدد ٢٧ : ١٦ و ١٧) ، أى هو الوسطة التى تتحقق بها كل تحركات البشر وتقوم عليها حياتهم ويتم عن طريقها خلاصهم من الهلاك المحكوم به من العدالة الإلهية عليهم بسبب شرورهم . وأما جميع الذين أتوا قبله ممن قاوموه زاعمين كذبًا أنهم مسحاء أو أنبياء أو فقهاء أو معلمون من دونه ، فلم يكونوا رعاة حقيقيين يهدفون إلى خير البشر أو خلاصهم ، وإنما هم لصوص وسراق (يوحنا ٨ : ٤٤) ، يهدفون إلى المجد الدنيوى لأنفسهم (حزقيال ٣٤ : ٢ - ١٠) . ولو كان فى ذلك هلاك البشر جميعًا (إرميا ٢٣ : ١ - ٤) . ولذلك لم يجدوا أحدًا من البشر يسمع لهم أو يتبعهم فسرعان ما انكشف زيفهم واتضح حقيقتهم وافتضحت نيتهم وطويتهم .

فإن عجز أولئك اليهود عن أن يدركوا أن مخلصنا هو المسيح الحقيقى وأن

يميزوا بينه وبين المسحاء الكذبة ، فذلك لأنهم قد أغلق الحقد آذانهم فلم يسمعوا صوته ، وأعمى الحسد أعينهم فلم يبصروا مجده . ولو كانوا من رعيته حقاً لسمعوا صوته ورأوا مجده ولم ينكروه أو يتنكروا له ، ولم يحاربوه أو يناصبوه العداة . وعندئذ كان يمكنهم أن يدركوا شخصيته ويؤمنوا بأنه المسيح ابن الله الذى ينتظرونه . بيد أن اليهود على الرغم من أن هذا المثل الذى ضربه لهم مخلصنا كان واضحاً كل الوضوح لم يفهموا معناه ولا مغزاه ، كما لم يفهموا ، أو لم يريدوا أن يفهموا - فى غباوتهم وغلظة قلوبهم - لماذا قاله لهم . ومن ثمَّ استمرَّ سيدنا يوضح هذا المعنى وهذا المغزى لليهود قائلاً « إن السارق لا يأتي إلا ليسرق ويذبح ويُهلك ، وأما أنا فأتيت لتكون لهم حياة ، وليكون لهم أفضل . أنا هو الراعى الصالح ، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف . وأما الذى هو أجير وليس راعياً . ذلك الذى ليست الخراف له ، فىرى الذئب مقبلاً فيهرب ويترك الخراف ، فيخطفها الذئب ويبيدها ، لأنه أجير . فهو لا يبالي بالخراف » .

فالسارق الذى ليس راعياً حقيقياً للخراف لا يأتي إليها إلا مُتسللاً من النافذة أو متسلقاً الجدار ليسرقها لأنه لص ، أو ليدبجها ويهلكها لأنه مجرم وشريد .. « لا يفتقد المنقطعين ولا يطلب المطرود ولا يجبر المكسور ولا يربى القائم ، بل يأكل لحم السَّان ويهشم أظلافها .. ويل للراعى الباطل الذى يهمل الغنم . سيكون السيف على ذراعه وعلى عينه اليمنى فتبيس ذراعه ييساً وتكلَّ عينه اليمنى » ( زكريا ١١ : ١٦ و١٧ ) . وهذا ينطبق على المسحاء والأنبياء الكذبة ، وعلى الفقهاء والمعلِّمين الزائفين الذين - كى يشبعوا شهوات نفوسهم فى المجد الدنيوى - يزعمون للناس أنهم مُرسَلون من الله ، أو أنهم ينقلون إلى الناس تعاليم الله ، فى حين أنهم مُرسَلون من الشيطان ولا ينقلون إلى الناس إلا تعاليمه ليسرقوا الإيمان بالله من قلوبهم ، فيكون فى ذلك موتهم الروحى وهلاكهم

الأبدى . وأما مخلصنا فقد أتى إلى العالم كى يهب للناس الحياة الروحية فى الدنيا ، والحياة الأبدية فى السماء ( يوحنا ٥ : ٤٠ ) . فتكون الحياة الروحية أفضل لهم من الحياة المادية التى يحيونها فى الدنيا ، وتكون الحياة الأبدية فى السماء ، لو امتلأت قلوبهم بالإيمان والبر ، أفضل لهم من الهلاك الأبدى ، لو امتلأت قلوبهم بالكفران والشر ، وذلك لأن مخلصنا هو الراعى الصالح للبشر الذين هم خليقته وخاصته ، فهو أمين عليهم ، حريص على خيرهم . وقد بلغ به حرصه الحد الذى لا يمكن أن يتصور العقل مداه ، إذ أنه وهو ابن الله وهو الله ذاته تنازل ونزل من علياء سمائه إلى الأرض متخذاً صورة الإنسان المخلوق من التراب كى يقدم نفسه ذبيحة عن أولئك الذين أحبهم كلّ الحب ، كى يكفّر بآلامه وموته على الصليب عن خطاياهم التى استحقوا بسببها الهلاك الأبدى ( يوحنا ١٥ : ١٣ ) . وأما ذلك الذى لا تربطه بالبشر تلك الرابطة القوية ، رابطة الخالق نحو مخلوقاته ، والمالك نحو ممتلكاته ، والأب نحو أبنائه ، والحب نحو أحبائه ، وإنما هو مكلف برعايتهم نظير أجر يتقاضاه ، فهو أجير وليس راعياً ، وهو حريص على تقاضى أجره ، وعلى مصلحة نفسه ، وسلامة حياته ، أكثر من حرصه على مصلحة رعيته ، أو سلامة حياتها . ومن ثمّ فإنه إذا رأى خطراً يهددها لا يتصدى للدفاع عنها ، أو التعرض لأذى يصيبه فى سبيل المحافظة عليها ، أو توفير الأمان لها ، وإنما يهرب ناجياً بنفسه من ذلك الخطر ، تاركاً رعيته فى غير مبالاة تحت رحمة ذلك الخطر الذى لا يلبث أن ينقضّ عليها فيهلكها ، لأنه أجير لا تربطه بالرعية تلك الصلة القوية التى تربط بين صاحبها الحقيقى وبينها ، صلة الامتلاك والمحبة والعطف والرحمة والحنان . وهى الصلة التى تربط بين الله والإنسان . وهى ذاتها الصلة التى تربط بين مخلصنا ابن الله وبين بنى الإنسان . وفى ذلك يقول مخلصنا شارحاً وموضحاً : « أنا هو الراعى الصالح . وأعرف الخراف التى هى لى ، وخرافى التى هى لى تعرفنى . كما أن أبى

يعرفنى وأنا أعرف الآب . وسأبذل نفسى عن خرافى . ولى خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة ، ينبغى أن أجدى بها هى أيضاً فتسمع صوتى . ويكون ثمة رعية واحدة وراعٍ واحد . لذلك يحببى أبى ، إذ أبذل نفسى كى أستردّها . مامن أحد ينتزعها منى ، وإنما أبذلها أنا وحدى من ذاتى ، فلى سلطان أن أبذلها ، ولى سلطان أن أستردّها . هذه هى الوصية التى قبلتها من أبى . »

وقد أكدّ مخلصنا بهذه العبارات الدقيقة اللفظ العميقة المعنى أنه هو الراعى الصالح لرعيته من بنى البشر (حزقيال ٣٤ : ٢٣ و٣١) ؛ (ميتخا ٥ : ٤) . لأنه هو إلههم الذى يرعاهم بما لهُ من صلاح إلهى لا يمكن أن يضاهيه صلاح أى إنسان مها تبلغ فضيلته أو قداسته أو حرصه على رعاية رعيته . ومما يجعل هذه الرعاية وطيدة الأسباب قوية الدعائم بالغة حدّ الكمال ، أنه يعرف خرافه الذين هم المؤمنون به معرفة تامة ووثيقة .. « يعلم الرب الذين هم له » (٢) . تيموثيوس ٢ : ١٩) . فهو خالقهم وأبوهم ، ومن ثمّ فهو عالم بكل خواطر أنفسهم ، وخلقجات قلوبهم ، وما يظهرونه وما يبطنونه من أفكارهم ومشاعرهم وأعمالهم وأقوالهم وآلامهم وآمالهم وأهدافهم ونواياهم . كما أنهم من جانبهم يعرفونه بقدر إيمانهم به ومحبتهم له وطاعتهم إياه وثقتهم فيه باعتباره راعيهم وفاديتهم ومخلصهم وإلههم . فالصلة بينهم وبينه وثيقة وعميقة ، بنفس الدرجة التى تتصف بها الصلة بينه هو وبين أبيه السماوى ، إذ يعرف كل منها الآخر معرفة الكائن لذاته ، لأنها كليهما كيان واحد وإله واحد ووحدّة واحدة وذات إلهية واحدة ... « ولا أحد يعرف الابن إلا الآب ، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن » (متى ١١ : ٢٧) ؛ (لوقا ١٠ : ٢٢) ؛ (يوحنا ٧ : ٢٩) ؛ (٨ : ٥٥) ؛ (١٧ : ٢٥) . ولما كان هذا هو مدى العلاقة التى تربط بين مخلصنا وبين رعيته من بنى البشر ، الذين هم بمثابة خرافه ، وهذا هو مقدار الحب الذى يضمّره لهم ، فإنه قد تنازل - وهو الإله العظيم المتعالى - فأتى إليهم ، متخذاً جسداً كجسدهم المجدول من التراب .

وعاش بينهم كما يعيشون ، وعانى مثلهم ما يعانون ، وقرّر بحكمته ورحمته الإلهية أن يموت عنهم ويضع نفسه لأجلهم ( ١ . يوحنا ٣ : ١٦ ) . كى يفديهم ويكفّر عن خطاياهم التى استحقوا بسببها نَدَسَ عدالة الله الهلاك والموت الأبدى ، فيمنحهم بذلك الغفران والخلاص والحياة الأبدية . وإن كان شعب الله مقصوداً فى البداية على الأمة اليهودية التى خصها بالرعاية وأعلن لها ذاته وأنزل عليها شريعته وكان أبناؤها هم وحدهم خرافه ورعيته ( إشعيا ٥٦ : ٨ ) ، فإنه حين أتى إلى العالم كى يقوم بعمل الفداء الذى ارتضى أن ينجزه ، كان يهدف لا إلى خلاص اليهود وحدهم الذين كان يتألف منهم قبل ذلك قطع حظيرته التى هى كنيسة ، وإنما إلى خلاص البشر جميعاً بما فيهم غير اليهود من الوثنيين الذين اعتبرهم همّ أيضاً خرافه ( يوحنا ١١ : ٥٢ ) . ومن ثمّ كان ينبغى أن يدعوهم هم أيضاً ( الأعمال ١٨ : ١٠ ) ، فسمعوا صوته ، ويتبعوه ، فيتألف من كلّ القاطنين فى الأرض قطع واحد ورعية واحدة ( حزقيال ٣٧ : ٢٢ ) ؛ (أفسس ٢ : ١٣ - ١٨ ) . ويكون لهم راعٍ واحد ( حزقيال ٣٤ : ٢٣ ) ؛ ( ٣٧ : ٢٤ ) هو مخلصنا له المجد ، راعى الخراف العظيم ( العبرانيين ١٣ : ٢٠ ) . وأسقفها ( ١ . بطرس ٢ : ٢٥ ) ، ورئيس الرعاة وراعى الرعاة ( ١ . بطرس ٥ : ٤ ) الذى أتى إلى العالم ، لا ليبدل نفسه عن اليهود وحدهم ، وإنما عن البشر جميعاً . وقد كان عمل الفداء هذا بتدبير الإرادة الواحدة التى تجمع بين مخلصنا وأبيه السماوى ، والتى تعبر أصدق تعبير عن محبة ابن الله للبشر ، كما تعبر فى نفس الوقت عن محبة الآب السماوى لابنه الحبيب . وهنا يقرّر مخلصنا أنه يبذل نفسه عن البشر بمحض إرادته ومسرّته هو وحده .. « إنه ضرب من أجل ذنب شعبى .. إنه جعل نفسه ذبيحة إثم .. إنه سكب الموت نفسه .. وهو حمل خطايا كثيرين ، وشفع فى المذنبين » ( إشعيا ٥٣ : ٧ و٨ و١٢ ) .. « أخلّى نفسه متخذاً صورة العبد ، صائراً فى شبه الناس .. وضع نفسه وأطاع حتى

الموت ، الموت على الصليب .. » ( فيليبي ٢ : ٧ - ٩ ) ؛ ( العبرانيين ٢ : ٩ ) . فليس في مقدور أحد أن يأخذ من مخلصنا نفسه ، لأنه هو مالكتها ولا سلطان لأحد غيره عليها ، ولا يمكن لأحد أن ينتزعها منه على الرغم منه كما هو الشأن بالنسبة للبشر ( لوقا ٢٣ : ٤٦ ) ؛ ( متى ٢٦ : ٥٣ ) ؛ ( يوحنا ٢ : ١٩ ) ؛ ( ٥ : ٢٦ ) . فهو يبذلها من ذاته ، كما أن له السلطان أن يستردّها بإرادته وحدها . وقد تمّ هذا التدبير الإلهي لعمل الفداء بمشورة الآب ، كما أنه كان في نفس الوقت يقبول من الابن ، لأنه ارتضى أن يبذل نفسه عن البشر - بدافع من محبته لهم - لخلاصهم ورفع الغضب الإلهي عنهم ( انظر يوحنا ٦ : ٣٨ ) ؛ ( ١٢ : ٤٩ ) ؛ ( ١٥ : ١٠ ) .

١٠ : ١٩ - ٢١

فلما سمع اليهود هذه الأقوال من مخلصنا اختلفوا فيما بينهم كعادتهم ( يوحنا ٧ : ٤٣ ) ؛ ( ٩ : ١٦ ) ؛ ( ٦ : ٥٢ ) المعروفة عنهم في كل زمان ومكان ، لأنهم أهل شقاق ونفاق وتنافر وتناحر وخصام وانقسام . فقال كثيرون منهم وهم الحاقدون على مخلصنا والناكرون له والنافرون منه « إن به شيطاناً وقد اختل عقله ، فلماذا تستمعون إليه ؟ » وهكذا عجزوا بعقولهم المظلمة وقلوبهم المجرمة عن أن يجادلوه أو يخاوروه أو يجاروه فيما قال . فلم يجدوا سبيلاً إلى الرد عليه إلا أن يشتموه ويتهموه بأقبح وأقسى ما يمكن توجيهه من اتهام ، إذ وصموه بأنّ به شيطاناً نجساً ( يوحنا ٧ : ٢٠ ) ؛ ( ٨ : ٤٨ و٥٢ ) يجعل منه إنساناً شريراً دنساً ، وبأنه مختل العقل ( مرقس ٣ : ٢١ ) ، مصاب بالجنون ، يهرف بما لا يعرف ، ويهذى بما لا يدري . فلا جدوى من الاجتماع به أو الاستماع إليه . بيد أن آخرين غير أولئك ممن كانوا أكثر عقلاً وعدلاً وأقل حسداً وحقداً ، أجابوهم قائلين « ليس هذا كلام من به شيطان . أفستطيع شيطان أن يفتح أعين

العميان ؟ » وقد برهن هؤلاء بهذا القول على سلامة في التكفير ، واستقامة في المنطق ، إذ استندوا في تفنيد مزاعم الفريق الأول إلى حجتيْن دامتَين ، هما أن أقوال مخلصنا هي أقوال إلهية سامية وسمائية ، ولا يمكن أن تصدر بحال من الأحوال عن شيطان نجس أو دنس أو محتالٍ أو دجالٍ .. لأنه لو كان الشيطان هو المتكلم لكانت كلماته نجسة كنجاسته ، دنسة كدنسه ، منطوية على كل ما يتصف به الشيطان من احتيال ودجل ومن كُله أسلوب كذوبٍ يعمل به جاهداً على أن يخدع الإنسان ويدفعه إلى الشر ويوقعه في مهاوى الهلاك . كما أن أعمال مخلصنا هي أعمال إلهية سامية وسمائية ، وتنطوي على معجزات فوق طاقة أي مخلوق من مخلوقات الله ، سواء أكان إنساناً أو شيطاناً ، ولا يقدر عليها إلا الله وحده لأنه « من الذي .. يخلق .. البصير والأعمى ؟ أليس إياي أنا الرب » ( الخروج ٤ : ١١ ) .. هو « الرب يفتح عيون العميان » ( المزمور ١٤٥ : ٨ ) ، ( ٩٣ : ٩ ) . ومن ذلك تلك المعجزة الباهرة المبهرة التي صنعها مخلصنا والتي اقل ما قاله لليهود بمناسبةها ، إذ فتح أعين رجل ولد أعمى « أفيستطيع شيطان أن يفتح أعين العميان ؟ » ( انظر يوحنا ٩ : ٦ و٧ و٣٢ و٣٣ ) .

١٠ : ٢٢ - ٣٠

وكان في ذلك الوقت عيد التجديد بأورشليم . وقد أنشأ يهوذا المكابي هذا العيد في عام ١٦٥ قبل الميلاد ، تخليداً لذكرى تجديد الهيكل في عهده ، إذ كان أنطيوخوس ملك سوريا قد هاجم بلاد اليهود ودخل هيكل أورشليم وأشاع فيه الخراب ، ونهب نفائسه ، وفرض الديانة اليونانية الوثنية على الشعب اليهودي . فاعتنقها كثيرون منهم . وقد تمرد متأتياً وخرج مع أبنائه إلى الجبال وأعلن الحرب على أنطيوخوس . فلما مات خلفه في زعامة المتمردين أكبر أبنائه يهوذا ، وهو الملقب بالمكابي . وقد ظلَّ هذا يقاتل حتى استطاع الاستيلاء على أورشليم ، وهناك



وَجَدَ الهَيْكَلَ وَقَدْ التَهْمَتِ النَّارُ مَعْظَمَهُ ، وَنَجَّسَهُ الْيُونَانُ بِوَضْعِ مَعْبُودَاتِهِمْ فِيهِ ، وَإِذْ لَمْ يَجِدْ يَهُوذَا وَسِيلَةً إِلَى تَطْهِيرِ حِجَارَتِهِ مِنَ الدَّنْسِ الَّذِي لَحِقَ بِهَا حَسَبَ الشَّرِيعَةِ الْيَهُودِيَّةِ ، هَدَمَهَا وَجَاءَ بِحِجَارَةٍ جَدِيدَةٍ ، وَأَعَادَ بِنَاءَ الهَيْكَلَ مِنْ جَدِيدٍ ، وَصَنَعَ لَهُ آيَةً جَدِيدَةً . ثُمَّ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ التَّاسِعِ مِنَ السَّنَةِ الْعَبْرِيَّةِ وَهُوَ شَهْرُ كَسْلُو ، دَسَّنَ الهَيْكَلَ ، وَظَلَّ يَقِيمُ فِيهِ الطَّقُوسَ وَيَقْدِّمُ الذَّبَائِحَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَقَرَّرَ أَنْ يَكُونَ هَذَا عِيدًا دَائِمًا لِلْيَهُودِ . يَحْتَفِلُونَ بِهِ مَدَّةَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ تَبْدَأُ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ كَسْلُو مِنْ كُلِّ عَامٍ . وَقَدْ أَصْبَحَ الْيَهُودُ يَعْتَوُّونَ هَذَا الْعِيدَ مِنْ أَهْمٍ وَأَعْظَمِ أَعْيَادِهِمْ . وَكَانُوا يَجْعَلُونَ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ الْبَهْجَةِ مَا كَانُوا يَجْعَلُونَ لِعِيدَيِ الْفِصْحِ وَالْمِظَالِ ، فَكَانُوا فِي أَثْنَائِهِ يَزِينُونَ مَدْخَلَ الهَيْكَلَ بِتَيْجَانٍ مِنَ الذَّهَبِ وَيَضِيئُونَ كُلَّ الْأَنْوَارِ الَّتِي فِي الهَيْكَلَ وَفِي أُورُشَلِيمَ . وَلِذَلِكَ كَانُوا يَسْمُونَهُ أَيْضًا عِيدَ الْأَنْوَارِ .

وَلَمْ يَكُنْ يَتَحَمُّ الْإِحْتِفَالُ بِعِيدِ التَّجْدِيدِ فِي أُورُشَلِيمَ كَسَائِرِ الْأَعْيَادِ الْمُقَدَّسَةِ لِدَى الْيَهُودِ ، وَإِنَّمَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَحْتَفِلُ بِهِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَقِيمُ فِيهِ ، بِيَدِ أَنْ مَحْلَصُنَا اشْتَرَكَ فِي إِحْتِفَالَاتِ هَذَا الْعِيدِ يَوْمَئِذٍ فِي أُورُشَلِيمَ لِلتَّبَشِيرِ وَالتَّعْلِيمِ خِلَالَ الْأَيَّامِ الثَّمَانِيَةِ الْمَحْدَّدَةِ لَهُ . وَكَانَ ذَلِكَ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ . وَقَدْ حَدَثَ أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي فِي الرُّوَّاقِ الْمُسَمَّى رُوَّاقِ سَلِيمَانَ فِي هَيْكَلَ أُورُشَلِيمَ ( الْأَعْمَالُ ٣ : ١١ ) ؛ ( ٥ : ١٢ ) . وَقَدْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْاسْمُ لِأَنَّهُ كَانَ مَبْنِيًّا فِي نَفْسِ الْمَكَانِ مِنَ الهَيْكَلَ الْجَدِيدِ الَّذِي كَانَ يَقُومُ فِيهِ رُوَّاقِ سَلِيمَانَ فِي الهَيْكَلَ الْأَوَّلِ . وَقَدْ انْتَهَزَ الْيَهُودُ هَذِهِ الْفُرْصَةَ ، إِذْ كَانَتْ أَفْكَارُهُمْ مَبْلَبَةً بِشَأْنِ حَقِيقَةِ شَخْصِيَّةِ مَحْلَصُنَا ، فَأَحَاطُوا بِهِ وَقَالُوا لَهُ « إِلَى مَتَى تَتْرَكُنَا فِي حَيْرَةٍ ؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحُ فَقُلْ لَنَا ذَلِكَ صِرَاحَةً » . وَبَدَلَ قَوْلِهِمْ هَذَا عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا - عَلَى الرَّغْمِ مِنْ حَقْدِهِمْ عَلَيْهِ وَمَعَادَاتِهِمْ لَهُ - يَرْجِعُ فِي قَرَارِهِ أَنْفُسَهُمْ إِحْتِمَالًا أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الَّذِي تَنبَأَ كُلُّ أَنْبِيَاءِهِمْ عَنْ مَجِيئِهِ ، وَالَّذِي كَانُوا بِالْفِعْلِ يَنْتَظِرُونَهُ . وَلَقَدْ كَرَّرَ شَيْوْخُ

اليهود في مجمع السنهدريم هذا السؤال على محلّصنا في أثناء محاكمتهم له ، فجاء في الإنجيل : « ثم قالوا له : أنت المسيح ؟ قلّ لنا . فقال لهم : إن قلت لكم فلن تصدّقوا .. إن ابن الإنسان منذ الآن سيكون جالساً عن يمين قدرة الله . فقالوا جميعاً : أفأنت إذن ابن الله ؟ قال : نعم ، أنا هو كقولكم » ( لوقا ٢٢ : ٦٦ - ٧٠ ) وجاء في الإنجيل : « فأجاب رئيس الكهنة وقال له : أستحلفك بالله الحيّ أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ؟ . فقال له يسوع : نعم أنا هو كقولك » ( متى ٢٦ : ٦٣ و٦٤ ) ؛ ( مرقس ١٤ : ٦١ و٦٢ ) . وقد أجابهم محلّصنا في هذه المرة أيضاً قائلاً : « قد قلت لكم فلم تؤمنوا . إنّ الأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي . ولكنكم لا تؤمنون لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم . إنّ خرافي أنا تسمع صوتي وأنا أعرفها فهي تتبعني وأنا أيضاً أعطيها الحياة الأبدية ، فلا تهلك إلى الأبد ، ولا يقدر أحد أن يخطفها من يدي . إنّ أبي الذي أعطانيها هو أعظم من الجميع .. فلا يقدر أحد أن يخطفها من يد أبي . أنا وأبي نحن معاً واحد » . ويدلّ هذا القول من محلّصنا على أن أولئك اليهود الذين سألوهم - على الرغم من أنهم كانوا يفكرون في احتمال أن يكون هذا هو المسيح - كان إنكارهم له أرجح في نفوسهم من الإيمان به ، بسبب ازدرايمهم له ، لبساطة مظهره ، وبسبب غيرتهم منه ، لأن كثيرين من الشعب التفؤوا حوله وأعطوه كرامة أكثر مما كانوا يعطونه لرؤساء كهنتهم وفقهائهم من الكتبة والفريسيين . وعلى الرغم من أنه قال لهم صراحة في الفترة الأخيرة تلميحاً وتصريحاً إنه هو المسيح ابن الله الذي ينتظرونه ، فإنهم لم يؤمنوا به وإنما أهانوه وعادوه وحاولوا مرات كثيرة أن يعتدوا عليه ، مع أنهم لم يكونوا في حاجة لأن يعلن لهم لا تلميحاً ولا تصريحاً حقيقة شخصيته ( انظر يوحنا ٥ : ١٩ ) ؛ ( ٨ : ٣٦ و٥٦ و٥٨ ) . لأن أعماله التي تنطوي على معجزات لا يمكن أن تصدر إلا عن القدرة الإلهية وحدها ( يوحنا ٢ : ٢٣ ) ؛ ( ٣ : ٢ ) ؛ ( ٩ : ١٦ و٢٣ ) .

وقد صنعها فعلاً باسم أبيه السماوى الذى هو الله الآب (يوحنا ٥ : ٣٦) كما أنه صنعها بقدرته الذاتية باعتباره هو الله الابن (يوحنا ١٤ : ١٠) ؛ (١٥ : ٢٤) ؛ (١٠ : ٣٨) . وكان ينبغى أن يكون فيها أصدق الشهادة وأقوى الإقناع لهم بأنه هو المسيح . ولكنهم قد عميت عقولهم وغلظت قلوبهم . فلم يؤمنوا به لأنهم ليسوا من خرافه كما سبق أن قال لهم (يوحنا ٨ : ٤٧) ؛ (١ : ١٠) . يوحنا ٤ : ٦) ، أى ليسوا ممن انفتحت عيونهم ولانت قلوبهم فعرفوا بذلك حقيقة شخصيته ، وعرفوا أن هذا هو راعيهم الصالح بمجرد أن سمعوا صوته كما تعرف الخراف راعيها حين تسمع صوته (يوحنا ١٠ : ٣ و٤ و٤ و١٦) . وهو - بعلمه الإلهى - يعرفهم كما يعرف الراعى الصالح خرافه ، فهم يتبعونه على الفور ، وهو - إذ يؤمنون به وتمتلئ قلوبهم بكلمته المحيية التى فيها خلاصهم - يمنحهم الحياة الأبدية التى يستحقها المؤمنون الصادقون والأنقياء الأطهار والأنقياء الضمائر والسرائر والأفكار ، فلا يهلكون إلى الأبد (يوحنا ٦ : ٣٧ و٣٩) ؛ (١٧ : ١١ و١٢) ؛ (١٨ : ٩) ، كما يهلك الكافرون والمنكرون والآثمون والأشرار ، ولا يقدر الشيطان ولا أتباع الشيطان من بنى الإنسان أن يحتفظوهم من يده ، لأن أباه السماوى جعلهم رعيته (يوحنا ٦ : ٣٧ و٣٩) . فهو يرعاهم ويحافظ عليهم ، وقد عهد بهم إلى ابنه الحبيب ليرعاهم كذلك ويحافظ عليهم (يوحنا ١٧ : ٢ و٣ و٦ و٧ و٩ و١١ و١٢ و٢٤) . لأن رعاية الابن هى رعاية الآب ، ومحافظة الابن على رعاياه هى نفسها محافظة الآب على رعاياه . وكما أن الآب أعظم من جميع القوى التى فى الكون بحيث لا يمكن لأى من تلك القوى أن تغلبه ، فإن الابن كذلك أعظم من جميع تلك القوى فلا يمكن لأى منها أن يغلبه ، لأن الآب والابن إله واحد وكيان واحد وذات واحدة .

وهنا يعلن السيد المسيح له المجد فى قوله « أنا وأبى نحن معاً واحد » الحقيقة

العظمى أنه وإن كان ابن الله ، لكن هذه البتوة أزلية غير زمنية . فليس الابن متأخراً عن الآب في الزمان ، لأنه « معه » دائماً منذ الأزل ولم تمر لحظة في الزمان كان فيها الآب ولم يكن الابن « معه » . ثم إنها بتوة حقيقية وطبيعية وليست نسبية . إذ أن الابن من طبيعة الآب ومن جوهره ( يوحنا ٧ : ٢٩ ) :  
 ( ٦ : ٤٦ ) . وهي أيضاً بتوة متصله غير منفصلة ، فالابن لم ينفصل عن الآب لحظة واحدة ، إذ هو كائن معه وفيه دائماً ( يوحنا ١٤ : ١٠ و ١١ و ٢٠ ) :  
 ( ١٠ : ٢٨ ) . ومن هنا جاء قول الآباء في قانون الإيمان « واحد مع الآب في الجوهر » . أي أن الابن والآب معاً هما جوهر واحد ، وذات إلهية واحدة ( انظر يوحنا ١٧ : ١١ و ٢٢ ) .  
 ὁμοούσιος τῷ πατρὶ .

١٠ : ٣١ - ٤٢

وإذ صرّح مخلصنا لليهود بأنه هو والله الآب واحد ، عدّوا ذلك تجديفاً منه على الله ، لأنهم - على الرغم من كل ما قاله لهم إثباتاً لهذه الحقيقة - لم يؤمنوا بأنه هو المسيح ابن الله الذي ينتظرونه . فالتقطوا حجارة مرة أخرى ليرجموه ( اللاويين ٢٤ : ١٠ - ١٦ ) . ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي التقط فيها أشرار اليهود حجارة ليرجموا الرب يسوع . فعندما أعلن لهم وجوده الأزلي قبل إبراهيم رفعوا حجارة ليرجموه . إذ قال الإنجيل « قال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن . فرفعوا حجارة ليرجموه » ( يوحنا ٨ : ٥٨ و ٥٩ ) انظر أيضاً ( يوحنا ١١ : ٨ ) . ومن ثم أجابهم مخلصنا قائلاً : « إن أعمالاً كثيرة حسنة أريتمكم من لدن أبي ، فبسبب أي عمل منها ترجمونني ؟ » ، أي أن أعماله كلها كانت أعمال رحمة لهم وعطف عليهم وإحسان يسديه إليهم ، إذ شفى مرضاهم ، وأقام من بين الأموات موتاهم ، وأخرج الشياطين والأرواح النجسة من المتسلطة عليهم ، وقام بتعزية من كان حزيناً ، وتقوية من كان

ضعيفاً ، وهداية من كان ضالاً منهم ، وكانت حياته التعليمية كلها وصايا وإرشادات لهم تهدف إلى خيرهم وتؤلف بين قلوبهم ، وتغرس فيهم المحبة بعضهم لبعض . والرحمة بعضهم على بعض ، والإحسان من غنيهم على فقيرهم ، والإنصاف من كبيرهم على صغيرهم . ولم يحدث في يوم من الأيام أو في لحظة من اللحظات أن أساء إلى أحد منهم أو ارتكب في حقه خطأ أو خطيئة . بل لقد غفر للمخطئين والخطائين ، وتسامح مع الحاقدين والحاسدين ، ولم يستكبر حتى على الآثمين والأشرار منهم ، وإنما خالطهم وأكل وشرب معهم ليعينهم على أن يثوبوا إلى رشدهم ، ويتوبوا عن آثامهم وشروهم ، ويأوبوا إلى طريق البر والخير فيرثوا الحياة الأبدية التي أعدّها للأبرار والأخيار . فلماذا بعد كل هذا يريدون أن يرحموا ، وبسبب أي من هذه الأعمال الكريمة الرحيمة المليئة بالمحبة والسلام يريدون أن يقضوا عليه ؟ . وإذا لم يكن في استطاعتهم أن ينسبوا إليه أي عمل شرير يبرر محاولتهم قتله ، أجابوه قائلين « إننا نرحمك لا بسبب عمل حسن ، وإنما بسبب التجديف . لأنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً » . مما يدل على أنهم على الرغم من كل معجزاته الإلهية التي صنعها لهم ، وكل كلمات الحكمة السماوية التي فاه بها على مسامعهم ، وكل الحجج القوية الساطعة القاطعة التي ساقها إليهم ليثبت لهم أنه هو المسيح ابن الله ، ظلوا كافرين به ، منكرين له ، مُصِرِّين على عدم إيمانهم بأنه هو ابن الله الذي تنبأ بمجيئه كل أنبيائهم ، متهمين إياه بالضلال والتضليل ، وزاعمين أنه مجرد إنسان ، وأنه إذ يجعل نفسه إلهاً إنما يهرف ويحدّف على الله ويستحق من أجل ذلك الموت على مقتضى شريعتهم التي تقضى بالموت على كل المحدثين . قال الإنجيل في مرة سابقة « فاشتدت رغبة اليهود في قتله ، لأنه لم ينقض السبت فحسب ، وإنما قال أيضاً : الله أبى ، مساوياً نفسه بالله » ( يوحنا ٥ : ١٨ - انظر فيلبي ٢ : ٦ ) . ومن ثم أجابهم مخلصنا قائلاً : « أليس مكتوباً في شريعتكم : أنا قلت إنكم

آلهة ؟ ، فإن كان يدعو أولئك الذين كانت إليهم كلمة الله آلهة ، والكتاب لا يمكن نقضه ، أف تقولون أنتم للذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم إنك تجدّف لأنى قلت إننى أنا ابن الله ؟ .

وهكذا ساق إليهم مخلصنا - لتفنيد ذلك الاتهام الذى وجهوه إليه - حجة مأخوذة من الكتاب المقدس نفسه ، الذى لا يمكن لهم إنكاره أو الماراة فيه أو نقض ما روود به ، ( انظر يوحنا ١٢ : ٣٤ ) ؛ ( ١٥ : ٢٥ ) ؛ ( روما رومية [ ٣ : ١٩ ] ؛ ( ١٣ : ١٠ ) ؛ ( ١ . كورنثوس ١٤ : ٢١ ) إذ جاء فى سفر الزمير قول الله لبنى البشر « أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم » ( المزمور ٨١ : ٦ ) . فإن كان الله يصف بنى الإنسان جميعاً بأنهم آلهة ، فهل يتهم اليهود مخلصنا بالتجديف لأنه قال عن نفسه إنه ابن الله وهو الذى قدّسه الآب السماوى ( لوقا ١ : ٣٥ ) أى كرسه وعيّنه ( روما [ رومية ] ١ : ٤ ) ؛ ( الأعمال ١٠ : ٤٢ ) ، وخصّصه لخلاص العالم ، فصار هو المعين لخلاص العالم ( الأعمال ٥ : ٣١ ) . إذ ليس بأحد غيره الخلاص ( الأعمال ٤ : ١٢ ) ، ومن ثمّ صار هو رئيس خلاصنا » ( العبرانيين ٢ : ١٠ ) الآتى من السماء من أجل خلاص العالم ( يوحنا ٣ : ١٧ ) ؛ ( ٤ : ٤٢ ) ؛ ( ١١ : ٢٧ ) .

على أنه ما أعظم الفرق بين معنى « إله » فى قول المزمور « أنا قلت إنكم آلهة » وبين أن « المسيح إله » . فكلمة « إله » إذا قيلت عن بشر ، فهى بمعنى سيّد أو قاضٍ أو رئيس أو صاحب سلطان وسيادة على من همّ دونه . وبهذا المعنى قال الرب الإله لموسى عن هرون أخيه « وهو ( أى هارون ) يكون لك فماً ، وأنت تكون له إلهاً » ( الخروج ٤ : ١٦ ) . وبهذا المعنى قال الرب لموسى عن فرعون ملك مصر ، « انظر قد جعلتك إلهاً لفرعون ، وهارون أخوك يكون نبياً » ( الخروج ٧ : ١ ) . فوسى جعله الرب إلهاً بالنسبة لهارون ، وجعله إلهاً

بالنسبة لفرعون ، وإذن فوسى ليس إلهًا على الإطلاق ، وبالتالي ليس هو الله إنما هو إله بالنسبة لشخص جعله الرب تحت أمره وتحت سلطانه . وبهذا المعنى المحدود لكلمة « إله » قال إكليمنضس الإسكندري إنَّ الله خلق الإنسان ليكون إلهًا ، أى جعله إلهًا صغيرًا ، له السيادة على ما هو دونه من كائنات حية وجمادة . ولعل أكليمنضس بهذا يفسر السلطان الذى منحه الله للإنسان ليحكم به الكائنات التى جعلها الله فى حيازته ، وقال الله « لنصنع الإنسان على صورتنا كشبهنا ، ولتسلط على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبّابات التى تدبّ على الأرض ... فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه . ذكرًا وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم : انموا واكثروا .. واملأوا الأرض وأخضعوها ، وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدبّ على الأرض » ( التكوين ١ : ٢٦ و ٢٧ ) .

أما السيد المسيح فليس مجرد إله بهذا المعنى . إنما هو الإله الأزلى الأبدى . الألف والياء . البداية والنهاية . الكائن الذى كان . الدائم إلى الأبد . والقادر على كل شىء ( الرؤيا ١ : ٨ ) ؛ ( ٢١ : ٦ ) ؛ ( ٢٢ : ١٣ ) والذى قال « أنا وأبى نحن معًا واحد » ( يوحنا ١٠ : ٣٠ ) . ولولا أن اليهود قد فهموا أن المسيح نسب إلى ذاته أنه من جوهر الآب ومن طبيعته ، وأنه منه ( يوحنا ٧ : ٢٩ ) وأنه كائن معه وفيه ( يوحنا ١٤ : ١٠ و ١١ و ٢٠ ) ؛ ( ١٧ : ٢١ ) لما التقطوا حجارة أكثر من مرّة ليرجموه ( يوحنا ١٠ : ٣١ ) ؛ ( ٨ : ٥٩ ) . ولمّا سألهم لماذا يرمونهم ، أجابه اليهود قائلين « إننا نرجمك لا بسبب عمل حسن ، وإنما بسبب التجديف . لأنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا » ( يوحنا ١٠ : ٣٣ ) .

إذن لقد فهموا معنى الألوهية هنا لا بالمعنى الذى قيل عن موسى بالنسبة إلى هارون أو بالنسبة إلى فرعون . كذلك قال الإنجيل فى موضع آخر : « فاشتدت رغبة اليهود فى قتله ، لأنه لم يقض السبب فحسب ، وإنما قال أيضًا : الله

أبى ، مساوياً نفسه بالله » ( يوحنا ٥ : ١٨ ) . أى أن اليهود فهموا أن السيد المسيح له المجد لا ينسب إلى ذاته الألوهية بالمعنى المحدود والنسبي الذى قيل فى موسى وغيره ( المزمور ٨١ : ٦ و١ ) ، وإنما بالمعنى المطلق الذى لا ينسب إلا إلى الله الواحد وحده ، وإلا لَمَا كانوا يتهمونهم بالتجديف ، وَمِنْ ثَمَّ يبتغون رَجْمَهُ وقتله .

وما قلناه عن معنى « إله وآلهة » ينسحب على كلمة « ابن » فى قول السيد المسيح له المجد عن نفسه « إبنى أنا ابن الله » . فهذه البُنُوَّة ليست من طراز تلك البُنُوَّة التى قيلت فى المزمور « إنكم آلهة وبنو العلى كلكم » ، فهذه البُنُوَّة الأخيرة هى بُنُوَّة نَسَبِيَّة كما قيل فى أولاد شيث بن آدم لإنهم « بنو الله » ( التكوين ٦ : ١ ) . وقيل عن الملائكة لإنهم « بنو الله » ( أيوب ٢ : ١ ) . بمعنى أن هؤلاء منسوبون إلى الله بوصفه خالقهم من جهة ، وبوصفهم عبده المخلصين فى عبادتهم له . وكذلك هناك نوع من البُنُوَّة من قبيل الإنعام كما قيل فى ( يوحنا ١ : ١٢ ) . أما بُنُوَّة المسيح لله فهى أولاً بُنُوَّة طبيعية ، أى أن المسيح هو ابن الله بالطبيعة ( لوقا ١ : ٣٥ ) . بالطبع لا بالوضع ( يوحنا ٩ : ٣٥ و٣٧ ) ، لأنه من ذات جوهره ( يوحنا ٧ : ٢٩ ) وكائن فى حضنه ، أى فى عمقه وفى ذاته ( يوحنا ١ : ١٨ ) . ولذلك فهو الابن الوحيد الذى ليس له نظير فى هذا النوع من البُنُوَّة ( يوحنا ١ : ١٨ ) ؛ ( ٣ : ١٦ و١٨ ) ؛ ( ١ : يوحنا ٤ : ٩ ) . وقد فهم اليهود هذه البُنُوَّة بهذا المعنى الخاص حتى إنهم قالوا لبيلاطس مطالبين بموته « إنه على مقتضى شريعتنا يستحق الموت ، لأنه جعل نفسه ابن الله » ( يوحنا ١٩ : ٧ ) . والمسيح ابن الله لأنه « صورة الله الغير المنظور » ( كولوسى ١ : ١٥ ) ولذلك فَمَنْ رآه فقد رأى الآب ( يوحنا ١ : ١٨ ) ؛ ( ١٤ : ٧ و٩ ) ؛ ( ٦ : ٤٦ ) .

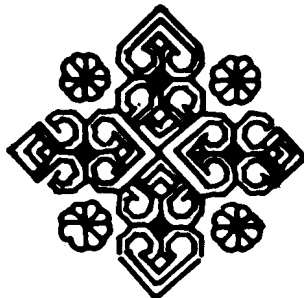
ثم ساق مخلصنا إلى اليهود حجة أخرى تفنّد اتهامهم له ، قائلاً لهم « إن لم



أكن أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي . ولكن إن كنت أعمل أعماله فإن لم تؤمنوا بي ، آمنوا بالأعمال ، لتعلموا وتعرفوا أنني أنا في أبي ، وأنَّ أبي فيَّ ، « أى أن المعجزات التى يصنعها يعجز عن أن يصنع مثلها أى إنسان فى أى مكان أو زمان ، ولا يقدر عليها إلا الله وحده . وهذا ما قرره له المجد بنفسه إذ قال « لو لم أكن قد صنعت بينهم أعمالاً لم يصنعها أحد غيرى لَمَا كانت لهم خطيئة » ( يوحنا ١٥ : ٢٤ ) . فهى أعمال تبرهن بذاتها وى ذاتها بما لا يدع مجالاً للشك على أنها أعمال إلهية ، وأنَّ مخلصنا الذى يصنعها هو ابن الله . فكما أن الله الآب هو وحده القادر عليها ، فإن الله الابن هو وحده القادر عليها كذلك ، لأن الآب والابن كيان واحد وطبيعة واحدة . فإن كان اليهود لا يقتنعون ولا يؤمنون بأنَّ مخلصنا هو ابن الله بسبب بساطة مظهره ، وتواضع مهنته ، وعدم امتلاكه ما يمتلك الملوك والقادة والرؤساء والأغنياء من أموال طائلة ومن أسباب الوجاهة والجاه ، فليقتنعوا وليؤمنوا بالمعجزات التى يصنعها ، والتى يعجز عن أن يصنع واحدة منها كل ملوك الأرض وقادتها ورؤسائها وأغنيائها ، لأنهم عندئذ يقتنعون ويؤمنون بأنَّ مخلصنا الذى هو صانع تلك المعجزات هو ابن الله وهو الله ذاته ، لأن العلاقة بين ابن الله وبين الله أبه هى علاقة الذات بذاتها . فالابن بكل كيانه فى الآب ، والآب بكل كيانه فى الابن ( يوحنا ١٤ : ١٠ و١١ و٢٠ ) ؛ ( ١٧ : ٢٣ و٢١ ) ، على مقتضى طبيعة الله الفريدة الفذة الفائقة التى تتسامى أعظم التسامى وأعمق التسامى عن أن يدرك حقيقتها العقل البشرى المحدود إلى أبعد الحدود ، والذى يرسف بطبيعته المادية الأرضية فى سلسلة لا انتهاء لها من الأغلال والقيود . قال السيد المسيح له المجد : « أما أنا فلى شهادة أعظم من شهادة يوحنا ، لأن الأعمال التى أعطانى أبى لأنجزها ، تلك الأعمال التى أنا أعملها هى نفسها التى تشهد لى » ( يوحنا ٥ : ٣٦ ) .

ولكن اليهود على الرغم من تلك الحجج الرائعة المقنعة التى ساقها إليهم

مخلصنا ليؤمنوا بأنه هو المسيح ابن الله الذى يتظرونه ، عجزوا - بغباثهم وسواد قلوبهم وعمى أبصارهم وبصائرهم ( يوحنا ٩ : ٣٩ و٤٠ و٤١ ) وسيطرة الحقد والحسد على أفكارهم ومشاعرهم ( متى ٢٧ : ١٨ ) - عن أن يدركوا تلك الحقيقة السماوية السامية التى أعلنها لهم ، وأرادوا مرة أخرى أن يمسكوه ليقتلوه ( انظر يوحنا ٧ : ٤٤ و٣٠ ) ؛ ( ٨ : ٥٩ ) ، بدعوى تجديفه على الله ، إذ قرر أنه هو ابن الله ، ولكنه خرج من أيديهم ، إذ اختفى بطريقة معجزية عن أبصارهم ، أو لعل هيبته الإلهية حالت بينهم وبين أن يلقوا أيديهم عليه وهم يرونه ينصرف عنهم . ثم عاد إلى الضفة الأخرى لنهر الأردن ، حيث كان يوحنا يعمد من قبل ( يوحنا ١ : ٢٨ ) ، ومكث هناك . وإذا كان الذين شهدوا معجزاته ، ولا سيما الذين سبق لهم أن سمعوا شهادة يوحنا عنه ( يوحنا ٣ : ٢٦ - ٣٠ ) ؛ ( ١ : ٢٧ و٢٩ و٣٠ - ٣٤ ) . لا يفتأون يبحثون عنه ويتبعونه حيث يمضى ، أتى كثيرون منهم إلى الموضع الذى ذهب إليه وهم يقولون فيما بينهم : « إن يوحنا لم يصنع أى معجزة ، ولكن كل ما قاله عن هذا كان حقاً » . ومن ثم آمن به كثيرون هناك ، مبرهنين بذلك على أنهم كانوا أكثر من أولئك الذين أنكروه ذكاء عقل وصفاء نفس ونقاء سريرة ، وتجرداً من كل حقد وحسد وغيرة ، وابتعاداً عن كل ما يفسد الشعور والتفكير . وفى أكثر من موضع نجد أن كثيرين من اليهود بل من الرؤساء أيضاً كانوا يؤمنون به ( انظر يوحنا ٧ : ٣١ ) ؛ ( ٨ : ٣٠ ) ؛ ( ١١ : ٤٥ ) .





## الفصل الحادى عشر

١١ : ١ - ١٦

وكان ثَمَّةً بالقرب من أورشليم قرية اسمها بيت عنيا (متى ٢١ : ١٧) ؛  
 (٢٦ : ٦) ؛ (مرقس ١١ : ١١ و١٢ و١٤ : ٣) ؛ (لوقا ١٩ :  
 ٢٩) ؛ (٢٤ : ٥٠) ؛ (يوحنا ١٢ : ١) ، تقيم بها أسرة كان افرادها يؤمنون  
 بمخلّصنا له المجد ، فكان هو يحبّهم ويأتمنهم ويستريح فى دارهم حين يكون  
 قاصداً أورشليم أو عائداً منها ، ولا يفتأ كلما مرّ بهم يغرس فيهم تعاليمه ليكونوا من  
 صفوة تلاميذه . وكانت تلك الأسرة مكونة من رجل اسمه لعازر ، ومن أخته  
 اللتين كان اسمها مريم ومرثا ( انظر لوقا ١٠ : ٣٨ و٣٩ ) . وقد بلغ من إيمان مريم  
 بمخلّصنا أنها فى إحدى المرات الأخيرة ، كانوا قد أقاموا له فى بيت سمعان  
 الأبرص هناك فى بيت عنيا وليمة عشاء ، فأخذت قارورة سعتها مائة درهم من  
 طيب الناردین الغالى الثمن ثم سكبته على رأسه وهو جالس إلى مائدة الطعام ،  
 ثم دهنت قدميه ومسحتها بشعر رأسها . ولعلها أرادت بذلك أن تعبّر عن امتنانها

وشكرها للرب يسوع المسيح الذى أقام أخواها لعازر من بين الأموات ( انظر متى ٢٦ : ٦ - ١٣ ) ؛ ( مرقس ١٤ : ١ - ٩ ) ؛ ( يوحنا ١٢ : ٣ - ٨ ) .

وقد حدث أن لعازر مرض مرضًا شديدًا فأرسلت أختاه مرثا ومرم إلى محلّصنا قائلتين « يارب هوذا الذى تحبه مريض » . فلما سمع محلّصنا ذلك النبأ قال « إن هذا المرض ليس مرضًا للموت ، بل لأجل مجد الله ، كى يتمجد ابن الله به » . وقد كانت الأختان تهدفان من رسالتهما تلك إلى محلّصنا - بسبب إيمانهم بقدرته الإلهية - إلى أن يجيء ليشفيه . ولكن محلّصنا كان يهدف إلى غاية أخرى ، إذ كان يعلم أن هذا المرض الذى أصاب لعازر لم يكن المقصود منه فى حكمة الله وتدبيره أن ينتهى إلى الموت ، كأى مرض يصيب الإنسان تمهيدًا لموته ، وإنما قد ربت العناية الإلهية هذا المرض كوسيلة للإعلان عن قدرة الله ومجده على يد محلّصنا ابن الله ، وإعلانًا فى الوقت نفسه عن قدرة محلّصنا ليؤمن بنو البشر أنه هو ابن الله ، فيتمجد محلّصنا ابن الله بهذه القدرة التى لا تتأنى إلا لله الواحد وحده . وقد قال له المجد مثل ذلك عن المولود أعمى إنه ولد كذلك « لكى تظهر فيه أعمال الله » ( يوحنا ٩ : ٣ ) . ومن ثم فإن محلّصنا - على الرغم من أنه كان يجب مرثا ومريم اختها ولعازر أخواها - حين سمع أن لعازر مريض لبث فى الموضع الذى كان فيه يومين ، لا تهاونًا منه نحو ذلك الذى كان يجبه ، ولا تباطؤًا فى تلبية نداء أخته اللتين كانتا تلميذتين له ، وإنما تمهيدًا للتدبير الإلهى كى يصنع واحدة من أعظم معجزاته إن لم تكن أعظمها جميعًا ، ليبرهن على قدرة لاهوته ، ويظهر مجده بوصفه ابن الله . « صورة الله الغير المنظور » ( كولوسى ١ : ١٥ ) ، « لكى يتمجد الآب فى الابن » ( يوحنا ١٤ : ١٣ ) . ومجد الابن هو مجد الله الآب لأنه منه ( يوحنا ٧ : ٢٩ ) ، إذ قال له المجد « جميع ما هو للآب فهو لى » ( يوحنا ١٦ : ١٥ ) ؛ ( يوحنا ١٧ : ١٠ ) .

وهنا نلاحظ قول الإنجيل « وكان يسوع يحب مرثا ومرم أختها ولعازر » ،  
وعندما أرسلت الأختان إلى الرب يسوع ليأتى كى يشفى لعازر قالت له عبارة  
مقتضية « هوذا الذى تحبه مريض » . إن هذا التعبير عن محبة المسيح له المجد لهذه  
الأسرة ، هذه المحبة الخاصة التى استحقت أن يُتَّوه عنها الإنجيل لابدأ أن يكون  
أساسها أن المسيح له المجد قد وجد فى أعضاء هذه الأسرة صفات استحقت  
شرف محبته . أما مرثا فكانت فتاة تتفانى فى خدمته له المجد ( يوحنا ١٢ : ٢ ) ،  
وتبذل جهدها ونفسها بدلاً فى سبيل الترحيب به ( لوقا ١٠ : ٣٨ ) ، وإعداد  
الطعام والمائدة التى يجلس إليها مع الناس الذين يحدثهم عن ملكوت الله .  
وكانت هى نفسها تتمتع بالاستماع له فى أثناء الإعداد للطعام ومابعده ، ولقد  
ظهر منها مايدل على استفادتها من تعليمه فيما يتعلق بالقيامة العامة ، بدليل قولها  
عن أخيها لعازر « أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير » ( يوحنا ١١ :  
٢٤ ) ، وقولها « إننى أومن بأنك أنت المسيح ابن الله الآتى إلى العالم » ( ١١ :  
٢٧ ) . وأما مريم فهى التى كانت تجلس عند قدميه تستمع إلى كلامه . وقد اثنى  
الرب يسوع عليها ووصفها بأنها « قد اختارت مريم النصب الصالح الذى لن  
يُتزع منها » ( لوقا ١٠ : ٣٩ و٤٢ ) . وأما لعازر فلايُبد أنه كان لا يستمع فقط  
( يوحنا ١٢ : ٢ ) ، وإنما كان نموذجاً للشباب والرجل العامل بما يسمع ،  
ولذلك استحق أن « يحبه » المسيح كما قالت الأختان ، وهو تعبير نادر ،  
ولا يمكن أن يوصف به إلا إنسان يتميز بصفات وفضائل يراها فيه المسيح فيحبه  
من أجلها . وقد قال عنه بضمه « إن لعازر حبينا قد نام » ( ١١ : ١١ ) .

ثم قال محلصنا لتلاميذه بعد ذلك « لنعد إلى اليهودية » حيث كانت مدينة  
بيت عنيا على جبل الزيتون بالقرب من أورشليم ، فقال له تلاميذه « يامعلم إن  
اليهود كانوا يبتغون أن يرجموك ، أفتذهب الآن إلى هناك ؟ » . وكان لقب

المعلم - وبالعبرائية راى - يُكْتَبَى به عن أعلى مراتب العلم والأستاذية ، لأنه كان يعنى العالم أو العلامّة ، وهو يقابل فى المصطلح الجامعى الحديث لقب الأستاذ أو الدكتور . فأجاب مخلصنا قائلاً « أليس فى النهار اثنتا عشرة ساعة ؟ فإن مشى أحد فى النهار لا يعثر لأنه يرى نور هذا العالم ، وأما إن مشى فى الليل فإنه يعثر لأنه ليس فيه النور » . وقد برهن التلاميذ بما قالوه لمعلمهم على حبهم له ، وخوفهم عليه من أن يقتله أعداؤه من اليهود ( انظر يوحنا ١٠ : ٣١ ) فى إقليم اليهودية الذى كانت عاصمته اورشليم . وكانت بيت عنيا التى كان لعازر يقيم فيها مع أخته إحدى ضواحي اورشليم . ولكنّ مخلصنا أجاب عن تساؤل تلاميذه بما يعنى أنه ينبغى أن يعمل الأعمال التى جاء لينجزها فى هذا العالم قبل أن يرتفع عنه إلى السماء ( لوقا ١٣ : ٣٣ ) . لأنه طالما هو فى العالم فهو نور العالم ( يوحنا ٩ : ٥ ) ؛ ( ١٢ : ٣٥ و٤٦ ) الذى هو بمثابة نور النهار بالنسبة لبني البشر الذين ينجزون أعمالهم فى أثناء النهار ، وخلال مدته التى تمتد اثنتى عشرة ساعة ، يمشون ويتنقلون من مكانٍ إلى آخرٍ فى أمان واطمئنان إلى أنهم لن يعثروا . أما بعد أن يرتفع مخلصنا إلى السماء فلا تعود ثمة فرصة لبني البشر كى يروا أعمال قدرته ، وكى يسيروا فى حياتهم على هدى نوره . فيكونوا كمن يمشى فى ظلام الليل ، فلا يلبث أن يتعثّر ويسقط لأن الظلام يكتنفه من حواليه وفى داخله ، ولأنه بسبب هذا الظلام يغدو أعمى البصر والبصيرة ، فهو عاجز عن أن يتجنّب الخطأ فى خطواته ، كما أنه عاجز عن أن يتجنب الخطيئة فى أفعاله وتصرفاته .

قال مخلصنا هذا لتلاميذه ، ثم بعد ذلك قال لهم : « إن لعازر حبيبنا قد نام ، ولكننى سأذهب لأوقظه » . ولم يكن مخلصنا يعنى بالنوم هنا نوم الرقاد وإنما كان يعنى نوم الموت . لأنه كان يعلم أن لعازر قد مات بالفعل . ويدلّ ذلك على أن الموت ليس إلا صورة من صور النوم يستيقظ بعده الإنسان فى العالم

الآخر . كما يدلّ على أن النوم ليس إلا صورة من صور الموت الذى تَقْتَرُّ فى أثناءه الإحساسات الجسدية للإنسان وتستريح روحه من عناء المطالب الأرضية حتى يستيقظ مرة أخرى ، ثم يتكرّر هذا على الأرض حتى النوم الأخير الذى هو الموت . وليست هذه هى المرة الوحيدة التى يصف فيها المسيح له المجد الموت بأنه نوم . فقد قال عن ابنة يايروس ، وكانت قد ماتت وكان الجميع يبكون عليها ويندبونها « لا تبكوا ، فإنّ الصبية لم تمت ولكنها نائمة » ( لوقا ٨ : ٥٢ ) ؛ ( متى ٩ : ٢٤ ) ؛ ( مرقس ٥ : ٣٩ ) - انظر أيضا ( التثنية ٣١ : ١٦ ) ؛ ( دانيال ١٢ : ٢ ) ؛ ( متى ٢٧ : ٥٢ ) ؛ ( الأعمال ٧ : ٦٠ ) ؛ ( ١٣ : ٣٦ ) ؛ ( ١ . كورنثوس ١٥ : ٦ و ١٨ و ٥١ ) ؛ ( ١ . تسالونيكي ٤ : ١٦ ) .

ومن ثمّ فإنّ مخلصنا قرر أن يذهب إلى لعازر كى يوقظه من نوم الموت ويعيده إلى الحياة . ولكن التلاميذ اعتقدوا أنه يحدّثهم عن نوم الرقاد . وأن لعازر لم يمت وإنما نام فقط كما ينام الناس للراحة والاستجمام ، ومن ثمّ قالوا له « إن كان قد نام فإنه يقوم » . فقال لهم مخلصنا صراحة « إنّ لعازر قد مات . وأنا أفرح من أجلكم - إذ لم أكن هناك - لتؤمنوا . ولكن هلمّوا نذهب إليه » . وهكذا أعلن مخلصنا الحكمة التى توخّاها من إبطائه فى الاستجابة لمريم ومرثا حين اخبرته أن لعازر مريض ، وتضرّعنا إليه أن يذهب ليشفيه . فقد تعمّد له المجد الأيّ يذهب حينذاك لكى يموت لعازر ويظلّ دفين القبر أربعة أيام حتى تتحلّل جسّته كى يذهب عندئذ ويصنع معجزته الإلهية العظيمة فيقيمّه من بين الأموات . وكان هذا مايعنيه له المجد حين قال لتلاميذه « إنّ هذا المرّض ليس مرضاً للموت ، بل لأجل مجد الله . كى يتمّجد ابن الله به » . أى ليرى تلاميذه وسائر الناس هذه المعجزة فيؤمنوا بقدرة الله الآب وسلطانه ، وبأنّ مخلصنا هو ابن الله الذى له نفس قدرة الآب وسلطانه . فيتمّجد الآب فى الابن ( يوحنا ١٤ : ١٣ ) ،

ويتمجد الابن بالآب (يوحنا ١٢ : ٢٨) . وقد فرح مخلصنا من أجل تلاميذه ، لأنهم سيرون هذه المعجزة فيتوَّطد إيمانهم به ، في حين أنه لو كان قد ذَهَبَ إلى لعازر وهو في حالة مرضه فحسب ، ما كانت قد أتاحت هذه الفرصة للتلاميذ كى يروا تلك المعجزة . وإذ قال لهم مخلصنا « هلمّوا نذهب إليه » قال تلميذه توما (متى ١٠ : ٣) ؛ (مرقس ٣ : ١٨) ؛ (لوقا ٦ : ١٥) ؛ (يوحنا ١٤ : ٥) ؛ (الأعمال ١ : ١٣) ، الملقب ديديموس (يوحنا ٢٠ : ٢٤) ؛ (٢١ : ٢) للتلاميذ رفاقه « لنذهب نحن أيضًا كى نموت معه » ، فأوضح بهذا القول مدى محبته ومحبة سائر التلاميذ لمعلمهم ، حتى إنهم كانوا على استعداد لأن يتعرضوا لأى خطر يتعرَّض هو له حين يذهب إلى إقليم اليهودية ، ولو كان هذا الخطر هو الموت .

١١ : ١٧ - ٢٧

فلما جاء مخلصنا إلى بيت عنيا كان لعازر قد مات وظلَّ جثمانه في القبر أربعة أيام . وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم على بعد نحو خمس عشرة غلوة منها ، وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مرثا ومريم ليعزّوهما عن أخيهما ، فما سمعت مرثا أنّ معلمنا قادم حتى خرجت تستقبله (انظر لوقا ١٠ : ٣٨) . وأما مريم فلبثت قاعدة في البيت . وقالت مرثا لمعلمنا « ياربّ لو كنت هنا ما كان أخى قد مات . ولكننى ما زلت أعلم أنّ كل ماتطلب من الله يعطيك الله إياه » . وقد برهنت مرثا بقولها هذا على مدى معرفتها لحقيقة شخصية مخلصنا وقوة إيمانها بقدرته الإلهية ، وبأنه قادر على أن يقيم أخاها من موته حتى بعد أن مات ، ويعيد الحياة إليه . وبالفعل قال لها مخلصنا « سيقوم أخوك » . بيد أن مرثا أرادت أن تسمع منه كلمة توَّطد إيمانها بقدرته على أن يصنع هذه المعجزة التى تفوق كلّ عقل وتتجاوزو كلَّ خيال ، فقالت له « أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم



الأخير» ، مبرهنة بهذا على أنها قد استفادت حقًا من تعليم السيد المسيح له المجد فيما يتعلق بحقيقة القيامة العامة لجميع الناس في نهاية هذا الدهر ، وأن هذا التعليم صار عندها عقيدة ثابتة لا يناهها الشك من بين يديها ولا من خلفها . فقد قال السيد المسيح له المجد « تأتي ساعة يسمع فيها كل الذين في القبور صوته . فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » ( يوحنا ٥ : ٢٨ و ٢٩ ) وانظر أيضًا ( لوقا ١٤ : ١٤ ) ؛ ( الأعمال ٢٣ : ٦ ) ؛ ( ٢٤ : ١٥ ) ؛ ( ٢٦ : ٨ ) ؛ ( دانيال ١٢ : ٢ ) .

فقال لها مخلصنا « أنا هو القيامة والحياة . من آمن بي وإن مات فسيحيا . وكل من كان حيًا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد » . أى أن مخلصنا هو مصدر القيامة من الموت وصانعها بموته عن البشر وقيامته هو نفسه بقدرته الذاتية من بين الأموات . فهو أقام ذاته بسلطان لاهوته . ولم يقف أحد على قبره ليقمه من بين الأموات ، بل قام والقبر مغلق ليبرهن على أنه ليس للموت سلطان عليه أن يمسكه . وعلى أنه هو أيضًا صاحب السلطان على أن يقيم الموتى ويحييهم في الحياة الحاضرة وفي اليوم الأخير . وذلك فيما يُعرف بالقيامة العامة . قال له المجد : « لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم ، هكذا الابن يحيى من يشاء » ( يوحنا ٥ : ٢١ ) ؛ ( لوقا ٧ : ١٤ ) ؛ ( ٨ : ٥٤ ) وقال أيضًا : « من يأكل جسدى ويشرب دمي فله الحياة الأبدية ، وأنا أقيمه في اليوم الأخير » ( يوحنا ٦ : ٥٤ ) - وانظر أيضًا ( يوحنا ٥ : ٢٦ ) ؛ ( ٦ : ٣٩ و ٤٠ و ٤٤ ) .

كما أن مخلصنا هو الحياة ذاتها ( يوحنا ١٤ : ٦ ) ؛ ( كولوسي ٣ : ٤ ) ؛ ( ١ . يوحنا ٥ : ٢٠ ) ، ومصدر الحياة ، ومنشئ الحياة ، وصانع الحياة ، ومُبدئ الحياة ، فهو الخالق للحياة في البدء . لأن « كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان » ( يوحنا ١ : ٣ ) وهو « خبز الحياة » ( يوحنا ٦ :

٣٥ و٤٨ و٥١) . وهو المعيد إلى الحياة كل الأموات في اليوم الأخير ( يوحنا ٦ : ٣٩ و٤٠ و٤٤ و٥٤ ) . فبواسطته كانت الحياة . و « فيه كانت الحياة » كما يقول الإنجيل ( يوحنا ١ : ٤ ) . وهنا نتساءل : هل يجرؤ نبيّ أو رسول أن يقول عن نفسه « أنا هو القيامة والحياة » ؟ لو لم يكن المسيح هو الله لكان مجدّفاً على الله . فمن آمن بمخلّصنا وإن مات فسيحيا . إذ أن مخلّصنا بموته على الصليب قد أحيانا ( ١ . يوحنا ٤ : ٩ ) نحن الموتى بالخطيئة ، لأنه كفر بموته عن خطايانا . فبعد أن كنا أمواتا بالخطيئة أصبحنا أحياء بالصليب وبالإيمان بذلك الذي مات عنا على الصليب ( روما [ رومية ] ٦ : ٨ ) . ولئن رقدنا رقاد الموت إننا أحياء به وفيه ( العبرانيين ١٢ : ٩ ) . فلا يلحق الموت إلا بأجسادنا ، وأما أرواحنا فتحيا في ملكوت السماوات ( ٢ . كورنثوس ١٣ : ٤ ) ( ٢ . تيموثيوس ٢ : ١١ ) . بل إن أجسادنا ذاتها التي لحق بها الموت في الأرض سيقمها مخلّصنا في يوم القيامة فتحيا في السماء . وكل من كان حياً وآمن بمخلّصنا وإن مات موت الجسد ، فإنه لن تموت روحه أبداً . وإنما سيحيا روحاً وجسداً إلى الأبد . فقد قال له المجد : « الحقّ الحقّ أقول لكم إن من يؤمن بي فله الحياة الأبدية » ( يوحنا ٦ : ٤٧ ) ؛ ( ٣ : ١٥ و١٦ و٣٦ ) ؛ ( ٦ : ٤٠ ) ؛ ( روما [ رومية ] ٨ : ١٣ ) ؛ ( ١ . يوحنا ٥ : ١٢ ) .

وقد قال مخلّصنا ذلك لمرثا ثم سأها قائلاً « أتؤمنين بهذا؟ » قالت له « نعم يارب إنني أومن بأنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم » . وقد صادقت بهذا على هذه الحقيقة اللاهوتية العظمى ، وهي « الصخرة » التي بُنيت عليها كنيسة المسيح ( متى ١٦ : ١٦ ) ؛ ( ١٤ : ٣٣ ) ؛ ( ٤ : ٣ ) ؛ ( مرقس ١ : ١ ) ؛ ( ٦ : ٦٩ ) ؛ ( ٩ : ٣٥ - ٣٨ ) ، وقد كانت مرثا تعني بقولها هذا أنها مادامت قد آمنت بأن مخلّصنا هو المسيح ابن الله الذي تنبأ الأنبياء بأنه سيأتي إلى

العالم . فإن هذا يتضمن في ذاته أنه هو القيامة والحياة . وأنه قادر على أن يقيم الموتى ويعيد إليهم الحياة . وبالتالي أنه قادر على أن يقيم أخاها لعازر بعد أن مات منذ أربعة أيام . وأن يعيد إليه الحياة . مهما بدا ذلك للعقل البشرى مستحيلًا وبعيدًا كلَّ البعد عن التصديق .

١١ : ٢٨ - ٤٤

وبعد هذا ذهبت مرثا ودعت مريم أختها سرًّا وقالت لها : « قد حضر المعلِّم وهو يدعوك » (انظر متى ٢٦ : ٨) ؛ (مرقس ١٤ : ١٤) ؛ (لوقا ٢٢ : ١١) ؛ (يوحنا ١٣ : ١٣) . وقد حرصت على إن تكلم هذا السرُّ عن الموجودين مع أختها ، إما خوفًا من إحراج المعزَّين لو أنها أنبأها بالأمر بصوت مرتفع ، مما قد يضطرهم إلى الخروج من البيت ، أو لأنها كانت تعلم أن رؤساء اليهود يضمرون الشرِّ لمعلِّمنا . ولو أنهم علموا بحضوره إلى إقليم اليهودية لعملوا على قتله . فما إن سمعت مريم قول أختها حتى نهضت مسرعة وجاءت إليه . ولم يكن قد بلغ القرية بعد . وإنما كان لا يزال في الموضع الذي لاقت فيه مرثا . فلما رأى اليهود الذين كانوا مع مريم في البيت يعزونها أنها نهضت مسرعة وخرجت ، تبعوها معتقدين أنها ذاهبة إلى القبر لتبكي هناك . وأما مريم فحين جاءت إلى حيث كان مخلصنا ورأته خرَّت عند رجليه قائلة له « ياربُّ لو كنت هنا ما كان أخى قد مات » ، مما يدلُّ على أنها هي الأخرى كانت تؤمن إيمانًا قويًّا وصادقًا بأن هذا هو المسيح ابن الله ، وأنه كان قادرًا على أن يشفي أخاها لو أنه جاء قبل موته . فلما رآها مخلصنا تبكي ، ورأى اليهود الذين جاءوا معها أيضًا يبكون مشاركة لها ولشقيقتها في حزنهما ، تألم بالروح واضطرب ، وقال لهم « أين وضعتموه ؟ » . قالوا له « ياربُّ تعال وانظر » . وعندئذ بكى مخلصنا . فقال اليهود « انظروا كم كان

يجهه ؟ » . وهنا نلمس ذلك التوازن العجيب بين شخصية السيد المسيح الإنسانية وشخصيته الإلهية . فعلى الرغم من أنه كان عالمًا بأنه سيقم لعازر من الموت ، وإن كان قد ظلَّ في القبر أربعة أيام ، وعلى الرغم من أنه كان على ثقة لا ريب فيها من قدرته الإلهية على ذلك ، نجده يبدى أرفع وأرقَّ المشاعر التي يمكن أن تصدر عن إنسان أمام فاجعة موت حبيب له ، وأمام تفجُّع ذويه عليه . فبعد أن قال لتلاميذه « إن لعازر حبيبنا قد نام ، ولكنني سأذهب لأوقظه » ، لم يلبث حين ذهب وجاءت إليه مريم أخت لعازر مرتاعة هالعة باكية أن « تألم بالروح واضطرب » ، ثم « بكى » . والتألم بالروح والاضطراب ، حدث مثله أكثر من مرة ( انظر يوحنا ١٢ : ٢٧ ) ؛ ( ١٣ : ٢١ ) ؛ ثم الانفعال بالبكاء ومثله بكاؤه على أورشليم ( لوقا ١٩ : ٤١ ) . هو برهان على حقيقة إنسانيته التي اتخذها وهو الإله . فلم تكن إنسانيته مجرد جسد بلا روح إنسانية كما زعم أبوليناريوس ، وإنما كانت إنسانية كاملة من روح وجسد . ولم تكن إنسانيته أو ناسوته مجرد شكل خارجي بمثابة سكن للاهوته على ما زعم نسطور . إنما كانت إنسانيته إنسانية حقيقية بينها وبين لاهوته اتحاد حقيقى كامل وتام ، اتحاد فى أفنوم واحد وطبيعة واحدة لا تقبل الافتراق أو الانقسام أو التجزئة ، مثلها مثل اتحاد الروح بالجسد فى الإنسان من حيث هو اتحاد كامل وتام ، وليس مجرد جمع أو ضم بين جوهرين من طبيعتين مختلفتين ، بحيث إن ماتنفعل به الروح يفعل به الجسد حالاً وعلى الفور وفى نفس الوقت ، بطبيعة الاتحاد الكائن بينها . ومثله مثل الكتلة من الحديد المتوهج بالنار لمدة طويلة بحيث تصبح الرابطة بينها ليست مجرد جمع أو ضم بين شيئين مختلفين ، وإنما اتحاد حقيقى كامل ، بحيث لا يمكن أن يفصل بين النار والحديد بآلة قاطعة حادة ، فقد اتحد الحديد بالنار والنار بالحديد اتحاداً بموجبه صارت الكتلة المتوهجة بالنار تتصف بخصائص الحديد من حيث الكتلة والوزن والحجم ، وخصائص النار من حيث التوهج والإضاءة

والإحراق ، ولكن من غير اختلاط أو امتزاج أو تغيير ، فلم يفقد الحديد طبيعته ولا فقدت النار طبيعتها . وإنما صار الحديد مع النار طبيعة واحدة من طبيعتين . هكذا اللاهوت اتحد بالناسوت في طبيعة واحدة لها خصائص اللاهوت والناسوت معاً .

أما سؤاله « أين وضعتموه ؟ » فلم يكن سؤالاً على بسيط الحال . إنما كان تنبيهاً إلى أنه ليس هناك تواطؤ بينه وبين أسرة لعازر ، وأنه لم يكن حاضراً بالجسد موت لعازر ولم يشهد جنازته ، ولا رأى دفنه أو مكان دفنه ، وهو يؤكد لما سبق أن قاله لتلاميذه ، وهو في عبر الأردن على مسيرة يومين من بيت عنيا : « وأنا أفرح من أجلكم ، إذ لم أكن هناك ، لتؤمنوا » ( ١١ : ١٥ ) . فقد كان لا بد لإظهار روعة المعجزة ، وبالتالي إعلان مجد لاهوته ، أن يبقى بعيداً عن بيت عنيا إلى أن مات لعازر ، وصار له في القبر أربعة أيام ، حتى لقد شهدت أخته قائلة « إنه قد أتى » . فسؤاله « أين وضعتموه ؟ » تبيّن في أذهان اليهود الذين شهدوا المعجزة الرائعة أنه كان بعيداً بالجسد عن الموقع كله وعن واقعة الموت وما قبل الموت وما بعد الموت ، حتى إذا أقام لعازر من الموت بسلطان لاهوته تبيّن اليهود شهود المعجزة أن المعجزة كانت حقيقية وكاملة وفوق كل شبهة شك ، وأنها بعيدة تماماً عن كل تدبير بشريّ .

ولا نستطيع أن نقرأ قول الإنجيل « بكى يسوع » دون أن نتوقف لتساءل هل كان بكاءه مجرد إبراز إنسانيته ، أو كان حزناً وأسى على خليفته التي دخل إليها الموت بكل متاعه ومضايقاته ، وذلك نتيجة للخطيئة ( التكوين ٢ : ١٧ ) ؛ ( ١ . كورنثوس ١٥ : ٥٦ ) ؛ ( روما [ رومية ] ٥ : ١٢ ) . فأفسد صورتها الجميلة ، وأطفا نورها ( يعقوب ١ : ١٥ ) . أو كان بكاءه أيضاً إذكاءً لفضيلة المشاركة الوجدانية بين الناس المبلّوين والمجرّبين والمتألّمين ، « بكاء مع الباكين »

( روما [ رومية ] ١٢ : ١٥ ) ، أولهذه الأسباب جميعها مجتمعة معاً ؟ إنه تعليم لنا أن نشارك الناس آلامهم ، وهذا هو قمة الإنسانية ، متمثلة في المسيح بصفته آدم الثاني ، آدم النموذج الأعلى للإنسانية ، « تاركاً لنا مثلاً لكي نتبعوا خطواته » ( ١ . بطرس ٢ : ٢١ ) .

وقد كان لهذه القدرة الإلهية الجليلة ، وهذه المشاعر الإنسانية النبيلة أعظم الأثر في اليهود ، حتى لقد قال بعض منهم « أما كان هذا الذي فتح عيني الأعمى منذ ولادته قادراً على أن لا يترك هذا أيضاً يموت ؟ » . وكان هذا القول منهم أوضح وأفصح دليل على أنهم آمنوا بحقيقة شخصيته ، كما آمنوا بمدى قدرته ، حتى لقد أدهشهم بكاؤه على حبيبه الذي مات ، مع أنه كان قادراً على أن يشفيه قبل أن يموت . كما أنه قادر على أن يقيمه بعد أن مات . ولقد برهن قولهم هذا على انبهارهم بمعجزة المولود أعمى ، وأنها لم تكن مجرد شفاء كغيرها من معجزات شفاء العميان الآخرين . وإنما كانت معجزة « خلق » لعينين من الطين لرجل لم تكن له عينان في موضع العينين ، وهو ما لا يستطيعه نبيٌّ أو رسول ، ولا يستطيعه إلا الله الخالق وحده .

وإذ رأى مخلصنا هذه العواطف الحزينة الجياشة التي أبدتها الأختان لموت أخيهما الحبيب ، تحنن في نفسه وجاء إلى القبر ، وكان مغارة قد وضع على بابها حجر ( انظر متى ٢٧ : ٦٠ ) ؛ ( مرقس ١٥ : ٤٦ ) ؛ ( لوقا ٢٤ : ٢ ) ؛ ( يوحنا ٢٠ : ١ ) فقال مخلصنا للواقفين هناك « ارفعوا هذا الحجر » . وعندئذ فزعت مرثا ونسيت إيمانها بقدرة مخلصنا ، ذلك الإيمان الذي اعترفت به منذ لحظة قصيرة ، وقالت « يارب ، إنه قد أنتن لأن هذا هو يومه الرابع » ، وكان الذي أفزعها أنها تحملت جثان شقيقها وقد تحلل وراح الدود يرعى فيه كما يحدث لكل ميت في يومه الرابع . فقال لها مخلصنا « ألم أقل لك أنك إن آمنت ترين مجد

الله ؟. ثم رفعوا الحجر عن باب القبر ورفع مُخَلَّصنا عينيه إلى فوق وقال « يا ابتاه أشكرك لأنك قد سمعت لى ، وأنا عالم أنك تسمع لى فى كل حين . وإنما قلت ذلك من أجل هذا الجمع الواقف حولى ، ليؤمنوا بأنك أنت الذى أرسلتني » . وهنا نرى دليلاً على أن الهدف الأول الذى كان يهدف إليه مُخَلَّصنا من المعجزات التى كان يصنعها هو أن يعطى اليهود دليلاً محسوساً وملموساً على أنه هو المسيح ابن الله الذى تنبأ بمجيئه الأنبياء ، فيتبينوا حقيقة شخصيته ويؤمنوا به على هذا الوصف . ولعلّ مما يؤيد ذلك أنه صنع كل المعجزات بسلطانه هو ، لأنه هو باعتباره ابن الله ، له كل ماله الآب من القدرات ومن كل الصفات الإلهية ، إذ يقول هو نفسه « جميع ما هو للآب فهو لى » ( يوحنا ١٦ : ١٥ ) ؛ ( ١٧ : ١٠ ) ، إذ أنه كائن معه فى وحدانية كاملة . ولكنه لكى يثبت لليهود هذه الحقيقة خاطب أباه السماوى على مشهد ومسمع منهم ، بما يفيد أن كل ما يصنعه إنما يصنعه بالاتفاق مع أبيه ، لأن إرادتها واحدة ومشيتها واحدة ، وتديرهما واحد . وليس هناك خصومة بينها ، فهو لم يأت ليعلن عن نفسه إلهاً ثانياً ، أو إلهاً آخر ، لأن الله واحد . فلن كان الله الآب قد أرسل الله الابن لينجز عمل الفداء لغفران خطايا البشر ، إن الإرسال هنا لا يفيد الانفصال ، إذ أنها ظلاً مع ذلك فى اتحاد كامل ووحدة كاملة . وهذا سِرٌّ من أسرار اللاهوت والطبيعة الإلهية لا يمكن للعقل البشرى المحدود أن يسمو إلى كنهه غير المحدود . لهذا حرص الرب يسوع المسيح على أن يعلن دائماً عن ذاته أنه مُرسل من الآب وأن الآب أرسله توكيداً وضمائناً لحقيقة الوجدانية الإلهية ، وأن الله واحد . على أن الإرسال الذى ينسبه السيد المسيح إلى ذاته بالنسبة للآب ليس إرسالاً من خارج الذات الإلهية على نحو إرسال الله للأنبياء . لكنه إرسال من داخل ومن باطن كإرسال الشمس لأشعتها والضوء أو النور النابع منها . فهو منها منذ كانت الشمس شمساً وهو لا يفصل عنها بل هو منها وفيها وبها ومعها دائماً بغير افتراق .

مرة أخرى تؤكد أن السيد المسيح له المجد إذ صَلَّى على قبر لعازر ، لم يصلِّ صلاة الطلب ، لكي يسأل الآب أن يهبه سلطاناً ليس له كما يفعل الأنبياء ، وإنما كانت صلاته مناجاة بينه وبين الآب على مرأى ومسمع من الناس ومن تلاميذه ليتبين الجميع علاقته الوثيقة بالآب وكيانه فيه ( يوحنا ١٢ : ٣٠ ) .  
على أنه عندما أقام لعازر من الموت أقامه بسلطانه الإلهي . إذ قال « لعازر هَلُمَّ خارجاً » ، فلم يطلب ذلك من الآب ، وكذلك بالنسبة لجميع معجزاته لم يصلِّ ليرتفع قوة خارجة عن ذاته ، بل كانت القوة تخرج منه ( لوقا ٦ : ١٩ ) ؛  
( ٨ : ٤٦ ) ؛ ( ٥ : ١٧ ) ؛ ( مرقس ٥ : ٣٠ ) .

وبعد أن قال مخلصنا هذا صَرَخ بصوتٍ عظيم : « لعازر هَلُمَّ خارجاً » ، فخرج الميت مربوطة يده ورجلاه بأكفان وملفوفاً وجهه بمنديل ، فقال لهم مخلصنا : « حلّوه ودعوه يمضى » . وهكذا صَدَرَ الأمر الإلهي من مخلصنا مباشرة باعتباره أمره هو إلى ذلك الذي مات منذ أربعة أيام ، وتحلّل جسده ، أن يعود إلى الحياة ، فعاد جسده إلى حالته الأولى قبل أن يفسد ، واستردّ الروح التي كانت قد انتقلت إلى العالم الآخر . فكان هذا أسطع واروع دليل على أن مخلصنا هو الله المحيي ( يوحنا ٥ : ٢١ ) ، وأنه هو الحياة ( يوحنا ١٤ : ٦ ) ، وبه كانت الحياة ( يوحنا ١ : ٣ و ١٠ ) ، ومنه كانت الحياة ( الأعمال ٣ : ١٥ ) ، وفيه كانت الحياة ( يوحنا ١ : ٤ ) .

وإلا فكيف يفسّر المنكرون لألوهية مخلصنا هذه المعجزة ، وكيف يعلّلونها أو يخلّلونها أو يؤوّلونها إن لم يكن صانعها هو الله الخالق نفسه ، الذي يقول للشيء كن فيكون ، وبأمره تأتمر الأجساد فتتكوّن بعد انحلال وفساد ، وتأتمر الأرواح فتعود إلى الأجساد بعد أن كانت قد انتقلت إلى عالم الأرواح ؟



وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ جَاءُوا إِلَى مَرْيَمَ إِذْ رَأَوْا مَا فَعَلَ  
مُخَلِّصَنَا آمَنُوا بِهِ (يوحنا ٢ : ٢٣) ؛ (١٠ : ٤٢) ؛ (١٢ : ١١ و ١٨) . وقد كان  
هذا هو الذى يهدف إليه - له المجد - منذ أن اتجهت إرادته لأن يصنع هذه  
المعجزة الفذة الفائقة المجد . غير أن بعض أولئك اليهود ذهبوا إلى القُرْبِيِّينَ  
أعداء مُخَلِّصَنَا وأخبروهم بما فعل فهاهم الأمر ، وتملَّكهم الذعر ، وسيطر على  
قلوبهم الحقد والحسد والخوف من ازدياد شهرة مُخَلِّصَنَا ، وامتداد سلطانه على  
نفوس اليهود ، واشتداد تراحمهم عليه والتفافهم حوله ، مما يهدد سلطان أولئك  
الرؤساء والفقهاء ويزعزع مكانتهم في المجتمع اليهودى ، فراحوا يقولون فيما  
بينهم : « ماذا نعمل فإن هذا الإنسان يصنع معجزات كثيرة ، فإن تركناه هكذا  
آمن الجميع به ، فيأتى الرومان ويستولون على موضعنا وأمتنا » (انظر يوحنا ١٢ :  
١٩) . وقد كانوا فى قلوبهم هذا مرآئين ومغالطين حتى أنفسهم ، إذ تظاهروا  
بخوفهم من الرومان أن يستولوا على بلادهم ويستعبدوا أمتهم ، إذ يرون أن زعيمًا  
لهم قد ظهر بينهم . فى حين أن الرومان كانوا يسيطرون على بلادهم وعلى أمتهم ،  
ولم يكن أولئك الرؤساء يدون هذه الحاسة من قَبْلِ ضد الرومان ، بل لقد كانوا  
على العكس يناقونهم ويتملقونهم ويتحالفون معهم ضد شعبهم اليهودى نفسه .  
وإنما كان خوفهم الحقيقى على أنفسهم لا على بلادهم وأمتهم ، وعلى ما لهم على  
الشعب اليهودى من سلطان يجنون من ورائه مكاسب عظيمة لهم فى المال والجاه  
والمكانة والنفوذ (انظر الأعمال ٤ : ١٦) . ولم يكن خوفهم الحقيقى من  
الرومان ، وإنما من مُخَلِّصَنَا نفسه الذى رأوا أنه سيسلبهم هذا السلطان . وقد كان  
ثمة واحد منهم يفوقهم جميعًا فى نفاقه وتملقه للرومان ، كما يفوقهم جميعًا فى  
خوفه من مُخَلِّصَنَا ومما أصبح له من نفوذ على الشعب ، وذلك هو قيافا (لوقا

٣ : ٢) ، (الأعمال ٤ : ٦) الذى كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة ، وكان بالتالى هو رئيس السنهدريم ، الذى هو مجلس الشيوخ اليهودى ، والذى كان له السلطان الأعلى على اليهود فى كلِّ أمور دينهم وديناهم . وإذا كان قيافا هو أكثر الرؤساء خوفاً من تزايد مكانة مخلصنا لدى الشعب اليهودى ، قال لهم « إنكم لا تعرفون شيئاً ، ولا تدركون أنه خير لكم أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » . وقد كان يعنى بقوله هذا تحريض رؤساء الكهنة والفرّيسيين على قتل مخلصنا ، لا خوفاً من أن تهلك الأمة كلها بسببه كما يزعم ، وإنما ليتخلص هو منه فيحتفظ بماله من منصب ومكسب وسلطان . بيد أن الإنجيل للقدّيس يوحنا نظر إلى هذا القول الذى نطق به قيافا من زاوية أخرى ، إذ يقول إنه « لم يقل ذلك من نفسه وإنما إذ كان هو رئيس الكهنة فى تلك السنة تنبأ بأن يسوع مزعم أن يموت عن الأمة ، وليس عن الأمة فقط ، وإنما ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى وحدة واحدة » . وذلك أن الرياسة العليا للكهنوت فى هيكل أورشليم كانت - بتدبير من الدولة الرومانية فى ذلك الحين - تُسند كلَّ عام إلى واحد من رؤساء الكهنة . وكان من وظائف هذا الرئيس الأعلى بصفته الدينية هذه فى مدة رياسته أن ينطق بالنبوءات ( الخروج ٢٨ : ٣ ) ؛ ( العدد ٢٧ : ٢١ ) ؛ ( ١ . صموئيل ٢٣ : ٩ ) ؛ ( ٢٨ : ٦ ) ؛ ( ٣٠ : ٧ ) ؛ ( عزرا ٢ : ٦٣ ) . وإذا كان قيافا هو ذلك الرئيس فى تلك السنة التى صنع فيها مخلصنا معجزة إقامة لعازر ، كان ماقاله ، وإن كان فى ظاهره يعبر عن رغبته الشخصية فى قتل مخلصنا للخلاص منه ( يوحنا ١٨ : ١٤ ) ، إلا أن هذا القول كان ينطوي فى حقيقته على نبوءة بأن مخلصنا سيموت فداءً عن الأمة اليهودية تكفيراً عن خطاياها ، وليس عن الأمة اليهودية وحدها ، وإنما عن جميع أمم الأرض ( إشعيا ٤٩ : ٦ ) ؛ ( ١ . يوحنا ٢ : ٢ ) ، ليجمع بين البشر الذين هم أبناء الله المتفرقون فى كل مكان ، كى يجعل منهم - بعد أن ينالوا به الخلاص -

أمة واحدة ورعية واحدة ، ( أفسس ٢ : ١٤ - ١٧ ) ، يكون هو راعيها  
الأوحد ، كما قرر هو نفسه له المجد إذ يقول « ولى خراف أخرى ليست من هذه  
الحظيرة ينبغى أن أجيء بها هي أيضاً فتسمع صوتى ويكون ثمة رعية واحدة وراع  
واحد » ( يوحنا ١٠ : ١٦ ) . وفى هذا المعنى تنبأ حزقيال النبي قائلاً « هكذا قال  
السيد الرب لهم : هاأنذا أحكم بين الشاة السمينة والشاة المهزولة .. فأخلص  
غنى ، فلا تكون من بعد غنيمة ، وأحكم بين شاة وشاة وأقم عليها راعياً  
واحداً فيرعاها » ( حزقيال ٣٤ : ٢٠ - ٢٣ ) . كما تنبأ حزقيال قائلاً « ويكون  
لجميعهم راع واحد ، فيسلكون فى أحكامى ويحفظون فرائضى ويعملون بها »  
( حزقيال ٣٧ : ٢٤ ) .

وقد اقتنع أعضاء المجمع من رؤساء الكهنة والفرّيسيين بما قاله قيافا ، فأخذوا  
منذ ذلك الحين يتآمرون على قتل مخلصنا ، ومن ثمّ لم يعد مخلصنا يمضى بين  
اليهود علانية ( يوحنا ٤ : ٣١ ) ؛ ( ٧ : ١ ) ، لئلا يعطيهم الفرصة كي  
يقبضوا عليه ويقتلوه قبل الموعد المحدّد فى التدبير الإلهى لموته على الصليب . وإنما  
مضى إلى بقعة بالقرب من البرية المتاخمة لأورشليم حيث كانت مدينة تُسمى  
أفرايم ( ٢ . صموئيل ١٣ : ٢٣ ) تقع فى الشمال الشرقى لأورشليم وتبعد عنها نحو  
٢٤ كيلومتراً ، ومكث هناك مع تلاميذه .

١١ : ٥٥ - ٥٧

فلما اقترب عيد الفصح أعظم أعياد اليهود ( يوحنا ٢ : ١٣ ) ؛ ( ٥ :  
١ ) ؛ ( ٦ : ٤ ) صعد كثيرون من المناطق الريفية فى كل أنحاء فلسطين إلى  
أورشليم قبل حلول موعد ذلك العيد ليتطهروا على عادتهم استعداداً للاحتفال به  
( العدد ٩ : ١٠ ) ؛ ( ٢ . أخبار الأيام ٣٠ : ١٧ ) ؛ ( يوحنا ١٨ : ٢٨ ) .

وإذ كانت شهرة مُخْلِصنا قد ذاعت بينهم ولا سيما بعد أن سمعوا عن معجزته العظيمة الأخيرة حين أقام لعازر من الموت بعد أن ظل جثمانه في القبر أربعة أيام ، أخذوا يبحثون عنه في تطلُّع ولهفة قائلين بعضهم لبعض وهم قيام في الهيكل « ماذا تظنون ، أَلَعَلَّه لَنْ يَأْتِيَ إِلَى الْعِيدِ ؟ » . وقد كانوا في ريبة من أن يَأْتِيَ ، إذ كان رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدرُوا أمراً - بناء على القرار الذي اتخذوه بقتل مُخْلِصنا - بأنَّ على مَنْ يعرف أين هو أن يرشدهم إليه ليمسكوه ويقتلوه .

---

## الفصل الثاني عشر

١٢ : ١ - ١١

وقبل عيد الفصح بستة أيام ، جاء فادينا إلى بيت عنيا ، وهي قرية تقع إلى الجنوب الشرقي من جبل الزيتون ، على مسافة نحو ميلين من أورشليم ، وهي التي تُدعى الآن العازرية ، وكان يقيم فيها لعازر الذي كان قد مات ثم أقامه فادينا من بين الأموات . وكانت تقيم معه هناك أختاه مريم ومرثا اللتان كانتا تلميذتين لمخلصنا ، وكانتا من المؤمنات أعمق الإيمان به ، وبأنه هو المسيح ابن الله الذي تنبأ بمجيئه أنبياء اليهود منذ موسى حتى يوحنا المعمدان ، فأقام سمعان الأبرص ( متى : ٢٦ : ٦ ) ؛ ( مرقس : ١٤ : ٣ ) لمخلصنا هناك وليمة عشاء تكريماً له . وكانت مرثا تقوم بالخدمة كى تعدّ العشاء للمعلم وتلاميذه ( أنظر لوقا ١٠ : ٣٨ ) وتعمل على راحتهم . وكان لعازر من بين الجالسين إلى المائدة معه . وأما مريم فأخذت قارورة سعتها مائة درهم من طيب الناردين الخالص الغالي الثمن ، وسكبته أولاً على رأس مخلصنا ( متى : ٢٦ : ٧ ) ؛ ( مرقس : ١٤ : ٣ ) ، ثم دهنت قدميه ومسحتها بشعر رأسها . فامتلاً البيت من شذا الطيب . وقد كان مافعلته مريم دليلاً ساطعاً ورائعاً على مقدار تبجيلها وإجلالها ومحبتها وإعزازها لسيدنا ربّ المجد ، وخضوعها وخشوعها إلى حدّ العبادة أمام عظمتة الإلهية ، ولعلها لم تكن في حاجة إلى مزيد من الإيمان بربوبيته التي تستحق كلّ عبادة بعد أن رآته بعينها يقيم أخواها من بين الأموات ، فخرج أمامها من قبره بعد أن مكثت جثته فيه أربعة أيام وتعلّلت حتى كادت أن تغدو تراباً يختلط بتراب الأرض .

غير أن أحد تلاميذ مخلصنا وهو يهوذا بن سمعان الأسخريوطى الذى كان مزعمًا أن يخونه ويسلمه إلى أعدائه ، وقد سلمه إليهم بعد ذلك بالفعل ، اعترض على ما فعلته مريم فى حثق وحقد قائلاً « أما كان الأخرى أن يباع هذا الطيب بثلاثائة دينار وتُعطى للفقراء ؟ » . وقد قال هذا - كما يقرر الإنجيل للقديس يوحنا نفسه - لا لأنه كان يهتم بالفقراء ، وإنما لأنه كان سارقًا ، وقد كان كيس النقود معه ( يوحنا ١٣ : ٢٩ ) ، فكان يستولى على ما فيه . وهكذا نرى للدهشة العظيمة أنه حتى تلاميذ مخلصنا رب المجد الذين لا يتجاوز عددهم الاثنى عشر تبين أن من بينهم واحدًا خائنًا وشريرًا وحاقدًا وحاسدًا وسارقًا وفساد الذمة ، على الرغم من أن معلمه وسيده اصطفاه كسائر زملائه ليكون من أقرب المقربين إليه ، وعامله معاملة الأب الحنون لأبنائه ، والراعى الصالح لخرافه ، وأراه كل معجزاته ، وأسمعه كل تعاليمه ، وأطلعه على كل أسرار السماء ، وفرغه بذلك إلى أعلى مكان بين البشر الذين فى كل الأرض . ولكنه مع ذلك ملأ الحقد قلبه على معلمه نفسه وأكلته الغيرة منه ، حتى أصبح يعاديه كواحد من أبشع وأشنع أعدائه ، واستكثر على تلك المرأة أن تُقدّم إليه ما ينسب باحترامها وكرامها إياه ، فأخفى ضغينته عليه وكراهيته له تحت ستار التظاهر بعطفه على الفقراء ، والزعم بأنهم أحق بالمال الذى اشترت به المرأة الفاضلة قارورة الطيب وسكبتها على قدمي ربها وموضع إجلالها وعبادتها وحبها ، فى حين أنه كان يطمع فى ذلك المال لنفسه ، لأنه كما يقول الإنجيل « كان سارقا ، وقد كان كيس النقود معه ، فكان يستولى على ما فيه » ، مما يدل على أن خيانتة لم تكن طارئة ولا بنت ساعتها ، وإنما كانت طبيعة فيه طالما انتهج سبيلها من قبل فى كل مرة استولى لنفسه على بعض ما فى كيس النقود الذى ائتمنه سيده عليه ، ليصرف مما فيه من مبالغ زهيدة على احتياجات معلمه الصالح وتلاميذه الفقراء الذين كانوا قد تفرغوا من كل اهتمامات الدنيا واحتياجاتها ليتبعوا ذلك الذى آمنوا بأنه هو المسيح

ابن الله مخلص العالم الذي كانوا ينتظرونه من آلاف السنين ، ليعفيهم من حكم الهلاك الذي أصدرته العدالة الإلهية على البشر بسبب خطاياهم . وإذا سمع مخلصنا مقاله هذا الخائن الشرير الماكر عن تلك المرأة الفاضلة ، قال وكأنه يخاطب تلاميذه كلهم من فرط سماحته ووداعته « دعوها ، فقد حفظت هذا ليوم دفنى . لأن الفقراء عندكم في كل حين ، وأما أنا فلست عندكم في كل حين » (متى ٢٦ : ١٠ و ١١) ؛ (مرقس ١٤ : ٦ و ٧) ، أى أنه لعلمه بأن اليهود سيقتلونه في هذا الأسبوع نفسه ، اعتبر ما فعلته مريم إذ ضمخت بالطيب جسده قد فعلت ذلك بدافع من إحساسها بأنه سيموت وأن أحدًا - بسبب الخوف من رؤساء اليهود - لن يجرؤ على أن يضمخ جسده بالطيب كما هو الشأن بالنسبة لكل الذين يموتون ( انظر يوحنا ١٩ : ٤٠ ) . فبادرت هى إلى أن تضمخ بالطيب جسده مقدمًا حتى قبل أن يموت ( متى ٢٦ : ١٢ ) ؛ (مرقس ١٤ : ٨) . لكى لا يكون ثمة تقصير فى اتمام هذا الطقس الواجب نحو كل الذين يموتون . وأما ذلك الزعم الذى زعمه يهوذا بأنه غيور على مصلحة الفقراء ، فقد فئده مخلصنا بأن الفقراء موجودون فى كل زمان ومكان ، ويمكن أن يساعدهم من يريد مساعدتهم فى كل حين وفى كل موضع ، دون أن يمنع ذلك مانع أو يحول دونه حائل . وأما وجود السيد المسيح ابن الله بين البشر فهو مؤقت ولن يستمر فى كل حين ، لأنه لن يلبث أن يصعد إلى السماء بعد أن ينجز مهمة الفداء التى جاء من أجلها إلى العالم ( يوحنا ٧ : ٣٣ ) ؛ ( ٨ : ٢١ و ٢٨ ) . ومن ثم فإنه لن تتاح أية فرصة لتكريمه إلا فى الفترة التى يقضيها بين الناس قبل أن يرتفع إلى حيث كان فى ملكوت السماوات ( يوحنا ٦ : ٦٢ ) . وهكذا أشاد مخلصنا بما فعلته مريم فأضنى عليها بذلك شرفًا عظيمًا خلد ذكرها بين نساء العالمين ( متى ٢٦ : ١٣ ) ؛ (مرقس ١٤ : ٩) . كما أنه بدفاعه عما فعلته المرأة أبرأها مما اتهمها به يهوذا من إفراط وتفريط وإتلاف للمال بصرف فى غير موضعه على مقتضى تفكير

ذلك الحائن ، إذ أنفقت هذا المال في تكريم سيدها وصاحب الفضل عليها ،  
وسيد يهوذا نفسه وصاحب الفضل عليه ، وسيد البشر جميعاً وصاحب الفضل  
عليهم . إذ فداهم ونجّاهم من الهلاك الذي استحقوه بسبب شرورهم  
وخطاياهم .

وقد علم جمع كثير من اليهود أن مُخْلِصنا قد أتى إلى بيت لعازر وأخته مريم  
ومرثا ، فجاءوا لا ليروا مُخْلِصنا فحسب في هذه المرّة ، وإنما ليروا أيضاً لعازر  
الذي أقامه من بين الأموات بعد أن مكثت جثته في القبر أربعة أيام . وإذا علم  
رؤساء الكهنة ذلك بدأوا يتآمرون ليقتلوا لعازر أيضاً . لأن كثيرين من اليهود  
كانوا بسببه يذهبون فيؤمنون بمُخْلِصنا ، بعد تلك المعجزة الإلهية التي صنعها له .  
فبرهن أولئك الرؤساء بذلك على غباثهم وظلام عقولهم وقلوبهم معاً ، إذ ظنوا أن  
قضاءهم على لعازر يقضى على المعجزة التي تَمَّت بالفعل . والتي لم يعد من  
الممكن أن يمحوها من أذهان الناس اختفاء لعازر بالموت أو بغير الموت . كما لم  
يعد من الممكن الحيلولة دون أن يؤمن الناس بالقدرة الإلهية التي لمُخْلِصنا ، والتي  
رأوها رؤية العين ، أو سمعوها ممن رأوها رؤية العين ، فأصبحت خالدة إلى الأبد  
في عقول الناس وقلوبهم وضمايرهم ومشاعرهم وكلّ جارحة فيهم .

١٢ : ١٢ - ١٩

وفي الغد-الذي كان يوافق صباح الأحد ١٠ من نيسان-سمع الجمع العظيم  
الذي جاء للعيد أن فادينا قادم إلى أورشليم . وإذا كانوا يؤمنون به ويتمنون  
رؤيته ، وقد عقدوا العزم على استقباله استقبال الملوك المتصرين والزعماء  
الظافرين على الرغم مما يدبّر له أعداؤه من رؤساء الكهنة والفريسيين ، أخذوا  
سعف النخل الذي هو رمز التكريم والتعظيم والإجلال والتبجيل والبهجة  
والفرح ، وخرجوا لاستقباله ، وهم يهتفون قائلين « هو شعنا . مبارك الآتى باسم



الرب ملك إسرائيل» (انظر أيضاً متى ٢١ : ٩) ؛ (مرقس ١١ : ٩) ؛ (لوقا ١٩ : ٣٨) ، و « هوشعنا » لفظ آرامي معناه « خلّصنا » أو « المجد لمخلّصنا » (المزمور ١١٧ : ٢٥) . ويدلّ هتافهم هذا على أنهم قد آمنوا بأن فادينا هو المسيح ابن الله الذي تنبأ كل أنبيائهم بأنه سيأتي لخلاص العالم ، والذي كانوا يعتقدون أنه حين يأتي سيجلس على عرش داود (لوقا ١ : ٣٢) . وسيكون ملكاً لبني إسرائيل ، كى يستعيد لهم مملكة داود التي فقدوها . بل يستعيد لهم مملكة أعظم منها ، ليحكم بواسطتها العالم كله ، ويجعل اليهود سادة كل الشعوب على مقتضى غرورهم وشعورهم الذي لا يفتأ يراودهم بأنهم هم وحدهم شعب الله المختار . وأنهم سيكونون هم المسيطرين على الأرض كلها ، وأصحاب السلطة والهيلمان على البشر في كل زمان ومكان . بيد أن مخلّصنا - للمفارقة العجيبة - لم يدخل أورشليم بعربة حربية تجرها عشرات الخيول ، كما يفعل الملوك والقواد الذين يصفهم التاريخ بالعظمة والمجد . وإنما أراد بحكمته الإلهية أن يوضح للناس أن هذه العظمة كما يتصوّرونها إنما هي أحلام أطفال ، وأن هذا المجد كما يفهمونه إنما هو سراب كاذب وهم خلاّب . ومن ثمّ قصّد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا وفادينا أن يلقّن أولئك المخادعين المخدوعين المغرورين السادرين في غيِّهم وجهلهم وضلالهم درساً لا ينسونه . وهو أنه اختار في موكب النصر الذي دخل به أورشليم - وهو ملك الملوك ورب الأرباب (الرؤيا ١٩ : ١٦) - لا العربات الفارهة ، ولا الخيول المطهّمة . وإنما وجد جحشاً مما يستعمله أفقر الفقراء وأبأس البؤساء وأتعمس التعمساء من المساكين والكادحين والرازحين تحت أثقل أثقال الحياة ، المطحونين المسحوقين المحرومين حتى من لقمة العيش ، فركب ذلك الجحش ليدخل به في موكب نصره إلى أورشليم عاصمة اليهود المتعالمين المتعلمين الصّلفين المتعجرفين المتكبرين المتنمّرين ، كى يوبّخ تعاليمهم وتعاليمهم بتواضعه وهو ملكهم ومعلمهم ، ويندّد بصلفهم وعجرفتهم وهو القوى القهار وإن اتخذ جسد مخلوق

من دم ولحم مثلهم وهو خالقهم وموجدهم ، ويخجلهم ويرذلهم على تكبرهم وتنمرهم مع أنهم بالنسبة إليه أضعف الضعفاء وأتفه التافهين وهو الإله العظيم الجبار الذى فى مقدوره بنفخة من فيه أن يقضى عليهم فى لحظة بالفناء ، ويحيلهم إلى هباء فى هباء .

ويقول الإنجيل للقدّيس يوحنا إن مخلصنا ركب ذلك الجحش وفقاً لما هو مكتوب فى النبوءات عن دخول المسيح ابن الله ملك إسرائيل وملك الملوك الآتى إلى العالم قائلاً « لا تخافى يا ابنة صهيون . هوذا ملكك يأتى إليك راكباً على جحش ابن أتان » . ويشير الإنجيل بذلك إلى زكريا النبي الذى تنبأ قائلاً « ابتهجى جداً يا ابنة صهيون . اهتفى يا بنت أورشليم . هوذا ملكك يأتى إليك . هو عادل ومنصور . وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » ( زكريا ٩ : ٩ ) . والمقصود هنا بابنة صهيون وبابنة أورشليم هو الأمة اليهودية التى كانت تنتظر فى لفة عظيمة مجيء المسيح الذى كانت النبوءات تقرر أنه سيكون ملك اليهود ( إشعياء ٩ : ٦ و٧ ) ؛ ( إرميا ٢٣ : ٥ و٦ ) ؛ ( ٣٠ : ٩ ) ؛ ( ميخا ٥ : ٢ ) ؛ ( متى ٢ : ٢ ) ، الذى كانوا يعتقدون أنه سيحررهم من عبودية الرومان ، وينصرهم على جميع أعدائهم ويعيد إليهم مجد مملكة داود ، ويغزو بهم العالم ليجعلهم سادة كل الأمم . غير أن اليهود كانوا واهمين فى اعتقادهم هذا ، غير مدركين ولا فاهمين ما تنطوى عليه تلك النبوءة ذاتها من معان تنفى عن المسيح المنتظر أن تكون مملكته أرضية تحفّ بها أمجاد ممالك الأرض ، لأنها على الرغم من أنها تقرر أن المسيح المنتظر سيكون ملكاً وأنه سيأتى إلى أورشليم ويدخلها منتصراً ، فإنها تقرر فى الوقت نفسه أنه لن يكون ملكاً صلفاً متعجرفاً متعاليًا مغاليًا فى إحاطة نفسه بكل مظاهر الفخامة والضحامة والسلطان والهيئان متربّعاً على عربة ذهبية مطعمة بالجواهر الكريمة تجرّها كوكبة من خيول مطهّمة

مكسوة بأفخر الأغطية الحريرية ومزخرفة بأندر الحلى اللؤلؤية ، وتجرى أمامه الآلاف المؤلفة من الفرسان ، وتبعه الآلاف المؤلفة من الأسرى والسبائيا راسفين فى السلاسل والأغلال ، مجلّين بالمذلة والهوان . وإنما سيأتيهم المسيح وهو الملك الحقيقى ، بل ملك الملوك ورب الأرباب وديعاً متواضعاً يركب أكثر ما يركبه الناس تواضعاً وهو الحمار ، ليثبت للناس أن مملكته ليست من هذا العالم ( يوحنا ١٨ : ٣٦ ) حتى يحيط نفسه بأجماد هذا العالم ، وإنما مملكته فى السماء ، قاصداً أن يوجّه أنظارهم ويحوّل اهتماماتهم من الأرض إلى السماء ويتزع من نفوسهم شهواتهم الدنيوية فى أن يقتنوا مناصب الأرض ومكاسب الأرض التى تزول وتفتى ، ليدفع بهم إلى التطلّع نحو بركات السماء وامتيازات السماء التى لا تزول ولا تفتى .

ولم يكن سائر اليهود وحدهم الذين أخطأوا فى فهم مغزى ذلك الذى فعله مخلصنا . وإنما اشترك تلاميذه أنفسهم فى هذا الخطأ فى مبدأ الأمر . إذ كانوا هم أيضاً يتوقعون فى ذلك الحين أن يكون معلّمهم ملكاً أرضياً يحقق لليهود جميعاً ( الأعمال ١ : ٦ ) ويحقق لهم هم أنفسهم تطلعاتهم الدنيوية ( متى ٢٠ : ٢١ - ٢٨ ) ؛ ( مرقس ١٠ : ٣٥ - ٤٥ ) . لأنهم حتى ذلك الحين لم يكونوا قد أدركوا إدراكاً كاملاً حقيقة الرسالة التى جاء من أجلها إلى العالم ( مرقس ٩ : ٣٢ ) ؛ ( لوقا ١٨ : ٣٤ ) . ولكنهم لما تمجّد معلّمهم بموته على الصليب ثم قيامته من بين الأموات وصعوده أمامهم إلى السماء ( يوحنا ٧ : ٣٩ ) ؛ ( ١٧ : ٥ ) ثم حلول الروح القدس عليهم ، تذكروا أن ما حدث كان مكتوباً عنه فى النبوات ( يوحنا ٢ : ٢٢ ) ؛ ( ١٤ : ٢٦ ) ولا سيما تلك النبوة التى نطق بها زكريا النبى . كما تذكروا أن مافعلوه هم أنفسهم حين شاركوا سائر اليهود فى الاحتفال بدخوله أورشليم رافعين سعف النخل وهاتفين له فى فرح وبهجة بعبارات التكريم والتعظيم ، إنما كان تحقيقاً لتلك النبوات المكتوبة عنه .

وقد شهد له الجمع الذين كانوا معه حين دعا لعازر إلى خارج القبر وأقامه من بين الأموات (يوحنا ١١ : ٤٥) . فكان سماعهم بأنه صنع هذه المعجزة مما زاد في حماسهم له وحرارتهم في تمجيده ومبادرتهم إلى استقباله ذلك الاستقبال الرائع الذي لا تستقبل به الشعوب إلا ملوكها المنتصرين وزعماءها المحبوبين الظافرين (متى ٢١ : ١٠ و١١) ؛ (لوقا ١٩ : ٣٧) . بيد أن أعداءه من الفريسيين لم تلبث أن أكلت الغيرة قلوبهم وأشعلت فيها نار الحقد والحسد فقالوا بعضهم لبعض في غيظ وحنق « أترون كيف أنكم لا تفتيدون شيئاً ؟ هوذا العالم قد ذهب وراءه » . وهكذا بلغ بهم حقدهم وحسدكم وغيظكم وحنقكم أنهم اتهاوا باللوم حتى على أنفسهم ، معترفين بهزيمتهم أمام عدوهم الذي انتصر عليهم ، وبعجزهم عن أن يفعلوا شيئاً يصدون به ذلك التيار الجارف من حب جموع الشعب له والتفافهم حوله وتمجيدهم إياه ، مما جعل أولئك الفريسيين موضع الإهمال من الشعب بعد اهتمامهم بهم ، وانفضاضه من حولهم ، بعد أن كانوا مقبلين عليهم خاضعين لهم ، واستهانتهم بهم بعد أن كانوا موضع إجلالهم وتبجيلهم في كل مكان يعلون به بينهم (يوحنا ١١ : ٤٧ و٤٨) ، ومن ثم ازدادت في قلوب الفريسيين الرغبة في قتل محلصنا ومخلصهم هم أيضاً ، كي يتخلصوا منه إلى الأبد ، فلا يعود ثمة سلطان على الشعب إلا لهم وحدهم . فلم يفتأوا منذ ذلك الحين يتلصصون عليه ويتربصون به كي يمسكوه في خفية من الشعب الذي يحبه ، ويقتلوه .

١٢ : ٢٠ - ٤٣

وكان ثمة قوم من اليونانيين صعدوا ليسجدوا في العيد ، لأنهم - وإن كانوا من اليونانيين - قد اعتنقوا الديانة اليهودية (انظر الأعمال ١٧ : ٤) ؛ (يوحنا ٧ : ٣٥) ، ووجب عليهم أن يأتوا في العيد كما يفعل سائر اليهود ليحتفلوا به في

هيكل أورشليم طبقاً للشريعة اليهودية ( انظر ١ . الملوك ٨ : ٤١ و ٤٢ ) ؛  
( الأعمال ٨ : ٢٧ ) . وإذ كانوا قد سمعوا كثيراً عن مخلصنا وتعاليمه ومعجزاته ،  
لا سيما معجزته الأخيرة العظيمة حين أقام لعازر من بين الأموات بعد أن ظل  
جثانه في القبر أربعة أيام . كما سمعوا بمالقيه مخلصنا من تكريم وتعظيم حين جاء في  
ذلك الأسبوع نفسه إلى أورشليم ، تاقت أنفسهم لأن يتحدثوا إلى ذلك المعلم  
العظيم ليؤمنوا به كما آمن به كثيرون من اليهود ، أو ليزدادوا به إيماناً إن كانوا قد  
آمنوا بما سمعوه عنه ، ويتأكدوا من حقيقة شخصيته وحقيقة تعليمه ورسالته .  
وإذ كانوا في نظر سائر اليهود الأصليين يهوداً دخلاء لا يجوز لهم دخول الهيكل ،  
كانوا يقضون أيام العيد في دار الهيكل الخارجية التي كانوا يسمونها « دار الأمم »  
( ١ . مل ٨ : ٤١ - ٤٣ ) . ومن ثم تقدموا إلى أحد تلاميذ مخلصنا وهو فيلبس  
الذي من بيت صيدا بالجليل ( يوحنا ١ : ٤٤ ) ، وناشدوه أن يتوسط لهم كي  
يحقق رغبتهم في دخول الهيكل حيث كان مخلصنا عنده ، قائلين لفيلبس  
« ياسيد نريد أن نرى يسوع » . وإذ تهيب فيلبس من أن ينقل هذه الرغبة إلى  
سيده بمفرده جاء وقال ذلك لتلميذ آخر من تلاميذ مخلصنا وهو أندراوس ( متى  
١١ : ٢١ ) ؛ ( يوحنا ١ : ٤٤ ) ، فذهب هذامعه إلى مخلصنا ، وأفضيا إليه معاً  
برغبة أولئك اليونانيين . بيد أن مخلصنا حين سمع أن أولئك اليونانيين يرغبون في  
مقابلته كانت تلك فرصة اتخذها ليتحدث مباشرة وبصفة عامة عن لبّ الموضوع  
بجملته وهو اقتراب الساعة ( يوحنا ١٣ : ١ ) ؛ ( ١٧ : ١ ) التي سيفتح فيها  
بموته وقيامته باب الخلاص ، لا لليهود وحدهم ، وإنما لغيرهم من اليونانيين  
ومن سائر أمم الأرض ، ولا سيما أن حديثه هذا كان في يوم خميس العهد السابق  
مباشرة على يوم صلبه وموته على الصليب . ومن ثم أجاب قائلاً « قد أتت  
الساعة ليتمجد ابن الإنسان » ، أي اقترب الوقت ليموت ثم يقوم في اليوم الثالث  
من بين الأموات ثم يصعد إلى السماء ، حيث يتمجد ( يوحنا ١٣ : ٣٢ ) على

عرش ألوهيته . وإذ كان موته - وهو الإله - أمراً يفوق مستوى العقل البشرى المحدود ، شرح له المجد فلسفة الموت قائلاً : « الحق الحق أقول لكم إن حبة الحنطة مالم تقع في الأرض وتموت ، تظل وحدها . وأما إن ماتت فهي تأتي بشمر وفير » . أى أن حبة الحنطة مالم يدفنها الزارع في الأرض تظل منفردة كما هي ، فتجفّ ويأكلها السوس وتنحلّ وتفتى . وأما إذا غرسها الزارع ودفنها في الأرض فإنها وإن اتخذت صورة الميت الدفين في القبر - سرعان ماتلين وتدبّ فيها الحياة وتنبت وتزدهر وتنمو حتى تصبح شجرة خضراء يانعة ناضرة مليئة بالحيوية ، ثم لا تلبث أن تثمر وتتوجّها سنابل القمح الذهبية المليئة بالشمر الوفير الذى هو مصدر النعمة والبركة ( ١ . كورنثوس ١٥ : ٣٦ ) . هكذا الإنسان فإن الموت بالنسبة إليه هو باب الحياة ، لأنه حين يتوارى جسده عند الموت مدفوناً في تراب الأرض لا يكون معنى ذلك أنه أصابه الفناء الأبدى كما يزعم بعض الجهلاء ، ممن يدعون العلم ، ويصفون أنفسهم في زهوٍ أحمق بالماديين أو بالطبيعيين أو بالوجوديين ، وإنما تبدأ بموت جسده الأرضى حياته الروحية فيتمتع بالحياة الأبدية في السماء ، وهى الحياة الحقيقية المليئة بثمار النعمة والبركة السمائية التى ليست كل ثمار الأرض المادية بالنسبة إليها إلا هباء وهراء .

ثم يرتب مخلصنا على هذه الحقيقة المبدئية التى هى أساس فلسفة الموت فى العقيدة المسيحية ، نتيجةها الختمية والمنطقية فيقول : « من أحبّ نفسه يهلكها ، ومن أبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها للحياة الأبدية » . وذلك لأنه إن كان الهدف الأسمى للإنسان على هذا الأساس ليس هو الحياة المادية الفانية على الأرض ، وإنما هو الحياة الروحية الأبدية فى السماء ، فإن كل من تعلقت نفسه بالجسديات وبالماديات وبالأرضيات وبكل مايتصل بتلك الموجودات الزائفة الزائلة من مطالب ومطامع واهتمامات وشهوات ، بحيث يستأصل بذلك من

نفسه كل اهتمام بما هو روحى وسمائى وأبدى ، إنما يهلك بذلك نفسه إذ يجرمها من ثمار النعمة والبركة فى السماء ، التى هى مصدر الحياة الأبدية وجوهرها . وأما كل من يوجّه نفسه لأن تبغض الجسديات والماديات والأرضيات التى لا تلبث أن تزول ويتجه بها نحو الاهتمام بالروحيات والأبديات التى لا تزول أبداً ، فإنه يضمن لها بذلك الحياة الحقيقية التى هى الحياة الأبدية فى السماء . وقد أوح السيد المسيح له المجد على هذا المعنى فى أكثر من مناسبة ، إذ قال « من ربح حياته خسرها ، ومن خسر حياته من أجلى ربحها » ( متى ١٠ : ٣٩ ) . وقال « لأن من أراد أن يخلص حياته فليهلكها ، ومن أهلك حياته من أجلى ومن أجل الإنجيل يخلصها » ( مرقس ٨ : ٣٥ ) ؛ ( لوقا ٩ : ٢٤ ) ؛ ( ١٧ : ٣٣ ) ؛ ( متى ١٦ : ٢٥ ) . والحياة المقصودة هنا هى حياة الإنسان على الأرض وما يتوافر لها من أسباب المتعة الأرضية الجسدية المادية . هذه الحياة المادية إذا خسرها الإنسان فى سبيل المسيح ومبادئ الإنجيل يربح بذلك لنفسه حياة أبدية . فإيدوانه خسارة فى الدنيا يصبح ربحاً فى الآخرة . كذلك المقصود بأن يبغض الإنسان نفسه ، أى أن يحرم الإنسان نفسه من متعة ولذة وراحة أرضية ، إرضاء لله وخضوعاً للشريعة وتنفيذاً لمبادئ الإنجيل ، فهذا خير له وأبقى . لأنه بهذه البغضاء يخلص نفسه من الهلاك الأبدى ، ويحقق لذاته النعيم الدائم والحياة الأبدية .

وقد كان حديث معلّمنا عن فلسفة الموت هذه عامّاً يشمل الناس جميعاً وينطبق عليهم كلهم فى كل زمان ومكان . بيد أنه كان يشير بها - فى تلك اللحظة التى صارح فيها السامعين باقتراب ساعة موته هو - إلى أن موته على الصليب أمر قد تقرّر فعلاً وسيتم حتماً بمقتضى التدبير الإلهى ، ليكون موته هو باب الحياة للبشر جميعاً ، وليكون صليبه هو رمز الحياة للبشر جميعاً ( روما [ رومية ] ١٤ : ٩ ) . فلا حياة للبشر إلا بموت المسيح على الصليب فداء

عنهم ، للتكفير عن خطاياهم التي استحقوا عنها لدى العدالة الإلهية الموت والهلاك .

وإذ أشار مخلصنا إلى موته على الصليب ، أوضح السبيل لكل من يريد أن يؤمن به ، ويكون خادماً له في دعوته ، ومبشراً بعقيدته ، ومنهجاً في حياته ذات سيرته ، ومتجهاً إلى ذات غايته ، إذ قال « من يخدمني فليتبني ، وحيث أكون أنا فهناك يكون خادمي ، ومن يخدمني بكرمه أبي » . ولم يكن يقصد هنا أن الذي يريد أن يخدمه فليتبعه كما تبعه تلاميذه ليتعلموا منه فحسب ، لأن وجوده على الأرض كان قد انتهى ولم يعد باقياً منه إلا ساعات قليلة ، وإنما كان يقصد أن يتبعه في طريق الآلام ليرتفع معه على الصليب الذي كان اليهود سيرفعونه عليه في اليوم التالي . ويتضح ذلك مما قاله قبل ذلك مراراً ، إذ جاء في الإنجيل للقديس متى أنه قال « من لا يحمل صليبه ويتبعني فلا يستحقني . من ربح حياته خسرها . ومن خسر حياته من أجل ربحها » ( متى ١٠ : ٣٨ و٣٩ ) . وجاء فيه أنه قال « من أراد أن يتبعني ، فليترك ذاته ويحمل صليبه ويتبعني ، لأن من أراد أن يخلص حياته يهلكها ، ومن أهلك حياته من أجل يمجدها . لأنه ماذا يستفيد الإنسان لو أنه ربح العالم كله وخسر نفسه ، أو ماذا يعطى الإنسان عوضاً عن نفسه ؟ » ( متى ١٦ : ٢٤ و٢٥ و٢٦ ) . وجاء في الإنجيل للقديس مرقس أنه قال « من أراد أن يتبعني فليترك ذاته ويحمل صليبه ويتبعني . لأن من أراد أن يخلص حياته فليهلكها ، ومن أهلك حياته من أجل ومن أجل الإنجيل يخلصها » ( مرقس ٨ : ٣٤ و٣٥ ) . وجاء في الإنجيل للقديس لوقا أنه قال « من لا يحمل صليبه ويتبعني لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً » ( لوقا ١٤ : ٢٧ ) .

وذلك أن المؤمن بالمسيح لا يكون إيمانه به صادقاً وعميقاً إن لم يتبعه في كل خطواته منذ بدايتها حتى الصليب . فينبغي أن يتحمل في سبيل الإيمان به كل



أنواع الجهاد الروحي . ويتحمل كل ما تخمّله هو من الآلام والأوجاع والصفح والجلد والإهانة والهوان والعار . ثم يحمل صليبه كما حمل هو صليبه . ويرتضى أخيراً أن يُصلب كما صُلبَ هو . لأن الصليب هو رمز الحياة . وطريق الحياة . وباب الحياة . ومجد الحياة . لانتك الحياة الفانية على الأرض . وإنما الحياة الأبدية في السماء . لأنه بذلك . وبذلك وحده . يستحق خادم المسيح أن يتبعه إلى حيث يمضي هو . ليشاركه في مجده السماوي . الذي هو انجد الإلهي . إذ أنه كما شاركه في هوانه على الأرض يستحق بذلك كذلك أن يشاركه في مجده في السماء . وفي هذا المعنى قال السيد المسيح له انجد لتلاميذه القديسين « ولئن ذهبت وأعددت لكم مكاناً ساجيء ثانية وأخذكم إلى . حتى تكونوا أنتم معي حيث أكون أنا » ( يوحنا ١٤ : ٣ ) . وقال في مناجاته لأبيه السماوي عن تلاميذه « يا أبتاه أريد أن هؤلاء الذين أعطيتهم معي حيث أكون أنا ليعانوا مجدى الذى أعطيتنى » ( يوحنا ١٧ : ٢٤ ) - انظر أيضاً ( ٢ ) . كورنثوس ٥ : ٨ ) : ( فيلبي ١ : ٢٣ ) ؛ ( ١ ) . تسالونيكى ٤ : ١٧ ) .

وهذا الخادم الذى يتبع المسيح حاملاً صليبه . ثم مصلوباً عليه . ويخدمه بأمانة وتقوى وصبر واحتمال . سينال كرامه من الله الآب . لأنه قال له انجد « من قبلنى فقد قبل الذى أرسلنى » ( متى ١٠ : ٤٠ ) : ( مرقس ٩ : ٣٧ ) : ( يوحنا ١٣ : ٢٠ ) .. « ومن لا يمجّد الابن لا يمجّد الآب الذى أرسله » ( يوحنا ٥ : ٢٣ ) . ولقد حرص مخلصنا له انجد على بيان التوافق بينه وبين الآب . وبين مشيئته ومشئته الآب توكيداً لمبدأ وحدة الذات الإلهية . ووحدة الجوهر . أى أنه مع الآب جوهر واحد وذات إلهية واحدة . بحيث إن الذى يكرمه الابن يكرمه الآب فى الوقت نفسه . وبإلها من كرامة عظيمة . وإبالة من شرف لا يدانيه شرف لذلك الخادم الذى يسبغ عليه ملك الملوك ورب الأرباب . لا مجرد رضاه فحسب . وإنما تكريمه أيضاً . ذلك التكريم الذى يرفعه من أن

يكون مجرد خادم لسيده إلى مرتبة أعلى وأسمى ، إذ يصبح بمثابة الابن لذلك السيد . تربطه به رابطة الاتحاد التي تربط الابن بأبيه ، كما صرح بذلك مخلصنا نفسه حين قال في مساء ذلك اليوم ذاته مخاطباً أباه السماوى : « يا أبته القدوس . احفظهم في اسمك هؤلاء الذين أعطيتهم ، ليكونوا في وحدة كما نحن .. ولست أطلب من أجل هؤلاء فقط ، وإنما أيضاً من أجل أولئك الذين يؤمنون بى بكلامهم . ليكونوا جميعهم في وحدة ، كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا أيضاً فىك ، ليكونوا هم أيضاً فى وحدة فىنا .. قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا فى وحدة كما أننا نحن أيضاً فى وحدة . أنا فىهم وأنت فى ، ليكونوا هم أيضاً فى وحدة كاملة .. يا أبته أريد أن هؤلاء الذين أعطيتهم يكونون معى حيث أكون أنا ، ليعاينوا مجدى الذى أعطيتنى .. يا أبته الحق ، إن العالم لم يعرفك ، وأما أنا فعرفتك . وهؤلاء أيضاً عرفوا أنك أنت الذى أرسلتنى . وقد أخبرتهم باسمك وسأظل أخبرهم ، لتكون فىهم المحبة التى بها أحببتنى ، وأكون أنا أيضاً فىهم » ( يوحنا ١٧ : ١١ - ٢٦ ) .

إن الله ليس بظالم حتى يهمل مكافأة الذين يخدمونه ويكرمونه . ولقد وعد ، ووعدده صادق ، إذ قال « إني أكرم الذين يكرمونى » .. ( ١ . صموئيل ٢ : ٣٠ ) - انظر أيضاً ( المزمور ٤٩ : ٢٣ ) ؛ ( المزمور ٩٠ : ١٥ ) ؛ ( لوقا ١٢ : ٣٧ ) .

ثم اتجه مخلصنا بعد ذلك إلى أبيه السماوى بصلاة رائعة ، هى فى حقيقتها مناجاة لا طلب . تتجسّم فيها وحدة ناسوته الكامل بلاهوته الكامل اتحاداً فريداً فى بابه . فذاً فى مفهومه الدقيق العميق الذى يتسامى على أفهام البشر . فيقفون أمامه مبهوتين مبهورين ، إذ وضحت فيه الضعفات البشرية المهارة أمام الآلام الجسدية التى فوق طاقة البشر . كما اتضحت فيه بنفس القوة وفى نفس الوقت

القدرات الإلهية الجبّارة ، المتزّهة عن كل ضعف والموجّهة نحو إتمام المشيئة الربّانية بكل حزم وبغير تضعّض أو تراجع . إذ أن مخلصنا في تلك اللحظة التي يعلم أنه سيواجه فيها بعد لحظاتٍ قليلة ابشع وأشنع ألوان العذاب والإرهاب والإهانة والاستهانة والعداء والاعتداء والشتيمة والسخيمة وخيانة الخائنين وشماتة الأعداء ، ثم القتل مذبحاً على خشبة الصليب كالمجرمين الآثمين واللصوص الأَشقياء وسافكي الدماء ، انجّه إلى أبيه القدوس في السماء يناجيه قائلاً « نفسى الآن قد اضطربت . فاذا أقول؟ يأتاه نَجْنِي من هذه الساعة . ولكننى من أجل هذا أتيت إلى هذه الساعة » . وهكذا نرى المسيح الإنسان يضطرب أمام الموت والهوان اضطراب كل إنسان ، ويفزع إلى أبيه القادر ضارعاً إليه كما يفعل كل امرئ في شدته ومحتته لينجّيه من ذلك الخطر الفظيع الشنيع الذى يهدّده . وليست هذه هى المرة الوحيدة التى ينسب فيها السيد المسيح إلى ذاته أنه « اضطرب بالروح » ، أو أن « نفسه اضطربت » بالحزن أو الألم . فقد عبّر عن ذلك أكثر من مرّة ، فقال عن نفسه وهو في شدّة آلامه النفسية فى بستان جثسيمانى ليلة صلبه « إن نفسى حزينة حتى الموت » . وقال عنه الإنجيل إنه « بدأ يخزن ويرتاع ويكتئب » (متى ٢٦ : ٣٧ و٣٨) : (مرقس ١٤ : ٣٣ و٣٤) « وكان يكابد آلاماً عنيفة » (لوقا ٢٢ : ٤٤) . وقال « ولى معمودية لأصطبغ بها . وما أشدّ ما أعانى حتى تم » (لوقا ١٢ : ٥٠) . وقال عنه الإنجيل إنه لما رأى مريم أخت لعازر تبكى ، ورأى اليهود الذين جاءوا معها يبكون « تألم بالروح واضطرب » (يوحنا ١١ : ٣٣) . وقال عنه الإنجيل أيضاً إنه بعد أن غسل أرجل تلاميذه أخذ يحدّثهم عن الذى سيخونه « ولما قال يسوع هذا اضطرب بالروح ، وصرح قائلاً : الحقّ الحقّ أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمنى » (يوحنا ١٣ : ٢١) . وجاء عنه فى رسالة القديس بولس إلى العبرانيين أنه « فى أيام جسده قدّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من

الموت» (العبرانيين ٥ : ٧) . وهذا كله دليل على أن يسوع المسيح كانت إنسانيته إنسانية حقيقية كاملة ، وأنه قد عانى في إنسانيته الآلام التي يعانها من له إنسانية كاملة ، فلم يكن الجسد الذي اتخذته الله الكلمة جسداً خيالياً كما زعم أوطاخى وبعض الهراطقة ، وإنما كان جسده جسداً حقيقياً قابلاً للآلام . كذلك اتخذ الله الكلمة روحاً إنسانية وليس مجرد جسد كما زعم أبوليناريوس ، وفي هذه الروح الانسانية اضطرب وتألم وصرخ وبكى وحزن حتى الموت .

ولكن السيد المسيح باعتباره الإله ابن الإله ، لا يلبث على الفور أن يتدارك - في مناجاته لأبيه السماوى - هذا الموقف الإنسانى الضعيف ، مقررًا أن هذا الذى قاله إنما يتعارض مع التدبير الإلهى الحكيم الرحيم الذى اشترك فيه مع أبيه السماوى لخلاص البشر ، بأن يُقدم نفسه ذبيحة عنهم . وقد كان هذا هو الهدف الأسمى والأوحد من مجيئه إلى العالم . وقد كان مصمماً على أن يتمم ويحقق هذا الهدف . ومن ثم فإنه ما إن نطق بتلك العبارة التى صدرت عن مشاعره كإنسان ، حتى أردف على الفور قائلاً بشفتيه الإلهيتين « ولكننى من أجل هذا أتيت إلى هذه الساعة » . فهو لن يتضعض أو يتراجع أمام الضعف البشرى ، وسيقدم بخطوات ثابتة نحو الصليب بإرادته الإلهية ليتمم التدبير الإلهى . ومع ذلك فإنه بالمشاعر البشرية مرة أخرى تطلع إلى التأيد من أبيه السماوى لإتمام ذلك التدبير الذى كان من المحتم أن يتم ، فقال « ياأبتاه مجّد ابنك » ، لأن هذا التمجيد يتضمّن التأيد الذى من شأنه أن يحو من نفسه نهائياً ذلك التردّد الذى سبق أن ساوره . وبالفعل جاء صوت من السماء يقول « قد مجّدت وسأظلُّ أمجّد » ، أى أن الله الآب إذ يمجد ابنه ، إنما يمجده منذ الأزل وسيظل يمجّده إلى الأبد . ويدلّ على ذلك قول قاديना لأبيه القدوس فى عشية ذلك اليوم نفسه : « ياأبتاه قد أتت الساعة . مجّد ابنك ليمجّدك ابنك .. أنا قد

مجدّتك على الأرض ، والعمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته . فالآن مجدّنى يا أبته عند ذاك بالمجد الذى كان لى عندك من قبل كَوْن العالم » ( يوحنا ١٧ : ١ و٤ و٥ ) .

فلما سمع الجمع الذين كانوا واقفين هذا الصوت الذى جاء من السماء ، قالوا « إنه رَعَدٌ قد أَرَعَدَ » ، اذ كان هذا الصوت مُدَوِّياً طَرَقَ آذانهم طَرَقًا قَوِيًّا ، ولكنهم كان فى آذانهم وَقرٌ من أثر حياتهم الجسدية الدنيوية الغارقة فى الماديات ، فلم يكن فى مقدورهم أن يميّزوا صوت الله الروح الأعظم حين يتكلّم ، ومن ثمّ انطبق عليهم قول حزقيال النبى إذ يقول : « وكان إلى كلام الربّ قائلاً : يا ابن آدم أنت ساكن فى وسط بيت متّمرد ، الذين لهم أعين لينظروا ولا ينظرون . لهم آذان ليسمعوا ولا يسمعون ، لأنهم بيت متّمرد » ( حزقيال ١٢ : ٢ ) . كما انطبق عليهم قول إرميا النبى إذ يقول « اخبروا بهذا فى بيت يعقوب وأسمعوا به فى يهوذا قائلين : اسمع هذا أيها الشعب الجاهل والعديم الفهم ، الذين لهم أعين ولا يبصرون . لهم آذان ولا يسمعون » ( إرميا ٥ : ٢٠ و٢١ ) . وكذلك جاء فى الإنجيل للقديس متى قول مخلصنا « أكلمهم بأمثال . لأنهم مبصرون ولا يبصرون . وسامعون ولا يسمعون . ولا هم يفهمون . ففهم قد تمت نبوءة إشعياء القائلة : بالسمع تسمعون ولا تفهمون . وبالبصر تبصرون ولا ترون . لأن قلب هذا الشعب قد غلظ . وآذانهم قد ثقل سمعها . وعيونهم قد أغمضوها لئلاّ يبصروا بعيونهم أو يسمعوا بأذانهم . أو يفهموا بقلوبهم . أو يرجعوا إلى فاشفيهم » ( متى ١٣ : ١٣ - ١٥ ) .

وقال آخرون من اليهود حين سمعوا هذا الصوت « إنّ ملاكاً هو الذى كلّمه » . ويدلّ ذلك على جهلهم الواضح والفاضح حتى بشريعتهم اليهودية ذاتها وبتاريخهم كلّه ، لأنهم سمعوا مخلصنا وهو يخاطب أباه قائلاً « يا أبته مجدّ

ابنك » ، فكان المعقول والمنطقي أن يبحثه الجواب من الله الآب نفسه . ولكنهم بسبب ذلك الجهل الذى طمس عقولهم وقلوبهم لم يتصوروا أن الله قادر على أن يتكلم مباشرة بصوته هو ، مع أن كتبهم المقدسة ممتلئة بالحالات التى تكلم الله فيها إلى قديسيه ، فقد كَلَّمَ اباهم الأول إبراهيم ، وكَلَّمَ بعد ذلك إسحق ويعقوب . ثم طالما كَلَّمَ أعظم أنبيائهم موسى طوال الأربعين سنة التى أقام اليهود فى أثنائها فى صحراء سيناء ، حتى لقد أصبح معروفاً بأنه « كلم الله » . ثم كَلَّمَ الله كل أنبياء اليهود الذين جاءوا بعد موسى ، كما يتضح من نصوص نبوءاتهم ذاتها ، بل إنَّ اليهود فى ذات العصر الذى عاش مخلصنا معهم فيه تكلم الله بصوت مسموع حين قام يوحنا المعمدان بتعميد مخلصنا ، وقد سمع صوته كل الذى كانوا حاضرين فى ذلك الحين ، إذ جاء فى الإنجيل للقديس متى قوله : « حتى إذا اعتمد يسوع صعد تَوًّا من الماء ، وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة ومقبلاً عليه . وإذا صوت يمجىء من السماء ، قائلاً : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » ( متى ٣ : ١٦ و١٧ ) وقد ذكر ذلك كذلك الإنجيل للقديس مرقس ( مرقس ١ : ١١ ) . والإنجيل للقديس لوقا ( لوقا ٣ : ٢١ و٢٢ ) . على أن هذه المناجاة بين الابن والآب على مسمع من التلاميذ ومن جميع الناس كانت برهاناً وبيّنة على المحبة بين الابن والآب ، والاتفاق فى المشيئة بينهما ، وأنه ليس هناك تعارض أو تنافر أو انقسام بينهما فى التدبير والمشيئة . وكان هذا أمراً نافعاً ومفيداً ومريحاً لليهود ولجميع الناس . فقد كانوا فى حيرة فى شأن المسيح وعلاقته بالآب السماوى ، وكانوا فى حاجة إلى أن يتبينوا علاقة التوافق والتواؤم بينهما ، وان يسوع المسيح لم يأت ليعلن عن نفسه إلهاً آخر ثانياً . وإنما الابن والآب معاً إله واحد ، والمناجاة تجرى فيما بينهما برهان على التوافق بينهما ، من حيث إن الابن مع الآب وفى الآب اقنومان وخاصيتان فى ذات واحدة وجوهر واحد .

وإذ رأى مخلصنا ما أبداه بعض اليهود من إنكار لسماعهم صوت الله على الإطلاق ، زاعمين أنه صوت رعد أرعد ، وما أبداه بعضهم الآخر من إنكار لأن يكون هذا هو صوت الله نفسه ، زاعمين أنه لم يكن إلا صوت ملاك ، مما يدل على استكثارهم لأن يتكلم الله نفسه مع مخلصنا ، لأن اعترافهم بذلك إنما يتضمن اعترافاً بأن مخلصنا هو ابن الله ، في حين أنهم ينكرون عليه ذلك ، قرر مخلصنا لهم ما يفيد أن هذا هو بالفعل صوت أبيه السماوي ، قائلاً « ليس من أجلى كان هذا الصوت ولكن من أجلكم أنتم » . أى أنه إن مجده الله الآب تمجيداً يتضمن الشهادة بأنه هو بالفعل ابنه ، فإن مخلصنا ليس في حاجة هو شخصياً لهذه الشهادة لأنه يعلم أنه ابن الله ، فشهادته له تقرير أمر مقرر وتحصيل حاصل . وإنما كانت هذه الشهادة من الله الآب لابنه موجهة إلى اليهود الحاضرين حينذاك ليؤمنوا بأن يسوع هذا الذى يستهينون به ويهينونه لبساطة مظهره واتخاذ جسد إنسان مثلهم ، إنما هو ابنه حقاً وصدقاً ليؤمنوا بذلك ويفتحوا أعينهم على حقيقته الإلهية ( انظر يوحنا ١١ : ٤٢ ) فيرجعوا عما هم غارقين فيه من غباءٍ والتواءٍ وجاهالةٍ وضلال .

ثم قال مخلصنا « الآن قد وقعت الدينونة على هذا العالم . الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً » ، أى أن هذا العالم الذى سيطر عليه الشر بواسطة الشرير ، وهو الشيطان الذى جعل من العالم مملكته حتى أصبحت له الرئاسة عليه ، سيكون صليب المسيح الذى سيصلب عليه بعد ساعات قليلة رمزاً وبرهاناً على ذلك الشر الذى غرق العالم فيه ، فكان هو دليل إدانته على كل الخطايا التى ارتكبتها البشر منذ سقوط آدم حتى تلك الساعة التى قررت الرحمة الإلهية أن ترحم فيها البشر من الهلاك الذى قضى به العدل الإلهي عليهم بواسطة ذلك القادى الإلهي الذى جاء ليقدم نفسه ذبيحة عنهم تكفيراً عن خطاياهم . وقد كانت آخر

هذه الخطايا التي ارتكبتها العالم واستحق عنها الدينونة ، هو أنه لفرط ما تمكّن الشرُّ منه ، بدلاً من أن يستقبل ذلك الفادى الذى جاء لخلاصه استقبال المنقذ النبيل ، ويفرح به ، ويقدم إليه ما هو جدير به من الشكر والامتنان والتكريم والتبجيل والحب الجزيل ، قام عليه فقتله معلقاً إياه على الصليب الذى كان يرمز للهوان أشنع الهوان والعار أبشع العار . وفى ذلك قال مخلصنا له المجد « وهذه هى الدينونة أن النور جاء إلى العالم ، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة » (يوحنا ٣ : ١٩) - انظر أيضاً (يوحنا ٩ : ٣٩) ؛ (١٦ : ١١) .

ومن ثم فإن تلك الدينونة التي استحقها العالم بتعليق مخلصه على الصليب كانت صلياً للعالم نفسه علّق نفسه عليه عن استحقاق حقيقى للهوان والعار ، فى حين أصبح الصليب بالنسبة لمخلصنا رمزاً للمجد والفخار ( ١ . كورنثوس ١ : ١٨) . وبعد أن كان بالنسبة للعالم أداة للموت أصبح بموت مخلصنا عليه مصدراً للحياة (غلاطية ٦ : ١٤) . إذ بواسطته قهر مخلصنا مصدر الشرِّ والهلاك الذى كان مسيطراً على العالم ، وهو الشيطان الذى كان بسيطرته على العالم هو « رئيس هذا العالم (يوحنا ١٤ : ٣٠) ؛ (١٦ : ١١) . لأن مخلصنا اذ قدّم نفسه فداءً عن البشر فغفر بذلك خطاياهم وأعادهم إلى حظيرة الله وطاعته وعبادته ، قد سلب الشيطان كل سيطرة له عليهم (متى ١٢ : ٢٩) ، وجردّه من كلّ نفوذ له كان يستند لهم به ويجعلهم تحت طاعته، وعبيداً وعباداً له (كولوسى ٢ : ١٤ و١٥) . ومن ثمّ خلعه عن عرشه وطرّحه خارج العالم ليكون مجرد مخلوق شرير حقير متمرّد على الله ينتظر فى سجنه ساعة الدينونة (٢) .

بطرس ٢ : ٤ ) التى هو واثق أن الحكم سيصدر عليه فيها بالهلاك (متى ٢٥ : ٤١) . وقد عبّر بعض أتباع هذا الشيطان من الشياطين أنفسهم عن يقينهم من ذلك الهلاك الذى ينتظرهم ، إذ قالوا لمخلصنا حين أمرهم أن يخرجوا من إنسان احتلّوا جسده « مالك ولنا يابسوع الناصرى ؟ أجتت لتهلكنا ؟ إننا نعرف من



أنت. أنت قُدوس الله» (مرقس ١ : ٢٤) ؛ (لوقا ٤ : ٣٤) ؛ (متى ٨ : ٢٩) .  
ولعلّ رب المجد يسوع المسيح بقوله « الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً » فيما  
يشير إلى الطرح النهائي للشيطان في جهنم ، يبشّر تلاميذه والمؤمنين به بأن هذا  
الطرح قد بدأ بنزول المسيح إلى العالم ، ثم بعمل الفداء والخلاص الذى يتم  
بصلب المسيح الفادى وموته . وبذلك يخرج الشيطان من حياة المؤمنين بالمسيح  
الذين ينالون المعمودية باسمه ، فيطرح الشيطان خارجاً عنهم . فإذا حاربهم فلا  
يحاربهم من داخل أجسادهم ، إذ قد خرج منهم في المعمودية ، وإنما يحاربهم  
من خارج . قال مخلصنا « إن القوى الذى يتسلّح ليحرس داره تكون أمتعته في  
أمان ، ولكنه متى جاء عليه ذلك الذى هو أقوى منه ، تغلّب عليه ونزع منه كل  
أسلحته التى كان يعتمد عليها ويوزع غنائمه » ( لوقا ١١ : ٢١ و ٢٢ ) ؛ (مرقس  
٣ : ٢٧) ؛ (متى ١٢ : ٢٩) .

وبعد ذلك قال مخلصنا « وأنا أيضاً متى ارتفعت عن الأرض سأجذب إلىّ  
الجميع » . وتتضمّن تلك العبارة مرحلتين من مراحل ارتفاع مخلصنا عن  
الأرض . فكانت المرحلة الأولى هى ارتفاعه على خشبة الصليب . إذ يقول  
القدّيس يوحنا إنه « قال هذا مشيراً إلى الكيفية التى سيموت بها » . وقد قال  
الإنجيل « وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان لكي  
لا يهلك كل من يؤمن به وإنما ينال الحياة الأبدية » ( يوحنا ٣ : ١٤ ) . وقال  
فاديننا لليهود « حينما ترفعون ابن الإنسان تدركون عندئذ أنى أنا هو » ( يوحنا ٨ :  
٢٨ ) - أنظر (متى ٢٠ : ١٩) ؛ (يوحنا ١٨ : ٣٢) . ويقرر مخلصنا عن ذلك أنه  
متى ارتفع على الصليب الذى يعدّه باب الحياة ، سيجذب جميع البشر معه  
( يوحنا ٦ : ٤٤ ) إلى الحياة الأبدية التى ما ارتضى موته على الصليب إلا ليفتح  
باب تلك الحياة الأبدية لهم ( روما [ رومية ] ٥ : ١٨ و ١٩ ) . وأما المرحلة

الثانية فهي ارتفاعه عن الأرض بصعوده إلى السماء (مرقس ١٦ : ١٩) ؛  
 (لوقا ٩ : ٥١) ؛ (الأعمال ١ : ١١) ؛ (١ . تيموثيوس ٣ : ١٦) ، حيث  
 أعدَّ لجميع الذين منحهم الخلاص مكانًا هناك ليكونوا معه إلى الأبد ، إذ قال  
 مخاطبًا أباه السماوي « يا أبتاه أريد أن هؤلاء الذين أعطيتيهم يكونون معي حيث  
 أكون أنا ، ليعاينوا مجدى الذى أعطيتنى » (يوحنا ١٧ : ٢٤) . وقال لتلاميذه  
 فى وصاياه الأخيرة لهم حين أوشك أن يفارقهم « لا تضطرب قلوبكم .. إنَّ فى  
 بيت أبى منازل كثيرة .. أنا ذاهب لأعدِّ لكم مكانًا . ولئن ذهبت وأعددت لكم  
 مكانًا ، سأجىء ثانية وآخذكم إلىَّ ، حتى تكونوا أنتم معي حيث أكون أنا »  
 (يوحنا ١٤ : ١ - ٣) . ولم يكن هذا الوعد بطبيعة الحال مقصورًا على تلاميذه  
 الاثنى عشر وحدهم ، وإنما كان لكل المؤمنين به فى كل زمان ومكان . وهكذا  
 فإنَّ محلَّصنا بارتفاعه على الصليب رمز الحياة ، سيجذب جميع المؤمنين به إلى  
 الحياة الأبدية . كما أنه بارتفاعه بعد ذلك إلى السماء سيجذب معه جميع المؤمنين  
 به إلى ملكوته السماوي ليكونوا معه فى ذلك الملكوت إلى الأبد .

وإذ فهم اليهود الحاضرون من قول محلَّصنا أنه سيرتفع عن الأرض ، أجابوه  
 قائلين « قد سمعنا من الشريعة أن المسيح يدوم إلى الأبد ، فكيف تقول أنت إن  
 ابن الإنسان ينبغي أن يُرفع ؟ من هو ابن الإنسان هذا ؟ » . وقد أخذ اليهود  
 فكرتهم هذه عن أن مملكة المسيح تدوم على الأرض إلى الأبد من أقوال  
 انبيائهم . إذ يقول إشعيا النبي « لأنه يولد لنا ولد ونُعطي ابناً وتكون الرياسة على  
 كتفه ويُدعى اسمه عجيبيًا مشيرًا إليها قديرًا أبًا الأبد رئيس السلام . لنمؤرياسته  
 وللسلام لانهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعصدها بالحق والبر من  
 الآن إلى الأبد » (إشعيا ٩ : ٧ و٦) . ويقول دانيال النبي « كنت أرى فى  
 رؤى الليل ، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام

فقرَّبوه قدامه . فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوناً لتتعبد له كلّ الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبديّ مالن يزول وملكوته مالا ينقرض » ( دانيال ٧ : ١٣ و١٤ ) - انظر أيضاً ( المزمير ٨٨ : ٣٦ ) ؛ ( ١٠٩ : ٤ ) ؛ ( إشعياء ٥٣ : ٨ ) ؛ ( حزقيال ٣٧ : ٢٥ ) ؛ ( دانيال ٢ : ٤٤ ) ؛ ( ٧ : ١٤ و٢٧ ) ؛ ( ميخا ٤ : ٧ ) . وعندما بشرّ الملاك العذراء مريم بميلاد المسيح منها قال لها « فيملك على بيت يعقوب إلى الأبد . ولن يكون للملكه انقضاء » ( لوقا ١ : ٣٣ ) .

وقد كان خطأ اليهود دائماً في أنهم يفسرون آيات كتابهم المقدّس تفسيراً حرفياً سطحياً ، لضحالة تفكيرهم ، وضآلة عقولهم ، وعجزهم عن أن يفحصوا إلى أعماق المعاني التي تتضمنها تلك الآيات السامية السماوية التي ورّدت في نبوءات الله على فم أنبيائهم . فلم يكن المقصود فيما قال أولئك الأنبياء عن ملكوت المسيح أنه سيكون ملكاً أرضياً تدوم مملكته على الأرض إلى الأبد ، لأن هذا مستحيل عقلاً وبداهة ، لأن الأرض ستفنى ( متى ٢٤ : ٣٥ ) ؛ ( ١٣ : ٣١ ) ولن تدوم إلى الأبد . وإنما المقصود أن عقيدته التي سيغرسها في الناس وشريعته التي سيضعها لهم ومحكم العالم كله بها ، هي التي ستدوم في الأرض إلى أن تفنى ، وفي السماء التي لن تفنى أبداً . وإنما ستبقى إلى الأبد . غير أن اليهود إذ لم يروا في المسيح إلا أنه مجرد إنسان ، ولم يدركوا أنه هو الله في نفس الوقت ، ظنوا أنه سيظلّ ملكاً كسائر ملوك الأرض ، وسيظلّ سلطانه وهو في الأرض دائماً إلى نهاية الزمان ، على مقتضى التفسير الحرفي لقول النبي إن « سلطانه سلطان أبديّ مالن يزول ، وملكوته مالا ينقرض » ، ولعلّ الدليل على نظرتهم إليه كمجرّد إنسان أنهم قالوا له « فكيف تقول أنت إن ابن الإنسان ينبغي أن يُرفع ؟ » ، مع أنه لم يقل عن نفسه وهو يكلمهم في تلك اللحظة أنه ابن الإنسان . ولعلّهم قالوا هذا لأنهم طالما سمعوه قبل ذلك يلقّب نفسه بابن

الإنسان ، أو لعلمهم كانوا يعنون ماقاله دانيال النبي عن المسيح المنتظر أنه رآه في رؤى الليل « مثل ابن إنسان » ( دانيال ٧ : ١٣ ) ، ومن ثمّ تلبّلت أفكارهم من نحوه ، وثارَت شكوكهم في أن يكون هذا هو حقاً المسيح الذي ينتظرونه مادام يقول إنه سيرتفع عن الأرض ولا يبقى إلى الأبد ملكاً أرضياً يجلس على عرش داود إلى نهاية الزمان ، على مقتضى فهمهم الخاطيء لنبوءات الأنبياء .

فأجابهم مخلصنا إجابة بليغة يصحح بها خطأهم في فهم حقيقة شخصية المسيح ، ويوضح لهم جوهر رسالته التي جاء من أجلها إلى العالم ليقضى في إنجازها زمناً محدداً ثم يرتفع إلى السماء . إذ قال لهم « إنَّ النور باقٍ في وسطكم زماناً سيرا ، فسيروا في النور مادام النور لكم ، لئلاَّ يدرككم الظلام . لأنَّ الذي يمشى في الظلام لا يدري إلى أين يذهب . فأمنوا بالنور مادام لكم النور لتصيروا أبناء النور » . فهو يقول لهم بذلك إنه ليس مجرد إنسان ذى جسد كما يظنون ، وإنما هو الله الذى هو نور من نور ، ونور في نور . وهذا ما قرره مخلصنا من قبل في صراحة ووضوح ، إذ قال « أنا هو نور العالم . من يتبعنى لا يسير في الظلام ، وإنما يكون له نور الحياة » ( يوحنا ٨ : ١٢ ) . وقال « مادمت في العالم فأنا نور العالم » ( يوحنا ٩ : ٥ ) . وقال « أنا قد جئت للعالم نوراً حتى إن كل من يؤمن بى لا يمكث في الظلام » ( يوحنا ١٢ : ٤٦ ) . وقال الإنجيل عن يوحنا المعمدان الذى شهد لمخلصنا « كان رجل قد أرسل من الله اسمه يوحنا . جاء هذا كى يشهد للنور ليؤمن الكل على يده . لم يكن هو النور وإنما أرسل ليشهد للنور . كان النور الحقيقى الذى ينير كلَّ إنسان آتياً إلى العالم . كان في العالم .. والعالم لم يعرفه » ( يوحنا ١ : ٦ - ١٠ ) . وقال « إن النور جاء إلى العالم وأحبَّ الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة » ( يوحنا ٣ : ١٩ ) . وواضح أن المقصود بالنور بهذا المعنى هو الله ذاته ، كما تدلّ على ذلك كل

نبوءات العهد القديم . إذ جاء مثلاً في سفر أيوب « أين الطريق إلى حيث يسكن النور » (أيوب ٣٨ : ١٩) . وجاء في سفر دانيال النبيّ أنّ الله « عنده يسكن النور » (دانيال ٢ : ٢٢) . وجاء في سفر المزامير عن الله أنه « اللابس النور كثوب » (المزمور ١٠٣ : ٢) . وجاء فيه على لسان داود النبيّ « الرب نورى وخلصى » (المزمور ٢٦ : ١) وجاء فيه على لسان داود أيضاً « بنورك نرى نوراً » (المزمور ٣٥ : ٩) . كما وصف تلاميذ مخلصنا الله بأنه نور ، إذ يقول القديس يوحنا « إن الله نور وليس فيه ظلّمة البتة » (١ . يوحنا ١ : ٥) . ويقول القديس بولس عن الله إنه « المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذى وحده له عدم الموت ، ساكنًا فى نور لا يُدنى منه » (١ . تيموثيوس ٦ : ١٦ و ١٥) .

وهكذا قرر مخلصنا لليهود إذ وصف نفسه بأنه النور ، أنه هو ابن الله ، وأنه هو الله ذاته . وأخبرهم بأنه - على عكس فهمهم الخاطيء - لن يبقى معهم فى الأرض إلى الأبد كما يظنون ، وإنما سيغادروهم بعد زمن يسير لا يتجاوز ساعات قليلة ، يصلبه رؤساء اليهود بعدها ليرتفع أولاً على الصليب ليموت عليه ، ثم يرتفع بعد ثلاثة أيام عن القبر فى قيامته من بين الأموات . ثم أخيراً يرتفع بعد أربعين يوماً صاعداً إلى السماء . وهو فى ذلك الزمان اليسير الذى يبقى خلاله فى وسطهم سيكون هو نورهم الذى يستيرون به فى حياتهم . فلينتهزوا هذه الفرصة التى سرعان ماستعبر ليسيروا على هدى نوره لئلا يدركهم الظلام الذى سيحلّ عليهم بعد ارتفاعه عنهم ، فيروحون يتخبطون فى ذلك الظلام كالعميان الذين فقدوا نور أعينهم . فهم يمشون على غير هدى . ولا يدرون فى أىّ طريق تسوقهم أقدامهم . ولا يدرون إلى أين يذهبون (يوحنا ١١ : ١٠) ؛ (١ . يوحنا ٢ : ١١) . فلا يلبثون أن يضلّوا السبيل (ارميا ١٣ : ١٦) . ومن ثمّ يتعرّضون

لكل أنواع المخاطر والمهالك التي يتعرض لها كل الذين يمشون في الظلام ، ولاسيما  
 ظلام العقل والقلب والروح ( أفسس ٥ : ٨ ) . فلا نجاة لهم إلا بأن ينهزوا  
 فرصة وجود النور الإلهي المتمثل في مخلصنا في أثناء الفترة القصيرة التي بقيت  
 ليرتفع عنهم كى يؤمنوا به ، لأنهم إن آمنوا بالنور المتمثل فيه يصيروا أبناء النور  
 ( لوقا ١٦ : ٨ ) ؛ ( أفسس ٥ : ٨ ) ؛ ( ١ . تسالونيكي ٥ : ٥ ) ؛ ( ١ .  
 يوحنا ٢ : ٩ ) ، أى أبناءه هو ، فيستنيروا بنوره ، ويسيروا في حياتهم على  
 هداة ، وينالوا شرف الانتساب إليه انتساب الأبناء إلى أبيهم ، والتلاميذ إلى  
 معلمهم . ومن ثمَّ ينعكس نوره عليهم . ولما كان هو نورالعالم يصبحون هم أيضاً  
 كما قال لتلاميذه نوراً للعالم ، إذ قال لهم « أنتم نور العالم » ( متى ٥ : ١٤ ) .

قال مخلصنا لليهود هذا ثم مضى واختفى عنهم بقوة لاهوته ( انظر أيضاً يوحنا  
 ٨ : ٥٩ ) ؛ ( ١١ : ٥٤ ) ، إيداناً باختفاء نوره الإلهي الذي حدثهم عنه من  
 بينهم ، وأنذرهم وحذّرهم من أن يستمروا في إنكاره والتنكر له لثلاً يكتنفهم  
 الظلام بعد ارتفاعه عنهم فيسقطوا في هوة الهلاك . بيد أنهم على الرغم من كل  
 ماسمعه منه بالتلميح تارة وبالتصريح تارة أخرى ليثبت لهم حقيقة شخصيته  
 الإلهية ، وعلى الرغم من أنه صنع معجزات كثيرة أمامهم لا يمكن أن تصدر  
 إلا عن الله القدير نفسه ، لم يؤمنوا به ، وصموا أذانهم عن أن تسمع كل ماقاله .  
 وأغلقوا أعينهم عن أن ترى كل ما صنع من المعجزات أمامهم ، لعناد قلوبهم  
 وعقولهم ، وعمى بصائرهم وأبصارهم ، واستعباد الشر والشرير لهم ، ليمَّ فيهم  
 قول إشعياء النبي « يارب من آمن بما سمع منا ؟ ولمن تجلّت ذراع الرب ؟ »  
 ( إشعياء ٥٣ : ١ ) - انظر أيضاً ( روما [ رومية ] ١٠ : ١٦ ) . لهذا لم  
 يستطيعوا أن يؤمنوا ، لأن إشعياء قال أيضاً « قد طمس على عيونهم وأغلق على  
 قلوبهم ، لثلاً يبصروا بعيونهم أو يفقهوا بقلوبهم ، ويرجعوا إلى فأسفيهم »

(إشعيا ٦ : ١٠٩) - انظر (متى ١٣ : ١٤) . وقد قال إشعيا هذا عن اليهود حين رأى بروح النبوة مجد مخلصنا متنبئاً عنه قبل مجيئه بمئات السنين (إشعيا ٦ : ١) . وهكذا شهد بمكر اليهود وشراًهم وعنادهم وغلظة أكبادهم نبى من أنبيائهم هم أنفسهم ، فكانوا هم الشهود على أنفسهم بأنفسهم .

ومع ذلك قد آمن بمخلصنا كثيرون من الرؤساء أنفسهم الذين كانت لهم أكبر المناصب في المجتمع اليهودى . إذ كانوا أعضاء في مجلس السنهدريم الذى هو مجلس الشيوخ اليهودى أعلى سلطة في بلادهم . بيد أن أولئك الرؤساء الذين آمنوا بمخلصنا كانوا ذوى عقول أكثر تفتحاً وقلوب أكثر نقاء ، ونفوس أكثر صفاء ، فلم تمنعهم عن الإيمان بالمسيح له المجد كبرياء ولا استعلاء ، ولا جهل ولا غباء ، ولا حقد ولا حسد ، ولا ضمير أحمق ولا تفكير أخرق ، كما كان هو الشأن بالنسبة لسائر اليهود . ومع ذلك حرص أولئك الرؤساء على أن يظل إيمانهم بمخلصنا في الخفاء ، خوفاً من الفريسيين أعداء الرب يسوع الذين كانوا يتربصون به الدوائر لقتله ، ولا سيما أنهم مع رؤساء الكهنة من أعضاء مجلس السنهدريم كانوا كما يقرر الإنجيل « قد أصدروا أمراً بأن على من يعرف أين هو أن يرشدهم إليه ليمسكوه » (يوحنا ١١ : ٥٧) ، ومن ثم لم يجزؤ أولئك الرؤساء الذين آمنوا بمخلصنا على أن يعترفوا به علانية لثلاً يثير ذلك عليهم رؤساء الكهنة والفريسيين فيطردوهم من مجلس السنهدريم الذى كانوا يسمونه المجمع فيفقدوا بذلك مكانتهم العظيمة في المجتمع اليهودى (انظر يوحنا ٧ : ١٣) : (٩ : ٢٢) . وقد كان ذلك موطن الضعف فيهم ، لأنهم كما يقرر الإنجيل « أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله » . وقد ذكر لنا الإنجيل اسم اثنين من أولئك الرؤساء الذين آمنوا بمخلصنا سراً . وهما نيقوديموس ويوسف الرامى . إذ يقول لنا الإنجيل إنه « كان رجل من الفريسيين اسمه نيقوديموس من رؤساء اليهود ، جاء إلى يسوع ليلاً وقال

له يامعلم نحن نعلم أنك جئت من الله معلماً ، لأنه ما من أحد يقدر أن يصنع هذه الآيات التي أنت تصنع ما لم يكن الله معه » ( يوحنا ٣ : ٢١ ) . وأما يوسف الرامى فيقول لنا الإنجيل إنه « رجل غنى من الرامة .. وكان هو أيضاً قد تتلمذ ليسوع » ( متى ٢٧ : ٥٧ ) ، وأنه « كان عضواً بمجلس السنهدريم ، وكان رجلاً صالحاً باراً . ولم يكن راضياً عن رأيهم أو عملهم . وهو من الرامة إحدى مدن اليهودية ، وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله » ( لوقا ٢٣ : ٥١ و٥٠ ) . ثم يقرر الإنجيل أنه « كان تلميذاً ليسوع ، وإن يكن خفية لخوفه من اليهود » ( يوحنا ١٩ : ٣٨ ) . بيد أن هذين الرجلين على الرغم مما أبديا في مبدأ الأمر من حرص على عدم إذاعة إيمانها بمخلصنا خوفاً على مكانتها ، وحذراً على سلامتها ، لم يلبثا حين رأيا الخطر الذى يهدد معلمها أن أبديا أعظم الشجاعة وأكرم الشهامة فجاهرا بإيمانها به على رؤوس الأشهاد وفعلما ما لم يجزؤ على أن يفعله أقرب أقربائه واحب تلاميذه إليه ، غير مبالين باى خطر يهددهم ولو كان هذا الخطر هو الموت . إذ يقول الإنجيل إن أعضاء مجلس السنهدريم حين قرروا القبض على مخلصنا وقتله « قال لهم نيقوديموس الذى كان قد جاء إلى يسوع ليلاً ، وكان واحداً منهم : هل تحكم شريعتنا على أحد ما لم تسمع منه أولاً . وتعرف ماذا فعل ؟ » ( يوحنا ٧ : ٥١ و٥٠ ) . ويقول الإنجيل عما فعله يوسف الرامى حين قبض رؤساء اليهود على مخلصنا وقتلوه على خشبة الصليب .. « واذا برجل اسمه يوسف ، كان عضواً بمجلس السنهدريم ، وكان رجلاً صالحاً باراً . ولم يكن راضياً عن رأيهم أو عملهم .. وقد تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع . ثم انزله ولفه بكتان وسجّاه في قبر كان قد نحته في الصخر ، ولم يكن قد دُفن فيه أحد من قبل » ( لوقا ٢٣ : ٥٠ - ٥٣ ) . ثم يقرر الإنجيل أن نيقوديموس اشترك مع يوسف الرامى في إنزال جسد مخلصنا عن الصليب وتكفينه ودفنه ، إذ يقول « وجاء أيضاً نيقوديموس الذى كان اتى من قبل إلى يسوع



ليلاً ، وكان يحمل جنوطاً من المر والصرير ، يزن نحو مائة رطل . وأخذنا جسد يسوع وكفناه بلفائف من الكتان مع الأطياب على عادة اليهود في التكفين . وكان في الموضع الذي صلبوه فيه بستان ، وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه من قبل أحد قط . فوضعوا يسوع فيه » ( يوحنا ١٩ : ٣٩ - ٤٢ ) . وهكذا فإن هذين الرجلين البارزين الفاضلين بعد أن كانا يحبّان مجد الناس أكثر من مجد الله كما يقول الإنجيل ( يوحنا ٥ : ٤٤ ) ، انتهى بهما إيمانها بمخلّصنا ومخلّص العالم كله إلى أنها أحبّا مجد الله أكثر من مجد الناس . ولا بد أنهما في سبيل إيمانها بالرب ومجاهرتهما الفاتحة الشجاعة بهذا الإيمان ، لقيا بعد ذلك من رؤساء اليهود كل ألوان العنف والعسف والبطش والتكليل ، شأن كل مؤمن شجاع ، وشهم نبيل .

#### ١٢ : ٤٤ - ٥٠

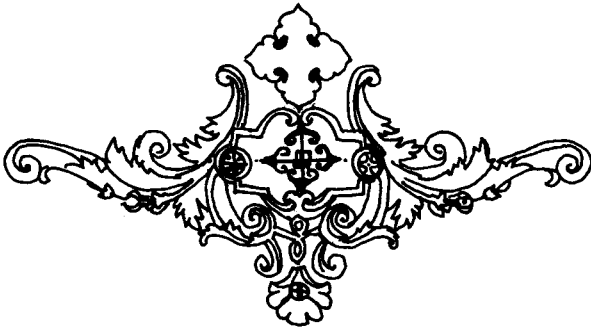
وقد علّق مخلّصنا على إيمان أولئك الرؤساء الذين آمنوا به قائلاً « إن الذي يؤمن بي ، ليس بي يؤمن ، وإنما آمن بالذي أرسلني . والذي يراني فقد رأى الذي أرسلني . أنا قد جئت للعالم نوراً ، حتى إن كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلام » . وهنا يؤكد مخلّصنا مرة أخرى أنه متحد بأبيه السماوي اتحاداً كاملاً .  
فهما معاً إله واحد ( يوحنا ١٠ : ٣٠ ) ، وإن كان الله الآب الذي هو متحد به قد أرسله إلى العالم ( مرقس ٩ : ٣٧ ) ؛ ( يوحنا ٣ : ١٧ ) متخذاً جسد إنسان ليتم التدبير الإلهي لغفران خطايا البشر بتقديم نفسه فداء عنهم لخلاصهم من حكم الهلاك الصادر من العدالة الإلهية عليهم ، فإنه على الرغم من الجسد البشري الذي اتخذته لم يزل في نفس الوقت متحداً بألوهيته مع الله الآب ، لم ينفصل عنه لحظة واحدة أبداً ، بحيث إن الذي يراه إنما يرى فيه الله الآب الذي هو متحد به . وقد أكد له المجد على هذا المعنى إذ قال أيضاً « من رآني فقد رأى

الآب» ( يوحنا ١٤ : ٩ ) - انظر ( كولوسي ١ : ١٥ ) ؛ ( العبرانيين ١ : ٣ ) . ومن ثمَّ فإنَّ الذي يؤمن به وهو في جسد ناسوته إنما يؤمن في نفس الوقت بالله أبيه الذي أرسله ليفدى البشرَ ( يوحنا ٣ : ١٧ ) من فرط حبه لهم ( يوحنا ١٥ : ١٣ ) ورحمته بهم ورغبته في أن يتصلحوا معه ( ٢ . كورنثوس ٥ : ١٨ و١٩ و٢٠ ) ، ويعودوا كما خلقهم في الأصل أبناءً أطهاراً أنقياءً أبرياء من الخطيئة التي سقطوا بسببها واستحقوا العقاب عنها ، كالابن الضال ( لوقا ١٥ : ١١ - ٣٢ ) الذي عاد أخيراً إلى أبيه نادماً تائباً فاستحق من جديد حبه له وحنانه عليه ورعايته إياه ، حبَّ الأب لأبنائه ، وحنانه عليهم ، ورعايته لهم . وبناء على ذلك الترتيب الإلهي جاء مخلصنا إلى العالم وإن يكن متخذاً جسد إنسان ( فيلبي ٢ : ٦ و٧ و٨ ) ، فإنه مازال وهو في ذلك الجسد الإنساني هو الله نفسه الذي هو بطبيعته نور في نور . ومن ثمَّ فإنه يقول إنه جاء نوراً للعالم ( انظر أيضاً يوحنا ٨ : ١٢ ) ؛ ( ٩ : ٣٩ و٥ ) حتى إنَّ كل من يؤمن به على هذا الاعتبار لا يمكث فيما كان غازقاً فيه قبل ذلك من ظلام العقل والقلب والنفس والروح والضمير والوجدان ، كأنه ليس من جنس البشر وإنما من جنس أحط أنواع الحيوان ، وإنما يغمره النور الإلهي الذي ينبعث من مخلصنا بحكم طبيعته الإلهية ، فينقش عنه الظلام الذي كان يغمر عقله وقلبه ونفسه وروحه وضميره ووجدانه وكل جارحة فيه ، ومن ثمَّ يسير في تصرفاته وكل شئون حياته على هدى نور مخلصنا ويسترد الطبيعة الأولى لأبيه الأول آدم حين خلقه الله في البدء على صورته ومثاله ( التكوين ١ : ٢٦ و٢٧ ) طبيعة الخير والبر والفضيلة والطهارة والنقاء والصفاء وكل صفات الكمال التي يتصف بها الله ذاته . أما ذلك الذي لا يؤمن بمخلصنا باعتباره ابن الله وباعتباره متحداً بالله كل الاتحاد ، وإنما يكفر به وينكره ويتنكر له ويتمرد عليه فله شأن آخر إذ يقول مخلصنا له المجد « الذي يؤمن به لا يدان . وأما الذي لا يؤمن به فقد أدين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله

الوحيد . وهذه هي الدينونة . أن النور جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعماهم كانت شريرة » ( يوحنا ٣ : ١٨ و١٩ ) . ويقول « إن سمع أحد كلامي ولم يحفظه فأنا لا أدينه . لأنني ماجئت لأدين العالم بل لأخلص العالم . إن من ينكرني ولا يقبل كلامي فله من يدينه . الكلام الذي تكلمت به هو الذي يدينه في اليوم الأخير ، لأنني لم أتكلم من نفسي وحدي . وإنما الآب الذي أرسلني هو الذي أوصاني بما أقول وبما أتكلم . وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية . فما أقول هو ما قاله لي الآب . وبه أتكلم » .

وذلك أن مخلصنا خلال كل حياته التعليمية ، قد كلم الناس بكلام الله الذي هو في نفس الوقت كلامه هو باعتباره ابن الله المتحد به . فكل من سمع كلامه ولم يحفظه ولم يعمل به وإنما يستوجب الدينونة ، لا من مخلصنا . لأنه ماجاء هذه المرة في مجيئه الأول ليدين العالم ( يوحنا ١٢ : ٤٧ ) . فلم تكن هذه هي مهمته في تلك المرة . وإنما انحصرت مهمته في هذا المجيء الأول في أن يبذل نفسه لخلاص العالم . ومن ثم فإن الإنسان الذي ينكره ولا يقبل كلامه الذي تكلم به ليعمل بمقتضاه باعتبار ذلك الكلام هو وصايا الله للإنسان التي يهدف بها إلى مصلحته وإصلاح أمره واستحقاقه للغفران الذي يهيئه للحياة الأبدية ، إنما يبرهن ذلك الإنسان بعدم قبوله هذا الكلام وعدم عمله بمقتضاه على أنه غير مستحق للغفران ولا للحياة الأبدية . ومن ثم فإن مخلصنا عند مجيئه الثاني في اليوم الأخير المخصص للدينونة سيدينه باعتباره الديان في هذه المرة ومحكم باستحقاقه - بمقتضى العدل الإلهي - للهلاك الأبدى . لأن مخلصنا إذ كلم الناس في مجيئه الأول لم يكن الكلام الذي نطق به كلامه وحده ، وإنما كان في نفس الوقت هو كلام الله الآب الذي هو كائن معه في وحدانية الذات . وكانت وصايا مخلصنا للناس هي في نفس الوقت وصايا الله الآب الذي أرسل مخلصنا

إلى العالم متخذاً جسداً إنسان لخلص الإنسان . وكان على اتفاق كامل معه في توجيه تلك الوصايا للناس ، لأن كيانهما واحد . وجوهرهما واحد . وارايتها واحدة . لأنها كليهما إله واحد . ومخلصنا الذي هو الله الابن يعلم كما يعلم الله الآب في نفس الوقت أن هذه الوصايا إنما تهدف إلى توجيه الناس إلى الحياة الأبدية . لأنها هي في ذاتها حياة أبدية . وخالصة ذلك أن ما قاله ويقوله مخلصنا الذي هو الله الابن هو ذاته ما قاله ويقوله الله الآب ، وأن ماتكمم به ويتكلم به مخلصنا الذي هو الله الابن هو ذاته ماتكمم به الله الآب . وقد هدَف مخلصنا من كل هذا الشرح والتوضيح أن يثبت لليهود أنه هو الله في الجسد ، ليؤمنوا به على هذا الوصف ، ومن ثمَّ يعملوا بوصاياها باعتبارها هي وصايا الله ذاته .



## الفصل الثالث عشر

١٣ : ٢١

وقد احتفل مخلصنا مع تلاميذه بعيد الفصح اليهودى فى مساء اليوم الرابع عشر من شهر نيسان ، وكان يوافق مساء يوم الخميس ، السادس من أبريل ، وهو الذى نسميه اليوم « خميس العهد » ، إذ رأى مخلصنا أن ساعته المحددة فى التدبير الإلهى قد جاءت لينتقل من العالم ويمضى إلى الآب السماوى ، وقد أحببنا خاصة الذين فى العالم ، وهم المؤمنون به وفى مقدمتهم تلاميذه الاثنا عشر ، أحببهم إلى نهاية المدى ، حباً عظيماً ، وحباً مستديماً لا ينقطع ، ولا يزول إلى الأبد . ومن ثم أراد أن يودعهم الوداع الأخير قبل موته على الصليب فى اليوم التالى . فاجتمع بهم لياكل معهم الفصح اليهودى ، وليزودهم بوصاياه ويكشف لهم ما لم يكن قد كشفه حتى ذلك الحين من أسرار ألوهيته ، ويعطيهم العهد الجديد الذى أسسه لتقوم عليه كنيسة المسيحية الروحية الإلهية المجاهدة على الأرض والمنتصرة فى السماء .

وكان أعداء مخلصنا من رؤساء الكهنة والفريسيين يواصلون فى ذلك الحين اجتماعاتهم ويدبرون مؤامراتهم ضده ليمسكوه بخدعة ويقتلوه ، « ولكنهم قالوا : ليس فى العيد لتلاّ يحدث شغب بين الشعب » ( متى ٢٦ : ٥ ) . وذلك أن مخلصنا له المجد لم يكن يظهر فى مكان أو يذهب من مكان إلى مكان ، حتى تندفع الجموع الزاخرة إليه وتتجمع حوله وتتبعه أينما سار فى محبة وإعجاب

وإجلال وإكبار ، لتستمع إلى تعاليمه السمائية السامية ، وتستمع برؤية طلعته البهية الساحرة ، ومعجزاته الإلهية الباهرة . ومن ثم لم يكن في استطاعة أعدائه أن يتزعوه من بين تلك الجموع جهاراً ليقتلوه أو يتعرضوا له بأى سوء ، لأنهم كما جاء في الإنجيل للقديس لوقا « كانوا خائفين من الشعب » ( لوقا ٢٢ : ٢ ) .

ومن ثم راحوا يتآمرون سراً فيما بينهم ، في غضب مكظوم وغيظ مكتوم وحقد محموم ، عسى أن يهديهم تفكيرهم الماكر الغادر اللئيم الأثيم إلى وسيلة يمسكونه بها تحت جناح الظلام بعيداً عن الشعب . وقد أطلقوا الجواسيس خلفه ليترصّدوا تحركاته ويتصيّدوا فرصة يكون فيها وحده ليمسكوه ، بيد أن الشيطان لم يلبث أن وفرّ عليهم هذا العناء ، وأعفاهم من كل هذا الجهد الذى يبذلونه فى الخفاء ، لأنّ فادينا الحبيب كان خصمه اللدود الذى ماجاء إلى العالم إلا لدره والقضاء على سلطانه على البشر . ومن ثمّ أراد أن يبرهن على مدى ماوصل إليه نفوذه على أولئك البشر وسطوته وسيطرته عليهم ، فساق إلى أعداء مخلّصنا واحداً من تلاميذه الاثنى عشر أنفسهم ، الذين اختارهم من بين البشر جميعاً - وهم القوم البسطاء الفقراء القرويون - ليكونوا معلّمى البشرية كلها من بعده . ولذلك أكرمهم وعلمهم وأدبهم وهدبهم ودرّبهم ولقّنهم تعاليم السماء ، ورفعهم إلى مصافّ الرّسل والأنبياء . وقد ائتمنهم ووضع فيهم ثقته وغمرهم بحبّه وحبده وحنانه وحايته ، ومنحهم سلطاناً ليكونوا خلفاءه على الأرض . لكنّ الشرّ المتغلغل فى أعماق نفوس البشر بتحريض الشيطان لم يلبث أن أطلّ كما تطلّ الأفعى برأسها بين أفراد تلك الأسرة المقدّسة المؤسّسة على المحبّة والوفاء ، ومبادئ ملكوت السماء ، فظهر من بينهم خائن خسيس استبدّ به الشرّ واستعبده الشيطان . فكان رمزاً لكل خائن خسيس فى كل زمان ومكان . وكان ذلك هو يهوذا سمعان الإسخريوطى ، الذى ألقى الشيطان فى قلبه أن يخون معلّمه ويسلّمه لأعدائه ، والذى يبدو مما قيل عنه فى البشائر أن خيانتة لمعلّمه والشرّ الشائن الذى

ينطوى عليه ما فعله في حقّه ، لم يكن أمرًا طارئًا ولا فكرًا عارضًا ولا حادثًا عابرًا ابن ساعته . وإنما كان تصرّفًا ناجمًا عن حقد مستعر كانت تنطوى عليه نفسه ، وغيره مسعورة كانت تعتلج بين جوانحه ، وتتأجج بنار كبرياء مكبوتة كانت تأكل قلبه ، وتسلب لّبه ، وتسييه وتُعميه عن كلّ ما هو فيه من نعمة أسبغها عليه معلّمه . ويتبيّن ذلك كله من سياق تلك الحادثة التي سبق أن جرت في « بيت عنيا » قبل ستة أيام من ذلك الحين . عندما كان مخلصنا يتناول العشاء مع تلاميذه في بيت سمعان الأبرص ( متى ٢٦ : ٦ ) . فأخذت مريم أخت لعازر الذي أقامه من بين الأموات ، قارورة من طيب غالى اللّبن ودهنت به قدمي مخلصنا ومسحتها بشعر رأسها . إذ قال يهوذا عندئذ « أما كان الأخرى أن يباع هذا الطيب بثلاثمائة دينار وتعطى للفقراء ؟ » ( يوحنا ١٢ : ٥ ) ، ويبدو من هذا كيف أن يهوذا قد أكّلت قلبه الغيرة المفعمة بالحقد ، مختلطة بشهوة محبة المال ، حين رأى التكرّم الذي قدّمته تلك المرأة لمخلصنا ، مع أن هذا التكرّم لم يكن أمرًا مستغربًا ولا مستكثّرًا من امرأة أعاد مخلصنا أخاها إلى الحياة وأقامه من القبر بعد أن مكثت جثته فيه أربعة أيام . ولما كان الشّر يبذر في الإنسان إذا تسلّل إلى نفسه كل ألوان الرذائل ، لم يقتصر أثره في يهوذا على أن يجعله حسودًا حقودًا خائنًا فحسب . وإنما جعله كذلك لصًا وسارقًا يختلس المال القليل الذي كانت تحتفظ به جماعة مخلصنا في كيسها الذي كانت تسدّ منه حاجاتها الضرورية ، والذي ائتمنه معلّمه على أن يكون في عهده . وفي ذلك يقول القديس يوحنا إنه « كان سارقًا . وقد كان كيس النقود معه . فكان يستولى على ما فيه » ( يوحنا ١٢ : ٦ ) . فلم يكن عجيبًا منه ولا غريبًا - وقد بلغ به الانحطاط هذا المدى - أنه تسلّل خفية كما جاء في الإنجيل للقديس متى إلى أعداء معلّمه وهم مجتمعون يتآمرون فيما بينهم ليقبضوا عليه غدًا ويقتلوه . « وقال لهم : ماذا تعطونى وأنا أسلمه إليكم ؟ فانفقوا معه على أن يعطوه ثلاثين قطعة من الفضة . ومنذ ذلك



العشاء الأخير (يوحنا ١٧ : ١ و ٢)



الحين أخذ يتربّب فرصة ليسلمه إليهم» (متى ٢٦ : ١٤ - ١٦) . وقد جاء في الإنجيل للقديس لوقا أن يهوذا « تحدّث مع رؤساء الكهنة وقواد الجند بشأن الوسيلة التي بها يسلمه إليهم . ففرحوا واتفقوا معه على أن يعطوه فضة فواعدهم ، وأخذ يتربّب فرصة ليسلمه إليهم بعيداً عن أعين الشعب » (لوقا ٢٢ : ٤ - ٦) . وهكذا باع ذلك الدنيء سيّده ومعلّمه ومرييه وصاحب الفضل عليه نظير ثلاثين قطعة من الفضة . وهي التي كان اليهود يسمونها « الشاقل » ، وهي تساوي نحو عشرين قرشاً ، أى أن المبلغ كله كان لا يتعدّى ستة جنيهاً . وهو الثمن الذي كان مقرراً في الشريعة اليهودية لشراء عبد (الخروج ٢١ : ٣٢) . وهذا دليل آخر على أن الدافع إلى خيانة يهوذا لم يكن ذلك القدر الضئيل من المال وحده ، مع أنه كان يشتهى المال ويسرقه ، وإنما كان قبل كل شيء ، هو ذلك القدر الكبير من الحقد الذي كان يضمّره في قرارة نفسه لسيّده ، بسبب ما كان يراه من تمجيد الناس له ، ذلك التمجيد الذي يبدو أنه - بسبب كبريائه الشيطانية - كان يشتهيه لنفسه . ولذلك أسعده أن ينزل سيّده من مرتبة الألوهية التي أعلنها للناس عن نفسه فأمنوا به ، إلى مرتبة العبيد التي أرادها له هو بالثمن الذي ارتضى أن يبيعه به . حسداً له ، وحقداً عليه ، وتشقياً منه . فكان بذلك أشنع وأبشع وأحقر وأحطّ مثال للخائن الخسيس الجاحد الجبان في كل العصور إلى آخر الزمان .

١٣ : ٣ - ١١

وعلى الرغم من أن محلّصنا يعلم كل العلم مكانته العظيمة إلى غير حد أو نهاية بوصفه ابن الله ، وبوصفه الله ذاته ، ويعلم أن أباه السماوى قد دفع كل شيء إلى يديه (متى ٢٨ : ١٨) ، فهو بذلك يملك كل السلطان الذى للآب (يوحنا ١٧ : ١٠) ، لأنه ملك الملوك ورب الأرباب (الرؤيا ١٩ : ١٦) ، ويعلم أنه

من لَدُنَّ الله الآب خرج خروج النور من الشمس ، لأن طبيعته هي من ذات طبيعة الآب ، ولأنه في وحدانية كاملة معه ، وانه إلى الله الآب يمضى بعد أن يتم عمل الفداء الذى من أجله جاء إلى العالم . وعلى الرغم من مجيئه إلى العالم متخذًا جسد إنسان ، فإنه لم يفصل بصفته الإلهية لحظة واحدة عن الله الآب الذى هو متحد به اتحادًا أزليًا وأبدئيًا لا ينقطع ولا ينقسم ، لأنه وهو فى العالم يجسده بين الناس ، ظل مع ذلك بلاهوته فى السماء متحدًا بالله الآب ومعه ، اتحادًا كليًا كاملًا شاملًا عميقًا وثيقًا . بيد أنه مع علمه بمكانته العظيمة تلك التى لا تدانيها عظمة كائن آخر فى الكون الذى هو خالقه وسيده وملكه ومالكة ، فإنه قام بعد تناوله عشاء الفصح مع تلاميذه بعمل مذهل من أعمال التواضع . ينهر أمامه العقل ولا يكاد يصدق إنسان أنه يصدر عن رب المجد . إذ أنه قام عن العشاء وخلع رداءه الخارجى الذى كان من عادة الناس فى ذلك العصر أن يلتفوا به فوق ما يرتدون من ثياب ، وأخذ منشفة وعقدتها حول خصره مؤترزًا بها كما يفعل الخدم . ثم صبَّ ماء فى وعاء كانوا يستخدمونه للاغتسال بقصد التطهير ، وكانوا لذلك يسمونه المطهرة ، وأخذ ينحن على أرجل تلاميذه واحدًا بعد واحد ويغسلها بالماء ثم يمسحها بالمنشفة التى كان مؤترزًا بها . وكان غسل الأرجل بهذه الطريقة من أعمال الخدم والعبيد التى يؤدونها لسادتهم ، ولا سيما بعد عودة أولئك السادة من السوق أو من أى مكانٍ آخر لتطهير أرجلهم مما علقَ بها من تراب الطريق وأوحاله ، وخاصّة أن الناس فى تلك الأيام كانوا يلبسون فى أرجلهم نعالًا مكشوفة كثيرة الفتحات بغير جوارب ، فكانت أرجلهم تتسخ اتساختًا شديدًا . فكان مافعله مخلّصنا إذ تنازل وغسل أرجل تلاميذه كأنه خادمهم ، بدلًا من أن يغسلوا هم رجله وهو سيدهم ومعلمهم ، بل هو ربهم وإلههم ، أمرًا هالهم جدًّا ، وأذهلهم أشدَّ الذهول ، وأدهشهم أعظم الدهشة . ولولا أنهم يهابونه جدًّا ، ويطيعونه طاعة كاملة ، ولا يخالفون له أمرًا ، لا اعتراضوا عليه

وامتنعوا عن أن يتركوه يقوم بهذا العمل الغريب العجيب ، الذى لم يحدث أنهم رأوا سيِّداً يقوم به نحو أحدٍ من هُم أقل منه شأنًا وأدنى منزلة . وفعلاً فإن سمعان بطرس الذى كان أكثرهم جرأة وأسرعهم إلى التعبير عن شعوره وانفعاله ، حين جاء الدور عليه ليغسل معلّمه رجليه قال له بطرس فى عجب ودهشة واحتجاج يكاد يبلغ حدّ الاستنكار : « أنت يارب تغسل رجلىّ؟! » وإذ كانت محلّصنا حكمة يضمّرها فيما فعله أجاب وقال له : « إن الذى أفعله أنا لا تدركه أنت الآن ولكنك ستدركه فيما بعد . ومع ذلك أصرّ بطرس على امتناعه قائلاً فى انفعال شديد : « لن تغسل رجلىّ أبداً » . فأجاب محلّصنا قائلاً : « إن لم أغسل رجلك فليس لك معى نصيب » . ولما كان هذا تهديداً رهيباً يؤدى تنفيذه إلى حرمان سمعان بطرس من كلّ امتيازات إيمانه بمعلّمه الإلهى ويحرمه الحياة الأبدية التى طالما وعدّها تلاميذه ، اندفع يقول فى حماسة شديدة : « يارب ليس رجلىّ فقط ، بل يديّ ورأسى أيضاً » . فقال له محلّصنا : « إن الذى استحمّ لا يحتاج إلا لأن يغسل قدميه ، فإنه طاهر كله . وأنتم أيضاً أطهار » . وكان له المجد يعنى بقوله هذا أن العموديّة التى سبق أن اعتمد بها تلاميذه جعلتهم أطهاراً طهارة شاملة ، فلم يعودوا بحاجة إلا لغسل أقدامهم لتحقيق الغاية الأخرى التى قصّد إليها مما فعله فى تلك الساعة لهم ، والتى سيعود فيصارعهم بها بعد قليل . بيد أنه لم يلبث أن استدرك قائلاً « ولكنكم لستم كلكم أطهاراً » . فقد كان يعلم - كما يقر ذلك الإنجيل للقديس يوحنا نفسه - أنّ واحداً منهم وهو يهوذا الأسخريوطى مزعم أن يخونه ويسلمه لأعدائه فى تلك الليلة ذاتها . وإذ كان الشيطان قد دخل قلبه وملاه بالشر لم يعدّ طاهراً ، وإنما نجّسه انقياده للشيطان ودنّسه ، ولذلك قال محلّصنا : « إنكم لستم كلكم أطهاراً » .

وعلى قِلة ما أوردته رسل السيد المسيح فيما كتبه في بشائرهم من تعاليمه وأعماله التعليمية بالنسبة لمجموع تلك التعاليم والأعمال طوال مدة خدمته التبشيرية منذ أن أعلن ذاته للناس حتى صعد إلى السماء ، فإن هذا القليل الذي وصل إلينا يتضمن كلاً ما يخطر على فكر إنسانٍ من الوسائل الكفيلة بتعليم الناس في أسرع وأروع صورة ، والوصول في هذا السبيل إلى أعظم وأعمق نتيجة يمكن أن يصل إليها مُعلِّم بالنسبة لتلاميذه ، لا بالنسبة لأولئك الذين تتلمذوا على السيد المسيح في حياته على الأرض فحسب ، وإنما بالنسبة لكل أجيال البشر على مدى التاريخ منذ مجيء السيد المسيح إلى نهاية الزمان ، أولئك الذين ما إن يقرأون تعاليمه حتى يتخذوه معلماً لهم ، ويعتدوا أنفسهم تلاميذ له ، يستمعون إليه ويطيعونه فيما يقول ، ويتمثلون به فيما يعمل ، وقد استشعروا ما في أقواله من قوة خفية تستحوذ فوراً على القلوب ، وما في أعماله من قدرة إلهية لا يملك الإنسان أمامها إلا الخضوع والخشوع والطاعة والولاء . وقد كان لبلاغة السيد المسيح أثر عظيم في تعليم تلاميذه الذين كانوا يستمعون إليه ، إذ كان يبههم ويسحرهم بعباراته الحلوة اللفظ العميقة المعنى ، وينفذ إلى عقولهم بأمثاله البديعة ، وتشبيهاته الرائعة وأقواله الماثورة التي كان لا يفتأ يستخدمها لتقريب معانيه السامية إلى مداركهم القاصرة . وكان سرعان ما يقنعهم ويفهم المعاندين منهم بقوة حجته وحضور بديته ومواجهته لهم بأحكام شريعتهم وأقوال أنبيائهم . وكان يضاعف من أثر هذا كله في نفوسهم ما كانوا يستشعرونه من هيئته وعظمته ، وما كانوا يرونه من نبيل هيئته وجمال صورته وجلال شخصيته . فكان هذا كله من عوامل تأثيره فيهم كمعلِّم ، ومن وسائل تهيئة نفوسهم لتكون تربة صالحة يفرس فيها تعاليمه فتستقر وتنمو وتثمر. كما كان من هذه العوامل والوسائل معجزاته

ونبوءاته ، فقد كان يصنع المعجزات أمام الناس ليؤمنوا بأنه ليس مجرد إنسان ، وأن تعاليمه إنما هي تعاليم الله . فكانت معجزاته هي الدليل على صدق تعاليمه . ومن ثمَّ هي السبيل إلى ثقة الناس في تلك التعاليم واحترامهم لها وسلوكهم على مقتضاها . وكان السيد المسيح كذلك ينطق بالنبوءات ، حتى إذا تحققت علم الذين سمعوها أن قائلها صادق فيما كان يقول وفيما كان يفعل ، فأمنوا به ، وعملوا بتعاليمه ، وأثمرت تلك التعاليم فيهم الثمر الذي أراده وقصد بحكمته إليه .

وقد كان من وسائل السيد المسيح التعليمية - فضلاً عما تقدّم - الوصية والنصيحة ، والأمر والنهي والتحذير ، والسؤال والاختبار ، والشرح والتوضيح وتصحيح الفهم ، والقياس والمقارنة والاستنتاج وتقرير الحقائق ، واستخدام الأمثلة العملية والحقائق الملموسة وعناصر البيئة في تقريب التعاليم إلى الأفهام . كما كان من وسائله التعليمية العطف على الناس والعناية بهم وإشباع حاجاتهم . وكان منها الاستحسان والتشجيع والترغيب والمكافأة . وكذلك العقاب والتوبيخ والتخجيل ، والانتهاز والتأديب والوعد والوعيد . بيد أن أعظم الوسائل على الإطلاق هي أنه كان يجعل نفسه قدوة للناس ، فكان يفعل ما يقول ، ويطبق على نفسه ما يطالب الناس به . وقد كانت حياته كلها في أدق تفاصيلها مثلاً أعلى للناس ، لو احتذوه لأغناهم ذلك عن كل تعليم ، وعن كل تربية وتقوم . ومن ثمَّ كانت حياة السيد المسيح في ذاتها هي الدعامة الأولى لكل تعاليمه ، وهي أبلغ وأبعد أثراً من كلِّ ما تعلّمه الإنسان منذ أن خلقه الله إلى نهاية الزمان .

وقد كانت عملية غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه درساً عملياً لهم ، أراد أن يعلمهم به فضيلة التواضع . وقد كان ذلك عقب حادثة لمس فيها ميل بعض تلاميذه إلى العظمة العالمية وتطلعهم إليها قبل أن تتفتح عيونهم على حقيقة شخصيته الإلهية ، ويدركوا كل الإدراك جوهر تعاليمه السماوية ، فونحهم على

ذلك وأفهمهم معنى العظمة الحقيقية . إذ كانوا يظنون أنه سيجلس على عرش المملكة الأرضية لليهود على مقتضى الاعتقاد الذى كان سائدًا بأن المسيح سيعيد للأمة اليهودية مجد مملكة داود . ومن ثم حدث كما جاء فى الإنجيل للقديس متى أن تقدمت إليه أم تلميذه يعقوب ويوحنا قائلة له « اسمح بأن يجلس ابنائى هذان أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك فى مملكتك . أما يسوع فأجاب وقال : إنكما لا تدريان ما هو الذى تطلبان . أفستطيعان أن تشربا الكأس التى سأشربها أنا ، وأن تصطبغا بالصبغة التى سأصطبغ أنا بها ؟ . قالوا له : نستطيع . فقال لهما : أما كأسى فتشربانها ، وبالصبغة التى أصطبغ بها تصطبغان . وأما أن تجلسا عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أُعِدُّ لهم من أبى الذى فى السماوات . فلما سمع التلاميذ العشرة الآخرون ذلك حثوا على الأخوين . أما يسوع فدعاهم وقال لهم : أنتم تعلمون أن رؤساء الوثنيين يعدّون أنفسهم سادة لهم . وأن عظماءهم يتسلّطون عليهم . أما أنتم فلا ينبغي أن يكون هذا فيما بينكم . وإنما من أراد أن يكون سيدًا فيكم فليكن للجميع عبدًا . ومن أراد أن يكون عظيمًا بينكم فليكن لكم خادمًا » ( متى ٢٠ : ٢٠ - ٢٧ ) . وجاء فى الإنجيل للقديس لوقا أن تلاميذ السيد المسيح « حدث بينهم نزاع فيمن ينبغي أن يعدّ الأعظم فيهم ، فقال لهم : إن ملوك الوثنيين يسودونهم ، والمتسلّطين عليهم يحسبون ذوى الفضل فيهم . أما أنتم فلا ينبغي أن يكون هكذا فيما بينكم ، وإنما الأعظم فيكم فليكن كأصغر ، والرئيس كالذى يخدم . لأنه من هو الأعظم : أهو الذى يجلس إلى المائدة أم الذى يخدم ؟ أليس الذى يجلس إلى المائدة ؟ ولكنى بينكم كالذى يخدم » ( لوقا ٢٢ : ٢٤ - ٢٧ ) . كما جاء فى الإنجيل للقديس لوقا أن تلاميذ السيد المسيح « خامرهم الفكر فيمن عسى أن يكون هو الأعظم بينهم . فعلم يسوع فكر قلوبهم . ومن ثمّ أخذ طفلاً ، وأقامه بين يديه ، وقال لهم : إن من يقبل هذا الطفل باسمى فقد قبلنى ، ومن قبلنى فقد

قَبْلِ الَّذِي أُرْسِلَنِي ، لِأَنَّ الْأَصْغَرَ بَيْنَكُمْ جَمِيعًا سَيَكُونُ هُوَ الْأَعْظَمُ فِيمَكُمْ » ( لوقا ٩ : ٤٦ - ٤٨ ) .

وهكذا كان السيد المسيح يطلب إلى الناس أن يسلكوا سبيل التواضع فيما بينهم ويتجنبوا مظاهر العظمة الكاذبة . وكان هو نفسه أعظم المتواضعين . ليكون قدوة ومثالا لهم . وقد طلب إليهم أن يتشبهوا به في تواضعه فقال لهم « تَعَلَّمُوا مِنِّي أَنَا الْوَدِيعُ الْمَتَوَاضِعُ الْقَلْبَ ، تَجِدُوا رَاحَةَ لِنَفْسِكُمْ » ( متى ١١ : ٢٩ ) . وقال إنَّ « ابْنَ الْإِنْسَانَ نَفْسَهُ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ » ( متى ٢٠ : ٢٨ ) . وهكذا جعل من نفسه خادماً للناس وهو ربُّهم وسيدُّهم . ولعلَّ أروع مثلٍ لتواضعه هو ذلك المثلَّ العمليُّ الذي ضربه لتلاميذه حين غسل أرجلهم كما رأينا . وقد أوضح بنفسه حكمة هذا الذي صنعه معهم ، إذ أنه بعد أن غَسَلَ أرجلهم وأخذ رداءه ، عاد فجلس إلى المائدة وقال لهم « أَتَفْهَمُونَ مَا قَدْ صَنَعْتُ بِكُمْ ؟ . إِنَّكُمْ تَدْعُونَنِي الْمَعْلَمَ وَالرَّبَّ ، وَحَسَنًا تَقُولُونَ لِأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ . فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا رَبُّكُمْ وَمَعْلَمُكُمْ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ ، فَأَنْتُمْ أَيْضًا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ يَغْسَلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ ، لِأَنِّي أُعْطَيْتُكُمْ مِثَالًا ، حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا . الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ مِمَّنْ خَادِمُ الْأَعْظَمِ مِنْ سَيِّدِهِ ، وَمِمَّنْ رَسُولُ الْأَعْظَمِ مِمَّنْ أُرْسِلُهُ ، إِنْ عَرَفْتُمْ هَذَا فَبَارِكُونَ أَنْتُمْ إِنْ عَمِلْتُمْ » به . ولعل مما يستلفت النظر في تلك العبارة البليغة البالغة السمو التي قالها مَحَلِّصُنَا لِتِلَامِيذِهِ أَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا يَدَلُّ عَلَيْهِ غَسَلُهُ لِأَرْجُلِ تِلَامِيذِهِ مِنْ تَوَاضُعٍ يَفُوقَ تَصَوُّرِ الْبَشَرِ وَيَتَجَاوَزُ حُدُودَ خَيَالِهِمْ ، لَمْ يَمْنَعَهُ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَقَرَّرَ الْحَقِيقَةَ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحْجِبَهَا تَوَاضُعُهُ مِمَّا يَبْلُغُ مَدَى هَذَا التَّوَاضُعِ ، وَهِيَ أَنَّهُ هُوَ الْمَعْلَمُ وَهُوَ الرَّبُّ . وَهُوَ يَقَرَّرُ ذَلِكَ لَا عَنْ تَعَاظُمٍ أَوْ عَنْ تَفَاخُرٍ أَوْ زَهْوٍ أَوْ كِبْرِيَاءٍ أَوْ اسْتِعْلَاءٍ . وَإِنَّمَا عَنْ مَعْرِفَةٍ كَامِلَةٍ لِحَقِيقَةِ شَخْصِيَّتِهِ الْإِلَهِيَّةِ وَإِصْحَاحِ لِأَمْرٍ وَقَعِ وَإِصْحَاحِ عَنْ حَقِيقَةِ

مقرّرة ، كى بيّن لتلاميذه مدى تواضعه ، إذ تنازل وهو المعلّم والرّب كى يقوم بدور الخادم لمن هم عبيده وعباده ، حتى يدفع بهم دفعاً قوياً ، وبطريقة عملية محسوسة وملموسة لأن يتمثلوا به فيما فعل ويتخذوه مثلاً لهم فى فضيلة التواضع ، مع أنهم مهما تواضعوا إذا غسل بعضهم أرجل بعض فلن يبلغ تواضعهم ما هو بمثابة قطرة واحدة من الماء بالنسبة لبحر زاخر تملأ مياهه الكون كله ، لأنهم حين يتواضعون بعضهم نحو بعض فهم على أى حالٍ فى مرتبة واحدة كبشّر من طينة واحدة ، ومن ثمّ لا يكاد تواضعهم فى هذه الحالة يُعد تواضعاً . فى حين أن معلّمهم إذ يتواضع معهم إلى الحدّ الذى يغسل فيه أرجلهم إنما يكون بذلك قد تنازلَ تنازلَ الله العظيم القدير الجبار الخالق لكلّ شخص ولكل شىء نحو الذين هم خليقته وعبيده وعباده ، والذين هم بالنسبة إليه أصغر الأصاغر وأضعف الضعفاء وأقلّ فى كيانهم منه بما لا يقاس ، حتى يكادوا أن يكونوا بالنسبة إليه ذرات ضئيلة لا وزن لها على الإطلاق . فتلاميذ محلّصنا هم بالنسبة إليه لا يعدّون أن يكونوا خدماً بالنسبة لسيدهم ، وما من خادم أعظم من سيّده . ولا يعدّون أن يكونوا رسلاً بالنسبة للرّب الذى أرسلهم ، وما من رسولٍ أعظم ممّن أرسله . فلو أنّهم عرفوا أن سيّدهم وربّهم قد تواضع حتى ارتضى أن يغسل أرجلهم ، همّ خدامه ورسله ، كى يخذوا حذوه ، ويتعلّموا أن يتواضعوا تواضعه ، استحقوا بذلك رضاه عنهم وبرّكته لهم ، واستحقوا أن يكونوا تلاميذه وخلفاءه على الأرض فى الدعوة للملكوت السماوات .

قال محلّصنا هذا لتلاميذه ، ثم استدرك قائلاً : « لست أقول هذا عنكم جميعاً ، فأنا أعرف الذين اخترتهم ، وإنما ليتم المكتوب أن الذى أكل معى-



خبزى قد رفع على عقبه . أقول لكم هذا منذ الآن قبل أن يحدث ، حتى إذا  
ماحدث تؤمنون أنى أنا هو » ، إذ أنه بعد أن قال لهم « إن عرفتم هذا فباركون  
أنتم إن علمتم به » ، لم يلبث أن استثنى واحداً منهم اعتبره غير مبارك ، وهو يهوذا  
الخائن الذى كان مخلصنا قد وصفه من قبل بأنه شيطان ، إذ جاء فى الإنجيل  
للقديس يوحنا أنه له المجد قال لتلاميذه « ألم أكن أنا الذى اخترتكم أنتم الاثنى  
عشر وواحد منكم لإبليس . قال هذا عن يهوذا بن سمعان الإسخريوطى أحد  
الاثنى عشر . لأنه كان هو الذى اعتزم أن يسلمه » ( يوحنا ٦ : ٧٠ و٧١ ) . وقد  
كان مخلصنا عندئذ يعلم أن يهوذا قد تأمر مع رؤساء اليهود على أن يسلمه إليهم  
ليقتلوه ، بعد أن كان مخلصنا قد اختاره ضمن أقرب تلاميذه إليه ، واصطعبه  
فى كل مكان ارتاده معهم ، وأسمعه كل تعاليم السامية ووصاياها السماوية ،  
وأكل معه وشرب معه . وغمره بحبه وحده وحنانه إلى آخر لحظة ، حتى إنه حين  
غسل أرجل تلاميذه منذ لحظة قصيرة غسل رجله هو أيضاً باعتباره لا يزال  
واحداً منهم ، بل إنه أشركه معهم قبل ذلك فى تناول عشاء الفصح . ولكن  
يهودامع كل ذلك قد ذهب عقله ومات ضميره أو كاد ، وانحط شعوره فبلغ أسفل  
وأسفه درجة يمكن أن يبلغها إنسان ، حتى لقد خان سيده ومعلمه ومربيه ومهذبه  
وصاحب الفضل عليه ، فباعه لأعدائه نظير بضعة دريهمات كانت هى الثمن  
المقدر لشراء عبد . فتحققت بذلك الصفة التى وصفه بها مخلصنا نفسه ، إذ قال  
إنه شيطان . كما تحققت بذلك - كقول مخلصنا - النبوة المكتوبة عنه فى سفر  
المزامير التى تقول إن « رجل سلامتى الذى وثقت به ، آكل خبزى رفع على  
عقبه » ( المزمور ٤٠ : ٩ ) . وقد قرّر مخلصنا أنه تنبأ لتلاميذه بما سيفعله ذلك  
الخائن ، حتى إذا تحققت ذلك بالفعل وثبت صدق نبوءته ، آمنوا بأنه هو المسيح  
ابن الله الذى ينتظرونه ، والذى بقدرته الإلهية يعلم الغيب فى الماضى والحاضر  
والمستقبل ، لأن علمه كامل شامل أزلى أبدي لا يحدّه زمان ولا مكان .

ثم قال مخلصنا لتلاميذه « الحق الحق أقول لكم إن من يقبل الذى أرسله يقبلنى ، ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى » . فبعد أن استبعد ذلك التلميذ الذى خانته من قائمة رسله الأمانة . وبعد أن قرّر أنه « مامن رسول أعظم ممن أرسله » فيما يتعلّق بفضيلة التواضع التى يجب على الرسول أن يتّصف بها بعد أن رأى أن سيّده نفسه الذى هو مرّسله ، والذى هو بهذا الاعتبار أعظم منه متّصف بها ، وقد مارسها بالفعل فى أروع صورها ، عاد مخلصنا فأعطى كرامة لتلاميذه الذين هم رسله ، حتى كاد أن يساويهم بنفسه فيما له من كرامة ذاتية ، لأنهم ماداموا رسلاً له ، إنما يعتبرون بهذه الصفة ممثلين له ، ومستمدين كرامتهم من كرامته . فأولئك الذين يقبلونهم ويقابلونهم بالإكرام والاحترام والتقدير والتقديس ، إنما يكرمونه هو نفسه بذلك ويحترمونه ويقدرّونه ويقدّسونه . ولما كان هو نفسه مرسلًا من الله أبية السماوى الذى هو متحد به ، فإن أولئك إذ يكرمونه ويحترمونه ويقدرّونه ويقدّسونه فى شخص رسله ، إنما يكرمون الله الآب نفسه ويحترمونه ويقدرّونه ويقدّسونه . وهكذا رفع مخلصنا بهذه العبارة تلاميذه الأمانة الأوفياء الذين هم رسله إلى أعلى منزلة بين البشر . فالزم بذلك سائر البشر الذين يرسلهم إليهم أن يرفعوهم إلى تلك المنزلة ذاتها التى رفعهم هو إليها ، وأن يعاملوهم على هذا الاعتبار بكل إجلال وإكبار وتبجيل ووقار ، ويطيعوهم فيما يوصونهم به باعتبار وصاياهم هى وصاياها هو نفسه ، الجديرة بكل طاعة وخضوع وخشوع .

١٣ : ٢١ - ٣٠

وعلى الرغم من ان مخلصنا ذكر لتلاميذه وكرّر فى إشارات عابرة أن واحداً منهم سيخونه ، فإنهم لم ينتبهوا إلى هذه الحقيقة انتباهاً كافياً ، لأنهم - ما عدا الخائن نفسه - لم يكن ليخطر لهم هذا الأمر على بال . بل لم يكونوا يتصوّرّونه ولو فى الخيال . ومن ثمّ رأى مخلصنا بحكمته السامية أن يصارحهم بهذه الحقيقة

الخطيرة المريرة على نفسه ، إذ لم يلبث أن اضطرب بالروح في ألم عظيم ونفس حزينة ، وصرح قائلاً « الحقُّ الحقُّ أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمني » . فوقع عليهم ذلك القول وقوع الصاعقة العنيفة العاتية المفاجئة ، وأخذوا ينظرون بعضهم إلى بعض . مذهولين مبهوتين حائرين لا يدرون من الذى يعنيه بقوله هذا ، وقد تملكتهم الدهشة والرهبة ، فلم يجسر واحد منهم على أن يسأله عمَّن يكون هذا الخائن من بينهم . الذى بلغت به الخسَّة والدناءة والوضاعة أن يسلمه لأعدائه كى يقتلوه . وحتى بطرس الذى كان أكثرهم جرأة واندفاعاً وإسراعاً فى التعبير عن مشاعره ، لم يجرؤ فى هذه المرَّة على مخاطبة معلِّمه بتلك الصراحة المعهودة فيه والمعروفة عنه . وكان متكئاً فى حضن مخلصنا واحد من تلاميذه ، لم يشأ القديس يوحنا أن يذكر اسمه مكتفياً بأن قال عنه إنه « هو الذى كان يسوع يحبه » ، وكان ذلك تواضعاً منه وإخفاءً لشخصه ، لأن ذلك التلميذ هو القديس يوحنا. نفسه ، وإن كان قوله هذا ينطوى فى الوقت نفسه على فخر وفرح بمحبة مخلصنا له . لأنه كان أقرب تلاميذه إليه وأكثرهم تعلقاً به . فأوماً إليه سمعان بطرس بإشارة خفية ليسأله عمَّن يعنى بقوله . فانحنى ذلك التلميذ وهو يوحنا على صدر مخلصنا ، وقال له بصوت هامسٍ « ربِّي ، مَنْ هو؟ » . فأجاب مخلصنا قائلاً « إنه هو الذى سأعطيه اللقمة التى أغمسها » . ثم غمس اللقمة وأعطها ليهودا بن سمعان الإسخريوطى . وهكذا تحققت بخدافيرها النبوءة القائلة « آكلُ خبزي رفع علىَّ عقبه » (المزمور ٤٠ : ٩) . فبعد أن أخذ يهوذا اللقمة دخله الشيطان . أو بالأحرى أطبق الشيطان قبضته عليه إطباقاً كاملاً ، فلأ قلبه وعقله وروحه امتلاءً كاملاً شاملاً ، بحيث أصبح يهوذا عبداً فى يده ، بعد أن كان مجرد تابع مطيع له ، يستحل لنفسه - بناء على توجيهاته - السرقة من كيس النقود الذى ائتمنه معلِّمه عليه ، وجعله فى حوزته ، كما يستحل الغيرة من معلِّمه والحقده عليه إذ يرى تمجيد الناس له ، فى حين أنه يطمع هو نفسه فى

هذا التمجيد لنفسه ، كما يبدو ذلك واضحًا وفاضحًا في تنديده بما فعلته مريم أخت لعازر حين عبّرت عن تمجيدها لمخلصنا بأن غسلت بالطيب الغالي الثمن قدميه ومسحتها بشعر رأسها وإذ كان مخلصنا يعلم أن يهوذا قد سقط سقوطًا نهائيًا في يد الشيطان بعد أن غمس اللقمة وأعطاه إياها ، وأصبح من المؤكد أنه سيستمر في تنفيذ مؤامراته التي حاكها مع رؤساء اليهود ، ولم يعد ثمة سبيل بعد ذلك لأن يثوب إلى رشده ويتوب عن شرّه ، ولما كان مخلصنا قد اعترم إتمام عمل الخلاص واتجه هذه الغاية نحو الصليب ليقدم نفسه ذبيحة عليه في اليوم التالي الذي يوافق عيد الفصح ، باعتباره هو حمل الفصح الحقيقي ، نظر إلى يهوذا وقال له « ماأنت فاعله فافعله سريعًا » ، طالبًا منه بذلك أن يذهب فورًا ليمّم تنفيذ مؤامراته مع رؤساء اليهود بأن يسلمه إليهم في تلك الليلة ليقتلوه في اليوم التالي ، أى في الوقت المحدد بالدقة لموته على الصليب فداء عن البشر. كما أنه قصد بطلبه هذا من يهوذا أن ينفرد بعد خروجه ببقية تلاميذه الأمانة المخلصين كي يودّعهم ويؤوّدهم بوصاياهم الأخيرة لهم . بيد أن الأمر الذي لا يسع العقل البشرى إلا أن يقف مشدوها أمامه هو المدى الذي وصل إليه حلم مخلصنا ورقته وتسامحه وسماحته ، إذ أنه على الرغم مما كابده من ألم ومرارة إزاء تلك الخيانة الخسيسة من أحد تلاميذه حتى ليقول الإنجيل نفسه أنه « اضطرب بالروح » ، لم يشأ أن يفضح ذلك التلميذ علانية أمام زملائه ، فلم يذكر لهم أنه هو الذى سيخونه على الرغم من أنهم كانوا فى أشدّ اللهفة ليعرفوا شخصية ذلك الخائن من بينهم . وإنما همس بذلك همسًا للجالس منهم بجواره ، بل إنه حتى فى العبارة التى وجهها إلى يهوذا نفسه إذ قال له « ماأنت فاعله فافعله سريعًا » ، لم يوضّح ماهو ذلك الذى يفعله يهوذا ، حتى إنّ أحدًا من التلاميذ الجالسين إلى المائدة لم يعرف لماذا قال له هذا ، فظن بعضهم ، إذ كان كيس النقود مع يهوذا ، أنّ مخلصنا قال له « اشتر ماأحتاج إليه فى العيد » ، أو أمره بأن يعطى الفقراء شيئًا كما

اعتاد مخلصنا أن يفعل . أما يهوذا فبعد أن أخذ اللقمة خرج على الفور لتنفيذ مؤامرتة ضد معلمه ، مما يدل على أن يهوذا على الرغم من أنه أدرك عندئذ أن معلمه يعلم بتلك المؤامرة التي يخبئها سراً مع أعدائه ليسلمه إليهم كى يقتلوه . لم يستيقظ ضميره الجاحد . أويرق قلبه الجامد . ولم يتراجع عن جريمته الشنيعة البشعة . إذ كان قد عقد العزم عليها بصفة نهائية لارجعة فيها ولا نكوص عنها . وكان الوقت حين خرج ليلاً . وهو الوقت الذى رآه مناسباً لتنفيذ مؤامرتة وتسليم سيده لقاتليه تحت جنح الظلام . بعيداً عن أعين الشعب الذى يحبّه ويؤمن به ويعمل على الثورة ضد أعدائه لو أنهم حاولوا أن يلحقوا به أى سوء .

١٣ : ٣١ - ٣٣

فلما خرج يهوذا الخائن قال مخلصنا « الآن قد تمجد ابن الإنسان . وتمجد الله فيه . وإن كان الله قد تمجد فيه فإن الله سيمجده فى ذاته ، وسيمجده سريعاً » . أى أن نجاح يهوذا فى مؤامرتة مع رؤساء اليهود للقبض على مخلصنا وتعليقه على خشبة الصليب ، قد فتح الباب لآخر حلقة من حلقات المهمة التى جاء مخلصنا إلى العالم لإنجازها ، وهى أن يموت فداء عن البشر لخلاصهم من الهلاك الأبدى الذى كان محكوماً به عليهم بسبب خطاياهم ، وفقاً للتدبير الإلهى . وبإنجاز مخلصنا لهذه المهمة التى اقتضت أن يتخذ وهو ابن الله جسد ابن الإنسان ليموت فيه على خشبة الصليب فداء عن البشر ، قد نجح فى تحقيق هدف الله الأب وهدفه هو . وكان نجاحه يتضمن انتصاره . وكان انتصاره يتضمن تمجيده . فيا لها من مفارقة عجيبة أن خشبة الصليب التى كانت رمزاً للهوان والعار واللعنة فى الشريعة اليهودية إذ تقول إن « المعلق على خشبة ملعون » ( التثنية ٢١ : ٢٣ ) ، أصبحت بموت مخلصنا عليها رمزاً للمجد والفخر والبركة ، بل أصبحت وهى وسيلة الموت على الأرض ، هى وسيلة الحياة الأبدية فى السماء . وإذ تمجد

ابن الإنسان الذى هو فى نفس الوقت ابن الله بموته على الصليب ، تمجّد الله فيه بهذا التدبير الذى أعطى به أسطع دليل وأروع برهانٍ على محبته للبشر .. « لأنه هكذا أحبّ الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » ( يوحنا ٣ : ١٦ ) . وإن كان الله الآب قد تمجّد فى ابنه الذى اقتضى تدبير رحمته للبشر أن يقدمه فداء عنهم ليكون واسطة الصلح بينه وبينهم ، لأن « الله كان فى المسيح مصالِحًا العالمًا لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم » ( ٢ . كورنثوس ٥ : ١٩ ) . فإن الله الآب سيمجّد ابنه فى ذاته ، لأنه متّحد به اتحادًا كاملاً ، ومن ثمّ فإنّ مجد الآب هو مجد الابن ، ومجد الابن هو مجد الآب فى الوقت نفسه . وقد ردّد مخلصنا هذا المعنى فى موضع آخر ، إذ يقول لأبيه السماوىّ « يا أبته قد أتت الساعة . مجدّ ابنك ليمجدك ابنك .. أنا قد مجدّتك على الأرض ، والعمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته . فالآن مجدنى يا أبته عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك من قبل كَوْنِ العالم » ( يوحنا ١٧ : ١ و٤ و٥ ) . أما قول مخلصنا بعد ذلك إن الله الآب « سيمجده سريعاً » ، فإنما يعنى أن موته على الصليب الذى هو من آيات مجده سيتم بعد ساعات قليلة ، لأنه قال هذا فى مساء يوم خميس العهد ، ثم مات على الصليب فى الساعة التاسعة من نهار اليوم التالى وهو يوم الجمعة الحزينة . وهكذا برهن مخلصنا له المجد بقوله هذا على أنه كان على علم إلهى كامل بكل الأحداث التى ستأتى عليه ساعة بساعة ، بل لحظة بلحظة ، وفق توقيت دقيق لا يقدر عليه إلا الله وحده .

وبعد أن قال مخلصنا هذا التفت إلى تلاميذه قائلاً لهم : « يا أبناءى أنا باقٍ معكم زماناً يسيراً بعد ، وستطلبونى ، وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا . أقول لكم أنتم أيضاً الآن » . وقد كانت لهجة حديث مخلصنا إلى تلاميذه حين قال لهم هذا تنمّ عن حبّ عظيم لهم وإشفاقٍ عظيم

عليهم ، إذ خاطبهم قائلاً « يا أبناي » شأن الأب الحنون العطوف على أبنائه وهو يودّعهم ، مصارحاً إياهم بأنه قد أوشك أن يرحل عنهم بعد لحظات معدودة حين يقبض أعداؤه عليه ويأخذونه ليقتلوه . وسوف يكون هذا أمراً شديداً القسوة عليهم . بعد أن لازمهم ولازموه ملازمة كاملة ودائمة سنوات كثيرة . كان هو في أثنائها أباهم وحببيهم ومعلمهم وحاميهم ومحاميهم ومصدر قوتهم وعزّتهم وأمنهم وطمأنينتهم ، فلم يكونوا يقعون في ضيق ، إلا بادر فأزال أسباب ضيقهم ، ولم يكونوا يتعرضون لخطر إلا سارع فأبعد الخطر عنهم . أما وقد أوشك أن يذهب عنهم . فإنهم سيجدون أنفسهم كاليتامى الذين لا حول لهم ولا قوّة أمام الضيقات والمخاطر التي يعلم أنها تنتظرهم ، وأنها ستحيط بهم من كلّ جانب في مواجهة أعدائه وأعدائهم الذين سيضطهدونهم ويعاملونهم في قسوة ووحشية أكثر ضراوة من قسوة الوحوش نفسها ووحشيتها . وعندئذ سيلتفتون حولهم ويطلبونه ليستجدوا به فلا يجدونه كما كانوا يجدونه في أثناء حياته على الأرض معهم ، وإن كان سيظلّ معهم بقوة لاهوته بعد ارتفاعه عنهم إلى السماء ، وقد وعدهم بذلك بعد قيامته ، إذ قال لهم « وهأنذا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهور » ( متى ٢٨ : ٢٠ ) . وأما إذا طلبوه وهو في الجسد كما كان من قبل بينهم وبخثوا عنه وأرادوا أن يأتوا إليه بعد صعوده ، لن يستطيعوا أن يأتوا إلى حيث يذهب هو ، أي إلى السماء ، فلن يستطيعوا ذلك ، كما سبق أن قرّر لليهود إذ قال لهم : « أنا باقٍ معكم زماناً يسيراً بعد ثم أمضى إلى الذي أرسلني . عندئذ ستطلبونني فلا تجدونني ، وحيث أكون أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا » ( يوحنا ٧ : ٣٣ و٣٤ ) . كما قال لهم « إنني سأمضي وستأخذون تبحثون عني ، وتموتون في خطاياكم . فحيث أمضي أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا » ( يوحنا ٨ : ٢١ ) . بيد أن ثمة فرقاً كبيراً بين ما تعنيه عبارته التي قالها لتلاميذه ، وما تعنيه عبارته التي قالها للمنكرين له من اليهود . إذ أنه كان يعنى بالنسبة لتلاميذه المحبين

له المؤمنين به أنه بارتفاعه عنهم إلى السماء سيفارقهم بالجسد ، وسيظل مع ذلك مؤيداً ومسانداً لهم بروحه القدوس إلى الأبد ، وأنهم إن كانوا لن يستطيعوا أن يذهبوا الآن في أثناء حياتهم على الأرض إلى حيث يذهب إلى السماء ، فإنهم سيذهبون فيما بعد إلى حيث هو في السماء ، إذ وعدهم بعد ذلك قائلاً « أنا ذاهب لأعدّ لكم مكاناً ، ولئن ذهبت وأعددت لكم مكاناً ساجيء ثانية وأخذكم إليّ حتى تكونوا أنتم معي حيث أكون أنا » ( يوحنا ١٤ : ٣ و٢ ) . أما بالنسبة لليهود الذين عادوه واعتدوا عليه وأصروا على إنكارهم له بوصفه المسيح ابن الله ، ثم آخر الأمر قتلوه بأبشع وأشنع وسيلة ، فإنهم بعد ارتفاعه إلى السماء لن يستطيعوا مهما حاولوا ذلك أن يأتوا إلى حيث يذهب ، إذ حلّ غضبه عليهم إلى الأبد واستحقوا بذلك الموت الأبدي ، بدليل قوله لهم « انني سأمضي ، وستأخذون تبثون عني وتموتون في خطايكم » ( يوحنا ٨ : ٢١ )

١٣ : ٣٥ و٣٤

وإذ كان مخلصنا يودّع تلاميذه الوداع الأخير قبل موته ، أعطاهم وصية هي في الواقع أعظم وصاياهم ، بل هي محور وجوهر كل وصاياهم ، حتى لتدور حولها كل الروح المسيحية التي غرسها في تلاميذه وفي كل المؤمنين به إلى آخر الدهر ، إذ قال لهم : « وصية جديدة أنا أعطيتكم : أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببتكم أنا فلتحبوا أنتم أيضاً بعضكم بعضاً . بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إذا أحببتهم بعضكم بعضاً » . وبإله من حب ليس أعظم منه حب ذلك الذي أوصاهم أن يحبوا به بعضهم بعضاً ، لأنه طالبهم بأن يكون حبهم هذا مساوياً ومماثلاً لحبه هو نفسه لهم وللشعب جميعاً ، إذ بلغ هذا الحب أروع صورة يمكن أن يتصورها العقل أو يصل إليها مدى الخيال ، لأنه بلغ حدّاً ليس ثمة حد بعده يمكن أن يخطر بالبال ، إذ ارتضى وهو ابن الله ، وهو الله ذاته ، في صورة ابن



مريم ، بسبب هذا الحب الذى يضمّره للبشر أن يبذل نفسه فيموت فداء عنهم لينقذهم من الهلاك الذى كان محكومًا به عليهم . وقد قرّر هو نفسه ذلك حين كرّر تلك الوصية بعد ذلك لتلاميذه قائلاً : « هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم أنا . مامن حب أعظم من أن يبذل أحد نفسه عن أحبائه » (يوحنا ١٥ : ١٢ و١٣) . فهذا القدر العظيم العميق من الحب الذى أحبّ مخلصنا به تلاميذه والمؤمنين به ، ينبغى أن يحبوا هم بعضهم بعضًا ، لأنهم بهذا وحده يثبتون أنهم تلاميذه حقًا وصدقًا ، ماداموا يتخذونه مثالاً يتخذونه ويسرون فى حياتهم على منواله ، وإلا فإنهم لا يستحقون أن يكونوا تلاميذ حقيقيين له .

١٣ : ٣٦ - ٣٨

وإذ قال مخلصنا لتلاميذه إنه لن يبقى معهم إلا زمانًا يسيرًا بعد ، وإنه حيث يذهب هو لا يستطيعون هم أن يأتوا سأله سمعان بطرس الذى اعتاد أن يتحدث نيابة عن زملائه التلاميذ ، قائلاً « إلى أين تذهب يارب ؟ » . ويدلّ هذا السؤال على أن التلاميذ لم يكونوا إلى ذلك الحين يعلمون شيئًا عن الأحداث الخطيرة التى كانت ستقع لمعلمهم ، مع أن هذه الأحداث كانت ستبدأ بعد لحظات قليلة . ومن ثمّ لم تكن لديهم إلى ذلك الحين فكرة واضحة عن مهمّة الفداء التى جاء معلمنا لينجزها مع أنه طالما حدثهم عنها منذ ابتداء يعلمهم حتى هذه الساعة ، إذ تنبأ لهم وحدهم ، أو تنبأ للجموع على مسامعهم بأن اليهود سيمسكونه ويذيقونه كل صنوف الألم والعذاب ، ثم يقتلونه بعد أن يسلموه للحاكم الوثنى الرومانى ، وأنه سيظلّ فى القبر ثلاثة أيام ثم يقوم بعد ذلك عائدًا إلى الحياة . وقد كان يقول ذلك عن طريق الرمز تارة ، وعن طريق التشبيه تارة أخرى . كما كان يقوله تلمحيًا غامضًا موجزًا أحيانًا ، وصریحًا واضحًا بكل تفاصيله أحيانًا أخرى . إذ حدث أن « أجابه قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يا معلم نريد ان نرى منك آية .

فأجاب وقال لهم : إنَّ جيلاً شريراً وفاسقاً إذ يطلب آية لاتعطي له سوى آية يونان النبي ، لأنه كما مكث يونان ثلاثة أيام وثلاث ليال في جوف الحوت ، كذلك يمكث ابن الإنسان ثلاثة أيام وثلاث ليال في جوف الأرض » ( متى ١٢ : ٣٨ - ٤٠ ) . وقد جاء في العهد القديم من الكتاب المقدس أن اليهود حين كانوا في صحراء سيناء بعد خروجهم من مصر قتلت الحيات المحرقة عدداً كبيراً منهم « فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة وضعها على راية ، فكل من لدغ ونظر إليها يمجا . فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى حية النحاس يمجا » ( العدد ٢١ : ٦ - ٩ ) . ومن ثمَّ جعل مخلصنا هذه الحية المرفوعة رمزاً لرفعه هو على خشبة الصليب قائلاً إنه « كما رفع موسى الحية في البرية ، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية » ( يوحنا ٣ : ١٤ و١٥ ) . وقال لتلاميذه إنَّ « لي معمودية لأصطبغ بها ، وما أشد ما أعانى حتى تتم » ( لوقا ١٢ : ٥٠ ) . وقد قصد بالمعمودية هنا الآلام التي ستغمره كأنها معمودية دم ، والتي سيظل يعانها حتى ينجز الرسالة التي جاء من أجلها إلى العالم . وقال لتلميذه يعقوب ويوحنا أمام باقي التلاميذ : « أفستطيعان أن تشربا الكأس التي سأشربها أنا ، وأن تصطبغا بالصبغة التي سأصطبغ أنا بها ؟ » ( مرقس ١٠ : ٣٨ ) . وكان يعنى كأس الموت التي يعرف أنه سيربها ، وصبغة الآلام التي يعرف أنه سيعانها . وحين جاءت مريم أخت لعازر بقارورة طيب غالى الثمن ودهنت به قدمي مخلصنا ومسحتها بشعر رأسها ، تدمر يهوذا الإسخريوطى زاعماً أن فى ذلك إسرافاً وإتلافاً . أما هو فقال « دعوها فقد حفظت هذا ليوم دفنى » ( يوحنا ١٢ : ٧ ) . حتى إذا حان الوقت الذى شئت حكمة مخلصنا أن يصارح فيه تلاميذه بكل ماسيحدث له على أيدي اليهود ، بدأ يفعل ذلك ، وإن يكن بالتدريج ، لكي لا يصدمهم أو يشبط

همهم . فراح يفضى اليهم بالحقيقة شيئاً فشيئاً ، ويكشفها لهم درجة درجة ، ومرحلة بعد مرحلة . فقال لهم « إن ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدي الناس » (لوقا ٩ : ٤٤) . ثم قال لهم إنه « ينبغي أولاً أن يعانى آلاماً كثيرة وأن يرفضه هذا الجيل » (لوقا ١٧ : ٢٥) . ثم قال لهم « إن ابن الانسان سوف يسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه . وفى اليوم الثالث يقوم » (مرقس ٩ : ٣٠) . ثم قال لهم بتفصيل أكثر « إن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويمتحن من الشيوخ ومن رؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم » (مرقس ٨ : ٣١) . ثم حدد المكان الذى سيقته اليهود فيه ، فقال لهم « إنه ينبغي أن يمضى إلى اورشليم ويعانى آلاماً كثيرة من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل ثم فى اليوم الثالث يقوم » (متى ١٦ : ٢١ - ٢٨) . ثم أوضح إجراءات محاكمته وزاد من تفصيلات ماسيعانى من صنوف الألم والهوان ، فقال لهم « هانحن أولاء صاعدون إلى اورشليم ولسوف يسلم ابن الإنسان إلى رؤساء الكهنة وإلى الكتبة فيحكمون عليه بالموت ، ويسلمونه إلى الوثنيين ليهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه ، وفى اليوم الثالث يقوم » (متى ٢٠ : ١٨ و١٩) . ثم أضاف مزيداً من مظاهر العار الذى سيتعرض له فقال لهم إنه « سيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان ، فإنهم سيسلمونه إلى الوثنيين ، ويهزءون به ويهينونه ، ويصقون عليه . وبعد أن يجلدوه يقتلونه ، وفى اليوم الثالث يقوم » (لوقا ١٨ : ٣١ - ٣٣) . وبذلك أعطاهم صورة كاملة شاملة لأدق التفاصيل عما سيفعله به اليهود منذ أن يمسكوه غدرًا إلى أن يقتلوه ظلمًا وبغياً على خشبة الصليب . حتى إذا جاء موعد بدء هذه الآلام التى سيعانها وهذا الموت الذى سيسبب كأسه صارحهم كما رأينا قائلاً « الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمنى » (يوحنا ١٣ : ٢١) . ثم قال لهم أخيراً : « يا بنائى أنا باقٍ معكم زماناً يسيراً بعد ، وستطلبونى ، وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا » (يوحنا ١٣ : ٣٣) .

ومع ذلك فإنهم على قدر مأمهد أذهانهم لمعرفة ماسيحدث له وظل يفعل ذلك إلى آخر لحظة لم يفهموا مايرمى إليه وسألوه على لسان سمعان بطرس « إلى أين تذهب يارب ؟ ». فأجاب مخلصنا قائلاً « حيث أذهب أنا لا تستطيع أنت الآن أن تتبعني . ولكنك ستبغني أخيراً » . أى أن الآلام التي سيعانيها مخلصنا بعد ساعات قليلة لن يستطيع بطرس الآن أن يعانها ، والموت الذي سيتجرع كأسه مخلصنا على خشبة الصليب لن يستطيع بطرس الآن أن يتجرعه . ولكنه فيما بعد سيتبع معلمه في طريق آلامه وموته ، حين يشهد له ويستشهد في سبيله . فقال بطرس في حماسه المعهودة وإحساسه المتدفق : « يارب لماذا لا أستطيع أن أتبعك الآن ؟ إنني أفديك بحياتي » . وعندئذ أجابه مخلصنا إجابة رهيبة مذهلة لاشك أنها فاجأت بطرس مفاجأة تكاد أن تكوّن قاتلة ، إذ قال له في ألم ومرارة « أفنديني بحياتك ؟ الحق الحق أقول لك إنه لن يصيح الديك حتى تكون قد أنكرتني ثلاث مرات » .



## الفصل الرابع عشر

١٤ : ١ - ٣

ثم واصل فاديننا الحبيب كلماته الوداعية لتلاميذه ووعوده المعزية لهم ووصاياهم الأخيرة إليهم ، قائلاً « لاتضطرب قلوبكم . إن كنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي . إن في بيت أبي منازل كثيرة . فإن لم يكن كذلك لقلت لكم . أنا ذاهب لأعبد لكم مكاناً ، ولئن ذهبتُ وأعددت لكم مكاناً سأجيء ثانية وآخذكم إلى . حتى تكونوا أنتم معي حيث أكون أنا » . فقد لمس مخلصنا ما انتاب تلاميذه من اضطراب حين علموا أنه سيتركهم بعد لحظات قليلة . وحين علموا في نفس الوقت أن واحداً منهم سيخونه ويسلمه لأعدائه كي يقتلوه ؛ وأن آخر منهم أيضاً - وهو من أكثرهم التصاقاً به وحاساً له - سينكره ويتبرأ من علاقته به أو معرفته له على الإطلاق . بل علموا كذلك أنهم جميعاً سيستولى عليهم الشك من نحوه في هذه الليلة ذاتها حين يقبض أعداؤه عليه ويفرون هاربين وفقاً للنبوءة القائلة « إني سأضرب الراعي فتبتدد خراف الرعيّة » (متى ٢٦ : ٣١)؛ (مرقس ١٤ : ٢٧) . ومن ثم أراد مخلصنا العطوف الحنون الرقيق النفس المرهف الحس أن يخفف من اضطراب قلوبهم ، ويبعد السكينة والطمأنينة إلى أرواحهم التي أهاجتها وأزعجتها تلك الأنباء العنيفة المخيفة التي أنبأهم بها . فصارحهم كي يسرّ عنهم ويعزّهم بحقيقة رائعة تملأ القلوب الحزينة أفراحاً ، وتفعم النفوس القلقة المضطربة طمأنينة وارتياحاً ، طالباً إليهم - قبل أن يفضى إليهم بتلك

الحقيقة - أن يصدّقوه فيما سيقوله لهم ، وذلك بأن يتوطّد إيمانهم به بوصفه المسيح ابن الله . لأنهم إن كانوا يؤمنون بالله فليؤمنوا به هو ابنه الكائن معه في جوهر الألوهية دائماً ، وليؤمنوا مِنْ نَمَّ بأن ما سيقوله لهم هو حق وصدق ، لأن الله لا يصدّر عنه إلاّ الحق والصدق . ثم أفصح لهم بعد ذلك عن تلك الحقيقة التي لا يعلمها إلا هو وحده ، وهي أنه إن تركهم الآن ، فإنه لن يتركهم إلى الأبد ، وإنما سيبيئهم السبيل كي يتبعوه إلى حيث يذهب ، ليقبموا معه إقامة أبدية دائمة ، لأن في بيت أبيه السماويّ منازل كثيرة مخصصة للمؤمنين به وبابنه الإلهي ، سيقبمون فيها إقامة أبدية دائمة في الوقت المخصص لذلك في التدبير الإلهي . وقد أكّد مخلصنا لتلاميذه أن هذه حقيقة ثابتة لا ينبغي أن يرتابوا فيها ، وإلاّ لما قالها لهم ، لأنه صادق في كلّ مايقول ، ولا يمكن - وهو الإله الكامل الصفات - أن يقول إلاّ الصدق . وفي قوله له المجد « منازل كثيرة » ما يطمئن تلاميذه وسائر المؤمنين به إلى أن في ملكوت الله مكاناً متسعاً لكل من يستحقّ الدخول إليه ، وأنه لن يضيق الملكوت بمن هو أهل له ، ولن يُقال لأحد من القديسين ليس لك مكان في الملكوت ، طالما أنه مستحق . بل إن « المنازل الكثيرة » تعني أيضاً المراتب المتباينة لأهل بيت الله من القديسين . ولما كان الله عادلاً وكاث جزاؤه للناس وفقاً لأعمالهم ، فلا بد أن يكون الجزاء متفاوتاً ، وهذا يطابقه قول المسيح له المجد « هأنذا آتى سريعاً ، ومعى الجزاء الذي أجزى به كل واحد حسب عمله » ( الرؤيا ٢٢ : ١٢ ) وقوله « لأنّ ابن الإنسان سيأتي في مجد أبيه مع ملائكته ، وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله » ( متى ١٦ : ٢٧ ) . ويقول الكتاب المقدّس أيضاً « كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تبعه » ( ١ . كورنثوس ٣ : ٨ ) . ثم أنبأ مخلصنا لتلاميذه بأنه وإن كان سيفارقهم الآن فإنه ذاهب ليُعِدّ لهم مكاناً في تلك المنازل التي في بيت أبيه . ولئن ذهب وأعدّ لهم مكاناً ، إنه سيجيء ثانية ويأخذهم إليه ، حتى يكونوا هم مع حيث يكون

هو . بيد أن هذا الجيء الثاني الذى وعدهم به ليأخذهم إليه سيكون على مراحل متتالية ، وبكيفية متفاوتة ، فإنه سيجيء إليهم أولاً عند قيامته من بين الأموات بعد أن يموت على الصليب ويمكث في القبر ثلاثة أيام ، وعندئذ سيظل معهم أربعين يوماً وهو في جسد مجده ، يخاطبهم ويخاطبونه كما كان يفعل في أثناء وجوده معهم قبل موته ، حتى يصعد أمامهم إلى السماء . ثم إنه سيجيء إليهم ثانياً في يوم الخمسين حين يرسل عليهم نعمة الروح القدس الكائن أيضاً معه ومع الآب منذ الأزل ، إذ يقول الوحي الإلهي إنَّ « الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة : الآب والكلمة والروح القدس . والثلاثة هم واحد » ( ١ . يوحنا ٥ : ٧ ) . وقد أوضح مخلصنا ذلك لتلاميذه . إذ قال لهم بعد ذلك « لأننى ماضٍ إلى أبى .. وسأطلب إلى الآب فيعطيكُم معزياً آخر ليقم معكم إلى الأبد .. يقيم معكم ويكون فيكم . لن أترككم يتامى ، وإنما سأجىء إليكم . بعد قليل لن يراى العالم بعد ، وأما أنتم فسوف تروننى . لأننى أنا حىٌّ فأنتم ستحيون أيضاً » ( يوحنا ١٤ : ١٢ - ١٩ ) .

فبحلول موهبة الروح القدس على التلاميذ وملازمته لهم طوال حياتهم على الأرض ، يكون السيد المسيح قد حلَّ بينهم ولازمهم ملازمة كاملة ، يؤازرهم في أداء الرسالة التي كلفهم بأدائها من بعده ، ويشجعهم على احتمال المتاعب والمصاعب والمصائب والأوجاع التي سيكابدونها في سبيل أداء هذه الرسالة ، ويعزهم ويقوِّمهم على احتمال الموت نفسه الذى يعلم أنهم سيتجرعون كأسه جميعاً ، إذ يودى بهم الجهاد في نهاية الأمر إلى الاستشهاد . ثم يجىء إليهم أخيراً في يوم الدينونة كى يقبى بوعدده لهم حين قال لهم « الحقُّ أقول لكم إنكم أنتم يامنٌ تبتمونى ، متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده عند تجديد كل شىء ، ستجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيًا ، وتدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر »

(متى ١٩ : ٢٨) . كما قال : « ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وكل الملائكة القديسين معه ، يجلس عندئذ على عرش مجده ، وتجتمع أمامه كل الشعوب .. حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا أيها المباركون من أبي لتثروا الملكوت المُعد لكم منذ إنشاء العالم » (متى ٢٥ : ٣١ - ٣٤) . وقال « حينئذ يضىء الأبرار مثل الشمس في ملكوت أبيهم » (متى ١٣ : ٤٣) ، وقال « لا تخف أيها القطيع الصغير ، فإنه قد حَسُنَ لَدَى أَيْيَكُم أن يعطيكم الملكوت » (لوقا ١٢ : ٣٢) .

وفي قول مخلصنا لتلاميذه : « ولئن ذهبت وأعددت لكم مكانا ساجيء ثانية وآخذكم إلى » وعد منه له الجهد بمجيئه الثاني مرة أخرى في نهاية هذا الدهر الحاضر ، وتوكيد لوعوده السابقة بهذا الجيء الذي سيدين فيه الأحياء والأموات . وفي ذلك يقول أيضا : « لأن ابن الإنسان سيأتى في مجد أبيه مع ملائكته ، وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله » (متى ١٦ : ٢٧) ويقول : « ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وكل الملائكة القديسين معه ، يجلس عندئذ على عرش مجده ، وتجتمع أمامه كل الشعوب فيفرز بعضهم من بعض » (متى ٢٥ : ٣١) ويقول أيضا : « من خزى منى ومن كلامى ، سيخزى منه ابن الإنسان متى جاء في مجده ، ومجد أبيه وملائكته القديسين » (لوقا ٩ : ٢٦) ؛ (مرقس ٨ : ٣٧) - انظر أيضا (متى ٢٤ : ٣ و ٣٠ و ٣٧ و ٣٩) ؛ (٢٦ : ٦٤) ؛ (مرقس ٨ : ٣٨) ؛ (لوقا ٢٣ : ٤٢) ؛ (يوحنا ٢١ : ٢٢) ؛ (الأعمال ١ : ١١) ؛ (١ . كورنثوس ١١ : ٢٦) ؛ (١٥ : ٢٣) ؛ (١ . تسالونيكي ٢ : ١٩) ؛ (٥ : ٢) ؛ (٢ . تسالونيكي ٢ : ١ و ٨) ؛ (٢ . بطرس ٣ : ٤ و ١٢) ؛ (١ . يوحنا ٢ : ٢٨) ؛ (الرؤيا ١١ : ٢٢) ؛ (٧ و ١٢ و ٢٠)



ثم قال مخلصنا لتلاميذه وهو يودّهم : « أنتم تعرفون الطريق إلى حيث أنا ذاهب » . فقال له تلميذه توما : « يارب إننا لا نعرف إلى أين أنت ذاهب ، فكيف نعرف الطريق ؟ » . قال له مخلصنا : « أنا هو الطريق والحق والحياة . لا يأتى أحد إلى الآب إلا بي » .

وقد كان مخلصنا يعلم أن تلاميذه مازالوا كسائر اليهود يفكرون في مملكته تفكيراً مادياً ، معتقدين أن المسيح سيكون ملكاً أرضياً يقيم في الأرض مملكة أرضية . بيد أنه طالما صرّح لهم وصارحهم كما سبق أن رأينا بأنه ما جاء إلى العالم إلا ليقدم نفسه ذبيحة عن البشر ليفديهم ، مكفراً بذلك عن خطاياهم ، كى يتقدمهم ويعفيهم من حكم الهلاك الصادر من العدالة الإلهية عليهم بسبب هذه الخطايا . وقد كان هذا هو هدفه الأول والأعظم . فلم يكن إذن يهدف لأن يقيم مملكة أرضية ، وإنما يعتزم بعد إنجاز مهمّة الفداء التى جاء إلى العالم من أجلها أن يذهب إلى مملكته الحقيقية التى هى المملكة السمائية ، وهى المملكة الإلهية الجديرة بشخصه الإلهى . ومن ثمّ فإنه حين قال لهم : « أنتم تعرفون الطريق إلى حيث أنا ذاهب » ، كان بذلك يستدرجهم ليفهموا تلك الحقيقة فهما صريحاً وصحيحاً . وبالفعل قال له توما كما كان يتوقع : « يارب إننا لا نعرف إلى أين أنت ذاهب ، فكيف نعرف الطريق ؟ » . وعندئذ أطمأ لهم اللثام عن تلك الحقيقة الجوهرية التى تتمثل فى شخصيته الإلهية ، وهى حقيقة تنطوى فى ذاتها على ثلاث حقائق جوهرية هى أيضاً ، وتودى كل منها إلى الأخرى ، فتتكوّن منها كلّها حقيقة واحدة شاملة ، إذ قال له : « أنا هو الطريق والحق والحياة » .

فمخلصنا ابن الله وكلمته هو « الطريق » الأوحى الذى يؤدى بالإنسان إلى

الخلاص ، وإلى معرفة الله الآب والاتصال به وعبادته وطاعته والعمل بأحكامه ووصاياه بحيث ينال رحمته ورضاه ، ويتمتع بنعمته ويحيا على هُدى نوره وضيائه . فمخلصنا بهذا المعنى هو الوسيط الأوحيد بين الله الآب والناس . ولا يمكن أن يأتي أحد إلى الآب إلا به . وفي هذا المعنى يقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل روما « فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله برينا يسوع المسيح الذى به أيضا قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون . وفتخر على رجاء مجد الله » ( روما ٥ : ١ و ٢ ) . وتنبأ إشعيا النبي عن مخلصنا قائلاً : « وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة . ولا يعبر فيها نجس ، بل هى لهم . من سلك فى الطريق حتى الجهال لا يضل » ( إشعيا ٣٥ : ٨ ) .

ومخلصنا هو « الحق » ، لأنه هو كلمة الله الذى هو وحده الحق الكامل الذى تتضمنه كل صفات الكمال التى يتصف بها الله . فهو الحقيقة الوحيدة فى الكون كله التى لا تشوبها ذرة واحدة من الباطل أو من البطلان ، ولا تتطرق إليها خطرة واحدة من الريبة أو الشك . وتأيداً لذلك قال مخلصنا لليهود : « إن ظلتُم متمسكين بكلامى ، فبالحقيقة تكونون تلاميذى وتعرفون الحق ، والحق يحرركم » ( يوحنا ٨ : ٣١ و ٣٢ ) . وفى هذا المعنى يقول القديس يوحنا فى مقدمة بشارته إن الكلمة الذى هو مخلصنا يسوع المسيح « اتخذ جسداً وحلَّ بيننا ، وقد أبصرنا مجده ، مجد الابن الوحيد لأبيه ، الممتلىء من النعمة والحق » ( يوحنا ١ : ١٤ ) . ويقول : « إنَّ الشريعة بموسى أعطيت ، وأما النعمة والحق فييسوع المسيح كانا » ( يوحنا ١ : ١٧ ) . كما يقول فى رسالته الأولى : « إن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق ، ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح . هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية » ( ١ . يوحنا ٥ : ٢٠ ) .

ومخلصنا هو « الحياة » . لأنه فدانا ومات عنا ثم قام حيًّا فأحيانا بموته وأقامنا بقيامته من الموت الذى كان محكومًا به علينا . وقد صرَّح مخلصنا نفسه بذلك فى موضع آخر إذ قال : « أنا هو القيامة والحياة » ( يوحنا ١١ : ٢٥ ) . وقال لليهود « الحق الحق أقول لكم مالم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه لا تكون لكم حياة فى أنفسكم . من يأكل جسدى ويشرب دمنى فله الحياة الأبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير .. كما أن الآب الحىّ قد أرسلنى ، وأنا كذلك أحيى بالآب . هكذا فإن الذى يأكلنى يحيا بى . هذا هو الخبز الذى نزل من السماء . وهو ليس كالمنّ الذى أكله آباؤكم ثم ماتوا . من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد » ( يوحنا ٦ : ٥٣ - ٥٨ ) . وقال : « أما أنا فأتييت لتكون لهم حياة ويكون لهم أفضل » ( يوحنا ١٠ : ١٠ ) . وقال عنه القديس يوحنا فى بشارته إن « فيه كانت الحياة » ( يوحنا ١ : ٤ ) . كما قال فى رسالته الثانية : « إن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق .. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية » ( ١ . يوحنا ٥ : ٢٠ ) . وقال المسيح له المجد فى الرؤيا للقديس يوحنا اللاهوتى « مَنْ يَغلب فسأعطيهِ أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله » ( الرؤيا ٢ : ٧ ) .

وهكذا تتدرج هذه الحقائق الثلاث فى تسلسلها ، لتصبح حقيقة واحدة خالدة ، فإن مخلصنا هو « الطريق » الوحيد ، طريق الخلاص ، المؤدى بالبشر إلى الله ، وهو « الحق » الوطيد الأزلىّ الأبدى ، لأنه هو نفسه الله ، وهو « الحياة » فى جوهرها ومصدرها ، لأنه بكيانه الإلهى حتى منذ الأزل وإلى الأبد ، ولأنه بالنسبة لكل الكائنات به كانت الحياة . و « فيه كانت الحياة » .

ثم قال مخلصنا لتلاميذه : « لو كنتم قد عرفتمونى ، لعرفتم أبى أيضًا . ومنذ

الآن تعرفونه وقد رأيتموه . فقال له فيلبس : « يارب أرنا الآب وكفانا » . قال له مخلصنا « أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفني بعد يا فيلبس ؟ من رأيي فقد رأي الآب . فكيف تقول أنت أرنا الآب ؟ ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأن أبى فىي ؟ إن الكلام الذى أكلّمكم به لا أتكلّم به من نفسى أنا وحدى ، وإنما الآب الكائن فىي هو الذى يعمل أعماله . صدّقونى أنّى فى أبى وأن أبى فىي . والا فصدّقونى من أجل الأعمال نفسها » .

وبدل كلام فادينا لتلاميذه على أنهم حتى ذلك الحين - وهو يودّعهم الوداع الأخير ، بعد أن قضى معهم سنوات كثيرة يعلمهم ويصنع المعجزات أمامهم ويفعل كل مامن شأنه أن يفتح أعينهم على حقيقة شخصيته الإلهية - ظلوا مع ذلك لا يعرفونه كما هو فى حقيقته باعتباره ابن الله لأنه كان مستترًا فى الجسد ، وقد اتخذ الجسد له حجابًا وإذ لم يعرفوه هو ، برهنوا بذلك على أنهم لا يعرفون الله الآب نفسه . لأن الابن والآب كيان واحد ، وطبيعة واحدة وإله واحد ولأن الابن هو صورة الآب الغير المنظور (كولوسى ١ : ١٥) وإنما ظلّ التلاميذ حتى آخر لحظة يعتقدون حقًا أن هذا هو المسيح الذى يتظرونه ، ولكنهم كانوا كسائر اليهود يعتقدون أن المسيح مجرّد ملك من نسل داود يحمىء ليجلس على عرش مملكة داود ليعيد إليها مجدها ، بل ليجعلها سيّدة الممالك وليجعل اليهود سادة الأرض كلها . ولكن مخلصنا لم يلبث أن أنبأهم بأنهم منذ تلك اللحظة التى يحدّثهم فيها سيعرفونه حقًا ، وسيعرفونه على حقيقته بعد أن يمسكه اليهود أمامهم ، ويقتلون على خشبة الصليب لينجز بذلك عمل القداء الذى ماجاء إلى العالم إلا لينجزه . ثم إذ يراه تلاميذه بعد ذلك وقد أقام نفسه من بين الأموات بسلطانه هو وحده بعد ثلاثة أيام مكثها فى القبر ، ثم يرونه بعد ذلك صاعدًا أمام أعينهم إلى السماء بذات جسده الإنسانى الذى اتخذه وعاش به بينهم ، فإنهم

عندئذ سيعرفونه ، لا باعتباره ملكاً أرضياً كما كانوا يتوهمون ، وإنما باعتباره الملك السماوى للكون كله ، ولا باعتباره مجرد يسوع الإنسان ابن الإنسان الذى عاش بينهم كواحد منهم ، وإنما باعتباره فى نفس الوقت المسيح ابن الله ، الذى هو كائن مع الآب منذ الأزل وإلى الأبد ، ومن ثمَّ إذ يعرفونه يعرفون أباه أيضاً ، لأنها كليهما ذات واحدة وكيان واحد . وإذ قد رأوه هو هو ابن الله ، فقد رأوا فيه وفى ذات الوقت الله الآب نفسه الكائن معه فى الجوهر الإلهى .

بيد أن التلاميذ ظلوا مع ذلك غير مدركين تماماً حقيقة شخصية معلمهم ، ولا حقيقة علاقته بالآب السماوى ، على الرغم من كل ما سبق أن قاله لهم وصنعه أمامهم . ومن ثمَّ قال له أحد أولئك التلاميذ ، وهو فيلبس « يارب أَرِنَا الآب وكفانا » . ولكن مخلصنا لم يغضب مع ذلك أو يستاء مما برهن عليه تلاميذه من بطء فى الفهم وقصور فى الإدراك ، إذ كان يعلم أنهم قوم ريفيون بسطاء محدودو التفكير ، قليلوا الحظ - فى ذلك الحين - من المعرفة أو الثقافة . فى حين أن الأمور التى يحدثهم عنها ويطلب منهم إدراكها أمور سامية سماوية تفوق مدارك أعظم الفلاسفة وأعلم العلماء وأفقه الفقهاء ، لأنها تتعلق بطبيعة الله التى لا يمكن للعقل البشرى مهما كان ذكياً أو عبقرياً أن يرتفع درجة واحدة إلى مستواها الذى لا حدَّ لرفعته ، أو يغوص درجة واحدة إلى عمقه الذى لا حدَّ لنهايته . فمن المحال بأى حالٍ من الأحوال أن يعرف شيئاً من أمرها ، أو يكشف شيئاً من سرِّها إلا بواسطة إلهام من الله ذاته على فم واحدٍ من أنبيائه ، أو بالأحرى على فم ابنه وكلمته ، الذى وهو كائن معه فى الذات الإلهية ، اتخذ لنفسه جسداً كأجساد الناس وكلم الناس بواسطة ، وكشف لهم بعض الأسرار عن ماهية كيانه وكنه طبيعته . ومن ثمَّ أجاب مخلصنا تلميذه فى سماحة ووداعة وعتاب رقيق قائلاً « أنا معكم كلَّ هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يا فيلبس ؟ من رأتى

فقد رأى الآب ، فكيف تقول أنت أننا الآب ؟ ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأن أبى فى ؟ » .

فقد كان ينبغى على التلاميذ وقد رأوا خلال السنوات الطويلة التى قضوها مع معلّمهم تلك المعجزات التى صنعها بكلمة منه وبسلطانه وحده ، والتى لا يمكن أن يصنعها إلا الله وحده ، أن يتبينوا ويعرفوا أن هذا فضلاً عن أنه هو ابن الله وكلمته ، هو فى نفس الوقت الله نفسه . لأن الله واحد . ولا يمكن أن يكون ابن الله إلا الله نفسه ، كما لا يمكن أن يكون كلمة الله إلا الله نفسه كذلك . وقد كان حتى اليهود الذين أنكروا أن سيّدنا يسوع هو المسيح الذى ينتظرونه يفهمون هذا الفهم ، إذ أنهم حين قال لهم مخلصنا « إن أبى حتى الآن يعمل ، وأنا أيضاً أعمل » ، صمموا على قتله « لأنه قال أيضاً : الله أبى مساوياً نفسه بالله » ( يوحنا ٥ : ١٧ و١٨ ) . ولذلك قرّر مخلصنا لتلاميذه صراحة أن من رآه فقد رأى الآب . ولا مهم على أنهم لا يزالون حتى هذه اللحظة التى يودّعهم فيها لا يدركون هذه الحقيقة ، مما دفع بواحد منهم أن يطلب إليه أن يريهم الآب ، مبرهنًا بذلك على أنه مع بقية زملائه من التلاميذ لم يكونوا يؤمنون حتى هذه اللحظة أن معلّمهم ابن الله فى طبيعة واحدة مع الله الآب ، وأن الله الآب فى طبيعة واحدة مع ابنه ، لأنها كليهما واحد ، بحيث إن الكلام الذى يكلمهم به لا يتكلّم به من نفسه هو وحده ، وإنما الآب الكائن فيه هو الذى يقول أقواله ، وهو الذى يعمل أعماله . فأقوال الابن هى فى نفس الوقت أقوال الآب . وأعمال الآب هى فى نفس الوقت أعمال الابن . وقد طالما قرّر مخلصنا وكرّر هذه الحقيقة من قبل . ومثال ذلك أنه قال « وأنا لم آت من نفسى وحدى ، وإنما أرسلنى ذلك الذى هو حق .. أما أنا فأعرفه لأتى منه » ( يوحنا ٧ : ٢٨ و٢٩ ) . وقال : « وإن لم أكن أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى . ولكن

إن كنت أعمل أعماله فإن لم تؤمنوا بي آمنوا بالأعمال ، لتعلموا وتعرفوا أنى أنا فى أبى ، وأن أبى فىَّ ( يوحنا ١٠ : ٣٧ و٣٨ ) . وقال « إن الذى يؤمن بى ليس بى يؤمن . وإنما آمن بالذى أرسلنى . والذى يرانى فقد رأى الذى أرسلنى » ( يوحنا ١٢ : ٤٤ و٤٥ ) .

وإذ كان مخلصنا يعلم أن هذا السرّ السماوى الذى يتعلّق بطبيعة الله أعظم وأعمق وأعقد من أن يفهمه تلاميذه بعقولهم الريفية البسيطة ، بل أن يفهمه أعظم المفكرين وأعلم العلماء ، ما لم يفتحوا للإيمان به عقولهم وقلوبهم ، ويتقبلوه بأرواحهم وكل جوارحهم ، لأن الإيمان به وقبوله يتطلب الإيمان أولاً بالسيد المسيح إلهاً ورباً ، وقبوله فادياً ومخلصاً، والثقة فيه وفى كل ما قال وكل ما فعل ثقة كاملة لا يشوبها ظل من الشكّ مها كان طفيفاً ، أو يخامرها أثر من الريبة مها كان خفيفاً ، لم يستخدم مخلصنا فى إقناع تلاميذه بهذا السرّ أى نظرية من النظريات العلمية ، أو أى برهان من البراهين الفلسفية ، وإنما إذ كان يعلم أن تلاميذه يثقون كل الثقة فى صدقه فى كل ما يقول ، بعد سنوات طويلة من ملازمتهم له والتصاقهم به ومعرفتهم إياه معرفة الأبناء لأبيهم ، والتلاميذ لمعلمهم ، قال لهم كى يقنعهم بذلك السرّ الإلهى العميق العويص الذى أفضى به إليهم « صدقونى أنى فى أبى وأن أبى فىَّ » . ثم دعاهم إلى استخدام عقولهم ، مها تكن ريفية وبسيطة ، فى اللجوء إلى شىء من الاستنتاج والاستنباط ، فاستطرد قائلاً « وإلا فصدقونى من أجل الأعمال نفسها » ، أى أنهم إذا كان من العسير عليهم أن يصدقوا أنه هو الله نفسه وهم يرونه إنساناً بينهم ، فليستتجوا وليستنبطوا من المعجزات التى صنعها أمامهم ، والتى لا يمكن أن يصنعها إلا الله وحده أنه هو الله ، وإن يكن ظاهراً فى جسد إنسان ولا سماً أن نبوات أنبيائهم عن المسيح الذى تنبأوا جميعاً بأنه سيأتى إلى العالم يمكن أن

تعينهم على استيعاب هذه الحقيقة مهما تكن عسيرة على فهمهم أو مستعصية على تفكيرهم . فمع كون أولئك الأنبياء يصفون المسيح الذى كانوا ينتظرونه بأنه إنسان ، فإنهم يصفونه فى الوقت نفسه بأنه ابن الله ، وبأنه كلمة الله ، وبأنه فى الوقت نفسه أيضاً هو الله ذاته ، وينسبون إليه كل الصفات والقدرات الإلهية . ولولا أن نبوءاتهم كانت حياً يتلقونه من الله وينطقون به كما يتلقونه دون أى تدخل من تفكيرهم الخاص ، ما كان من الممكن أن يجمعوا فى شخص المسيح بين هذه الصفات البشرية والصفات الإلهية ، بتلك الصورة التى تفوق مدارك البشر وتتجاوز مدى تفكيرهم الإنسانى ، لقصور تلك المدارك ، وعجز ذلك التفكير عن أن يصل إلى معرفة ماهية الله أو فهم طبيعته ، أو مدى قدرته ، أو سرّ تدبيره ومغزى حكمته فيما يفعل أو يقول . ولذلك قال الله فى نبوءات إشعياء النبى موضحاً هذه الحقيقة : « لأن أفكارى ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقى ، يقول الرب ، لأنه كما علت السماوات عن الأرض هكذا علت طرقى على طرقكم وأفكارى عن أفكاركم » (إشعياء ٥٥ : ٩ و٨) .

ومن ثمّ فإن المزامير - التى نطق بها داود النبى وغيره من الأنبياء - تزخر بالنبوءات التى تصف المسيح بأنه ابن الله ، إذ جاء فيها بلسان المسيح : « إني أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى أنت ابني . أنا اليوم ولدتك .. فالآن أيها الملوك تعقلوا .. قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق .. طوبى لجميع المتكلمين عليه » (المزمور ٢ : ٧ - ١٢) . وجاء فيها قول الله الآب عن المسيح : « هو يدعونى أبى أنت .. أنا أيضاً أجعله بكرًا أعلى من ملوك الأرض .. وكرسيه مثل أيام السماوات .. يثبت إلى الدهر » (المزمور ٨٨ : ٢٦ - ٣٧) . كما جاء فيها : « اللهم أعط أحكامك للملك ، وبرك لابن الملك ، يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق .. يقضى لمساكين الشعب .. يسجد له كل الملوك . كل الأمم



تتعبد له .. يكون اسمه إلى الدهر .. ويتباركون به . كل أم الأرض يطوبونه « (المزمور ٧١ : ١ - ١١ و ٤ - ١٧) . وجاء في نبوءات إشعيا النبي : « لأنه يُولد لنا ولد ونُعطي ابناً ، وتكون الرئاسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً ، أبا الأبد ، رئيس السلام » (إشعيا ٩ : ٦) .

وجاء في نبوءات إشعيا النبي أن المسيح هو كلمة الله ، وأن الله سيرسله لخلاص البشر ، إذ يقول « كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك ، بل يرويان الأرض ويجعلانها تُلد وتنبت وتعطي زرعاً للزارع وخبزاً للآكل . هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي ، لا ترجع إلى فارغة . بل تعمل مأسُرت به وتنجح فيما أرسلتها له » (إشعيا ٥٥ : ١٠ - ١٢) .

وقد أسندت النبوءات إلى المسيح كل الصفات الإلهية . إذ تنبأ إشعيا النبي قائلاً إنه سيكون « إلهاً قديراً » (إشعيا ٩ : ٦) . وتنبأ إرميا النبي قائلاً « هذا هو اسمه الذي يدعونه به : الرب برّنا » (إرميا ٢٣ : ٦) . وقال داود النبي في الزمائم مشيراً إلى المسيح : « قال الرب لربّي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك تحت قدميك » (المزمور ١٠٩ : ١) . وجاء في الزمائم عن المسيح أن « كل الأمم تتعبد له .. كل الأمم يطوبونه .. ومبارك اسم مجده إلى الدهر » (المزمور ٧١ : ١١ و ١٧ و ١٩) . وتنبأ دانيال النبي عنه قائلاً : « كنت أرى في رؤى الليل ، وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه . فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبديّ ما لن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض » (دانيال ٧ : ١٣ و ١٤) .

وذكرت النبوءات أنه أزليّ أبديّ ، وأنه هو الخالق ، إذ تنبأ إشعيا النبي قائلاً بلسان المسيح « أنا هو . أنا الأول وأنا الآخر ، ويدي أسست الأرض

ويميني نشرت السماوات .. السيد الرب أرسلني وروحه » ( إشعيا ٤٨ :  
 ١٢ و ١٣ و ١٦ ) . وجاء في سفر الأمثال بلسان المسيح أيضًا : « الرب قناني أول  
 طريقه . من قبل أعماله منذ القدم . منذ الأزل مُسحت . منذ البدء .. كنت  
 عنده صانعًا » ( الأمثال ٨ : ٢٢ و ٢٣ و ٣٠ ) . وقال عنه ميخا النبي في نبوءاته  
 إنَّ « مخارجه منذ القديم ، منذ أيام الأزل » ( ميخا ٥ : ٢ ) . وقال عنه دانيال  
 النبي إن « سلطانه سلطان أبدى مالن يزول ، وملكوته مالا ينقرض » ( دانيال  
 ٧ : ١٤ ) . وذكرت النبوءات أنه ينبغي الاتكال على المسيح ، لأن ذلك بمثابة  
 الاتكال على الله ، إذ جاء في الزمير : « قَبَلُوا الابن لئلاَّ يغضب فتبيدوا من  
 الطريق .. طوبى لجميع المتكلمين عليه » ( المزمور ٢ : ١٢ ) . كما ذكرت  
 النبوءات أن هيكل الله هو هيكل المسيح بصفته الإلهية ، إذ تنبأ ملاخي النبي  
 قائلاً : « يأتي بغتةً إلى هيكله السيد الذي تطلبونه .. الذي تُسرون به » ( ملاخي  
 ٣ : ١ ) .

ومن ذلك نرى أن إجابة السيد المسيح له المجد عن سؤال تلميذه فيلبس عن  
 حقيقة شخصية المسيح ، حين قال له فيلبس « أرنا الآب وكفانا » فأجابه قائلاً  
 « أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفني بعد يا فيلبس ؟ . من رآني فقد رأى الآب ،  
 فكيف تقول أنت : أرنا الآب ؟ ألا تؤمن بأني أنا في أبي وأن أبي فيَّ » ، إن هذا  
 التصريح القدسي من فم الرب يسوع ، يكشف حقيقة يسوع المسيح ، ويبرهن  
 على أنه هو بعينه الله ذاته ظاهراً في الجسد ، وأهو بعينه الله الغير المنظور وقد صار  
 منظوراً . ومما يؤكد هذا المعنى المقصود قوله له المجد « لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم  
 أبي أيضاً . ومنذ الآن تعرفونه . وقد رأيتموه » . ومن هذا القول يتضح أن السيد  
 المسيح له المجد يكشف لتلاميذه أنهم لم يعرفوه على حقيقته من هو ، وذلك لأنه  
 مستتر في الجسد ، وقد اتخذ الجسد له حجاباً . ولو كانوا قد عرفوه على حقيقته ،

وعرفوا مَنْ هو ، لعرفوا الآب ، لأنه هو صورة الآب الغير المنظور ، ولأنه بلاهوته كائن في الآب ، والآب كائن فيه ، من غير افتراق أو انفصال . إذ يقول « ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأن أبى فىّ ؟ .. » ، ويقول إن « الآب الكائن فىّ هو الذى يعمل أعماله » . ويقول « صدقونى أنى فى أبى وأن أبى فىّ » ، ثم يضيف قائلاً لتلاميذه « ومنذ الآن تعرفونه ، وقد رأيتموه » . ومعنى هذا أن التلاميذ قد رأوا الآب فكيف رأوا الآب فعلاً ، مع أن الآب غير منظور ، إذ قال عنه الإنجيل « الله لم يره أحد قط » ( يوحنا ١ : ١٨ ) . وقال عنه الكتاب المقدس « وملك الدهور الذى لا يبنى ولا يُرى ، الإله الحكيم وحده » ( ١ . تيموثيوس ١ : ١٧ ) . وقال السيد المسيح له المجد « لا أحد قد رأى الآب إلا الذى هو من الله . فهذا هو الذى قد رأى الآب » ( يوحنا ٦ : ٤٦ ) ؟ . والجواب واضح : أن التلاميذ قد رأوا الآب وهو الغير المنظور ، فى المسيح لأنه « هو صورة الله الغير المنظور » ( كولوسى ١ : ١٥ ) . ولذلك أيضاً قال « إن كنتم تؤمنون بالله ، فآمنوا بى » ( يوحنا ١٤ : ١ ) . وقال « الذى يرانى فقد رأى الذى أرسلنى » ( يوحنا ١٢ : ٤٥ ) .

١٤ : ١٢ - ١٤

ثم قال مخلصنا لتلاميذه « الحقّ الحقّ أقول لكم إن الذى يؤمن بى . فالأعمال التى عملها يعملها هو أيضاً . بل يعمل أعظم منها . لأننى ماضٍ إلى أبى ، فكل ما تطلبون باسمى أنا أفعله لكم ، لكى يتمجد الآب فى الابن ، فإن طلبتم شيئاً باسمى أفعله » .

فقد طلب مخلصنا من تلاميذه فى العبارات السابقة أن يؤمنوا به ، لأن الإيمان به أصلاً هو طريق الخلاص والحياة الأبدية . بيد أنه بالنسبة للتلاميذ

يتضمّن امتيازًا آخر. فقد أنبأهم بأنه بعد قليل يفترق عنهم حين يصعد ويمضي إلى أبيه السماوى. ولما كانوا هم تلاميذه الذين أراهم كلّ مجده بما صنع أمامهم من معجزاته الإلهية وأعطاهم كلّ تعاليمه ووصاياه ، بما أسمعهم من كلماته السماوية ، فقد أعدّهم بذلك الإعداد الوافى والكافى ليواصلوا عمله بعد مفارقتهم الأرضية لهم ويمضي إلى الآب ، قاصدًا أن يكونوا بعد ذلك هم رسله إلى العالم أجمع والمبشرين به كل الشعوب ، وعلى مدى كلّ الأزمان . ولما كانت قدرته الإلهية غير المحدودة على صنع المعجزات التي يعجز عن أن يصنع مثلها أى بشر ، هى من أعظم وأعمق دعائم إقناع الناس بألوهيته ، وَعَد تلاميذه بأنهم إن آمنوا به الإيمان الكامل ، وأيقنوا بأنه هو ابن الله ، وأنه هو الله ذاته ، فسيمنحهم من فيض قدراته السماوية اللانهائية القدرة على أن يصنعوا باسمه وبسلطانه . المعجزات التي كان يصنعها هو نفسه ، لينجحوا في أداء الرسالة الجليلة النبيلة التي عهد بها إليهم بعد ارتفاعه عنهم ، بل وعدهم بأن يعطيهم القدرة على أن يصنعوا من المعجزات أعظم مما صنع هو ، ليؤمن الناس بأنهم - بما يبدون من القدرات التي يستمدونها منه - هم رسله حقًا ووكلاؤه وخلفاؤه على الأرض ، فيؤمنوا بهم . وبالتالي يؤمنوا بالذى أرسلهم . وهذا هو جوهر ومحور تلك الرسالة التي عهد بها إليهم . وهم إذ يصنعون تلك المعجزات ، لا يصنعونها بقدرتهم الشخصية ، وإنما بقدرته هو . ويقتضى ذلك منهم حين يشرعون في صنع تلك المعجزات أن يتהלوا إليه ويطلبوا منه أن يمنحهم تلك القدرة التي هى قدرته هو ، واعدًا لإياهم بأن كل ما يطلبون باسمه - كى يكونوا قادرين على صنع المعجزات - سيفعله ، أى سيعطيهم القدرة على تحقيقه ، فيكون ذلك دافعًا ومشجعًا للناس على الإيمان بابن الله وتمجيده بواسطتهم . وبذلك يتمجد الآب بالابن ، كما يتمجد الابن فى الآب ، لأنها معًا جوهر واحد ، وإله واحد . وقد كرّر ذلك الوعد لهم لتأكيدهِ وتوطيده فى نفوسهم . وبالفعل فلأنهم بعد قيامته من بين الأموات وصعوده إلى

السماء حققوا طلبه منهم ، إذ آمنوا به عندئذ أصدق الإيمان وأعمق الإيمان وكلّ الإيمان . كما حقّق هو وعده لهم بأن منحهم القدرة على أن يصنعوا - باسمه هو وبقدرته هو - من المعجزات مثل ما كان يصنعه وهو بينهم على الأرض ، بل أن يصنعوا - باسمه هو وبقدرته هو كذلك - أعظم من المعجزات التي صنعها هو من قبل ، وذلك هو ماسوف يصنعه في خلاص النفوس من خطاياها بالتوبة ، فذلك عند المسيح أعظم من إقامة لعازر من بين الأموات ، بقدر ماتعظم قيامة الروح من موت الخطيئة على قيامة الجسد من موت القبر . إذ يذكر لنا الإنجيل في سفر أعمال الرسل أن تلميذه بطرس استطاع أن يجذب إلى الإيمان بمخلصنا ثلاثة آلاف نفس في يوم واحد ، وهو يوم الخمسين الذي حلّ فيه الروح القدس على التلاميذ . وكان ذلك بالكلمة التي ألقاها بطرس عليهم في ذلك اليوم ، مبشراً إياهم بالسيد المسيح (الأعمال ٢ : ٤١) . فكانت هذه معجزة بالغة الروعة ، إذ أدّت في لحظة واحدة إلى خلاص كلّ تلك الآلاف من النفوس الهالكة ، مما يتضمن شفاءها من أمراضها الروحية ، التي هي أشنع وأبشع من الأمراض الجسدية ، بل يتضمن إقامتها من الموت المحكوم به من العدالة الإلهية عليها .

وذلك فضلاً عن المعجزات الأخرى التي صنعها تلاميذ مخلصنا باسم يسوع المسيح وبقدرته . وقد جاء عن ذلك في سفر أعمال الرسل أنه « جرى على أيدي الرسل بين الشعب كثير من الآيات والعجائب . وكانوا يجتمعون بنفس واحدة في رواق سليمان . وأما الآخرون فلم يكن أحد منهم يجسر أن يلتصق بهم . لكن كان الشعب يعظّمهم . وأخذ عدد المؤمنين بالرب يزداد : جاهير من رجال ونساء . حتى إنهم كانوا يحملون المرضى خارجاً في الشوارع ويضعونهم على الفرش والأسرة ، حتى إذا جاء بطرس ووقع ظلّه على أحد منهم يبرأ . واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين المرضى والمعدّيين من الأرواح النجّسة ، وكانوا

يرأون جميعهم» (الأعمال ٥ : ١٢ - ١٦) .

وحدث أن «صعد بطرس ويوحنا إلى الهيكل .. وكان رجل أعرج من بطن أمه .. كانوا يضعونه كل يوم عند باب الهيكل المعروف بالباب الجميل ليسأل صدقةً .. فتقرس فيه بطرس ومعه يوحنا . وقال : انظر إلينا فتطلع إليهما منتظرًا أن يأخذ منها شيئًا . فقال بطرس : لا فضة عندي ولا ذهب ، ولكني اعطيك ما عندي : باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش ، وأمسكه بيده اليمنى وأنهضه . ففي الحال تشددت رجلاه وكعباه ، فوثبَ ووقف وصار يمشى . ودخل الهيكل معها وهو يمشى ويظفر ويسبح الله ... وأبصره جميع الشعب .. فامتلاوا دهشة وحيرة مما جرى له .. وعندئذ أخذ بطرس يبشر الشعب بربنا يسوع المسيح .. « وكثيرون من الذين سمعوا الكلمة آمنوا ، وصار عدد الرجال (المؤمنين) نحو خمسة آلاف» (الأعمال ١ : ١ - ١٠) : (٤ : ٤) . و«جالوا مبشرين بالكلمة . فانحدر فيلبس إلى مدينة في السامرة ، وكان يركز لهم بالمسيح . وكان الجميع يصغون بنفس واحدة إلى مايقوله فيلبس عند استماعهم ونظرهم الآيات التي صنعها ، لأن كثيرين من الذين بهم أرواح نجسة كانت تخرج صارخة بصوت عظيم ، وكثيرين من المفلوجين والمقعدين شفوا ، فكان فرح عظيم في تلك المدينة» (الأعمال ٨ : ٤ - ٨) .

« وحدث أن بطرس وهو يجتاز بالجميع نزل أيضًا إلى القديسين الساكنين في لِدَّة (وهي مدينة كانت تقع في الطريق المؤدى من أورشليم إلى يافا) . فوجد هناك إنسانًا اسمه إينياس مضطجعًا على سرير منذ ثمانى سنين ، وكان مفلوجًا ، فقال له بطرس : يا إينياس يشفيك يسوع المسيح . قم وافرش لنفسك . فقام للوقت ورآه جميع الساكنين في لِدَّة وسارون (وهي سهل كان يمتد شمالي يافا) الذين رجعوا إلى الرب . وكان في يافا تلميذة اسمها طايثا - أى غزالة - هذه

كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات كانت تعملها . وحدث في تلك الأيام أنها مرضت وماتت ، فغسّلوها ووضعوها في قاعة علوية . وإذا كانت لِدَّة قريبة من يافا ، وسمع التلاميذ أن بطرس فيها ، أرسلوا رجلين يطلبان إليه ألا يتوانى عن أن يجتاز إليهم . فقام بطرس وجاء معها . فلما وصل صعدوا به إلى القاعة العلوية . فوقفت لديه جميع الأرامل يبكين .. فأخرج بطرس الجميع خارجاً وجثا على ركبتيه وصلّى ثم التفت إلى الجسد وقال : يا طابيثا قومي ، ففتحت عينيها . ولما أبصرت بطرس جلست فناولها يده وأقامها . ثم نادى القديسين والأرامل وأحضرها حيّة . فصار ذلك معلوماً في يافا كلها . فأمن كثيرون بالربّ « (الأعمال : ٩ - ٣٣ - ٤٢) .

وحدث في لسترة ، وهي مقاطعة كانت تقع جنوبي غلاطية في آسيا الصغرى ، أن « كان يجلس في لسترة رجل عاجز الرجلين مُقعد من بطن أمه ولم يمش قط . هذا كان يسمع بولس يتكلّم ، فَشَحَّص اليه ، وإذا رأى أنه له إيمان ليشفى ، قال بصوت عظيم : قُم على رجليك منتصباً . فوثب وصار يمشي » (الأعمال : ١٤ : ٨ - ١٠) - « وكان الله يصنع على يدي بولس قوات غير المعتادة . حتى كان يُوثى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض ، وتخرج الأرواح الشريرة منهم .. وكان اسم الربّ يسوع يتعظّم . وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرّين ومخبرين بأفعالهم .. هكذا كانت كلمة الربّ تنمو وتقوى بشدّة » (الأعمال : ١٩ : ١٧ - ٢٠) وفي ترواس ، وهي ميناء مدينة ميسيّة في شمال غربي آسيا الصغرى . حدث « إذ كان التلاميذ مجتمعين ، خاطبهم بولس .. وأطال الكلام إلى نصف الليل .. وكان شاب اسمه أفتيخوس جالساً في الطاقة مثقلاً بنوم عميق .. فسقط من الطبقة الثالثة إلى أسفل وحُمِلَ مَيِّتاً . فنزل بولس ووقع عليه واعتنقه قائلاً : « لا تضطربوا .. ثم صعد .. وأثوا

بالتقى حياً» (الأعمال ٢٠ : ٧ - ١٢) .

فهذه المعجزات وأمثالها تحقّق وعد مخلصنا لتلاميذه بأنهم - بعد أن يمضي إلى أبيه السماوي - إذا آمنوا ، به ، فالأعمال التي يعملها هو يعملونها هم أيضاً ، بل يعملون أعظم منها ، بقوته هو وبسلطانه هو ، لأنه - وإن ارتفع إلى السماء - سيظل معهم كل الأيام إلى انقضاء الدهور (متى ٢٨ : ٢٠) .  
ولسوف يؤثرون في الناس ويهدونهم بمواعظهم ، ويقيّمون الخطاة من موت الخطيئة .

١٥ : ١٤

وبعد أن أوصى مخلصنا تلاميذه بأن يؤمنوا به ليمنحهم السلطان الذي وعدهم به ، أوصاهم كذلك بأنهم إن كانوا يحبونه أعمق الحب وأصدق الحب ، فليحفظوا وصاياه التي سبق أن أوصاهم بها ، والتي يوصيهم بها الآن ، إذ قال لهم « إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي » . وهو إذ يطلب منهم أن يحبوه ، فذلك لأنه يحبهم حباً لا مثيل له ولا يمكن أن يكون هناك حب أعظم منه ، حتى لقد بلغ حدّ تضحيته بذاته من أجلهم ومن أجل البشر جميعاً . وقد طالما صارحهم بذلك إذ قال لهم : « مامن حب أعظم من أن يبذل أحد نفسه عن أحبائه » (يوحنا ١٥ : ١٣) وقد لقبهم بأحبائه إذ قال لهم « بيد أنني أقول لكم يا أحبائي لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ثم لا يستطيعون بعد ذلك شيئاً أكثر من هذا » (لوقا ١٢ : ٤) .

وقد كان مخلصنا يعلم أن تلاميذه يحبونه فعلاً ، ولكنه طلب إليهم مزيداً من الحب ليكون حبهم له كاملاً وشاملاً وعميقاً وصادقاً . ولن يتحقق ذلك إلا بأن يطيعوه في كلّ ما أوصاهم به . وقد كرّر طلبه هذا إليهم مراراً ليؤكد ويوطّده في



أذهانهم وفي وجدانهم . إذ قال لهم « إنَّ الذي لديه وصاياى ويحفظها هو الذى يحببى . والذى يحببى يحبه أبى وأنا أيضاً أحبّه وأظهر له ذاتى » ( يوحنا ١٤ : ٢١ ) . وقال « من يحببى يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نقيم » ( يوحنا ١٤ : ٢٣ ) . وقال « إن حفظتم وصاياى تُبشِّرُنَّ فى محبتي » ( يوحنا ١٥ : ١٠ ) . وقال « أنتم تكونون أحبائى إن عملتم بما أوصيكم به » ( يوحنا ١٥ : ١٤ ) .

ولعلَّ مما يدلُّ على أن تلاميذ مخلصنا قد أطاعوه وتابعوه فيما أوصاهم به ، ما ذكره القديس يوحنا فى رسالته الأولى إذ يقول « إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار ، وهو كفارة لخطايانا .. بهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياها . من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياها فهو كاذب وليس الحقُّ فيه . وأما من حفظ كلمته فحقاً فى هذا تكملت محبة الله ، بهذا نعرف أننا فيه » ( ١ . يوحنا ٢ : ١ - ٥ ) . ويقول « كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلد من الله . وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً . بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياها . فإن هذه هى محبة الله أن نحفظ وصاياها » ( ١ . يوحنا ٥ : ١ - ٣ ) .

١٤ : ١٦ - ٢٠

لقد أنبأ مخلصنا تلاميذه فيما سبق من حديثه إليهم بأنه قد حان الوقت كى يمضى إلى الآب ، وأنهم إن آمنوا به الإيمان الكامل فإنه سيعطيهم السلطان بعد ارتفاعه عنهم ليصنعوا باسمه ويقدرته المعجزات التى كان يصنعها هو ، بل أعظم منها . ثم وعدهم بأن كل ما يطلبونه باسمه سيستجيب لهم فيه إذا هم حفظوا وصاياها بدافع من إيمانهم به وحبهم لها ، ثم شرح لهم بعد هذا كيف سيتحقق ذلك ، إذ قال : « وسأطلب إلى الآب فيعطيكم معزياً آخر ليقم معكم إلى

الأبد ، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه لأنه يقيم معكم ويكون فيكم . لن أترككم يتامى ، وإنما سأجىء إليكم . بعد قليل لن يرانى العالم بعد ، وأما أنتم فسوف تروننى ، لأننى أنا حتى فأنتم ستحيون أيضاً . وفى ذلك اليوم ستعلمون أنى فى أبى . وأنكم أنتم فىّ وأنا فيكم .

أما قوله إنه سيطلب إلى الآب أن يعطيهم معزيا آخر ليقم معهم إلى الأبد ، فعناه أنه لما كان مخلصنا ابن الله متحدًا اتحادًا كاملاً بأبيه السماوى ، وواحدًا معه فى جوهره ، فإن أحدهما لا ينفرد بالإرادة والتدبير دون الآخر ، لأن إرادتهما واحدة وتديبرهما واحد وأوهتهما واحدة . ومن ثمّ فإن الابن سيعمل على أن يشترك مع الآب فى أن يعطى التلاميذ ذلك المعزى الآخر الذى وعدهم بإرساله إليهم . فالعطية إذن من الآب والابن معاً ، وان كان الروح القدس ينبثق من الآب . والارسال من الآب والابن معاً ، بدليل قول مخلصنا بعد ذلك « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند أبى .. فهو يشهد لى » ( يوحنا ١٥ : ٢٦ ) .

وأما كلمة « المعزى » فهى فى اللغة اليونانية التى كتب بها القديس يوحنا بشارته « پارا كليتوس » ، وهى تعنى « المحامى » أو « المعين » أو الشفيع الذى يقف إلى جوار الضعيف ليدافع عنه ويسانده ، ومن ثمّ يكون فى دفاعه عنه ومساندته إياه عزاء له يتضمّن الاطمئنان والإحساس بالأمن والأمان . ومخلصنا إذ يعد تلاميذه بأن يرسل إليهم من لدن الآب هذا المحامى أو المعين أو المعزى ، إنما يعنى به نعمة الروح القدس الذى هو متحد به مع الآب اتحادًا كاملاً ، وكائن معه فى الجوهر .

ومخلصنا يصف الروح القدس بأنه روح الحق ، أى روح الله نفسه لأن الله

هو «الحق»، وهو جوهر الحق، ومصدر الحق، والمرشد إلى الحق. ولذلك يتحدث مخلصنا عن الروح القدس المعزى فيقول في موضع آخر: «فتى جاء ذلك الذى هو روح الحق، فهو يرشدكم إلى الحق كله، لأنه لا يتكلم من عنده. وإنما يتكلم بما يسمعه وسيخبركم بأمر آتية. إنه يمجدىنى لأنه يأخذ ممالى ويخبركم. كل ما هو للآب فهو لى. لذلك قلت لكم إنه يأخذ ممالى ويخبركم» (يوحنا ١٦ : ١٣ - ١٥). فالروح القدس هو متحد اتحادًا كاملاً بالآب والابن. وواحد معها في الجوهر، يتكلم بالحق الذى ليس من عنده وحده، وإنما هو من عند الثالوث القدوس الذى يتحد هو فيه مع الآب والابن. ويشير القديس يوحنا في رسالته الأولى إلى هذا المعنى فيقول «نحن من الله. فمن يعرف الله يسمع لنا، ومن ليس من الله لا يسمع لنا. من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال» (١. يوحنا ٤ : ٦) ويقول إن «الروح هو الذى يشهد لأن الروح هو الحق. فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد» (١. يوحنا ٥ : ٧ و٦). كما يقول «إننا نحن من الله.. ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق» (١. يوحنا ٥ :

١٩ و٢٠).

ويقول مخلصنا لتلاميذه عن الروح القدس المعزى الذى وعدهم بمجيئه إليهم إنه هو «روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه لأنه يقيم معكم ويكون فيكم»، وذلك لأن العالم قد عاش بعد سقوط الإنسان في الخطيئة خاضعًا للشيطان خضوع المرؤوس للرئيس، والعبد للسيد، بل خضوع العابد للمعبود، حتى لقد قال مخلصنا عن الشيطان بسبب ماله من السلطان على العالم إنه «رئيس هذا العالم» (يوحنا

١٢ : ٣١) : (١٤ : ٣٠) : (١١ : ١٦). وقال عنه القديس بولس إنه « إله هذا الدهر » (١ . كورنثوس ٤ : ٤) . كما قال إن « مصارعتنا ليست مع دم ولحم (أى مع إنسان) ، بل مع الرؤساء ، مع السلاطين ، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية في السماويات » (أفسس ٦ : ١٢) . وقال القديس يوحنا في رسالته الأولى « إنا نحن من الله ، والعالم كله قد وُضع في الشرير » (١ . يوحنا ٥ : ١٩) . ولما كان العالم قد خضع خضوعاً تاماً للشيطان الذى هو الشر والمغرى بالشر ، والذى هو الباطل والمخرض على الباطل ، فإن العالم لا يستطيع - وقد امتلأ بالشر وبالباطل - أن يقبل الروح القدس الذى هو الخير والداعى إلى الخير . والذى هو الحق والمبشر بالحق . ولأن الشيطان قد فتح أعين هذا العالم على كل ما هو مادى وجسدى ، وأعماه عن كل ما هو سماوى وروحى ، فإن العالم - وقد عميت بصيرته كما عمى بصره ، لا يمكنه أن يرى الروح القدس . لأنه روح الله ، ومن ثم فإنه لا يقبله . لأنه لا يراه ، ومن ثم لا يعرفه . ولأنه وقد ملأه الشيطان وسيطر عليه لا يرى إلا الماديات والجسديات ، فهو لا يعرف إلا الماديات والجسديات . وفي ذلك يقول القديس بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس : « إن كان إنجيلنا مكتوماً ، فإنما هو مكتوم في الهالكين ، الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضىء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذى هو صورة الله » (٢ . كورنثوس ٤ : ٣ و٤) . ويقول في رسالته إلى أهل أفسس « أنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا ، التى سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم ، حسب رئيس سلطان الهواء ، الروح الذى يعمل الآن في أبناء المعصية ، الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار . وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً . الله الذى هو غنى في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ، ونحن أموات بالخطايا أحياناً مع المسيح » (أفسس

٢ : ١ - ٥) . ويقول القديس يوحنا في رسالته الأولى « إننا نحن من الله ، والعالم كله قد وُضع في الشرير ، ونعلم ان ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق » ( ١ . يوحنا ٥ : ١٩ و ٢٠ ) .

ولئن كان العالم الشرير ، أو الأشرار الذين في العالم ، أولئك الذين استعبدهم الشيطان واستبد بهم ، لا يعرفون الروح القدس ، لأنهم ماديون جسديون ، في حين أن الروح القدس روح إلهي سماوي فلا يمكنهم بأجسادهم المادية وأفكارهم الأرضية أن يروه أو يعرفوه ، إن تلاميذنا محلّصنا فسيعرفونه لأنهم معلّمهم الذي سيقم فيهم إلى الأبد حين يحلّ عليهم بعد ارتفاعه ، فيكون فيهم ويكون ابن الله في نفس الوقت بعد ارتفاعه بالجسد عنهم ، قائماً بقوته وقدرته إلى الأبد فيهم ومعهم ، إذ وعدهم قائلاً « لئن أترككم يتامى ، وإنما سأجيء إليكم » . لأنهم إذ يفارقهم بالجسد سيحزنون حزن الأبناء لفراق أبيهم ، إذ يُحسّون بأنهم أصبحوا من بعده يتامى ليس لهم عائل ولا سند ، ولا قلب حنون يعطف عليهم عطف الأب على أبنائه . ولكن محلّصنا لن يتركهم يحزنون هذا الحزن ، أو يعانون هذا الإحساس ، وإنما سيجيء أولاً إليهم لا يجسده ، وإنما بقوته وبقدرته ، فيمكث - وإن كانوا لا يرونه - بينهم ، يقوّمهم بقوته ، ويساندهم بقدرته ، حتى نهاية حياتهم ، ثم في اليوم الأخير سيجيء مجيئه الثاني بالجسد إليهم ، فينبى بوعد الذي سبق له أن وعدهم به ، إذ قال لهم « الحق الحق أقول لكم إنكم أنتم يا من تبعتموني ، متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده عند تجديد كل شيء ، ستجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيًا ، وتدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر » ( متى ١٩ : ٢٨ ) .

ويتضح من كل ذلك أن المعزى الذي وعد السيد المسيح له المجد تلاميذه بأنه سيرسله من قبل الآب هو « عطية الروح القدس » التي انسكبت على التلاميذ في

يوم الخمسين . فامتلاؤها بها روحانية ومحبة وفرحًا وسلامًا وعزاء وشجاعة ، وبها استطاعوا أن يتكلموا بلغات أخرى غير لغتهم الأصلية ( الأعمال ٢ : ١ - ١١ ) . فليس المقصود بالمعزى الذى وعد مخلصنا بإرساله إنسانًا ما ، وإنما المقصود هو عطية الروح القدس ( ١ ) لأنه من هو الإنسان الذى يقيم مع الكنيسة إلى الأبد ؟ ( ٢ ) ومن هو الإنسان الذى يوصف بأنه « روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله » ؟ إن كان نبيًا فما الذى يميّزه فى هذا الصدد عن غيره من الأنبياء السابقين حتى يوصف بأنه روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ؟ ثم كيف يوصف شخص ما بأنه روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ، ونحن نعلم أن كل من دُعِيَ نبيًا وجد من الناس فى العالم من قبله وتبعوه ؟ ( ٣ ) ولو كان المقصود بالمعزى إنسانا معلوما ، فكيف يصفه المسيح بأن « العالم لا يراه ولا يعرفه » ؟ ( ٤ ) ثم يصف السيد المسيح له المجد بقوله لتلاميذه « وأما أنتم فتعرفونه ، لأنه يقيم معكم ويكون فيكم » ؟ فكيف ينطبق على إنسان ما أنه يقيم معهم وأنه يكون فيهم ، لو لم يكن المقصود فعلاً موهبة الروح القدس التى حَلَّتْ على تلاميذ المسيح فى الخمسين ؟ .

وقد أكد مخلصنا بعد ذلك وعده لتلاميذه بأن يجيء إليهم بعد ارتفاعه عنهم ، فيروونه مرة أخرى ، إذ قال لهم « بعد قليل لن يرانى العالم بعد وأما أنتم فسوف تروننى ، لأننى أنا حتى فأنتم ستحيون أيضا » أى أنه بعد وقت قصير لن يتجاوز بضع ساعات سيقتله اليهود ويوضع جثثانه فى القبر فلا يعود أهل العالم يرونه . وأما التلاميذ فسوف يرونه لأنه سيقوم فى اليوم الثالث من بين الأموات مستردًا حياته ، ويظهر لهم ويظل معهم بالجدس أربعين يومًا ، ثم يصعد أمامهم إلى السماء ، فلا ينقطعون مع ذلك عن رؤيته ، لأنهم سيرونه بعد ذلك لا يعيون أجسادهم ، وإنما بأرواحهم ، فيحيا معهم ويحيون هم أيضا معه وبه وفيه ، لأنه

هو الله الحي منذ الأزل وإلى الأبد ، والذين يؤمنون به ويطيعون وصاياه يعطيهم الحياة الأبدية . وقد قرر هو ذلك المعنى مرارًا إذ قال « الحقُّ الحقُّ أقول لكم إنَّ مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني ، له الحياة الأبدية ، ولن يأتي إلى دينونة . وإنما ينتقل من الموت إلى الحياة . الحقُّ الحقُّ أقول لكم إنَّ ثمة ساعة تأتي ، وقد أتت الآن ، يسمع فيها الموق صوت ابن الله ، والذين يسمعون يحيون . لأنه كما أن الآب له الحياة في ذاته ، هكذا أعطى الابن أن تكون له الحياة في ذاته » ( يوحنا ٥ : ٢٤ - ٢٦ ) . وقال : « أنا هو خبز الحياة .. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء . مَنْ يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد .. مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الأبدية ، وأنا أقيم في اليوم الأخير .. كما أن الآب الحي قد أرسلني وأنا كذلك أحييا بالآب ، هكذا فإن الذي يأكلني يحيا بي » ( يوحنا ٦ : ٤٨ و٥١ و٥٤ و٥٧ ) . وقال : « أما أنا فأتيت لتكون لهم حياة » ( يوحنا ١٠ : ١٠ ) . وقال : « أنا هو القيامة والحياة » ( يوحنا ١١ : ٢٥ ) . وقد عرف هذه الحقيقة تلميذه بطرس فقال له : « أنت هو المسيح ابن الله الحي » ( متى ١٦ : ١٦ ) . وقال بطرس لليهود : « أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل : ومُبدئ الحياة قتلتموه ، الذي أقامه الله من بين الأموات ونحن شهود لذلك » ( الأعمال ٣ : ١٤ و١٥ ) . وقال بولس الرسول لأهل أثينا « الإله الذي خلَق العالم .. به نحيا ونتحرك ونوجد » ( الأعمال ١٧ : ٢٤ و٢٨ ) . وقال لأهل روما : « فإن كنا قد متنا مع المسيح ، نؤمن أننا سنحيا أيضًا معه ، عالمين أن المسيح بعدما أقيم من بين الأموات لا يموت أيضًا . لا يسود عليه الموت بعد . لأن الموت الذي مات به ماتته للخطيئة مرة واحدة ، والحياة التي يحياها فيحياها الله . كذلك أنتم أيضًا احسبوا أنفسكم أمواتًا عن الخطيئة ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا » ( روما ٦ : ٨ - ١١ ) . وقال في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس : « كما في آدم يموت الجميع ، هكذا في المسيح سيحيا

الجميع» ( ١ . كورنثوس ١٥ : ٢٢ ) . وقال في رسالته إلى أهل فيليبي : « لي الحياة هي المسيح » ( فيليبي ١ : ٢١ ) . وقال في رسالته الثانية إلى تيموثيوس : « صادقة هي الكلمة أنه إن كنا قد متنا معه ( أى مع المسيح ) فسنعيا أيضاً معه » ( ٢ . تيموثيوس ٢ : ١١ ) . وقال في رسالته إلى أهل غلاطية : « مع المسيح صُلبت ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ » ( غلاطية ٢ : ٢٠ ) . وقال القديس يوحنا في رسالته الأولى : « بهذا أظهرت محبة الله فينا ، أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به » ( ١ . يوحنا ٤ : ٩ ) . وقال : « إنَّ الله أعطانا حياة أبدية ، وهذه الحياة هي في ابنه . من له الابن فله الحياة . ومن ليس له ابن الله فليست له حياة .. إن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق . ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح . هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية » ( ١ . يوحنا ٥ : ١١ و١٢ و٢٠ ) . وحين قام السيد المسيح من بين الأموات وجاءت النسوة إلى القبر في صباح اليوم الثالث ولم يجدن جسده ، استولى الجزع عليهن ، فظهر لهن ملاكان وقالاهن : « لماذا تطلبن الحيّ بين الأموات ؟ إنه ليس هنا ، وإنما قد قام » ( لوقا ٢٤ : ١ - ٦ ) . وجاء في سفر الرؤيا على لسان السيد المسيح « أنا هو الأول والآخِر والحيّ وقد مُتُّ وهأنذا حيّ إلى أبد الآبدين » ( الرؤيا ١ : ١٧ و١٨ ) . وجاء فيه عن السيد المسيح : « شكراً للجالس على العرش الحيّ إلى أبد الآبدين » ( الرؤيا ٤ : ٩ ) . وجاء فيه قول كاتبه القديس يوحنا إن « الملاك الذي رأيته .. رفع يده إلى السماء وأقسم بالحيّ إلى أبد الآبدين ، الذي خلَق السماء وما فيها ، والأرض وما فيها » ( الرؤيا ١٠ : ٥ و٦ ) .

وقد وَرَدَ وصف الله الآب المتحد بالمسيح ابن الله ، بأنه حيّ إلى الأبد في كل أسفار العهد القديم . ومن ذلك ماجاء في سفر التثنية ، إذ قال الله : « أنا أنا هو وليس إله معي .. حيّ أنا إلى الأبد » ( التثنية ٣٢ : ٤٠ ) . وقد تردّد في كل



أسفار النبوءات قول الله وهو يقسم بذاته . ومن ذلك ماجاء في سفر نبوءة إرميا « حى أنا يقول الرب » (إرميا ٢٢ : ٢٤) - وانظر كذلك ( حزقيال ١٤ : ١٦ و١٨ و٢٠ ) : ( ١٦ : ٤٨ ) : ( ١٧ : ١٦ ) : ( ١٨ : ٣ ) : ( ٢٠ : ٣ ) : ( ٣٣ : ١١ ) : ( ٣٤ : ٨ ) : ( ٣٥ : ٦ ) . وجاء في سفر نبوءة دانيال « أنا نبوخذ نصر رفعتُ عيني إلى السماء .. وباركتُ العليَّ .. وحمدت الحى إلى الأبد ، الذى سلطانه سلطان أبدى » ( دانيال ٤ : ٣٤ ) .

ثم قال مخلصنا لتلاميذه : « وفى ذلك اليوم ستعلمون أنى فى أبى ، وأنكم أنتم فى وأنا فيكم » ، أى أنه فى اليوم الذى يروونه فيه بعد قيامته من بين الأموات وقد استردَّ الحياة ، ثم يرون قوته وقدرته حية فيهم بعد صعوده إلى السماء حياً إلى الأبد ، كما هو حى منذ الأزل ، سيعلمون عندئذ ويؤمنون إيماناً كاملاً وعميقاً بأن معلمهم هذا الذى كان قائماً بينهم بالجسد هو المسيح ابن الله الذى كانوا ينتظرونه مع سائر اليهود ، وأنه متحد بأبيه السماوى فى كيانه وقوته وقدرته وسائر كمالاته الإلهية التى لمسوها فى شخصيته السامية وفى تعاليمه السماوية ، ومعجزاته التى صنعها أمامهم ، والتى لا يمكن أن يصنعها إلا الله وحده ، وسيعلمون ويؤمنون كذلك بأنه مادام قد ظل بعد ارتفاعه عنهم قائماً بقوته وقدرته بينهم وحياً فيهم ، فلنهم هم ايضا أحياء به وفيه .

١٤ : ٢١ - ٢٦

وبعد ذلك عاد مخلصنا يكرّر وصيته العظمى لتلاميذه ، تلك الوصية التى هى روح العقيدة المسيحية وأقوى أساس تقوم عليه ، وهى أن يحبه تلاميذه وكل المؤمنين به . وذلك بأن يعرفوا وصاياهم ويحافظوا عليها ويعملوا بها ، إذ قال لهم :

« إن الذي لديه وصاياي وحفظها هو الذي يحبني . والذي يحبني يحبه أبي ، وأنا أيضًا أحبّه وأظهر له ذاتي » ، وإذ كان مخلصنا دائم التردد لهذه الوصية على مسامع تلاميذه لم يستترع انتباههم منها في هذه المرة إلا قوله إنه لا يُظهر ذاته لتلاميذه إلا إذا أحبّوه فعملوا بوصاياها ، واسترعى ذلك القول بالأخص انتباه أحد تلاميذه وهو يهوذا ، أخو يعقوب الذي كان أحد الذين يسميهم الإنجيل « إخوة الرب » (متى ١٣ : ٥٥) والذي كان يُدعى كذلك لبّاس وتداوس (متى ١٠ : ٣) ؛ (مرقص ٣ : ١٨) ، وهو كاتب رسالة القديس يهوذا الواردة في نهاية رسائل الرسل في العهد الجديد من الكتاب المقدّس ، ولتمييزه عن يهوذا الإسخريوطى الخائن قالوا عنه « يهوذا ليس الإسخريوطى » (يوحنا ١٤ : ٢٢) . ومن ثمّ قال لمخلصنا : « يارب ، ماذا حدث حتى إنك مزعج ان تظهر ذاتك لنا نحن . وليس للعالم ؟ » . ويدلّ هذا السؤال على أن تلاميذ مخلصنا ، ومنهم هذا التلميذ ، كانوا لا يزالون يعتقدون أن المسيح سيقم مملكة أرضية يملك بها العالم كلّه في الأرض وليس في السّماء . ولذلك تساءل هذا التلميذ عمّا إذا كان قد حدث أمر جعل مخلصنا يغيّر تلك الخطة الوهمية التي كانوا يعتقدونها ويعقدون الآمال عليها ، فلا يُظهر ذاته إلا لتلاميذه وحدهم وليس للعالم الذي توهموا أن مملكته الأرضية ستشمله كله ، وتشمل كلّ من فيه من البشر ، وسيكون تلاميذه هم أمراء تلك المملكة ووزراءها والكبراء فيها . ويبدو أنّ مخلصنا قد ساءه هذا السؤال الذي يدلّ على أن تلاميذه مازالوا حتى هذه اللحظة التي يودّعهم فيها ليرتفع إلى السماء متشبّثين بأفكارهم الخاطئة عن حقيقة شخصيته وحقيقة رسالته ، على الرغم من كل ما قرّره لهم وكرّره مرارًا عن حقيقة شخصيته وحقيقة رسالته ومن ثمّ لم يردّ ردًّا مباشرًا عن هذا السؤال ، وإنما واصل الكلام عن الوصية التي كان يردّها على مسامع تلاميذه ، وإن كان شرح هذه الوصية وتوضيحها يتضمّن في ذاته الردّ على هذا السؤال . إذ أجاب

قائلاً: «من يحبني يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه تأتي، وعنده نقيم. ومن لا يحبني لا يحفظ كلامي»، وبذلك تجاهل مخلصنا أوهام تلاميذه وسائر اليهود عن مملكته الأرضية، واستطرد في الكلام عن شروط رضاه، وهو في ملكوته السماوي عن تلاميذه، وهي أن يحفظوا كلامه ويعملوا بوصاياه. وبذلك يبرهنون على حبهم له. وعندئذ يرضى عنهم، ويحبهم هو، ويحبهم أبوه السماوي الذي هو متحد به اتحاداً كاملاً، ويأتي مع أبيه السماوي إليهم بروحه القدس ويقم فيهم إقامة دائمة، فيحيا هو فيهم، ويحيون هم فيه وبه حياة مقدسة ممتلئة بالنعمة والبركة والصلاح والبر والسعادة الروحية السامية، والسلام الداخلي العميق، فلا يفتأون يرونه بأرواحهم ظاهراً لهم لأنه يقيم فيهم ومعهم. وأما الذين لا يحفظون كلامه أو لا يعملون بوصاياه، فإنهم يبرهنون بذلك على أنهم لا يحبونه، فلا يرضى هو عنهم ولا يحبهم ولا يأتيهم ولا يقيم فيهم. ومن ثم لا يرونه ظاهراً لهم، لأنهم بعيدون عنه فهو بعيد عنهم، وبالتالي فإنهم بعيدون عن الله الآب، فهو بعيد عنهم، لأن الكلام الذي يسمعون من مخلصنا ليس كلامه هو وحده، وإنما هو في نفس الوقت كلام الآب السماوي الذي أرسله، والذي هو متحد اتحاداً كاملاً به.

وإذ كان هذا الكلام الذي قاله مخلصنا لتلاميذه كلاماً روحياً سماوياً أعلى وأعمق من أن يستطيعوا فهمه بعقولهم المحدودة البسيطة التي مازالت لا تفهم إلا الجسديات والأرضيات، وعَدَّهم مخلصنا بأنهم لن يلبثوا بعد صعوده عنهم أن يمنحهم الفهم الكامل لذلك الكلام الغامض اليوم عليهم، إذ قال لهم: «وقد قلت لكم هذا وأنا مقيم بينكم، حتى إذا جاء المعزى، وهو الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي سيعلمكم كل شيء، وبذلك تكم بكل ما قلته لكم»، أي أنه أودع لديهم وصاياه وهو لا يزال بالجسد بينهم، لكي يحفظوها

ويحفظوا بها وإن لم يفهموها . ثم بعد أن يرتفع عنهم إلى السماء سيرسل إليهم روح القدس ليحلّ عليهم ويملأهم بالموهب الإلهية التي سيتمكنون بها من أن يتذكروا كلّ كلامه الذي قاله لهم في أثناء وجوده على الأرض معهم ، وأن يفهموا الفهم الكامل كلّ ما لم يكونوا يستطيعون فهمه من ذلك الكلام السماوي السامي على أفهام البشر .

١٤ : ٢٧

وبعد أن أوصى مخلصنا تلاميذه بأن يحفظوا وصاياه ويحفظوا عليها ويعملوا بها ، ليبرهنوا بذلك على حبهم له ، ووعدهم بالمكافأة التي يستحقونها لذلك ، وهي أنه عندئذ سيحبهم كما يحبونه ، وبالتالي يحبهم أبوه السماوي أيضاً ، أعطاهم وعداً آخر لا يقلّ عن ذلك الوعد جلالاً ولا جلالاً ، ولا مجالاً للبهجة والفرح والمجد والفخار ، إذ قال لهم : « سلامي أترك لكم . سلامي أنا أعطيكم . ليس كما يُعطى العالم أعطيكم أنا . لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع » ، فهو إذ يحبهم ويكون فيهم ، ويملأ بالنعمة الإلهية قلوبهم ، سيملأ قلوبهم بشعور آخر سيكونون أحوج ما يكونون إليه فيما سيلاقون - بعد مفارقتهم بالجسد - من المتاعب والمصاعب والمصائب والضيقات والاضطهادات ، وهو شعور السلام الذي سيمحو من قلوبهم كل اضطراب وكل جزع ، وهو أعظم وأعمق وأبقى وأبقى من السلام الدنيوي الذي يعطيه العالم لأبنائه بما يمنحهم من امتيازات جسدية مادية تنحصر في المال والمنصب والجاه وكل المباهج الزائفة الزائلة التي كانوا هم يتطلعون إليها بما يعتقدون عليه من آمال في مملكته التي يتوهمون أنه سيقمها على الأرض ، لأن السلام الذي يتركه لهم هو ويعطيهم إياه في أثناء حياتهم الأرضية سلام روحي سماوي هو نفس السلام الذي تنعم به الأرواح في السماء ، وهو يفوق بغير حدود كل ما يمكن أن يتصوره إنسان أو يتخيّله أو يشتهي أو يأمل فيه

على الأرض . فهُم بذلك السلام الرّوحى السماوىّ ، حين تلاقيم المتاعب يشعرون بالرّاحة . وحين تصادفهم المصاعب يشعرون بالأمان . وحين تصيبهم المصائب يشعرون بالاطمئنان ، وحين تحيط بهم الضيقات يشعرون بالرجاء ، وحين تشتدّ عليهم وطأة الاضطهادات يشعرون بالغزاء ، وحتى حين يسوقهم أعداؤهم إلى الموت بسبب إيمانهم يشعرون بالبهجة والفرح والاستبشار والفخار ، لأنهم عندئذ يدركون أنهم بما بذلوا من الجهد والجهاد قد استحقوا إكليل الاستشهاد وكل أجماد السماء . فياله من سلام سماوىّ ذلك الذى أعطاه إياهم معلّمهم لا يمكن أن ينال نعمته أو يستحق عطيته من أبناء الدنيا إلا الأبرار والأطهار والقديسون والشهداء .

١٤ : ٢٨ و ٢٩

ثم عاد مخلصنا بعد ذلك يشرح ويوضح لتلاميذه تلك الحقيقة التى سبق له أن قررها لهم فأزعجتهم وأربكتهم وحيرتهم ، وهى أنه بعد ساعات قليلة سيذهب عنهم ويتركهم ، وإن كان قد وعدهم بأنه سيعود فيجىء بعد ذلك ثانية إليهم ، فقال لهم كى يعزيهم ويطمئنهم : « قد سمعتم قولى إننى سأذهب ثم أجيء ثانية إليكم ، فلو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بأنى سأذهب إلى أبى . لأن أبى أعظم منى ، وقد قلت لكم ذلك الآن قبل أن يكون ، حتى تؤمنوا متى كان » - وهو بهذا القول إنما يقرّر ويكرّر لهم ماسبق أن صارحهم به مراراً وتكراراً عن حقيقة طبيعته الإلهية التى ظلوا حتى هذه اللحظة لا يفهمونها كل الفهم ولا تستطيع أن ترتفع إليها عقولهم القاصرة القصيرة المدى . لأنه إذ قال إنه سيذهب عنهم ، كان يعنى بذلك أنه سيغادرهم بالجسد فقط بعد أن يتم رسالة الفداء التى جاء من أجلها إلى العالم ، ثم ينطلق بعد ذلك إلى أبى السماوى ، فيختق عنهم بجسد ناسوته ، ولكنه سيعود إليهم بقوة لاهوته . فلو كانوا يحبّونه

حقاً ويدركون هذه الحقيقة العميقة المعنى التي ظل يلقنهم إياها طوال فترة وجوده معهم وتعليمه إياهم ، لكننا وفرحون لأنه سيحقق بذهابه إلى الآب ذلك التعليم الذي لقنّه إياهم ، فيؤمنون بأنه هو حقاً ابن الله الآب . وأنه إن كان سيذهب عنهم فإنما ليذهب إلى أبيه ، لأن مجد لاهوت الآب الذي هو متحد به ومشارك له في مجد لاهوته ، أعظم من تواضع جسد ناسوته الذي ظهر محلّصنا به لهم وللعالم كلّ . ليكفّر في هذا الجسد عن خطاياهم .

وإذ قال محلّصنا لتلاميذه في عبارته السابقة « لأن أبي أعظم مني » استغل أريوس هذه العبارة ، كما يستغلها أتباع مذهب « شهود يهوه » ، الذي يُطلق عليه مذهب « الأريوسية الجديدة » ، في الزعم بأن المسيح ، وهو الابن ، أقلّ من الله الآب ، وبالتالي فهو في زعمهم مخلوق . مع أنه من الواضح أن المسيح له المجد - وقد كان في مجال التهذئة والتعزية لتلاميذه عن مفارقتهم بالصعود إلى السماء - أراد أن يبين لهم أن مفارقتهم لهم خير له ، لأنه بمجيئه إلى العالم قد أدخل ذاته من صورة الرب ، وأخذ شكل العبد ( فيلبي ٢ : ٦ و ٧ ) . فهو بصعوده إلى السماء يستردّ المجد الذي كان له قبل كون العالم ( يوحنا ١٧ : ٥ ) . والذي أدخل ذاته منه عندما تجسّد ولبس صورة الهوان . لذلك يجب أن يفرحوا بعودته إلى السماء لأنهم لا يفرحون ، إن كانوا حقاً يحبونه . والدليل على أن هذا هو المعنى المقصود ، هو قوله « لو كنتم تحبوني لكنتم تفرحون بأنى سأذهب إلى أبي . لأن أبي أعظم مني » ، وإذن فالمقصود هو بيان أن « حالة » الآب في المجد « أعظم » من « حالة » الابن وهو على الأرض ، لأن الابن لبس صورة الهوان بتجسده وصلبه ومالحقه على الأرض من إهانات وشتائم وصفع وضرب وصلب . فالآب « أعظم » من الابن لا في الجوهر ، وإنما في حالة « الهوان » التي قبلها بتجسده . ومثل هذا التعبير مألوف في لغة البشر حين يشار إلى المفارقة بين

شخص وآخر في منصبه أو عمله . فإذا قيل مثلاً إن فلاناً « أعظم » من فلان ، فليس بمعنى أنه يفوقه في طبيعته الإنسانية ، إذ هو « إنسان » مثله في كل ما للإنسان من صفات ، ولكنه أعظم منه « حالةً » . هكذا الأمر بالنسبة لله « الآب » إذ هو أعظم من الله الابن ، لا في جوهر الألوهية ، وإنما في الحالة التي صار إليها المسيح بتجسده .

وقد قال مخلصنا ذلك الذي قاله لتلاميذه مقدماً قبل أن يحدث بالفعل . حتى إذا حدث تحققوا أنه كان صادقاً في كل ما أنبأهم وتنبأ به لهم ، فيرسخ إيمانهم بأنه هو حقاً ابن الله ، وانه هو نفسه الله الظاهر في الجسد . وهذا هو ما حدث بالفعل . فكان إيمانهم الراسخ بمعلمهم هو النور الذي ساروا على هداية في كل سيرتهم وفي كل جهد وجهاد بذلوه حين انطلقوا بعد قيامة معلمهم وصعوده إلى السماء لييسروا به العالم كله عملاً بوصيته الأخيرة حين قال لهم « فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به » ( متى ٢٨ : ٢٠ ) .

١٤ : ٣٠ و٣١

وأخيراً قال مخلصنا لتلاميذه : « لا أقول لكم بعدُ كلاماً كثيراً ، لأن رئيس هذا العالم يأتي ولا يملك شيئاً فيَّ . لكن لكي يعرف العالم أني أحبُّ أبي ، وأنِّي أعمل ما أوصاني به أبي . قوموا ننطلق من هنا » . فقد أعطى مخلصنا تلاميذه كلَّ الوصايا التي يريدون ان يحفظوها ويحافظوا عليها . ولم يعد ثمة مجال للكلام أكثر يقوله لهم ، لأنه لم يعد ثمة مجال للكلام . وإنما حانت ساعة العمل الذي جاء إلى الأرض لينجزه ، وهي أن يموت على الصليب تكفيراً عن خطايا البشر ليفديهم ويحقق خلاصهم ، فيصالحهم مع الله الذي سبق لهم أن خالفوه وتمردوا على وصاياه فاستحقوا الموت بمقتضى العدل الإلهي . ولكنه إذ يموت على الصليب

لا يكون موته بسلطان من الشيطان الذى إذ سيطر بشروره على العالم أصبح رئيس هذا العالم ، وهو ذاته « إبليس » الذى وصف بأنه التنين ، أو الحية القديمة ( الرؤيا ٢٠ : ٢ ) ، والذى أسقط من السماء ، فى حرب بينه وبين ميخائيل رئيس الملائكة ، عندما تمرد ذلك الشيطان على الله الذى خلقه ، فغضب عليه ( الرؤيا ١٢ : ٧ - ١٢ ) ، فصار الشيطان بعد أن نزل إلى الأرض « رئيس هذا العالم » . ولقد كرر المسيح له المجد تليق الشيطان برئيس العالم فى مواضع أخرى ( انظر يوحنا ١٢ : ٣١ ) ؛ ( يوحنا ١٦ : ١١ ) . لن يكون موت مخلصنا بسلطان الشيطان وإن كان رئيس هذا العالم ، وإنما سيكون موت مخلصنا بسلطانه هو ، وبارادته هو ، وبرضائه هو . لأن الشيطان لا يسيطر إلا على الخطاة ، ومن ثمَّ يُودى بهم إلى الموت . وأما مخلصنا - وإن كان وهو ابن الله قد تأنس واتخذ جسد إنسان - فإنه لم يرتكب خطيئة أبدًا تجعل الشيطان يملك عليه أو يملك فيه شيئًا . وقد سبق أن قرّر هو نفسه ذلك إذ قال لليهود « مَنْ يستطيع أن يُثبت على خطيئة ؟ » ( يوحنا ٨ : ٤٦ ) . ففضلاً عن أنه كان هو الإله الكامل ، كان فى نفس الوقت هو الإنسان الكامل . وكان كماله بناسوته يتضمن القداسة والطهارة والعفة والخير والبر وكل الصفات التى تنفى عنه أى صورة من صور الخطيئة ، أو أى ظل لها مهما يكن ضئيلاً . كان كالصفحة البيضاء الناصعة البياض ناصعة كاملة ، أو كان كالثياب التى رآه تلاميذه متجلبًا بها على جبل التجلى ، والتى يصفها الإنجيل فيقول إنها « متألقة ناصعة البياض كالثلج ، حتى ليعجز أى قَصَّار على الأرض عن أن يجعلها فى مثل بياضها » ( مرقس ٩ : ٢ ) . فهو إذن لن يموت على الصليب خضوعًا لإرادة الشيطان الذى يخضع له العالم كله ، وإنما يموت بإرادته هو تنفيذًا لمشيئة أبيه بدافع من حبه له ومن اتحاده به ومشاركته إياه فى مشيئته التى اتجهت إلى خلاص البشر بتلك الوسيلة التى لم يكن هذا الخلاص ممكنًا إلا بها . فهو بلاهوته ارتضى أن



يموت بهذه الوسيلة بمشيئة أبيه التي هي في نفس الوقت مشيئته هو . كما أنه بناسوته ارتضى أن يموت بهذه الوسيلة ، لأنَّ تلك هي وصية أبيه السماوى له ، ولأنه يعمل دائماً بما يوصيه به فكان ذلك برهاناً على اتحاد مشيئة اللاهوت والناسوت في مخلصنا اتحاداً كاملاً .

وإذ كان في تلك اللحظة قد حان الوقت المحدد في الترتيب الإلهى لبدأ مخلصنا السير في طريقه نحو الصليب ، قال لتلاميذه : « قوموا ننطلق من هنا » ، لأنه إذ كان يعلم أنَّ أعداءه من رؤساء اليهود في طريقهم عندئذ إليه ليمسكوه ويصلبوه فيموت على الصليب ، لم ينتظر الموت ليأتى إليه ، وإنما سار هو نحوه بقدميه في شجاعة وشهامة ، وبمحض إرادته ومشيئته ، بل بمقتضى رضاه ومسرته ، ومسرّة أبيه السماوى الذى هو متحد به . وقد سبق أن أعلن أبوه السماوى سروره به لأنه يفعل ذلك ، إذ يقول الإنجيل إنه بعد أن اعتمد مخلصنا من يوحنا المعمدان .. « إذا صوت يحيى من السماء قائلاً : هذا هو ابنى حبيبى الذى به سررت » ( متى ٣ : ١٧ ) ، ( مرقس ١ : ١١ ) ، ( لوقا ٣ : ٢٢ ) . كما يقول إنه في وقت تجليه على الجبل أمام تلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنا .. « إذا سحابة من نور غمرتهم ، وإذا صوت من السحابة يقول : هذا هو ابنى حبيبى الذى به سررت ، فله اسمعوا » ( متى ١٧ : ٥ ) .



## الفصل الخامس عشر

١٥ : ١ - ١١

وبعد ذلك خرج مخلصنا مع تلاميذه من القاعة العليا التي كانت في بيت مرقس الرسول ، والتي أكلَ فيها مخلصنا معهم الفصح ، ثم ناولهم العشاء الرباني ، وساروا تحت جنح الظلام في شوارع أورشليم متجهين إلى بستان جشيماني الذي اعتاد - له المجد - أن يعتزل معهم فيه ، وهو يقع شرق أورشليم فيما وراء وادي قدرون بالقرب من سفح جبل الزيتون . وفيما هم سائرون وأصل مخلصنا كلماته الوداعية ، ووصاياها الأخيرة لتلاميذه ، فقال لهم « أنا هو الكرمة الحقيقية وأبي هو الكرم . كل غصن فيّ لا يأتي بشمر يتزعه ، وكل غصن مثمر ينقيه ليأتي بشمر أكثر . أنتم الآن أنقياء بتأثير الكلام الذي كلمتكم به . اثبتوا فيّ كما أنا أيضا فيكم . فكما أن الغصن لا يمكنه أن يأتي بشمر من ذاته وحده إن لم يثبت في الكرمة ، هكذا أنتم لا يمكنكم أن تأتوا بشمر إن لم تثبتوا فيّ . أنا الكرمة وأنتم الأغصان ، فالذي يثبت فيّ وأنا فيه يأتي بشمر كثير ، لأنكم بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئا . وأما الذي لا يثبت فيّ فيُطرح خارجا كالغصن فيجف ، فيجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق . إن أنتم تثبتون فيّ وثبت كلامي فيكم . تطلبوا ماتشاءون فيكون لكم . بهذا يتمجد أبي أن تأتوا بشمر كثير ، فتكونوا تلاميذي . كما أحبني أبي هكذا أحببتكم أنا فاثبتوا في محبتي . إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي ، كما أنا حفظت وصايا أبي وثبت في محبته . قد كلمتكم بهذا ليكون فرحى فيكم وليكمل فرحكم » .

وقد وصف مخلصنا نفسه بأنه هو الكرمة الحقيقية ، لأن الكرمة هي رمز لكل ما يعطى ثمارًا وفيرة ونافعة لبني البشر. وهي رمز لكل نعمة ولكل بركة يمنحها الله إياهم . بيد أن الكرمة هي نبات أرضي ومادي ، فهي لا تعطى إلا ثمارًا نافعة للجسد الأرضي للمادي للإنسان ، ونعمتها وبركتها مقصورة على حياته الأرضية المادية المؤقتة . وأما مخلصنا فهو الكرمة الحقيقية التي ليست الكرمة النباتية إلا رمزًا لها ، لأنه هو الذي يمنح الثمار والأنعم والبركات السماوية الروحية التي بها يحيا الإنسان حياة سماوية روحية أبدية وخالدة ، لا تموت بموت الجسد ، وإنما يحيا الإنسان بها إلى الأبد . كما أن الذي يغرس الكرمة الأرضية المادية ويرعاها هو الإنسان بجسده الأرضي الفاني . وأما المصدر والراعي للكرمة الروحية التي تمنح كل ثمرة وكل نعمة وكل بركة سماوية روحية فهو الله الآب الأزلي الأبدى نفسه . وكل غصن في الكرمة الحقيقية التي هي المسيح ابن الله لا يأتي بثمر ينزعه الله الآب شأن كل كرام أمين يرعى كرمه . إذ ينزع كل غصن في الكرمة لا يأتي بثمر ، لأنه لا خير فيه ولا جدوى منه ، في حين أنه يأخذ من عصارة الكرمة ما هو أخرى بأن تتغذى به الأغصان الأخرى المثمرة . والمقصود بالأغصان غير المثمرة هنا هم بنو الإنسان الذين يعتبرهم مخلصنا أعضاء في جسده ، كما أن الأغصان هي أعضاء في جسد الكرمة . فالإنسان الذي يبرهن بسلوكه في الحياة - بالرغم من أنه متصل بالمسيح - على أنه لا يستفيد بهذا الاتصال كي يثمر أعمالاً صالحة هي بمثابة الثمار الجيدة في أغصان الكرمة ، ينزعه الله الآب من جسد المسيح ويلقى به بعيدًا باعتباره غصنًا عقيمًا لا خير فيه ولا جدوى منه . والأخرى أن يفسح مكانه لغيره من الناس ذوي الثمار الجيدة والأعمال الصالحة كي يزدادوا جودة وصلاحًا . وكما أن الكرام إذا وجد في كرمته غصنًا مثمرًا ينقيه مما به من شوائب من شأنها أن تنتقص من ثماره ، أو تنتقص من جودة هذه الثمار ، هكذا يفعل الله الآب بكل إنسان ذي ثمار جيدة وأعمال

صالحة . فإنه لا يفتأ يهذبهُ ويؤدِّبهُ ويجرِّبهُ لينتزِعَ مابه مما عساه أن ينتقص من ثماره الجيدة وأعماله الصالحة ، أو ينتقص من جودة تلك الثمار أو صلاح تلك الأعمال ، لأن الله الآب في حكمة تديره للكائنات قد شاءت إرادته أن يطهرها من كلِّ شرٍّ وكلِّ ضعف وكلِّ عقم ، وأن يدفع بها على الدوام في سبيل الخير والطهر والقوة والنماء والازدهار حتى يصل بها آخر الأمر إلى الكمال المطلق الذي هو خليق بماله هو ذاته من كمالٍ مطلق .

وقد قرَّر مخلصنا لتلاميذه أنهم أصبحوا في غير حاجة لأن يقيّم الله الآب ، لأنهم بفعل كلامه الذي كلمهم به وتعليمه لهم وتقويمه لسلوكهم وأفعالهم وأفكارهم - على مدى ثلاث سنوات وستة أشهر - أصبحوا أنقياء ، كما ينبغي أن يكون النقاء . بيد أن عليهم كى يستمرّوا في نقائهم أن يثبتوا فيه ويوثقوا اتصالهم به ، بالقدر الذي وثق هو اتصاله بهم . لأنه كما أن الغصن لا يمكن أن يأتي بثمر من ذاته وحده إن لم يثبت في الكرمة ليستمد منها غذاءه وحياته ليتمكن بذلك أن يثمر ، هكذا هم لا يمكنهم أن يأتوا بثمر جيد وأن يعملوا أعمالاً صالحة تليق بتلاميذ معلّمهم الذي هو مصدر كلِّ صلاح ، إن لم يثبتوا فيه بأن يؤمنوا به إيماناً عميقاً صادقاً ويفنوا ذواتهم فيه بحيث يحيون له وبه وفيه ، عاملين بتعاليمه ووصاياه ، وغير متراجعين أو متضعضين أو ضعفاء في وجه كلِّ عناء أو إغراء ، ومهما كابدوا في سبيل ذلك من عنت أو عسف أو عداء أو اعتداء . لأنه - له الحمد - هو الكرمة الحقيقية مصدر كلِّ خير وكلِّ ثمر وكلِّ نعمة وكلِّ قدرة وكلِّ سلطان . وتلاميذه والمؤمنون به جميعاً هم الأعضاء التي تستمد من الكرمة كلِّ حياتها . لأنهم منه يستمدون الخير والثمر والنعمة والبركة والقدرة والسلطان . فإن ثبتوا فيه ووثقوا اتصالهم به كما وثق هو اتصاله بهم ، فإن شأنهم يكون شأن الأغصان التي تثبت في الكرمة وتتشبث بها فتأتي بثمر كثير ، لأنهم بذلك يثمرون

كل عملٍ صالحٍ وينالون كل تلك العطايا وتكون لهم كل تلك القدرات . وأما بدونها فلا ينالون شيئاً ولا يستطيعون شيئاً . وأما الذي لا يثبت في السيد المسيح ولا يوثق اتصاله به ، وإنما يتعد عنه ويترك نفسه في مهب رياح الأخطاء والخطايا والشهوات والنزوات والشور والآثام ، فإن الله ينزعه بعيداً ويطره خارجاً كالغصن غير المثمر . فتجفّ فيه الحياة كما تجفّ الأغصان المنزوعة من الكرمة . وكما يحدث للأغصان الجافة إذ يطردها الكرام خارج الكرم لتكون وقوداً للنار ، هكذا يطره ملائكة الله في النار ، فيكون مصيره الهلاك الأبديّ خارج ملكوت الله الذي أعدّه للصديقين والأطهار والأبرار .

وقد أعطى محلّصنا تلاميذه وكل المؤمنين به وعداً بأنهم إن ثبتوا فيه وآمنوا به وحفظوا كلامه واحتفظوا بوصاياه وحافظوا عليها وعملوا بمقتضاها بحيث تكون أساساً لحياتهم ونبراساً لهم في كلّ أعمالهم وأقوالهم ، فإنه يستجيب لهم في كل ما يطلبون ، ولو طلبوا المعجزات ، لأنه يمنحهم من سلطانه الإلهي سلطاناً ، ومن قدرته السمائية قدرة ، ومن نعمته اللانهائية زاداً لا ينفى ولا ينضب إلى الأبد . وهم إذ يثبتون في ابن الله ويوثقون اتصالهم به ويحيون فيه وله وبواسطته ، وإذ يأتون نتيجة لذلك بثمر كثير يتمثل في أعمالهم الصالحة لخير أنفسهم ولخير البشرية كلها ، فإنما يظهرون بالمظهر الذي يرضى عنه الله الآب ، ويرضى عنه الناس فيمجدون بسببه الله الآب ، أبا ربنا ومخلصنا يسوع المسيح . وهم بذلك يبرهنون على أنهم حقاً تلاميذ محلّصنا . كما أنهم بذلك يستحقون أن يكونوا بالحق تلاميذه .

وقد رسم له المجد لتلاميذه ولكل المؤمنين به الطريق لأن يكونوا حقاً تلاميذه ، وهو أن يحبّوه وأن يثبتوا في محبته بحيث يحيون فيه كما يحيا هو فيهم ، لأنه كما أحبه أبوه السماويّ حباً يفوق خيال البشر ، إذ هو حب الجوهر الإلهي

لذات جوهره، الكائن فيه والمتحد به اتحادًا يتوحد فيه المحب بالمحبوب ، فيكونان ذاتًا واحدة وكيانًا واحدًا ، هكذا وإلى هذا المدى أحبَّ الفادى تلاميذه حبًّا بلغ من قوته وعمقه أنه جعلهم معه فى اتحاد كامل ، يحيا هو فيهم ويحيون هم فيهم ومعهم وبه وله . فليظلوا إذن كى يستحقوا أن يكونوا تلاميذه ثابتين فى محبته . وذلك بأن يحفظوا وصاياهم ويعملوا بها ، مثلما حفظ هو وصايا أبيه السماوى فثبت فى محبته . وقد قرّر له المجد أنه إنما كلمهم بهذا كى يكون فيهم الفرح الذى فيه هو ، ذلك الفرح الروحى السماوى الذى لا يمكن أن تصل إلى مداه أو إلى ذرة منه كل الأفراح الجسدية التى يعرفها أبناء الأرض . لأن ذلك الفرح الروحى هو الفرح الكامل الذى لن تكتمل أفراح التلاميذ والمؤمنين جميعًا إلا به ، إذ أنه هو الفرح الحقيقى الأبدى الذى لا يُعدُّ الفرح الأرضى بالنسبة إليه إلا فرحًا زائفًا زائلًا سرعان ما يتلاشى ويختفى كأنه السحاب أو السراب .

١٥ : ١٢ - ١٧

وواصل مخلصنا وصاياهم لتلاميذه قائلاً : « هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم أنا . ما من حبٍّ أعظم من أن يبذل أحد نفسه عن أحبائه ، وأنتم تكونون أحبائي إن عملتم بما أوصيكم به . لا أدعوكم عبيدًا بعد ، لأنَّ العبد لا يعلم بما يعمل سيده وأما أنتم فقد دعوتكم أحبباءً لأننى عرفتكم بكل ما سمعته من أبى . لستم أنتم الذين اخترتمونى . وإنما أنا الذى اخترتكم وعييتكم لتنتلقوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم ، كى يعطيكم الآب كل ما تطلبونه باسمى . بهذا أوصيكم : أن تحبوا بعضكم بعضًا »

فقد عدَّ مخلصنا أن أول وأهم وأعظم وصية يتركها لتلاميذه قبل أن يغادرهم منطلقًا إلى السماء هى وصية المحبة . تلك الوصية التى هى جوهر الديانة المسيحية

كلها ، بل إنها هي الأساس الذى تقوم عليه الخليقة كلها وتسعد وتأمين من كل شر وكل فساد ، وبدونها تنهار تلك الخليقة وتشتق وتقع فى براثن الشرور والآثام ، وتغدو فريسة الهلاك والانحلال والعدم . ومن ثم أوصاهم بأن يحبوا بعضهم بعضا ، وأوصى البشر جميعاً من خلّاهم ومن بعدهم إلى آخر الزمان أن يحبوا بعضهم بعضاً ، كما أحبهم هو ذلك الحب الكامل الذى ليس لكماله حدود وليس لمداها نهاية وليس بعده غاية ، وليس لعظمته شبيه ولا مثيل يمكن أن يخطر بالبال أو يصل إليه أى تفكير أو شعور أو خيال ، لأنه الحب الذى يصل إلى الحد الذى يضحى من أجله المحب نفسه فى سبيل محبوبه ، ويموت فداء عنه . كما تنبأ هو بأنه سيفعل . وكما فعل بالفعل بعد ساعات قليلة ، إذ بذل نفسه على الصليب فداء عن البشر وتكفيراً عن خطاياهم لينالوا به الخلاص من الهلاك المحكوم به من العدالة الإلهية عليهم بسبب شرورهم وآثامهم . فإن عمل تلاميذه وكل المؤمنين به بوصيته تلك وأحبوا بعضهم بعضاً كما أحبهم هو ، برهنوا بذلك على أنهم أحبّاءه ، إذ يبادلونه حباً بحب ، وبدلاً ببذل ، وتضحية بتضحية . وقد دعاهم أحبّاءه وهم البشر المتواضعون الضعفاء وهو الإله العظيم القوى الذى لا نهاية لعظمته وقوته ، والذى يملأ بعظمته وقوته الكون كله والخليقة كلها . فلم يعودوا كما كانوا من قبل عبيداً يستعبدهم الشيطان ومن ثم يستعبدهم الشر الذى يتّصف به الشيطان ، بل لم يعودوا عبيداً لله نفسه الذى كانوا من قبل يعتقدون أنه إله قاسٍ عليهم ، فكانوا لا يعبدونه إلا اتقاءً لقسوته وإنما أصبحوا بالفداء الذى صنعه المسيح لهم أبناء له وأحبّاء له ، يتجهون إليه إذ يعبدونه اتجاه الأبناء إلى أبيهم ، ويحبّونه حب الأحبّاء لحبيهم . وبإله من فارق عظيم وشاسع بين العبد لسيدّه ، وبين الابن لأبيه والمحبّ لحبيبه . فالعبد لا يعلم بما يعمل سنده ، لأن سيده يخفى عنه تفكيره وتدييره ويطلب منه أن يأتمر بأمره فى طاعة عمياء دون فهم أو استفهام ، كما تأتمر الدابة بأمر قائدها فى سكون ومسكنة واستسلام . وأما

الابن الحبيب إلى أبيه فإن أباه لا يأمره بأمر أو ينهاه عن أمر إلا وهو يصارحه ويوضح له الحكمة فيما يأمره به أو ينهاه عنه ، بدافع من محبته له ، ورغبته في كل ما فيه مصلحته وخيره وسلامه وسلامته . وقد فَعَلَ مَخْلَصَنَا له المجد ذلك مع تلاميذه . فلم يعد يدعوهم عبيدًا وإنما دعاهمُ أحبَّاءَ لأنه صارحهم وأوضح لهم كلَّ التدابير التي سمعها من أبيه السماويّ ، والتي هي في نفس الوقت تدابيره هو ، لأنه هو ابن الآب ، ولأنه قائم في حضنه منذ الأزل وإلى الأبد ، وهو في وحدة كاملة معه . فتدابير الله الآب هي في نفس الوقت تدابيره هو ، وتدابيره هو هي في نفس الوقت تدابير الله الآب . وقد أفضى بتلك التدابير الإلهية إلى تلاميذه وإلى كلِّ الذين آمنوا به ، كما أفضى بها عن طريقهم إلى كل الذين سيؤمنون به حتى آخر الزمان ، باعتبارهم أبناءه وأحباءه . ومَخْلَصَنَا له المجد هو الذي اختار تلاميذه من بين كلِّ اليهود ، لأنه وجد فيهم الأرض الطيبة التي يغرس فيها بذور تعاليمه فتنمو وتأتي بشمر . ولم يكونوا هم الذين اختاروه ، لأنهم لم يكونوا يعرفون حقيقة شخصيته قبل أن يعلنها لهم . كما أنه هو الذي يختار كل الذين يعلم أنهم أرض طيبة لغراسه في كل مكان وزمان ، ليؤمنوا به وينضموا إلى صفوف تلاميذه ، لأنهم بدون اختياره لهم وإضاءته لقلوبهم ، وإزالته للغشاوة المادية الأرضية التي تنسدل على أبصارهم وبصائرهم ، لا يمكنهم أن يتساموا إلى إدراك عظمة مجد لاهوته التي يحجبها عن عيونهم وعقولهم تواضع جسّد ناسوته . وهو إذ اختار تلاميذه ، وإذ يختار من بعدهم كل الذين يؤمنون به من البشر في كل أقطار الأرض وعلى مدى الدهور ، قد حدّد لهم رسالة يؤدونها ، وهي أن ينطلقوا ليفتحوا باب الإيمان لكلِّ الذين لم تبلغهم بعد دعوة الإيمان ، وليأخذوا بيد كل الذين بلغتهم دعوة الإيمان فلم يفهموها كى يفهموها ، وكل الذين لم يقبلوها كى يقبلوها ، وكل الناكرين والمكابرين وذوى العقول المظلمة والقلوب الغليظة ، كى يكفّوا عن نكراتهم ، ويتوقفوا عن مكابرتهم ، ويفتحوا على النور



عقولهم ، ويغمروا بفيض الإيمان قلوبهم . وبذلك يسقى تلاميذ المسيح والمؤمنون به شجرة البشرية المجدبة غير ذات الثمر فثمر ويتكاثر ثمرها ، كما ثمر تلك الشجرة ويتكاثر ثمرها بأعمالهم الصالحة التي هي في ذاتها ثمرة التعاليم والوصايا التي تلقوها من معلمهم الصالح وفاديتهم الحبيب ، ولا سيما تلك الوصية العظمى التي يوصيهم بها الآن ، وهي أن يحبوا بعضهم بعضاً ، حتى إذا أتوا بتلك الثمار وتكاثرت ودام تكاثرها فلم تجف أو تناقص أو تنضب أو ترضى عنهم الله الآب ، كما يرضى عنهم الابن الذي هو في كيان واحد مع الآب . فكل ما يطلبونه من الآب باسم الابن ، ينالونه مكافأة لهم واعترافاً بينوتهم له وحبهم إياه ، وبأبوتهم لهم وحبهم إياهم . وإذا كانت وصية مخلصنا لتلاميذه ولكل المؤمنين به بأن يحبوا بعضهم بعضاً هي الوصية الأعظم والأهم بين كل الوصايا ، وهي التي ينطوي تحتها كل ما عداها من الوصايا الأخرى ، قد كررها مخلصنا ، مؤكداً لها ، مشدداً عليها ، مردداً ما تنطوي عليه من عظمة وأهمية ، إذ قال لهم : « بهذا أوصيكم : أن تحبوا بعضهم بعضاً » . لأن أصدق وأعمق وصف لله هو القائل إن « الله محبة »

١٥ : ١٨ - ٢٧

وإذا كان مخلصنا سيغادر تلاميذه بعد لحظات قليلة ، إذ يقبض اليهود عليه ويقتلونه ، شاءت رحمته أن يشجع تلاميذه كي يتحملوا ما سيتعرضون له من شدايد وضيقات فقال لهم « إن كان العالم يبغضكم ، فاعلموا أنه أبغضني قبل أن يبغضكم . لو كنتم من العالم ، لكان العالم يحب الذين منه ، ولكن لأنكم لستم من العالم ، وإنما أنا اخترتكم من العالم ، فلذلك يبغضكم العالم . تذكروا الكلام الذي كلمتكم به ، إذ قلت لكم إنه ليس خادماً أعظم من سيده . فإن

كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم أنتم أيضًا . وإن كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم . ولكنهم سيفعلون بكم هذا كله بسبب اسمي ، لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى . لو لم أكن قد جئت وكلمتهم ، لما كانت لهم خطيئة ، وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيئتهم . إن الذى يبغضنى يبغض أبى أيضًا . لو لم أكن قد صنعت بينهم أعمالاً لم يصنعها أحد غيرى ، لما كانت لهم خطيئة . وأما الآن فقد رأونى وأبغضونى أنا وأبى . ولكن هذا قد كان ليتّم المكتوب فى شريعتهم أنهم أبغضونى بلا سبب . ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند أبى ، روح الحق المنبثق من الآب . فهو يشهد لى . وأنتم أيضًا ستشهدون لى ، لأنكم معى منذ الابتداء . » .

فقادينا راقفة ورحمة بتلاميذه أراد أن يخفف عنهم هول ما سيعانونه ويكابدونهم من اليهود ، فقرر لهم أن هذا الذى سيعانونه ويكابدونهم لن يكون مقصوداً عليهم وحدهم ، وإنما سيعانيه ويكابده هو نفسه قبلهم . لأن اليهود الذين هم من أبناء العالم الذى استولى عليه الشيطان وفرض عليه سيطرته وملاه بشروه ، قد أبغضوا محلّصنا قبل أن يبغضوا تلاميذه وما أبغضوا تلاميذه إلا لأنهم أبغضوه هو . وإذا كان هو باختياره لهم وتعليمه إياهم قد أخرجهم من زمرة الأشرار الذين فى العالم ، ورفعهم ليكونوا من أبناء السماء ، فقد أبغضهم أولئك الأشرار الذين فى العالم ، لأن الأشرار لا يحبون إلا الأشرار الذين من جنسهم . أما وقد أصبح تلاميذ المسيح والمؤمنون به - بفعل تعاليمه - غرباء عن هذا العالم الشرير ، ولم يعودوا من أهله ، وإن كان المسيح قد اختارهم من العالم ، فقد أصبح العالم يبغضهم لأنهم بصلاحهم انفصلوا عن شرّه وأشراره . والشر دائماً يفرغ من الخير . والأشرار دائماً يتعدون عن الأخيار ويتجنبونهم ويحقدون عليهم ويعملون على هلاكهم والتخلّص منهم ، لأنهم بما هم عليه من

الخير والصلاح يفضحونهم أمام غيرهم وأمام أنفسهم ، كما يفضح النور خفافيش الظلام . فالخفافيش لا تفتأ تبغض النور وتهرب فزعة منه ومبتعدة عنه .

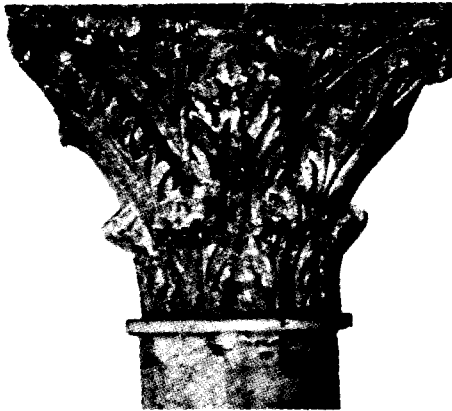
ثم ساق مخلصنا حجة أخرى يخفف بها عن تلاميذه وقع الآلام التي ستعرضون لها بعد رحيله بالجسد عنهم ، إذ ذكّرهم بالكلام الذي سبق له أن كلمهم به حين قال لهم « إنه ليس خادماً أعظم من سيده » . وقد كان يعنى بذلك أنه باعتباره إلههم هو سيدهم ، وأنهم خُدّامه الذين يخدمون شخصه الإلهي ويخدمون رسالته السماوية هم وكلّ الذين يتسلّمون منهم هذه الرسالة على مدى الأجيال إلى انتهاء العالم . فإن كان اليهود الذين في العالم قد اضطهدوه وهو سيدهم ، فكم بالأحرى سيضطهدونهم هم خُدّامه . وإن كانوا لم يحفظوا كلامه وهو إلههم ، فكم بالأحرى لن يحفظوا كلامهم . فليكن في هذا عزاء لتلاميذه ولكلّ المؤمنين به ، لأنهم لأن لم يحفظوا كلامهم ، لأنهم لم يحفظوا كلام إلههم قبلهم . ولئن أبغضوهم قد أبغضوا سيدهم قبلهم . ولئن طردوهم واضطهدوهم وساقوهم إلى المحاكم والسجون ، وساموهم كلّ ألوان التنكيل والتعذيب والقتل بأبشع الوسائل وأشنع الأساليب ، فليكن عزاؤهم أن هذا كله سيحدث لهم بسبب اسم معلّمهم وربّهم وإلههم وحبيبهم يسوع المسيح الذي سيحملون اسمه فيلقبون بالمسيحيين . واليهود إذ يفعلون بهم هذا كله ، إنما يفعلونه لأنهم لا يعلمون حقيقة شخصية المسيح ابن الله ، ولا يعرفون أباه السماويّ الذي أرسله . وهم لا يعرفون أباه على الرغم من أنه صارحهم بأنه هو المسيح . فلو لم يكن صارحهم بهذا لكان لهم العذر في جهلهم ، ولما كانت لهم خطيئة يُحاسبون عليها . أما وقد فعل ذلك فلا عذر لهم في خطيئتهم ، لأنهم أبغضوه على الرغم من مصارحته لهم بأنه هو ابن الله ، ومن ثمّ أبغضوا أباه أيضاً الذي يزعمون أنه إلههم ، لأن الذي يبغض الابن يبغض الآب أيضاً . ولم تكن مصارحته لهم بأنه

ابن الله بغير دليل حتى يكون لهم العذر في إنكارهم له ، وإنما صنع بينهم - كى  
يثبت لهم هذه الحقيقة - أعمالاً لم يصنعها أحد غيره قط من البشر . لأنها أعمال  
لا يستطيع أن يصنعها إلا الله الواحد وحده . فلو لم يقدم لهم هذا الدليل ، ولو لم  
يصنع بينهم هذه الأعمال لما كانت لهم خطيئة ، ولكنهم رأوا بأعينهم كل أعماله  
تلك ومع ذلك أنكروه وأبغضوه وأبغضوا أباه أيضاً بغير سبب ولا جريمة أتاها  
ولا جريمة ارتكباها . ومن ثمَّ علَّق مخلصنا على ذلك قائلاً « ولكن هذا قد كان  
ليتم المكتوب في شريعتهم أنهم أبغضوني بلا سبب » ، مشيراً بذلك إلى ما جاء في  
سفر المزامير أحد أسفار الكتاب المقدس الذى يحتوى على شريعة اليهود ، إذ  
يقول بروح النبوة على لسان السيد المسيح « يبغضونى بلا سبب » ( المزمور  
٣٤ : ١٩ ) ؛ ( ٦٨ : ٤ ) .

بيد أن مخلصنا يعزى تلاميذه بعد ذلك ويقوى إيمانهم به ، مقررًا لهم أنه مهما  
أبغضه اليهود ومها أنكروا حقيقة شخصيته بوصفه المسيح ابن الله مخلص العالم ،  
فلا ينبغي أن يضعفوا هم أو يتزعزعا ، لأنه متى جاء المعزى - وهو الروح  
القدس الذى سيرسله هو إلى التلاميذ من عند أبيه السماوى ، روح الحق المنبثق  
من الآب انبثاق الحرارة من النور ، وهو فى وحدة كاملة وجوهر واحد مع الآب  
والابن - فهو يشهد له على رؤوس الأشهاد بأنه هو ابن الله الأزلى الأبدى الذى  
تجسّد وتأنس ومات عن البشر ، تكفيراً عن خطاياهم لينالوا به الخلاص والحياة  
الأبدية . كما قرّر مخلصنا لتلاميذه أنهم هم انفسهم سيشهدون هذه الشهادة  
نفسها له ، لأنهم كانوا معه منذ الابتداء ، وعرفوا منه هذه الحقيقة وآمنوا بها  
وبه ، ولسوف يسمع العالم شهادتهم تلك فيؤمن بابن الله ، ولا يستطيع أحد أن  
يتزع ذلك الإيمان منه على مدى الدهور وإلى اليوم الأخير .

وبينا وصف الكتاب المقدس السيد المسيح بأنه « ابن الله » . قال السيد

المسيح عن الروح القدس إنه «روح الحق المنبثق من الآب». وتعبر «الانبثاق» تعبير فريد لم يُنسب في الكتب المقدسة إلا إلى الروح القدس. والفرق بين الانبثاق والولادة يُحسّ ولا يُدرك. ولعلّ أنسب تشبيه يمكن أن يقرب معنى الانبثاق والولادة، والفارق الدقيق بينهما هو الشمس التي «تتولد» منها النور، و«تنبثق» منها الحرارة. فالشمس هي الأصل ومنها تتولد أشعة النور أو الضوء، ومنها أيضاً تنبثق أو تنبعث الحرارة أو الدّفء. على أن الولادة أو الانبثاق لا يترتب على أيّ منها افتراق أو اختلاف أو تخلف في الزمن، فليس نور الشمس متخلفاً في الزمن عن الشمس مع أنها مصدر النور، لأنه منذ أن كانت الشمس شمساً، يصدر منها النور، ولم تأت لحظة في الزمن كانت الشمس ولم يكن لها ضوء يصدر عنها. فالنور كائن معها منذ وجودها. وكذلك الحرارة مع الشمس منذ وجودها، فلم تأت لحظة في الزمن كانت الشمس ولم تكن لها حرارة. فالحرارة كائنة معها منذ وجودها.



## الفصل السادس عشر

١٦ : ١ - ١١

واستطرد مخلصنا يتنبأ لتلاميذه بما سيعانونه من آلام وضيقات بعد رحيله بالجسد عنهم ، ويشجعهم على احتمال كل ما يأتي عليهم بسبب إيمانهم به ، فقال لهم : « قد كلمتكم بهذا لئلا تصطدموا بما يعثركم ، فإنهم سيخرجونكم من الجوامع . بل ستأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم ذبيحة لله . وهم سيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفوني . وما قلت لكم هذا إلا لتذكروا متى جاءت الساعة أنني قلته لكم . ولم أقله لكم منذ الابتداء لأنني كنت معكم . أما الآن فلأنني ماضٍ إلى الذي أرسلني ، ولا يسألني أحد منكم إلى أين تمضي ؟ . ولكنكم إذ قلت لكم هذا ملأ الحزن قلوبكم . إلا أنني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق . لأنني إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى . أما إذا مضيت فلأنني أرسله إليكم . ومتى جاء هذا فسيوبخ العالم على الخطيئة وعلى البرّ وعلى الدينونة . أما على الخطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي . وأما على البرّ فلأنني منطلق إلى أبي فلا تروني بعد . وأما على الدينونة ، فلأن رئيس هذا العالم قد أُدين . »

وفي هذه العبارات الرقيقة المعزية صرح مخلصنا لتلاميذه بأنه قد أنبأهم بما سيتعرض له هو من إهانة وتعذيب وتنكيل يصل إلى حدّ القتل ، وبما سيتعرضون له همّ أيضًا من هذه الأوجاع كلّها ، لئلا تفاجئهم تلك الأحداث القاسية العنيفة فتصدمهم وتبعث اليأس في قلوبهم فيكون في ذلك إعتار لهم يقضى على

إيمانهم به وبكل تعاليمه ووصاياه . وقد صارحهم بأن اليهود سيخرجونهم من الجامع ، أى يعتبرونهم منبوذين من المجتمع كله ومحرومين من أداء الصلاة في بيوت الله ، وكانت تلك هى أقسى عقوبة يتعرض لها اليهودى . كما صارحهم بأنه ستأتى ساعة يعتبرهم اليهود فيها كافرين بالله ومجذفين عليه حتى إن كل من يقتلهم يظن أنه يقدم بذلك ذبيحة لله ، كوسيلة لنيل رضاه بالانتقام من أعدائه الكافرين به والمجذفين عليه . وهم يفعلون ذلك لأنهم قد عميت أبصارهم وبصائرهم فلم يعرفوا الله الآب ولم يعرفوا الله الابن . فلو أنهم عرفوا أنّ محلّصنا هو المسيح ابن الله الذى ينتظرونه لكانوا قد آمنوا به ولم يفعلوا ما فعلوه معه . وإذا لم يعرفوا ابن الله فهذا دليل على أنّ قلوبهم قد طمست فلم يعودوا يعرفون الله الآب نفسه الذى يتظاهرون بعبادته ويعتبرون أنفسهم شعبه المختار .

وقد قرّر محلّصنا لتلاميذه أنه ما قال لهم هذا إلا ليتذكروا حين تقع الأحداث التى تنبأ لهم بها فى الساعة المحددة لوقوعها أنه قال لهم ذلك قبل أن يحدث فلا يرتاعوا أو يرتعبوا لأن ذلك كله إنما هو مقرّر فى التدبير الإلهى . فليتلقوا كل ما يأتى عليه هو أو عليهم هم أنفسهم فى صبر وإيمان بأن هذه هى مشيئة الله الذى لا يشاء إلا كل خير وكل برّ وكل صلاح للبشر . كما قرّر أنه لم يقل لهم ذلك منذ الابتداء لأنه كان معهم ، وكان هو الذى يشجعهم حين يخافون ، ويقوّمهم حين يضعفون ، ويخفف عنهم كلّ ضيق حين يتضايقون . وأما الآن وقد أزفت ساعة رحيله بالجسد عنهم وارتفاعه إلى أبيه السماوى الذى أرسله إلى العالم لإتمام هذا الفداء المجيد ، فلا ينبغى أن يشعروا أنهم يتامى بدونه وأنهم لم يعد لهم من يشجعهم أو يقوّمهم أو يخفف الضيقات عنهم ، لأنه سبق فصارحهم بما سيأتى عليهم وعمل مقدّمًا على انتزاع الخوف والضعف والضيق من قلوبهم ، بدافع من حبه لهم ورحمته بهم وإشفاقه عليهم وحرصه على تثبيت إيمانهم . فلا يفزعوا



« أنا هو الراعى الصالح » ( يوحنا ١٠ : ١١ )



أو يتضعضوا أو يتراجعوا عن ذلك الإيمان الذي غرسه فيهم وأسسه في أعماق  
كيانهم ووجدانهم . أما حين كان معهم منذ الابتداء ، فلم يكن ثمة حاجة لأن  
يقول ما قاله لهم الآن ، لأنه كان بحضوره معهم هو حاميمهم من كل سوء  
ومقورهم في كل ضعف ومشجعهم على احتمال كل ضيق ومنقدهم حين يدهمهم  
أى خطر . فكان في حضوره بالجسد معهم ما يشعرهم بالأمن والأمان  
والاطمئنان ، وما يملأ قلوبهم بالثقة واليقين والإيمان . ولكنه كان في تلك الساعة  
يوشك أن يمضى إلى أبيه السماوى الذى أرسله لإتمام عمل الفداء الذى دبّرتَه  
الرحمة الإلهية لخلاص البشر . وهنا طلب مخلصنا إلى تلاميذه الأيسأله أحد منهم  
إلى أين يمضى ، لأنهم لم يكونوا حتى تلك الساعة يستطيعون أن يفهموا ذلك  
السّر الإلهى الذى ينطوى على عودته إلى أبيه السماوى ، مع أنه وهو فى الجسد  
كان معه وظل معه وسيظل معه فى كيان واحد وكيونة واحدة منذ الأزل وإلى  
الأبد . وإن كان تلاميذه سيفهمون فيما بعد هذا السّر كلّ الفهم حين يحلّ الروح  
القدس عليهم ويفتح عقولهم وقلوبهم ليدركوا كلّ أمر كان مجهولاً لهم أو غامضاً  
عليهم أو عسير الفهم بالنسبة إليهم . بيد أنّ مخلصنا حين قال لهم إنه سيمضى  
عنهم ملاً الحزن قلوبهم ، ومن ثمّ طفق يخفف وطأة هذا الحزن عليهم ، إذ قرّر  
لهم أنه خير لهم أن ينطلق ، لأنه إن لم ينطلق لا يأتهم ذلك الروح القدس المعزى  
الذى سبق أن وعدهم بأنه سيرسله إليهم بعد رحيله بالجسد عنهم ليقورهم ويدافع  
عنهم ويقف إلى جوارهم فى كلّ محنة يتعرضون لها ويدكرهم بكلّ ما قاله مخلصنا  
من قبل لهم ، ليتخذوا من أقواله زاداً لهم ودستوراً يسيرون على هداة فى كل  
أقوالهم وأعمالهم وفى أداء الرسالة التى كلفهم بأن يؤدوها لتبشير العالم به وجذب  
النفوس إلى حظيرة الإيمان بشخصه الإلهى وتعاليمه السماوية ، لأنه إن لم ينطلق  
ماضياً بالجسد عنهم لا يأتهم ذلك المعزى . أما إذا مضى فإنه يرسله إليهم . ومتى  
جاء هذا فسويؤبّخ العالم على الخطيئة وعلى البرّ وعلى الدينونة . أما على الخطيئة

فلأن أهل هذا العالم لم يؤمنوا بالمسيح الذى ما جاء متخذاً جسداً لإنسان مثلهم إلا ليبدل نفسه فداء عنهم كى يخلصهم من حكم الهلاك الأبدى الذى أصدرته العدالة الإلهية عليهم بسبب شرورهم . بل إنهم لم يكتفوا بعدم الإيمان به ، وإنما قتلوه معلقين إياه على خشبة العار ، كأنه مجرم أثيم ، بل أشنع الناس إجراماً وأبشعهم إثماً ، على الرغم من كل ما أذى إليهم من خير وأسدى إليهم من فضل ، وتجلّى به بينهم من فضيلة . وأما أن الروح القدس المعزى سيويخ العالم على البرّ ، وهو العدل وإعطاء كلّ ذى حق حقه ، فلأن مخلصنا قبل أن ينطلق إلى أبيه السماوى ويخفى عن أبصار أهل هذا العالم ظل طوال وجوده بينهم يوصيهم بالبرّ والعدل وإسداء الحقوق إلى أهلها ، ولكنهم مع ذلك ظلوا أشراراً ظالمين ، يأكلون أموال الفقراء والأرامل واليتامى بالباطل دون وازع من عقيدة أو رادع من ضمير . وأما أن الروح سيويخ العالم على الدينونة فلأن رئيس هذا العالم وهو الشيطان الذى كان مسيطراً على نفوس كل الذين فى العالم حاكماً لها متحكماً فيها قد أدين وسقط وفقد بانتصار المسيح عليه كل ما كان له من رياسة وسيطرة وسلطان . وقد سبق لمخلصنا أن قال لتلاميذه « إني رأيت الشيطان ساقطاً من السماء كالبرق » ( لوقا ١٠ : ١٨ ) . كما سبق أن قال لهم « الآن قد وقعت الدينونة على هذا العالم . الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً » ( يوحنا ١٢ : ٣١ ) . ومع ذلك ظل أهل العالم على شرهم ومكرهم وظلمهم وظلام عقولهم وسواد قلوبهم وإثم تفكيرهم وموت ضميرهم . مع أنهم وقد جاءهم المسيح الذى عمل على اقتلاع كل ذلك الذى غرسه الشيطان فيهم ، لم يُعد لهم عذر ولا مبرر للاستمرار فى مفسادهم ومعاصيهم .

ثم قال مخلصنا لتلاميذه « لا يزال عندى كلام كثير لأقوله لكم . ولكنكم

لا تطيقون احتماله الآن . فتي جاء ذلك الذى هو روح الحق ، فهو يرشدكم إلى الحق كله ، لأنه لا يتكلم من عنده ، وإنما يتكلم بما يسمعه . وسيخبركم بأمر آتية . إنه يمجّدنى لأنه يأخذ ممالى ويخبركم . جميع ما هو للآب فهو لى . لذلك قلت لكم إنه يأخذ ممالى ويخبركم » . أى أن محلّصنا لا يزال عنده كلام كثير ليقوله لهم ، يتضمن أسراراً تتعلّق بطبيعته الإلهية ، كما يتضمّن نبوءات عما سيصادفهم بعد رحيله عنهم من متاعب ومصاعب وأوجاع وآلام وقتل وتعذيب ، ولكنه لم يشأ أن يقول لهم ذلك الكلام لأنه كان يعلم أنهم لا يزالون عاجزين عن فهم تلك الأسرار التى كانت فى ذلك الحين تعلو على مداركهم ولا يمكن أن تصل إلى فهمها عقولهم القاصرة ، لأنها تتعلّق بالطبيعة الإلهية ذاتها . كما أنه أشفق عليهم من أن يصارحهم بتلك التجارب القاسية المريرة التى كانوا سيتعرضون لها ، ومن ثمّ حجب كلّ ذلك عنهم ، مقرّراً لهم أنه متى جاء ذلك المعزى الذى حدّثهم عنه ، والذى هو روح الحق ، أى روح القدس ، وهو روح الله الآب نفسه ، الذى سيحلّ عليهم وفيهم بعد ارتفاع محلّصنا عنهم إلى السماء ، فسيرشدكم إلى الحق كله فيما يتعلّق بتلك الأسرار الإلهية السامية ، فيفهمونها عندئذ بوحى وبعون من ذلك الروح الذى سيمثلون به . كما أنه سيمهّد قلوبهم لأن تتحمل تلك التجارب القاسية المريرة التى سيتعرضون لها ، ويقف فى أثنائها إلى جانبهم معزّياً ومقوّياً ومدافعاً ومحامياً يعاضدهم ويساندهم ويلهمهم بما يقولون وما يفعلون ، لأن روح القدس لا يتكلم من عنده هو وحده ، وإنما يتكلم بما يسمعه من الآب والابن ، لأنه متحد بهما فى جوهر واحد وكيان واحد وكيثونة واحدة ، إذ أن ثلاثة الأقانيم الإلهية إله واحد ، هو الله الأزلى الأبدى الذى لا إله إلا هو ، لا شريك له ولا ثانى ولا ثالث له . ومن ثمّ قال محلّصنا لتلاميذه إن روح القدس بصفته هذه سينبئهم بالأمر الذى ستأتى عليهم ، وإذ يملؤهم بمواهبه وتعزياته وتشجيعاته سيحتملون أن يسمعوا منه

ملا يحتملون الآن سماعه من مخلصنا قبل أن يتمجد ويرتفع أمامهم إلى السماء ، فيتوطد إيمانهم به ويتأكد ذلك الإيمان بصفة نهائية قاطعة لا رجعة فيها ولا نكوص عنها . كما أن روح القدس سيمجد مخلصنا لأنه ينقل إليهم فكره ويخبرهم بمشيئته بعد أن يكون مخلصنا قد اختفى عنهم بالجسد . وعندئذ يعلمون مما ينبئهم به روح القدس أن جميع ما هو لله الآب من صفات وقدرات هو في نفس الوقت صفات الابن وقدراته . ولذلك قال مخلصنا لتلاميذه إنه يأخذ مما له ويخبرهم ، أى أن ما يقوله روح القدس لهم هو نفسه ما يقوله مخلصنا لهم ، وكل ما يعطيهم روح القدس من مواهب وقدرات وتعزيات هي نفسها ما يعطيهم مخلصنا من مواهب وقدرات وتعزيات ، لأنها مع الله الآب جوهر واحد ، وكيان واحد ، وإله واحد .

١٦ : ١٦ - ٢٢

ثم قال مخلصنا لتلاميذه : « بعد قليل لا تروننى . ثم بعد قليل أيضًا تروننى ، لأننى منطلق إلى أبى » . وقد كان يعنى أنه بعد لحظات قليلة في تلك الليلة نفسها سيقبض اليهود عليه فلا يعود التلاميذ يرونه . ثم يقتله اليهود على خشبة الصليب . وبعد أيام قليلة لا تتجاوز ثلاثة أيام يقوم من بين الأموات ، فيرونه مرة أخرى في جسد قيامته ، ثم بعد أيام قليلة بعدها لا تتجاوز الأربعين يومًا يغادرهم منطلقًا إلى أبية السماوى ، فلا يعودون يرونه بالجسد ، وإن كان سيظل معهم بقوته وقدرته ، إذ قال لهم قبل صعوده « وهأنذا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهور » ( متى : ٢٨ : ٢٠ ) . بيد أن تلاميذه لم يفهموا ما قاله لهم . لأنه كان إلى ذلك الحين فوق مداركهم ، فقال بعضهم لبعض فيما بينهم : « ما هذا الذى يقوله لنا : بعد قليل لا تروننى ، ثم بعد قليل أيضًا تروننى . ولأننى منطلق إلى أبى ؟ » . ثم قالوا : « ما هو هذا القليل الذى يتكلم عنه ؟ إننا لا ندرى ماذا يقول » .

ولكنهم لم يجسروا على أن يسألوه ما الذى يعنيه بكلامه لهيبته العظيمة ، واحترامهم العظيم له . إلا أن مخلصنا بعلمه الإلهى عَلم أنهم يريدون أن يسألوه ، وإذا كان كل اهتمامه متجهًا إلى تقويتهم وتعزيتهم وتشجيعهم ومواساتهم في تلك اللحظة التي كان يوَدِّعهم فيها ، قال لهم « أَعْن هذا تتساءلون فيما بينكم ، إذ قلت لكم بعد قليل لا ترونى ثم بعد قليل أيضًا ترونى ؟ . الحقُّ الحقُّ أقول لكم إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح . أنتم ستحزنون ولكن حزنكم سيتحوّل إلى فَرَح . فالمرأة وهي تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت . ولكنها متى ولدت الطفل لا تعود تذكر ما كانت فيه من شدّة ، لفرحها بأنها ولدت إنسانًا في العالم . هكذا أنتم الآن محزونون ، ولكنى سأعود فأراكم فتفرح قلوبكم ولن ينزع أحد فرحكم منكم » . وهكذا مهَّد عقولهم وقلوبهم للحدث المفجع الذى سيصيبهم بموته بعد ساعات قليلة والذى لن يملكوا إزاءه إلا أن يبكوا وينوحوا ، في حين أن العالم الشرير الذى يستبدّ به الشيطان ويستعبده يبدى الفرح والبهجة بموته ، مشاركة للشيطان في فرحه وبهجته لذلك الموت الذى يتوهم أن فيه نصرًا له وقهرًا لعدوّه اللدود الذى أعلن الحرب ضدّه وقرر القضاء عليه القضاء الأخير . بيد أن التلاميذ - وإن كانوا سيحزنون - لن يلبث حزنهم أن يتحوّل إلى فَرَح ، فيكون شأنهم في ذلك شأن المرأة الحامل التي تحس أن ساعة ولادتها التي تعانى فيها أشدّ الآلام والأوجاع قد جاءت فتحزن عندئذ وتكتئب وترتعب . ولكنها ما إن تتمّ عملية ولادتها وترى وليدها حتى تنسى كلّ ما كانت فيه من شدّة وآلام وأوجاع . ويذول عنها كلّ ما كانت تشعر به من حزن واكتئاب وارتعاب ، وينقلب هذا الشعور على الفور إلى فرح وبهجة واستبشار وفخار ، لأنها أنجبت للعالم من جوف أحشائها ولحمها وعظمها إنسانًا يزداد به العالم حياة وحيوية وعمرانا . هكذا التلاميذ فإنهم - وإن كانوا سيعتصر الحزن قلوبهم إذ يغيب عنهم معلّمهم وحاميهم وأبوهم وربّهم - لن يلبث أن يعود إليهم فيراهم ويروونه فتفرح عندئذ

قلوبهم ولن يستطيع أحد أن يتزع فرحهم منهم ، لأنه فرح روحى سماوى أبديّ سيغطى على كل ماسيعانونه من أحزان وأوجاع جسدية أرضية مؤقتة لن تلبث أن تزول تاركة لهم الفرح كاملاً غير منقوص ، ونقيّاً لا تشوبه شائبة ، وأبديّاً لا انتهاء له ولا انقضاء ولا زوال إلى الأبد .

١٦ : ٢٣ - ٢٨

وقد وعد مخلصنا تلاميذه بالمكافأة التى سيكافئهم بها عن الآلام والأوجاع والأهوال التى سيتعرضون لها بسبب إيمانهم به وفى سبيل أداء الرسالة التى كلفهم بأدائها إذ قال لهم : « ويومئذ سوف لا تسألوننى عن شىء . الحق الحق أقول لكم إن كل ما تطلبونه من الآب باسمى يعطيكم . إنكم حتى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمى . اطلبوا تناولوا ، ليكون فرحكم كاملاً . قد كلمتكم عن هذا بأمثال ، ولكن تأتى ساعة حين لا أكلمكم بعدُ بأمثال ، وإنما أكلمكم عن الآب صراحة . وفى ذلك اليوم ستطلبون باسمى . ولا أقول لكم إننى سأطلب إلى الآب من أجلكم ، فإن الآب نفسه يحبكم . لأنكم أحببتمونى وآمنتم بأننى من الله الآب خرجت . خرجت من الآب وجئت إلى العالم . ثم أترك العالم وأنطلق إلى الآب » .

أى أن تلاميذ مخلصنا بعد أن يتمجد بقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماء سيلهمهم الروح القدس الإجابة عن كل سؤال يحول بخاطرهم ، فلا يعودون بحاجة إلى أى سؤال ، وإنما يكونون عالمين بكل حقيقة ذكرها مخلصنا لهم ، وفاهمين لها ، ومؤمنين بها . وعندئذ - وقد توطّد علمهم وفهمهم وإيمانهم - لا يطلبون إلى الله الآب باسم الرب يسوع المسيح شيئاً إلاّ أعطاهم الآب كل ما يطلبونه باسم ابنه القدوس . ولئن كانوا حتى تلك اللحظة لم يطلبوا

شيئًا باسمه ، إنهم منذ تلك اللحظة إذا طلبوا شيئًا ينالونه . وبذلك يكتمل فرحهم ، إذ يجنون ثمرة إيمانهم وجهادهم في سبيل ذلك الإيمان . وقد قرّر لهم محلّصنا أنه كلّهم حتى ذلك الحين بأمثال ورموز عن الحقائق الإلهية التي شاء له المجد أن يذكرها لهم ، لأن تلك الحقائق لسموّها عن أفهام البشر سمّو السماء عن الأرض كانت ترتفع كل الارتفاع عن مداركهم البشرية ، فلو أنه ذكرها لهم بعبارات صريحة واضحة فلن يفهموها ، أو قد يسيئون فهمها ، فينقلب الغرض منها إلى نقيض ما هدَفَ إليه من مصارحتهم بها ، ولكن تأتي ساعة - بعد أن يرتفع عنهم ويرسل إليهم الروح القدس ليمتلئوا بمواهبه - لا تعود ثمة حاجة لأن يكلمهم بعدُ بأمثال أو رموز ، وإنما يكلمهم عندئذ عن الآب صراحة ، لأنهم سيكونون قد أدركوا كلّ الإدراك طبيعته الإلهية بوصفه ابن الله الآب المتحد به في جوهر واحد وكيان واحد وكيونة واحدة ، ويكونون قد أدركوا بالتالي مكانة الابن من الآب ، والصلة التي تربطها ، صلة المحبة الكاملة الناجمة عن الوحدة الكاملة والاتحاد الكامل بينهما ، ونتيجة لذلك سيطلبون في ذلك اليوم ما يشاؤون من الآب باسم الابن ، وعندئذ لا تكون ثمة حاجة بالابن إلى أن يطلب من الآب أن يعطيهم ما يطلبون ، لأن الآب نفسه يحبهم لأنهم أحبوا الابن وآمنوا بأنه من الآب خرج ، لا خروجًا يتضمّن الانفصال ، وإنما خروجًا يتضمن الاتصال الأزلي الأبدى الذي يجمع بين الآب والابن في كيان واحد لا يقبل الانفصال أو الانفصام . وبهذا المعنى خرج الابن من الآب ، وجاء إلى العالم متخذًا جسدًا بشريًا لينجز عمل الفداء الذي دبرته الرحمة الإلهية بمشيئة الآب والابن معًا لفداء البشر تكفيرًا عن خطاياهم وإنقاذًا لهم من حكم الهلاك الصادر من العدالة الإلهية عليهم بسبب شرورهم ، حتى إذا أنجز هذا التدبير ترك العالم بالجسد وانطلق إلى الآب الذي هو منه وفيه ولم يفصل عنه لحظة واحدة أو طرفة عين منذ الأزل وإلى الأبد . وذلك سرّ من أسرار الطبيعة الإلهية يفوق مدارك البشر القاصرة ،

وسيظل يفوق مداركهم على مدى الأزمان ، فلا يصل الإنسان إلى كنهه إلا بالبصيرة الروحية النافذة والإيمان العميق النابع من أعماق الوجدان الصالح الصادق الطاهر المتفتح المستنير بفعل مواهب الروح القدس ، الذى هو روح الله نفسه الحكيم الرحيم القدير .

١٦ : ٢٩ - ٣٣

وقد كان لهذه الأقوال التى تحدت بها مخلصنا إلى تلاميذه أثرها الفعال والمباشر والمثمر فى تلاميذه ، فقالوا له « هأنت ذا تتكلم الآن صراحة ، ولا تقول أىّ مَثَل . ونحن الآن نعرف أنك عالم بكل شىء . ولا تحتاج لأن يسألك أحد . لهذا نؤمن بأنك من الله خرجت » . فقد أذهلهم أن يعرف أفكارهم دون أن يفصح بذلك لهم ، وإن كان قد فعل ذلك من قبل كثيراً معهم . ولكن عقولهم البشرية كانت كما هو الشأن مع كلّ العقول البشرية ، أو على الأقل أغلبها ، قاصرة عن أن تفهم المقاصد الإلهية أو أن تدرك الطبيعة الإلهية السمائية بعقول البشر القاصرة المحدودة التى لا يتعدى أثرها أو الغرض منها فهم الحقائق الجسدية الأرضية ، التى لا تعين الإنسان إلا على أن يعيش فوق القشرة الأرضية الضيئلة غاية الضلالة التافهة غاية التفاهة بالنسبة للكون الأعظم الذى لا حدود له ولا ابتداء ولا انتهاء له ، والذى يملؤه الله بكل جزئياته وكنياته بكيانه ، ويديره بقوته ويديره بحكمته . وقد أبهج مخلصنا تلاميذه - وقد أزفت ساعة رحيله بالجسد عنهم - بأنه بدأ يكلمهم بوضوح وبصراحة ليفهموا كلامه فهماً واضحاً صريحاً بعد أن كان يكتفى بالتلميح والرمز والتشبيه وضرب الأمثال لهم ، إذ كانوا لا يزالون أطفالاً فى المعرفة لا يجدى فى تعليمهم إلا وسائل الإيضاح الملموسة المحسوسة التى تتفق مع عقول الأطفال التى لا تزال تخطو خطواتها الأولى فى



المعرفة والفهم والإدراك . وأما الآن فقد رأى معلمهم أنهم نضجوا ولم يعودوا في حاجة في تعليمهم إلى أساليب تعليم الصغار والمبتدئين ، ولا سيما أنهم الآن قد اكتمل إيمانهم ومعرفتهم بأنه عالم بكل شئ ، علماً لا يتّصف به إلا الله الواحد وحده . فهو لا يحتاج إلى أن يسأله أحد أو يستفهم منه أحد عن أى قول يقوله ، لأنه يعلم بما في النفوس وما تخفيه الصدور ، وما تعلق به الأفئدة . ولهذا آمنوا بأنه من الله خرج ، خروج النور من الشمس ، أى أنه متصل بالله الآب اتصال الذات بذاتها ، والجوهر بجوهره ، فهو يعلم العلم الإلهي الذي لا يتصف به إلا الله الواحد وحده .

يد أن مخلصنا على الرغم مما أبدى تلاميذه من حماسة في الإيمان به وبحقيقته الإلهية ، أنبأهم بما سيكون منهم مما لا يتفق مع هذه الحماسة في الإيمان ، إذ أجابهم قائلاً : « أتؤمنون الآن ؟ هو ذاتا تأتي ساعة ، وقد أتت الآن ، تتفرقون فيها كل منكم إلى حيث كان ، وتتركونني وحدي . غير أنني لست وحدي ، لأن أبي معي . قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام . سيكون لكم في العالم ضيق . ولكن اطمئنوا . فقد غلبت أنا العالم » ، أى أنهم - على الرغم مما أبدوا من الإيمان به في تلك اللحظة - لن يلبثوا في اللحظة التالية مباشرة - حين يأتي اليهود ويقبضون عليه - أن يهربوا جميعاً ، ويذهب كل منهم فيختبئ في المكان الذي جاء منه ، ويتركوه وحده ، مما يتناقى مع كل ما أبدوه من إيمان به كان يقتضيه أن يلتقوا في لحظة الضيق حوله ويدافعوا عنه ويفتدوه إذا اقتضى الأمر بأرواحهم ، على قدر حُبهم له وتعلقهم به وإخلاصهم لشخصه الإلهي . وقد كان هذا عتاباً مسبقاً ورقيقاً من مخلصنا يدل على مدى محبته وسماحته وتسامحه ورحمته بضعف البشر . ومع ذلك أكد لهم أنه - وإن تركوه جميعاً - لن يكون وحده أمام طغيان اليهود وحقدهم وكراهيتهم وعداوتهم واعتدائهم ، لأن أباه

الساويّ معه ، بصفة كونه في كيان واحد معه ، فلن يتخلّى الآب عن الابن ، ولن يتخلّى الابن عن الآب ، إذ أنّها كليهما واحد في اتحاد كامل ، هو الله الواحد . وقد قرّر مخلصنا لتلاميذه أنه كلّهم بهذا لكي لا يجزعوا أو يتضعضوا حين يحدث هذا كله ، وإنما تمتلئ قلوبهم به وفيه وبواسطته بالسلام الكامل والطمأنينة الروحية التي هي أسمى درجات السلام الأبديّ . وقد أنبأهم بأنهم سيكون لهم في العالم - بعد مغادرته لهم بالجسد - ضيق وكره وحرب واضطراب وعذاب يبلغ بهم حدّ القتل بأبشع الوسائل وأشنعها ، ولكنه طلب إليهم ان يطمئنوا مهما حدث لهم ومهما عانوا أو كابدوا أو استشهدوا ، لأنه بموته وقيامته من بين الأموات قد غلب العالم ، أي غلب رئيس هذا العالم الذي هو الشيطان ، أصل كلّ شرٍّ ، وعدوّ كل خير ، ومن ثمّ فإنه إذا غلب هو شرور العالم ، فسيغلبونها هم أيضاً ويتغلبون عليها ويقهرونها وينالون المجد الأبديّ والحياة الأبدية .



## الفصل السابع عشر

١٧ : ١ - ٥

تكلّم مخلصنا بهذا لتلاميذه ، ثم رفع عينيه نحو السماء مناجياً أباه السماويّ في صلاة ربّانية رائعة ، تتضح فيها كلّ الوضوح علاقته بالله الآب ، علاقة الابن بأبيه ، ولكنها ليست علاقة الابن البشريّ بأبيه البشريّ ، مهما كانت هذه العلاقة وثيقة وعميقة وتنطوي على الحبّ كلّه والإجلال كلّه والوفاء كلّه ، ولكنها علاقة الابن الإلهيّ بأبيه الإلهيّ الذي هو ذات جوهره ، وجوهر ذاته ، لأنها معاً جوهر واحد متحد في كيان واحد وكيونة واحدة تتسامى جداً على فهم البشر وتتجاوز عقلهم المحدود إلى أقصى الحدود بالنسبة لله الذي لا حدود له ، والذي يملأ الكون كلّه بكلّ كليّاته وجزئياته ، ويديره ويدبره بحكمته التي لا حدّ لعظمتها ، وبقدرته التي لا نهاية لقوتها وفعاليتها ، فلا يمكن إدراك ماهيته والتعالّي إلى كنه طبيعته إلا بإلهام منه هو ذاته ، ذلك الإلهام الذي لا يخصّ به إلا الأنقياء والأنقياء والأطهار والأبرار والقديسين الذين يؤمنون به أصدق الإيمان وأعمق الإيمان ، فيفتح بصرهم وينير بصيرتهم ليروه بعين الروح لا بعين الجسد ، وبشفافية الوجدان لأبى حسّ من الأحاسيس المادية للإنسان .

رفع مخلصنا عينيه نحو السماء وقال : « يَا أَبَتَاهُ ، قد أتت الساعة ، مجدّ ابنك ليمجدك ابنك . كما أنك قد أعطيته سلطاناً على كل جسد كي يعطي الحياة الأبدية لكل الذين أعطيتهم له . وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحق الواحد وحده ، مع يسوع المسيح الذي أرسلته . أنا قد مجدّتك على

الأرض ، والعمل الذى أعطيتنى لأعمل قد اكملته . فالآن مجدنى ياأبتاه عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك من قبل كون العالم . فالآن وقد علم مخلصنا أنه قد أتت الساعة المحددة فى التدبيرالإلهى ليقدم القادى نفسه ذبيحة للعفو عن البشر وخلاصهم من الهلاك الأبدى المحكوم به من العدالة الإلهية عليهم بسبب شرورهم ، طلب - له المجد - من أبيه السماوى أن يساند ناسوته فى تلك المحنة الرهيبة ليجتازها ويخرج منها منتصراً كى يتمجد بذلك لدى الناس لاهوته باعتباره ابن الله ، ومن ثم يتمجد الله الآب لدى الناس فى نفس الوقت بالمجد الذى لابنه ، وبذلك يتمجد الآب بالابن ، كما تمجد الابن بالآب . فقد أعطى الآب للابن - حين عهد إليه بإنجاز عمل الفداء عن البشر - سلطاناً على كل إنسان ذى جسد كى يعطى الابن بانجاز ذلك العمل الحياة الأبدية لكل الذين أعطاهم له من بنى الإنسان ، بدلاً من الهلاك الأبدى الذى كان محكوماً به عليهم . وتمثل هذه الحياة الأبدية فى أن بنى الإنسان - إذ يعرفون مالابن يسوع المسيح من المجد الإلهى بعد أن يموت عنهم ، ثم يقوم بإرادته وسلطان لاهوته من بين الأموات ويصعد إلى السماء - يعرفون بالتالى أن أباه الذى أرسله لهذه الغاية هو الإله الحق الواحد وحده ، لاإله غيره فى الأرض أو فى السماء أو فى أى مكان من الأمكنة أو أى زمان من الأزمنة أو بأى اسم آخر من الأسماء . فالحياة الأبدية إذن هى جزء كل إنسان يؤمن بالله الآب وبالله الابن ، بل إن هذا الإيمان بالآب والابن هو فى ذاته الحياة الأبدية التى هى حتماً نتيجة هذا الايمان . أما وقد مجد الابن أباه على الأرض إذ أكمل العمل الذى أعطاه إياه ليعمله بأن يموت على الصليب فداء عن البشر تكفيراً عن خطاياهم وتمهيداً لمنحهم الحياة الأبدية ، فقد خاطب الابن أباه مناجياً إياه بأنه قد آن الأوان ليعود إلى أحضانه عودة الذات إلى ذاتها بكل المجد الإلهى الذى كان له عنده ومعه من قبل كون العالم ، ذلك المجد الذى كان ويكون وبطل لكنيس

باعتبارهما جوهرًا واحدًا وذاتًا واحدة منذ الأزل وإلى الأبد .

١٧ : ٦ - ١٩

وواصل فادينا مناجاته لأبيه السماوي قائلاً : « قد أظهرتُ اسمك للذين أعطيتهم من العالم . هُم كانوا لك . وقد أعطيتني إياهم فحفظوا كلامك . وقد علموا الآن أن كل ما أعطيتني هو من لدنك ، لأنني أعطيتهم الكلام الذي أعطيتني وقد قبلوه ، وأيقنوا أنني منك خرجت ، وآمنوا بأنك أنت الذي أرسلتني . من أجلهم أنا أطلب . لست أطلب من أجل العالم ، وإنما من أجل هؤلاء الذين أعطيتهم ، لأنهم لك . وجميع ما هو لي فهو لك . وجميع ما هو لك فهو لي . وأنا قد تمجدت فيهم . أنا لست في العالم بعد . وأما هؤلاء فهُم في العالم ، وأنا آتى إليك . يا أبتاه القدوس ، احفظهم في اسمك ، هؤلاء الذين أعطيتهم ، ليكونوا في وحدة كما نحن واحد . حين كنت أنا معهم في العالم كنت احفظهم في اسمك . هؤلاء الذين أعطيتهم حفظهم فلم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ، ليتم قول الكتاب . وأما الآن فإنني آتى إليك . وأنا أتكلّم بهذا في العالم ، ليكون ما بي من فرح كاملاً فيهم . قد أعطيتهم كلامك . فأبغضهم العالم ، لأنهم ليسوا من العالم ، كما أنني أنا لست من العالم . إنني لا أطلب أن تأخذهم من العالم ، وإنما أن تحفظهم من الشرير . هُم ليسوا من العالم كما أنني أنا لست من العالم . قدّ سهم في الحق . والحق هو كلامك . كما أرسلتني إلى العالم ، أرسلتهم أنا أيضًا إلى العالم . ومن أجلهم أقدس أنا ذاتي ، ليكونوا هُم أيضًا مقدّسين في الحق » .

فبعد مناجاة مخلصنا مع أبيه السماوي التي تحدّث فيها عن علاقته هو ابن الله بالله الآب ، وما أنجزه من مهمّة شاءت إرادته هو مع أبيه أن ينجزها في العالم ، بعد أن أنجزها بالفعل ، انتقل إلى مناجاته بشأن أولئك الذين اختارهم مع أبيه

من بين أبناء العالم ليكونوا تلاميذه الذين سيثرون به العالم وينشرون بين  
أبنائه تعاليمه ، قائلاً إنه أظهر اسمه لهم وأفهمهم طبيعته ولقنهم شريعته ، مقررًا أنه  
ما اختارهم إلا لأنهم كانوا أرضاً طيبة ليغرس فيهم تعاليمه عن أبيه السماوي .  
لأنهم كانوا من أبناء الله الصالحين ، ومن ثمّ فلأنهم سرعان ما فهموا كلام الله  
الذي لقنهم لهم وحفظوه وحافظوا عليه وعملوا به . وإذا آمنوا بأن معلّمهم هو ابن  
الله أدركوا أن كل ما نطق به من تعاليم وكل ما صنعه من آيات ومعجزات ، وكل  
ما أعطاهم من تلك التعليمات ، وكل ما وهبهم أن يصنعوه هم أنفسهم من  
الآيات والمعجزات ، إنما هي عطايا وهبات ومقدرات الله الآب نفسه ، وأنها  
كلها من لدنه ، لأنه ما كلمهم إلا بكلام الله الآب نفسه ، فقبلوه وآمنوا  
بصدقه ، لأنهم أيقنوا أنّ معلّمهم هو ابن الله وأنه خرج باعتباره من ذات  
طبيعته وجوهره ، وآمنوا بأنه هو الذي أرسله كما ترسل الشمس أشعتها التي هي  
من صميم كيانها لتثير وتبث الحرارة والحياة . ولذلك فهو يطلب من أجلهم  
المكافأة من أبيه السماويّ ، مبرهناً بذلك على أنه هو نفسه قد وجدهم أهلاً  
للمكافأة ، لأنه هو وأبوه السماوي كيان واحد وذات واحدة . وهو يطلب لهم  
المكافأة ويجدهم هو نفسه في الوقت نفسه أهلاً للمكافأة ، لأنهم آمنوا به  
وبأبيه ، من بين أناس العالم كلّ الذين لم يطلب شيئاً أو يقرّر شيئاً بشأنهم حتى  
هذه اللحظة ، لأن تلاميذه الذين أعطاهم الله الآب له ، قد آمنوا بالله الآب  
فأصبحوا من رعيته . ولأن رعية الآب هم في نفس الوقت رعية الابن ، ورعية  
الابن في نفس الوقت هم رعية الآب ، وكل مالآب فهو لابن ، وكل مالابن  
فهو للآب ، إذ أن الآب والابن إله واحد وكيان واحد وذات واحدة . وإذا آمن  
التلاميذ بالابن فقد تمجّد بذاته الإلهية فيهم ، لا لأنه - له المجد - ازداد مجدًا  
بهم ، وإنما لأن إيمانهم به أبرز مجده الإلهي للعالم وأظهره لكل الذين في العالم ،  
فكان هذا فضلاً لهم يستحقون من أجله المكافأة التي قرر في مناجاته مع أبيه

الساوى أنهم أهل لها وأنهم يستحقونها لديه ولدى أبيه فى نفس الوقت . ولما كان مخلصنا قد أنجز المهمة التى جاء متجسداً ومتأنساً من أجلها إلى العالم وسيصعد بعد قليل إلى أبيه تاركاً هذا العالم . ولما كان تلاميذه لا يزالون فى هذا العالم ومن أناس هذا العالم ، فقد طلب إلى أبيه الساوى القدوس من أجل أولئك التلاميذ الذين أعطاهم إياه وشاركه فى اختيارهم أن يحفظهم فى اسمه ، مؤمنين به ، خادمين له ، لا يرتاعون أو يتزعزعون أو يتراجعون عن ذلك الإيمان أو تلك الخدمة مهما لاقوا فى سبيل ذلك من متاعب ومن مصاعب ومن مصائب ومن آلام ومن أسقام ومن أوجاع ، ليكونوا جميعاً صفاً واحداً ، وإرادة واحدة ، ووحدة كاملة ياحبذا لو كانت تشبه فى تماسكها وصلابتها وقوتها واندماجها الاندماج الذى لا انفصال فيه ولا انفصام ، كأنهم يد واحدة ورجل واحد ، كما أن الآب والابن معاً إله واحد ، فإن مخلصنا حين كان مع تلاميذه فى العالم كان حريصاً كل الحرص على أن يحافظ على توحيد كيانهم وتوطيد إيمانهم وحفظهم فى اسم الله الآب وباسمه ومن أجل اسمه . وبذلك حفظ أولئك الذين أعطاه الله الآب إياهم وحافظ عليهم ، فلم يهلك منهم بفضله أحد إلا ابن الهلاك الذى استحق الهلاك بسبب ضعف إيمانه وتسلب الشر على وجدانه واستسلامه لغواية الشيطان له ، والذى كان مقرراً فى العلم الإلهى أنه بسبب هذا كله سيكون مصيره السقوط والهلاك على الرغم من أن الله وهبه الحرية الكاملة فى تصرفاته فسلك طريق الشر والضلال ، مع أن مخلصنا فتح له طريق الخير والخلاص على مصراعيه . وكان مخلصنا يعنى بابن الهلاك هذا تلميذه يهوذا سمعان الإسخريوطى الذى كان يعلم أنه سيخونه وسيسلمه إلى أعدائه ليقتلوه والذى تنبأ عنه أنبياء العهد القديم ، إذ أهمهم الله بأنه سيفعل ذلك ، إذ يقول داود النبى فى المزمير على لسان السيد المسيح « رجُل سلامتى الذى وثقت به . آكل خبزي رفع على عقبه » ( المزمور ٤٠ : ٩ ) . كما قال عنه « ليقف شيطان عن يمينه .. لم يذكر أن

يصنع رحمة بل طرد إنساناً مسكيناً وفقيراً والمنسحق القلب ليميته . وأحب اللعنة فأنته ، ولم يُسرّ بالبركة فتباعدت عنه . وليس اللعنة مثل ثوبه فدخلت كميّاه في أحشائه » ( الزمور ١٠٨ : ٦ و ١٧ و ١٨ ) . وإذ كانت هذه هي نبوءات الأنبياء عنه قال مخلصنا في ذلك الحديث الوداعي إلى تلاميذه إنه سيهلك « ليم قول الكتاب » .

ومضى مخلصنا بعد ذلك في مناجاته لأبيه السماويّ بشأن تلاميذه قائلاً إنه وقد أزفت الساعة ليأتي منطلقاً إليه ، يتكلّم معه على مسمع منهم وهو ما يزال في العالم ليكون مابه من فرح - إذ أنجز عمل الرحمة الذي من أجله قدم نفسه ذبيحة عن البشر تكفيراً عن خطاياهم - دافعاً لتلاميذه لأن يفرحوا هم أيضاً ، إذ يرون معلّمهم وقد امتلأ فرحاً ، وأن يكون فرحهم هذا كاملاً ، بقدر ما يرون أنّ فرحه هو كامل .

وقد أوضح مخلصنا في مناجاته أنه أعطى تلاميذه كلام أبيه السماويّ ، أي تعاليمه ووصاياه ، التي هي في نفس الوقت تعاليم مخلصنا نفسه ووصاياه ، لأنه مع أبيه في كيان واحد ووحدة واحدة . ولكنّ العالم أبغض التلاميذ لأنهم إذ تحرّروا بتعاليم السيد المسيح من سلطان الشيطان رئيس هذا العالم أصبحوا غرباء عن هذا العالم ، وليسوا من هذا العالم ، كما أنّ معلّمهم ربنا يسوع المسيح ليس من هذا العالم ، لأنه - وإن كان هو الرئيس الحقيقي لهذا العالم - لا يمكن أن ينسب نفسه إلى أي مكان في الوجود يسود فيه الشرّ ويتحكّم فيه الشرّير . فهو إذ كان يملأ الكون بوجوده الإلهي فإنه ينفر من كل شرّ وينبذ كل شرّير ويطرده عنه بعيداً حتى يوم الدينونة الذي يحكم فيه بالهلاك الأبدي على جميع صور الشرّ وكلّ فئات الأشرار . ومخلصنا إذ يقرر أنّ تلاميذه ليسوا من العالم لا يهدف بذلك



إلى أن يأخذهم من العالم كى ينقذهم من شروره ، وإنما أن يعمل على أن يحفظهم من الشرير الذى هو الشيطان رئيس هذا العالم والمسيطر عليه . فكما أن مخلصنا ليس من العالم وليس للشيطان عليه سلطان ، هكذا يريد لتلاميذه الذين هم أيضاً ليسوا من العالم أن يتحرروا وهم لا يزالون فى العالم من سلطان الشيطان الذى يسيطر به على بنى الإنسان . وذلك بأن يتقدسوا فى الحق ، أى أن يؤمنوا بالحق فيصبحوا بذلك قديسين . والحق هو الله ، وهو كلام الله ووصاياه التى لو عملوا بها لامتأوا بالقداسة التى بها يهزمون الشيطان وكلّ قوّاته ومؤامراته ، وينجون من كلّ أحياله وضلالاته ، ويصبحون جديرين بأن يكونوا رسلاً لمخلصنا . لأنه كما أن الله الآب قد أرسل ابنه القدوس إلى العالم كى ينجز المهمة التى دبّرتها الرحمة الإلهية لخلاص أهل العالم ، هكذا أرسل ابنُ الله أيضاً تلاميذه إلى أهل العالم كى يبشروهم بمجىء المخلص الذى وهبهم هذا الخلاص بدمه الزكى الذى سفكه على الصليب تكفيراً عن خطاياهم ، والذى سفكه عنهم باذلاً ذاته من أجلهم وقد قدّسهم به ، ليكونوا هم أيضاً مقدّسين بالله الحق وفى الله الحق الذى شاء بدافع من محبته لهم ورحمته إياهم أن يمنحهم هذا الخلاص من حكم الهلاك الذى كان محكوماً به من العدالة الإلهية عليهم بسبب شرورهم .

١٧ : ٢٠ - ٢٣

ولما كان مخلصنا هو مخلص جميع البشر وأباهم وربهم ، لم يقصر مناجاته مع آبيه السماوى على إسباغ نعمته على تلاميذه وحدهم وإنما قال : «ولست أطلب من أجل هؤلاء فقط ، وإنما أيضاً من أجل أولئك الذين يؤمنون بى بكلامهم ، ليكونوا جميعهم فى وحدة . كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا أيضاً فىك ، ليكونوا هم أيضاً فى وحدة فينا ، كى يؤمن العالم بأنك أنت الذى أرسلتنى . قد أعطيتهم

المجد الذى أعطيتنى ليكونوا فى وحدة كما أننا نحن أيضاً فى وحدة . أنا فيهم وأنت فى ، ليكونوا هم أيضاً فى وحدة كاملة . وليعلم العالم بأنك أنت الذى أرسلتني ، وأنتى أحببتهم كما أحببتني ، أى أن كل ماأراده - له المجد - لتلاميذه من نعمة وتقديس وحماية ينطبق أيضاً على كل البشر فى كل زمان ومكان الذين يؤمنون به ، وبجاهدون بهذا الإيمان علناً وصراحة ، لتجمعهم جميعاً جامعة واحدة هى الجامعة المسيحية من كل أمة ومن كل شعب ومن كل جنس . فكما أن مخلصنا ابن الله تجمعه بالله الآب وحدة كاملة وكيان واحد ، يريد - له المجد - أن يكون جميع المؤمنين به فى وحدة كاملة ذات إيمان واحد يجعلها فى اتصال تام بالله الآب وبابنه الذى أرسله إلى العالم لتحقيق هذه الوحدة بين كل أمم وشعوبه وأجناسه ، ذلك الإيمان الذى يقوم على المعرفة الحقيقية لله الآب والافتتاع الكامل بأنه هو الذى أرسل ابنه الحبيب لخلاص العالم ، إذ أسبغ بمجيئه إلى بنى البشر الذين فى العالم مجده الذى هو فى نفس الوقت مجد الله الآب ليكونوا جميعاً بالإيمان فى وحدة واحدة ، كما أن الابن فى وحدة واحدة مع الآب تجمع بينهما فى كيان واحد وجوهر واحد ، لأنهم إذ أنهم بإيمانهم بالابن أصبحوا يحيون فيه كما يحيا الابن فى الآب ، وبذلك يحيون هم أيضاً فى وحدة كاملة تشبه الوحدة التى بين الابن والآب . وبذلك يعلم البشر الذين فى العالم ويؤمنون بأن الآب هو الذى أرسل اليهم الابن ، كما يعلمون - إذ قدّم نفسه ذبيحة عنهم - أنه أحبهم كما أحب الآب ابنه . وهذه أعلى وأسمى وأنبل وأكمل درجة من درجات الحب يمكن أن يتصورها العقل أو يصل إليها الخيال .

ثم ختم مخلصنا مناجاته لأبيه السماوى قائلاً « ياأبتاه أريد أن هؤلاء الذين أعطيتهم يكونون معى حيث أكون أنا ليعاينوا مجدى الذى أعطيتنى ، لأنك

أحببتني قبل إنشاء العالم . يا ابتاه الحق ، إن العالم لم يعرفك ، وأما أنا فعرفتك ، وهؤلاء أيضاً عرفوا أنك أنت الذى أرسلتني . وقد أخبرتهم باسمك وسأظل أخبرهم ، لتكون فيهم المحبة التى بها أحببتني ، وأكون أنا أيضاً فيهم .

وتدلّ تلك التعبيرات الجميلة الجليلة على مدى الحبّ الذى أسبغه مخلصنا على تلاميذه وكل المؤمنين به فى كل زمان ومكان الذين أعطاهم له الآب فأصبحوا من رعيته ورعية الآب الذى هو متحد به ، إذ شاءت إرادته أن يكونوا معه حيث يكون هو ، أى فى الملكوت ليروا بأعينهم مجده الإلهى الذى هو مجد الله الآب فى الوقت نفسه ، بعد أن كانوا يرونه إنساناً بينهم يتصف بوداعة الطبع وبساطة المظهر وتواضع المهنة . لأنه إذ أحبّه الآب قبل إنشاء العالم ، أى منذ الأزل ، حبّ الذات لذاتها والجوهر لجوهره ، فإن له المجد الإلهى الذى لله الآب منذ الأزل وإلى الأبد ، وهو يريد لتلاميذه والمؤمنين به بعد رؤيتهم له كل إنسان أن يروا مجده بصفته ابن الله وبصفته الله ذاته ، لأنهم بذلك يكتمل إيمانهم وتكتمل السعادة التى يريد لها لهم بعد أن ذاقوا العذاب الذى تحمّلوه من أجله ومن أجل الشهادة له ومن أجل الاستشهاد الذى شربوا كأسه فى سبيل تمجيد اسمه والتبشير بوصاياه وتعاليمه . فإن العالم لم يعرف الله الآب ، بل إن اليهود أنفسهم الذين أعلن ذاته لهم دون سائر الشعوب ، وكانوا لا يفتأون يتشدّقون بأنهم شعبه ، قاوموه وعاندوه وعادوه واعتدوا على شريعته . ثم قتلوا بعد ذلك ابنه الذى أرسله لخلاصهم . وأما ابنه فإنه عرفه منذ الأزل معرفة الذات لذاتها ، لأنه منه وفيه وفى وحدة كاملة معه . وقد هدّى تلاميذه إلى معرفته فأمنوا بأنه ابنه وأنه هو الذى أرسله . وقد أخبرهم باسمه ، أى بكنه طبيعته وحقيقة جوهره ، وسيظل يخبرهم بذلك طالما هو قائم بينهم بجسده على الأرض أو هو قائم معهم بقوته بعد صعوده عنهم إلى السماء ، كى يتعاطم حبه لهم إلى المدى الذى

يضاهي حبّ أبيه السماويّ له ، وعندئذ لا يحيا بينهم فحسب ، وإنما يحيا فيهم ،  
 أى فى صميمّ كيّانهم ووجدانهم ، فيحيون همّ فيه وبه وله ، حياة أبدية لانهاية  
 لها ولا انقضاء ولا فناء .



## الفصل الثامن عشر

١٨ : ١ - ٩

ألقى مخلصنا ذلك الخطاب الروحي الرائع المؤثر الذي ودّع به تلاميذه وزودهم بآخر تعاليمه ووصاياهم . ثم ختمه بمناجاة أبيه السماوي في كلمات إلهية بديعة الأسلوب رقيقة اللفظ ، دقيقة الصياغة ، عميقة المعنى ، لا يمكن أن يضاهيها في بداعتها وروعها ورقتها ودقتها وعمقها أى كلمات يقولها بشرٌ مهما بلغ من علمه وحكمته وبلاغته وعبقريته في أى مكان من الأمكنة أو زمان من الأزمنة ، لأنها هى كلمات الله ذاته خالق البشر ، والمهيمن على كل مكان وزمان . وقد خرج مع تلاميذه من القاعة التي أكل فيها الفصح معهم ثم ناولهم العشاء الرباني ، وهى القاعة التي كانت - كما قرّر الآباء الأوائل - تعلق مترل مرقس الرسول كاروز الديار المصرية ، ونزل معهم إلى وادى قدرون الذى يمتد بين الجبل الذى كان يقوم عليه هيكل أورشليم وجبل الزيتون ، حيث كان ثمة في سفح ذلك الجبل بستان ، هو المسمّى - كما ورد في البشائر الأخرى - بستان جشيماني ، فدخله مخلصنا هو وتلاميذه ، وكان يهوذا الإسخريوطى تلميذه الخائن الذى تأمر مع رؤساء اليهود على تسليمه اليهم يعرف ذلك المكان ، لأن مخلصنا كان يجتمع فيه كثيراً مع تلاميذه حين يكون في أورشليم . ومن ثم أخذ يهوذا عُصبة من الجند والحذّام من عند رؤساء الكهنة والفريسيين ، وجاء بهم إلى هناك ، وإذ كان الوقت مساء وقد اشتدّ الظلام ، أقبلوا ومعهم المشاعل والمصابيح والأسلحة ، كأنهم يبحثون عن مجرم عريق في الإجرام يترعّم عصابة



السيد المسيح في بستان جشيماني (يوحنا ١٨ : ١ - ٥)

من قاطعى الطريق يخبثون تحت جنح الظلام ، مدججين بالسلاح للسرقة والنهب والقتل ومقاومة من يهاجمهم أو يحاول القبض عليهم . بيد أن مخلصنا خرج إليهم وتقدم نحوهم قبل أن يصلوا إليه أو يكتشفوا مكانه على الرغم من أنه كان عالماً بكل ماسياتى عليه بواسطتهم من كل ألوان التنكيل والتعذيب والاعتداء والإهانة والسخرية والاستهزاء . بل كان عالماً أنهم بعد هذا كله سيقتلونهم بأبشع الأساليب تنكيلاً وأشنعها إذلالاً ، وهى أنهم يعلقونه على خشبة الصليب ، رمز المهانة والعار . ومع ذلك خاطبهم بكل وداعة وهدوء ووقار قائلاً لهم « من تطلبون ؟ » أجابوه قائلين « يسوع الناصرى » . فقال لهم على الفور « أنا هو » . وكان يهودا الخائن الذى وعدهم بأن يدأهم عليه ويسلمه إليهم ، واقفاً . فلما قال لهم مخلصنا إني أنا هو أذهلتهم المفاجأة فارتدوا إلى الوراء من جلال هيئته وقوة عظمتة وسطوة سلطانه على النفوس ، وسقطوا على الأرض . بيد أنه على الرغم من أنهم كانوا من أعدى أعدائه ، وأن مهمتهم كانت هى القبض عليه لسفك دمه ، لم تفارقه رفته وسماحته وتسامحه حتى بالنسبة إليهم ، إذ أراد أن يخفف من روعهم ويلطف من وقع المفاجأة عليهم ، فسألهم ثانية « من تطلبون ؟ » . قالوا « يسوع الناصرى » فأجابهم قائلاً « قد قلت لكم إني أنا هو . فإن كنتم تطلبوننى ، فاتركوا هؤلاء يذهبون » . فلم ينكر نفسه أمام أولئك الذين جاءوا معترمين قتله ، ولم يشفق على نفسه من ذلك الشر الشنيع الذى يريدونه له ، وإنما أشفق على تلاميذه من أى شر يصيهم بسببه . ولا عجب فى ذلك فإنه ماجأ إلى العالم وبذل نفسه ذبيحة على الصليب إلا شفقة منه على البشر جميعاً من مصير الهلاك المخكوم به عليهم بسبب شرورهم . وقد كانوا جميعاً لا يعرفون الله ولا يؤمنون به . وحتى اليهود الذين أعلن الله لهم نفسه ، تنكروا له وأنكروه وتمردوا على تعاليمه ووصاياه ، فكلم بالأحرى يشفق مخلصنا على تلاميذه الذين أحبوه وتركوا كل مالدتهم فى العالم وتبعوه ، واتخذوه لهم معلماً وهادياً

وسيدا وأبا ، بل اتخذوه حين آمنوا بربوبيته ربًا . ومن ثم فإنه كإفهام بأنه لم يشأ أن يعرضهم للآلام التي كان يعرف أنه سيتعرض هو لها ، تلك الآلام التي إن كان هو قد احتملها لأنها هي جوهر رسالته ، ولأنها مهما بلغت من الشناعة والبشاعة لا يمكن أن تؤدي به إلى الهلاك كما كان رؤساء الكهنة يريدون له ، لأنه ابن الله الحي الذي لا يمكن أن يجوز عليه الهلاك بأى صورة من الصور ، فإنها قد تؤدي إلى هلاك تلاميذه الذين هم بشر يتصفون بما للبشر من مواطن الضعف التي قد تؤدي بهم فعلاً تحت ضغط التنكيل والتعذيب إلى الهلاك . ولذلك علق الإنجيل للقديس يوحنا على ذلك قائلاً : « وذلك لتم الكلمة التي قالها ( السيد المسيح ) إن الذين أعطيتهم لم أهلك منهم أحداً » . وبينما يدل ارتداد الجند ومن معهم إلى الورا وسقوطهم على الأرض حين كشف لهم محلصنا عن شخصيته ، وهم كثرة كثيرة مسلحة في حين أنه هو بمفرده وأعزل من كل سلاح ، على هيئته الإلهية التي سقطت عليهم فترجعوا وسقطوا لا مرة بل مرتين . تدل الواقعة نفسها على أنه لو كان يتنوى الهرب كان في سقوطهم فرصته الملائمة ، خصوصاً أنه قد أثبت في مواقف سابقة أنه كان في قدرته أن يتوارى عن الناس كلما أراد ذلك ، ويفلت من بين أيديهم مجتازاً بينهم فلا يرونه في حين يكونون قاصدين أن يمسكوه أو يلقوا أيديهم عليه ويرجموه ( يوحنا ٨ : ٥٩ ) ؛ ( ١٢ : ٣٦ ) . وهنا البرهان على أنه أسلم ذاته لأيديهم بإرادته . بل إنه هو الذي خرج إليهم ، ولم يدعهم يتعبون في البحث عنه ( يوحنا ١٨ : ٤ ) . وهذا تأكيد لقوله السابق « ما من أحد يترعها مني . وإنما أبذلها أنا وحدي من ذاتي . فلي سلطان أن أبذلها ولي سلطان أن استردها » ( يوحنا ١٠ : ١٧ و ١٨ ) . وقوله أيضاً « نفسي الآن قد اضطربت . فاذا أقول ؛ أيها الآب نجّني من هذه الساعة . ولكنني من أجل هذا أتيت إلى هذه الساعة » ( يوحنا ١٢ : ٢٧ ) .



وعلى الرغم مما أبداه مخلصنا من وداعة وسماحة وهدوء تجاه أولئك الذين جاءوا ليقبضوا عليه كى يقتلوه . تصرف تلميذه سمعان بطرس على عادته فى حماسة وتسرع واندفاع بلغ حد الاعتداء دفاعاً عن معلمه ، إذ كان معه سيف فاستلّه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى . وكان اسم ذلك العبد ملخس . وقد نسي بطرس فى تلك اللحظة المثيرة كلّ التعاليم التى تلقاها طوال بضع سنوات من مخلصنا . والتى تدعو إلى المحبة والسلام والمسالمة وعدم العداء أو الاعتداء حتى على الأعداء . ومن ثمّ قال له مخلصنا فى لهجة تدلّ على الاستياء « ضع السيف فى غمده » . وقد جاء فى الإنجيل للمقديس متى أنه قال له بعد أن أمره أن يرد سيفه إلى مكانه « لأن كل من يأخذ بالسيف ، بالسيف يهلك . أنتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى فى الحال أكثر من اثنى عشر جيشاً من الملائكة » ( متى ٢٦ : ٥٢ و ٥٣ ) . وفى هذا القول الدلالة القاطعة على أنّ مخلصنا كان يستنكر أن يعتدى أى مؤمن به أى اعتداء حتى على الأعداء ، لأن رسالته رسالة سلام ، وديانته ديانة سلام . فكيف يستقيم ذلك مع العداء والاعتداء ؟ كما أنّ فى هذا القول الدلالة القاطعة على أن مخلصنا له السلطان الإلهى الذى يستطيع به ، لو أراد ، أن يدافع عن نفسه ويدفع عنه قوى الأرض كلّها لو أنها هاجمته . ولكنه لم يكن يريد ذلك لأنه ما جاء إلى العالم إلا من أجل هذه اللحظة ( يوحنا ١٢ : ٢٧ ) . ليقدم نفسه ذبيحة عن البشر تكفيراً عن خطاياهم وخلصاً لهم من الهلاك الأبدى ، تنفيذاً للتدبير الإلهى الذى سبق أن تمّ بالاتفاق بينه وبين أبه السماوى الذى هو متحد به اتحاداً كاملاً . وقد سبق له قبول هذا التدبير طواعية واختياراً . فهو إذ مات على الصليب كان ذلك بكامل إرادته هو ، لا بإرادة اليهود أو غير اليهود من بنى البشر كما قد يبدو فى الظاهر ،

وإن كان هذا لا يعنى اليهود من مسئولية قتله بغير ذنب جناه أو جرم ارتكبه . لأنهم إذ قتلوه كانوا مختارين لذلك غير مجبرين عليه . وقد قرروا هم أنفسهم ذلك . إذ قالوا للوالى الرومانى بيلاطس البنطى بعد أن تبرأ من دمه . إن « دمه علينا وعلى أبنائنا » ( متى ٢٧ : ٢٥ ) . والإنسان مسئول أمام العدالة الإلهية عما يرتكبه من شر وبمحض إرادته هو وتصميمه بمحض اختياره على تنفيذ تلك الإرادة . وهكذا قدّم مخلصنا نفسه مختاراً ليتجرّع كأس الموت وهو البرىء البار تنفيذاً للتدبير الإلهى الذى ارتضاه لخلاص البشر . ولذلك قال لبطرس « الكأس التى أعطانيها أبى ، ألا أشربها ؟ » فبرهن بذلك على أنه جاء لا ليعادى البشر أو يعتدى عليهم حتى لو عادوه واعتدوا عليه وقتلوه ظلماً وعدواناً ، وإنما جاء ليخلصهم ولينحهم الحياة الأبدية والسلام الأبدى . ومن ثمّ فإنه حتى فى هذه اللحظة التى بلغ فيها حقد تلك الطغمة الباغية من البشر عليه ذروته وحقارته . وكان يحقّ له أن يستنكر خسته ويستشعر مرارته . تصرّف على العكس من ذلك تماماً . إذ أنه بعد أن وبّخ تلميذه بطرس حين ضرب عبد رئيس الكهنة بسيفه فقطع أذنه ، يذكر لنا الإنجيل للقدّيس لوقا أنه « لمس أذن العبد فأبرأها » ( لوقا ٢٢ : ٥١ ) . فهل فوق هذا الكمال كمال ؟ وهل فوق هذا الجلال جلال ؟ وهل فوق ذلك المثل الرائع النبيل الجميل الذى ضربه له المجد مثل أروع وأنبل وأجمل فى الساحة أو التسامح أو الغفران ؟ ذلك هو ما اتصف به المسيح من كمال وجلال وروعة ونبل وجمال وسماحة وتسامح وغفران ، وتلك هى الصفات التى أرادها للمسيحيين الحقيقيين من بنى الإنسان فى كل زمان وكل مكان .

ولكن قلوب اليهود الذين جاءوا ليقبضوا على مخلصنا لم تلبث أن استردّت غلظتها وفظاظتها ، وتناسوا ارتياحهم أمام هيئته بعد أن رأوا مارأوا من وداعته

وسماحته ، وتجاهلوا المعجزة التي صنعها أمامهم ، إذ أعاد إلى عبد رئيس الكهنة أذنه التي قطعها بطرس إلى مكانها وشفاه وأبرأ جرحه ، فأمسك الجنود والقائد والخُدَّام اليهود مَخْلَصنا وأوثقوه . وقد كان من عادتهم أن يسوقوا المجرمين موثق الأيدي من الخلف بجبل يلقونه أيضاً حول أعناقهم ، ومن ثمَّ فعلوا ذلك بمَخْلَصنا ، كأنه من أخطر المجرمين إجراماً . ثم ساقوه أولاً إلى حَتَّان ، لأنه كان حيا قيافا الذي كان رئيس الكهنة في تلك السنة . وقد كان قيافا هذا هو الذي أشار على اليهود قائلاً « إنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب » ( يوحنا ١١ : ٥٠ ) . وكان رؤساء اليهود من أعضاء الجمع المسمَّى بالسندريم ساهرين عندئذ في قلق وهلعة ، منتظرين عودة العصابة التي أرسلوها للقبض على مَخْلَصنا تحت جنح الظلام ، لكي يسارعوا - بعيداً عن أعين الشعب الذي يؤمن به - إلى الحكم عليه بالموت بأى تهمة يلقونها ضده . وقد صمموا على أن يتخلصوا منه في تلك الليلة بأى وسيلة وبأى حيلة ، ولو كانت مخالفة كل المخالفة لشريعتهم ، أو لأى قاعدة أو قانون . ومن ثمَّ فإنَّ الجنود والقائد وخُدَّام اليهود مضوا به بعد أن أوثقوه بالحبال إلى حَتَّان أولاً . وكان حَتَّان هذا هو الذي كان هيردوس الكبير قد جاء به من الاسكندرية ليكون عوناً له في حكمه الظالم الغاشم الوحشى ، والذي ظلَّ خمسين عاماً يتمتع برياسة الكهنوت هو وأبناؤه الخمسة . وكان رجلاً متعطرساً شرساً ماكرًا داعراً متكالبًا على كل ملذات الدنيا وشهواتها . وعلى الرغم من وجود رئيس كهنة رسمى وهو قيافا ، ووجود رؤساء كهنة عديدين غيره في ذلك الحين ، كان حَتَّان هو صاحب السلطان الفعلى على الكهنوت ، وصاحب النفوذ الأكبر بين السلطات الحاكمة ، وفي مجلس السندريم . وقد كان المقصود بتقديم مَخْلَصنا إليه أولاً هو أن حكمه عليه بالموت سيكون ملزماً لأى سلطة تحاكم مَخْلَصنا بعد ذلك ، على الرغم من أنه لم يكن هو رئيس الكهنة الرسمى عند ذلك . ومن ثمَّ كانت محاكمته لمَخْلَصنا غير شرعية ولا قانونية . كما

كانت إجراءات هذه المحاكمة غير شرعية ولا قانونية من نواحٍ كثيرة أخرى ، ولا سيما من حيث المكان الذى تَمَّت فيه ، لأنه لم يكن جائزًا المحاكمة فى منزل أحد ، وإنما فى دار القضاء ، ومن حيث الساعة التى تمت فيها ، لأنه لم يكن جائزًا محاكمة متهم أو الحكم عليه فى أثناء الليل ، وإنما ينبغى أن تكون المحاكمة نهارًا .

١٨ : ١٥ - ١٨

وفى هذه الأثناء كانت تجرى خارج الدار مأساة أليمة مريرة تنطوى على أقسى وأقبح صور التخاذل والضعف البشرى . إذ أن سمعان بطرس - الذى كان أجرأ تلاميذ مخلصنا ، والذى قال له منذ لحظات « إنى ولو اضطررت أن أموت معك لن أنكرك » ( متى ٢٦ : ٣٥ ) . والذى بالفعل حين جاء اليهود للقبض على معلمنا « استلَّ سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة . فقطع أذنه » - كان قد تبع مخلصنا من بعيد وهم يسوقونه إلى دار رئيس الكهنة ، كما تبعه تلميذ آخر هو القديس يوحنا كاتب هذه البشارة . وإن كان تواضعه قد منعه أن يصرِّح بذلك ، وكان هذا التلميذ الآخر معروفًا لدى رئيس الكهنة فأمكنه أن يدخل مع مخلصنا إلى دار رئيس الكهنة . وأما بطرس فظل واقفًا فى الخارج عند الباب . فخرج التلميذ الآخر الذى كان معروفًا لدى رئيس الكهنة وهو القديس يوحنا وكلم حارسة الباب وأدخل بطرس ، فقالت الحارسة حارسة الباب لبطرس « ألسنت أنت أيضًا من تلاميذ هذا الرَّجُل ؟ » . وعندئذ انهارت شجاعة ذلك الرجل الذى كان معروفًا بين زملائه التلاميذ بشجاعته . فقال « لا ، لست منهم » ، ثم تسلَّل إلى فناء الدار ووقف بين العبيد والخدام ، وكانوا فى تلك الساعة المتأخرة من الليل قد أشعلوا جمرًا لأنه كان برد وأخذوا يستدفئون ، فوقف هو أيضًا متظاهرًا بأنه يستدفئ معهم .

حتى إذا جرى بمخلصنا أمام حنَّان رئيس الكهنة ، استخدم هذا الرجل كل الخبث والمكر اللذين هما من أبرز صفاته ، فتظاهر بأنه لا يعرف شيئاً عن مخلصنا ، أو تلاميذه أو عن تعاليمه ، وكأنه قاضٍ محايد يستجوب متهماً مائلاً أمامه ، في حين أنه كان يقصد أن يقتنص منه كلمة يدينه بسببها . وقد أدرك مخلصنا مقصده فأجابه قائلاً « إننى كلمت العالم علانية ، وقد علّمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود كلهم ، ولم أقل أى كلمة في الخفاء ، فلماذا تسألنى أنا ؟ سأل الذين سمعوا ماقلت لهم ، فإن هؤلاء يعرفون ماقلتله . » وقد كانت هذه إجابة منطقية مفحمة وملجئة لرئيس الكهنة ، تردّ سهمه إلى نحره ، وتفضح مكنون شره ومكره ، وتكشف عن سوء نيته وسواد طويته ، وتلف خطته التى انتهجها ليتصيد كلمة من مخلصنا يدينه بها ويحكم عليه بالموت بسببها .

وذلك مما دفع أحدَ خُدّام رئيس الكهنة الواقفين لأن يستشيط غيظاً وغضباً وتظاهراً بالغيرة على كرامة سيده ، فلطم مخلصنا قائلاً له : « أهكذا تجيب رئيس الكهنة ؟ » . بيد أن مخلصنا لم تفارقه - حتى إزاء هذه الإهانة الشائنة والاعتداء الوقح - وداعته وسماحته ، وإنما أجاب ذلك الخادم فى عتاب رقيق وإن كانت تشوبه مسحة من الأسى والمرارة قائلاً له : « إن كنت قد غلطت فى كلامى فقل لى فيما غلطت . فإن كنت قد تكلمت بالصواب فلماذا تضربنى ؟ » .

ولكن خادم رئيس الكهنة لم يجد مايقوله . لأن مخلصنا كشف له أنه كان فيما فعل ظالماً ومعتدياً دون موجب للاعتداء . وإنما كان ماصدر عنه مجرد نفاق وتملُّق لرئيس الكهنة . كما أن رئيس الكهنة نفسه وهو حنَّان لم يجد فيما قاله له مخلصنا أى تهمة يستطيع أن يدينه بها فأرسله موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة الرسمى فى تلك السنة عسى أن يستطيع إلصاق تهمة بمخلصنا تؤدى إلى الحكم عليه بالموت . وكان مجرد إرساله إليه موثقاً دليلاً فى ذاته على أنه حكم بإدانته .

وفيما كانوا يسوقون مخلصنا إلى خارج الدار مقيدا بالحبال ، كان تلميذه سمعان بطرس واقفاً يستدفي مع الخُدَّام ، فقال له أولئك الخُدَّام « ألسنت أنت أيضاً من تلاميذه ؟ » فأنكر للمرة الثانية - ذلك الذي كان معروفاً بشجاعته وجراته - وقال « لستُ منهم » . وقد جاء في الإنجيل للقديس متى أنه أقسم قائلاً « إني لا أعرف هذا الرجل » (متى ٢٦ : ٧٤) . ثم قال واحد من عبيد رئيس الكهنة كانت تربطه صلة بذلك الذي قطع بطرس أذنه « أما رأيتك أنا معه في البستان ؟ » فأنكر بطرس للمرة الثالثة . وقد جاء في الإنجيل للقديس متى أنه « عندئذ بدأ يلعن ويحلف قائلاً : إني لا أعرف هذا الرجل » (متى ٢٦ : ٧٤) . وفي تلك اللحظة صاح الديك . وإذا لم يستطع رئيس الكهنة حثان - كما رأينا - أن يصطاد من مخلصنا كلمة يدينه بها ، وكان يعرف أنه ليس صاحب السلطان الشرعي في محاكمته أرسله موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة الرسمي . وفيما كانوا خارجين به من دار حثان إلى دار قيافا يقول الإنجيل للقديس لوقا إن مخلصنا « نظر إلى بطرس . فتذكر بطرس كلمة الرب إذ قال له : لن يصيح الديك اليوم حتى تكون قد أنكرتني ثلاث مرات . فضى بطرس إلى الخارج وبكى بكاء مرّاً . (لوقا ٢٢ : ٦١ و٦٢) فكانت دموع بطرس التي ذرفها وهو يبكي ذلك البكاء المرّ هي الدليل على ندمه وتوبته الصادقة ، وهي التي طهرته وأبرأته من خطئه وخطيئته في حق سيده مما أدى - كما سنرى - إلى عفو سيده عنه وغفرانه زلّته التي ارتكبها تحت وطأة ضعفه البشريّ ، لا عن تراجع في إيمانه ، وإنما عن تضعف في عزمته . والندم والتوبة الصادقة هما السبيل إلى العفو والغفران ، وإلى الرحمة الإلهية التي لا حدود لها ولا قيود عليها . لأن الله كما هو عادل عدالة مطلقة ، فإنه رحيم كذلك رحمة مطلقة .

ولم يذكر الإنجيل للقديس يوحنا تفصيلات محاكمة مخلصنا أمام قيافا . ولكننا نعلم من الإنجيل للقديس متى أن رؤساء اليهود مضوا مخلصنا إلى دار قيافا الذى كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة . وقد انتقل أعضاء مجلس السنهدريم إلى هناك فى الهزيع الأخير من الليل كى يواصلوا المحاكمة بطريقة شرعية ، ويصدروا الحكم الذى كانوا يتلهفون عليه ، والذى ظلوا الليل كله ساهرين للتوصل إليه . بيد أن ما فعلوه ظل مع ذلك غير شرعى ، لأنه لم يكن جائزاً المحاكمة فى منزل ، ولا فى أثناء الليل . وفى دار قيافا كما يقول ذلك الإنجيل « كان الكتبة والشيوخ مجتمعين .. وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والجمع كله يبغون شهادة زور ضد يسوع ليقتلوه . ولكنهم لم يجدوا ، مع أن شهود زور كثيرين قد جاءوا من أجل ذلك . وأخيراً تقدم شاهد زور ، وقالوا : إن هذا قد قال إني أستطيع أن أهدم هيكل الله ثم فى ثلاثة أيام أبنيه . فنهض رئيس الكهنة وقال له : أما تجيب بشيء على ما يشهد به أولئك عليك ؟ . أما يسوع فظل صامتاً . فأجاب رئيس الكهنة وقال له : أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ؟ . فقال له يسوع : نعم أنا هو كقولك . وإني لأقول لكم كذلك إنكم منذ الآن سترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدرة وآتياً على سحب السماء . وعندئذ مرق رئيس الكهنة ثيابه قائلاً : لقد جدف . فما حاجتنا بعد إلى شهود ؟ ها أنتم أولاء قد سمعتم الآن تجديفه . فماذا ترون ؟ . فأجابوا وقالوا : إنه يستحق الموت . وعندئذ راحوا يبصقون فى وجهه ويلكمنه . وراح آخرون يلطمونه قائلين : تنبأ لنا أيها المسيح من الذى ضربك ؟ » ( متى ٢٦ : ٥٧ - ٦٨ ) . وقد انطلقوا يبحثون عن شهود زور يشهدون ضد مخلصنا ، لأنهم - وإن كانوا قد بيتوا النية على الحكم عليه بالموت غيلة وغير سبب شرعى أو غير شرعى - أرادوا أن يصفوا مظهر الشرعية على المحاكمة ليوهموا الناس بأن ثمة أسباباً تجعله يستحق الموت . وإذا كان

اختصاصهم في نظر الجرائم الجنائية لا يتعدى جرميتي التجديف على الله والتعليم المخالف للدين ، أطلقوا منادين في كل أنحاء المدينة ينادون بأن كل من لديه شهادة ضد يسوع الناصري فليتقدم بها . ولكن أحداً لم يتقدم ، فجاءوا من عندهم بشهود يشهدون ضده زوراً . بيد أن شهاداتهم كانت متناقضة واضحة الكذب والتلفيق . حتى تقدم اثنان منهم وقالوا : « إن هذا قد قال إني أستطيع أن أهدم هيكل الله ثم في ثلاثة أيام أبنيه » . وكان ذلك يعني أنه عدو للهيكل وأنه يريد هدمه . وهذا أمر يثير أشد السخط لدى اليهود الذين كان الهيكل هو رمز أممتهم وموضع فخارهم . كما كان ذلك يعني أنه يمارس أعمال السحر التي لا يمكن غيرها أن يبني ذلك الهيكل الضخم الذي استغرق بناؤه ستة وأربعين عاماً . فهو إذن يجدف على الله إذ يعتدى على هيكله . وهذه جريمة تستوجب الموت . كما أنه يمارس أعمال السحر ، وهذه جريمة تستوجب الموت كذلك . وقد كان مخلصنا بالفعل قد سبق له أن قال عبارة قريبة من هذه ، ولكن الشاهدين تعمداً تحريفها من حيث المعنى ومن حيث اللفظ . إذ كان اليهود قد طلبوا من مخلصنا آية يثبت لهم بها أنه هو المسيح الذي ينتظرونه . وإذ كان قد سبق أمامهم من الآيات ما يكفي لإثبات هذه الحقيقة . ولكنهم لم يقتنعوا ، أراد أن يقرر لهم أنهم لن يقتنعوا إلا بعد أن يروا موته ثم قيامته . فقال لهم : « انقضوا هذا الهيكل وأنا في ثلاثة أيام أقيمه » (يوحنا ٢ : ١٩) . مشيراً بذلك إلى أنهم سيقتلونه وينقضون هيكل جسده ، ولكنه بعد ثلاثة أيام سيقم هذا الجسد حياً . ويبدو هذا المعنى واضحاً في الإنجيل للقديس يوحنا حين ذكر هذه العبارة إذ يقول « فأجاب اليهود وقالوا له : آية آية ترينا حتى تفعل هذا ؟ أجاب يسوع وقال لهم : انقضوا هذا الهيكل وأنا في ثلاثة أيام أقيمه . فقال له اليهود : في ست وأربعين سنة بُني هذا الهيكل ، أفقيمه أنت في ثلاثة أيام ؟ . ولكنه كان يتكلم عن هيكل جسده . فلما قام من بين الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا »



(يوحنا ٢: ١٨-٢٢). ولكن الشاهدين حرّفاً المعنى الذى كان يقصد إليه السيد المسيح بقوله ، وشهدا زوراً بأنه كان يقصد لا هيكل جسده ، وإنما هيكل أورشليم . كما أنهم - لتدعيم هذا التحريف فى المعنى - حرّفاً بعض الألفاظ فى عبارته ، إذ قال هو « انقضوا هذا الهيكل » ، أى أنكم « إذا نقضتم هيكل جسدى » . وأما هما فقالا إنه قال « إني أستطيع أن أهدم هيكل الله » . وقد قال هو « وأنا فى ثلاثة أيام أقيمه » . وواضح أنّ الإقامة تعنى إقامة الجسد إلى الحياة بعد الموت . وأما هما فقالا إنه قال « وأنا فى ثلاثة أيام أبنيه » ، لكى ينصرف المعنى بذلك إلى بناء الهيكل الحجرى ، لا إلى إقامة الهيكل الجسدى . ولعلّ أوضح دليل على ما ارتكباه من تحريف فى عبارته ، أنه لو كان قد قالها بالصورة التى زعماها ، لكان اليهود قد حاكموه وقتلوه منذ زمانٍ طويل ، ولكنها كانا شاهدى زور ، وكانت شهادتهما كاذبة ، وقد تحققت فيها النبوءة القائلة بلسان السيد المسيح « قام على شهود زور » (المزمور ٢٦ : ١٢) ، والنبوءة القائلة أيضاً بلسانه « أنا أفديهم وهم يتكلمون علىّ بكذب » (هوشع ٧ : ١٣) . وإذ كان مخلصنا عالمًا أنه لا جدوى من مناقشة أولئك الذين يحاكمونه ، لأنهم أشرار ظالمون مفترون قاتلون ، لا ضمير لهم ولا رحمة فى قلوبهم ، فقد صمت ، ولم يفتح فاه بكلمة واحدة ، وبذلك تحققت نبوءة إشعيا الذى تقول عن المسيح إنه « ظلم . أما هو فتدلّل ولم يفتح فاه . كشاةٍ تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامته أمام جازيها فلم يفتح فاه » (إشعيا ٥٣ : ٧) . بيد أن صمته النبيل الجليل أغاظ أولئك الحاقدين الموتورين المتعجرفين . فنهض رئيس الكهنة وقال له : « أما تجيب بشيء على ما يشهد به أولئك عليك ؟ » . وقد أراد بذلك أن يثبته ليتصيد منه كلمة يدينه بها ، لكنه ظل صامتًا لا يعطيهم هذه الفرصة التى يتحرّقون تحرقًا لاقتناصها . وعندئذ لجأ رئيس الكهنة الحيث الماكر إلى السؤال الذى كان واثقًا من أنّ السيد المسيح لا يمكن أن يمتنع عن الإجابة عنه ، إذ قال

له : « أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ؟ » وقد حَدَّدت نبوءات كل أنبياء اليهود أوصاف السيد المسيح تحديداً كاملاً دقيقاً ، وبيّنت زمان مجيئه إلى العالم ومكان ميلاده وظروف حياته ، وأوضحت ماسينادى به من التعاليم وما سيصنعه من المعجزات ، وصرحت بكلّ ما سيحدث له فى أثناء وجوده على الأرض . فلو أن اليهود - ولا سيما رؤساؤهم وفقهاؤهم - فكروا قليلاً فى تطبيق هذه النبوءات التى وردت فى كتبهم المقدّسة على ذلك الذى يحاكمونه ويصمّون على قتله ، لتبينوا أنه هو المسيح الذى ينتظرونه . لكنهم أطارت الكبرياء عقولهم ، وأعمت الغيرة أبصارهم وبصائرهم ، وأمات الحقد مشاعرهم وضمايرهم ، وقد أصابهم الذعر على مناصبهم ومكاسبهم ، فاندفعوا فى جنون للقضاء على مسيحهم . بل لقد كان تصرّحه بأنه هو المسيح هو التهمة التى كانوا يتسقطونها من فمه ليدينوه بها ويقتلوه بسببها . وبالفعل أجاب السيد المسيح عن سؤال رئيس الكهنة عما إذا كان هو المسيح ابن الله قائلاً « نعم أنا هو » . وقد كان طوال مدة تعليمه لا يقول صراحة إنه هو المسيح ابن الله إلا نادراً . فقد كان يريد أن تكون تعاليمه ومعجزاته هى الدليل على هذه الحقيقة . لكنه إذ أصبح الموقف لا يحتمل السكوت الذى قد يحمل فى هذه الحالة معنى الإنكار ، جاهر بهذه الحقيقة ، وهو عالم أن مجاهرته بها ستكون هى السبب فى موته ، لكى يكون هذا إعلاناً للعالم كله بأنه هو المسيح ابن الله ، ولكى لا يعود لليهود عذر بعد ذلك يتذرعون به لتبرئة أنفسهم من دمه . وقد أراد أن يوبّخهم على كبريائهم وغبايرهم ، ويصحح خطأهم فى فهم نبوءات أنبيائهم ، إذ ازدروا تواضعه وهو على الأرض ، فوصف لهم مجده وهو فى السماء ، قائلاً « وإنى لأقول لكم كذلك إنكم منذ الآن سترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدرة ، وآتياً على سحب السماء » . أى أنه على الرغم من أنه هو ابن الله الذى تواضع واتخذ صورة الإنسان ، قد ظل محتفظاً بمجده الإلهى . ولن يلبثوا أن يروه جالساً عن يمين

القدرة الإلهية ، وهو متخذ تلك الطبيعة التي ازدروه بسببها وهو مائل امامهم وهو كونه ابن الانسان ، على مقتضى النبوة التي يقول فيها الله الآب للمسيح « اجلس عن يميني » (المزمور ١٠٩ : ١) . فع أنهم يرونه الآن إنساناً وديعاً متواضعاً بسيط المظهر لا حول له ولا قوة ، أمام سطوتهم وجبروتهم ، لن يلبثوا أن يروه ملكاً يجلس على عرشه في مجد وجلال وسلطان ، كما أنهم سيرونه « آتياً على سحب السماء » وفقاً لنبوة دانيال النبي عن المسيح التي يقول فيها : « وإذا مع سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء إلى القديم الأيام (وهو الله الآب) ، فقربوه فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوته لتتبع له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدي ، مالن يزول ، وملكوته مالا ينقرض » (دانيال ٧ : ١٣ و١٤) . وبهذا السلطان سيأتي المسيح إلى اليهود قريباً فيدينهم على شرورهم وبحكم بهلاكهم ، كما أنه سيأتي إلى العالم كله في يوم الدينونة ليحكم بهلاك الأشرار جميعاً ، فكان هذا إنذاراً أخيراً من السيد المسيح إلى أولئك الذين تنكروا له ، وأصروا على إنكاره ، وتآمروا على قتله . ولكن هذا الإنذار - ككل ماسبق أن وجهه اليهم من إنذارات - لم يكن ليفتح أعينهم ، وإنما ازدادوا عمى على عاهم ، ولم يكن ليضيء بنور الحقيقة قلوبهم ، بل ازدادت هذه القلوب ظلاماً على ظلامها . ولم يكن ليجعلوا منه هادياً يهديهم ويأخذ بأيديهم في طريق الخلاص ، وإنما جعلوا منه دليل اتهام ضد مخلصهم ، وسلاحاً يقتلونه به ، إذ مزق رئيس الكهنة ثيابه قائلاً : « لقد جَدَف ، فما حاجتنا بعد إلى شهود ؟ هاأنتم أولاء قد سمعتم الآن تجديفه » . وكان تمزيق الثياب عادة قد جرت عند اليهود إذا ماسمعو أو رأوا شيئاً يتضمّن إهانة لله (إشعيا ٣٦ : ٢٢) ؛ (١ : ٣٧) . ولذلك تظاهر رئيس الكهنة بالغيرة الشديدة على مجد الله والغضب الشديد على مازعم من إهانة لحقته ، إمعاناً في إثبات تهمة التجديف التي ألصقها بالسيد المسيح ، مستخلصاً إياها من ذات كلامه . وقد وجد فيها المنقذ

من ورطة إخفاقهم في العثور على شهود تكفي شهادتهم للحكم عليه بالموت ،  
 ومن ثمّ أدار بصره في أعضاء المجلس ، وقال لهم في لهفة وتسرع : « فإذا  
 ترون ؟ » وكأنه بذلك يسألهم عن رأيهم باعتبارهم أعضاء المحكمة المختصة بإصدار  
 الحكم . لكنه إنما كان سؤالاً شكلياً ، لأنه وهو رئيس المجلس ، قد سبق وأصدر  
 الحكم فعلاً على المختلص بالموت ، إذ اتهمه بالتجديف ، ولأنه بحكم رياسته  
 للمجلس يدرك أن الأعضاء المرؤوسين له سيوافقونه لا محالة على الحكم الذي  
 أصدره بموته ، ولا سيما أنهم كانوا كلهم مثله متلهفين على إصدار هذا الحكم ،  
 وقد سهروا طوال الليل كي يصلوا إلى إصداره . وهذا ما حدث بالفعل ، إذ  
 أجابوه قائلين : « إنه يستحق الموت » ، أى أن الشريعة تقضى بموته ، ومع أنهم  
 لم تكن لهم سلطة إصدار الحكم بالموت في ذلك الحين . وإنما كان ذلك من  
 سلطة الوالى الرومانى فإنهم بهذا الحكم الذى أصدره ، جعلوا موته محققاً ، لأن  
 الوالى الرومانى كان قليلاً ما يتعرّض لهم في شئون دينهم ، وكان يوافقهم غالباً في  
 الأحكام التى يبنونها على أسباب دينية . وبمجرد أن أصدر مجلس السنهدريم حكمه  
 على السيد المسيح بالموت ، بدأ أعضاء ذلك المجلس من رؤساء الكهنة والشيوخ  
 والكتبة يهينونه ويعتدون عليه ويهزأون به ، إذ راحوا يبصقون في وجهه  
 ويلكونه ، كما خرجوا على وقارهم الذى يليق بمكانتهم وشيخوختهم فراحوا  
 يلطمونه وهم يقولون ساخرين : « تنبأ لنا أيها المسيح من الذى ضربك ؟ »  
 وهكذا تحققت نبوءة إشعياء النبى القائل بلسان المسيح : « وجهى لم أستر عن  
 العار والبصق » (إشعياء ٥٠ : ٦) . والقائل « بذلت خدّى للناثقين » (إشعياء  
 ٥٠ : ٦) . كما تحققت نبوءة إرميا النبى القائل « يعطى خده لضاربيه . يشبع  
 عاراً » (مرثى إرميا ٣ : ٣٠) . وتحققت نبوءة ميخا النبى القائل : « يضرّبون  
 قاضى إسرائيل بقضيب على خدّه » (ميخا ٥ : ١) .

كما لم يذكر الإنجيل للقديس يوحنا محاكمة محلّصنا للمرّة الثالثة أمام مجلس

السندريم . بيد أننا نعلم من الأناجيل الأخرى أنه على الرغم مما بذله رئيس الكهنة حنّان وقيافا وأعضاء مجلس السندريم من جهد عنيف محموم طوال الليل في الوصول إلى حكم بالموت على السيّد المسيح ، وعلى الرغم من أنهم قرروا بالفعل في محاكمتهم الصورية له أنه يستحق الموت ، لم يجرؤوا على إعلان هذا الحكم أو إذاعته بين الشعب ، لأنهم كانوا يدركون أن كل الإجراءات التي اتخذوها كانت غير شرعية ولا قانونية ، إذ لم يكن شرعياً ولا قانونياً محاكمة متهم أو الحكم عليه في أثناء الليل أو في مكان غير ساحة القضاء ، ومن ثمّ أرادوا أن يتداركوا ذلك الخطأ الذي ارتكبوه في الإجراءات والذي دفعهم إليه تسرعهم ولهفتهم على قتل السيد المسيح ، وأرادوا أن يضيفوا طابع الشرعية المفتعلة على المحاكمة ، ويتظاهروا بالتزام أحكام القوانين والمبادئ المعمول بها في هذا الشأن . فآلقوا بالسيد المسيح في السجن حتى بزغ أول خيط من نور النهار ، وعندئذ جاءوا به موثق اليدين من الخلف إلى قاعة في الهيكل كانت مخصّصة للمحاكمة ، وكانوا يسمّونها « ليسكات هجازيت » أي « القاعة المبلّطة » ، حيث كان قد اجتمع مجلس السندريم بكامل هيئته في تلك الساعة المبكرة من فجر يوم الجمعة الرابع عشر من نيسان (إبريل) . وكان المجلس يضم كل أعداء السيد المسيح من الكهنة والكتبة والصدّوقين والفريسيين وغيرهم من الشيوخ ذوى النفوذ في البلاد . وكانوا كلهم تقريباً قد عقدوا العزم مقدّماً على الحكم بالموت على السيد المسيح ، ماعداً أفراداً قلائل منهم كانوا يؤمنون بالسيد المسيح في قرارة أنفسهم ، دون أن يعلنوا ذلك . وقد ذكرت البشائر من هؤلاء اثنين هما نيقوديموس ( يوحنا ٣ : ١ و٤ و٩ ) ؛ (٧ : ٥٠) ويوسف الرامي (متى ٢٧ : ٥٧ و٥٩) ؛ (مرقس ١٥ : ٤٣ و٤٥) ؛ (لوقا ٢٣ : ٥٠) . وكانت التهمة التي اعترموا توجيهها إليه ليتمكنوا من قتله هي التجديف على الله ، التي لم يستطيعوا في أثناء المحاکمتين السابقتين غير الشرعيتين أن ينسبوا إليه غيرها ، وإن كانوا قد ألصقوها به زوراً وبهتاناً . فقد

أخفقوا في الحصول على شهود يشهدون ضده . وحتى شهود الزور الذين سخروهم لهذه الغاية كانت شهاداتهم متناقضة وظاهرة التلويح ، بحيث لا تصلح أساسًا لإدانته . وقد طالما اتهموه بأنه يخالف وصية حفظ السبت ، وهي تهمة عقوبتها في الشريعة الرّجم . ولكنهم أحجموا عن توجيهها إليه لأنها كانت ترتبط دائمًا بمعجزات الشفاء التي صنعها في ذلك اليوم ، والتي كانت تبهير الشعب وتدفعه إلى الإيمان به . كما أنهم طالما اتهموه بأنه يرفض التقاليد والوصايا الشفوية التي ابتدعتها زعماء الفريسيين . ولكنهم أحجموا كذلك عن توجيه هذه التهمة إليه ، لأن الصدّوقين كانوا يوافقونه في ذلك ويرفضون تلك التقاليد والوصايا .. وقد كان يمكن أن يتهموه بأنه دخل الهيكل وادّعى لنفسه السلطان عليه والحق في أن يطرد منه الذين كانوا يملأونه من الصيارفة وباعة الثيران والحمام ، ولكنهم جنبوا عن توجيه هذه التهمة إليه . لأن هذا الذي فعله في الهيكل وإن كان قد أسخط الكهنة ، كان موضع الرّضا والتأييد من الشعب ، ولم يكونوا يستطيعون أن يتهموه بأن له تعاليم خفية تخالف الشريعة أو تناهض الرومان ، لأن تعاليمه كلها كانت علنية ، وكان ينادى بها في الشوارع والميادين والجامع وفي الهيكل نفسه ، على مسمع من الجميع دون استثناء وبغير خفاء. وهكذا لم يجدوا في جعبتهم غير تلك التهمة التي اصطنعوها اصطناعًا ولفقوها تلفيقًا ، إذ بنوها على ما أعلنه في محاكمته السابقة من أنه هو المسيح ابن الله . وقد كانت هذه حقيقة يستوجب من أجلها التبجيل والإجلال ، لكنهم اعتبروها جريمة يستحق عليها الإهانة والموت . ومن ثمّ ركّزوا كل جهدهم في أن يدفعوه دفعًا لأن يذكرها مرة أخرى علانية ، وكأنها اعتراف من المتهم بجريمة ارتكباها . ولما كان الاعتراف سيّد الأدلة ، كان في ذلك ما يكفيهم ليصدروا عليه الحكم الذي يعتبرونه شرعيًا وقانونيًا ، والذي يثقون أن أحدًا لن يستطيع أن يعارض فيه أو يعترض عليه . لأنه يتفق مع شريعة اليهود ، إذ أن عقوبة التجديف في تلك الشريعة هي

الموت . ولذلك يقول الإنجيل للقديس لوقا : « وما إن طلع النهار حتى اجتمع  
شيوخ الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وساقوه إلى مجلس السنهدريم ، ثم قالوا  
له : أنت المسيح ؟ قل لنا . فقال لهم : إن قلت لكم فلن تصدّقوا ، وإن  
سألتكم فلن تجيبوا . إنّ ابن الإنسان منذ الآن سيكون جالساً عن يمين قدرة الله .  
فقالوا جميعاً : أفأنت إذن ابن الله ؟! قال : نعم أنا هو كقولكم . فقالوا  
ما حاجتنا بعد إلى شهادة شهود ؟ فإننا بأنفسنا قد سمعنا من فمه هو » ( لوقا ٢٢ :  
٦٦ - ٧١ ) . وهكذا أقر السيد المسيح للمرة الثانية أمام أعدائه الذين يحاكمونه  
بأنه هو ابن الله ، وهو عالم أن ذلك الإقرار هو الذى سيؤدى إلى موته . وبالفعل  
سريعاً ما التقط أعداؤه هذا القول الذى كانوا يتلهفون على سماعه منه ، وانفضوا  
فى نشوة وظفر قائلين إنه لا حاجة بهم إلى شهود يستكملون بشهادتهم مظاهر  
محاكمتهم الصورية لهذا المتهم البريء ، لأنه قد اعترف ، وقد سمعوا بآذانهم  
اعترافه ، وبهذا تكون المحاكمة قد انتهت بطريقة يبدو للناس أنها قانونية ،  
ويكون الحكم بالموت على هذا الأساس هو الحكم الواجب والعادل والمطابق  
للشريعة . وقد اعتبروه حكماً نهائياً ، لأنهم - وإن كانوا يعلمون أنه لا يمكن  
تنفيذه إلا بعد تصديق الوالى الرومانى عليه - فإنهم - إذ كان هذا الحكم يتعلق  
بأمر دينى محض - كانوا موقنين أن الوالى الرومانى - وهو بيلاطس البنطى -  
سيصادق عليه فوراً ، لأن الرومان لم يكونوا يتعرضون لليهود فى أى أمر يتعلق  
بديانتهم وكانوا لا يعارضون أى حكم يصدرونه بناء على مبادئ تلك الديانة .

وهكذا يقول الإنجيل للقديس يوحنا إنهم جاءوا بمخصّصنا فى الصباح الباكر  
من عند قيافا الذى كان يرأس مجلس السنهدريم إلى دار الولاية التى كانت مقرّاً  
للحاكم الرومانى بيلاطس البنطى . وكان من عادتهم أن يسوقوا المجرمين موثقى  
الأيدى من الخلف بجبل يلقونه أيضاً حول أعناقهم . ومن ثمّ فعلوا ذلك بالسيد

المسيح لكي يظهره أمام الشعب بمظهر المجرم الذي ثبتت جريمته وصدر الحكم عليه . ويدلّ على ذلك أن الإنجيل للقديس متى يقول إنهم « أوثقوه ومضوا به وسلموه إلى الوالى بيلاطس البنطى » ( متى ٢٧ : ٢ ) وقد ساقوه فى مظاهرة ضخمة صاحبة تضمّ كل أعضاء مجلس السنهدريم يتقدمهم رئيسهم قيافا رئيس الكهنة ويتبعهم أذنانهم من الخدم والعبيد والجنود والغوغاء وساروا به على مرأى من أهالى المدينة على طول الطريق المؤدى من قاعة المحكمة بالهيكل الى القنطرة التى كانت تعلو وادى « تريبيون » ، ثم إلى دار الولاية التى كانت قصرًا فاخرًا ضخماً ذا أسوار عالية ، كان هيرودس الكبير قد أقامه على المرتفع القائم فى الجهة الجنوبية الغربية من الهيكل . وقد تعمدوا أن يذهبوا إلى الوالى فى هذه المظاهرة الضخمة الصاخبة التى تضم رؤساء اليهود وعظماءهم وجمهرة كبيرة من الشعب ليرهبوا بيلاطس فيذعن للحكم الذى أصدره ويصادق عليه بغير فحص ولا مناقشة . وكانت الساعة حين بلغوا دار الولاية لا تتعدى الساعة السابعة صباحًا . وإذ كان بيلاطس وثنيًا ، وكان اليهود لا يدخلون بيوت الوثنيين « لم يدخلوا هم دار الولاية مخافة أن يتنجسوا فلا يتمكنوا من أن يأكلوا الفصح ، ومن ثم خرج بيلاطس إليهم » . وإذ ألقوه فى تلك الساعة المبكرة من الصباح قابلهم وهو يكاد ينفجر من الغيظ والغضب ، وقال لهم فى ضيق وضجر « ماهى التهمة التى توجهونها إلى هذا الرجل ؟ » فأجابوه وقالوا له « لو لم يكن هذا فاعل شر لما أسلمناه إليك » . قال لهم بيلاطس « خذوه أنتم واحكموا عليه طبقًا لشريعتكم » . فقال له اليهود « إننا لا يحق لنا أن نقتل أحدًا » . أى أنهم لا يملكون الحكم بالموت بغير مصادقة الوالى الرومانى . وقد كان ذلك لتتم الكلمة التى سبق لمخلصنا أن قالها مشيرًا إلى الكيفية التى سيموت بها ، أى الصلب ، لأن تلك كانت وسيلة رومانية لتنفيذ الحكم بالموت . فلو أن الوالى الرومانى صادق على حكم الموت الذى أصدره اليهود على مخلصنا لكانت وسيلة ذلك هى تعليق



على الصليب حتى يموت . وفي ذلك تنبأ مخلصنا لتلاميذه حين كانوا صاعدين إلى  
أورشليم في المرة الأخيرة قائلاً لهم : « هانحن أولاء صاعدون إلى أورشليم ،  
ولسوف يسلم ابن الإنسان إلى رؤساء الكهنة وإلى الكتبة فيحكمون عليه بالموت ،  
ويسلمونه إلى الوثنيين ليهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه » (متى ٢٠ : ١٨ و١٩) .

وقد جاء في الإنجيل للقديس لوقا أن رؤساء اليهود إذ رأوا ما كان عليه  
الوالي الروماني من غيظ وغضب ، وضيق وضجر ، أحجموا عن ان يوجهوا إلى  
السيد المسيح أمامة تهمة التجديف التي سبق لهم أن جعلوها أساساً للحكم عليه  
بالموت ، خشية أن يرفض المصادقة على الحكم ، فتجاوزوا عن تلك التهمة  
الدينية التي لا يأبه لها ذلك الحاكم الروماني ، وراحوا يكيلون للسيد المسيح  
اتهامات سياسية ، يظهرونه فيها بمظهر المتمرّد على قيصر الرومان ، قائلين له « إننا  
وجدنا هذا يفسد الأمة ، ويقول بالامتناع عن أداء الجزية لقيصر ، مدعيًا أنه هو  
المسيح الملك » (لوقا ٢٣ : ٢١) .

وقد صاغوا هذه الاتهامات بكل ما اشتهروا به من الخبث والمكر والدهاء  
والشر . فقد كانوا يهدفون من ورائها لا إلى إحراج يلاطس وقصره قسرًا على  
الاستماع إليهم والرضوخ إلى مشيقتهم فحسب ، وإنما كانوا يهدفون كذلك إلى  
إشراك الرومان في مسئولية قتل السيد المسيح ليتخلصوا هم منها . كما كانوا يهدفون  
إلى أمر آخر كان أكثر أهمية لديهم ، وكانوا يتلهفون عليه ويتحرقون تحرقًا  
لتحقيقه ، فيشفوا غليلهم من السيد المسيح ويتشفوا أبشع وأفظع ما يكون  
التشفي ، وهو أن يقتله الرومان لا بطريقة الرجم أو الخنق اليهودية ، وإنما  
بالطريقة الرومانية ، وهي التعليق على خشبة الصليب ، لأن المعلق على خشبة  
يعتبر في الشريعة اليهودية ملعونًا من الله (التثنية ٢١ : ٢٢ و٢٣) ولأن هذه  
الوسيلة من وسائل القتل تتضمن أقسى ألوان التنكيل والتعذيب ، وأقبح صور  
الهوان والمذلة والعار .

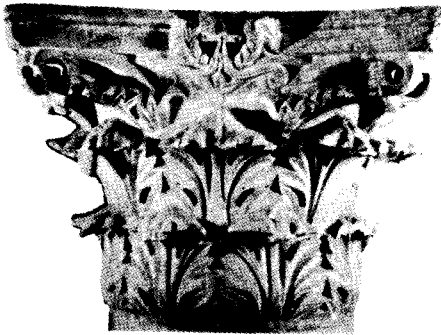
وقد كانوا يعتقدون أن بيلاطس البنطى سيأخذ هذه الاتهامات التى ساقوها إليه قضية مسلمة ، فيصدر حكمه بالموت على السيد المسيح دون محاكمة أو تحقيق . بيد أن بيلاطس رأى ما بطل من أعينهم من حقد متقد وضغينة مضطربة وقسوة مفترسة ورغبة مجنونة فى الفتك بذلك الشاب الوسيم الوديع الهادى الذى كان يقف أمامه فى نبل الملوك وسمو الملائكة ، فأيقن أنه برىء من تلك الاتهامات التى يوجهها إليه أولئك الأشرار المتوحشون الهاجئون المائجون ، دون أن يقدموا عليها أى دليل ، أو يؤيدوها بأى حجة من وثيقة مكتوبة أو شهادة شاهد واحد ، فقرر أن يتولى التحقيق بنفسه . ومن ثم عاد فدخل دار الولاية ودعا إليه مخلصنا وقال له : « أنت ملك اليهود ؟ » ، وقد كان هذا هو جوهر الاتهامات الثلاث التى وجهها رؤساء اليهود إليه ، لأنه إذا اعترف بأنه ملك اليهود كان هذا دليلاً على أنه يتزعمهم ، ومحرضهم على الثورة ضد قيصر الرومان ومحضهم على الامتناع عن دفع الجزية إليه والخلاص من حكمه وسيطرته ، فيفسد بذلك الأمة على حدّ قولهم الذى أرادوا به أن يتملقوا قيصر ويتظاهروا بالولاء له وبالغضب على من يثور عليه . وقد كانت هذه التهمة ظاهرة البطلان ، لأن السيد المسيح لم يتعرض للأمور السياسية قط ، وقد سبق أن قال لليهود منذ أيام قليلة فى هيكلهم نفسه حين أرادوا أن يقحموه فى هذه الأمور « أعطوا ما لقيصر لقيصر » . إلا أنه سأل بيلاطس عما إذا كان هو ملك اليهود أجابه قائلاً « أأمن نفسك تقول هذا ، أم قال لك آخرون ذلك عنى ؟ » . فقال بيلاطس « أأعلم أنا يهودى ؟ إن أمتك ورؤساء الكهنة هم الذين أسلموك لى ، فإذا فعلت ؟ » . فأجاب مخلصنا قائلاً : « إن مملكتى ليست من هذا العالم . ولو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يقاتلون عنى كى لا أسلم إلى اليهود . والآن فإن مملكتى ليست من هذا العالم » . فقال له بيلاطس :

« أفانت إذن ملك ؟ ». أجاب مخلصنا قائلاً : « نعم أنا ملك كقولك . ولأجل هذا وُلدت أنا ، ولأجل هذا جئت إلى العالم كي أشهد للحق ، فكل من هو من الحق يسمع صوتي » ، فقال له ييلاطس : « وما هو الحق ؟ ». لكنه لم ينتظر إجابة السيد المسيح عن هذا السؤال ، إذ تحقق من كلامه بما فيه الكفاية أنه برىء مما يتهمون به . ومن ثمَّ خرج ثانية إلى اليهود وقال لهم : « إننى لا أجد فى هذا الرجل خطيئة . ولما كانت قد جرت العادة عندكم على أن أطلق لكم فى الفصح سراح واحد ، فهل تريدون أن أطلق لكم سراح ملك اليهود ؟ » وقد كان هذا حكماً واضحاً صريحاً من الوالى الرومانى ببراءة السيد المسيح . فلما سمع اليهود هذا الحكم ثار نائزهم وهاجوا هياجاً هستيرياً ، وعادوا جميعاً يصرخون فى غِلٍّ وغضبٍ قائلين « لاتطلق سراح هذا ، بل باراباس » . وكان باراباس هذا لصاً .

وقد ذكر الإنجيل للقديس لوقا بعض تفصيلات لتلك المحاكمة لم يوردها الإنجيل للقديس يوحنا . وهى أن اليهود راحوا يلوِّحون بقبضات أيديهم فى تهديد ووعيد للوالى نفسه ، قائلين « إنه يبيع الشعب ويعلم فى كل اليهودية ابتداء من الجليل إلى هنا » ( لوقا ٢٣ : ٥ ) . وإذ كان ييلاطس يحتقر أولئك اليهود معتبراً إياهم طغمة دنيئة منحطة ، وكان يزدري خلافتهم الدينية التى لا تنتهى ، معتبراً إياها خزعلات قوم جهلة حمقى مخزفين ، ضاق ذرعاً بهم ، وضاق ذرعاً بهذه القضية التى يعرضونها عليه ، فما إن سمعهم يذكرون الجليل حتى وجد فى ذلك فرصة للتخلص منهم ومن قضيتهم . ومن ثمَّ « سأل عما إذا كان الرَّجُلُ جليلياً . فما إن علم أنه تابع لولاية هيرودس حتى أرسله إلى هيرودس الذى كان هو أيضاً فى أورشليم فى تلك الأيام » ( لوقا ٢٣ : ٥ - ٧ ) . وذلك على الرغم من أنه كان يمقت هيرودس ، وكانت بينها عداوة سافرة .

كما لم يتكلم الإنجيل للقديس يوحنا عن تفاصيل محاكمة مخلصنا أمام هيروُدس ، وكانت تلك هي المحاكمة الخامسة التي تعرض لها في ذلك اليوم . ولكن الإنجيل للقديس لوقا شرح تفاصيل هذه المحاكمة ، ومنه نعلم أن ييلاطس البنطي حين طلب من اليهود أن يأخذوا مخلصنا إلى هيروُدس ملك الجليل ليتولى محاكمة مخلصنا باعتباره جليليا خرجت مظاهراتهم الضخمة الصاخبة من دار الوالي الروماني لتبدأ رحلة جديدة من الهوان للسيد المسيح . وقد ساقوه مكبل اليدين مغلول العنق بالحبال ، عبر شوارع أورشليم وعلى مرأى من أهاليها ، إلى القصر الضخم الذي كان يقيم فيه هيروُدس ملك الجليل حين يجيء إلى أورشليم في الأعياد ، وكان هيروُدس مخلوقاً فظيع الطباع ، فاجراً داعراً ، سافكاً للدماء . وقد اغتصب من أخيه فيلبس زوجته هيروُدياً واتخذها لنفسه ، فلما وبَّخه يوحنا المعمدان على ذلك سَجَّه ثم قطع رأسه ( متى ١٤ : ٣ - ١١ ) . حتى إذا ترامت إلى هيروُدس أخبار معجزات السيد المسيح كان يتنازعه شعوران : أحدهما هو الرغبة في أن يراه وهو يصنع إحدى معجزاته ، والآخر هو خوفه منه ، إذ اعتقد أنه هو يوحنا المعمدان قد قام من الموت ليتنقم منه ( متى ١٤ : ٢١ ) ، وخوفه في الوقت نفسه - إذ عَلم بحب الشعب للسيد المسيح والتفافه حوله - من أن ينادى بنفسه ملكاً بدلاً منه ، ولذلك كان يسعى إلى قتله ( لوقا ١٣ : ٣١ ) . وقد وصفه السيد المسيح نفسه بأنه « ثعلب » ، مما يدل على مكره ودهائه ووحشيته ( لوقا ١٣ : ٣٢ ) . وقد جاء في الإنجيل للقديس لوقا : « ولما رأى هيروُدس يسوع ، ابتهج ابتهاجاً عظيماً ، لأنه كان يتوق لأن يراه منذ زمن بعيد ، بسبب ما كان يسمعه عنه . وكان يودّ أن يَرى إحدى العجائب التي تجري على يديه . وقد سأله بكلام كثير ، ولكنه لم يجبه بشيء . وكان رؤساء الكهنة والكتبة واقفين ، وقد أخذوا يتهمون به عنف . فهزأ به هيروُدس مع جنوده وسخر منه ، وألبسه ثوباً برّاقاً ، ثم أعاده إلى ييلاطس . فأصبح ييلاطس

وهيرودس صديقين في ذلك اليوم ، وقد كانت بينهما من قبل عداوة » ( لوقا ٢٣ : ٨ - ١٢ ) . ويبدو من ذلك أن رؤساء اليهود راحوا يرددون أمام هيرودس الاتهامات التي سبق أن وجهوها إلى السيد المسيح أمام بيلاطس ، ولا سيما أنه يقول عن نفسه إنه ملك . وإذا كان هيرودس يخشى بالفعل فيما مضى من أن يطيح السيد المسيح به وينادى بنفسه ملكاً في مكانه ، ثم إذ رآه الآن مقبوضاً عليه مقيداً بالحبال مُهاناً ، استخفّه الطرب وراح يسأله أسئلة بذيئة يهزأ بها منه ومن دعواه بأنه ملك . وقد جاء له - إمعاناً منه في إهانته والسخرية به - بثوب لامع من ثياب الملوك وألبسه إياه . ولم يفتأ هو وأعوانه يشتمونه ويعتدون عليه . ولكن السيد المسيح ظلَّ صامتاً في جلال ، لا يجيب عن أسئلة هيرودس ، صابراً في عزة ، لا يشكو ولا يتذمَّرُ مما ألحقه به مع زمرته من استهزاء واعتداء . وإذا عجز ذلك الطاغية عن أن يستخلص منه كلمة واحدة يدينه بها ، ولم يجد دليلاً واحداً على صدق الاتهامات التي كان يكيلها له أولئك الذين كانوا يزأرون من حوله كالوحوش المفترسة ، أعاده إلى بيلاطس ليتولى محاكمته . فكان ذلك بمثابة الحكم مرة ثانية ببراءة السيد المسيح من جانب ذلك الملك اليهودي ، بعد أن صدر الحكم الأول ببراءته من جانب الحاكم الروماني .



## الفصل التاسع عشر

١٩ : ١ - ١٢

وعاد رؤساء اليهود وأذياهم من الغوغاء بمخلّصنا في رحلة هوان ثالثة عبر شوارع أورشليم إلى دار الوالى الرومانى بيلاطس البنطى . فكانت هذه هى المحاكمة السادسة له فى ليلة واحدة . وقد جاء فى الإنجيل للقديس لوقا تفصيل لما حدث عندئذ . إذ « دعا بيلاطس إليه رؤساء الكهنة والعظماء والشعب ، وقال لهم : لقد جئتمونى بهذا الرجل كمفسد للشعب . وهأنذا قد استجوبته أمامكم فلم يثبت لى أى شرمما تهمون به هذا الرجل . ولا ثبت هذا لهيردوس أيضًا ، إذ أعاده إلينا . فها أنتم أولاء ترون أنه مامن شىء يستوجب الموت قد صدر عنه » (لوقا ٢٣ : ١٣ - ١٥) فهاجها نجهم ، وراحوا مرة أخرى كما جاء فى الإنجيل للقديس متى « يوجهون الاتهامات إليه فلا يجيب بشىء ، فقال له بيلاطس : أما تسمع كل هذا الذى يشهدون به عليك ؟ . فلم يجبه بكلمة حتى لقد دهش الوالى جدًا » (متى ٢٧ : ١٢ - ١٤) . ولم يكن صمت مخلصنا عندئذ ، أو عندما كان يحاكمه حنّان أو قيافا أو هيرودمس من قبل ، ناجمًا بطبيعة الحال عن أنه كان عاجزًا عن الكلام ، أو عن أنه لم تكن لديه الحجج الكافية لكى يثبت براءته ، لأنه كان أبلغ البلغاء وأعظم كل من عرفتهم البشرية قوة حجة ، وأقدرهم على الإقناع والدفاع عن نفسه وإثبات براءته إذا شاء . ولكنه كان يعلم أنه لا فائدة من ذلك كله إزاء قوم هم أنفسهم موقنون ببراءته . ولكنهم مع

ذلك - لحقدهم عليه وغيرتهم منه وخشيتهم على أنفسهم مما كان له من مكانة لدى الشعب - يريدون أن يقتلوه سواء أكان بريئاً أم غير بريء . وقد حكموا عليه قبل أن يحاكموه ، وقرروا استحقاقه للموت قبل أن يحققوا معه . ومن ثمّ كان الأحكم والأكرم والأفضل والأنبل أن يلزم الصمت فلا يفتح فاه بكلمة واحدة لا نفع فيها ولا جدوى من ورائها . فتحققت بذلك نبوءة إشعيا النبي التي تقول عنه إنه « ظلم . أمّا هو فتذلل ولم يفتح فاه ، كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامته أمام جازيها ، فلم يفتح فاه » (إشعيا ٥٣ : ٧) .

وعلى الرغم من أن بيلاطس كان متعجباً متعاليّاً محقّقاً لليهود مزدرباً إياهم ، فقد كان يخاف من ثوراتهم التي كانوا لا يفتأون يضرمونها ضده ، ومن مؤامراتهم التي كانوا لا يفتأون يحكيكونها للإطاحة به . وقد أدرك منذ البداية من قولهم إن التهم المائل أمامه « يقول بالامتناع عن أداء الجزية لقيصر ، مدّعياً أنه هو المسيح الملك » أنهم يهدّدونه من طرف خفيّ بأنه إن أطلق سراحه سيتهمونه هو نفسه بخيانة قيصر ، لأنه أطلق سراح رجل متمرد على قيصر . وقد كان قيصر الرومان في ذلك الوقت هو طيباريوس الذي كان من أقسى أباطرة الرومان وأشرسهم وأكثرهم حماقة وجنوناً وتعطشاً إلى سفك الدماء وقتل الأبرياء ولو كانوا من أقرب الأقربين إليه . ومن ثمّ كان بيلاطس يخشى أى وشاية تبلغه عنه ، لأنها كفيلة بأن تطيح بمنصبه ، بل أن تطيح برأسه . ولذلك فإنه - على الرغم من اقتناعه الكامل ببراءة السيد المسيح - جبن عن أن يحكم ببراءته . وقد كان هذا الحكم من حقه ومن صميم اختصاصه وسلطته . بيد أن ضميره مع ذلك كان لا يطاوعه على الحكم بالموت على رجل بريء ، نزولاً على رغبة قوم أدياء مجرمين ظالمين ، ولا سيما أنه كما جاء في الإنجيل للقديس متى « إذ كان جالساً على منصة الحكم ، أرسلت إليه زوجته قائلة : إياك وذاك البار ، فإني توجعت الليلة كثيراً في الحلم من أجله » (متى ٢٧ : ١٩) . ولذلك عرض بيلاطس على اليهود



السيد المسيح على الصليب (يوحنا ١٩ : ١٨)



حلاً وسطاً حاول به أن يشفي غليلهم من السيد المسيح ، وفي نفس الوقت يطلق سراحه . وقد جاء في الإنجيل للقديس متى أنه « كان من عادة الوالى أن يُطلق للجماهير الشعب فى كل عيد سراح أى سجين يريدونه . وإذ كان لديهم حينذاك سجين معروف يدعى باراباس . قال بيلاطس للمتجمعين : مَنْ تريدون أن أطلق لكم سراحه ، أباراباس أم يسوع الذى يُدعى المسيح ؟ . إذ كان يعلم أنهم سلموه حسداً .. ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجمع على أن يطلبوا إطلاق باراباس وإهلاك يسوع » (متى ٢٧ : ١٥ - ٢٠) - « وكان مَنْ يُدعى باراباس مسجوناً مع رفاق له من المشاغبين كانوا فى أثناء الشغب قد ارتكبوا جرائم قتل » (مرقس ١٥ : ٧) . « فأجاب الوالى وقال لهم : أى الاثنين تريدون أن أطلق لكم سراحه ؟ . فقالوا : باراباس . قال لهم بيلاطس : فإذا أفعل إذن بيسوع الذى يدعى المسيح ؟ . فقالوا له جميعاً : فليُصلب . قال الوالى : لماذا ؟ أى شراً فعل ؟ فازدادوا صياحاً قائلين : اصلبه » (متى ٢٧ : ٢١ - ٢٣) .

بيد أن بيلاطس لم يفقد الأمل فى إنقاذ السيد المسيح مما يريدونه له . وإذ اعتقد أنه لو جلدته وأهانته وعرضه عليهم دامى الجسد مُجَلَّلاً باهوان ، سيكتفون بذلك ويوافقون على إطلاق سراحه ، ومن ثمَّ جاء فى الإنجيل للقديس يوحنا أنه « حينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلدته ، وضَفَرَ الجند إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه ، وألبسوه ثوباً من أرجوان ، وأخلوا يتقدمون منه ويقولون له « السلام ياملك اليهود » (يوحنا ١٩ : ١ - ٣) . وقد جاء فى الإنجيل للقديس متى فى تفصيل ذلك قوله : « فأخذ عندئذ جند الوالى يسوع إلى دار الولاية . وجمعوا عليه الكتيبة كلها ، ثم نزعوا عنه ثيابه وألبسوه رداء قرمزيًا ، وضفروا تاجًا من الشوك ووضعوه على رأسه ، ووضعوا قصبه فى يمينه ، ثم راحوا يبخثون على ركبهم أمامه ويهزأون به قائلين : السلام ياملك اليهود . ثم راحوا يبصقون فى وجهه

وأخذوا القصبية وراحوا يضربونه على رأسه . حتى إذا أوسعوه سخرية نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه » (متى ٢٧ : ٢٧ - ٣١) . وكان الجلد يتم بطريقة وحشية لا رحمة فيها ، وفي مظهر من العار والهوان لا يماثله أى مظهر من مظاهر قسوة الإنسان على الإنسان . إذ كان الجلادون يبدأون تنفيذ هذه العقوبة بخلع ملابس المحكوم عليه حتى يغدو عاريا ، مجردينه بذلك من كرامته ، بل من آدميته ، على مشهد من الحاضرين جميعاً . ثم يربطون يديه بجبل أو سلسلة إلى أحد الأعمدة في وضع يكون فيه منكفئاً إلى الأمام ، ثم يجيئون بسوط من الجلد الغليظ ، ذى اطراف عديدة معقودة على شظايا خشنة مسننة من الحديد ، وينهلون به على جسمه العارى كله بضربات ساحقة متلاحقة ، كل ضربة منها تشق الجلد واللحم وتنفذ حتى العظام ، فتمزق شرايين الدم الذى لا يلبث أن يتفجر منبثقاً متطابراً متناثراً فى كل اتجاه وهم مع ذلك يوالون الضربات فى همجية ضارية على الجلد الممزق واللحم المتهرئ والدم المنهمر ، غير مبالين أين تقع ضرباتهم ، ولو شجعت الرأس ، أو شرنخت الوجه أو فقأت العينين ، وغير عابئين بما يصيب المسكين فى أثناء ذلك من آلام لا توصف ولا يمكن احتماها . وقد كان كثيرون بالفعل لا يحتملونها ، فيموتون والسوط لا يزال يهوى على أجسادهم . وكان هذا ما فعلوه بالسيد المسيح عندئذ ، بعد أن « جمعوا عليه الكتيبة كلها » . وكانت الكتيبة تتألف من نحو خمسمائة جندى . وقد انضم إليهم عدد كبير من رعاى اليهود وأوباشهم ، بل من رؤسائهم وكبرائهم أيضاً ، ليشهدوا هوان عدوهم وعذابه . حتى إذا أوسعوه ضرباً لم يكتفوا بذلك ، ولم يراعوا ما هو عليه وقد صار ممزق الجسد مغطى من رأسه إلى قدميه بالدماء ، خائر القوى إلى درجة تكاد تؤدى به إلى الموت . ولكنهم - إذ كانت تهمته أنه قال عن نفسه إنه ملك - اتخذوا منه موضوعاً لتسليتهم وهوهم ، وموضوعاً لسخريتهم واستهزائهم - كما فعل هيرودس من قبل - إذ راحوا بطريقة هزلية يصفون عليه مظاهر الملوك . وإذ كان الملوك

يلبسون أردية قرمزية ، ويضعون التيجان على رؤوسهم ، ويمسكون بالصولجان أو قَصَبَةُ المُلْك في أيديهم ، ويتقبلون خضوع أتباعهم ورعاياهم ، أخذوا هم رداءً قرمزيًا قديمًا وألبسوه إياه . وبدلاً من تاج الملوك المصنوع من الذهب ، ضَفَرُوا هُم تاجًا من الشوك ووضعوه على رأسه . وبدلاً من الصولجان جاءوا بقصبة حقيرة من الغاب ووضعوها في يمينه . ثم راحوا شأن الأتباع والرعايا يمشون على ركبهم في مجون وسخرية أمامه ، قائلين في استهزاء « السلام ياملك اليهود » . ثم لم يكتفوا بذلك أيضًا ، وإنما - وقد سثموا الاستمرار في تلك التمثيلية الهزلية - استأنفوا - في حقد ووحشية وفضاظة وبداءة - العدوان عليه ، فراحوا يبصقون في وجهه ، وأخذوا القصبة التي كانوا قد وضعوها في يمينه وأخذوا يضربونه بها على رأسه الذي كان يعلوه إكليل الشوك ، فكان الشوك ينغرس في جبينه ، فتسيل منه قطرات الدم على وجهه ، وهو صامت لا يتكلم ، صابر لا يئن ولا يتوجع . حتى إذا شبعوا منه سخرية وعدوانًا ، نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه وعادوا به إلى بيلاطس . ومع أن الحكم بالجلد كان في العادة مجرد تمهيد للصلب ، فقد أراد بيلاطس أن يجعله عقوبة قائمة بذاتها يوهم بها اليهود أنه رضخ لرغبتهم وعاقبه ، على أن يطلق سراحه بعد ذلك ، لا على أساس أنه حكم ببراءته ، وإنما على أساس أنه عفا عنه بعد أن أدانه . ومِنْ ثَمَّ خرج إليهم ثانية وقال لهم « هاأنذا سأخرجه إليكم لتعلموا أفي لا أجد فيه خطيئة » . وأوقفه أمامهم لابسًا إكليل الشوك ووثوب الأرجوان ، مهانًا موثقًا بالحبال ، مثنختًا بالجراح ، مغطى بالدماء ، كالشاة المذبوحة ، عسى أن يكفئهم هذا وبطفي نار حقدهم عليه ، وشفاء غليلهم منه ورغبتهم في التنكيل به وإذلاله ، وإبطال دعواه بأنه المسيح ابن الله وأنه ملك اليهود ، لأن دعواه هذه لا يمكن أن تصحَّ في تصوُّرهم وسط كلِّ هذا العار الذي غطاه وغطى على دعواه . وقال لهم بيلاطس : « ها هوذا الرَّجُل » . فلمَّا رآه رؤساء الكهنة والحُدَّام صاحوا قائلين « اصلبه » .

اصلبه . وعندئذ ضاق صدر بيلاطس وقال لهم : « خذوه أنتم واصلبوه ، فإننى لا أجد فيه خطيئة يُدان عليها . فأجابه اليهود قائلين : « إن لنا شريعة ، وإنه على مقتضى شريعتنا يستحق الموت ، لأنه جعل نفسه ابن الله . فلما سمع بيلاطس هذا الكلام ازداد خوفاً ، ودخل مرةً أخرى إلى دار الولاية وقال لمُخَلَّصنا : « من أين أنت ؟ » . ولكن مُخَلَّصنا لم يُجِبْهُ ، فقال له بيلاطس : « لماذا لا تكلمنى ؟ أما تعلم أن لى سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلق سراحك ؟ أجاب مُخَلَّصنا قائلاً : « ليس لك على سلطان البتة ، مالم تكن قد أعطيت من فوق . ولذلك فإن الذى أسلمنى إليك خطيئته أعظم . » . وبسبب هذا كان بيلاطس يبتغى أن يطلق سراحه ، ولكن اليهود أخذوا يصيحون قائلين : « إن أنت اطلقت سراحه فلست مُحبِّباً لقيصر . لأن كلَّ من يجعل نفسه ملكاً إنما يقاوم قيصر »

١٩ : ١٣ - ١٨

فلما سمع بيلاطس هذا الكلام ، أخرج مُخَلَّصنا ، ثم جَلَسَ على كرسى القضاء فى مكان يسمى البلاط ، وبالعبرانية « جَبَّاثا » . وكان يومئذ يوم الاستعداد للفصح ، وهو الجمعة . أى اليوم السابق لأوّل أيام عيد الفصح . وكانت الساعة عندئذ نحو السادسة بالتقويم اليهودى ، أى نحو الساعة الثانية عشرة ظهراً فى تقويمنا الحالى ، فقال بيلاطس لليهود « ها هوذا ملككم » . أما هُم فصاحوا قائلين « ارفعه ، ارفعه ، اصلبه » . قال لهم بيلاطس « أصلب ملككم ؟ » . فصاح رؤساء الكهنة قائلين « ليس لنا ملك إلا قيصر » . وهكذا قذفوا فى وجه بيلاطس صراحة بالتهديد الذى كانوا فى البداءة يخفونه فى كلامهم ملمّحين إليه تلميحاً . وبذلك أخفقت كلّ محاولاته فى إنقاذ ذلك الإنسان الوديع المائل أمامه وهو فى حقيقته رب الأرباب - الذى على الرغم من صلف

بيلاطس وعجرفته ، مَسَّت وداعته شغاف قلبه . وعندئذ يقول الإنجيل للقديس متى : « فلما رأى بيلاطس أنه لا جدوى ، وإنما بالأحرى يزداد الضجيج أخذ ماء وغسل يديه أمام الجمع قائلاً : إني برئ من دم هذا البار . أنتم وشأنكم . فأجاب عندئذ كل الشعب وقالوا : « دمه علينا وعلى أبنائنا » ( متى ٢٧ : ٢٤ و ٢٥ ) . وبهذه العبارة وقعت مسئولية الحكم على السيد المسيح بالموت على الشعب اليهودي كله وعلى أبنائه إلى الأبد .

ولعلّ مما يثير الدهشة أن أولئك اليهود الذين كانوا يهرعون إلى السيد المسيح بعشرات الألوف ليستمعوا إلى تعاليمه السماوية ليشفيهم من أمراضهم بمعجزاته الإلهية ، والذين طالما بهرتهم تلك التعاليم ، وأدهشتهم تلك المعجزات ، فكانوا يؤمنون بأنه هو المسيح ابن الله الذى ينتظرونه ، ولا يفتأون لذلك يلقبونه بابن داود ، والذين أحبووه وصاحبوه فى كل مكان ذهب إليه ، مقبلين إليه من كل مدنهم البعيدة وقراهم النائية ، سائرين على أقدامهم مئات الأميال ، وقد أرادوا أن يخطفوه ليجعلوه ملكاً عليهم ، والذين استقبلوه حين دخل أورشليم آخر مرة استقبال الملوك الفاتحين والقادة المنتصرين ، باسطين ثيابهم تحت أقدامه ، ملوحين له بأغصان الأشجار وهم يهتفون قائلين : « المجد مخلّصنا ابن داود . مبارك الآتى باسم الرب . المجد مخلّصنا فى الأعلى » ( متى ٢١ : ٩ ) ، والذين طالما قيل إن رؤساءهم كانوا يخافون أن يقبضوا عليه خشية أن يثوروا ضدهم ويهلكوهم من أجله ، وقد استمر ذلك حتى اليوم السابق على محاكمته ، فجاء فى الإنجيل للقديس متى أن أولئك الرؤساء ، إذ « هموا بأن يقبضوا عليه . خافوا من الجمع لأنهم كانوا يعدّونه نبياً » ( متى ٢١ : ٤٦ ) . وجاء فى الإنجيل للقديس مرقس أنهم كانوا « يبحثون كيف يسكونه بجدعة ويقتلونه ، ولكنهم قالوا : لا نفع لك ذلك فى العيد لئلا يحدث اضطراب بين الشعب » ( مرقس ١٤ : ٢١ ) . وجاء فى الإنجيل للقديس لوقا أنهم كانوا « يهتفون أن يهلكوه ،

ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً ، لأن الشعب كله كان متعلقاً به ، وبالاستماع إليه « (لوقا ١٩ : ٤٧ و ٤٨ ) ، إذا بأولئك اليهود أنفسهم ينقلبون بين يوم وليلة من محبين له إلى أعداء ، ومن مؤمنين به يريدون أن يجعلوه ملكاً عليهم ، إلى كافرين به ، منكرين له ، متخذين من القول بأنه ملك تهمة ضده يطلبون بسببها قتله . فلا تعليل لذلك إلا أنهم منذ نشأتهم شعب متقلب مذذب ، ما كرناكر للجميل ، غادر يقابل الحب بالكراهية ، والحسنة بالسيئة ، والخير بالشر . فهو يخون الصديق ، ويتملق العدو ، ويمتن الذي يكرمه ويخدمه ، ويداهن الذي يذله ويستعبده . وقد كان اليهود - بطبيعتهم الشريرة الشرهة الطاغية الطامحة إلى السطوة والسيطرة والثراء والمجد الدنيوى - يعتقدون أن المسيح سيتزعمهم ويقودهم إلى الحرب ضد الرومان ليعيد إليهم مملكة داود التي كانوا يحملون بعودتها ، ثم يغزو بهم العالم كله ليجعلهم سادته والمتسلطين عليه ، حتى إذا صارحهم السيد المسيح بأنه لن يفعل ذلك لأن مملكته ليست من هذا العالم ، ثم رأوه مقبوضاً عليه ، موثق اليدين ، مغلول العنق ، مضروباً ، مبصوقاً على وجهه ، مهاناً ، يكتنفه العار ، تخلّوا عنه على الفور ، واشتركوا مع رؤسائهم في إهائته وتعييره والسخرية به والاعتداء عليه والمطالبة بصلبه ، فأثبتوا بذلك أنهم على الرغم من كل ماقاله لهم السيد المسيح وفعله بينهم ليصرف أنظارهم عن مطاعمهم الأرضية وشهواتهم البهيمية ، ويفتح أعينهم على أمجاد ملكوته السماوى ، ظلوا عمياناً يقودهم عميان ، ورفضوا مسيحهم الذى ظلوا مثاث السنين ينتظرونه ، طالبين الخلاص من ذلك الذى جاء لخلاصهم ، مرتضين باعترافهم أن تكون مسئولية دمه البرى عليهم وعلى أبنائهم .

أما بيلاطس فقد تغلب في النهاية خوفه على عدالته ، وجبته على رحمته . ومن ثم أذعن لليهود وسلم السيد المسيح إليهم ليصلبوه ، فأخذوه ومضوا به . وما إن نطق بيلاطس - مضطراً مغلوباً على أمره بالحكم بصلب

السيد المسيح ، حتى أسرع اليهود في لهفة مجنونة إلى تنفيذ الحكم فوراً ، على الرغم من أن مجلس الشيوخ الروماني كان قد أصدر في عهد الإمبراطور الروماني طياريوس قراراً بأن يؤجل تنفيذ حكم الإعدام مدة لا تقل عن عشرة أيام بعد صدور ذلك الحكم ، عسى أن يظهر في تلك المدة دليل جديد على البراءة . ولكن اليهود خشوا أن يتراجع بيلاطس في حكمه على السيد المسيح ، بعد أن رأوا من إصراره على تبرئته وإطلاق سراحه . كما أنهم كانوا متعطشين في وحشية إلى القضاء على السيد المسيح ، وإلى تلطيفه بكل ألوان العار والهوان ، ليزيلوا بذلك الأثر الجميل النبيل الباهر الساحر الذي كان قد تركه في نفوس اليهود ، بتعاليمه السماوية وقدرته الإلهية ، ويظهروه أمامهم في صورة أخرى تدعوهم إلى الاستهانة به ، واحتقاره واستشعار خيبة أملهم فيه ، إذ يرونه مخذولاً مذلولاً مسالماً مستسلماً ، بعد أن كانوا يطمعون في أن يكون هو الملك الجبار والقائد المغوار الذي يثار لهم من أعدائهم الذين يستعبدونهم ، ويحقق لهم السطوة والتسلط على كل الشعوب ، ليكونوا هم السادة لا العبيد ، على مقتضى فكرتهم عن المسيح ابن داود الذي كانوا ينتظرون مجيئه . ومن ثمّ فلأنهم لم يتركوه حتى يلبتقط أنفاسه بعد المحاكمات الظالمة الغاشمة البذيئة التي استمرت طوال الليل أمام حنّان وقيافا . ثم استمرت منذ الفجر الباكر حتى نحو الساعة السادسة ( وهي التاسعة بتوقيتنا الحاضر ) أمام مجلس السنهدريم ، ثم أمام بيلاطس ، ثم أمام هيروُدس ، ثم أمام بيلاطس مرة أخرى ، وبعد ما تجرعه في أثناء ذلك الوقت كله من صنوف الإهانة والهزء والسخرية والتقييد بالحبال والتعذيب الوحشي تحت ضربات الجلاد الذي لم يترك موضعاً في جسده إلا مرّقه وأدماه بأطراف سوطه الذي يشقّ لحم الجسد كما يشقّ نصل المحراث أديم الأرض ، حتى صدقت فيه النبوءة التي قالت بلسانه « على ظهري حرث الحرّاث » ( المزمور ١٢٨ :

( ٣ ) ، وحتى لم يعد في كيانه البشري ما يمكن أن يطبق احتمالاً . ويبدو أنهم في

لهفتهم على تنفيذ ما دبروه له . كانوا قد أعدوا له بالفعل الصليب الذى سيعلقونه عليه ، حتى لا تضيع منهم دقيقة واحدة . فما إن سلمه إليهم بيلاطس حتى شرعوا على الفور يحققون مآربهم الإجرامى ، فأخذوا مخلصنا « ومضوا به ، وخرجوا به وهو حامل صليبه » ( يوحنا ١٩ : ١٦ و ١٧ ) . وكانوا قد ألبسوه ملابس بعد أن نزعوا عنه الثوب الأرجوانى الذى كانوا قد وضعوه على جسده العارى المغطى بالدماء ، وهم يؤدون تمثيليتهم البذيئة الماجنة ، استهزاء به وسخرية منه ، ولكنهم تركوا إكليل الشوك على رأسه .

وإمعاناً فى تعذيب السيد المسيح وإهائته وإذلاله وتجليله بالعار أمام اليهود جميعاً ، أزموه بأن يحمل صليبه من دار الولاية إلى موضع الصَّلب . وقد سلكوا به أطول طريق ممكن فى شوارع أورشليم ليراه وهو على هذا الحال أكبر عدد ممكن من اليهود ، « وتبعه جمع عظيم من الشعب » ( لوقا ٢٣ : ٢٧ ) . وقد كان يتقدمهم بطبيعة الحال أعداؤه من رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين والصدوقيين وسائر أعضاء مجلس السنهدريم الذين بذلوا أقصى وأقسى جهد ليتوصلوا إلى تلك النتيجة التى أثلجت صدورهم ، وشفت غليلهم ، وأطفأت نار حقدهم . وقد أبوا إلا أن يتمتعوا حتى النهاية بتلك المشاعر التى كانوا يجدون فيها لذة وحشية وسعادة شيطانية لا تقف ولا تشبع ولا تتروى ولا تقف عند حد . وقد شاطرهم فى ذلك عدد كبير من أتباعهم وأشياعهم وخدمهم وعبيدهم ، والخاضعين خضوعاً أعمى لنفوذهم ، والواقعين من الجهلاء والأغبياء فى حبال تأثيرهم ، باعتبارهم معلّمى الدين وعلماء الشريعة وعظماء الشعب . كما شاطرهم عدد كبير من الغوغاء والدهماء والأوباش والأدنياء الذين لا عقل لهم ولا عقيدة ولا ضمير . فهم يجدون - بطبيعتهم الحيوانية المنحطة وغريزتهم الفطرية الشريرة - متعة فى أن يشاهدوا آلام الآخرين ، ولو بلغت حدّ التعذيب والتنكيل والقتل . بيد أنه ما من شك فى أنه كان ضمن ذلك الموكب الحزين



المفجع ممن كانوا قد سبق لهم أن آمنوا بالسيد المسيح ، أو ممن في قلوبهم رحمة . ومن ثمَّ كانوا مشفقين عليه ، متوجعين بينهم وبين أنفسهم ممَّا يروونه يعانيه من عذاب وهوان وعار ، ولا سيَّما النسوة اللاتي يقول الإنجيل للقديس لوقا لهنَّ « كُنَّ يندبن ويُنْحَنَ عليه » ( لوقا ٢٣ : ٢٧ ) . بيد أن السيد المسيح وقد آلمه المصير الرهيب الذى كان يعلم أنه ينتظر أولئك النسوة الرقيقات القلوب اللاتي كنَّ يندبن ويُنْحَنَ عليه ، والنهاية التعسة التي كانت تنتظر أبناءهن بسبب شرور الشعب اليهودى ، التفت إليهن وقال : « يا بنات أورشليم لا تبكين علىّ ، بل ابكين على أنفسكن وعلى أبنائكن . لأنه هي ذى أيام تأتي سيقولون فيها مأسعد العواقر والبطن التي لم تلد والثدى التي لم تُرضع . عند ذلك يبتدون يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا ، لأنهم إن كانوا يفعلون هذا بالعود الرطب ، فكم بالأحرى يفعلون باليابس » ( لوقا ٢٣ : ٢٨ - ٣١ ) . أى أنه إذا كان هذا ما حدّث للظاهر البارّ الوديع الحىّ المحيى ، الذى يشبه العود الرطب الممتلئ ثمرًا وبركة ، فكم بالأحرى سيحدث لليهود ، الأشرار الفُجَّار القساة القلوب ، الأموات الضمائر ، السافكين الدماء ، الذين يشبهون عود الحطب اليابس الذى لا ثمر له ولا خير فيه ولا نفع منه ولا يستحق إلا أن يكون وقودًا للنار .

وقد مضى السيّد المسيح حاملاً صليبه في طريق الآلام . يئد أن الصليب كان ثقيلاً . وكان هو من أثر كلِّ ما مرَّ به مرهق الجسد لا يقوى على حمله . فكان كل آونة وأخرى يتوقف به ، أو يسقط تحته . في حين كان أعداؤه يتعجلون موته على الصليب . وربما كانوا يخافون أن يموت قبل أن يصلبوه . وقد كان صلبه هو الأمر الذى يهدفون إليه ويشتهونه ويتحرّقون رغبة فيه ، لأنهم كانوا يريدون له العار ، وكان التعليق على خشبة الصليب معتبرًا أبشع مظاهر العار ، إذ كانت شريعتهم تعتبر الملقى عليه ملعونًا من الله ( الثنية ٢١ : ٢٣ ) . ومن ثمَّ جاء في الإنجيل

للقديس مرقس أنه « كان بين المارة رجل قادم من الحقل يدعى سمعان القبروانى .. فسخرّوه ليحمل صليبه » (مرقس ١٥ : ٢١) . وقد أذعن الرجل لهم على الرغم من أنّ حَمَلَ الصليب فى ذاته كان عارًا . وقد كان إذعانه لهم ناشئًا عن خوفه منهم ، أوروبما كان ناشئًا عن إيمانه بالسيد المسيح ورغبته فى تخفيف بعض آلامه ، ولو أدّى ذلك إلى مشاركته فى العار الذى كَحِقَ به ظلمًا وعدوانًا . بيد أنه على أىّ حالٍ أصبح بعد ذلك من المسيحيين المعروفين مع زوجته وابنين له ، إذ جاء فى عبارة الإنجيل للقديس مرقس نفسها أنه « هو أبو الإسكندر وروفوس » (مرقس ١٥ : ٢١) . ولعل روفوس هذا هو الذى جاء ذكره مع أمه بكل توقير فى رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل روما . إذ قال « سلّموا على روفوس المختار فى الرب وعلى أمه أمى » (روما [ رومية ] ١٦ : ١٣) .

وأخيرًا بلغوا إلى الموضع المسمى الجمجمة ، وبالعبراية جَلْجَلْثَا . وبالآرامية الجلجثة ، كما ورد فى الإنجيل للقديس متى (متى ٢٧ : ٣٣) ، وهو تل مرتفع يقع خارج أورشليم بالقرب من أسوارها ، ويمكن رؤيته من داخلها ، ويمتدّ بجواره طريق عام يؤدى من أورشليم إلى « جبعة » التى كانت على بعد نحو أربعة أميال شمالها .. ويبدو أن هذا الموضع كان مخصّصًا لقتل المحكوم عليهم بالموت ، سواء بطريقة الرجم اليهودية ، أو بطريقة الصلب الرومانية ، وربما كانت توجد بعض جماجم أولئك القتلى ، ولذلك كانوا يُسمّونه كما ذكرنا بالعبراية « جَلْجَلْثَا » ، وبالآرامية « الجلجثة » أى الجمجمة . ويذهب البعض إلى أن جمجمة آدم مدفونة هناك . ولعلّ هذا هو السبب الذى حدّا ببعض الفنانين أن يرسموا صليب المسيح قائمًا على جمجمة رأس آدم .

وكانت العادة قد جرّت فى ذلك الحين على أن تجيء بعض نساء أورشليم

الرحيمات عند تنفيذ عقوبة الرّجم أو الصلب في المحكوم عليه فيعطينه قبل الشروع في قتله جرعة من الخمر ممزوجة بالطيب ليحدّرنه ويخففن من آلامه . عملاً بقول سليمان الحكيم في سفر الأمثال « أعطوا مسكراً هالك ، وخمرًا لمُرَى النفس » ( الأمثال ٣١ : ٦ ) . أما أعداء السيد المسيح فقد قبلوا الآية . فجعلوا من تلك الوسيلة التي تنطوى على الرأفة والرحمة ، وسيلة للنكاية ومضاعفة الألم والإيعان في التشفّي والقسوة ، إذ أنهم كما جاء في الإنجيل للقديس متى « أعطوه خمرًا ممزوجة بمرارة ليشرب . فلما ذاقها أبى أن يشربها » ( متى ٢٧ : ٣٤ ) . وبذلك أخذ ما في الكأس من مرارة . وأما الخمر فرفض أن يشرب منها ، لأنه لا يريد مخدّرًا يخفف من آلامه تخفيفًا مصطنعًا ، كما سبق أن قال لتلاميذه في الليلة السابقة : « إني منذ الآن لن أشرب من نتاج الكرمة هذا حتى اليوم الذي فيه أشربه جديدًا معكم في ملكوت أبى » ( متى ٢٦ : ٢٩ ) .

وبعد ذلك طرحوا الصليب على الأرض ، وأرقدوا السيد المسيح عليه بعد أن خلعوا ثيابه . ثم راحوا يدقّون مسارين طويلين سميكين بمطرقة ضخمة في مِعْصَمَيْ يديه على طرفي العارستين الأفقيتين للصليب ، حتى نفذ المساران من معصم اليدين إلى الخشب فأصبحا غائرين وثابتين فيه . وهكذا فعلوا في مفصلي قدميه في أسفل العارضة الرأسية للصليب ( كولوسي ٢ : ١٤ ) ، إحدى القدمين على الصليب . والأخرى فوقها .

ثم أقاموا الصليب وغرسوه في حفرة في الأرض . وقد جاء في الإنجيل للقديس مرقس أنه « كانت الساعة الثالثة حين صلبوه » ( مرقس ١٥ : ٢٥ ) . والساعة الثالثة في التقويم الذي كان اليهود يستخدمونه تقابل الساعة التاسعة صباحًا في التوقيت الحديث . ولكن يبدو أن الحكم بالصلب كان في نحو الساعة التاسعة بالتوقيت الحديث . وأما الصلب بالفعل فكان قبيل السادسة أو نحو السادسة وهي تقابل في التوقيت الحديث الثانية عشرة ظهرًا .

وإمعاناً في النكاية بالسيد المسيح والتشهير به ومضاعفة العار الذي أرادوه له ، وإظهاره بمظهر المجرم الخطير . « صلبوا معه لصين كل منهما على جانب منه ويسوع في الوسط » ( يوحنا ١٩ : ١٨ ) . وقد جعلوه في الوسط لكي يوحوا للذين يرونه بأنه أشد الثلاثة إجراماً وبذلك تَمَّت النبوة التي تنبأ بها إشعياء النبي عن السيد المسيح قائلاً إنه « سَكَبَ للموت نفسه ، وأَحْصَى مع أئمة » ( إشعياء ٥٣ : ١٢ ) .

١٩ : ١٩ - ٢٢

وإذ كانت العادة قد جرت على أن يكتبوا تهمة المصلوب على لافتة ويعلقوها فوق رأسه ، تشهيراً به وتحذيراً لغيره ، أراد بيلاطس أن يسخر من اليهود لأنهم أدانوا إنساناً بريئاً لغير تهمة إلا أنه قال عن نفسه إنه ملك . وإن كان قد جاهر بأن مملكته ليست من هذا العالم . فكانت تلك هي تهمة التي قتلوه بسببها ، ومن ثمَّ وضع بيلاطس لافتة على الصليب كتب فيها « يسوع الناصري ملك اليهود » . فقرأ هذه اللافتة كثيرون من اليهود وغير اليهود لأن الموضع الذي صلبوا فيه محلّصنا كان قريباً من المدينة ، ولأنها كانت مكتوبة بالعبرانية واليونانية واللاتينية التي هي لغة الرومان ، ليفهمها كل الناس من كل الأجناس . وقد أعاظ ذلك رؤساء الكهنة لأنه يتضمن إقراراً واعترافاً بأن هذا المصلوب على خشبة العار هو ملكهم . فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس « لا تكتب أنه ملك اليهود ، بل إنه هو قال أنا ملك اليهود » . فأجاب بيلاطس قائلاً في ضيق وضجر « ما كتبت قد كتبت » .

١٩ : ٢٣ و٢٤

وعلى الرغم من أن السيد المسيح أصبح الآن موثقاً على الصليب لا بالحبال

وإنما بالمسامير التي دقوها دقًا في لحمه وعظامه حتى نفذت إلى الخشب واتخذت فيه وضعًا ثابتًا لا فكاك منه ، فإن أعداءه على الرغم من كثرتهم وتجمهرهم حوله وإحاطتهم به في حلقة ضخمة ، ظلوا مع ذلك خائفين أن يأتي تلاميذه والمؤمنون به فيترعون من الصليب ، فأقاموا عليه أربعة حراس أشداء من الجنود الرومان المدججين بالسلاح ، فضلاً عن الفرقة العسكرية الكاملة التي كانت تضرب نطاقًا حول موضع الصلب ، وعلى رأسها ضابط روماني كبير برتبة قائد مائة . وإذا كان الحراس الأربعة يعلمون بخبرتهم أن المصلوب لا يموت إلا بعد وقت طويل . وكانت العادة قد جرت على أن تكون ملابس المصلوبين من نصيب حراسهم ، اتخذ أولئك الحراس من اقتسام ثياب السيد المسيح تسليية لهم يقطعون بها الوقت ويمنعون عن أنفسهم الملل . ومن ثم أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام ، لكل جندي منها نصيب ، وأخذوا القميص أيضًا ، وإذا كان بغير خياطة ، منسوجًا كله من أعلاه إلى نهايته ، قالوا بعضهم لبعض « لا نشقه بل فلنترع عليه لمن منا يكون » . وبذلك تحققت نبوءة المزامير التي تقول بلسان السيد المسيح « لأنه قد أحاطت بي كلاب . جماعة من الأشرار اكتفتني . ثقبوا يدي ورجلي .. وهم ينظرون ويتفرسون في .. اقتسموا ثيابي بينهم ، وعلى قبصي اقترعوا » ( المزمور ٢١ : ١٦ - ١٨ ) . وقد كان هذا ما فعله الجند .

١٩ : ٢٥ - ٢٧

وقد ذكر الإنجيل للقديس متى بعض تفصيلات ما حدث في هذه الأثناء . فقد كان أعداء السيد المسيح من رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين والصدوقيين وغيرهم قد سارعوا إلى العمل على أن يذيعوا في أورشليم كلها تفصيل المحاكمات التي أجروها للسيد المسيح ، وما وجهوه إليه في أثنائها من اتهامات دينية ، ليظهره أمام الشعب بمظهر المخالف للشريعة اليهودية والمعتدى على الهيكل

والمحدّف على الله ، ولا سيّما قول الشهود إنهم سمعوه يقول إنه قادر على أن يهدم الهيكل ، ثم في ثلاثة أيام يبنيه ، وقوله هو إله ملك اليهود ، وإله ابن الله . وقد نجح أعداء السيد المسيح بالفعل بمالهم من سلطان في إثارة اليهود عليه والقضاء على إيمان الذين آمنوا منهم به ، وهمُ الشعب المتقلّب الطبيعة ، المذبذب العقيدة ، الذي سرعان ما ينتقل في تفكيره وشعوره وديانته نفسها من النقيض إلى النقيض ، حسبما يجد فيه مصلحته ومنفعته . وإذ كان المكان الذي صلبوا فيه السيد المسيح مجاوراً لطريق عام يكثر فيه الراحون والغادون من اليهود « كان المارّة يسبّونه وهم يهزّون رؤوسهم قائلين : يا هادم الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلّص نفسك . إن كنت أنت ابن الله فانزل عن الصليب » ( متى ٢٧ : ٣٩ و٤٠ ) . ونرى من ذلك إلى أيّ حدّ تبلغ أحياناً قسوة البشر وغلظة قلوبهم . فإن الذي يمرّ في طريقه بمتألم مها كان سبب هذا الألم أو المتسبّب فيه من شأنه أن يشفق عليه ويتوجع من أجله ، سواء أكان يعرفه أم لا يعرفه . بيد أن أولئك المارين في طريق ذلك المصلوب البريء البارّ الممزق الجسد بالسياط ، المحطم العظم بالمسامير ، وهم يرونه يقاسى أشنع وأبشع ما يمكن أن يقاسيه إنسان من صنوف العذاب الذي هو فوق طاقة البشر ، بدلاً من أن يقولوا له كلمة رثاء أو عطف أو تشجيع ، أو على الأقلّ يصمتون ولا يقولون شيئاً ، راحوا يكيلون له أبداً كلمات الشتمة والتشقي ، مردّدين مفتريات أعدائه عنه ، ساخرين منه ، هازئين به . لأنه - كما زعم أعداؤه - قال إنّ في مقدوره أن يهدم الهيكل وفي ثلاثة أيام يبنيه ، وهاهوذا يبدو عاجزاً عن أن يفعل ما هو أهون من ذلك ، وهو أن يتقدّ نفسه من يد قاتليه ، ولأنه قال عن نفسه إنه ابن الله القدير ، مبرهنًا على ذلك بما كان يصنع من المعجزات ، وهاهوذا غير قادر على أن يصنع تلك المعجزة البسيطة للقدرة الإلهية ، فينزل عن الصليب . فبرهنوا - فضلاً عن قسوتهم وبداءتهم وانعدام الرحمة من قلوبهم - على أنهم وهم اليهود لا يعرفون شيئاً مما ورد في

كتب ديانتهم وشريعتهم اليهودية ، مما قاله أنبيأؤهم عن حقيقة رسالة المسيح من أنه سيحيى إلى العالم ليكون هو ذبيحة الفصح الحقيقية ، حتى يكفر بدمه عن خطاياهم وينقذهم من الهلاك المحكوم به من العدالة الإلهية عليهم . بيد أنهم إن فعلوا ذلك وهُم عامة اليهود ودعماؤهم ، فقد برهن رؤساء كهنتهم وفقاؤهم ومعلموهم وعلماؤهم الدينيون على أنهم لا يقلون عنهم جهلاً بدينهم وشريعتهم ونبوءات أنبيائهم عن المسيح ، لأن « رؤساء الكهنة كانوا يهزأون به مع الكهنة والشيوخ قائلين : خلّص آخرين ولا يستطيع أن يخلّص نفسه . إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فتؤمن به . لقد أتكل على الله فلينقذه الآن إن كان راضياً عنه ، لأنه قال أنا ابن الله » (متى ٢٧ : ٤١ - ٤٣) . وهكذا فإن أولئك الذين كانوا يدعون لأنفسهم التفقه في الدين والتعمق في أسراره وخفاياه فأقاموا أنفسهم معلّمين للدين ورؤساء للكهنة الدينيين ، راحوا يردّدون نفس العبارات التي كان يردّدها الدّهماء والجهلاء من شعبيهم ، معترفين بأن السيد المسيح صنع معجزات خلّص بها آخرين من المرض أو من الموت ، ومع ذلك هاهوذا لا يستطيع أن يصنع معجزة يخلّص بها نفسه ، قاصدين بذلك أن يقولوا إن كل المعجزات التي صنعها إنما كانت بقوة الشيطان لا بقوة الله ، ولا بقوته هو . وقد تحدّوه إن كان هو ابن الله كما كان يقول ، فلينزل عن الصليب فيؤمنوا عندئذ به . وقد كان قولهم هذا أكبر برهان على جهلهم لديانتهم ونبوءات أنبيائهم . لأن السيد المسيح لو نزل عن الصليب لهدّم بذلك الهدف الرئيسي الذي جاء من أجله إلى العالم ، والذي تشير إليه نبوءات كل الأنبياء ، وهو أن يفدى البشر بموته ، مكفراً عن خطاياهم بدمه لخلاصهم . وقد كان مما جاء في بعض تلك النبوءات أن المسيح « أُرسِل فداء لشعبه » (الزمور ١١٠ : ٩) . وأن « أحرزنا حَمَلَهَا وأوجاعنا تحمّلها .. وهو مجروح لأجل معاصينا . مسحوق لأجل آثامنا .. كلنا كغنم ضللتنا .. والرب وضع عليه إثم جميعنا .. جعل نفسه

ذبيحة إثم .. سَكَبَ للموت نفسه .. وهو حَمَلَ خطيئة كثيرين » (إشعيا ٥٣ : ٤ - ١٢) . وقد كان لأبَدَ للتكفير عن خطايا البشر أن يبذل دمه عنهم ، إذ تقضى الشريعة بأن « الدم يكفّر عن النفس .. لأن نفس كل جسد دمه هو بنفسه » (اللاويين ١٧ : ١١ و ١٤) . فبدون تكفير بالدم لا يكون خلاص .

وقد جاء في النبوءات « قولوا لخائفي القلوب تشدّدوا . لا تخافوا .. هو يأتي ويخلّصكم » (إشعيا ٣٥ : ٤) . فلو لم يظل السيد المسيح على الصليب ، باذلاً دمه حتى يموت كما تموت الذبيحة ، ما كان ثمة فداء ولا مغفرة ولا خلاص . وقد عبّروه بأنه غير قادر على أن يصنع معجزة ينقذ بها نفسه من الموت . بيد أنه كان يدخر لهم معجزة أعظم وأعجب من تلك التي تحدّوه أن يصنعها . وهي أنه بعد أن يموت على الصليب ويظلّ جثثانه في القبر ثلاثة أيام سيقوم وقد عاد إلى الحياة هازماً الموت الذي لم يستطع إنسان أن يهزمه قط . ولكنهم كانوا كعادتهم كاذبين مرائين ، لأنهم زعموا أنه إذا نزل عن الصليب فسيؤمنون به . ولكنهم كانت قلوبهم من السواد والعناد والشّر والفساد حتى إنهم بعد أن رأوا قيامته لم يؤمنوا به ، وإنما ظلّوا على مغالطتهم وضلالهم وعمى أبصارهم وبصائرهم ، ثم إنهم قدموا برهاناً أوضح وأفدح عن جهلهم بكتبهم الدينية ونبوءات أنبيائهم ، إذ نطقوا وهم يعيرونه بعبارة ورَدَ في النبوءات أن أعداء السيد المسيح سيقولونها عنه وهو على الصليب . وقد نطقوها كما وردت بحذافيرها كلمة بكلمة تقريباً ، إذ قالوا « اتكل على الله فلينقذه الآن إن كان راضياً عنه » ، في حين قالت النبوءات « كل الذين يرونني يستهزئون بي .. قائلين اتكل على الربّ فلينجيه . لينقذه لأنه سرّ به » (المزمور ٢١ : ٧ و ٨) . ولعلّ مما يدلّ على مدى ما كان يملأ قلوب رؤساء الكهنة من شر وشراسة وضعينة وحقد ورغبة وحشية في النكاية بالسيد المسيح وشفاء غليلهم منه ، أنهم وقفوا ليثلجوا صدورهم برؤيته مصلوباً مجللاً بالعار ، منتهزين هذه الفرصة ليهزأوا به ويسخروا منه ، ناسين ومهملين في سبيل



ذلك واجباتهم الدينية التي كانت تحتم عليهم ملازمة الهيكل في ذلك اليوم بالذات الذي كان أول أيام عيد الفصح ، وكانت الشريعة تقضى بأن يقام فيه حفل مقدس يؤدي فيه الكهنة ورؤساؤهم الطقوس التي قررتها الشريعة لذلك على مقتضى ماجاء في سفر اللاويين ( اللاويين ٢٣ : ٧ الخ )

ولئن لم يكن ثمة عذر لليهود ولا لرؤسائهم الدينيين فيما كانوا يقولونه للسيد المسيح وهو على الصليب كما رأينا ، إنه يمكن التماس العذر للجنود الرومان الوثنيين الذين كانوا حاضرين ، إذ انجرفوا في نفس التيار . وقد قيل لهم إن المصلوب قال عن نفسه إنه ملك اليهود ، وكانت هذه هي تهمة المكتوبة في اللافتة المعلقة على رأسه بثلاث لغات يفهمونها ومنها لغتهم اللاتينية أو الرومانية . ومن ثمّ فإنهم هم أيضاً « كانوا يسخرون منه ... قائلين له : إن كنت أنت ملك اليهود فحلّص نفسك » ( لوقا ٢٣ : ٣٦ و ٣٧ ) . لأنهم لم يكونوا يعلمون ما جاء عن السيد المسيح في الأسفار الدينية لليهود ، وفي نبوءات أنبيائهم . ولكنهم مع ذلك أضافوا إلى كأس آلامه قطرة حتى امتلأت هذه الكأس إلى حافتها . بيد أنّ قطرة أخرى مريرة أضيفت بعد ذلك إليها ، لأن المشتركين في معاناة نفس الآلام يعطف عادة بعضهم على بعض . ولكن اللصين اللذين كانا مصلوبين معه إذ سمعا تعبيرات كل الحاضرين له ، اشتركا هما أيضاً معهم ، إذ جاء في الإنجيل للقديس متى أنه « بذلك أيضاً كان يعيره اللصان اللذان صُلبا معه » ( متى ٢٧ : ٤٤ ) .

أما السيد المسيح فإنه في وسط كل تلك الآلام التي كان يعانيها ، وتلك الإهانات التي كان يوجهها إليه أولئك اليهود الظالمون القاتلون ، رفع عينيه نحو السماء - كما جاء في الإنجيل للقديس لوقا - وقال : « يا أبته اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما هم فاعلون » ( لوقا ٢٣ : ٣٤ ) ، لأنه كان دائماً يوصي الناس بأن

يفغر بعضهم لبعض ، وكان هو القدوة والمثل الأعلى للناس في كل ما أوصاهم به ، ومن ثم فإنه - وهو في أشد محنة يمكن أن يقاسيها إنسان ، وإزاء أشد جريمة يمكن أن يرتكها إنسان ضد إنسان - غفر لأعدائه جريمتهم ، فبلغ بذلك الغاية التي ليس بعدها غاية ، وارتفع بالسلوك البشري إلى أسمى مرتبة من الكمال يمكن أن يصل إليها معنى الكمال .

وهنا نرى لمحة من لمحات النور حين يدخل القلب المظلم ، في لحظة من لحظات الإشراق الروحي ، حتى بالنسبة لأكثر الناس شراً وأفدحهم خطيئة وإثمًا ، إذ استمر أحد اللصين اللذين كانا مصلوبين مع السيد المسيح - كما جاء في الإنجيل للقديس لوقا - « يحدّف عليه قائلاً : أأنت أنت المسيح ؟ إذن خلّص نفسك وخلّصنا . فأجاب الآخر وانتهره قائلاً : أما تخاف الله ، وأنت نفسك تحت هذا القصاص بعينه ؟ نحن بعدلٍ جوزينا ، لأننا ننال جزاء أعمالنا . أما هذا فلم يفعل سوءاً . ثم قال يسوع : اذكرني يارب متى جئت في ملكوتك . فقال له يسوع : الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس » ( لوقا ٢٣ : ٣٩ - ٤٣ ) .

وفي مقابل ذلك اللص الذي آمن بالسيد المسيح وهو على الصليب ، واعترف بأنه ربّ في وسط مظاهر كل ذلك الهوان ، مجاهرًا بذلك علناً ، كان ثمة ظاهرة مؤلمة ، مامن شك في أنها زادت آلام السيد المسيح ألمًا وأضافت إلى عذابه ، وإن كان قد توقعها من قبل وتنبأ بها صراحة منذ ساعات قليلة ، إذ اختفى واختبأ كل تلاميذه وأحبائه ، متخلّين عنه في ساعة رزيثته ومحتته ، بعد أن لازموه طوال أيام سلامه وسلامته . وقد سبق لأكثرهم جرأة وشجاعة أن تنكّر له وأنكره ، وهامهم أولاء الباقون جنبوا حتى عن أن يصاحبوه وهو يسير مشحّنًا بالجراح في طريق آلامه ، أو يقفوا بجانبه ليواسوه بكلمة عطف أو عزاء وهو معلق

كالذبيحة على صليبه . فَصَدَقَتْ فِيهِمُ النُّبُوءَاتُ الْقَائِلَةُ : « إخوتك أنفسهم .. قد غادروك هُمُ أَيْضًا » ( ارميا ١٢ : ٦ ) . والقائلة بِلِسَانِ الْمَسِيحِ « عِنْدَ كُلِّ أَعْدَائِ صِرْتُ عَارًا .. وَرَعْبًا لِمَعَارِفِي . الَّذِينَ رَأَوْنِي خَارِجًا هَرَبُوا عَنِّي . نُسِيتَ مِنَ الْقَلْبِ مِثْلَ الْمَيْتِ » ( المزمور ٣٠ : ١١ و١٢ ) .. « قَدْ دَسَّتِ الْمَعْصِرَةُ وَحْدِي .. لَمْ يَكُنْ مَعِيَ أَحَدٌ .. فَتَنَطَّرْتُ وَلَمْ يَكُنْ مَعِينٍ ، وَتَحَيَّرْتُ إِذْ لَمْ يَكُنْ عَاضِدٌ » ( إشعياء ٦٣ : ٣ - ٥ ) .. « انْتَظَرْتُ رَقَّةً فَلَمْ تَكُنْ ، وَمَعَزِّينَ فَلَمْ أَجِدْ » ( المزمور ٦٨ : ٢٠ ) .

يَبْدُو أَنَّ النُّسُوءَ اللَّاتِي تَتَلَمَّذْنَ عَلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَتَوَطَّدَ إِيمَانَهُنَّ بِهِ ، كُنَّ أَكْثَرَ شَجَاعَةٍ مِنَ الرِّجَالِ ، إِذْ لَازِمَتَهُنَّ إِلَى آخِرِ لِحْظَةٍ . وَإِنْ كُنَّ لَمْ يَجْرُونَ عَلَى الْإِقْتِرَابِ مِنَ صَلِيْبِهِ فَوْقَهُنَّ بَعِيدًا ، إِذْ جَاءَ فِي الْإِنْجِيلِ لِلْقُدَيْسِ مَرْقَسِ أَنَّهُ « كَانَتْ هُنَاكَ أَيْضًا نِسَاءٌ يَنْظُرْنَ مِنَ بَعِيدٍ ، مِنْ بَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ ، وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ الصَّغِيرِ وَيُوسَى ، وَسَالُومَى . وَهُنَّ اللَّاتِي كُنَّ يَتْبَعْنَهُ وَيَخْدُمْنَهُ حِينَ كَانَ فِي الْجَلِيلِ ، فَضَلًّا عَنْ نِسَاءٍ أُخْرِيَّاتٍ كَثِيرَاتٍ كُنَّ قَدْ صَعَدْنَ مَعَهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ » ( مَرْقَسِ ١٥ : ٤٠ و٤١ ) . وَبِذَلِكَ أَيْضًا تَحَقَّقَتِ النُّبُوءَةُ الْقَائِلَةُ بِلِسَانِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ « أَقَارِبِي وَقَفُوا بَعِيدًا » ( المزمور ٣٧ : ١١ ) .

أَمَّا السَّيِّدَةُ الْعِذْرَاءُ مَرْيَمُ فَإِنَّهَا لَمْ يَطَاوَعَهَا قَلْبُهَا الَّذِي كَانَ يَتَمَرَّقُ عِنْدَتْهُ لَوْعَةٌ عَلَى ابْنِهَا فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنْظَلَ بَعِيدًا ، وَإِنَّمَا اقْتَرَبَتْ حَتَّى وَقَفَتْ تَحْتَ صَلِيْبِهِ ، تَصَاحِبًا أُخْتَهَا مَرْيَمَ زَوْجَةَ كَلُوبَا ، وَمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ . وَهُنَاكَ تَعَلَّقْنَ بِقَدَمَيْهِ الدَّامِيَتَيْنِ بِأَكْيَاتٍ مَتَفَجَعَاتٍ . كَمَا اقْتَرَبَ أَحَدُ تَلَامِيذِهِ وَهُوَ يُوْحَنَّا التَّلْمِيذُ الَّذِي كَانَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُحِبُّهُ ( يُوْحَنَّا ١٣ : ٢٣ ) ؛ ( ١٩ : ٢٦ ) ، وَالَّذِي يَبْدُو أَنَّهُ اجْتَرَأَ دُونَ بَقِيَّةِ زَمَلَانِهِ عَلَى الظُّهُورِ فِي ذَلِكَ الْمَشْهَدِ الرَّهِيْبِ لِأَنَّهُ كَانَ مَعْرُوفًا عِنْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ ، وَقَدْ سَبَقَ لَهُ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ أَنْ دَخَلَ بِغَيْرِ خَوْفٍ دَارَهُ مَعَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ بَعْدَ أَنْ

قبض عليه ، إذ جاء في الإنجيل للقديس يوحنا أنه « كان هذا التلميذ معروفاً لدى رئيس الكهنة » ( يوحنا ١٨ : ١٥ ) . ومن ثمَّ جاء في هذا الإنجيل أنه « كانت واقفات عند صليب يسوع أمُّه ، وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ، ومريم المجدلية . فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً ، قال لأمه : أيتها السيدة هُوذا ابنك . ثمَّ قال للتلميذ : هي ذى أمك . ومنذ تلك الساعة أخذها التلميذ إلى بيته » ( يوحنا ١٩ : ٢٥ - ٢٧ ) . وندرك من ذلك أنَّ السيد المسيح كان عندئذ هو العائل الوحيد لأمه السيِّدة العذراء مريم . ومن ثمَّ فإنه وهو عالم أنه سيرتفع عن الأرض عهد بها إلى رعاية ذلك التلميذ الذي كان يحبه . وفي هذا ردَّ على الذين زعموا أنه كان للعذراء مريم أولاد آخرون هم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا بحجة أن الإنجيل دعاهم إخوة المسيح يسوع ( متى ١٢ : ٤٦ و ٤٧ ) ؛ ( ١٣ : ٥٥ ) ؛ ( مرقس ٣ : ٣١ و ٣٢ ) ؛ ( ٦ : ٣ ) ؛ ( لوقا ٨ : ١٩ و ٢٠ ) ؛ ( يوحنا ٢ : ١٢ ) ؛ ( ٧ : ٣ و ٥ ) ؛ ( الأعمال ١ : ١٤ ) . وقد تغافلوا عن عادة الشرقيين في تلقيب الأقارب بأنهم إخوة ، ولا سيما أولاد العمومة والختولة . ومن ذلك أن إبراهيم لُقِّب لوطاً بأخيه ، مع أنه في الواقع هو ابن أخيه ( التكوين ١٢ : ٤ ) ، ولُقِّب لابان ابن اخته يعقوب بأخيه ( التكوين ٢٩ : ١٥ ) . وقال الكتاب المقدَّس عن أولاد لابان أنهم إخوة يعقوب ( التكوين ٣١ : ٤٦ ) . والواقع أنَّ الإنجيل للقديس يوحنا ينص على أنه كان للعذراء مريم أختٌ شقيقة تسمَّى مريم ( يوحنا ١٩ : ٢٥ ) . ويروي التاريخ أيضاً أن هذه الأخت الشقيقة قد أنجبها يواقيم أبو العذراء مريم من حنة أمها بعد العذراء مريم . ولما كانت العذراء مريم قد نذرها أبوها وأمها للرب . فلما رزقها الرب بتلك الابنة الأخرى ، قالوا إن الابنة الأولى من نصيب الرب ، وأما الثانية فننصبينا » . ومن ثمَّ أطلقوا على الابنة الصغرى أيضاً اسم مريم ، وهي هذه التي تزوجها فيما بعد حلفى وذلك هو اسمه الأرامي ، وقد كان له اسم آخر

يوناني وهو كلوبا ، وقد أنجب منها أولادًا هم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ( انظر كتاب تاريخ الكنيسة ليوسابيوس الجزء ٣ فقرة ٣٢ : ٣ - ٨ ) كما أنجب منها أيضًا بنات . لذلك سُميت مريم شقيقة العذراء مريم في الإنجيل « مريم أم يعقوب الصغير ويوسى » ( مرقس ١٥ : ٤٠ ) ؛ ( متى ٢٧ : ٥٦ ) و « مريم أم يعقوب » ( مرقس ١٦ : ١ ) ؛ ( لوقا ٢٤ : ١٠ ) و « مريم أم يوسى » ( مرقس ١٥ : ٤٧ ) و « مريم زوجة كلوبا » ( يوحنا ١٩ : ٢٥ ) . ويروى المؤرخ يوسابيوس القيصري أن كلوبا أو حلفى كان أخًا ليوسف النجار . وعلى ذلك يكون يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا أقرباء المسيح من جهة الأم فإنهم أولاد خالته ، ومن جهة يوسف النجار لأنهم أولاد أخيه كلوبا . ويروى القديس أيفانيوس أسقف سلامينا في جزيرة قبرص عن القديس هيجسيبوس HEGESIPPUS وهو من آباء القرن الثانى عن تقليد يهودى قديم أن كلوبا هو أخ شقيق ليوسف « خطيب العذراء مريم » ( كتاب الردّ على الهرطقات ٧٨ : ٧ ) . ولذلك فإن يوسابيوس كثيرًا ما يذكر أن يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا أولاد كلوبا ، ومريم زوجة كلوبا ، هم أقرباء يسوع المسيح . ( يوسابيوس فى كتابه « تاريخ الكنيسة » . الجزء الثالث : فقرة ١١ ؛ فقرة ٣٢ : ١ - ٨ ؛ الجزء الرابع : فقرة ٢٢ : ٤ و ٥ ) وجاء أيضًا فى السنكسار تحت اليوم التاسع من شهر أبيب القبطى أن كلوبا هذا هو أخ شقيق ليوسف البار خطيب مريم العذراء .

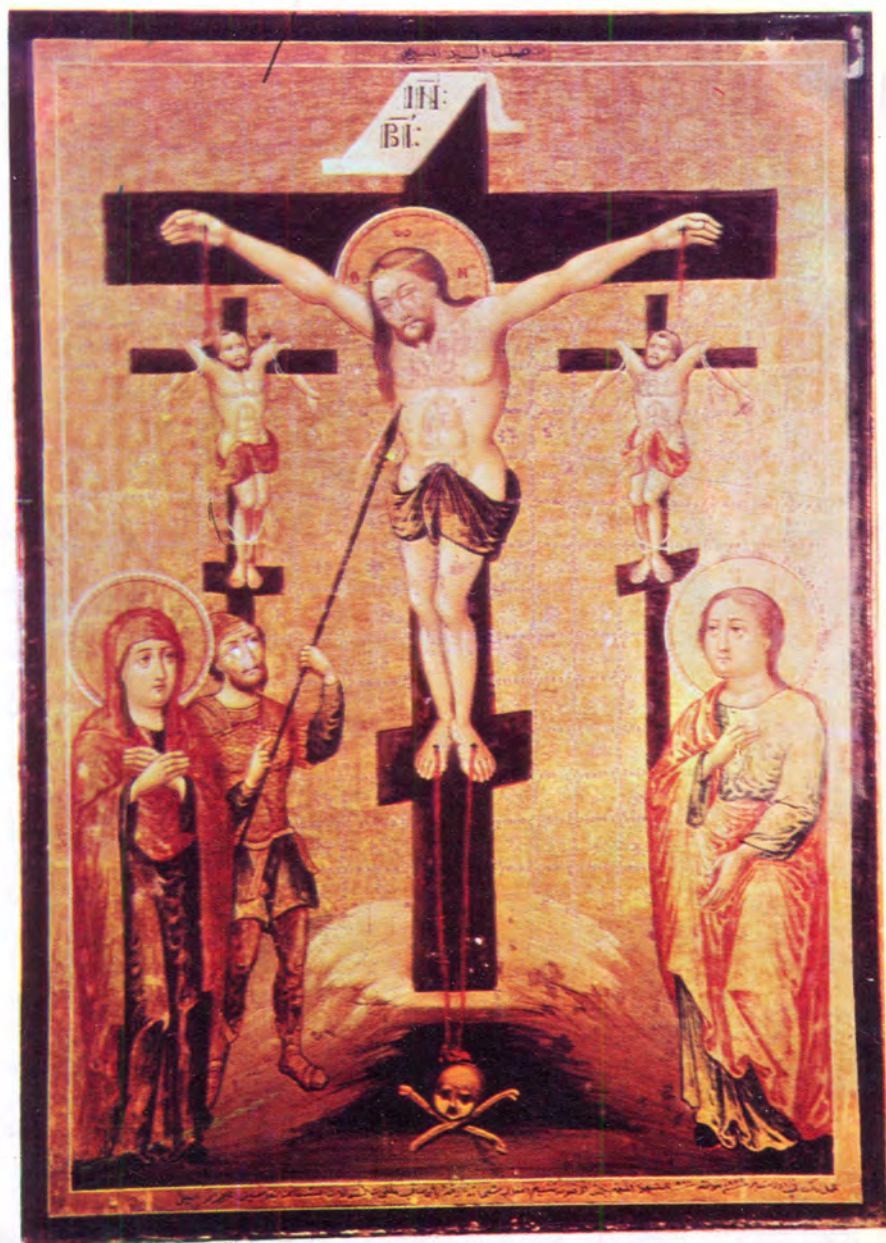
١٩ : ٢٨ - ٣٧

وقد ظل السيد المسيح يعانى الآلام المبرحة التى لا يمكن أن توصف منذ الساعة الثالثة إلى الساعة السادسة بالتوقيت اليهودى ، أى منذ الساعة التاسعة صباحًا حتى الساعة الثانية عشرة ظهرًا بالتوقيت الحديث . وقد جاء فى الإنجيل للقديس متى أنه « منذ الساعة السادسة صارت ظلمة على الأرض كلها إلى



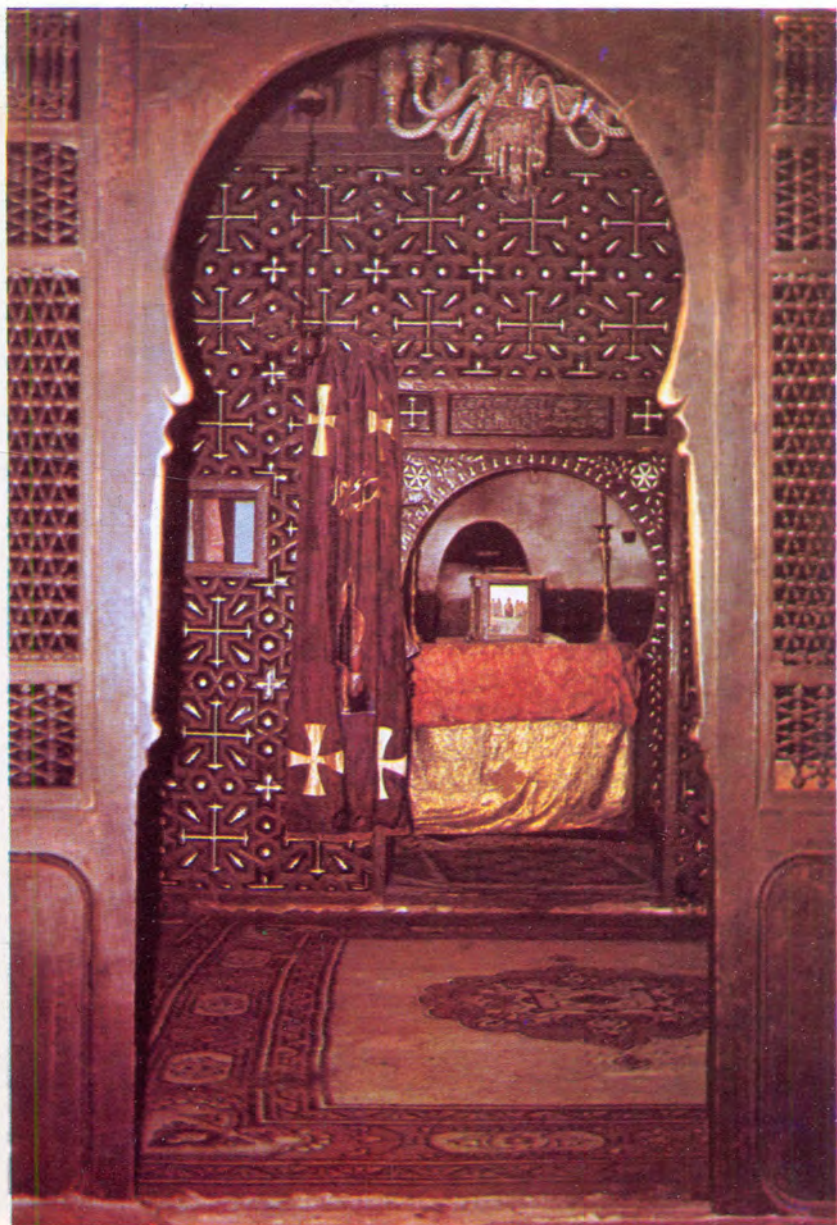
العدراء الحزينة ( يوحنا ١٩ : ٢٥ - ٢٧ )

الساعة التاسعة» (متى ٢٧ : ٤٥) . وقد كانت هذه معجزة من المعجزات التي صاحبت آلام السيد المسيح ، كما سبق أن صاحبت ميلاده معجزات كثيرة ، منها النجم الذى ظهر للمجوس فساروا على هدايه من بلادهم إلى حيث وُلِدَ فى بيت لحم (متى ٢ : ٢ - ٩) . فكما أضاءت السماء بذلك النجم فى وقت ميلاده ، هكذا أظلمت الأرض فى وقت آلامه ، مما يدلّ على شخصيته الإلهية . وبهذا الظلام الذى غمر الأرض فى وقت الظهيرة فى أثناء آلام السيد المسيح تحققت النبوءة القائلة « يكون فى ذلك اليوم أنى أُغَيَّبَ الشمس فى الظُّهر وأقتم الأرض فى يوم نور» (عاموس ٨ : ٩) . كما تحققت النبوءة القائلة « غربت شمسها إذ بعدُ نهار» (ارميا ١٥ : ٩) . وقد ساد الظلام ثلاث ساعات ، استولت فيها على كلّ الحاضرين دهشة ورهبة ورعدة . وقد جاء فى الإنجيل للقديس متى أنه « فى نحو الساعة التاسعة صرّح يسوع بصوتٍ عظيم قائلاً : إيلى . إيلى . لَمَّا سَبَقْتَنِي ، أى إلهى إلهى لماذا تخليت عنى » (متى ٢٧ : ٤٦) . وقد كانت هذه العبارة التى قالها السيد المسيح باللغة الآرامية بعد أن انقشع الظلام فى نحو الساعة الثالثة بعد الظهر بالتوقيت الحديث هى الجملة الأولى من المزمور الحادى والعشرين من سفر المزامير . وهو - له المجد - لم يكن يعنى بهذه العبارة أن الله قد تركه ، لأنه هو والله الآب جوهر واحد كما سبق أن قرّر مراراً . وإنما كان يعنى أن المزمور الذى وردت هذه العبارة فى بداءته ينطبق عليه فى تلك اللحظة وقد كان هذا المزمور نبوءة مفصّلة ودقيقة عن الآلام التى يعانيتها على الصليب . إذ جاء به « إلهى إلهى لماذا تخليت عنى ؟ .. كل الذين يروننى يستهزئون بى .. قائلين اتكل على الرب فلينجّه . لينقذه لأنه سرُّ به .. أحاطت بى ثيران كثيرة .. فغروا أفواههم كأسد مفترس مزججر . كالماء انسكبت . انفصلت كلّ عظامى . صار قلبى كالشمع ، قد ذاب فى وسط أمعائى . ييست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بجنكى .. أحاطت بى كلاب . جاعة من الأشرار اكتفتنى . ثقبوا يديّ



السيد المسيح على الصليب





باب الهيكل في كنيسة بمصر القديمة

ورجليَّ . أُحْصِي كل عظامي وهم ينظرون ويتفرسون فيَّ . يقتسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقرعون ( المزمور ٢١ : ١ - ١٧ ) . وكان السيد المسيح عندما صَرَخ بهذه العبارة في قبة أله بصفته الإله المتأنس الذي يتم عمل الفداء . يَبْدُ أن هذا ليس معناه أن لاهوته ، قد فارق ناسوته ، وإنما معناه أن اللاهوت لم يتدخل ليخفف من آلام الناسوت حتى يحتمل السيد المسيح في جسده تلك الآلام كاملة ، لِيَتِمَّ بذلك التكفير الكامل عن خطايا البشر ، لأنه من أجل ذلك كان الفداء ، الذي دَبَّرته الرحمة الإلهية لخلاص البشر .

وإذ قال السيد المسيح في ضراسته باللغة الآرامية « إيلي إيلي » ، أي « إلهي إلهي » ظن بعض الواقفين أنه يقول « إيلِيَّا . إيلِيَّا . إيلِيَّا » لتقارب اللفظين . وقد كان إيلِيَّا من أشهر أنبياء اليهود . ومن ثمَّ « قالوا : إنه ينادي إيليا .. فقال الباقون .. لننظر هل يأتي إيلِيَّا ليخلصه ؟ » ( متى ٢٧ : ٤٧ - ٤٩ ) . وكان الظلام حين خِيَم ثلاث ساعات كاملة قد أفرعهم وألجمَ ألسنتهم . ولكنهم حين انتشع ذلك الظلام وسمعوا السيد المسيح يصرخ هكذا متوجعًا متضرعًا استعادوا ماكانوا قد فقدوه من شجاعتهم . وعادوا إلى ماكانوا قد توقفوا عنه من بذاتهم ، فراحوا يهزأون به من جديد .

ولم يلبث السيد المسيح بعد ست ساعات من المعاناة الرهيبة أن جف ريقه ولصق لسانه بجنكه كما تقول النبوءة ( المزمور ٢١ : ١٥ ) . وحينَ ثَمَّ جاء في الإنجيل للقديس يوحنا أنه « بعد ذلك رأى يسوع أن كلَّ شيء قد اكتمل ، فلكي يتم قول الكتاب ، قال : أنا عطشان . وكان ثمة إناء موضوع ممتلئ ماءً ، فلأوا إسفنجة بالخل ورفعوها على قصبه من الزوفاء وأذنها من فه . فلما ذاق يسوع الخل قال : قد تم كل شيء » ( يوحنا ١٩ : ٢٨ - ٣٠ ) . وهكذا

تحققت النبوة التي تقول على لسانه « يجعلون في طعامي علقماً وفي عطشي يسقونني خلاً » (المزمور ٦٨ : ٢١) . وبذلك تمّ العمل الذي جاء من أجله إلى العالم ، وتحققت كلّ النبوءات التي قالها الأنبياء عن آلامه ، ولذلك قال « قد تمّ كل شيء » .

وعندئذ ، وكانت الساعة قد بلغت التاسعة بالتوقيت اليهودي ، أى الثالثة بعد الظهر بالتوقيت الحديث ، جاء في الإنجيل للقديس يوحنا أن السيد المسيح « أمال رأسه وأسلم الروح » (يوحنا ١٩ : ٣٠) . وجاء في الإنجيل للقديس لوقا أنه عندئذ « صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : يا أبته في يديك أستودع روحي . وإذ قال هذا أسلم الروح » (لوقا ٢٣ : ٤٦) . ويدلّ الصوت العظيم الذي نادى به السيد المسيح على أنه - على الرغم من ضعف الجسد بسبب كل ما قاساه من الآلام طوال ست ساعات رهيبية - كان قويا باللاهوت المتحدّ به ، كما يدلّ ذلك على أن روحه لم تغتصب منه اغتصاباً كما يحدث لسائر البشر عند موتهم ، وإنما قد بذلها بمحض اختياره وإرادته ، مقدّماً إياها ذبيحة عن خطايا البشر ، وفقاً لقوله من قبل « يحنى أبى إذ أبذل نفسى كى أستردّها - ما من أحد ينترعها منى ، وإنما أبذلها أنا وحدى من ذاتى ، فلى سلطان أن أبذلها ولى سلطان أن أستردّها » (يوحنا ١٠ : ١٧ و ١٨) . وإذ أسلم الروح أثبت أنه مات فعلاً بالجسد ، للتكفير عن البشر وغفران خطاياهم . لأنه بغير الموت لا تكون مغفرة (العبرانيين ٩ : ١٥ و ٢٢) . ولأنه بمحض اختياره كما جاء في النبوءات « جعل نفسه ذبيحة إثم » (إشعيا ٥٣ : ١٠) . وقد كان هو الذبيحة الحقيقية التي لم تكن ذبيحة الفصح اليهودى إلا رمزاً لها . إذ قدّم نفسه ذبيحة في نفس اليوم الذى تقضى فيه الشريعة بتقديم ذبيحة الفصح . وفي نفس الساعة التى حددتها لذلك ، إذ جاء في سفر العدد « كلم الرب موسى فى برية سيناء فى السنة الثانية لخروجه من أرض مصر فى الشهر الأول (وهو شهر أبيب) ، قائلاً ، وليعمل بنو



آلام السيد المسيح على الصليب (يوحنا ١٩ : ٢٨ - ٣٧)

إسرائيل الفصح في وقته ، في اليوم الرابع عشر من هذا الشهر . بين العشاءين  
تعملونه في وقته . حَسَب كل فرائضه وكل أحكامه تعملونه .. فعملوا الفصح في  
الشهر الأول في اليوم الرابع عشر من الشهر بين العشاءين » ( العدد ٩ : ١ -  
٤ ) . وقد كان يوم الجمعة الذي صلب فيه السيد المسيح هو اليوم الرابع عشر من  
شهر أيب ، الذي أصبح معروفًا بعد السبي بشهر نيسان . وكانت الساعة التي أُسلم  
فيها الروح هي الثالثة بعد الظهر ( بالتوقيت الحديث ) ، التي كانت تقع وفقًا  
لتقاليد اليهود في الفترة التي كانوا يسمونها « بين العشاءين » . وقد اقتبل السيد  
المسيح الموت كما سبق أن اقتبل الآلام من حيث هو إنسان وليس من حيث هو  
إله . لأن الإله لا يتألم ولا يموت . وليس معنى ذلك أن لاهوته فارق ناسوته ،  
لأن الاتحاد ظل كاملاً في السيد المسيح بين الناسوت واللاهوت . ولا يمكن  
إدراك هذه الحقيقة إلا بأن ندرك طبيعة السيد المسيح وحقيقة الرسالة التي جاء  
من أجلها إلى العالم . وقد فهمنا من تعاليم السيد المسيح ومن سائر ما جاء في  
الكتاب المقدس أن الله في البدء خلق الإنسان كاملاً على صورته ومثاله . ولكن  
الإنسان تَمَرَّد على الله ، فاستحقَّ بمقتضى العدل الإلهي الهلاك والموت . بيد أنه  
إذ كان الله العادل عدلاً مطلقاً ، رحيماً أيضاً رحمة مطلقة ، شاءت رحمته  
بالإنسان الذي وهو خلقه وصنعه يديه أن ينقذه من حكم الهلاك الذي أصدره  
عليه . ولكن إنقاذه لا يمكن أن يتم إلا بالتكفير عن خطيئته . ثم لما كان الإنسان  
بخطيئته قد فَعَّد طهارته وانتقص من كماله هو وذريته ، لم يعد أحد من بني  
الإنسان جديراً بأن يقبله الله فدية تصلح للتكفير عن خطاياهم وخطايا الجنس  
البشري كله ، لأن الفادي الجدير بذلك ينبغي أن يكون طاهراً كما كان الإنسان  
الأول في البدء طاهراً وكاملاً . ولذلك دَبَّرَت رحمة الله وسيلة تتحقق بها  
عدالته ، كما تتحقق بها في نفس الوقت رحمته ، وهي أن ينزل بذاته لتتحد  
بطبيعته بطبيعة الإنسان كي « يحدد الإنسان ويرده إلى رتبته الأولى » ، وذلك بأن

يقدم نفسه فدية للتكفير عن خطيئة الإنسان الأول وكل ذريته . فكان هذا الإنسان الإله هو السيد المسيح الذى جاء إلى العالم متجسدا من روح القدس ومن مريم العذراء ، وقدم نفسه فدية ومات على الصليب لتحقيق هذه الغاية الإلهية الرحيمة السامية . ومن ذلك ندرك أن الاتحاد بين الإنسان والإله فى السيد المسيح اتحاد كامل وتام ، اتحاد لا يقبل الانفصال بين اللاهوت والناسوت .

ولعلّ مما يلقي الضوء على طبيعة السيد المسيح ، تلك الأمور الغريبة الرهيبة التى وقعت بمجرد أن أسلم الروح ، والتى لا تقل غرابة ولا رهبة عن ذلك الظلام الكثيف المخيف الذى خيم ثلاث ساعات كاملة فى وقت آلامه ، إذ جاء فى الإنجيل للقديس متى أن « حجاب الهيكل قد انشقّ نصفين من أعلاه إلى أسفله . والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت . وقد قام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين » ( متى ٢٧ : ٥١ - ٥٣ ) . وقد كان حجاب الهيكل هو الستر الفاصل فى الهيكل بين القدس الذى كانت تتم فيه طقوس العبادة اليومية ، وبين قدس الأقداس الذى كان فيه تابوت العهد ولوحا الشريعة . وإذا كانوا يعتبرونه مسكن الله لم يكن مسموحاً لأحد بالدخول فيه ، إلا لرئيس الكهنة وحده ، مرة واحدة فى السنة ، عند الاحتفال بيوم الكفارة ، كى يرش دم الذبيحة تكفيراً عن خطايا الشعب . وقد كان انشقاقه فى لحظة موت السيد المسيح يعنى زوال الحجاب الذى كان يفصل بين الله والناس ، بعد أن فداهم السيد المسيح بموته مكفراً عن خطاياهم ، فلم يعد ثمة حاجة لهذا الطقس الذى كان يقوم به رئيس الكهنة حين يدخل قدس الأقداس ليرش دم الذبيحة فى يوم التكفير ، إذ لم يكن ذلك إلا مجرد رمز لدم الذبيحة الحقيقية وغفران الخطايا . أما زلزلة الأرض وتشقق الصخور فكان معجزة أعلن الله بها سخطه وغضبه على ليهود الآثمين الظالمين الذين سفكوا دم ذلك البريء البار . وقد جاء فى النبوءات

« أليس من أجل هذا ترتعد الأرض ؟ .. ويكون في ذلك اليوم يقول السيد الرب أنى أُغيب الشمس في الظهر . وأقتم الأرض في يوم نور » ( عاموس ٨ : ٩ و٨ ) . وذلك لأن عمل الفداء الذى أنجزه السيد المسيح وإن كان ترتيباً إلهياً فإنه لا يعنى اليهود من مسئوليتهم عن الجريمة البشعة التى ارتكبوها بدافع من شرهم ومكرهم وغدرهم وقسوة قلوبهم ، ومن ثم لا يعفيهم من سخط الله وغضبه عليهم . وأما قيام الأموات من قبورهم ، فذلك معجزة طالما صنع المسيح مثلها في أثناء حياته على الأرض . فلا عجب أن تحدث عند موته ، إعلاناً عن مكانته السماوية ، وإثباتاً لقدرته الإلهية ، وتأيداً لما سبق أن صنع من معجزات ، وتعبيراً عن فرح الأرواح التى كانت محبوسة في الجحيم ، إذ نزل المسيح إليها هناك وبشرها بالإفراج عنها ( ١ . بطرس ٣ : ١٩ ) ؛ ( أفسس ٤ : ٨ - ١٠ ) .

وإذ كانت هذه المعجزات خارقة للطبيعة ، ولا يمكن إلا أن تكون صادرة عن القدرة الإلهية ذاتها ، استولت الرهبة على الحاضرين جميعاً إذ جاء في الإنجيل للقديس متى « أما قائد المائة والذين كانوا معه يحرسون يسوع ، فحين رأوا الزلزال وما حدث خافوا خوفاً عظيماً قائلين : حقاً كان هذا هو ابن الله » ( متى ٢٧ : ٥٤ ) . وذلك أنهم كانوا من الرومان الوثنيين غير الحاقدين على السيد المسيح ، على الرغم من أنهم كانوا مكلفين بقتله . وقد سبق لهم أن سمعوا ضمن الاتهامات التى كان اليهود يوجهونها إليه أنه قال عن نفسه إنه ابن الله . فلما رأوا ذلك الذى حدث عند موته آمنوا بأنه كان صادقاً فيما قال ، لأنه لا يمكن أن يحدث مثل هذا عند موت أى إنسان عادى . بل إنه جاء في الإنجيل للقديس لوقا أن « كل الجموع الذين احتشدوا عند هذا المشهد ، لما رأوا ما حدث رجعوا وهم يقرعون صدورهم » .. ( لوقا ٢٣ : ٤٨ ) . فعلى الرغم من أنهم كانوا من اليهود ، أيقنوا عندئذ أن هذا الذى قتلوه لم يكن إلا المسيح ابن الله الذى تنبأ بمجيئه أنبياءهم . وقد أفاقوا الآن إلى أنفسهم ، وشعروا بالندم العنيف ، حتى

لقد راحوا يقرعون صدورهم . بيد أننا نعلم مما حدث بعد ذلك أن أولئك الذين ندموا من اليهود لم تكن عداوتهم للسيد المسيح إلا بتأثير أعدائه الألداء من رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين والصدّوقيين وغيرهم من أعضاء مجلس السنهدريم . وأما هؤلاء الأعداء الألداء الذين سبق لهم أن رأوا المعجزات الإلهية الكثيرة التي صنعها السيد المسيح في أثناء حياته على الأرض ، ومع ذلك لم يؤمنوا به ، فإنهم حتى بعد أن رأوا هذه المعجزات التي حدثت عند موته ، لم يؤمنوا به كذلك ، غيرة منه وحسدًا له وحقّدًا عليه وخوفًا على مناصبهم مما قد يؤدي إليه إيمان الشعب به والتفافه حوله . ومن ثمّ أغمضوا أعينهم ، وأغلقوا آذانهم وأوصدوا قلوبهم وعقولهم وظلّوا على عنادهم وغلظة أكبادهم ، فصدق فيهم ماسبق أن وصفهم به السيد المسيح ، إذ قال إنهم « مبصرون ولا يبصرون ، وسامعون ولا يسمعون ، ولا هم يفهمون . ففيهم قد تمّت نبوءة إشعيا القائلة : بالسمع تسمعون ولا تفهمون ، وبالبصر تبصرون ولا ترون ، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سمعها ، وعيونهم قد أغمضوها لئلا يبصروا بعيونهم أو يسمعوا بآذانهم أو يفهموا بقلوبهم ، أو يرجعوا إلّي فأشفيهم » ( متى ١٣ : ١٣ - ١٥ ) . ومن ثمّ فإنّ أولئك القساة المجرمين الضالّين المضلّين ، بعد أن رأوا مباشرة ما حدث ، بدلاً من أن يؤوبوا إلى أنفسهم ، ويتوبوا عن شرهم ، أوغلوا في قسوتهم وإجرامهم ، وتنادوا في ضلالهم وتضليلهم ، وأضمرّوا مزيدًا من التنكيل بالسيد المسيح والتتمثيل به حتى بعد موته . فظاهروا - في رياتهم المعهود ونفاقهم الوقح - بمحافظتهم الشديدة على تنفيذ أحكام الشريعة . وقد قضت الشريعة بأنه . « إذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تُبِت جثته على الخشبة ، بل تدفنه في ذلك اليوم ، لأن المعلق ملعون من الله ، فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إهلك » ( التثنية ٢١ : ٢٢ ) .

وقد كان أعداء السيد المسيح يخشون أن يكون مازال على قيد الحياة ، لأن



المصلوب لم يكن يموت في العادة إلا بعد وقت طويل قد يمتد إلى بضعة أيام ، حتى لقد كان يحدث أن بعض المحكوم عليهم يعطون أحياناً رشوة للقائمين بحراستهم ليعجلوا بقتلهم كي يتخلصوا مما يعانون من آلام رهيبية ، ومن ثم أراد أعداء السيد المسيح أن يتأكدوا من أنهم قد قضوا عليه فعلاً وتخلصوا منه إلى الأبد ، فتعللوا بما قضت به شريعتهم ، ولا سيما في ذلك اليوم الذي كان عيداً عظيماً لديهم ، متظاهرين بأنهم لا يريدون أن ينجسوا قداسه ببقاء المصلوبين معلقين على صلبانهم بعد حلول الظلام ، وهم يستعدون للاحتفال بذلك العيد قبل انقضاء النهار ، ومن ثم جاء في الإنجيل للقديس يوحنا : « وإذ كان ذلك هو يوم الاستعداد ، ولثلاث تبقى الأجساد على الصليب يوم السبت ، لأن يوم السبت هذا كان عظيماً ، طلب اليهود إلى بيلاطس أن يكسروا سيقانهم ويرفعوهم . فجاء الجند وكسروا ساقى أول اللذين كانا مصلوبين معه . ثم كسروا ساقى الآخر . وأما يسوع فلما جاءوا إليه وجدوه قد مات ، فلم يكسروا ساقيه ، إلا أن واحداً من الجند طعن جنبه بحربة ، فخرج منه على الفور دم وماء » ( يوحنا ١٩ : ٣١ - ٣٤ ) . ونرى من ذلك أن أعداء السيد المسيح كانوا يهدفون مما ذبروه - وهم يتظاهرون كذباً بحرصهم على تنفيذ أحكام شريعتهم - إلى الإجهاز عليه بكسر عظام ساقيه إن كان لا يزال حياً ، أو بالتأكد على أى حال من أنه قد مات . ولكنهم بدلاً من أن ينالوا بذلك من السيد المسيح ، أظهروا مجده ، إذ أعلنوا عن حقيقة شخصيته ، لأنهم حققوا النبوة التي تقول عنه إنه « يحفظ جميع عظامه ، واحد منها لا ينكسر » ( المزمور ٣٣ : ٢٠ ) ، مما يدل على أنه هو ذبيحة الفصح الحقيقية ، التي لم يكن ذبح خروف الفصح في العهد القديم إلا رمزاً لها . وقد كانت الشريعة تنهى عن كسر أى عظم منه بعد ذبحه ، إذ جاء في سفر العدد « فكلم الرب موسى قائلاً : كلم بني إسرائيل قائلاً .. فليعمل الفصح للرب . في الشهر الثاني في اليوم الرابع عشر ، بين

العشاءين يعملونه ، على فطير ومرار يأكلونه . لا يبقوا منه إلى الصباح . ولا يكسروا عظمًا منه » ( العدد ٩ : ٩ - ١٢ ) . كما أن أعداء السيد المسيح حققوا بذلك النبوة التي تقول عنه « فينظرون إلىّ أنا الذي طعنوه وينوحون » ( زكريا ١٢ : ١٠ ) . فضلاً عن أنهم بتدبيرهم الإجرامى الذى أرادوا به أن يقضوا عليه وعلى إيمان الناس به ، قد خدموا فى الحقيقة رسالته . وقدّموا برهاناً يوطّد إيمان الناس به ، إذ أقاموا الدليل على أنه مات فعلاً على الصليب . وقد حرمهم ذلك من فرية أخرى كانوا بالتأكيد سيفترونها عليه بعد أن قام فى اليوم الثالث من قبره حيّاً . إذ كانوا سيزعمون أنه لم يكن قد مات على الصليب . وإنما كان قد أغمى عليه فحسب ، ثم حين أفاق وهو فى القبر خرج منه . ونلاحظ هنا أنه حين طعنه قائد المائة فى جنبه ليستوثق من موته جرى واندفق من جنبه دم وماء ، مما يدلّ على أنه فيما كان قد مات بالجسد فعلاً كان حيّاً بلاهوته المتحد بجسده ، حقاً لقد فارقت الرّوح الإنسانية الجسد ، ومع ذلك لم يفارق اللاهوت لا الروح التي أسلمها على الصليب ، ولا الجسد الذى مازال معلقاً على الصليب . فكانت لهذه الظاهرة الفريدة التي لا تحدث لإنسان عادى دلالتها اللاهوتية ، كبرهان دامغ على أن لاهوته لم يفارق ناسوته على الصليب . أما الموت بالنسبة للسيد المسيح ، فكان بمفارقة الروح الإنسانية للجسد ، وأما اللاهوت فظل متحداً بكل من الروح والجسد . واحتفاء بهذه الظاهرة نخلط الماء بالخمير فى كأس سر الشكر . وإلى ذلك يشير القديس يوحنا فى رسالته الأولى قائلاً « هذا هو يسوع المسيح الذى أتى بالماء والدم ، لا بالماء فقط ، بل بالماء والدم » ( ١ . يوحنا ٥ : ٦ ) .

وقد ختم القديس يوحنا وصفه لهذا المشهد الذى رآه بنفسه بأن قال إن « الذى أبصر ذلك قد شهد وشهادته حق ، وهو يعلم أنه قال الحق لتؤمنوا أنتم .

وقد كان هذا ليتم ما جاء في أحد أسفار الكتاب : إِنَّ عَظْمًا مِنْهُ لَنْ يُكْسَرَ . كما جاء في سفر آخر : سينظرون إلى الذي طعنوه « ( يوحنا ١٩ : ٣٥ - ٣٧ ) .

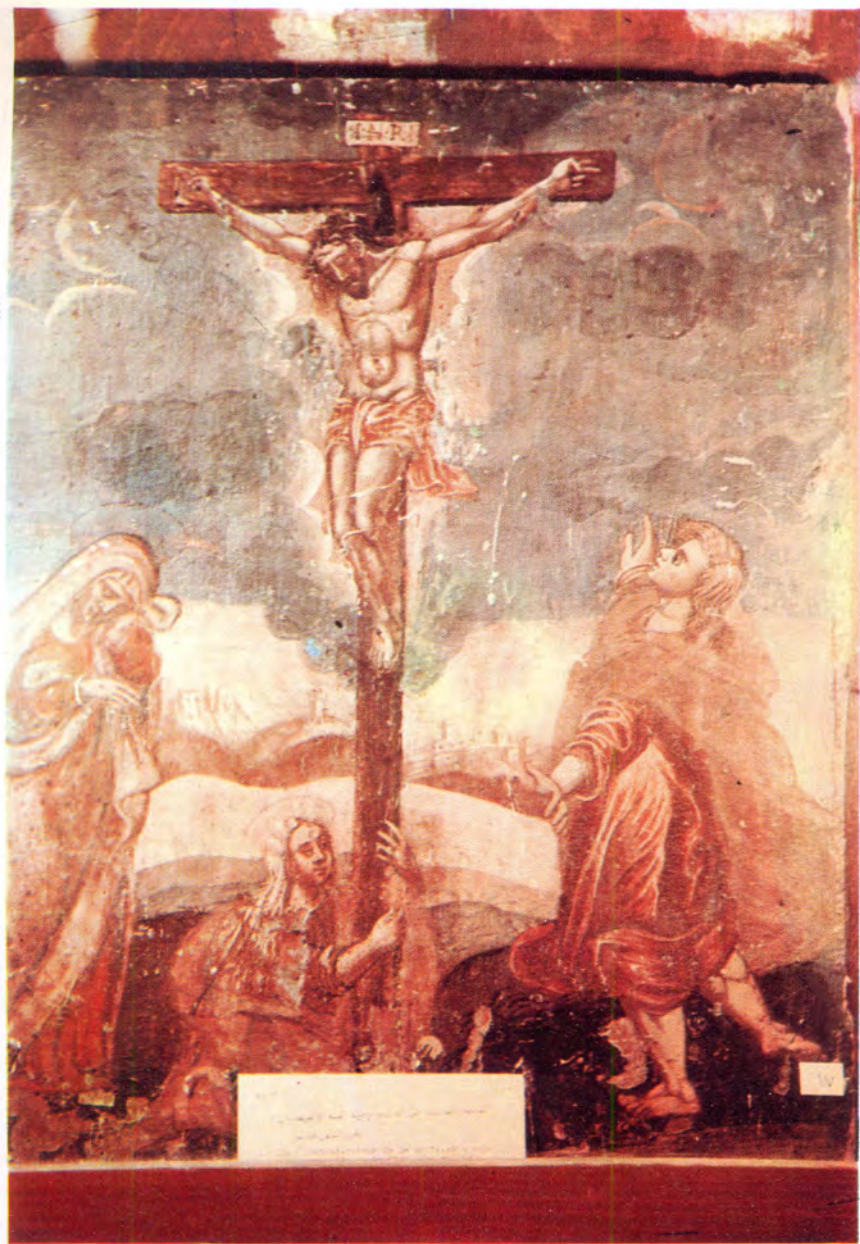
٤٢ : ٣٨ - ٤٢

وكان المساء قد اقترب حين أسلم السيد المسيح الروح في الساعة الثالثة بالتوقيت الحديث من بعد ظهر يوم الجمعة . وقد كان ينبغي دفن جثمانه قبل انتهاء نهار الجمعة الذي كانوا يسمونه يوم الاستعداد لأنه بانتهائه وحلول الظلام يبدأ يوم السبت الذي لا يجوز وفقاً للشريعة القيام بأى عمل فيه على الإطلاق ، ولا سيما أن ذلك السبت بالذات كان يوماً عظيماً لدى اليهود لأنه كان بداية عيد الفصح في ذلك العام . وَمِنْ ثَمَّ « في المساء جاء رجل غنى من الرامة يدعى يوسف » ( متى ٢٧ : ٥٧ ) . « وهو من الأعيان والأعضاء البارزين بالمجلس الذي هو مجلس السنهدريم ( مرقس ١٥ : ٤٣ ) . « وكان رجلاً صالحاً باراً . وم يكن راضياً عن رأيهم أو عملهم » ( لوقا ٢٣ : ٥٠ و ٥١ ) . « وكان تلميذاً ليسوع وإن يكن خفية لخوفه من اليهود » ( يوحنا ١٩ : ٣٨ ) . و « كان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله ، واجترأ فدخل على بيلاطس البنطى ، وطلب جسد يسوع . فتعجب بيلاطس من أنه مات سريراً هكذا ، واستدعى إليه قائد المائة وسأله عما إذا كان قد مات فعلاً وانتهى . فلما أكد له قائد المائة ذلك ، وهب الجسد ليوسف . فاشترى يوسف كئاناً وأنزل الجسد ولفه في الكتان » ( مرقس ١٥ : ٤٣ - ٤٦ ) . وقد جاء في الإنجيل للقديس يوحنا أن يوسف الرامى « طلب إلى بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع . فأمر له بيلاطس بذلك ، فجاء وأخذ جسد يسوع . وجاء أيضاً نيقوديموس . الذى كان قد أتى من قبل إلى يسوع ليلاً ، وكان يحمل حنوطاً من المُرِّ والصبغ ، يزن نحو مائة رطل . وأخذ جسد يسوع وكفناه بلفائف من الكتان مع الأطياب على عادة اليهود في التكفين . وكان في

الموضع الذى صلبوه فيه بستان ، وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه من قبل أحد قط ، فوضعوا يسوع فيه بسبب الاستعداد عند اليهود ، لأن القبر كان قريباً « (يوحنا ١٩ : ٣٨ - ٤٢) . ولم يكن من الممكن دفنه فى قبر بعيد ، لأن ذلك يتطلب وقتاً ، وكان يوشك أن يحلّ المساء السابق ليوم السبت الذى لا يجوز فيه القيام بأى عمل حتى دفن الموتى . وكان القبر الذى دفناه فيه مملوكاً ليوسف الرامى ، و « كان قد نحتة فى الصخرة » (متى ٢٧ : ٦٠) ؛ (مرقس ١٥ : ٤٦) . وبذلك تحققت النبوة القائلة عنه أنه « جعل مع الأشرار قبره ، ومع غنى عند موته » (إشعيا ٥٣ : ٩) . وبعد أن قام يوسف مع نيقوديموس بإسجاء الجسد « دحرج حجراً كبيراً على باب القبر » (متى ٢٧ : ٦٠) ؛ (مرقس ١٥ : ٤٦) . « وكان اليوم هو الجمعة ، وقد بدأ السبت . وتبعته النسوة اللاتي كنّ قد أتين معه من الجليل فرأين القبر ، وشهدن جسده وهو يُسجى فيه ، ثم رجعن وأعددن عطوراً وأطياباً . ثم استرحن فى السبت عملاً بالوصية » (لوقا ٢٣ : ٥٤ - ٥٦) . وكانت منهن « مريم المجدلية ومريم أم يوسى ، فرأتا المكان الذى أُسجى فيه » (مرقس ١٥ : ٤٧) .

« وفى الغد ، أى بعد الاستعداد ، اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون عند بيلاطس قائلين : إننا نذكر ياسيدنا أن ذلك المصلّ قال وهو حىّ : إني بعد ثلاثة أيام أقوم . فأصدر أمرك بحراسة القبر حراسة مُحكّمة حتى اليوم الثالث ، لئلاً يأتى تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من بين الأموات ، فتكون الضلالة الأخيرة شرّاً علينا من الأولى » (متى ٦٢ : ٦٤) . وهكذا بلغ الجزع والفرع من السيد المسيح لدى أعدائه حدّ الجنون . فلم يكن طلبهم هذا الذى تقدّموا به إلى بيلاطس ناشئاً عن أنهم حقاً يخشون من أن يأتى تلاميذه ويسرقوه ، لأنهم كانوا موقنين كل اليقين أن تلاميذه من الضعف والتخاذل والخبث حينذاك بحيث لا يمكن أن يأتوا ويسرقوا جثثانه من القبر بعد أن رأوا كيف

تَمَلِكُهُم الرّعب حين قبض اليهود عليه فهربوا واختبأوا جميعاً ، ولم يجرؤوا حتى على الوقوف بجانبه وهو مذبوح على الصليب . فلم يكن من المعقول أن تهبط عليهم الشجاعة والجرأة فجأة إلى درجة أن يتصدّوا لتحديّ أولئك الطغاة البغاة المفترين المفترسين الذين كانوا هم رؤساء اليهود وكانت في يدهم كل القوة والسطوة والسلطان ، في حين كانوا هم قومًا بسيطاء ودعاء لا سلاح في يدهم ولا قوة لهم ولا سطوة ولا سلطان . وإنما كان ذلك الطلب الذي تقدّم به أعداء السيد المسيح ناشئًا في الحقيقة عن أنهم كانوا يخشون بالفعل أن يقوم من بين الأموات كما سبق أن قال . لأنهم طالما رأوا من معجزاته المذهلة ومن قدرته الإلهية الهائلة التي يتحكم بها في كل شيء تحكّم الإله القادر على كل شيء . ولو أنهم في مغالطتهم حتى لأنفسهم وصفوه أمام بيلاطس بأنه مضلّ . ومع ذلك اعترفوا بأن قيامته التي وصفوها - وهم يغالطون أنفسهم كذلك - بأنها ضلالة ستكون شرًّا عليهم من كلّ ما سبق أن قاله وفعله . لأنه بقيامته التي كانوا يتوقعونها ويفزعون منها ستؤدي إلى انهيار كلّ افتراءاتهم ضده . وبالتالي ستؤدي إلى إيمان الشعب به إيمانًا أقوى من إيمانه الأول . وبذلك تدول دولتهم وتزول سطوتهم ، فيكون في ذلك القضاء عليهم القضاء الأخير . وقد كان هذا هو الذي يخشونه منذ البدء ويسعون سعيّ الوحوش الضارية إلى منعه ، والحيلولة بكلّ ما في وسعهم من مكيدة ومؤامرة ، ومن حيلة ووسيلة ، ومن جريمة دنيئة أثيمة ، للحيلولة دون وقوعه . بيد أن بيلاطس وقد فطن إلى نفاقهم وحطة أخلاقهم ، أجابهم في كبرياء وازدراء قائلاً « إن عندكم حراسا فاذهبوا واحرسوه كما يبدو لكم . فذهبوا وأحكموا إغلاق القبر ، وختموه وأقاموا الحراس عليه » (متى ٢٧ : ٦٥ و٦٦) . ولكنهم كانوا فيما فعلوا - وقد فقدوا عقولهم - بعيدين كلّ البعد عمّا اشتهروا به من مكر ودهاء وذكاء شيطاني . لأنهم أضاعوا بذلك على أنفسهم فرصة الزعم إذا قام ، بأنه لم يكن قد مات على الصليب ، وإنما كان

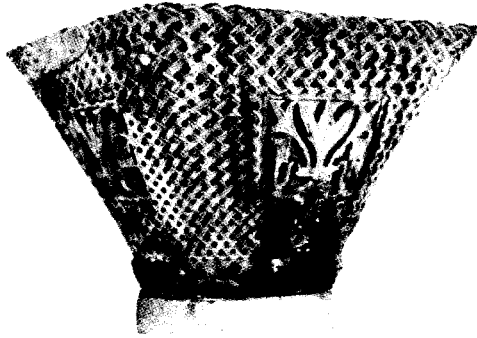


السيد المسيح على الصليب من أيقونة أثرية بالمتحف القبطي



يوحنا المعمدان

فاقدًا الوعي ، فلما استردّ وعيه خرج من القبر الذي لا يقوم على حراسته أحد . كما أضاعوا على أنفسهم فرصة الزعم بأن تلاميذه - حتى إن كان قد مات بالفعل - قد جاءوا خفية وسرقوا جثته كي يشيعوا بين الناس أنه قام ، لأن القبر ، فضلاً عن أنه كان مغلقاً بحجر ضخّم تصعب زحزحته ، أصبح الآن محتوماً ، يقوم على حراسته جنود أشداء مدججون بالسلاح ، بحيث لا يمرّوا أحد على اقتحامه ، أو حتى على مجرد الاقتراب منه . فكان الذي فعلوه على عكس ما هدفوا إليه تماماً . لأنهم أثبتوا أن قيامة السيد المسيح عندما قام كانت قيامة حقيقية ، لم يتركوا همّ سبيلاً إلى التشكيك فيها أو المماراة بشأنها .





## الفصل العشرون

٢٠ : ١ - ١٨

وفي فجر يوم الأحد ، وهو اليوم الثالث من موت السيد المسيح على الصليب ودفنه في القبر في مساء يوم الجمعة ، وقعت المعجزة الإلهية الكبرى التي طالما تنبأ بها الأنبياء ، وطالما أنبأ بها هو تلاميذه ، إذ كما أسلم روحه بإرادته على الصليب ، استردّها مرّة أخرى بإرادته كذلك وفقاً لقوله « أبذل نفسى كى أستردها . مامن أحد ينتزعها منى ، وإنما أبذلها أنا وحدى من ذاتى . فلى سلطان أن أبذلها ولى سلطان أن أستردها » ( يوحنا ١٠ : ١٧ و١٨ ) . وبسلطانه هذا الذى هو سلطان الله ذاته المتحد به اتحاداً كاملاً فى جوهر الألوهية ، أعاد إلى جسده الحياة بعد ثلاثة أيام كان الجسد أثناءها راقداً فى القبر ، فتحقق بذلك قول النبوة « فى اليوم الثالث يقيمنا فنحيا معه » ( هوشع ٦ : ٢ ) . كما تحقق بذلك قوله هو لتلاميذه « إن ابن الإنسان سوف يُسَلَّم إلى أيدي الناس فيقتلونه وفى اليوم الثالث يقوم » ( متى ١٧ : ٢٢ و٢٣ ) . وقد ظهر السيد المسيح بعد قيامته لتلاميذه ولكثيرين غيرهم . وقد وصف التلاميذ فيما كتبه فى الإنجيل وقائع قيامته وظهوره ، كما شهدوها بأعينهم ، بكل دقة وأمانة وصدق ، حتى لقد بلغ من دِقَّتِهِم وأمانتِهِم وصدقِهِم أنهم اعترفوا فيما كتبه بأنهم لم يكونوا إلى ذلك الحين يصدّقون أنه سيقوم ، وبأن الشك ظل يراود بعضهم حتى بعد أن سمع من الباقيين أنه قام وأنهم رأوه . ولئن كان ذلك الاعتراف يتضمن الإقرار بعدم إيمانهم به إيماناً حقيقياً حتى ذلك الحين بعد كل ما سمعوا من تعاليمه ورأوا من

معجزاته ، مع أنهم كانوا هم أقرب الناس إليه وأصدقهم به وأعلمهم بما قال وما فعل ، إنهم لبساطة قلوبهم وسلامة طويبتهم والتزامهم الحقيقة الكاملة فيما كتبوه ، لم يجدوا غضاضة في ذلك الاعتراف وإن كان فيه مساس بهم ، بل لعلهم وجدوا في ذلك الاعتراف وسيلة إلى الإقرار بخطئهم ، والتعبير عن ندمهم ، والتكفير عن قصورهم عن إدراك حقيقة شخصية معلمهم ، وتقصيرهم في الإيمان بكل ما قاله لهم - بعد أن عرفوه حق المعرفة - إيماناً لا يصح ولا يليق أن تخامره الريبة أو تتطرق إليه أى بادرة من بوادر الشك . ومن ثمّ فإننا ننقل فيما يلي نقلاً ، ما كتبوه بخدافيهم ، وبأسلوبه البسيط البريء البعيد كل البعد عن أى تصعُّع أو افتعال .

وقد جاء في البشائر التي كتبها تلاميذ السيد المسيح أنه بعد أن انقضى يوم السبت الذي تقضى الشريعة بالامتناع فيه عن أى عمل : « مضت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ، وسالومي ، واشترين طيباً ليأتين ويضمخنه . ثم عند فجر أول الأسبوع ( وهو يوم الأحد ) جئن إلى القبر مع طلوع الشمس . وكنّ يتساءلن فيما بينهنّ قائلات : من سيد حرج لنا الحجر عن باب القبر ؟ . بيد أنهنّ تطلعن فإذا الحجر مدحرج على الرّغم من أنه كان ضخماً جدّاً » ( مرقس ١٦ : ١ - ٤ ) . وذلك أنه كان « زلزال عظيم قد وقع ، إذ نزل ملاك الله من السماء وجاء ، ودحرج الحجر عن باب القبر ، ثم جلس عليه ، وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج ، فن شدّة الخوف منه ارتعد الحراس وصاروا كالأموات » ( متى ٢٨ : ٢ - ٤ ) . « ولمّا دخلن القبر رأين في الجانب الأيمن شاباً ( كان في الواقع ملاكاً ) متسربلاً بجلّة بيضاء فتملكهنّ الخوف ، فقال لهنّ : لا تخفن . فأنتنّ تطلبن يسوع الناصرى المصلوب ، ولكنه ليس هنا ، فقد قام . وهذا هو المكان الذي كان راقداً فيه . فاذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه سيسبقكم الى الجليل . فهناك ترونه كما قال لكم . فخرجن مسرعات وهربن من القبر وهنّ يرتعدن ،

وقد تملكتهن الدهشة ، وكنَّ خائفات ، فلم يقلن لأحد شيئاً » (مرقس ١٦ : ٦ - ٨) . وقد خصَّ السيد المسيح بطرس بالذكر ليشجعه مبيِّناً له أنه - وإن كان قد أنكره وتنكر له في ساعة محنته - قد قَبِل توبته ، وغفر له خطيئته التي غسلها بدموعه ، وأنه - على الرغم مما أبدى من الضعف البشري - لا يزال يعتبره من أكثر تلاميذه غيرة وإخلاصاً ، فلا يمنعه الخجل أو الوجَل من أن يذهب للقائه بعد قيامته مع بقية زملائه .

وقد جاء في الإنجيل للقديس يوحنا أنه « في يوم الأحد أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً ، وكان الظلام لا يزال مخيمًا ، فرأت أن الحجر قد رُفِع عن باب القبر ، فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس ، وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه (وهو القديس يوحنا الحبيب) وقالت لهما : قد أخذوا سيدنا من القبر ولا أعلم أين وضعوه . فخرج بطرس والتلميذ الآخر ومضيا إلى القبر ، وكانا يركضان معًا ، ولكن التلميذ الآخر سبق بطرس فوصل قبله إلى القبر وتطلَّع إلى الداخل فرأى الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخل . ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ، فرأى الأكفان موضوعة ، وأما المنديل الذي كان على رأس يسوع فلم يكن موضوعًا مع الأكفان ، وإنما كان مطويًا في مكانٍ على حدة . ثم دخل أيضا التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر ورأى فأمن . لأنهم لم يكونوا بعد يدركون معنى قول الكتاب إنه ينبغي أن يقوم من بين الأموات . وبعد ذلك مضى التلميذان عائدين إلى حيث كانا . وأما مريم فكانت واقفة في الخارج عند القبر تبكي . وفيها هي تبكي تطلعت إلى داخل القبر ، فرأت ملاكين في ثياب بيضاء جالسين حيث كان جسد يسوع موضوعًا ، أحدهما عند رأسه والآخر عند قدميه ، فقالا لها : يا امرأة لماذا تبكين ؟ . قالت لهما : إنهم أخذوا سيدي ولا أعلم أين وضعوه . وإذا قالت هذا التفتت إلى الورااء فرأت يسوع واقفًا ولم تعرف أنه يسوع . فقال لها يسوع : أيتها السيدة لماذا تبكين ؟ عَمَّنْ



قيامه السيد المسيح (يوحنا ٢٠ : ١-١٨)

تبحثين؟ فظنت هي أنه البستاني ، فقالت له : ياسيدى إن كنت أنت الذى حملته . فقل لى أين وضعته وأنا آخذه . قال لها يسوع : يا مريم . فالتفتت وقالت له بالعبرانية : ربونى ، أى يامعلم . فقال لها يسوع : لا تمسكى لى هكذا فإنى لم أصعد بعد إلى أبى . ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إننى أصعد إلى أبى الذى هو أبوكم ، وإلهى الذى هو إلهكم » ( يوحنا ٢٠ : ١ - ١٧ ) .

إن مريم المجدلية فى ذهولها لم تعرفه حين رآته فى أول الأمر ، ولم تدرك أنه هو السيد المسيح إلا حين خاطبها بصوته المعروف لها وبالطريقة التى عهدتها منه . وإذا عرفته اندفعت نحوه وتشبثت به تشبثاً شديداً ، وكأنها خافت أن ينجتنى عنها مرة أخرى ، فطمأنها مقررًا لها أنه لن يصعد إلى أبيه الآن ، أى أنه سيبقى معهم بعض الوقت قبل صعوده ، وأوصاها أن تذهب إلى تلاميذه الذين شاء تواضعه ومحبتهم لهم أن يدعواهم إخوتهم ، لتخبرهم بقيامته من بين الأموات ، وبأنه سيصعد إلى أبيه السماوى الذى هو أبوهم وإن كان بمعنى آخر ، لأن بنوة السيد المسيح لله الآب هى بنوة خاصة به وحده لا يشاركه فيها أحد من البشر ، وأما التلاميذ فإنهم أبناء الله باعتبارهم خليقته ، وبالتبني بالمعمودية . كما أن أباه السماوى هو إلهه بصفته الناسوتية ، وأما بصفته اللاهوتية فهو متحد به اتحادًا كاملاً وفى كينونة واحدة معه ، وإلهه هو اللاهوت المتحد به والكائن معه . وأما بالنسبة للتلاميذ فإن الله الآب هو إلههم باعتبارهم سيدهم وراعيهم وباعتبارهم عباده ورعيتهم .

ونستنبط مما جاء فى الإنجيل للقديس متى أن مريم المجدلية قبل أن تخبر التلاميذ بما رأت وسمعت ، ذهبت مسرعة وأخبرت السيدة العذراء مريم التى كانت أكثر الناس فجيعة فى ابنها ولوعة عليه . فجاءتا معاً ورأتا الملاك الذى كان عند باب القبر فقال لهما « لا تخافا فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب . إنه

ليس هنا . فقد قام كما كان قد قال ، فهلماً انظرا الموضع الذي كان الرب راقداً فيه ، واذهبا سريعاً وأخبرا تلاميذه بأنه قد قام من بين الأموات . وهاهوذا سيسبقكم إلى الجليل فهناك ترونه . هاأنذا قد قلت لكما . فخرجتا مسرعتين من القبر بخوف وفرح عظيم ، وركضتا لتخبرا تلاميذه . وإذا يسوع قد لاقاهما وقال : السلام لكما ، فتقدمتا وتشبثتا بقدميه وهما تسجدان له . فقال لهما يسوع : لا تخافا . اذهبا وقولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك سيرونى » ( متى ٢٨ : ١٠ - ٥ ) .

كما نستنبط مما جاء في الإنجيل للقديس لوقا أن مريم المجدلية أسرعت فأخبرت باقى النسوة اللاتي كنّ قد جنن مع السيد المسيح من الجليل ، فأتين إلى القبر « ودخلن فلم يجدن جسد الرب يسوع . وفيما كنّ متحيرات فى ذلك ، إذا برجلين قد وقفا بهنّ فى ثياب براءة (كانا فى الواقع ملاكين) . وإذا اتابهن الخوف ونكسن وجوههن إلى الأرض قالاهن : لماذا تطلبن الحى بين الأموات ؟ . إنه ليس هنا ، وإنما قد قام . اذكرن ما كلمكن به وهو بعد فى الجليل ، قائلاً إن ابن الإنسان ينبغى أن يُسلّم إلى أيدي أناس خطاة ويُصلب وفى اليوم الثالث يقوم . فتذكرن كلامه ، وعدن من القبر وأخبرن الأحد عشر الباقين جميعاً بهذا كله . وكانت مريم المجدلية ويوانا ومريم أم يعقوب ، ومن كنّ معهن من النسوة الأخريات هنّ اللاتي قلن ذلك للرسل » ( لوقا ٢٤ : ٣ - ١٠ ) . وعلى الرغم من أن مريم المجدلية - كما جاء فى الانجيل للقديس يوحنا - جاءت وأخبرت التلاميذ قائلة : « إني رأيت الرب ، وإنه قال لها ذاك القول » ( يوحنا ٢٠ : ١٨ ) . فإن التلاميذ مع ذلك ظلوا مرتابين « فبدا لهم كلامهن هذا كالهذيان ولم يصلّقوهن » ( لوقا ٢٤ : ١١ ) . « وقد كانوا ينوحون فيكون » ( مرقس ١٦ : ١٠ ) .

ويقول القديس بطرس السدمنتى فى كتابه « القول الصحيح فى الآم السيد المسيح » : « إذا تصفحت الأناجيل تصفحاً شاقياً وجدت أن مريم المجدلية جاءت إلى القبر خمس دفعات :

- الأولى مع السيدة مريم ( العذراء ) عشية ( مساء ) السبت التى هى ليلة الأحد ( متى ٢٨ : ١ - ١١ )

- والثانية سحرًا كما قال يوحنا ( يوحنا ٢٠ : ١ - ٨ )

- والثالثة مع سمعان ويوحنا ( يوحنا ٢٠ : ١ - ١١ ) .

- والرابعة مع الجليليات ( لوقا ٢٣ : ٥٥ و ٥٦ ) : ( ٢٤ : ١ - ١١ ) .

- والخامسة مع السيدة ( العذراء مريم ) وسالموى ( مرقس ١٦ : ١ و ٢ ) .

أما السيدة ( العذراء مريم ) فجاءت ثلاث دفعات .

- الأولى مع مريم المجدلية ( متى ٢٨ : ١ )

- والثانية مع الجليليات ( لوقا ٢٤ : ١ - ١١ )

- والثالثة مع سالموى ( مرقس ١٦ : ١ - ٨ )

وقد جاء فى الإنجيل للقديس لوقا أنه « كان اثنان من تلاميذه منطلقين فى

ذلك اليوم إلى قرية تبعد عن أورشليم نحو ستين غلوة ، اسمها عماوس . وكانا

يتحدثان معاً عن هذه الأحداث كلها . وفيهما يتطارحان الكلام ويتناقشان .

اقترب يسوع نفسه منهما ، وسار معها . ولكنها كان قد أخفى عن أعينها لكى

لا يعرفاه . فقال لها : ما هذا الكلام الذى تتطارحانه ؟ فوقفا مكثبين . ثم

أجاب أحدهما وكان اسمه كليوباس ، وقال له : أنت المتغرب الوحيد فى أورشليم

الذى لا يعلم بالأمور التى حدثت هناك فى هذه الأيام ؟ فقال لها : أى أمور ؟ .

قالا له : تلك المختصة بيسوع الناصرى ، الذى كان نبياً مقتدرًا فى الفعل والقول

لدى الله وكل الشعب . وكيف أن رؤساء الكهنة وحكامنا قضوا عليه بالموت

وصلبوه . وقد كنا نرجو ان يكون هو المزمع أن يخلص إسرائيل . ولكن مع ذلك

كله فإن هذا هو اليوم الثالث منذ أن حدث ذلك . غير أن بعض النسوة من جماعتنا قد أدهشنا ، إذ ذهبن باكراً إلى القبر ، فلم يجدن جسده . وقد جنن قائلات إنهن رأين منظر ملائكة قالوا إنه حى . وقد مضى بعض الذين كانوا معنا إلى القبر فوجدوا كما قالت النسوة . أما هو فلم يروه . فقال لها : أيها الغبيآن والبطيئا القلب فى الإيمان بكل ما نطقت به الأنبياء ، أما كان ينبغى أن يكابد المسيح هذه الآلام ثم يدخل إلى حيث مجده ؟ . ثم أخذ يفسر لها مبتدئاً من موسى ومن جميع الأنبياء الأمور المختصة به فى كل الأسفار المقدسة ، حتى إذا اقتربوا من القرية التى كانا يقصدان إليها ، بدا كما لو كان متجهماً إلى مكان أبعد ، فتشبها به فى قوة قائلين : امكث معنا ، لأنه حان المساء وقد انقضى النهار ، فدخل ليكث معها . ولما جلس معها لتناول الطعام أخذ الخبز وباركه وقسّمه وناولها ، فانفتحت أعينها وعرفاه . وعندئذ اختنى عنها ، فقال أحدهما للآخر : أما كان القلب مضطرباً فينا وهو يكلمنا فى الطريق ويوضح لنا الأسفار المقدسة ؟ . وقاما على الفور ورجعا إلى أورشليم فوجدا الأحد عشر والذين معهم مجتمعين .. فأخبراهم بما حدث فى الطريق وكيف عرفاه عندما قسّم الخبز » ( لوقا ٢٤ : ١٣ - ٣٥ ) . « فلم يصدّقوا هذين أيضاً » ( مرقس ١٦ : ١٣ ) .

٢٠ : ١٩ - ٢٥

وفى مساء ذلك اليوم الذى قام فيه مخلصنا من بين الأموات ، وهو الأحد أول أيام الأسبوع ، وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين خوفاً من اليهود ، جاء مخلصنا ووقف فى وسطهم وقال لهم : السلام لكم » ( يوحنا ٢٠ : ١٩ ) . وقد جاء فى الإنجيل للقديس لوقا أنهم رأوه « ففرغوا وارتعبوا ، وقد ضنوا أنهم يرون روحاً . فقال لهم : ما بالكم مضطربين ، ولماذا تثور شكوك فى قلوبكم ؟ انظروا إلى يديّ وإلى قدميّ . إني أنا هو بنفسى . جسّونى وتحققوا ،



فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى . وفيما كان يقول هذا أراهم يديه  
 وقدميه . وإذا كانوا لا يزالون غير مصدّقين أنفسهم من فرط الفرح والدهشة قال  
 لهم : أ عندكم هنا ما يؤكل ؟ فقدموا له بعضاً من السمك المشوى وشهد  
 العسل . فأخذ وأكل أمامهم ، وقال لهم : هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا  
 بعدُ معكم ، إذ قلت لكم إنه لا بد أن يتم كل ما هو مكتوب عنى فى شريعة  
 موسى ونبوءات الأنبياء والمزامير . حينئذ فتح أذهانهم ليفهموا الأسفار المقدّسة  
 وقال لهم : هكذا هو مكتوب . وهكذا كان ينبغي أن يتألم المسيح ثم يقوم من  
 بين الأموات فى اليوم الثالث ، وينبغى أن يُبشّر باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا بين  
 كل الأمم ابتداء من أورشليم . وأنتم شهود لذلك « ( لوقا ٢٤ : ٣٦ - ٤٨ ) . ثم  
 قال لهم كما جاء فى الإنجيل للقديس يوحنا « السلام لكم . كما أرسلنى الآب ،  
 كذلك أرسلكم أنا . قال هذا ثم نفخ فى وجوههم وقال لهم : اقبلوا روح  
 القدس . من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ، ومن أمسكتم خطاياهم عليهم تمسك  
 عليهم . وأما توما أحد الاثني عشر ، الذى كان يدعى ديديموس أى التوام فلم  
 يكن معهم هناك حين جاء إليهم يسوع . فقال له التلاميذ الآخرون : إنا قد رأينا  
 الرب . فقال لهم : إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير ، وأضع فى موضع المسامير  
 إصبعى ، وأضع يدي فى جنبه لا أومن » ( يوحنا ٢٠ : ٢١ - ٢٥ ) .

أما أنّ السيد المسيح له المجد ينفخ فى وجوه تلاميذه ، ويقول لهم : « اقبلوا  
 روح القدس » ، فهذه النفخة هى نفخة روح القدس .. هى إحدى مواهب  
 الروح القدس التى تُعطى مع سرّ الكهنوت لأصحاب الدرجة الكهنوتية العليا ،  
 وهم الأساقفة . وبها يتألون سلطان الحل والعقد للخطايا ، ويصير لهم حق  
 التصرف فى منح الحل والعقد بصفتهم « وكلاء » لله ( متى ٢٠ : ٨ ) ؛ ( ٢٤ :  
 ٤٥ ) ؛ ( لوقا ١٢ : ٤٢ ) ؛ ( ١ . كورنثوس ٩ : ١٧ ) ؛ ( تيطس ١ : ٧ )  
 و « وكلاء سرّ الله » ( ١ . كورنثوس ٤ : ١ ) . وليس هناك حق بغير

مسئولية ، إذ الوكيل مسئول أمام الأصيل ، أن يتصرف في حدود اختصاصاته كأمين مخازن سيده ، فلا يصرف شيئاً ، ولا يتصرف إلا في حدود السلطة المنوحة له من سيده ، ووفقاً لإرادة سيده الذي أقامه وكيلاً عنه ، وسوف يحاسبه عن تصرفه في يوم الحساب ، إذ يقول له آنذاك « قدّم الحساب عن وكالتك » ( لوقا ١٦ : ٢ ) .

على أن الخطايا المقصودة في هذا النص القدسي ليست هي الإساءات الخاصة التي يسيء بها إنسان إلى آخر ، إذ من الواضح أن مثل هذه الإساءات لا يحتاج الغفران لها إلى موهبة من مواهب الروح القدس كما صنع السيد المسيح له المجد إذ نفخ في وجوه تلاميذه وقال لهم : « اقبلوا روح القدس . من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ، ومن أمسكتموها عليهم تُمسك عليهم » . ولا شك أن هذه النفخة هي منحة من قِبَل السيد المسيح وامتياز بسلطان إلهي ، يملك الممنوح له أن يحل ويعقد ، أن يغفر ويمسك منحة الغفران عن غير المستحق له ، في حين أن الغفران عن الإساءة الخاصة هي فضيلة يمارسها الإنسان المسيحي عن فعل المحبة ، ولا يحتاج من يمارسها إلى منحة أو إلى نفخة أو إلى سلطان ، إذ قال الرب يسوع « لأنكم إن غفرتم للناس زلاتهم ، فإن أباكم السماوي يغفر لكم أنتم أيضاً زلاتكم . أما إن لم تغفروا للناس زلاتهم فلن يغفر لكم أبوكم زلاتكم » ( متى ٦ : ١٤ و ١٥ ) ؛ ( مرقس ١١ : ٢٥ و ٢٦ ) ؛ ( متى ١٨ : ٢١ و ٢٢ ) . وقال أيضاً في هذا النوع من الغفران عن الإساءة « اغفروا يُغفرَ لكم » ( لوقا ٦ : ٣٧ ) « فإن أخطأ إليك أخوك فوبّخه . فإن تاب فاغفر له . وإن أخطأ إليك سبع مرّات في اليوم ، ثم رجع إليك سبع مرات قائلاً : إني تائب فاغفر له » ( لوقا ١٧ : ٣ و ٤ ) . وإذن فما منحه السيد المسيح له المجد لرسله الأطهار كان هو سلطان الحل والعقد ، الغفران والإمساك للخطايا ضد الله وضد الشريعة الإلهية . وهو السلطان الذي يمارسه الكاهن في سرّ التوبة . فهو

يفغر الخطايا للخطايء التائب إذا ثبت من صدق توبته بما يُعرف بعلامات التوبة الصادقة . وهو يمنح الغفران عن الخطايء المصرّ على خطيئته ، والذي لم يقدم عن خطاياہ توبة صادقة . والكاهن كوكيل لله مسئول عن استخدام هذا السلطان في حدود ارادة سيّده ومعطيائه « وكما يقومها الكاهن تكون » ( اللاويين ٢٧ : ١٢ ) ؛ ( العدد ١٨ : ١٦ ) .

ومما هو جدير بالملاحظة أن السلطان الممنوح للرسول ومن هم في حكمهم من أصحاب الدرجة الرسولية العليا في الكنيسة ، هنا - وهو سلطان الحل والعقد للخطايا في سرّ التوبة - شيء جديد مضاف إلى « سلطان الربط والحل » الذي منحه السيد المسيح لتلاميذه كما ورد في الإنجيل للقديس متى ( متى ١٦ : ١٩ ) ؛ ( ١٨ : ١٨ ) إذ يقول له المجد لتلاميذه : « الحق أقول لكم إن كل ماتربطونه على الأرض يُربط في السماوات ، وكل ما تخلّونه على الأرض يحلّ في السماوات » ، إذ أن سلطان « الحل والربط » يشمل سلطان التقنين والتشريع الممنوح للرسول مجتمعين ، وبالتالي لمن هم في حكم الرسل ، أي الجامع المقدّسة ، سواء أكانت الجامع المسكونية أو الجامع الإقليمية أو المحلية التي تتألف من أساقفة الكنيسة مجتمعين .. « الله قائم في مجمع الله ، في وسط الآلهة يقضى » ( الزمور ٨١ : ١ ) .

٢٠ : ٢٦ - ٢٩

ثم بعد ثمانية أيام ، أي في يوم الأحد التالى للقيامة المجيدة ، كان تلاميذ محلّصنا في القاعة العليا لبيت مرقس الرسول في أورشليم ، كما جاء في الإنجيل للقديس يوحنا ، « كان التلاميذ مجتمعين في الداخل أيضاً ( في بيت مرقس الرسول ) ، وكان توما معهم ، فدخل يسوع والأبواب مغلّقة ووقف في وسطهم وقال لهم : السلام لكم . ثم قال لتوما : هاتِ إصبعك إلى هنا وأبصر يديّ ،

وهات يدك وضعها في جنبي ، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً . فأجاب توما وقال له : ربى وإلهى . قال له يسوع . لأنك رأيتنى ياتوما آمنت ، طوبى للذين لم يروا وآمنوا » (يوحنا ٢٠ : ٢٦ - ٢٩) .

فى هذه المرة وفى المرة السابقة ، دخل السيد المسيح له المجد إلى القاعة العليا التى كان يقيم فيها تلاميذه ، وأبوابها مغلقة من الداخل بسبب خوفهم من اليهود ، الأمر الذى فزعوا له وارتعبوا ، لأنهم ظنوه روحًا ، أو شبحًا ، أو خيالًا ، ولكنه له المجد أثبت لهم بمالا يدع مجالاً للشك أن الجسد الذى ظهر به لم يكن روحًا ولا شبحًا ولا خيالًا ، وإنما كان جسدًا حقيقيًا وماديًا من طبيعة جسدنا . وهو بذاته الجسد الذى صلبه الرومان واليهود ، ودقوا فيه المسامير وطعنوه بالحربة فى جنبه الأيمن . وقد أراهم بالفعل يديه وقدميه وجنبه ؛ بل إنه طلب منهم أن يقتربوا منه ويلمسوه ويتحققوا بأنفسهم فيصدقوا فى يقين أنه قام من بين الأموات بذات جسده الذى صُلب ومات ودفن فى القبر ، وزاد على ذلك بأن طلب من تلميذه توما - الذى شك فى شهادة التلاميذ رفاقه وطلب أن يضع إصبعه فى أثر المسامير فى يديه وقدميه ، وأن يضع يده فى جنبه ، وبغير ذلك لا يؤمن ولا يصدق - أن يتقدم هو أيضًا ويقترب منه ، ويضع إصبعه فى يديه وقدميه وجنبه كما أراد .

فإذا كان الجسد الذى دخل به المسيح يسوع إلى القاعة العليا وأبوابها مغلقة من الداخل ، جسدًا حقيقيًا طبيعيًا ماديًا لا خياليًا ، فكيف تتوفر هذه الإمكانية لجسد طبيعى إلا لأنه جسد المسيح ، الذى باتحاد اللاهوت به صارت له قدرات وإمكانات لا تتوفر لجسد طبيعى آخر .

وكما أنه دخل القاعة العليا وأبوابها مغلقة ، كذلك خرج من بطن العذراء عند ميلاده منها وأبواب البكارة مصونة ومغلقة ( حزقيال ٤٤ : ٢ ) . وبالمثل خرج من القبر عند قيامته ، والقبر مغلق بالحجر بإحكام ، وبأختام .. وهذه

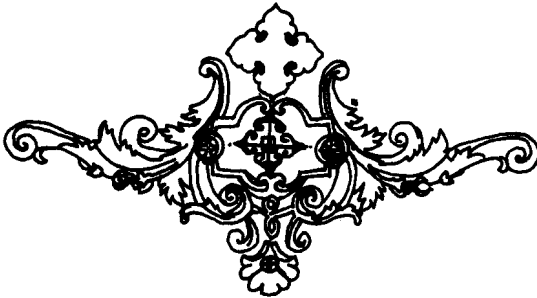
جميعها يثبت على سلطان لاهوته ، المتحد بناسوته .

ومن الغريب أن توما بعد أن لمس بيديه أثر المسامير في يدي المخلص وقدميه ووضع يده في جنبه ، يصرخ ويقول « ربّي وإلهي » . فكيف قادت هذه الرؤية والملاسة توما إلى اعتراف صريح بالربوبية والألوهية لم يسبق إليه من قبل .. إنه يثبت على أن توما لمس بيده نارًا أحسّها وهو يضع إصبعه في أثر المسامير في يدي المخلص وقدميه وفي جنبه . فلم يتألك أن يصيح هذه الصيحة . ذلك لأنه لمس صدق قول الوحي الإلهي « إنّ إلهنا نار آكلة » ( العبرانيين ١٢ : ٢٩ ) ، ( الخروج ٢٤ : ١٧ ) ، ( التثنية ٤ : ٢٤ ) ، ( ٩ : ٣ ) ، ( الزمور ٤٩ : ٣ ) ، ( ٩٦ : ٣ ) ، ( إشعياء ٦٦ : ١٥ ) .. إن توما لو لم يكن قد لمس بيده نارًا لكان يكفيه أن يقول إنه آمن بحقيقة قيامة السيد المسيح كما حدّثه عنها زملاؤه التلاميذ .

٢٠ : ٣١

ولما كان الإنجيل للقديس يوحنا اللاهوتي قد كتبه بعد أن ذاعت بين الناس الأناجيل للقديسين متى ومرقس ولوقا ، فقد تجنب تكرار بعض ماجاء في تلك الأناجيل . ثم ختم بشارته قائلاً : « وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة لم تكتب في هذا الكتاب . وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولتكون لكم إن آمنتم الحياة الأبدية باسمه » ( يوحنا ٣١ و٣٠ ) . والواقع أنّ القديس يوحنا اللاهوتي كتب بشارته وقد ناهز المائة من عمره ليوضّح فيه حقيقة الطبيعة الإلهية لمخلصنا له المجد ، تصحيحًا للأخطاء التي وقع فيها بعض الهرطقة وبعض الذين تناولوا بالدراسة هذا الموضوع متأثرين بآراء الفلاسفة الوثنيين ولا سيما اليونانيين منهم . فلم يذكر إلا الوقائع التي تبرز حقيقة المسيح اللاهوتية ، وتبين من هو في ذاته قبل أن يتخذ له جسدًا يحجب به لاهوته . وذلك ردًا على ما أثاره الهرطقة من آراء فلسفية لا ترقى إلى مستوى

البحث في طبيعة الله . لأن هذا البحث يفوق المدارك البشرية المحدودة والمحددة بالقدرات التي وهبها الله للعقل البشرى ليتواءم مع الإمكانيات التي أتاحتها الحياة للإنسان على الكرة الأرضية التي هي ليست إلا ذرّة لا تتوازي حبة الرمل بالنسبة للكيان الكلى للكون الأعظم الذى لا حدود له بما يتجاوز نطاق ذلك العقل البشرى بملايين الملايين من المرات والقدرات التي لا يمكن أن يصل إليها العقل البشرى معها بلغ من الحجم والقدرة ، أو يستوعبها الخيال البشرى معها اتسع وارتفع إلى أعلى عليين من السماوات . ومن ثمّ فقد اكتفى القديس يوحنا في بشارته ببيان الجوهر الإلهى لمخلّصنا وما يدلّ عليه مافعل من أفعاله أو ما قال من أقواله ، مستنداً في ذلك إلى تفاصيل مافعله وماقاله مما ذكره الإنجيليون الذين سبقوه . ومن ثمّ اكتفى الإنجيل للقديس يوحنا بأن قال « وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة لم تُكتب في هذا الكتاب . وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولتكون لكم إن آمنتم الحياة الأبدية باسمه » ، أى أن القديس يوحنا ماكتب هذا الإنجيل إلا ليبرهن به على لاهوت مخلّصنا يسوع المسيح باعتباره ابن الله ، وباعتباره الكائن مع الله الأب في كينونة واحدة وجوهر واحد . وأن هذا هو جوهر الإيمان المسيحى ، فكل الذين آمنوا به باعتباره كذلك ينالون الحياة الأبدية باسمه ، أو بوصفهم مسيحيين مؤمنين صادقين الإيمان بمسيحيتهم وعميق الاعتقاد بهذه الحقيقة الإلهية معها تسامت على العقول البشرية القاصرة ، القصيرة المدى ، المحدودة المقدرة .



## الفضل الحادى والعشرون

٢١ : ١ - ٢٩

وبعد ذلك أظهر مخلصنا نفسه مرة أخرى لتلاميذه على بحر طبرية ، الذى هو بحر الجليل ، أو بحيرة جنيسارت ، إذ كان سمعان بطرس وتوما المدعو ديديموس ، ونثنائيل الذى من قانا الجليل ، وابنا زبدي (وهما يعقوب ويوحنا) ، واثنان آخران من تلاميذه مجتمعين معه . فقال لهم سمعان بطرس : « إننى ذاهب لاصطاد سمكاً » . فقالوا له : « ونحن أيضاً نذهب معك » . ثم خرجوا وركبوا السفينة ، إلا أنهم لم يصيدوا فى تلك الليلة شيئاً ، حتى إذا طلع الصباح وقف مخلصنا على الشاطئ ، ولكن التلاميذ لم يعلموا أنه هو يسوع . فقال لهم يسوع : « يافتيان ألكم شىء يؤكل ؟ » أجابوه : « لا » . فقال لهم : « ألقوا الشبكة من الجانب الأيمن للسفينة فتجدوا » . فألقوها ، وعندئذ لم يستطيعوا أن يجذبوها إلى فوق من كثرة السمك . فقال التلميذ الذى كان يسوع يحبه (وهو يوحنا) لبطرس : « إنه الرب » . فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب ارتر بثوبه لأنه كان عرياناً . ثم ألقى بنفسه فى البحر . وأما التلاميذ الآخرون فجاءوا بالسفينة التى لم تكن تبعد عن الشاطئ إلا نحو مائتى ذراع ، ثم أخذوا يجرون شبكة السمك . فلما جاءوا إلى الأرض تطلّعوا فرأوا جمراً ، وسمكاً موضوعاً عليه وخبزاً . وقال لهم يسوع : « قدّموا من السمك الذى اصطدتم الآن » ، فصعد سمعان بطرس وجرّ الشبكة إلى الأرض وهى مكتظة سمكاً كبيراً ، مائة وثلاثاً وخمسين سمكة . ومع

كثرة هذا العدد لم تتخرق الشبكة . فقال لهم يسوع : « هلموا تناولوا الطعام » . ولم يجسر أحد من تلاميذه على أن يسأله : « من أنت ؟ » لأنهم عرفوا أنه هو الرب . ثم تقدم يسوع وأخذ الخبز وناولهم ، وكذلك السمك . وكانت هذه هي المرة الثالثة التي أظهر يسوع فيها نفسه لتلاميذه مجتمعين بعد قيامته من بين الأموات . وبعد أن تناول الطعام ، قال يسوع لسمعان بطرس : « يا سمعان بن يوحنا ، أنتجني أكثر من هؤلاء ؟ » . فقال له : « نعم يارب أنت تعلم أنني أحبك » . قال له : « إرغ حملاني » . ثم قال له ثانية : « يا سمعان بن يوحنا أنتجني ؟ » فقال له « نعم يارب أنت تعلم أنني أحبك » . قال له : « إرغ خرافي » . ثم قال له للمرة الثالثة : « يا سمعان بن يوحنا أنتجني ؟ » ، فحزن بطرس لأنه قال له للمرة الثالثة « أنتجني ؟ » ، وقال له « يارب أنت تعلم كل شيء : أنت تعلم أنني أحبك » . فقال له يسوع : « إرغ غنمي » . وهكذا جعل السيد المسيح بطرس يعترف بإيمانه به وبجبه إياه ثلاث مرات ، كي يصلح الخطأ الذي سبق أن ارتكبه ، إذ أنكره وتبرأ من معرفته له ثلاث مرات . ولعله بذلك يذكره بخطيئته وإنكاره وهو الذي سبق أن قال لمعلمه « إن شك فيك الجميع فلن أشك أنا أبداً » ( متى ٢٦ : ٣٣ ) . وقد طلب إليه مخلصنا - ليبرهن له على أنه غفر له خطيئته ، ووضع فيه من جديد ثقته - أن يرعى حملانه وخرافه وغنمه ، أى تلاميذه وسائر المؤمنين به ، لأنه كان من أكثرهم جرأة وأوفرهم غيرة وحماسة . وقد كان السيد المسيح يعلم أنه سيواصل التبشير به والشهادة له في كل أنحاء الأرض حتى يستشهد في سبيله . ومن ثم تنبأ له قائلاً « الحق الحق أقول لك إنك حين كنت شاباً ، كنت تمنطق نفسك بنفسك ، وتذهب إلى حيث تشاء . ولكنك متى شخت ستبسط يديك ، وشخص آخر يملكك ويحملك إلى حيث لا تشاء » . قال له هذا مشيراً إلى الميتة التي كان مزمماً أن يمجد الله بها . وفعلاً لقد مات القديس بطرس مصلوباً ، بيد أنه طلب أنه يصلبوه منكساً ،



أى أن يكون رأسه إلى أسفل ورجلاه إلى أعلى . وبعد ذلك قال له يسوع : « اتبعني » . فالتفت بطرس ورأى التلميذ الذى كان يسوع يحبه يتبعه . وهو ذلك الذى كان قد اتكأ على صدره أثناء العشاء ، والذى قال له : « يارب من هو الذى سيسلمك » . فلما رأى بطرس ذلك قال ليسوع : « يارب وماذا عن هذا ؟ » قال له يسوع : « لو أننى شئت أن أبقيه إلى أن أجيء فإذا يعينك ؟ اتبعني أنت » . فذاع بين الإخوة القول بأن ذلك التلميذ لا يموت . غير أن يسوع لم يقل له إنه لا يموت . وإنما قال : « لو أننى شئت أن أبقيه إلى أن أجيء فإذا يعينك ؟ » ( يوحنا ٢١ : ١٨ - ٢٣ ) .

وقد جاء فى الإنجيل للقديس متى قوله : « وأما التلاميذ الأحد عشر فذهبوا إلى الجبل الذى كان يسوع قد عيّنه لهم فى الجليل . فلما رأوه سجدوا له .. فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً : إني قد أعطيت كل سلطان فى السماء وعلى الأرض . فذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به . وهأنذا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهور » ( متى ٢٨ : ١٦ - ٢٠ ) .

وبعد أن ظهر السيد المسيح لتلاميذه بعد قيامته مراراً على هذا النحو « ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ » . وقد قال بولس الرسول حين كتب رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس بعد قيامة السيد المسيح بنحو ثلاثين عاماً أن « أكثرهم باق إلى الآن ، ولكن بعضهم قد رقدوا » ( ١ . كورنثوس ١٥ : ٦ ) .

° ° °

وقد كانت قيامة السيد المسيح بعد موته سرّاً من الأسرار الإلهية المتعلقة بطبيعة السيد المسيح التى اتحد فيها الإله بالإنسان اتحاداً تاماً كاملاً . فالسيد المسيح بقيامته بعد موته قد أعطى البشر أوّل برهان واقعى رأوه بأعينهم على قيامة

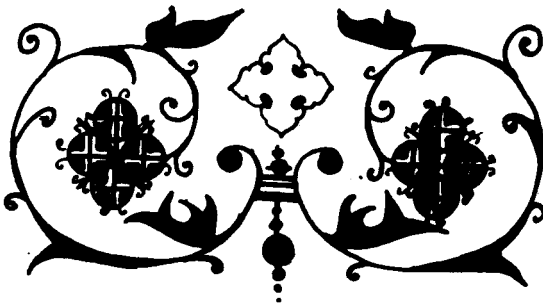
الأموات في اليوم الأخير . إذ كانت قيامته كما يقول بولس الرسول « أول قيامة الأموات » ( الأعمال : ٢٦ : ٢٣ ) . ثم يقول إن الله قد أقام الرب وسيقيمنا نحن أيضًا بقوته ( ١ . كورنثوس ٦ : ١٤ ) . ويقول « فإن لم تكن قيامة أموات ، فلا يكون المسيح قد قام ، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا ، ونوجد نحن أيضًا شهود زور لله . لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يُقمه ، إن كان الموقى لا يقومون .. ولكن الآن قد قام المسيح من بين الأموات ، وصار باكورة الراقدين .. فإنه إذ الموت بإنسان ، فبإنسان أيضًا قيامة الأموات . لأنه كما في آدم يموت الجميع ، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع .. إن كان الموقى لا يقومون فلنأكل ونشرب لأننا غدًا نموت » ( ١ . كورنثوس ١٥ : ١٣ - ٣٢ ) . ثم يشرح بولس الرسول ماهية القيامة ويوح ببعض أسرارها . فيقول « كيف يُقام الأموات وبأى جسم يأتون ؟ .. الذى تزرعه لا يحيى إن لم يمُت . والذى تزرعه لست تزرع الجسم الذى سيصير ، بل حبة مجردة ، ربما من حنطة أو سواها من الحبوب ، ولكن الله يعطيها جسمًا كما يشاء .. هكذا أيضًا قيامة الأموات .. يُزرع في فساد ، ويُقام في غير فساد . يُزرع في هوان ، ويُقام في مجد . يُزرع في ضعف ويقام في قوة . يزرع جسمًا حيوانيًا ويُقام جسمًا روحانيًا . يوجد جسم حيوانى . ويوجد جسم روحانى . هكذا مكتوب أيضًا صار آدم الأول نفسًا حية ، وآدم الأخير ( وهو السيد المسيح ) روحًا محييا . لكن ليس الروحانى أولاً ، بل الحيوانى ، وبعد ذلك الروحانى . الإنسان الأول من الأرض ترابى . الإنسان الثانى الرب من السماء . كما هو الترابى ، هكذا الترابيون أيضًا . وكما هو السماوى ، هكذا السماويون أيضًا . وكما لبسنا صورة الترابى ، سنلبس أيضًا صورة السماوى .. إن لحمًا ودمًا لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ، ولا يرث الفساد عدم الفساد . هوذا سيرُ أقوله لكم : لا نترقد كلنا ، ولكننا كلنا نتغير ، في لحظة ، في طرفة عين ، عند البوق الأخير . لأنه سينفخ في البوق ، فيقام

الأموات عدى فساد ، ونحن ( الأحياء ) نتغيّر ، لأن هذا الفاسد لا بدّ أن يلبس عدم فساد . وهذا المات يلبس عدم موت » ( ١ ) . كورنثوس ١٥ : ٣٥ . ( ٥٣ ) .

\*\*\*

وفى يوم الخميس ، بعد أربعين يوماً من قيامة السيد المسيح ، أخذ تلاميذه إلى بيت عنيا على جبل الزيتون بالقرب من أورشليم ( لوقا ٢٤ : ٥٠ ) ؛ ( الأعمال ١ : ١٢ ) . و« بعد أن أصدر أوامره بالروح القدس إلى الرسل الذين اختارهم ، والذين أيضاً بعد أن تألم أراهم نفسه حياً ببراين كثيرة واضحة ، وقد ظل أربعين يوماً يظهر لهم ويكلمهم عن ملكوت الله . وفيما هو يأكل معهم أوصاهم بالأى يرحوا أورشليم قائلاً : انتظروا موعد الآب الذى سبق أن سمعتموه منى . فإن يوحنا عمّد بالماء . وأما أنتم فستعمّدون بروح القدس ، بعد أيام غير كثيرة . فسأله الذين كانوا مجتمعين معه قائلين : يارب أفى هذا الزمن تردّ المملكة إلى إسرائيل ؟ فقال لهم : ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة أو الأوقات التى جعلها الآب فى ذات سلطانه . لكنكم ستألون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم ، فتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض » ( الأعمال ١ : ٢ - ٨ ) . « ثم رفع يديه وباركهم . وفيما هو يباركهم افترق عنهم وصعد إلى السماء » ( لوقا ٢٤ : ٥٠ و ٥١ ) ، « وأخذته سحابة عن أعينهم . وفيما كانوا شاخصين نحو السماء وهو منطلق ، إذا برجلين بملابس بيضاء قد ظهرا لهم ، وقالا لهم : أيها الرجال الجليليون ، ما بالكم واقفين تتطلعون إلى السماء ؟ إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيجىء ثانية هكذا كما رأيتموه وهو منطلق إلى السماء » ( الأعمال ١ : ٩ - ١١ ) . وقد « جلس عن يمين الله » ( مرقس ١٦ : ١٩ ) . « فسجدوا له ، ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم » ( لوقا ٢٤ : ٥٢ ) .

وهكذا جاء السيد المسيح إلى الأرض مجيء إله ، إذ حُبل به من روح القدس ( متى ١ : ٢٠ ) . وكانت الملائكة عند ميلاده تترنم بتسبيحه ( لوقا ٢ : ١٤ ) . وصعد إلى السماء صعود إله ، إذ حملته سحابة من نور ، وكانت الملائكة عند صعوده تهتف بمجده ( الأعمال ١ : ٩ - ١١ ) . بيد أنه وان نزل من السماء ثم صعد إلى السماء ، كان دائماً في السماء . وفقاً لقوله « مامن أحد صعد إلى السماء ، إلا ذلك الذي نزل من السماء ، ابن الإنسان الذي هو في السماء » ( يوحنا ٣ : ١٣ ) . وذلك لأنه وإن كان بناسوته نزل وصعد ، فإنه بلاهوته كان دائماً وسيظل إلى الأبد مالم يأت الأرض والسماء ، ومالك الأرض والسماء ، وملك الأرض والسماء ، « ولن يكون للملكه انقضاء » ( لوقا ١ : ٣٣ ) . ولسوف يأتي في مجيئه الثاني بمجد وجلال ، ليدين الأحياء والأموات ، وفقاً لقوله « هاأنذا آتٍ سريعاً ، ومعى الجزاء الذي أجزى به كل واحد بعمله . أنا الألف والياء . البداية والنهاية . الأول والآخِر .. أنا أصل داود ونسله . أنا كوكب الصبح المنير . والروح والعروس يقولان : تعال .. مَنْ سَمِعَ فليقل تعال .. نعم ، أنا آتٍ سريعاً . آمين . تعال أيها الرب يسوع » ( الرؤيا ٢٢ : ١٢ - ٢٠ ) .



# فهرس

صفحة

٥	..... مقدمة
٥	..... ( ا ) القديس يوحنا الرسول الإنجيلي
٥	..... يوحنا الحبيب
١٠	..... يوحنا البتول
١٠	..... يوحنا اللاهوتي
١١	..... يوحنا الرائي
١٥	..... أهم ما ذكر عنه في أثناء تلمذته وبعد القيامة
٢١	..... كرازته وتبشيريه وخدمته باسم المسيح
٢١	..... استشهاده الرسول يوحنا ونفيه
٢٣	..... القديس يوحنا يدعو إلى الرياضة الجسدية
٢٤	..... ( ب ) الإنجيل للقديس يوحنا
٤٩	..... نص إنجيل ربنا يسوع المسيح للقديس يوحنا
٥٠	..... الفصل الأول
٥٠	..... الكلمة هو الله . مجيء يوحنا المعمدان
٥٢	..... شهادة يوحنا المعمدان عن السيد المسيح
٥٣	..... إيمان أندراوس وأخيه بطرس بالسيد المسيح
٥٤	..... إيمان فيلبس وثثنائيل بالسيد المسيح
٥٦	..... الفصل الثاني
٥٦	..... معجزة تحويل الماء إلى خمر
٥٧	..... السيد المسيح يطهر الهيكل من باعة الماشية والصيارفة
٥٨	..... إيمان كثيرين من اليهود بالسيد المسيح حين رأوا معجزاته

صفحة	
٥٩	الفصل الثالث .....
٥٩	حديث نيقوديموس مع السيد المسيح .....
٦٢	المعمدان يشهد للسيد المسيح مرة أخرى .....
٦٤	الفصل الرابع .....
٦٤	حديث السيد المسيح مع المرأة السامرية .....
٦٨	كثيرون من السامريين يؤمنون بالسيد المسيح .....
٦٩	معجزة شفاء ابن أحد رجال الحاشية الملكية .....
٧١	الفصل الخامس .....
٧١	معجزة شفاء العليل عند بركة بيت حسدا .....
٧٦	الفصل السادس .....
٧٦	معجزة شفاء الخمسة الآلاف بخمس خبزات وسمكتين .....
٧٨	اليهود يحاولون اختطاف السيد المسيح ليجعلوه ملكاً .....
٧٩	الجموع تتبع السيد المسيح فيواصل تعليمها .....
٨٥	الفصل السابع .....
	السيد المسيح يدخل هيكل أورشليم في عيد المظال
٨٥	ويخاطب الشعب .....
٨٨	رؤساء اليهود يحاولون القبض على السيد المسيح .....
٩١	الفصل الثامن .....
٩١	المرأة الزانية وهل يدينها السيد المسيح .....
٩٣	السيد المسيح يواصل التعليم في الهيكل .....
٩٨	الفصل التاسع .....
٩٨	معجزة شفاء الأعمى منذ ولادته .....
١٠٣	الفصل العاشر .....
١٠٣	السيد المسيح هو الراعى الصالح .....
١٠٦	اليهود يحاولون رجم السيد المسيح .....

١٠٨	..... الفصل الحادى عشر
١٠٨	..... معجزة إقامة لعازر
١١٤	..... الفصل الثانى عشر
١١٤	..... مريم أخت لعازر تدهن بالطيب قدمى السيد المسيح
١١٦	..... السيد المسيح يدخل أورشليم ملكاً
١١٧	..... السيد المسيح يعلم فى الهيكل
١٢١	..... الفصل الثالث عشر
	السيد المسيح يغسل أرجل تلاميذه وهو يحتفل بالفصح
١٢١	..... معهم
١٢٢	..... السيد المسيح يطلب من تلاميذه أن يتمثلوا به
١٢٣	..... السيد المسيح يتنبأ بخيانة يهوذا له
١٢٥	..... السيد المسيح يوصى تلاميذه بالمحبة
١٢٦	..... الفصل الرابع عشر
١٢٦	..... الوصايا الأخيرة للسيد المسيح إلى تلاميذه
١٣٠	..... الفصل الخامس عشر
١٣٠	..... السيد المسيح يواصل وصاياه لتلاميذه
١٣١	..... السيد المسيح هو الكرمة وتلاميذه الأغصان
١٣٣	..... الفصل السادس عشر
١٣٣	..... السيد المسيح يواصل وصاياه لتلاميذه
١٣٨	..... الفصل السابع عشر
١٣٨	..... مناجاة السيد المسيح أباه السماوى
١٤٢	..... الفصل الثامن عشر
١٤٢	..... اليهود يقبضون على السيد المسيح بإرشاد يهوذا الخائن
١٤٣	..... محاكمة السيد المسيح أمام رئيس الكهنة حنان
١٤٥	..... بطرس ينكر معلمه ثلاث مرات
١٤٦	..... محاكمة السيد المسيح أمام بيلاطس البنطى

## صفحة

١٤٨	..... الفصل التاسع عشر
١٤٨	..... ييلاطس يجلد السيد المسيح ثم يحاول إطلاق سراحه
١٥٠	..... اليهود يصلبون السيد المسيح
	السيد المسيح يسلم الروح على الصليب . جندي يطعن
١٥٢	..... جنبه
١٥٣	..... دفن جسد السيد المسيح
١٥٤	..... الفصل العشرون
١٥٤	..... قيامة السيد المسيح وظهوره لتلاميذه
١٥٦	..... السيد المسيح يظهر لتلاميذه مجتمعين
١٥٧	..... توما لا يصدق أن زملاءه التلاميذ رأوا الرب
١٥٨	..... السيد المسيح يصنع آيات أخرى كثيرة
١٥٩	..... الفصل الحادى والعشرون
١٥٩	..... السيد المسيح يظهر لتلاميذه مرة أخرى على بحر طبرية
١٦١	..... حديث السيد المسيح إلى تلميذه بطرس
١٦٢	..... حديث السيد المسيح عن القديس يوحنا
١٦٣	..... السيد المسيح يصنع أشياء كثيرة أخرى
١٦٥	..... التفسير
١٦٧	..... الفصل الأول
٢٣٦	..... الفصل الثانى
٢٥٦	..... الفصل الثالث
٢٧٤	..... الفصل الرابع
٢٩٣	..... الفصل الخامس
٣٢٣	..... الفصل السادس
٣٥٠	..... الفصل السابع
٣٦٩	..... الفصل الثامن



## صفحة

٤٠٢	.....	الفصل التاسع
٤٢٥	.....	الفصل العاشر
٤٤٤	.....	الفصل الحادى عشر
٤٦٢	.....	الفصل الثانى عشر
٤٩٤	.....	الفصل الثالث عشر
٥١٨	.....	الفصل الرابع عشر
٥٥٥	.....	الفصل الخامس عشر
٥٦٧	.....	الفصل السادس عشر
٥٨٠	.....	الفصل السابع عشر
٥٩٠	.....	الفصل الثامن عشر
٦١٥	.....	الفصل التاسع عشر
٦٥٤	.....	الفصل العشرون
٦٦٨	.....	الفصل الحادى والعشرون

---

## فهرس الزخارف

صفحة

- ١ - واجهة الكنيسة المعلقة بمصر القديمة وقد بدأ تشييد هذه الكنيسة في القرن الخامس الميلادى وتعتبر من أقدم الكنائس في العالم ..... ٤٩
- ٢ - حنية ( شرقية ) من الطمى المطلى بالجير نقلت إلى المتحف القبطى بالقاهرة من دير باويط بالقرب من ديروط بالوجه القبلى وعليها رسم بالألوان للسيد المسيح جالساً عن العرش ويحيط به رئيسا الملائكة ميخائيل وغبريال والمخلوقات الأربعة التى ترمز إلى الأنجيل الأربعة . وتحت هذا المنظر رسم بالألوان أيضاً يمثل السيدة العذراء مريم تحمل المسيح الطفل وحوها تلاميذ السيد المسيح الاثنا عشر ومعهم اثنان من القديسين المصريين أحدهما على اليمين والآخر على اليسار وقد دونت أسماؤهم جميعاً فوق رؤوسهم باللغة القبطية . وترجع هذه التحفة الأثرية إلى القرن الخامس أو السادس الميلادى ١٦٧
- ٣ - تاج عامود كنسى من الحجر الجيرى عليه نقش بارز يمثل أوراق العنب ويرجع إلى القرن السادس الميلادى . وموجود حالياً بالمتحف القبطى ..... ١٨٩
- ٤ - قطعة فنية من خشب الجميز كانت تعلو أحد أبواب الهياكل وعليها نقش بارز ودقيق يمثل دخول السيد المسيح منتصراً إلى أورشليم وتعلوها بقايا أربعة أسطر أفقية من نص يونانى مأخوذ من الكتاب المقدس وترجع هذه التحفة إلى القرن الرابع الميلادى وتم العثور عليها بالكنيسة المعلقة بمصر القديمة وهى موجودة حالياً بالمتحف القبطى ..... ٢٣٦

## صفحة

- ٥ - مسرحة معدنية تتركز على قاعدة ذات أربعة أرجل على هيئة  
مخالب أسد ولها عاكس للضوء على شكل محارة وهي ترجع إلى  
نحو القرن السابع الميلادي وموجودة حالياً بالمتحف القبطي ٢٥٥
- ٦ - بقايا سطرين من النص اليوناني المأخوذ من الكتاب المقدس  
والمحفور على قطعة خشب الجميز المنشورة صورتها في صفحة  
٢٣٦ ..... ٢٥٦
- ٧ - تاج عامود كنسى من الحجر الجيري عليه نقش لوجه إنسان  
وحوله أوراق نبات بشكل إشعاع قد يمثل النور وأسفله  
زخرفة من أوراق نبات الأكانتس وتحتها زخرفة يتوسطها  
صليب . وهو موجود حالياً بالمتحف القبطي ..... ٣٦٨
- ٨ - غلاف من الفضة للكتاب المقدس مزين بزخارف نباتية  
يتوسطها صليب وكتابة قبطية وعربية بارزة لبعض آيات  
الكتاب المقدس وهو يرجع إلى القرن الحادى عشر وموجود  
حالياً بالمتحف القبطي ..... ٤٠١
- ٩ - أحد وجهى مشط من العاج عليه نقش بارز يمثل معجزة شفاء  
السيد المسيح للأعمى ومعجزة إقامة لعازر وهو يرجع إلى  
القرن الرابع الميلادى وموجود حالياً بالمتحف القبطي ..... ٤٤٤
- ١٠ - تاج عامود كنسى من الحجر الجيري عليه نقوش بارزة غاية  
في الدقة والإبداع وتبين مدى ما وصل إليه الفنان القبطي  
من براعة وابتكار في إظهار فروع الأكانتس وكأنما تداعبها  
الرياح ويعلوها صليب . وهو يرجع إلى القرن السادس  
الميلادى وموجود حالياً بالمتحف القبطي ..... ٥١٧
- ١١ - تاج عامود كنسى من الحجر الجيري عليه نقش بارز يمثل  
زخارف نباتية ويرجع إلى القرن السادس الميلادى وموجود  
حالياً بالمتحف القبطي ..... ٥٦٦
- ١٢ - تاج عامود كنسى من الحجر الجيري عليه نقوش تمثل أوراق

## صفحة

- العنب ويرجع إلى القرن السادس الميلادى وموجود حالياً  
 بالمتحف القبطى ..... ٥٧٩
- ١٣ - أيقونة أثرية لرئيس الملائكة ميخائيل وترجع للقرون  
 الأولى ..... ٥٨٩
- ١٤ - تاج عامود كنسى عليه زخارف نباتية بارزة يعلوها صليب  
 ويرجع إلى القرن الخامس أو السادس الميلادى وموجود  
 حالياً بالمتحف القبطى ..... ٦١٤
- ١٥ - تاج عامود كنسى من الرخام وهو مجوف من الداخل وعليه  
 زخارف بارزة منحوتة نحتاً فى غاية الدقة ويمثل شكل سلة  
 من الخوص تتوسطها زهرتا اللوتس والبردى ويرجع إلى  
 القرن السادس الميلادى وموجود حالياً بالمتحف القبطى .. ٦٥٣
-

١٩٨٦ / ٣٥٠٣	رقم الإيداع
ISBN ٩٧٧-٠٢-١٦٨٢-٨	الترقيم الدولي

١ / ٨٢ / ٢٣٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

